الطريق إلى قدري إلى عامر

برلنتي عبد الحميد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية
(اهــداء)
رقم التسجيل

اهداءات ٢٠٠٢

مؤسسة الطويجى للطباعة و النشر
القاهرة

برلنتي عبد الحميد

الطريق إلى قدري .. إلى عامر

٢٠٠٢م

الطريق إلى قدرى .. إلى عامر

الناشـــــر: مدبولى الصغير
٤٥ شارع البطل أحمد عبد العزيز - المهندسين
تليفـــــون: ٣٤٧٧٤١٠ - ٣٤٤٢٢٥٠
التنفيذ الفنى: مؤسسة الطوبجى للطباعة
رقم الإيـــداع: ٢٣٣٧٠ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى: 977 - 286 - 147 X

المقدمة...

بعد عشر سنوات من إصدار كتاب (المشير وأنا).. والذى دفعنى إلى كتابة هذا الكتاب الجديد، هو أن هزيمة ٥ يونيو ، ومصرع المشير، أذيعت قصتهما من جانب واحد ، وهو جانب جمال عبد الناصر ، ومراكز القوى ، وبعض أعضاء مجلس الثورة ، ممن التزموا طريق " الموافقة " على الدوام ، لضمان سلامتهم ، حتى لا يطاح بهم مثلما أطيح بمحمد نجيب ، ويوسف صديق، وعبد المنعم امين ، وصلاح سالم، وجمال سالم ، وكمال الدين حسين وغيرهم ممن لا تخفى أسماؤهم على الجميع .

أما الجانب الآخر ، فقد أخرس لسانه ، إما بالقتل ، أو بالسجن ، أو بالتهديد . وقد آن الأوان لهذا الجانب الصامت ان يتكلم لأن الحقيقة لا تعرف من جانب واحد .

ويكفى هنا أن أشير الى هزيمة الجيش فى ٥ يونيو ، وما أعقب ذلك من حملة تشهير ضد جنوده وضباطه وقياداته ، كما أشير الى ملاحظة هامة أخرى تكشف عن دور مراكز القوى -أو الجانب الذى يتكلم - فى إلحاق الهزيمة بالجيش ، وإلصاق التهمة بعبد الحكيم عامر ، وإطلاق الشائعات لتشويه جيش مصر - هذه هى الأجهزة والتنظيمات !!

والملاحظة الهامة التى أشرت اليها ، هى أن جيش ٥ يونيو المهزوم ، هو ذاته جيش السادس من أكتوبر المنتصر ، وان قيادات أكتوبر هى ذاتها ضباط الجيش فى حرب ١٩٦٧ .

وأضيف الى الملاحظة السابقة ، ملاحظة أخرى ، هى أنه لا يمكن إعداد جيش قوى خلال بضعة أعوام ، هى الفترة من عام ٦٧ الى عام ١٩٧٣ ، وان الجيش الذى عبر هو نفسه الجيش الذى تعرض لمؤامرة خمسة يونيو ، وكان صاحب الفضل فى تكوين جيش مصرى قوى ، هو المشير عبد الحكيم عامر بوصفه مسئولا عن تحقيق أحد مبادئ الثورة وهو " إنشاء جيش وطنى قوى " .

لقد استطاع المشير ان يقوم بالمهمة الجليلة فأنشأ جيشا قويا من حيث الكم والكيف، فبينما كان الجيش قبل الثورة لا يزيد على عشرين كتيبة ، أصبح تحت قيادة المشير عبد الحكيم عامر جيش مؤلف من مائتى كتيبة ، أما من حيث الكيف فقد أنشأ الكلية الفنية العسكرية ، وهى من ارقى الكليات العسكرية فى العالم ومهمتها تخريج علماء عسكريين ، وأنشأ الصاعقة والمصانع الحربية، وفى عهده بدأوا فى انتاج طائرات واجراء تجارب لغواصات وقاموا فعلا بتجربة غواصة جديدة.

لقد نجح عبد الحكيم عامر فى إنشاء هذا الجيش الوطنى القوى فكان لابد من مؤامرة حاكها الروس لتمزيق هذا الجيش وتدمير قادته عن طريق عملائهم . لأن عبد الحكيم وقادة الجيش الوطنيين كانوا يمثلون عقبة فى طريق أحلامهم فى إقامة قواعد لهم على أرض مصر تمهيدا للسيطرة والاحتواء .

كان عبد الحكيم عامر يريد وطنا مصريا خالصا بلا تبعية ولا هيمنة أجنبية، فهو القائل:"الشيوعى عميل، والأمريكى عميل،انا مصرى" ولذلك وجب التخلص منه ومن جيشه .

ونشير هنا الى أن الروس لم يتمكنوا من اقامة قواعد لهم فى مصر، إلا بعد هزيمة ٥ يونيو، والتخلص من عبد الحكيم عامر والقادة الوطنيين . فهم الذين استدرجوا مصر الى هذه الحرب ، وعملاؤهم أجهزوا على بقية القادة الوطنيين فى الجيش وعلى رأسهم عبد الحكيم عامر . وبعدها انفتح الباب أمامهم ، فأقاموا قواعدهم ، وأدخلوا خبراءهم العسكريين حتى أصبح عددهم يربو على الستين ألفا داخل الجيش المصرى ، وأفلح هؤلاء العسكريون الروس ، فى شل حركة الضباط المصريين داخل الجيش، وبلغ بهم الأمر أن صارت قواعدهم داخل مصر منطقة محرمة على المصريين .. حتى بلغ الأمر أن قاعدة روسية منعت وزيرا مصريا من دخولها، وكلنا نذكر واقعة طرد الخبراء الروس التى قام بها الرئيس السادات .

وبعد أن خلت البلاد منهم ، حارب الجيش وانتصر وكان هو ذاته الذى انهزم وشوه فى حرب يونيو، والفارق أنه حارب وليس على أرض مصر أى وجود للسوفييت بل إن عملاءهم أيضا كانوا قد أبعدوا عن مراكز القيادة ، وحوكموا بمحكمة أمن الدولة العليا ، بتهمة العمالة والتآمر وصدرت ضدهم أحكام فى القضية رقم (١) لسنة ١٩٧١ .

إن تبرئة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر والجيش المصرى مما لصق بهم من

تهم وشائعات هى أحد أهداف هذا الكتاب.

وأطرح هنا سؤالا :" إذا كان المشير عامر قد تخلى عن مناصبه ورفض العودة إليها رغم الإلحاح ، فلماذا حوصر بيته بلواء كامل من ألوية الجيش، ولماذا انتزع انتزاعا امام أعين أبنائه ، ولماذا لم ينتحر إلا بعد أن أصبح بين أيديهم وبعيدا عن العيون ؟!

ولقد طلب المشير مرارا أن يقدم للمحاكمة .. فلماذا لم يحاكموه ؟ ليظهروا للعالم صحة ما نسبوه إليه من أخطاء وادعاءات إلا ان يكونوا قد خافوا ان تظهر براءته أو خافوا أن تظهر الحقيقة فتضر من أرادوا إدانته .؟!

أما الهدف الثانى، فهو التأكيد على أن المبدأ الرئيسى لعبد الحكيم عامر... هو الولاء الكامل للوطن ورفض العمالة بأى صورة من صورها. ومن المهم هنا أن أوضح أنى لست ضد مبادئ ثورة ٢٣ يوليو ، فلا أحد يقف ضد :" القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة ، والقضاء على الإقطاع ، والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، وإقامة عدالة اجتماعية ،و اقامة جيش وطنى قوى ،واقامة ديمقراطية سليمة " فهى مبادئ يؤمن بها كل وطنى مخلص لبلاده.

كما أوضح أيضا أن جمال عبد الناصر ليس هو ثورة ٢٣ يوليو ، لأن الثورة مبادئ، وبقدر ما تحقق الثورة من مبادئها بقدر ما تؤكد وجودها، وبقدر ما تهمل من مبادئها بقدر ما تهمل من وجودها .

فإن أخطأ جمال عبد الناصر ، فليس معنى ذلك أن المبادئ خاطئة ، دائما ، وانما معناه أن حاكما فردا أخطأ، اما المبادئ فنحن نتمسك بها ونجلها ، ونشارك فى ذلك كل الشرفاء فى مصر والعالم العربى .

إن مأساة عبد الحكيم عامر تتحدد أولا فى كراهية الروس له ، وثانيا فى خلافه الدائم مع جمال عبد الناصر ، وهذا الخلاف كان يقوم على مطالبة عبد الحكيم المستمرة بضرورة التخلص من الروس، والانفتاح على الغرب، وإقامة حياة ديمقراطية ، حتى يحترمنا العالم، وإقامة أحزاب سياسية ويكون لكل حزب صحيفة، مع إطلاق حرية التعبير وتوفير حصانة صحفية للصحفيين ، وتشجيع رأس المال الخاص !!! كان هذا هو " مشروع عبد الحكيم عامر " الذى أثار ضده حفيظة الروس، خصوصا انه قابل فعلا وفدا أمريكيا عام ١٩٦٦ بالاتفاق مع جمال عبد الناصر بل واقنع ناصر بمقابلتهم ، الذى قابلهم فعلا برئاسة الجمهورية ، واثناء هذا الاجتماع وجهوا الدعوة للمشير لزيارة أمريكا ، ولكن جمال أرسل بدلا منه أنور السادات . وعلى هذا نستطيع القول إن ناصر وعامر كانا صديقين على طرفى النقيض ويؤكد هذا قول المشير عامر :" أليس من مهازل القدر ، أن يكون أصدق صديق لى ، هو ألد أعدائى ..؟!!" .... فماذا يكون رأى الروس وعملائهم فى مثل هذا الرجل ..؟! بالطبع يكون الرأى ان رجلا كهذا يجب التخلص منه ، ولكن كيف؟ ولذلك أصدرت كتابى الأولى المشير وأنا ؟ .. وتم

توزيعه وصادف نجاحا كبيرا وطبع عدة مرات وحفظت منه نسخة بمكتبة الكونجرس الأمريكية .. واستقبله النقاد استقبالا مشجعا .. كان أهم ما وصف به الكتاب هو الصدق .. ولم يعترض أحد على ما جاء به من حقائق .. فهى من أفواه صانعى الأحداث أنفسهم .. فلا يتسلل لها الزيف والبهتان . ولقد تميزت الفترة التى نشر فيها كتابى بمساحة أوسع من الحرية .. فامتلأت المكتبات بعديد من الكتب والمذكرات التى تتحدث عن فترات الحكم الشمولى .. وبدأت اقتنى هذه الكتب وأقرؤها فى نهم شديد .. وصادفت حقائق كثيرة .. كما صادفت أكاذيب أكثر .. واختلطت الأوراق نتيجة اختلاف اتجاهات الكتاب .. وانتماءاتهم ومدى تأثرهم بالتيارات السائدة فى أجهزة الإعلام، وأنا تحت يدى الحقائق من فم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .. وأعرف الصدق من الكذب. وتزامن مع ذلك أننى التقيت بعدد كبير من رجالات مصر الكبار .. إما بزيارتى لهم .. أو بزيارتهم لى .. وبعضهم تعددت معه اللقاءات اكثر من مرة .. وكنت أسجل المعلومات التى أحصل عليها فى كراساتى .. وبعضها مسجل على شرائط احتفظ بها للتاريخ .. وكنت أتساءل عن الفترات التى لم أكن موجودة فيها كزوجة المشير .. ولكنى سمعت منهم الكثير عنها .. فى مناسبات متفرقة .. ورأيت وسائل الإعلام تعلق كل فشل للرئيس عبد الناصر فى رقبة عبد الحكيم عامر .. فالمشير هو المسؤول عن حرب ٥٦ ، وهو المسؤول عن فشل الوحدة مع سوريا ، وهو المسؤول عن حرب اليمن ،وهو المسؤول عن هزيمة ٦٧ .. متناسين أن هناك رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للقوات المسلحة .. وكان مستبدا فى قراراته ولا يسمح لأحد مهما كان، ولا يجرؤ أحد مهما كان أن يقول له لا . وللحقيقة والتاريخ .. كان عبد الحكيم عامر الشخص الوحيد الذى كان لا يوافقه على الكثير من قراراته .. ولكن وفاءه لناصر وحبه الشديد له كان يجعله ينفذ ما كان يطلبه حتى ولو كان خطأ .. وهذه نقطة تحسب على عامر .. ومن هنا يقول بعض المحللين المنصفين .. إن عامر قتل نفسه مرتين .. المرة الأولى عندما كان يوافق على كل مطالب ناصر بل ويجبر القيادة العسكرية على الموافقة لحبهم له .. والمرة الثانية عندما بدأ يقول لا .. وتم الادعاء عليه بأنه انتحر وتم تشويه سمعته الشخصية وتصويره بأنه الذى جر الهزائم على الرئيس ناصر .. وتم قتله فى عملية دنيئة لا يزال يحمل بعض الأحياء وزرها .. ولقد كان عظم الجرم فى أنه قد تم إخفاء " الجثة " والادعاء كذبا بأنها دفنت فى قرية المشير " أسطال " . وإنى استعرض فيما يلى أسماء من قابلتهم .. السيد الرئيس أنور السادات ، صلاح نصر ، عباس رضوان ، وفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى ، الفريق أول صدقى محمود ، اللواء فتحى عبد الغنى ، الفريق أنور القاضى ، واللواء طيار الدغيدى ، واللواء عصام خليل ، الدكتور محمود فوزى ، الفريق أول كمال حسن على ، ومن عائلة المشير أشقاؤه .. المستشار حسن عامر .. ومصطفى عامر عضو مجلس الشعب ، وعبد المنعم عامر ، وأمين عامر وهو مهندس بترول وكان يقيم مع المشير عامر بصفة دائمة وكان يحبه كأحد أولاده .

ومن هذا المنطلق فكرت أن أصدر كتابى الجديد، شاملاً المعلومات التى حصلت عليها من المقابلات والمذكرات والكتب .. حتى تكون الحقائق كاملة أمام أجيالنا الصاعدة و التى لم تعاصر هذه الفترة الحاسمة من تاريخ مصر .. خصوصا وأنهم قد تعرضوا لحملة أكاذيب مدروسة بعناية .. وللأسف ما زالت تتردد فى وسائل الإعلام الرسمية المرئية والمقروءة والمسموعة، و التى تعطى للإنسان المحايد صورة غريبة .. بأن عبد الناصر ما زال يحكم مصر من قبره ولم لا ؟. فأعضاء التنظيم الطليعى مازالوا يتبوأون الصفوف الأولى على قمة الجهاز الحاكم فى مصر ..

لقد توفى عدد من الذين اشتركوا فى الجريمة الشنعاء . . جريمة قتل المشير عبد الحكيم عامر .. ومعظمهم مات مقتولا .. فالله يمهل ولا يهمل .. ومازال بعض الأشخاص من القتلة أحياء وما زالوا مصرين على أن عامر قد انتحر .. مرددين وقائع زائفة لا تدخل الى عقل طفل صغير .. وليس رجلا كاملا .. وسيأتى الدور والقصاص الإلهى قريبا .. ولكنى أتمنى- ويتمنى معى الكثيرون أن يصحو ضمير أحدهم من غفوته .ويعرف أنه سوف يلاقى ربا سيحاسبه حسابا عسيرا على جريمته .. فيعترف بالحقيقة قبل أن يموت - وان كنت أشك فى ذلك - أو على الأقل يترك اعترافا مكتوبا .. يوصى بنشره بعد أن ينتقل الى عدالة السماء .. عله يخفف بذلك من أوزاره وسيئاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾.

صدق الله العظيم

الفصل الأول

نفيسة

التفكير فى الماضى هو أحد خصائص العقل البشرى ، ويكاد يكون له على طبائع الناس قوة الغريزة ، وقد أدى هذا الى أن ألتفت خلفى ناظرة إلى حياتى السابقة كلها، الآن وأنا أقف على تل السنين ، أنظر إلى الماضى فأرى حياتى كلها تبدو وكأنما قد ألفت لى خصيصا ، وإنى قد أعطيت فيها دورا بالغ الأهمية والحيوية. ومن البداية اختارت لى العناية الإلهية مولدا كان له أكبر التأثير فى تشكيل حياتى ووجدانى ، وإعطائى المفاهيم التى كانت بالنسبة لى زادا فى رحلة الحياة الشاقة.

المرحلة الأولى :

كان مولدى بحى "باب الشعرية" فى بيت جدى، حيث كنا نعيش أنا وأمى وأبى "الابن الوحيد لجدي"، وقد ظللنا فى هذا البيت حتى بلغت الرابعة تقريبا ، ثم انتقلنا للسكنى فى حى "السيدة زينب" ، وبالطبع لا أذكر من هذه الفترة الكثيرة ، وإن كان القليل راسخ فى وجدانى ولا أقول فى ذاكرتى ، وقد وضع حجر الأساس فى بناء شخصيتي.إن ما أذكره جيدا فى تلك الفترة وما تلاها هو (جدي) ، دفقة حنان دافئة اختزنها وجدانى ، وعاشت فى كيانى على مر السنين ، وكانت لى زادا ومددا يمدنى بالعون والقوة عند الشدائد التى أصابتنى فيما تلا ذلك من سنين ، والتى وقعت فى مرحلة من أهم مراحل التاريخ المصرى المعاصر والتى سيبقى تأثيرها لأجيال طويلة قادمة. كان رحمة الله عليه من سالكى الطريق ، متصوفا من أبناء سيدى "محمد أبو خليل" الولى الصالح ومن أقرب مريديه.ولذا نشأت منذ ميلادى وأذناى تتلقيان دائما اسم الجلالة "حي"، وهتافات الذاكرين الهائمين "مدد"..كانت حلقات الذكر تعقد فى بيت جدى ، وكان يوم "الحضرة" يوما زاهيا بين الأيام ، فالطعام والحلوى كانا متعة لطفولتى ، حيث يصير البيت كله فى مثل هذه الليالى فى حالة من الاهتمام والانسجام.وليلة الذكر ليلة ينشغل لها كل من فى البيت كبيرا وصغيرا لأهميتها وقدسيتها ،

فكانت أمى تنشغل عنى بقيامها بالعناية بالوافدين من أهل الطريق، وكان عددهم فى الغالب كثيرا.جدى هو العالم المتصوف الشيخ محمد حسن على حواس ، من مشايخ الطرق الخليفية، وله مقام فى جامع سيدى "الطشطوشي" فى حى باب الشعرية ، وكان رحمه الله شديد التقوى، ومنه تلقيت أول مفهوم من المفاهيم التى يسير الإنسان على هديها فى حياته ، فقد فهمت منه أن الرجل المسلم هو "الجنتلمان" الحقيقى بالمعنى السائد فى هذا العصر ، وأن من يتصف بأخلاق الإسلام يكون رجلا معاصرا فى كل زمان ومكان ، ويكون نوعا ممتازا من الرجال إذا كان مسلما حقا وملتزما بآداب الإسلام ومتحليا بأخلاقه ، وكثيرا ما كنت أراه يساعد جدتى فى أعمال البيت ، ولا يأنف من الذهاب بنفسه إلى السوق لشراء ما يلزم البيت رغم تمتعه بمكانة بارزة ، وشخصية محترمة فى الحى الذى يعيش فيه ، ورغم أن له مريدين يتمنى الواحد منهم لو قام على خدمته ليل نهار. هذا المفهوم الذى طبع جدى على وجدانى لم يعط لى بصورة درس أو موعظة أو نص من نصوص الدين وطلب إلى حفظه ، وإنما كان واقعا ماثلا أمام عينى فى شخص جدى "الشيخ حواس" ولكن الحياة فى بيت جدى لم تدم ، فسرعان ما انتقل بنا أبى من حى باب الشعرية إلى حى السيدة زينب ، وهى أولى الرحلات الكبرى فى حياتى، فقد كان انتقالا من "حياة" إلى "حياة" تختلف عن الأولى اختلافا كبيرا ، وفيما يخصنى - فوق ذلك - فإنى كنت انتقلت من حيث السن - من الطفولة إلى بداية الصبا.تفتحت عيناى على الدنيا فى حى السيدة زينب، ففيه دخلت المدارس ، وفيه عرفت الصداقة، ورأيت أناسا ذوى عقول شامخة ، وأناسا ذوى عقول منحطة ، وعرفت الجوع والشبع، والفقر والغنى ، وعرفت التحدى والتسليم ، وفيه عرفت المسلم بالعمل ، والمسلم بشهادة الميلاد ، ولكن الأهم من ذلك هو معرفتى بأن كل هذه الأشياء المتناقضة هى فى النهاية تنصهر كلها فى بوتقة واحدة اسمها " الحى الشعبي".كان أبى "عبدالحميد أفندى حواس" يمتلك مصنعا صغيرا للنسيج اليدوى فى شارع مجلس النواب ، وكان الداخل إلى المصنع يرى على بابه يافطة صغيرة عليها اسمه ومؤهلاته : دبلوم تجارة ودبلوم فى اللغة الفرنسية ، ورغم حصوله على هذين الدبلومين ، ورغم أنه يتحدث الفرنسية ، إلا أنه لم يفكر أبدا فى الالتحاق بوظيفة ، فهو يرى أن الوظيفة قيد ، وهو لا يحب القيود ، وفضل أن يتجه إلى العمل الحر ، فاختار صناعة النسيج مهنة له.ومنذ انتقالنا إلى حى "السيدة زينب" أصبحنا - أنا وأمى وأبى والأختان الصغيرتان وجها لوجه ، بعد أن كنا جميعا نتمرغ فى أحضان البيت الكبير فى حى باب الشعرية.ولن أنسى ما حييت هذا الشعور القاتم الذى ألم بمشاعرى فى ذلك الحين ، شعور الوحشة ، فبعد أن كنا نعيش فى براح ، بين العديد من الأصحاب والأحباب، حيث كان جدى وجدتى وعماتى ، وذلك الدفء الغامر الذى أحاط طفولتى ، وبعد الليالى الحافلة

بالطعام ، والحلوى وشراب القرفة وسائر هذه النفحات التى تقدم للمريدين عادة فى ختام "الحضرة" وبعد كل هذا النعيم ، وجدت نفسى فى غمضة عين ، أعيش فى ثلاث حجرات ، فى الدور الثانى لأحد بيوت "السيدة زينب" وبعد استقرارنا فى السكن الجديد ، لم تمض بضعة أشهر حتى أدخلت المدرسة ، ففى ذات صباح أيقظتنى أمى ، ومشطت لى شعرى وعقدت به "فيونكات"، ثم أخذنى أبى من يدى والشر باد عليه وخرجنا من البيت ، وكانت معنا أمى ، وفى الطريق عرفت أنى ذاهبة إلى المدرسة. أدخلنى أبى المدرسة "الجمعية المصرية" بشارع السد، وقيدت بين تلاميذها باسم "نفيسة عبدالحميد محمد حسن" وهو الاسم الوارد فى شهادة الميلاد ، فلم يكن اسم "برلنتي" الذى نوديت به منذ طفولتى حتى الآن ، وهو الاسم "المعتمد" لدى الجهات الرسمية.لقد حملت الاسمين - برلنتى ونفيسة- منذ ولادتى ، فقد اختار لى جدى اسم نفيسة ، واختارت أمى اسم "برلنتي" وحسما للخلاف، واستجابة للرغبتين العزيزتين استقر الرأى على أن أدون فى مكتب المواليد باسم "نفيسة" وان انادى باسم "برلنتي".شيء آخر طريف يتعلق بشهادة ميلادى ، فهى تشير إلى أنى من مواليد طنطا - وهو غير الحقيقة - وسبب ذلك أن "الداية" التى ساعدت أمى على الوضع كانت من طنطا ، ولأن القانون يفرض على كل مولدة ، أن تبلغ مكتب المواليد بكل مولود تقوم على ولادته ، ولأنها بعد ولادتى سافرت إلى بلدها طنطا، فقد اضطرت إلى قيد اسمى هناك.أحببت المدرسة ، لما صاحبها من حركة فى الذهاب والإياب ، ولما أراه جديدا فى كل يوم ، وزاد من تمتعى باكتشاف الدنيا ، أنى كنت تلميذة مجتهدة.ولعل من الطريف أن اذكر أن السيدة "فايدة كامل" جاءت إلى مدرستنا لتغنى فى حفل آخر العام ، وفى عام آخر جاءت "نجاة الصغيرة" هأنذا .

بدأت أنمو فى حى "السيدة زينب" وبين شوارعه وحاراته ، وأسواقه بدأت أكتشف الدنيا ، بدأت أكتشف الأخلاق وأتعلمها ، وكان ذلك حظا أشكر الله عليه ، بفضل حجر الأساس المتين الذى أرساه فى وجدانى جدى الشيخ "حواس" ومنذ تلك السن رسخ فى ذهنى أن "الحياة صعبة" ولأننى ولدت وفى طبيعتى ميل إلى المواجهة فقد واجهت الأحداث ، قابلتها بعينين مفتوحتين ، ويمتلئ قلبى بالغضب إذا جاءت غير سارة ، ويمتلئ بالفرح العارم إذا جاءت طيبة.وما كان أكثر ما يقع لى مما يثير غضبى ، وأول هذه الوقائع - التى اكتسبت صفة الدوام - الإحساس الدائم بالحاجة إلى المال ، وإلى حنان الأب ، وإلى جانب ذلك كانت هناك أحداث عابرة تثير الكدر فى حياتنا.من هذه الأحداث ، حادثة وقعت وأنا تلميذة فى حوالى الثانية عشرة ، كان لنا جار ، غلام يكبرنى بقليل ، وقد اعتاد أن يتعقبنى ، وهو راكب دراجة ، وأنا فى طريقى من المدرسة إلى البيت ، كان يسير ورائى وطرفا العجلة الأمامية على ثيابى ، بينما هو

يصب فى أذنى كلمات الغزل.كانت العجلة التى تحتك بى وتوشك أن تصدمنى ، تسبب لى ارتباكا فى السير ، بالإضافة إلى غلام يطارد فتاة فى الطريق العام ويسمعها ما يثير خجلها ، فضقت ذرعا برذالة هذا الغلام ، فاتفقت وإحدى زميلاتى بالمدرسة ، وكانت ترافقنى كل يوم فى طريق العودة على إعطاء الغلام "السمج" علقة. ووضعنا خطتنا ، وهى أن تبقى صديقاتى كل فى بيتها فى حالة استعداد عند أول إشارة ، وأبقى أنا وزميلتى فى بيتنا نترقب مجيء الفتى.كان من عادته أن يواصل المطاردة بالوقوف أمام بيتنا ، متصيدا اى لحظة أظهر فيها ، فيشيع إلى هيامه إما بكلمة ، وإما بنظرة ، وإما بتعليق "والكلام لكى يا جارة".كان هذا الفتى غريب الطباع ، غريب الاسم أيضا ، فقد كان اسمه "برق" .. ولم يطل انتظارنا ، فسرعان ما ظهر فى موعده ، فأعطيت الإشارة إلى الأخريات، ونزلنا نحن الأربعة إليه ، ولعل الفتى ما كان يخطر بباله أبدا أن هذا يمكن أن يحدث ، فقد التصق بالحائط حين رآنا نهجم عليه فجأة ، ووقف مبهوتا ونحن ننهال عليه بالضرب والخربشة ، ولم يتحرك من مكانه حتى أوسعناه ضربا ، ومزقنا ثيابه .كانت "، علقة تمام" امتنع "برق" بعدها عن مطاردتى لعدة أيام ، وظننت أنا أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن الفتى ، بعد هذه العلقة لابد أن يكون قد التزم الأدب. إلى أن كانت ليلة لا أنساها ، فقد أوصلتنى لقسم البوليس والمحكمة ..فى هذه الليلة ، تركتنى أمى وحيدة فى البيت ، وذهبت لزيارة إحدى عماتى التى تسكن على مقربة منا ، وفجأة ظهر فى الحارة عدد من الفتيان يضعون على وجوههم أقنعة مرعبة ، وأثاروا هياجًا شديدا فى الحارة وفى البيت ، وتمادوا فى عبثهم حتى صعدوا إلى شقتنا وتهجموا على محاولين إثارة الرعب فى قلبي.لقد أصابنى الرعب خوفا من أن يقتحموا الشقة ، ويضربونى أو يتلفوا شيئا من أثاث البيت ، وزاد من رعبى أن تبينت بينهم ذلك الفتى الذى ضربناه ، بل كان أكثرهم حماسا وهياجا.ومرت الليلة مخلفة فى صدرى الغضب والثورة ، وحين عادت أمى وأبلغتها بما حدث ، نقلته إلى أبى الذى ثار وأصر على إبلاغ الشرطة والنيابة ، وشغلنا الأمر ، وأثار فى البيت حالة من التوتر والغضب والتصميم ، ولا أدرى كيف انتهت إلى المحكمة. وهكذا وجدت نفسى ذات صباح ، أقف أمام القاضى فى قاعة المحكمة ووجدته يسألنى :ماذا حدث؟ .. ارو لنا ما حدث!!

قلت : إن هذا الفتى اعتاد مطاردتى فى الطريق ، ومعاكستى بدراجته وكلما زاد إعراضى زاد إصراره وسماجته ، وقد آلمنى أن يفعل ذلك وهو ابن حتتى ، والذى يقتضى الواجب عليه أن يحمينى ممن عساهم يفعلون مثله ، ولكن بدلا من أن يكون لى هذه الحماية ، تحول إلى تهديد ، يهددنى فى الذهاب والإياب وكان من نتيجة تصرفاته هذه أن فقدت الأمان تماما ، إذ

معنى ذلك أن فتاة مثلى لا تستطيع السير فى سلام واطمئنان فى الطريق .. وكنت أعجب كيف يقع هذا فى الطريق العام دون أن يتصدى له عسكرى بوليس واحد ، وجعلنى هذا اعتقد أن البوليس لا يؤدى واجبه ، وأنه مسئول عما وقع لى من معاكسة ، ورغم أننى واجهته مرارا بأن عمله هذا "عيب" لانه "ابن حتتي"، والواجب يفرض عليه أن يعاملنى كأخته إلا انه لم يخجل من نفسه وواصل معاكستى، حتى كانت هذه الليلة التى جمع فيها عددا من أصحابه ووضعوا على وجوههم اقنعة مرعبة وتهجموا على شقتى فى غياب أمي.وواصلت حديثى أمام القاضى على هذا النحو ولا أذكر الآن كل ما تفوهت به أمام المحكمة وكنت الاحظ ظل ابتسامة رقيقة ترف على شفتى القاضى بين لحظة وأخرى، وفى النهاية سألنى الرجل :وما هى طلباتك الآن؟أجبت على الفور : معاقبته، قال الرجل : سنعاقبه .وأذكر بعد انفضاض الجلسة أن استدعى القاضى أبى إلى غرفته - وكنت معه- وسمعت القاضى يوصى أبى برعايتى والاهتمام بأمورى وسمعته يمتدح ذكائى وفصاحتى ، إلى أن قال باسما : "دى هاتكون محامية شاطرة اوي".ومن الوقائع التى لا أستطيع نسيانها لأثرها القوى الذى انطبع مثل "الكي" على حياتى ، وكأنما اختارتها لى الأقدار لتدفعنى إلى اتخاذ موقف معين ، أو لإدراك عبرة ما من عبر الحياة، أو لتقوية شعور ما من مشاعري..اذكر أنه كان يسكن فى البيت المقابل لبيتنا ، طبيب شاب ، استلفت نظرى بأناقته وحسن هندامه ، ومظاهر الشباب البادية عليه ، وذات يوم كنت أقف فى شرفة بيتنا أنظر إلى الطريق ، فرأيت شيخا مهدما ، خارجا من البيت المقابل ، وحوله رجال يسندونه ، فسألت أحد الواقفين من أهل حارتنا :من هذا الرجل؟فأجابوا : الدكتور!أدهشنى الرد ، وعدت أسأل "لماذا" ؟قالوا : "الخمر أكلت كبده"!!"الخمر!!" ، اخترقت الكلمة رأسى فنبهت عقلى بعنف إلى وجود شيطان غامض اسمه "الخمر".وكأنى لم أسمع مثل هذه الكلمة من قبل ، ولم أعرف أن هناك ساحرا يمارس سحره الأسود اسمه "الخمر"، ومن سحره اللعين حول شابا يانعا ، إلى عجوز ذابل البدن والحيوية ..كانت هذه هى المرة الأخيرة التى رأيت فيها جارى الدكتور ، الذى كان مثار إعجابى بتناسقه الخلاب ، ضاع الدكتور .. استقر فى وجدانى أنه من الحماقة .. الإدمان وحملت فى قلبى كراهية وحذرا منها ، وتعاملت معها فيما بعد .. معاملتى لرفيق طبائعه الغدر والأذى.والغريب أنى كدت أكون الوحيدة - فى الوسط الذى بدأت الاندماج فيه - التى تحمل مثل هذه الآراء فى الخمر ، وكان شعورى تماما كشعور من يصادف رجلا مستثقل ظله ، ولكنه - للغرابة - يجد الآخرين يستلطفونه ويتوددون إليه.ولم أجد من يشاركنى هذا الرأى ، بل ويحمل ضد الخمر آراء أشد صرامة وجهامة سوى المشير عبدالحكيم عامر ، كان رحمه الله يكره الخمر وشاربها كرها شديدا ، ويرى أن الرجل الذى يشرب الخمر حتى يغيب عن وعيه ، ويصير هزؤاً بين الآخرين رجلا غير جدير

بالاحترام.لم تكن أيامى مرة كلها ، فقد كان من حظى يومان حلوان فى كل أسبوع : الجمعة والثلاثاء ، ففى هذين اليومين كنت أرى جدى "الشيخ حواس". ففى يوم الجمعة كان يزورنا فى الصباح الباكر آتيا من "باب الشعرية" فيدخل علينا بوجه بشوش ، حاملا الفطائر والحلوى ، عامر القلب بالحنان ، فما نكاد نلتف حوله وهو يفض اللفائف ، وقبل أن يقول "كلوا" نكون قد بدأنا الأكل ، بينما يمكث هو بجوارنا يراقبنا ووجهه ملىء بشاشة ونورانية لا أعرف كيف أصفها ، ولن أنسى ما حييت رقة يديه وهما تتلمسان رؤوسنا وتربت على ظهورنا ، والنعمة الكبرى حين يضمنا إلى صدره مداعبا ، ملاطفا وهو يقرأ بصوت هامس بعض الأدعية ، ويربت على كتف أمى بإشفاق ، وهو يتمتم بآيات القرآن الكريم.أما يوم الثلاثاء ، فله شأن آخر ، وله بهجة أخرى ، ففى هذا اليوم تنتقل الأسرة كلها إلى بيت جدى لأنه يوم "الحضرة" وهو عندنا يوم عيد وفرح ، وحتى يومنا هذا كلما تذكرت تلك الليالى الربانية ، يخيل إلى أنى أشتم رائحة المسك والبخور والصندل ، وماء الورد وكأنى أسبح فى فضاء وردى معطر على إيقاع ألفاظ الجلالة "الله .. الحى .. القيوم .. الواحد .. الأحد .. القهار .. اللطيف .. الودود". ليلة يعجز لسانى عن وصف جمالها ورقتها ، ودفئها ، موسيقاها ذكر الذاكرين ، وهتاف الهائمين ، وصرخات المنجذبين حبا وشوقا إلى ذات الله الرحمن الرحيم.على هذه الوتيرة كانت تمضى بى الحياة ، وأنا أنمو يوما بعد يوم ، وانتقل من عام دراسى إلى عام آخر حتى دخلت المدرسة الثانوية.وثمة حكاية أخرى تنبعث ذكرياتها كلما عدت بخيالى إلى تلك الأيام ، فلها فى حياتى وقع الحلم الجميل، ولها فى قلبى لمسة الحزن الرقيق.

فى خلال العطلة الصيفية التى أعقبت نجاحى فى الابتدائية ، وحصولى على الهدية الذهبية ، استبد بى الميل للبحث عن وظيفة وهو خاطر جاء لما كنت أعانيه طوال العامل الدراسى من حاجة إلى ملابس ، وأدوات مدرسية، بل وحاجة أيضا لقطع الحلى ، كالخواتم والعقود والحلقان وسائر تلك الأمور التى تشغل بال فتاة فى مثل سنى ، فكان أن سألت أحد الجيران أن يساعدنى فى العثور على عمل، استجاب الرجل لرغبتى فجاء ذات يوم وأخبرنى أنه وجد لى عملا فى أحد محال شارع الأزهر واصطحبى فى اليوم التالى للقاء صاحب المحل.كان صاحب المحل كهلا ممتلئ الجسم ، مستدير الوجه ، متوسط الطول ، تشعر النفس براحة عند لقائه ، وفيما كان جارى يقدمنى إليه ويحدثنى عنه ، كان هو ينظر إلىّ وعلى وجهه بسمة حنون.وتسلمت عملى منذ اليوم الأول ، وعرفت من الرجل أن المطلوب منى هو القيام بتسجيل البضائع الداخلة إلى مخازنه وكذلك الخارجة منها ، وكان المحل فى جملته - بمخازنه ومكاتبه - عبارة عن شقتين : الأولى فى الدور الأرضى، وكانت كلها تقريبا تستعمل كمخزن،

والشقة الثانية فى الدور العلوى وبها المكتب ولم تمض أيام حتى كنت قد اندمجت فى عملى الجديد الذى كان من المعتاد أن يبدأ بإفطار شهى ، يأتى به "الحاج محمد" صاحب المحل ، وهو فى الغالب "طعمية" لذيذة الطعم تعدها زوجته كل صباح، فيأتى بها ليطعم منها عماله وموظفيه ، ثم يبدأ العمل ، فأجدنى واقفة بين عمالقة من الرجال الأشداء الذين يحملون البضائع الثقيلة فوق عربات الكارو ويضعونها فى المخزن ، بينما أقوم أنا بالعد والتسجيل للبضائع الواردة. وكما هى العادة كان من بين هؤلاء الرجال "صبى المعلم" وهذا كان رجل طويل عريض قوى ويبدو أن "صبى المعلم" هذا اطمأن أن يكون "الخفير" فتاة صغيرة ، نحيلة لا يزيد حجمها عن أصبع من أصابعه فكان استخفافه بى يدفعه لأن يحاول تشكيكى فى صحة العدد، وإيهامى بأن ما وضعه فى المخزن أقل بكثير مما سجلته ، فكنت أتجنب الدخول معه فى مناقشات ، وأفاجئه بإصرارى على إخراج البضائع التى أدخلوها إلى المخزن وحملها إلى الخارج لإعادة عدها. وبهذه الطريقة كف الرجل عن محاولة خداعى ، فقد وجد أنه لا ينال سوى المزيد من الإرهاق فى إعادة حمل البضائع من الداخل إلى الخارج ثم إعادتها إلى الداخل مرة أخرى للتأكد من صحة العدد وإلى جانب هذه المهمة كان على أن أرد على المكالمات التليفونية وقيد المصروفات النثرية. وكان الحاج محمد يبدى رضاه عن عملى دائما ، ويغدق على من عطفه ورعايته ما جعلنى أطمئن إلى مكانى وعملى فى محله. والواقع أن هذا العطف لم يكن راجعا كله إلى إجادتى العمل فقد كان للحاج محمد أسباب شخصية تدعوه للتعلق بى ، وهو أنه محروم من الذرية. وكثيرا ما كنت ألتفت نحوه ، فأجده ناظرا إلى وحين تلتقى عيناى بعينه يبتسم ويقول .. لله فى خلقه شئون .. يعطى الأبناء لمن لا مال عنده .. ومن عنده المال لا يكون عنده أبناء .. له فى ذلك حكمة ، لم أكن فى سن تدرك فداحة المأساة التى يعيشها هذا الرجل الطيب ، وإن كنت أدرك العطف العميق الذى يحيطنى به ، فالإنسان يدرك الحنان ويتذوقه فى جميع مراحل حياته منذ أول يوم فى مولده. ولا شك أننى تأثرت بهذه المعاملة الحنون وارتاحت نفسى لدفء أبوته، فرحت أبذل المزيد من الجهد فى العمل ، بل إن عنايتى بدأت تتجه إلى المكان نفسه، فرفعت من الصالة بعض الأخشاب التى كانت تشوه منظرها ، فبدت نظيفة أنيقة ، وحرصت على نظافة المكتب والمقاعد ، وبين الحين والحين كنت أضع باقة من الورد على المكتب وكان واضحا أن الحاج محمد قد أسعدته هذه التغييرات واللمسات كما أسعدته يقظتى فى العمل فزاد اعتماده على وأصبح يجد الفرصة لقضاء "مشاويره" التى كان يصعب عليه القيام بها ، وكثيرا ما كان الرجل يقول عنى وهو يتدفق حنانا وأسى "يا سلام لو كان عندى بنت زيك" وكان يحرص كل صباح على أن يقدم لى الإفطار ويقول وهو يشجعنى على الأكل "كلى هذه .. لقد أعدتها لك الحاجة خصيصا ، والحاجة هى زوجته

بالطبع ، وأنا لم أرها طوال الفترة التى قضيتها عند "الحاج محمد" وإن كانت أحيانا تحدثنى فى التليفون وتقول : "شدى حيلك .. وخلى بالك من الشغل .. إحنا عاملينك زى بنتنا بالضبط .. "وكانت المرأة صادقة فيما تقول ، فمن ناحيتى كنت أشعر برقة المعاملة والحنان الذى أتلقاه من الحاج محمد ويبدو أن الرجل بدأ يشعر بالراحة وتوفر الوقت ، لأنه إذا غاب كنت "أسد مكانه" فأرد على التليفون وأتلقى المكالمة وأدون ما يريد المتحدث إبلاغه له. كما أنه من ناحيته قبل انصرافه يبلغنى ما يريد إبلاغه لمن يتوقع منه الاتصال التليفونى ، فيقول إن تكلم فلان قولى له كذا وكذا .. وإن سأل فلان قولى له كذا وكذا. ومع الوقت بدأ الرجل يترك لى مفاتيح المحل ، وأراح نفسه من مهمة الحضور المبكر لفتحه ، وكنت أؤدى كل ما يطلب منى بحماس تأثراً بحسن المعاملة ورقة طباعه وانتهت الإجازة الصيفية ، فانتهى معها "موسم العمل" فكان لابد أن أنقطع عن الذهاب إلى المحل وإن كان فى نيتى أن أعود إليه مرة أخرى فى العطلة الصيفية القادمة بعد ذلك مكثت فى البيت بعد أن مضى من العطلة الصيفية أكثرها .. وبقيت "عاطلة" حتى انتهت. فانقلبت إلى تلميذة مرة أخرى بمدرسة الفنون الطرزية الثانوية، وبدأت مرحلة جديدة من حياتى .. جديدة فى الدراسة ، جديدة فى البيت والجديد فى الدراسة هو الانتقال من المرحلة الابتدائية - وهى طفولة - إلى المرحلة الثانوية - وهى مطلع الشباب-، أما الجديد فى البيت فهو تلك الذى سبقت الإشارة إليه كان أبى فى تلك الفترة يبدو لى أكثر لطفا واهتماما بى ، وأصبح تواجده فى البيت أكثر من ذى قبل ، وكان له صديق من كبار التجار ، يدعى "عبد الناصر" وحرص على أن يقدمنى إليه ، يناديني حين يكون "عبد الناصر" فى زيارتنا ويتحدث إلى فى وجوده ، وكان الرجل يشارك أحيانا فى هذا الحديث.وكان عبد الناصر ضئيل الجسم ، أسمر اللون ، ضامر الوجه ، وله شارب كثيف وعينان قويتان فيهما حيلة وذكاء .. وكان من أقاربى طالبان : وكان يسكنان بالقرب منا ، ويترددان على بيتنا بين آن وآخر ، وفى ذات مرة بينما هما جالسان اقترب منى أحدهما وهمس لى : هل تعرفين معنى هذه الأسورة ؟

طبعا .. هدية بمناسبة نجاحى.ابتسم ساخرا ، ثم اقترب منى ، ثم همس لي؟هذه شبكة .. أبوك يريد أن يزوجك!!أصابتنى الحيرة ، ولم أعرف كيف أرد عليه إلى أن سألنى :هل تعرفين العريس؟وتعلقت عيناى بشفتيه دون أن أنطق حرفا ، وانتظرت أن تفضى إلى السر الرهيب ، إلى أن قال : عبد الناصر .. هذا الرجل الذى يأتى عندكم لزيارتكم ، أبوك .. كيف يخطبك وأنت مازلت فى العاشرة؟ وهكذا كشف لى الفتى سرا كان يجب أن أكون أنا العليمة به دون غيرى ، كشف لى أننى خطيبة عبد الناصر!!إذن أنا مخطوبة .. وهذا الرجل يريد أن

يتزوجني. أدركت حقيقة الموقف وعلى وضوء هذا الإدراك استطعت أن أفسر كثيرا من أنواع السلوك ، والكلمات والنظرات التى تصاحب وجود عبد الناصر فى منزلنا. وتولد النفور من عبد الناصر مع إدراكى لحقيقة نواياه ، وشعرت بحيرة وغضب كبيرين ، ولكنى وجدت فى هذين الطالبين من أقربائى خير سند. قال لى أحدهما يوما وهو يغرينى برفض هذه الزيجة غير المتكافئة :"كيف تدفنين ربيع حياتك فى خريف الشيخوخة" ؟ ولا زالت هذه العبارة راسخة فى خيالى ، وإن كنت حين أذكرها الآن أجد ميلا إلى الضحك ، فلا شك أن "التلميذ" الذى قالها لى كان قد قرأها فى رواية أو مجلة، فجاء بنصها المهيب وألقاه فى وجهى ، فأثار الغضب والمخاوف فى قلبى .وماذا أفعل؟ ارفضى .. إياك أن توافقى ..كنت واثقة فيما يقولان ، فهما عندى عملاقان يرتادان الأماكن البعيدة والغريبة ، ويذهبان إلى شارع فؤاد ، وحدائق الأزبكية، وكوبرى قصر النيل ، ويدخلان السينما ، ويجلسان على المقاهى ، إن كل واحد منهما كان فى نظرى ، حكيم زمانه ، والعارف بكل الأشياء التى لا يعرفها غيره ، فكيف لا أصدقه؟ وأخذا يزودانى بالنصائح والأقوال ، وتألفت من ثلاثتنا مجموعة صغيرة متآمرة ضد "عبدالناصر" .. وكان من نصائحهما أن أسأله: لماذا يريد أن يتزوج؟ وانتهزت يوما طلب فيه منى عبدالناصر - كعادته أن أحضر له سجادة الصلاة، فلما جئت بها وضعتها على الأرض سألنى ، إن كنت قد صليت ، فأجبته بالإيجاب، فتركنى وأقام الصلاة .. لم أخرج من الحجرة ، وجلست على كرسى فى انتظار أن يفرغ من صلاته .. فلما انتهى سألته :

هل انت متزوج ؟ نعم ، وهل لك أولاد ؟ نعم، إذن لماذا تريد أن تتزوج مرة أخرى ؟ كان هذا السؤال الأخير هو القنبلة التى أعددتها له وتصورت أن انفجارها سيهز كيانه هزا ، ولكن الرجل لم يبدُ عليه أثر الانفجار ، وإنما أجابنى بهدوء وثقة :لم لا.. الشرع أباح أربعة ..أسقط فى يدى ، ولم أدر بماذا أجيب ، فغادرت الحجرة والغيظ يملأ قلبى .واستمرت المناورات والمؤامرات بفضل مجموعتنا الصغيرة .. ولا شك أن أبى قد لاحظ شيئا مريبا، فإنه فى تلك الفترة أبدى ضيقه لكثرة وجود هذين الطالبين فى بيتنا ، فكان أحيانا يسألهما إذا وجدهما:هل ذاكرتما دروسكما؟ ومع أن الإجابة تكون بنعم ، إلا أنه يواصل وكأنه لم يسمع ولماذا لا تذهبان للمذاكرة بدلا من تضييع الوقت، كنت أشعر برغبته فى صرفهما بأى شكل ، وكانا يتجاهلان تلك الرغبة ويستمران فى الجلوس ، طمعا فى انتهاز فرصة نعود فيها للحديث عن "عبدالناصر" ومشكلة هذه الزيجة غير المرغوب فيها وزاد الأمر تعقيدا بالنسبة لى، أن أبى بدأ يطلب منى إجراء الحسابات الخاصة بعبد الناصر .. وفى أول (جلسة حسابات) ، بدأ عبدالناصر يملينى أرقاما ، ويطلب منى جمعها ، أو ضربها ، أو طرحها. وانتهت هذه الجلسة

التجارية الحسابية العاطفية ، وقد بلغت غاية الضيق. وكثيرا ما كنت أحاول الإفلات من هذه المهمة معتذرة لأبى بواجب المدرسة ، وبالمذاكرة ، ولكنه لم يكن يبدى أى اهتمام بمذاكرتى فى مثل هذه الحالة ، ويبدو مستغربا رفضى وفحصنى بعينه قائلا:"لا ترفضى هذا .. إنتى مش فاهمة مصلحتك يا عبيطة" ولم أكن أعرف بالتحديد ما يقصده أبى بضرورة معرفة كل شيء .. فقد فهمت فيما بعد .. أن كل شيء هذا .. هو ثورة "عبدالناصر" وكان هذا منطقيا ، فما دمت سأكون زوجة له فيجب أن أعرف كل شيء عن ثروته ، وهى ثورة فى الواقع كانت كبيرة جدا.والظلت الأمور تنمو وتتوطد بين أبى وعبدالناصر ، وكثرت زيارات الرجل إلى بيتنا ، وكانت يأتى فى عربة فارهة تلفت أنظار أهل الحى ، بفخامتها وجمالها ، ولم تكن السيارات فى هذا الوقت على نفس الكثرة والانتشار كما هى الآن ، وأن نسمع عن رجل يمتلك سيارة يعد أمرا عجيبا ، أما أن ترى السيارة وصاحبها وتصادقه ، فهو أعجب العجب ، وكان مثار فخر لأبى أن تقف سيارته الأنيقة أمام بيتنا وأن يعرف الناس أن صاحبها هو ضيفنا .وبدأ "عبدالناصر" يأتمن أمى على أمواله ، ويضعها فى حراستها ، ولم تكن الأموال ورقات نقدية تطويها أمى ثم تدسها فى درج ، أو تحت الوسادة ، بل كانت كميات كبيرة من العجلات الفضية والذهبية وأوراق البنكنوت ، وقد بلغ من كثرتها أن أمى لم تجد وعاءً يسعها سوى (الصفائح) والشكاير تضعها فى غرفة مظلمة "على السلم" تكون خارج الشقة .وكان عبدالناصر يكنز الذهب والفضة ويضعها فى صفائحه ويعطيها لأمى ، فتضعها فى طريق الصاعد والهابط على السلم دون أن تخشى عليها شيئا من السكان ، كما أن عبدالناصر لم يكن يخشى شيئا على أمواله من أمى . وكان ذلك من المفارقات التى مرت بحياتى ، وتركت أثرها العميق على أخلاقى . كانت المفارقة أن أمى أحيانا يضيق بها الحال فلا تجد فى يدها مالا نشترى به طعاما لنا. فترسلنى لأقترض قروشا من إحدى عماتى أو جاراتى .. وفى طريقى للاقتراض كنت أمر على "الصندرة" وأنا أعلم أن بداخله كنز من الذهب والفضة وأنه فى متناول يدى ويد أمى ، ومع ذلك فما خطر على بالنا قط أن نأخذ منها قطعة - فضية أو ذهبية- لنعك بها ضيقنا ونشترى طعامنا ، كانت كلمة "حرام" من الكلمات ذات الهيبة والاعتبار فى حياتنا .وكان ذكر الله يتردد كثيرا فى بيتنا ، فأنا حفيدة الشيخ "حواس"، تربيت ونشأت فى رعايته الروحية ، وأمى ابنة الشيخ "إسماعيل فرج" - من الزقازيق - وهو صديق "الشيخ حواس" ورفيق دربه فى العبادة والتصوف وحب الله ، وأنا أقول هذا وأزهو به ، وبهذا التصوف فقط يستحب الزهو عند الله . وعند الناس ..

قلت إن الانتقال من الابتدائية إلى الثانوية كان انتقالا عنيفا من الناحية الاجتماعية،

وكان العنف فيها مرتبطا بتلك الأحداث التى أذكرها ، وبعبدالناصر لاحظت أن أبناء الشارع الذى نسكنه لا ينظرون بارتياح إلى عربة "عبدالناصر" حين تقف أمام بيتنا، وكانوا يعمدون إلى العبث بها ، وإتلاف كل ما يتاح لهم إتلافه، وأصبح من الأمور المعتادة أن يكتشف الرجل عند انصرافه ، أن "العيال" قد أفرغوا هواء العجلات ، بل إن "العيال" لم يكتفوا بذلك بل كان يلمحون لى عند الحديث عن "عبدالناصر" تلميحات توحى بأنهم على علم بسر تردده على بيتنا وانهم لا يوافقون وذات يوم طلب منى عبدالناصر أن أقوم بإجراء بعض العمليات الحسابية التى تتعلق بتجارته الواسعة ، وكنت فى قرارة نفسى أضيق ضيقا شديدا بهذه الجلسات، خاصة وان عملياتها طويلة ومتعددة ، وفوق ذلك نظراته الغريبة التى أجدها مصوبة نحوى كلما رفعت عينى عن الورق ونظرت إليه ، وفى هذا اليوم تفجرت فى صدرى ثورة عارمة ، وأنا بجواره أكتب ما يمليني من أرقام وأسماء ، وظلت الثورة تتصاعد ، والدماء تغلى فى عروقى ، حتى انتفضت واقفة ، وألقيت الأوراق على الأرض ، معلنة رفضى وضيقى بهذه المهمة . وغادرت الحجرة وسط ذهول ابى وعبدالناصر. والغريب أن أبى لم يفاتحنى بعد ذلك فى هذا الموضوع، وإن كان عبدالناصر لم يكف عن زيارتنا ، ولم يكف عن المجيء بصفائح الذهب والفضة ويودعها أمانة بين يدى أمى، فتضعها بدورها فى "الطقيس" كأنها سقط متاع، أو بقايا أثاث مهملة.. وليس معنى ذلك أنى تخلصت من عبدالناصر ، إذ الواقع أنى لم أتخلص منه بسهولة ، وإن كنت عقدت العزم والإصرار على ذلك .. ومن الغريب أن يدخل حياتى فى هذه الفترة بالذات رجل آخر كان له تأثيره القوى على عقلى ووجدانى ، وكنت قد اصبحت بالمرحلة الثانوية ، ونشأت فى محيط الأسرة ، ولا أدرى كيف جاءت فكرة أن يكون لى مدرس يساعدنى على فهم الدروس وشرحها ، وتطوع ابن خال لى بأن يحضر مدرسا يقوم بهذه المهمة ، وكان هذا الرجل صديقا لابن خالتى ، وقد ذكره لنا محوطا بكثير من عبارات المديح ، والإشادة بعقله الراجح وعلمه الغزير ، وفهمنا أنه ليس مدرسا بل موظف فى مصلحة البريد ، وذكر من مآثره انه حاصل على ماجستير فى العلوم السياسية والمالية، وأن عمه هو "حسين هيكل باشا". "باشا . ؟!! أسكرتنى هذه الصفة فيه حتى قبل أن أراه .. كان عالم الباشوات بالنسبة لى ، عالم أسطورى ، يسطع بالأضواء ويمتلئ بالمسرات والمباهج والعظمة ، وأن يدخل رجل من هذا العالم إلى بيتنا ، أمر يهز الوجدان، وربما كانت كلمة "باشا" بسحرها وغموضها عندى فى تلك السن المبكرة قد حركت الطموح الكائن فى قرارة نفسى ، بأنى سأكون شيئا ما .. يوما ما .. ، كان اسم الرجل "مصطفى هيكل" عرفت الاسم ووعيته ، وحفظته ، وصرت أترقب اليوم الذى أرى فيه صاحبه، وقد جاء اليوم ، وحددت ساعة مجيئه قرب المساء ، ومنذ الصباح الباكر لم يكن لى شغل سوى العناية بهندامى ، وزينتى ، ونظافة حجرة الجلوس ، ومدخل

الشقة. وكلما اقترب الوقت .. كلما زاد قلقى .. وترقبى ، ووساوسى .. فقد صورت لى الوساوس أن حجرة الجلوس ليس فى حال ملائمة من حيث النظافة والأناقة. وخطر لى أن أعيد ترتيبها ، وأن أعيد أيضا تنظيف الأرض ، فخلعت الثوب الأنيق ، وبعض قطع الزينة التى أنفقت وقتا طويلا فى لبسها والوقوف بها أمام المرآة ، خلعت هذا كله خوفا عليه من الاتساخ ، ولبست ثوبا قديما ، وشرعت فى إعادة ترتيب الأثاث وتنظيفه ، وما كدت أنتهى من هذا وأنظر إلى الحجرة بشيء من الرضا .. حتى دق جرس الباب وجريت إليه لأفتحه ، فإذا بى وجها لوجه أمام "مصطفى هيكل". أنا التى تزينت منذ الصباح الباكر أجد نفسى فجأة أمامه بثيابى الممزقة البالية .. صافحته وأنا فى حالة يرثى لها ، وصافحنى وعلى وجهه ابتسامة هادئة واثقة وهو يقول أنت برلنتي؟ - نعم .. تفضل وتقدمته وأنا حافية القدمين .. مبللة الوجه بالعرق ، إلى حجرة الجلوس ، ولم أجد هذا الرجل الآتى من عالم الباشوات كما تخيلته ، فارع الطول ، بالغ الأناقة والوسامة ، بل كان رجلا فى ثياب عادية ، قصير القامة ، ضامر الجسم ولكن .. فى خلال ساعة من الدرس الأول كان قد استولى على مشاعرى .. ورغم أن الفارق بينى وبينه كان كبيرا ، رغم ذلك فقد أسرنى ، فى هذا اللقاء ، وفيما تلاه من لقاءات ، كنت أشعر بأننى لا أقرأ معه كتابا مدرسيا ، وإنما كنت أقرأ معه "كتاب الحياة". كان مصطفى هيكل من ذلك النوع من الرجال الذى لا يستولى عليك منظره ، بل يستولى عليك مخبره ، كان دمثا ، واسع الثقافة ، واستطاع بشخصيته المتميزة أن يحرك عقلى للتفكير ويحرك قلبى أيضا وخلال هذه اللقاءات فتحت عيناى على دنيا غير الدنيا التى كنت أعيش فيها ، فقد كان يتناول فى حديثه كل شيء ، النجوم والسماء ، والأدب والأدباء ، والصراع الاجتماعى وطبقات المجتمع ، وكان هذا الموضوع بالذات محببا إليه غاية الحب ، فقد كان ماركسيا - رغم كونه من عائلة باشوات- ومنه عرفت لأول مرة ما هى الماركسية - وكان طبيعيا مع هذا النشاط الذهنى الذى أصابنى أن يرد على لسانى سؤال مثل "من هو الله؟" ولم يكن أمامى سوى جدى الشيخ حواس لألقى عليه هذا السؤال .. وكان من عادة جدى رحمه الله ، أن يستريح فى فترة الظهيرة ، وأصبح من عادتى أن ألازمه فى تلك الفترة إذا تصادف وكان فى بيتنا ، ومهمتى فى هذه الحالة أن أدعك قدميه ويعطينى نظير كل قدم "قرش صاغ" فى فترة القيلولة هذه سألته عن الله ، ولم يبد على جدتى انه صدم بهذا السؤال ، وإنما أجابنى بكل هدوء ، وبصوت اكتسب نبرة غريبة من الخشوع "كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فبه عرفونى" ورغم أنى لم أفهم فى ذلك الوقت معنى هذا الكلام ، إلا أن شيئا ما كان فى إجابته، جعلها ترسخ فى ذاكرتى دون أن أنساها .ومن يومها ، يمر العام وراء العام ، ومعانيها تتضح لى .. المعنى وراء المعنى، تتضح لى سموا وإدراكا يستعصى على الشرح ، فثمة معان لا يجد الإنسان لها ألفاظا

تفصح عنها ، إنما هو فقط يجدها فى قلبه شعورا فياضا ، موحيا بالجمال والإجلال والقدرة.المهم ظلت علاقتى بمصطفى هيكل عدة سنوات ، ظل خلالها يغذى عقلى بالثقافة، بأن يحدثنى مرة عن هذا الشيء أو ذاك . بأنى يعطينى كتابا لأقرأه وكنت أقرأ ما يعطينى من كتب استجابة لميل غريزى عندى إلى المعرفة والاطلاع ، ولعلى ورثت هذا عن أبى الذى زرع فىَ الميل إلى القراءة لأنى كنت دائما أراه وبيده كتاب. وكان محدثا لبقا فتعلمت منه أن المعرفة تفيد المتحدث فى الاجتماعات والجلسات.وأذكر هنا لأبى فضلا آخر ، وهو استفزازه الدائم - بأفعاله معى ومع والدتى - لقوة التحدى ، والإصرار ، والاستقلال - فأنشأنى بذلك من حيث لا يدرى ولا يريد ، أنشأنى ولى قدرة على المقاومة والتحمل والإصرار على بلوغ الهدف .. وتجربة "عبدالناصر" كانت من أقوى التجارب الدالة على ذلك ، فإن حكاية "عبدالناصر" لم تنته عند هذا اليوم الذى تركته وخرجت ساخطة من الحجرة كما ظننت وقتها .فإن بقيتها كانت راقدة فى عالم الغيب . إلى أن جاء يوم وطلب منى أبى أن أذهب إلى بيت جدى فلبيت الأمر وذهبت حيث اكتشفت بعد ذلك أننى أصبحت حبيسة فى بيت جدى ، وحريتى مرهونة بالموافقة على الزواج من عبدالناصر.وقاومت ذلك بكل ما أوتيت من قوة وحيلة .. وكانت الحيلة كالآتى ..كان أبى وأمى وجدى مجتمعين فى إحدى حجرات البيت لمناقشة موضوع زواجى من عبدالناصر ، وكان جدى من عادته إذا عرض هذا الموضوع أن يحذر أبى من إرغامى على الزواج دون رغبتى، أما أمى فكانت رافضة لهذه الزيجة ولكنها لم تظهر معارضتها خوفا من أبى ، الذى كان يصر إصرارا غريبا على زواجى من عبدالناصر .وفى ذلك اليوم لجأت إلى الحيلة ، فصببت قليلا من "الجاز" على ملابسى وبللت جوانب فمى من الخارج بالجاز أيضا ، وخرجت عليهم فجأة وألقيت بنفسى على الأرض بينهم ، وتصنعت الإغماء .. وأصيب بالكرب أبى وأمى وجدى وكل من فى البيت ، حين مالوا على فشموا رائحة "الجاز" فتبادر على ذهنهم أننى شربته لأنتحر إعلانا عن رفضى لعبدالناصر.وساد البيت هرج ومرج وهم يحاولون إفاقتى وأنا لا أجيب ، وإن كنت فى الواقع أسمع وأشعر بكل ما يجرى حولى وأنا سعيدة بنجاح حيلتي.وكان أن صرف النظر بعد ذلك عن فكرة الزواج .. وتخلصت بذلك نهائيا من عبدالناصر ، وخلصت نهائيا لمصطفى هيكل ، والغريب أننى أديت هذا الدور التمثيلى - وهو أول دور فى حياتى - فى وقت لم اكن أفكر فيه فى التمثيل - ولم أكن أفكر فى أمر معين ، وكل ما كان عندى هو شعور بأنى أمتلك شيئا ثمينا ومع أنى لم اكن اعرف ما هو هذا الشيء ، إلا أن أثره كان قويا فيما اتخذه من مواقف ..كنت على سجيتى ، وهو سجية لا أظن أنها أرضت أبى أو جدى أو أقاربى ، فكيف لفتاة أن ترفض عريسا ، اختاره أبوها ؟ هذا الأمر الذى بدا لهم عجيبا ومهولا، وكان يبدو لى طبيعيا وبديهيا .. وكنت أعلم أن قبول الزواج يساوى قتلى ..

فماذا بعد الموت؟ .. أظن لا شيء .. ومن هنا بدا رفضى ، وإصرارى على الرفض أمرا ، لا غرابة فيه ولا شذوذ .بل إن الشذوذ بدا لى فى إصرارهم على فرض إرادتهم فوق إرادتى .. وكان الصدام بين الإرادتين كبيرا بالنسبة لفتاة فى عمرها الحادى عشر فقط .وكانت الحيلة - والتمثيل - هى منقذى .. ، وقد أفلحت وأطلق على أبى بعدها اسم "أمينة رزق" وأصبح من المعتاد إذا رآنى فى موقف من المواقف التى يغلب على فيها الانفعال والغضب أن يقول ساخرا : "طيب يا أمينة رزق" ..كان هذا الموقف التمثيلى الذى انخلع له قلب جدى ووالدتى ووالدى ، هو المعركة الفاصلة فى محاولة الخلاص من عبدالناصر ، وكانت كلمة الختام فى هذه القصة التى نغصت حياتى ، هذه الكلمة التى قالها أبى ، وكأنها حجر يلقيه فى وجهى : "أنت أصلك وش فقر"، بعد ذلك انسحب عبدالناصر من حياتنا نهائيا ، وبالطبع لم ينسحب وحده ، وإنما حمل معه الصفائح والزكائب المملوءة بالمال ، وصافح أبى ووالدتى بل وصافحني، ومضى وهو يردد "كل شيء نصيب" بعد ذلك خلا لى وجه (مصطفى هيكل) الذى تطورت علاقتى به فأصبح اللقاء لا يتم فى بيتنا فقط ، وإنما تعداه إلى لقاءات خارج البيت وكان أكثرها يتم فى حديقة الأزبكية . وكان فى كل لقاء أتعلم منه شيئا جديدا ، أو أقرأ كتابا جديدا ويناقشنى فيه بعد قراءته ، ليعلمنى كيف أحلل ما أقرأه وأفهم أبعد مما توحى به ظاهر الكلمات.فى تلك الفترة عرفت أسماء كثير من الأدباء والمفكرين ، وقرأت بعض أعمالهم وكان فى مقدمتهم ، مكسيم جوركى ، ديستوفيسكى ، تولتسوى ، استيفان فايج ، وسومرست موم ، وانوريه دى بلزاك ، وفى علم النفس لفرويد والدلر ويونج، ثم أعطانى بعض أعمال ماركس وانجلز وكان منها كتاب رأس المال لكارل ماركس، وكان من أكثر الكتب إثارة لاهتمامى "الأم" لمكسيم جوركي. وفى تلك الفترة اعتبرت نفسى مثقفة ، وأجدنى هنا أقفز فوق الأحداث لأروى واقعة حدثت لى فى أحد لقاءاتى مع المشير "عبدالحكيم عامر"، كانت قراءاتى الكثيرة ، ومجادلاتى مع مصطفى هيكل قد جعلت منى محدثة لبقة، وإن كانت فورة الشباب تخرج بى أحيانا فى النقاش والحديث عن حد اللباقة ، إلى حد اللماضة ، فى هذا اللقاء مع المشير كان لسانى يتدفق بأسماء الأعلام من كبار الأدباء والمفكرين ويتشدق بأقوالهم ونظرياتهم .وكان المشير يصغى إليّ بهدوء ، فقد كان رحمه الله هادئا ، وكان لهدوئه "سلطان غريب" على من يحدثه أو يحاوره ، ثم قطع على تدفقى وزهوى بسؤال بسيط:"هل قرأت القرآن؟"ولا أدرى لماذا انتابنى الخجل وأنا أرد عليه بالنفى ، مع انه سؤال عادى للغاية وربما سمعه الكثيرون ، وأجابوا أيضا بالنفى دون خجل ، ولكن سؤاله البسيط "هل قرأت القرآن؟" كان سؤالا متغلغلا نافذا إلى القلب واقتلع غرورى اقتلاعا ، وربما كان ذلك لطبيعة السائل (وطبيعة المسئول).كان السائل هو (المشير) بطبيعته وسجاياه ، ونقاء سريرته ، ونفاذ بصيرته بكل تلك الخصال التى عرفتها فيه

، والتى سوف أتحدث عنها فيما بعد .وكان المسئول هو انا حفيدة الشيخ "حواس" ، الشيخ التقى المتعبد فكان سؤاله هذا الذى القاه عليّ بهدوء وإيمان سببا فى أن ارى بوضوح مدى ما فى حياتى من مفارقة غريبة ، ومدى ما أمتاز به من جهل.قال رحمه الله : "لعلك أيضا لم تقرئى شيئا عن عمر بن الخطاب .. هل تعرفين شيئا عن عدالته وحياته وعظمته ..؟قلت : "اعرف عنه .. كرم الله وجهه .فقهقه ضاحكا .. وقال أكرمك الله ، أهذا كل شيء ؟؟. أعود إلى قصتى مع مصطفى هيكل الذى كان مهتما بتغذية عقلى بألوان من المعرفة والثقافة كان ينتقيها هو لى ، ولم يكن معنيا بعواطفى رغم أن مكان اللقاء كان شاعريا بين الخضرة والزهور بحديقة الأزبكية ، إلا أنه فيما يبدو كان يعدنى إعدادا خاصا للقيام بدور رسمه لى ، ولم يفصح عنه بوضوح ، وإنى الآن لأرى ذلك حين استرجع ذكريات تلك الفترة ، البعيدة من حياتى ، ولعل القصة التالية تبين للقارئ ما أعنيه من هذا الكلام.ذات يوم جاءنى ومعه حقيبة كتب قال وهو يشير إليها " سأطلب منك القيام بمهمة، أترين هذه الحقيبة .. ؟"قلت : نعم .. وماذا بها ؟ قال : منشورات!! وبعد ذلك أخذ يوضح لى المطلوب ، وكان الأمر كما رسمه لى ، أن احمل هذه الحقيبة إلى محطة الأتوبيس ، فإذا جاء وركبته أنزل فى محطة كذا .. وسوف يكون هو فى انتظارى ليأخذها منى ، وأخذ يوصينى بالتزام الهدوء والثقة والثبات..وبالطبع تظاهرت أمامه بالثبات .. وإن كانت الحقيقة غير ذلك جاءت ساعة الصفر ، وحملت الحقيبة وسرت بها إلى محطة الأتوبيس كما طلب منى بالضبط وكانت أمام صيدناوى الخازندار ، وعند المحطة تسمرت تماما فى مكانى ، فقد استولى على الذعر وشل حركتى فلم أستطع مبارحة مكانى على الرصيف ، حيث كنت أرى الأتوبيس يأتى وراء الأتوبيس ، دون أن أجد القدرة على الحركة لركوبه .. ومكثت على هذه الحال فترة طويلة ، فلا أنا أعود أدراجى إلى البيت ، ولا انا أتقدم لتنفيذ هذه المهمة ، وكانت من أقسى التجارب التى تعرضت لها فى حياتي.وفجأة رأيته إلى جوارى ومد يده إلى الحقيبة وأخذها منى وهو يقول : لا انت ما تنفعيش خالص .. بالشكل ده حايقبض عليك البوليس حتى لو مكانش عارف عنك حاجة .. ولم تكد حقيبة المنشورات تخرج من يدى ، حتى خرج الرعب من قلبى ، وعدت إلى البيت متعبة ، ولم يحاول مصطفى هيكل بعد ذلك أن يطلب منى شيئا ، وإنما مضت الحياة بنا كالمعتاد ، يعطينى دروسا فى البيت ، ودروسا فى الحديقة ، وكنت أنمو وازداد نضجا ، وعلاقتى بمصطفى تنمو هى الأخرى ، وتزداد قوة .. وبعد تجربة حقيبة المنشورات ، بدأ سلوكه معى يتسم بالعاطفة ، ولم تعد غايته كلها منصرفة إلى عقلى فقط ، بل بد يولى عواطفى اهتماما خاصا، وكأنما هو لم يعد يدخرنى "للنضال" وإنما ادخرنى للزواج وصارحنى بذلك واتفقنا عليه فى لقاءاتنا الكثيرة الطويلة التى لم تكن تتاح لى سوى "بالتزويغ" من المدرسة، وفى هذه

الفترة كنت أصبحت فى السنة الرابعة الثانوية .وقد ترتب على هذا التزويغ موقف لا ينسى .. وقع بينى وبين أبى من ناحية، ثم انتقل إلى ما بين أبى وبين مصطفى هيكل من ناحية أخرى .. وهو موقف يكشف عن شخصية مصطفى هيكل وما يتمتع به من قدرة نادرة على فهم الرجال وحسن سياستهم ، وثبات قلبه عند الشدة . بدأت الحكاية على النحو التالى .فى ذات يوم عدت إلى البيت فى موعد عودتى من المدرسة ، وهو وقت لم يكن من المعتاد أن يكون أبى موجودا فيه ، ولكن لدهشتى وجدته فى انتظارى ، وما كاد يرانى حتى ظهر الغضب على وجهه وسألنى بخشونة: أين كنت؟لم أرد على الفور ، فقد كنت فى الواقع مع مصطفى هيكل منذ خروجى من البيت فى الصباح ، وأدركت أن أبى ما كان ليسألنى مثل هذا السؤال ، وبمثل هذه الخشونة ، وهو يرانى عائدة إلى البيت بثياب المدرسة ، وكتبى فى يدى ، وفى موعد عودتى ، ما كان ليسألنى سؤالا كهذا ، لو لم يكن قد رآنى مع مصطفى، أو رآنى أحدهم - ولا أعرفه حتى الآن - ووشى بى عنده ، لذا أدركت أن أبى يسألنى "أين كنت؟" وهو يعلم جيدا ، أين كنت (ولما كانت طبيعتى تكره الكذب ، وكانت الحقيقة لابد من ذكرها فقد أجبته باستسلام :- كنت مع مصطفى هيكل . قال بسخرية : حقاً وهل عادة البنت المحترمة المهذبة أن تقابل الرجال فى الشارع ثم نظر إلى غاضباً وقال : ولماذا تقابلينه خارج البيت ؟قلت : إنه يريد أن يتزوجنى .. وسيأتى اليوم ليخطبنى !! .قال أبى بغضب : ومن قال اننا نريد أن نتزوج ؟ أنا لا أوافق على زواجك منه فى هذه السن .. فعليك أن تكملى تعليمك أولاً . وحين يأتى سأطرده. ودق جرس الباب فدق قلبى ، وأسرعت بفتحه ، فوجدت مصطفى هيكل أمامى قلت له: أبى قد رآنا ، هز مصطفى رأسه بهدوء ومضى حيث يجلس أبى فى انتظاره.وفور دخول مصطفى على أبى أطلعه على خبر فى الجريدة التى بيده ، وكان الخبر يتناول إحدى القضايا السياسية الهامة ، والتى كانت تشغل بال المجتمع فى ذلك الحين . وكان أبى قارئاً، مهتماً بالسياسة ، كأغلب جيله، كثير الجدل حولها، وكان مصطفى هيكل يدرك نقطة الضعف هذه فى أبى الذى تجاوب بسرعة مع الموضوع ، والذى بسببه نجح مصطفى هيكل فى صرف ذهن أبى منذ الوهلة الأولى عما كان يشغله ويثيره، فاندفع يعلق على الخبر ، ويدلى بآرائه السياسية فى الوزارة والأحزاب ، الإنجليز ، والثورة ، وهكذا افلح مصطفى منذ اللحظة الأولى فى إحباط مفعول القنبلة الزمنية التى كانت فى انتظاره.وشرع بعد ذلك يغذى غرور أبى بإظهار إعجابه بآرائه ، الخطيرة " فى السياسة ويبدى دهشته لسعة اطلاعه ، وسداد رأيه، فاندفع أبى - وقد أسكره" المديح - يبسط وجهات نظره العميقة فى السياسة وحين دخلت عليهما بالشاى ، كان الحديث بينهما يدور بانسجام ، وعلى غاية ما يكون الانسجام ، حتى انهما لم يشعرا بى وأنا أضع الصينية أمامهما ، وانسحبت فى هدوء وترقب.ومضى الوقت والنقاش بينهما حام ، حتى أصبح

كل منهم على سجيته .. لدرجة أن مصطفى حين رآنى داخلة فى المرة الثانية، طلب منى أن ارفع اقداح الشاى الفارغة وان اصنع لهما قهوة وكأنه هو صاحب البيت . وعادت " ريما إلى عادتها القديمة ". الدروس فى البيت ، واللقاءات فى حديقة الأزبكية .. والتزويغ من المدرسة ، وأحلام سعيدة فى مستقبل سعيد ... الى أن اتممت دراستى الثانوية - دبلوم فنون طرزية ثانوية - وبدات البحث عن وظيفة ... وجدت وظيفة مدرسة بأحد المدارس الخاصة بحلوان ، ولكنى لم أمكث فى هذه المدرسة سوى شهر واحد و٢١ يوماً ولم أقبض مرتبى منها حتى الآن ، لم أحتمل عبء الاستمرار فى هذا العمل. فالطريق من السيدة زينب إلى حلوان طويل وشاق . والتدريس للأطفال بدا لى شاقاً والآمال بين جدران المدرسة بدت لى هزيلة فكان أن تركتها ، وبدات البحث عن وظيفة مرة اخرى . والواقع أن خروجى للعمل كان قد بدأ قبل ذلك بكثير ... فقد صار من عادتى العمل خلال الإجازة الصيفية ، وكنت أدخر مرتبى مع والدتى التى كانت تحفظها لى بعناية ، إلى ان بلغت جملة مدخراتى اثنان وعشرون جنيهاً فى تلك الأثناء كان مصطفى هيكل يتابع نتائج بحثى عن وظيفة إلى أن اشار على بدخول " المعهد العالى للفنون المسرحية " وحدد لى قسم النقد .والواقع أن هذه النصيحة لم تأت عفواً ، ولم يكن دخول المعهد مجرد (تسديد خانة) لفتاة تبحث عن " خانة " لها فى الدنيا لتستقر فيها ، ففى تلك الفترة بدات تبدو علىّ اعراض الميول الفنية ، وتمثلت أول الأمر فى محاولة الكتابة، ووجدت فى نفسى إغراءً قوياً للإمساك بالقلم ، وتجريب وضع خواطرى على الصفحات البيضاء . وهى تجارب كانت فاشلة ككل تجارب الكتابة فى بدايتها . وهذا حكم لم أكن أراه فى ذلك الوقت على تجاربى ، فقد كنت مقتنعة غاية الاقتناع بكل كلمة أكتبها بل وأحس لحظتها أننى " اتيت عالماً لم يات به الأوائل " . وكنت قد نشرت مقالات فى مجلات فنية ، إحداها يديرها المرحوم "، عثمان العنتبلى " ومجلة اخرى اسمها " اهل الفن "، ودنيا الفن - وكانت مقالاتى بعنوان " فيتامينات الفن " واقترحت فيها إنشاء مكتبات تتيح لأبناء البسطاء الاطلاع وتثقيف أنفسهم . وكتبت قصة قصيرة بعنوان " ناقد ناشئ" ومقالة أخرى بعنوان " السينما حرب على المسرح " . وكنت أتمنى أن اكون كاتبة أو صحفية . ولم تكن الكتابة هى الحالة الوحيدة التى ظهرت مع أعراض الميول الفنية ، فقد رافقتها حالة أخرى هى " التمثيل "، وبدأت قدماى تعرفان الطريق إلى الإذاعة، والى تجمعات الفنانين فى أماكن التصوير أو التمثيل . وأفلحت فى الحصول على ادوار تمثيلية فى بعض التمثيلات والمسلسلات الإسلامية باللغة الفصحى "عدو البشر " و " طعمة ..لا.. زيزيت " وهكذا جمعت فى تلك الفترة بين الكتابة ، والتمثيل، والدراسة فى المعهد العالى للفنون المسرحية ، فان سألنى سائل وقتها: وأى هذه الميادين تفضلين ؟ فربما اجبته لا احب منها !!فان كل نشاط من هذه الأنشطة كنت أقوم به مدفوعة بشعور طاغ ، بالرغبة فى

الوصول الى شئ ، ويزيد هذا الشعور مرارة فوق طغيانه ,أننى لم أعرف : ما هو هذا الشئ الذى يجب أن أتوصل إليه ..؟ هل هو المال ؟! هل هى الشهرة والجاه ؟ لهل هو الانطلاق والحرية ؟! هل هو الزواج برجل أحبه ؟! لا أعرف بالتحديد ، فقد كانت هذه كلها مجمل طموحاتى ، وهى طموحات فتاة فى الرابعة عشرة ، تشعر بامتلاكها عطايا كثيرة من عطايا الخالق غير جمالها. ومع أنى كنت أشعر أن جمالى موضع اهتمام الآخرين ، إلا أنه لم يكن موضعاً لاهتمامى قط. وان كان موضعاً لرضاى عن نفسى ، فان الجمال منحة من الله وجاحد من لا يرضى بها ، وجاحده من تسئ استعمالها . ونصيحتى الى المرأة الجميلة إذا أرادت بلوغ هدف ، فلا تجعل من جمالها وسيلة إليه فإنى أؤمن بأن جمال المرأة لا يجب أن يقودها لأبعد من بيت الزوجية ، وان ذهب بها بعيداً عن ذلك أسقاها السم فى العسل وهى لا تدرى. أعود الى تلك الفترة من حياتى وإلى ذلك الشعور القوى الذى كان يحركنى الى القراءة ، والكتابة والتمثيل ويدفعنى الى طرق - بالنسبة لفتاة فى هذا الوقت - تعتبر وعرة .وكنت أروح وأغدو بين جيراننا فى حى السيدة زينب فى أمان كأى فتاة من بنات الحى ، إلى أن كانت ليلة انعقد فيها " مجلس حريم " فى بيتنا مؤلف من نساء الجيران و صديقات أمى وكان الموضوع الذى أثارهن واجتمعن من أجله هو " شغلى فى التمثيل " كن غاضبات، وأحطن بوالدتى يوجهن إليها اللوم العنيف لأنها سمحت لى بدخول معهد التمثيل ، ورضيت بأن أكون ممثلة، وكان من بين التمثيليات التى قمت فيها بدور البطولة هى مسرحية " كليوباترا "، لذا عندما أرادت والدتى أن تنكر اشتغالى بالتمثيل - دفاعاً عن نفسها - ردت عليها إحداهن: . ازاى. دى بتشتغل ممثلة ، وغيرت اسمها .. سمت نفسها " كليوباترا " وبتحب واحد اسمه " أنطونيو " ، وأكدت امرأة أخرى أننى أدرس فى " معهد التمثيل "، ولما زاد الحصار حول والدتى ، ولم تجد بداً من الإقرار بأنى فعلاً طالبة بمعهد التمثيل ، دافعت عن نفسها بأنها لم تكن تعلم شيئا عن ذلك وأن أبى مادام راضياً فلا دخل لها فى الموضوع لأنها هى شخصياً لا توافق عليه، وأنها كانت غائبة حين التحقت .كانت أمى صادقة فيما تقول ، لأنها كانت غاضبة فى بيت أهلها بسبب خلاف مع أبى ، ومكثت هناك وقتاً طويلاً كنت أنا فى أثنائه قد دخلت المعهد العالى للفنون المسرحية بموافقة أبى الذى لم يبد أى اعتراض على ذلك. وكانت هذه هى أحد المواقف التى أذكرها له بالتقدير ، والتى ظهرت فيها آثار الثقافة عليه ... ألم أقل أنه كان ذا ثقافة فرنسية وأنه كان قارئاً مطلعاً ؟

المرحلة الثانية:

قلت إن أولى الرحلات الكبرى فى حياتى ، هى رحلتى من " باب الشعرية " إلى السيدة زينب "، ثم قدر لى بعد حوالى ثمانى سنوات أن أقوم برحلتى الكبرى الثانية من " السيدة زينب " الى "أرض شريف". وفى هذه المرة لم أكن طفلة فى السادسة ، بل آنسة فى الخامسة عشرة من عمرها ... وكان الانتقال بإرادتى واختيارى .... ومن هاتين المرتين عرفت أن الانتقال بضع كيلو مترات لا يعنى فقط نقلة فى المكان . وإنما هى فى الحقيقة نقلة فى الوجدان . وقد تكون المسافة فى المكان شبراً ، ولكنها فى الوجدان سنوات . وأزمنة وأجيال .

واظبت إذن على حضور المحاضرات بالمعهد . وذات يوم دخل علينا " زكى طليمات" عميد المعهد . وما كادت عيناه تقع علىّ حتى بدأ يتفحصنى ثم قال لى : ماذا تفعلين هنا فى قسم النقد . نحن نحتاج إليك فى قسم التمثيل، وبه تدرس معظم العلوم التى بقسم النقد . ثم واصل حديثه قائلاً : " انهضى ... فتاة مثلك تجلس هنا ... وعندنا فى قسم التمثيل يلتحق النفر" ، ثم أهاب بى للنهوض ، وأخذنى الى قسم "التمثيل" ، والمسافة بين "النقد " و"التمثيل " خطوات .... انتقلت من حجرة الى حجرة مجاورة ... ومشيتها خطوات .. ولكن .. ألم أقل إن الإنسان قد يخطو خطوة واحدة فى المكان . ولكنها عمر كامل أو مصير كامل يتحدد بهذه الخطوة ، وقد كانت هى خطوتى من حجرة " قسم النقد " ، الى حجرة " قسم التمثيل "كنت قد انتقلت بكامل ميزاتى أو بالأصح " بكامل عدم ميزاتى " فلا امتحان ولا مكافأة . وإن كانت الأقدار قد انتوت لى نية أخرى .كانت امتحانات نهاية العام تقترب ، وبدأ طلبة الدبلوم يعدون مشاريع التخرج ، وهى عبارة عن مسرحية يقوم بالتمثيل فيها مجموعة من طلبة المعهد على مسرح قاعة "إيوارت الأمريكية " . وقبل الامتحان بأيام فوجئ الأستاذ زكى طليمات بغياب البطلة " ملك الجمل " الطالبة فى السنة النهائية والتى ستقوم بأدوار البطولة فى المسرحية ، وكانت الرواية التى اختارها الطالب " عبد الغنى قمر" لمشروعه للتخرج هى " الصعلوك " ووقع فى مأزق بسبب غياب البطلة .الى هنا ولا دخل لى بالموضوع ، لولا أن جاءنى الأستاذ زكى

طليمات ، وطلب منى القيام بتمثيل الدور أمام (عبد الغنى قمر) إنقاذا للموقف و بالطبع ركبنى الخوف وقلت له ، أننى لن أستطيع ، ولكنه اجاب مؤكداً ، بل تستطيعين ، وجذبنى من يدى الى إحدى الحجرات الفسيحة ، ووضع نص المسرحية بين يدى وبدأ فى تلقينى الدور والميزانسين، ثم بعد أن أوضح لى كل شئ يتعلق بالإخراج ، تركنى لعبد الغنى قمر الذى استمات فى "تحفيظى " الدور جيداً ، وإلا فان السنة النهائية ستضيع من يده . وجاءت ساعة الظهور على المسرح ، وكنت قبلها فى دوامة حفظ الكلام والميزانسين والانبهار بفكرة أنى سأقف لأمثل أمام المشاهدين ، ولكن ما كاد يحين موعد رفع الستار حتى انتبهت ، وهى انتباهة أقرب الى الإغماء ، منها الى الصحوة ... ففجاة أصبحت وجهاً لوجه أمام الجمهور وهالنى ان أرى صفوفاً من الرؤوس السوداء والعيون المحملقة التى تملأ الصالة وتغوص فى الظلام . وبدأ التمثيل وبدأت ألقى " محفوظاتى " وأنا نهب القلق والارتباك ، وزاد الهرج فى الصالة فقد كان أغلب الجمهور من الشبان والشابات ، كان مشهد البداية فى المسرحية فى حجرة النوم بملابس بها بعض الإغراء ، وحدث تصفيق وصفير بدرجة جعلتنا لا نسمع حوار بعضنا البعض ، ولم ينقذنى سوى إغلاق الستار فجأة ، وصعود زكى طليمات على خشبه المسرح مخاطباً الجمهور ومؤنباً له . وتحدث عن ضرورة احترام المسرح ، وعن قدسيته ، ودعاهم الى التزام الصمت ، وهدد إن هم عادوا الى الهرج مرة أخرى فإنه سوف يلغى العرض . وفتح الستار مرة ثانية ، وبدأ التمثيل ، وعبد الغنى قمر يشجعنى ، وفى هذه المرة كانت أعصابى أهدأ ، مما ساعدنى على الاندماج وحسن الأداء ، فقد ساد الصالة هدوء وصمت . وانتهى العرض ولا أدرى كيف ، وتصاعد التصفيق ، وجاء عبد الغنى يهنئنى، ويشكرنى على نجاح العرض .. إذن فإن العرض نجح... شكراً لله . وزاد من سرورى وغبطتى أن زكى طليمات ، هنأنى وامتدح تمثيلى ، وأحسست بالزهو فإنها أول مرة أحظى فيها بهذا الاهتمام الجماهيرى ، وان نشوة كهذه لا يعرفها سوى من ذاق حلاوتها .. كان من أثر نجاح " المشروع " أن فاز (عبد الغنى قمر) بالدبلوم ,وفزت أنا بميزات العام الدراسى كاملة ، التى حرصت فيها على انتقالى من قسم النقد الى قسم التمثيل ... وهى الراتب الشهرى ، السماح لى بامتحان نهاية العام ... وفوق ذلك ضمنى الأستاذ (زكى طليمات) الى فرقته المسرحية ... وكان ذلك بالنسبة لى يعد، حظا باهراً لم أكن أحلم به ، فأعضاء الفرقة جميعاً كانوا من خريجى معهد الفنون المسرحية ... وكنت انا أول" مفعوصة " تنضم الى فرقة " العمالقة " هؤلاء ، فمن كان لا يزال تلميذاً لا يدخلها ... وانا كنت تلميذة ودخلتها ، وكان لذلك ردود أفعال بين باقى أعضاء الفرقة .. بدأ الهمس يدور بين أعضاء الفرقة وكلهم من خريجى معهد الفنون المسرحية ، وكان مدار الهمس حول هذه التلميذة " اللى فى سنة أولى لسة " وأصبحت عضوة معهم ، وأصبح رأسها الصغير مساوياً

لرؤوسهم الكبيرة ، ثم تحول الهمس الى موجة عارمة مدمدمة أحاطت بزكى طليمات الذى كان مشغولاً وقتها بإخراج مسرحية " مسمار جحا " وكان فى نيته أن يسند الى دور (البطولة) فيها . وكان من دواعى الاعتراض على انضمامى الى الفرقة - غير ما ذكرت - هو أن الفرقة كانت تنتظر إعانة الدولة ، وخشى الأعضاء ان تكون عضويتى - وأنا طالبة صغيرة - أن تكون سبباً فى حرمان الفرقة من الإعانة المرتقبة ، ومن ثم جاءنى الأستاذ زكى طليمات ، وشرح لى بلطف حقيقة هذا الموقف ، وطلب منى أن أعود الى المعهد فى هذا العام ، على أن يضمنى الى الفرقة فى العام التالى . وقد بر بوعده ، فما كاد العام ينصرم وانتقل من السنة الأولى الى السنة الثانية ، حتى أسند الى دوراً آخراً فى مسرحية " دنشواى " وكان دورى فيها لا يتعدى الخمس دقائق فى نهاية الفصل الثانى ثم يسدل الستار .

كانت فرقة يوسف وهبى تضم أشهر نجوم السينما والمسرح فى ذلك الحين ، من أمثال حسين رياض . وأمينة رزق ، ومنسى فهمى ، وفؤاد شفيق ، وروحية خالد ، وفردوس حسن وغيرهم . ولن أنسى أول " بروفة " أحضرها مع فرقة (يوسف وهبى) فقد وجدت نفسى جالسة بين هؤلاء العمالقة اللامعين الذين ذكرت أسماءهم، وكان طبيعياً أن أشعر بالرهبة وأنا أرى يوسف وهبى جالساً على رأس مائدة القراءة - أثناء البروفة وحوله النجوم ، وأنا بينهم . ولكن رهبتى زالت عنى سريعاً وأنا أطالع الوجوه المبتسمة لى فرحاً حنان وتشجيع ، وشعرت بأن الجميع يتقبلون وجودى بينهم بنفوس راضية ...بدأ الممثلون يقرؤون أدوارهم فى المسرحية " أيام زمان " وكان (يوسف وهبى) هو مقتبسها ، ومؤلفها ، وممثلها الأول ، وكان أيضاً هو مخرجها، وعندما جاء دورى أشار على بالقراءة ، فبدأت أقرأ . وبدأ هو باعتباره المخرج يوجهنى. ويسدى إلىَّ النصائح والتعليمات، ويعلمنى كيف أخفض الصوت أو كيف أرفعه ، وكيف أكون فيه وكيف يكون الانفعال هنا ، ودرجة الانفعال . كل ذلك حسب طبيعة الموقف الذى يدور فيه الحوار ، وحسب معنى الكلام ومكانه من العمل الدرامى، ومنذ هذه الليلة بدأت أتعلم أشياء فى الفن لم أكن أعرفها، أشياء تختلف كثيراً عما تعلمته فى المعهد ولكنها كانت أعمق وأصدق مما تعلمته ...لقد وضع يدى على (حرفنة الفن) فلم يكن يوسف وهبى مخرجاً فقط ، وإنما كان مخرجاً وأستاذاً اكتشفت أثناء البروفة أن الدور المسند لى هو دور البطولة فى المسرحية والبطولة وحدها تدير الرأس ، فإذا كانت البطولة أمام يوسف وهبى ، فإنها شئ يفوق الخيال ، وغمرنى إحساس داخلى بالغبطة ، وتدفق فى شراييني تيار من الحماس ، جعلنى أتابع توجيهات (يوسف وهبى) بدقة ، وأحرص على أدائها بالشكل الذى يرضيه. وكنت بطبيعة الحال أتعثر كأى مبتدئ ومبتدئة ، ولكن ارتباكى كان يزول سريعاً حين أطالع ابتسامة

حسين رياض الحانية لمستمعة ، أو نظرات الآخرين ، وهى تحرضنى فى صمتى على المضى فى التمثيل . لم تلمزنى غيرة ، أو تجرحنى سخرية، لم أصادف غير التشجيع ، والرعاية ، والتسامح مع عمالقة فرقة (يوسف وهبى)، وكان مما لفت نظرى - واعتبرته درساً بليغاً صامتاً- أن حسين رياض - كان يواظب على حضور البروفات سواء كان له دور أم لم يكن.كان ذلك عنده واجب مقدس ، يتمسك به ولا يفرط فيه أبداً حتى فى الأيام التى لم تكن تستدعى حضوره أثناء البروفات وأنى لأجد الفارق كبيراً بين ما شاهدته واحترمته فى حسين رياض .. وبين ما أراه الآن جريا ولهثاً هنا وهناك .فالممثل له دور فى فيلم صباحاً ، وفى مسلسل تليفزيونى فى الظهر ، وفى المسرحية فى المساء مع ما يصاحب ذلك من عدم جدية ، وإرهاق ، وبحث عن المال بأية وسيلة ، وعدم التزام بمواعيد البروفات أو حتى التصوير، وقد صاحب هذه الظاهرة المؤسفة دخول "مصطلحات فنية " جديدة تجرى على ألسنة الممثلين ، فإنك تسمع الواحد منهم يقول ببساطة " عندى مرمة فى الإذاعة "، أو يقول " رايح أعمل نحتايه صغيرة فى التليفزيون "، الى هذا المدى انحدر المفهوم عند الفنانين عن العمل الدرامى فهو لا يزيد عن كونه " مرمة " أو "نحتاية " أو أى شئ من هذا القبيل ، أو من هذا الهراء .وقد حققت بهذا الدور الصغير نجاحاً لفت الأنظار ، وخاصة أنظار بعض النقاد الفنيين ، فكان أن فوجئت يوماً بصورتى منشورة فى إحدى الصحف الكبرى ، حيث كتب جليل البندارى عنى ممتدحاً تمثيلى وحضورى على المسرح ، وكان عنوان المقال " خليفة فاطمة رشدى "، وكان مما قاله فى مقاله هذا " لو لم أكن متأكداً أن هذه هى " برلنتى عبد الحميد " لقلت أن (فاطمة رشدى) عادت مرة أخرى، ولا أعرف كيف أصف سعادتى وزهوى ، حين قرأت هذا الكلام والواقع أن وقوفى على المسرح ، واهتمام النقاد بى فى تلك الفترة قد بعث فى صدرى تياراً جديداً عنيفاً من المشاعر هو فى الحقيقة خلاصة ما يتمتع به الفنان والشعور برضاء الناس وإعجابهم هو المنبع العذب لمثل هذه المشاعر ، ولا يبدو أن هناك شيئا فى الدنيا يمكن أن يعوضه عن مثل هذا الشعور لا مال، ولا ثياب ، ولا عطور ، ولا حتى الحب ... وانى لأعجب الآن وأنا أتذكر تلك المرحلة من حياتى وأقارنها بما يجرى الآن فى الحياة الفنية ... فإن رعاية زكى طليمات التى أحاطتنى فى أبوة و صدق ، وحرص النقاد على أن يكتبوا عنى دون سابق معرفة ، ودون سابق أغراض ، والتشجيع ممن عساى أصادفه أو أعمل معه فى الوسط الفنى ، كل هذا يجعلنى أتحسر على ضياع الأبوة الفنية ؟ .

ظلت الفرقة تقدم "دنشواى " وظللت أقدم الخمس دقائق فى كل ليلة ، والنجاح يحالفنى، وترتفع أسهمى. وتصادف أن زار الفرقة ، المنتج السينمائى " زريا نيللى " وشاهد

العرض وأعجب به ، فما كان منه إلا أنه قال للجميع " كلكم تيجوا بكرة فى مكتبى " .وذهب جميع الزملاء ما عداى أنا ، فقد رفضت هذه الدعوة بينى وبين نفسى ، وقررت عدم الذهاب ... رحب زريا نيللى بأعضاء الفرقة ، وأخذ يتفحصهم واحداً واحداً ثم سأل: هل جميع اعضاء الفرقة موجودون ؟ فرد عليه الجميع بالإيجاب . ولكنه عاد يقول :يبدو لى أن هناك شخصاً غير موجود . وعرف منه الآخرون أن هذا الشخص غير الموجود ، والذى يعنيه زريا نيللى هو أنا ..,فتطوع بعضهم لإفهامه أن سبب عدم حضورى هو " الآلاطة "، ولكن يبدو أن زريا نيللى كان مصراً على حضورى الى مكتبه ، ففى اليوم التالى فوجئت به فى الفرقة ، وحين رآنى قال لى " لماذا لم تحضرى بالأمس ؟ " فأجبته : لأنك لم تدعونى " . فرد بثقة : " ولكنى قلت للجميع ، أن يحضروا " .فقلت معترضة : " ما معنى أن يحضر الجميع ، هل نحن قطيع يساق الى حيث يراد لنا " . وتقبل منى الرجل هذه الملاحظة بصدر رحب فما كان منه إلا أن قال " ها أنذا أوجه إليك الدعوة ... أرجو أن تحضرى الى مكتبى غداً " . وفى الغد كنت فى مكتبه ، ولم أخرج إلا بعد أن وقعت عقداً للعمل فى فيلم "ريا وسكينة " ... وكان أبطال الفيلم هم " أنور وجدى " وفتى الشاشة الأول " شكرى سرحان " و "نجمة إبراهيم" و " زوزو حمدى الحكيم " و " سميرة أحمد " ... وكانت هذه أول مرة أرى فيها " صلاح أبو سيف " مخرج الفيلم، ولم يمض شهر واحد حتى كنت قد وقعت عقداً آخراً لفيلم " شم النسيم " فيلمان فى شهر واحد .. ما أعظم فرحتى ، فأنا لا أعدو أن أكون طالبة بالسنة الثالثة بالمعهد العالى للفنون المسرحية، وقد أسكرنى أن أدخل الى عالم السينما الباهر ، فإن للسينما مذاقاً غير مذاق المسرح، ولها سطوة على الجماهير تفوق كل سطوات الفن .وبعد نجاحى فى فيلم "ريا وسكينة " .... بدأ يوسف وهبى يغرينى بالانضمام الى فرقته ، وما كنت فى حاجة الى إغراء وقد كانت هى الفرقة المسرحية الأولى فى ذلك الحين ، وكان هو يوسف وهبى الشامخ اللامع . وكان مما قال لى يوسف وهبى فى مجال الإغراء "سوف تقفين بجوار حسين رياض ، وأمينة رزق ، وما أدراك ما حسين رياض وأمينة رزق فى ذلك الحين ... انه المجد ..انتهت البروفات وجاء يوم العرض ، وكنت أنا أول ممثلة تقف أمام يوسف وهبى غير (أمينة رزق) و بدأت أتذوق الشعور بأنى فاتنة ، وبأننى بطلة ، وبأننى نجمة .وأصبحت أتلقى باقات الزهور ، وبين هذه الباقات ، باقة نقية كانت دائماً تلفت نظرى بجمالها وبالعناية الفائقة فى صنعها ، وكان صاحبها يصر على إرسالها لى فى كل يوم ، فما أكاد أدخل غرفتى فى المسرح بعد انتهاء التمثيل حتى أجدها ..وكان من عادة صاحبها أن ينتظرنى فى كل ليلة ، حيث أجده واقفاً أسفل السلم ينتظرنى ، وعيناه معلقتان بى أثناء نزولى . وحين أمر من أمامه يقول بصوت مهذب ورقيق " أرجو أن تكون الزهور عجبتك النهاردة " .كان الشاب أنيقاً ، رقيقاً ، وسيماً ، مهذباً ، وكان أبوه أحد

الباشوات الأثرياء ، ومع ذلك فان الليالى تمر الليلة وراء الليلة دون أن تزيد العلاقة بينى وبينه ، عن باقة الورد ، والسؤال عن إعجابى بها ، ثم تحية المساء .فقد كان الفن هو المستولى على كل مشاعرى واهتماماتى فى ذلك الحين ، ورغم عذوبة الإحساس بأن هناك من يحبك ويهتم بك ويقدم لك باقات الزهور كل يوم فلم يكن لى ميل إلى أية مغامرات من هذا القبيل . ورغم كل ذلك فقد قدر لى أن أضعف أمام هذا الحب ، والورد ، والثراء المطروح عند أقدامى . ولم يكن ذلك بسبب الهوى ... وإنما بسبب الفن ! وقصة ذلك أن دورى فى مسرحية " ايام زمان " كان يتطلب منى أن أغير ثيابى ثلاث مرات فى الليلة ، ولم يكن لدى سوى ثوبين اثنين ، فقدرتى المالية لم تكن تمكننى من شراء الثوب الثالث ، وكان ذلك سبباً فى شعورى شعوراً طاغياً بضائقتى المالية .ودار فى رأسى أن أوطد علاقتى بهذا الشاب الوله الثرى ، ورحت أقنع نفسى بأن لا عيب ولا خطر من ذلك . ومن ثم انتهزت فرصة سؤاله التقليدى ذات ليلة عن مدى رضاى عن الزهور التى أرسلها فأعربت له عن مدى سرورى بها ، وأبديت جانب الود واللين ، ودار بينى وبينه حوار انتهى بموعد، وعندما التقينا اصطحبنى الشاب وهو يكاد يطير من الفرح الى مطعم خريستو فى شارع الهرم ، وهو من المطاعم الراقية الغالية ، التى تقدم صنوفاً شهية من الطعام الذى يليق بالباشوات .ولم يقدر لفرحة الولد العاشق أن تتم ، فما كاد يستقر بى المقام على المائدة التى حجزها لى وله ، حتى انتابنى صداع ، وغشيت نفسى كآبة لا أعرف سرها ... ولاحظ الفتى ما أصابنى ، فأخذ يسألنى بانزعاج عما بى فقلت "إنى اشعر بصداع شديد". فأخذ يواسينى ، ويطمئننى إلى أن آخذ قرصين من الأسبرين بعد الطعام كافيين بعلاج الصداع . وأراد أن يطلب الطعام ولكنى رفضت بشدة ، زاعمة أنى لا اشعر بالجوع، وان كنت فى الواقع أكاد أموت جوعاً ، ولكن شهيتى للطعام كانت مفقودة تماماً . وفوجئ الشاب بإصرارى على الانصراف و وبذل جهده ليثنينى عن عزمى ، ولكنى صممت تصميماً قوياً على الانصراف ، ولم يجد الشاب بدا من طاعتى فنهض آسفاً لضياع تلك الفرصة النادرة التى ظل يترقبها ليال طوال ... والغريب أنى ما كدت أدخل البيت حتى زال عنى الصداع تماماً وغمرنى السرور ، والفرحة ... فرحة من نجا من خطر غامض ... وسألت والدتى عما أعدته لنا من الطعام ، فأجابت "عدس " ... أقبلت على طبق العدس بشهية مفتوحة وانا سعيدة أن اكتشفت نفسى ... أما مشكلة " الفستان الثالث " فقد وفقت الى حلها بثمن زهيد ، رغم أن الدور كان يتطلب ثوباً غالياً من ثياب السهرة. وجاء الحل ذات مرة وأنا أتسكع أمام إحدى الفترينات ، حين رأيت "بلوزة" من القطن لا يزيد ثمنها عن الثلاثين قرشاً ، وكان للبلوزة فتحة دائرية واسعة قليلاً ... اشتريتها ، ولبستها على جونلة سوداء ، وشددت الحزام على وسطى شداً قوياً ، وزينت البلوزة ببروش " الماظ فالصو " اشتريته من العتبة .. وحين ظهرت بهذه الملابس على

المسرح أثارت إعجاب الجمهور بجمالها وبساطتها ، وحققت من النجاح والقبول مالم يكن ليحققه " فستان السهرة " الغالى الثمن ... وبهذا وجدت حلاً لهذه المشكلة ولغيرها ,فان البلوزات القطن ذات الثلاثين قرشاً كانت كثيرة ومتعددة الألوان ، وفى متناول يدى ، فاقتنيت منها عدداً ، كنت أظهر به على المسرح و أغير وأبدل فى أنواع الإكسسوار - الفالصو طبعاً = وبهذا لفت الأنظار وحزت الإعجاب. وكانت المسرحية الثانية مسرحية كوميدية بعنوان "يا تلحقونى يا متلحقونيش "، وفيها أسند إلى يوسف وهبى دور البطولة أمامه وأمام سامية رشدى واندمجت تماماً فى فرقة يوسف وهبى ، وأنا كل يوم أزداد خبرة ومعرفة بفن التمثيل، وأزداد نجاحاً، وكان يوسف وهبى لا يدخر جهداً فى إنجاح الفرقة بما يختاره من مسرحيات ذات مستوى فنى عال ، وبما فيها من مضامين إنسانية ، وسياسية ، واجتماعية حتى وصل بالفرقة الى ذورة شاهقة ، وشهرة واسعة لا فى مصر وحدها ، وإنما فى العالم العربى كله ... وحدث أن زار الفرقة ذات يوم شاب جزائرى، وعرفنا أن سبب الزيارة هو دعوة الفرقة لزيارة الجزائر، وتم الاتفاق بينه وبين (يوسف وهبى) وبدأت الاستعدادات للسفر . وكان مما لاحظته أن إجراءات السفر قد تمت بالنسبة لنا فى سهولة ويسر ، ودون بذل أى مجهود ... وعلمت أن الفتى الجزائرى لم يكن متعهد حفلات وإنما كان شخصية بارزة فى وطنه الجزائر ، وأن الدعوة جاءت حباً منه فى فن "يوسف وهبى" وقد عرفت أنه يدعى "بن جملين "وأنه من المقربين الى " بن بيلا " الرئيس الجزائرى ... وجاء يوم الرحيل ، فشدت الفرقة رحالها الى جولة فى شمال أفريقيا ، وزرنا خلالها تونس والجزائر ، وكانت هذه هى أول مرة أسافر فيها خارج مصر، لذا اكتسبت الرحلة فى نظرى رونقاً ، وجاذبية خاصة بما شاهدته من بلاد جديدة ، وما صادفته الفرقة من حفاوة على مستوى الشعوب والحكومات فى البلاد التى زارتها ، وبهرنى جو الحفلات الرسمية ، وذلك الجلال المهيب الذى يسودها وخاصة عند تبادل الكلمات ، وأذكر أنه فى تونس قام رئيس وزرائها أثناء حفل تكريم الفرقة بإلقاء كلمة ترحيب . ورد عليه يوسف وهبى بكلمه بليغة تأثرت بها جداً . وزادتنى إحساساً بعظمته وسمو تفكيره .. ووجدت متعة كبيرة فى هذه الرحلة ، خاصة عندما زرنا الجزائر ، فقد بذل " بن جملين " كل جهده ليجعل الرحلة ناجحة ، وليجعلنا سعداء مرتاحين ، والواقع أن هذا الشاب قد أثار وأثر فىَ تأثيراً كبيراً حقيقياً، وفيه شاهدت الرجل العصرى بصورة أثارت إعجابى ولاحظت منذ زيارته للقاهرة أنه يولينى عناية خاصة وأنه يهتم بى ويعاملنى بأدب ورقة، أحسست معها أنه يضعنى فى مرتبة عالية بصورة لم أعهدها فى الرجل الشرقى .وفى وطنه - الجزائر - كان يرتب لنا رحلات سياحية فى أنحاء البلاد ، وقد أحببت أنا هذه الرحلات وسرنى مشاهدة الجزائر التى أحسست أن لها طابعاً خاصاً مميزاً . وكان لـ "بن جملين" فضل تعليمى الرقص ، لأن الفندق

الذى نزلنا به ، كان يقيم حفلات راقصة فى إحدى قاعاته الفسيحة ، وذات ليلة دعانى " بن جملين " الى الرقص فاعتذرت بأنى لا أعرف الرقص ، ولكنه أجاب بلطف " هذا شئ هين ... خطوة يمين ، وخطوة شمال " ثم شرع يرقص معى ليعلمنى ، ومرة وراء المرة تعلمت الرقص وأجدته .. ولا أنكر ان " بن جملين " قد أفلح فى استمالتى ، وان كانت مشاعرى وقلبى لايزالان ملك " مصطفى هيكل " الذى كان قد سافر الى باريس للحصول على الدكتوراه ، وكنت أعرف أنه يقيم فى المدينة الجامعية بباريس، وقد دفعنى الحنين الى مصطفى هيكل الى التفكير فى زيارته منتهزة فرصة وجودى بالجزائر ، حيث كنت أستطيع السفر من الجزائر الى مرسيليا فى بضع ساعات ، ومنها الى باريس . وفاتحت (يوسف وهبى) فى رغبتى للسفر لزيارة خطيبى ، ولم يمانع الرجل وكل ما قاله لى محذراً : لا تصادقى أحداً فى الطريق أو فى باريس"، فهناك فى أوروبا عصابات لخطف البنات ، للمتاجرة بهم فى سوق " الرقيق الأبيض " . وقبل سفرى انتحى بى بن جملين جانباً وقال لى : " إن لك تأثيراً خاصاً علىّ ، فكل مرة أراك فيها أشعر بانجذاب شديد نحوك، وتملأ نفسى السعادة " ... وكان مما قاله إن أهم ما أعجبه فىّ هو اننى مزيج من المرأة الأوربية والمرأة الشرقية ، رغم أنى لم أسافر الى الخارج من قبل. ولاشك أن كلماته الرقيقة ، قد تركت أثراً كبيراً فى نفسى ، وإن كنت لم أتجاوب معه بنفس القدر الذى أبداه نحوى . سافرت الى باريس وفى راسى تحذير (يوسف وهبى) عن عصابات الرقيق الأبيض التى تخطف الفتيات ، مما جعلنى أتصرف بخوف وحذر شديدين . وقد بهرتنى باريس بضخامتها ، وفخامتها ، وجمالها ، وفور نزولى إليها غشينى شعور القروى المصرى الذى يزور القاهرة لأول مرة . وسرت على غير هدى ، ودخلت أول فندق صادفنى وكان أول ما صدمنى هذا الجمود واللامبالاة التى يتميز بها الإنسان الغربى نحو الغرباء ، وحجزت غرفة ، وبعد أن نلت قسطاً من الراحة نزلت ابحث عن مصطفى هيكل . وكان لانشغال الناس عن الناس ، ولضخامة باريس ولإلمامى الضعيف باللغة الفرنسية ، ولتحذيرات يوسف وهبى ، كان لكل هذا أثر فى سيطرة الشعور بالغربة علىّ . ولم أكن قد جربت شعوراً مثل هذا من قبل ... الغربة ... إنها وحشة فى القلب ، وفتور فى العواطف وملل وانقباض .. وفى الطريق صادفت رجلاً فرنسياً سألته عن " المدينة الجامعية " فأخذ ينظر الىّ " من فوق لتحت " ثم سألنى برقاعة : هل انت ايطالية ؟ لاأسبانية ؟ قلت لا انا مصرية وانطلقت مبتعدة عنه ، فإن كلمات يوسف وهبى أضاءت أنوارها الحمراء المحذرة فى رأسى .. وكنت أسير ، وقد إعترانى الاضطراب والخوف ، متوهمة أنه واحد من تجار الرقيق الأبيض ، وانه قد يتبعنى وينقض على ويخطفنى ، ولم أطمئن إلا بعد أن أصبحت المسافة بينى وبينه كبيرة وسرت ، والشعور بالغربة من كل شئ حولى يزداد الى حد جعلنى أخشى سؤال احد ... الى أن صادفت رجلاً زنجياً ،

والعجيب أن غربتى زالت حين رأيته ، فاقتربت منه وسألته عن المدينة الجامعية فضحك الشاب ... وهو يشير بإصبعه " إنها أمامك ... ها هى "، هذا روعى ، خاصة وأن الشاب الزنجى كان مهذباً بشوش الوجه ، وقال لى إنه ذاهب الى المدينة فهو أحد الدارسين فيها ... وسار معى ليدلنى على الطريق ، وعندما دخلنا ، قادنى الى (الاستقبال) للسؤال عن " مصطفى هيكل" واطمأننت حين أجابونى بأنه موجود ، وأنهم أرسلوا فى استدعائه ... وجاء (مصطفى هيكل) وما كاد يرانى حتى استخفة فرح طاغ ، الى حد أن ضمنى الى صدره ، وحملنى ، وأخذ يدور بى وهو يضحك كالأطفال وكانت سعادتى أنا أيضاً كبيرة بلقائه ، وأخذنى (مصطفى هيكل) الى كافتيريا المدينة الجامعية ، وهناك أقبل علينا بعض زملائه ، وهم يتصايحون ويظهرون دهشتهم وسرورهم بوجودى مع (مصطفى هيكل) وقال أحدهم معلقاً : - أخيراً نرى (راهب باريس) وبصحبته فتاة. وسأله آخر مازحاً :هل تركت الرهبنة يا راهب باريس .وعرفت أنهم يطلقون عليه هناك لقب " راهب باريس " لعزوفة الشديد على مصاحبه الفتيات والنساء مبرراً ذلك بأن له فى القاهرة " خطيبة " وأنه يحبها ولا يريد أن يخون هذا الحب فى باريس، وأشار (مصطفى هيكل) نحوى قائلاً لزملائه بافتخار : - هذه التى من أجلها ابتعدت عن النساء ... فأجابوه موافقين ، ومعلقين بقولهم إننى استحق كل هذا ، وأنه كان على حق فى موقفه ، وكانت هذه منهم مجاملة رقيقة وجهوها إلى شخصى ... وحانت لحظه الغداء ، فدعانى مصطفى هيكل ومن معه إلى تناوله ، وساروا الى المطعم ، وهناك تناول كل واحد منهم صينية - وكذلك أنا وساروا الى صف من النوافذ الصغيرة .الأول : يعطيك الخضار ، والثانى : يعطيك اللحم ، والثالث : يعطيك الفاكهة ... وهكذا حتى الشباك الأخير فيقدم لك زجاجة نبيذ ... وعلى الغداء عرفت من (مصطفى) أن وصولى جاء فى الوقت المناسب ، وأوضح لى ذلك بأن اليوم التالى يوافق ١٤ يوليو وهو عيد قومى عند الفرنسيين ، وأنه لذلك يتحتم على أن أخذ قسط من الراحة استعداداً " لعربدة " الغد. وبعد الانتهاء من تناول الطعام ، أخذنى الى الجناح الذى يسكنه وأخبر المشرفة على الجناح - وكانت فتاة فرنسية - ظريفة - بأننى خطيبته ، وأن عليها أن تعد لى غرفة فى بيت الطلبة - أقيم فيها اليومين أو الثلاثة أيام التى سوف أقضيها بباريس .... وكانت الفتاة الفرنسية غاية فى اللطف وهى تهنئنا على الخطوبة ، وقالت : لقد كنا نريد رؤية الفتاة التى من أجلها تحول هذا الشاب الى راهب (وراحت تسألنى عن موعد الزواج فى حفاوة وترحيب ولقد أحسست هنا أنى فعلاً فى عالم مختلف ، فلم أجد تزمتاً ، أو تدخلاً فى شئون الغير ، أو قيداً على حرية أحد ، إنها باريس مدينة النور الأوروبية ، والتى لا يشعر فيها الإنسان " بالزحمة " التى يحسها فى مدن الشرق، وبعد أن أطمأننت على مبيتى ، جلست أنا ومصطفى سويعات رائعة ، نستبصر خلالها الذكريات ، ثم انصرفت الى

غرفتى فى بيت الطالبات ، ودخلت الفراش وانا سعيدة بأننى سأرى ذلك الاحتفال الباريسى غداً ، وأحلم بقضاء يوم سعيد .والواقع الغد جاء لى بمهرجان فاق الخيال ، فكأنما الباريسيون جميعاً قد خرجوا الى الشوارع فى ذلك اليوم وتحولت طرق باريس الواسعة ، وميادينها الفسيحة الى قاعات رقص ومرح ، الجميع يرقصون ، ويشربون ، ويمرحون ، واستخفنى الطرب فى هذا الزحام الصاخب السعيد ، فطلبت من مصطفى هيكل أن يراقصنى .... ولكنه صدمنى حين أجاب انه لا يعرف الرقص !! ورغم أنى لم أكن قد تعلمت الرقص سوى منذ بضعة أيام ، إلا أن إجابته جعلتنى اشعر أنه كائن مختلف عنى بأجيال ... قلت أعلمك ... وبدات أشرح له الخطوات ، وأمرنه عليها ، وقد تقبل منى ذلك على مضض ثم جذبته وسط الزحام لنرقص ، وليتنى لم أفعل ، فلم يكن فى الواقع يرقص ، وإنما يدوس على قدمى مما سبب لى الألم والضيق ، والغريب أنى تبينت فى هذه اللحظة أن قامته اقصر من قامتى ... نظرت الى مصطفى هيكل – من عل – وكأنى أراه لأول مرة : رأيته قزماً ، نحيلاً ، حاد الملامح ، وحديثه معى دائماً منطقياً ، وعقلانياً ، علمياً ، لا تجد فيه دفء العاطفة ، ولا رقة العاشق . وأدركت لأول مرة وأنا فى قلب المهرجان الباريسى النشوان ، أدركت أن هذا الرجل الذى عبرت من قارة أفريقيا الى قارة أوروبا خصيصاً لأراه ، أدركت أننى .... لا أحبه ...!! وأحسست أن ريحاً باردة تجتاح أعماقى وفى قلب هذا الصقيع عرض على مصطفى هيكل الزواج كان يتحدث – وله الحق – وكان الأمر مفروغاً منه ، وانه من البساطة حيث لا يحتاج منى أكثر من البقاء – من ليلتى هذه – فى باريس بنية الإقامة الدائمة كزوجة للسيد المحترم ، راهب باريس .. مصطفى هيكل قلت له بجدية " دعنا نجلس فى مكان هادئ " فقادنى الى أحد مقاهى باريس وهناك اتخذنا ركناً منعزلاً لنتحدث . قلت له : " أولاً ... أنا لا استطيع ترك أمى وإخوتى وهم جميعاً يعتمدون علىّ ، وأنى لا أستطيع أن أتخلى عن ارتباطى بالفرقة وعن فن التمثيل ؛ وأنى لا أتقن اللغة الفرنسية ، وفوق كل ذلك فأنا لم أعد اشعر نحوك " بالحب " . فأجابنى بهدوء وتعقل " . هذا طبيعى .... فما دمنا نعيش فى بلدين مختلفين ، ولا أرسل لك رسائل ، فإن من الطبيعى أن تشعرى نحوى بعدم الحب ، لكن هذا الشعور وقتى – والبعيد عن العين بعيد عن القلب - ولكن مادامت العين ; رأت فان القلب سيعود الى الحب مرة أخرى" .وعلى هذا المنوال المنطقى جداً ، المتعلم جداً ، أخذ مصطفى يحلل مشاعرى مستنتجاً أنى أحبه فى الحقيقة ; وأن هذا الحب تعرض للتوارى نتيجة البعد ، وانشغال الذهن بالمطالب اليومية ، والعاطفة بالصداقات والمعارف المحيطين بى ، وأنه يدرك الآن مدى خطأه ; وسيحاول أن يعالجه فى المستقبل ... قلت له – وقد تحولت الى عاقلة أنا الأخرى – رغم بهجة الاحتفال :من الصعب أن أترك أهلى الذين أعولهم ، وبلدى الذى أحبه ، لأعيش فى باريس ; وانه من الصعب عليه ، بل

من المستحيل ، أن يعيش هو فى القاهرة ، وعلى ذلك فنحن من نوعين لا يلتقيان ..وراح يرد على ، آخذاً من كلماتى معانيها الحرفية، متجاهلاً امتدادها فى النفس ، وجذورها غير الظاهرة للعيان ، وبموضوعية شديدة أخذ يحللها مستنتجاً منها - كعادته - أنى أحبه فعلاً .... وأننا من نوعين قادرين على التلاقى والاندماج .قلت له وقد فاض بى : الحقيقة إن هناك امراً اخفيته عليك !! فسألنى : " ما هو ... ؟ " أجبته :هناك رجل آخر .... أحبه .ولم يرد وظل ناظراً نحوى مترقباً بقية الكلام فواصلت : رجل يدعى " بن جملين " التقيت به فى القاهرة وهو على قدر كبير من الثقافة ، ورقة الخلق ، وأحسست بانجذاب نحوه ، وشعرت بأنه الرجل الذى يناسبنى ، وأننى أستطيع أن أشعر بالسعادة معه ، ولكن نظراً لارتباطى به - أى مصطفى - بالخطوبة فإننى لم أعطه رداً شافياً ... وقلت: جئت الى باريس لأشرح لك كل هذا لأحلك من عهدى ، ولأتحلل انا منه كذلك... ولم يبدُ على هيكل أنه سمع عبارتى الأخيرة ، فقد أخذ يرد على قائلاً : من الطبيعى أن تشعرى نحوه بالميل ، فهو حولك يلاطفك ويجاملك ، وقريب منك ، ينمى شعورك نحوه بالميل وخاصة أن تجاهلى لك وعدم إرسال الخطابات جعلك - لاشعورياً - تتخذين موقفاً ضدى ، وان كل هذ تراكمات كمية تؤدى الى تحول كيفى سريع ، وكان التحول الكيفى السريع بالنسبة لك ، هو الشعور بالحب نحو هذا الرجل ، ولكن تأكدى أنه شعور وقتى سوف يزول ، وسوف نعمل سوياً على إزالته . كان يتكلم وهو لا يدرك أن هذا الحديث " العاقل " يبعدنى عنه أكثر وأكثر ، فقد حول الحب الى معادلة حسابية لا وجود فيها للعواطف ، والغرائز ، والميول الفطرية ....أهذه هى المادية الجدلية !!!؟ ....أم أن هذه هى الواقعية ؟..سواء كانت هذا أم ذاك فإنى أرفضه .... أرفضه لأنى أنتمى الى الروح ، وأنتمى الى الفطرة الإنسانية و إلى الوجود الحى، مسلمة بما فيه من غرائز ، وقوانين وعواطف ، والمشاعر .وفى اليوم التالى عدت الى القاهرة ، ولم ينس مصطفى هيكل أن يؤكد لى أنى أحبه ، وأنه سوف يواظب على مراسلتى لأتمكن من الحفاظ على هذا الحب ! .

أخذتنى القاهرة بدفئها ، وأهلها ، و مشاغلها ، ورحب يوسف وهبى بعودتى ، ووجدته مشغولاً بالإعداد لمسرحية " شهرزاد " ، وكانت عملاً ضخماً يجمع بين الدراما ، والاستعراض ، والغناء ، واندمجت مع الفرقة وانشغلنا جميعاً بهذا العمل الكبير، وفوق ذلك جاء على الحظ بعملين فى السينما ، فلم تمض أيام حتى كنت متعاقدة على فيلم " رنة الخلخال " وعلى فيلم " درب المهابيل " ... وواصل الحظ وجوده فتعاقدت على فيلمين آخرين هما " شادية الجبل " و " بنت البادية " .وكانت تجربتى فى فيلم " رنة الخلخال " تجربة فنية وإنسانية لا انساها ... فحينما زار محمود ذو الفقار فرقة يوسف وهبى ، وطلب منى الحضور الى مكتبه كدت أطير

فرحاً ، وتم التعاقد ، وحدد لى يوم التصوير .. وكان محمود ذو الفقار صاحب شركة "أميرة فيلم " للإنتاج السينمائى ، وكان أيضا هو المخرج والمؤلف وزوجته الفنانة (مريم فخر الدين) كانت هى بطلة الفيلم ، و(شكرى سرحان) هو البطل ... وفى بداية الأمر لم يكن دورى ذا اهمية كبيرة فلم أكن أنا البطلة بل مريم فخر الدين، ولم يكن الفيلم نفسه ذا أهمية عند محمود ذو الفقار . وسبب ذلك أن محمود ذو الفقار كان قد انتهى لتوه من تصوير فيلم " بنت الجيران " ، وهو فيلم ضخم حشد له كل الإمكانيات ، فمؤلف الفيلم كاتب كبير ، ومخرجه مخرج كبير ، وبطلته نجمة كبيرة ... وقد جاء تصوير فيلم " رنة خلخال " على فتات فيلم " بنت الجيران " - إن صح التعبير - ذلك أن محمود ذو الفقار كان قد أستأجر الاستديو لمدة ثلاثين يوماً ، ولكنه انتهى من تصوير " بنت الجيران " فى اثنين وعشرين يوماً ، ومن ثم وجد امامه ثمانية أيام من حقه استعمال الاستديو خلالها ، وعز عليه أن يضيع هذه الأيام ، وأن يهدم الديكورات الضخمة التى أقامها للتصوير ، ففكر فى استغلالها لتصوير فيلم "رنة خلخال " على الماشى .فكان أن استعان بذات الممثلين - مريم فخر الدين ، شكرى سرحان ، وعبد الوارث عسر ، للقيام بالبطولة فقط ، فوجد نفسه محتاجاً لفتاة صغيرة تقوم بدور زوجة لرجل كهل هو عبد الوارث عسر ، فكان أن تعاقد معى على القيام بهذا الدور ..وفى اليوم الأول ، كانت اللقطات التى أديتها صغيرة جداً - مشهد وكلمة أو كلمتين وتنتهى اللقطة - وحدث فى اليوم التالى أن كانت اللقطة طويلة نوعاً ما وبها حوار لا يقل عن نصف صفحة .... فأتاح لى هذا المدى أن أؤدى دورى بشكل لفت الىّ نظر محمود ذو الفقار ، واذكر أننى ما كدت أنتهى من تصوير اللقطة ويصيح المخرج " ستوب " حتى دوى المكان بتصفيق الحاضرين من عمال الإضاءة والكومبارس والممثلين ، ونظرت حولى وأنا فى دهشة غير مصدقة أن هذا التصفيق لى ... لى أنا .. الممثلة الصغيرة التى جاءوا بها " سد خانة ". وأقبل على محمود ذو الفقار مشجعاً . مادحاً تمثيلى مما غمرنى بالسرور والفرح ، ورايته بعد ذلك يتخذ مكاناً نائياً من البلاتوه ، ويجلس للكتابة ، وعرفت بذلك أنه بدأ يضيف الى دورى مشاهد جديدة وحواراً جديداً .وظل المخرج المؤلف ينمى هذا الدور يوماً بعد يوم حتى أصبح من الطول والأهمية بحيث حجب دور البطلة " مريم فخر الدين " ، وهنا لا أملك سوى التوقف لحظة لأعبر عن مدى اعتزازى وإكبارى لمريم فخر الدين . التى كانت من النقاء وكرم النفس بدرجة جعلتها ترحب بنمو دورى على حساب دورها .... فلا أذكر أنها غضبت ، أو خلقت لى مشاكل ، وهى البطلة وزوجة المخرج المنتج المؤلف ... بل وفوق ذلك كانت تحوطنى برعايتها وحبها ، وتمنحنى التشجيع على الدوام، والمخرج نفسه ، لم يجامل زوجته على حساب فنه، بل إن شكرى سرحان نفسه لم يعترض على الوقوف أمام ممثلة صغيرة ... فضربوا بذلك أروع مثال على إنكار الذات

والتمسك بالقيم الفنية الراقية ، وان الإنسان ليتساءل الآن : لماذا لم تواصل هذه القيم نموها بعد ان وضع الرواد بذرتها فى حقل الفن ، لماذا لم تزدهر وتطرح ثمارها وزهورها ، وتنتشر باريجها فى حياتنا الفنية الحاضرة ؟ لماذا .. ومن ضيعها ؟ فى هذه الفترة ... كنت أمثل أمام الكاميرا صباحاً فى البلاتوه ، وأمثل امام الجمهور مساءً فى المسرح، وكنت الاحظ اثناء التصوير ، وانا اقف تحت الأضواء أمام الكاميرا ، وجوهاً لفنانين ، ومخرجين ، ومنتجين ، وصحفيين ، ونقاد ، وجوه تأتى ووجوه تذهب وتقف قليلاً فى الضباب المحيط بدائرة الضوء المركز على موقع التصوير ، ثم تختفى ، وكان لها دلالة عندى أستسرها فى قلبى وأنتشى بها .. فإن هذا معناه " ميلاد نجمة " .. إن الحفاوة بالوجه الجديد ، كانت من أمثل السجايا التى يتصف بها كبار النجوم والمخرجين فى ذلك الحين ، والقصة التالية تبين حقيقة ذلك .. ففى ليلة العرض الأول لفيلم " رنة خلخال " استدعيت للحضور لمشاهده الفيلم مع باقى أبطاله .. ولما انتهى العرض أحاط الجمهور بى وهم يرددون اسمى ولم يستبد الغضب أو الحسد ، بأحد النجوم الكبار المحيطين بى ، وإنما ظهرت عليهم الفرحة بنجاحى الذى عبر عنه الجمهور بهذا التزاحم .. واشتد الزحام الى درجة تعذر معها أن أتحرك من مكانى ، فما كان من محمود ذو الفقار ، وشكرى سرحان إلا أن أحاطا بى : وقال محمود ذو الفقار لسائقه : " وصل المدام الى المنزل " وكان يقصد بذلك " مريم فخر الدين " واستطاع محمود وشكرى أن يشقا لى طريقاً وسط الزحام والناس فسرنا فيه بصعوبة وصعدا بى لسلم يقود الى حجرة مدير السينما ، وهناك أجلسانى ، وطلبا لى كوباً من الليمون ... وانتظرنا هناك قليلا حتى انفض الجمهور ، وساد الهدوء وانصرفنا . إن الفن ، والفن وحده كان هو السيد المطاع بالنسبة لجيل الرواد من الفنانين فحيثما وجدوه ، قدموا له الحب ، والولاء ، والرعاية .. إن الأسابيع القليلة التى أعقبت عودتى من رحلتى الى الجزائر ، قد تم خلالها تغير كبير فى حياتى ... وانتقالى من ممثلة مسرح الى " نجمة سينما " وكان بمثابة توهج فجائى باهر. وقد صاحب هذا النجاح انتقالى من حيث السكن من أرض شريف الى شقة على النيل فى المنيل ، وفى غمرة هذا النشاط وصل (بن جملين) قبل انقضاء الشهر الذى حدده . ولا شك انه وجدنى على حال غير التى عرفنى عليها ، فمن ممثلة فى فرقة يوسف وهبى الى نجمة سينما ، وضعت قدميها فعلاً على مدرج الشهرة ، حتى أنه ظل أياماً يتحين فيها الفرصة لأجد وقتاً لنتقابل على انفراد ... وكان الرجل صبوراً ، حاذقاً ، واسع الأفق ، ولا عجب فهو أحد الذين خططوا للثورة الجزائرية وكان احد قوادها ، فضلاً عن ثقافته الواسعة ذات الصبغة الأوروبية .وجاءت الفرصة أخيراً ، فذهب بى إلى مطعم تناولنا فيه الطعام ، ثم شرع الرجل يتحدث الىّ معبراً عن شعوره تجاهى ، وقال : إن أهم ما استلفت نظره نحوى أننى كنت مزيج من المرأة الشرقية

والمرأة الأوروبية ، وأنه وجد فيّ من المزايا ما يجعله يشعر بالراحة فى وجودى معه، وأبدى ملاحظة تتعلق بأسلوب إصغائى للحديث وهى أنى أضع عينى مباشرة فى عين المتحدث ، ولا أهرب بها ذات اليمين وذات الشمال ... واستنتج من ذلك أن لى طبيعة صريحة صادقة ، لا مكر فيها ولا التواء ، وهو لهذا يعجب بى ، ويقدرنى كان حديثة فى هذا اللقاء رقيقاً ذكياً ، وكان هو نفسه ذا جاذبية بشخصيته الهادئة الوقورة ، مما جعلنى أشعر فعلاً بالميل تجاهه. وتكررت اللقاءات بيننا بعد ذلك ، ونحن نشعر بالتقارب أكثر وأكثر ، وزارنا فى منزلنا الجديد ، بالمنيل، وتعرف على والدتى وإخوتى ، وقد استطاع أن يترك فى نفوس الجميع أثراً طيباً ، ولاشك أنهم هم أيضاً قد تركوا فى نفسه أثراً طيباً ، ولم تكن لقاءاتنا كثيرة فمشاغلى الفنية التى اجتاحت حياتى فجأة لم تكن لتسمح بذلك الى أن جاء يوم سفره الى بلاده ، فسألنى بماذا أحب أن يحضر المرة القادمة فأجبته " أريد أن تحضر لى اسطوانات الموسيقى الأوروبية ، وكتباً عن الجزائر . وأثناء سفره كانت رسائله تصلنى تباعاً ، وحديثة فيها يزداد حرارة ورقة ، ثم أخبرنى فى إحداها أنه آت الى القاهرة .ولم تمض أيام حتى عاد ، ولكنه لم يمكث سوى أيام قليلة وسافر .... ، وقد ظلت العلاقة بيننا تنمو ، وتتقارب ، حتى أصبح ينتهز أية فرصة تسمح بها مشاغله ، فيأتى الى القاهرة لرؤيتى ، بل إنه فى بعض المرات ما كان يمكث أكثر من يوم واحد ، وأحيانا يأتى الصباح ويسافر فى المساء .إن علاقتى بـ "بن جملين" جعلتنى أعيش فى حلم سعيد ، الى أن جاء يوم زارنى فيه بن جملين وعرض على الزواج صراحة ... وكأنما انطفأت الأحلام ، وغابت الشمس ، وهبت على ريح باردة ، ولم أستطع أن أعطيه رداً شافياً ... كان " بن جملين " قد جاء هذه المرة فى الصباح على نية أن يعود فى المساء ، لذا كان الوقت بالنسبة له ضيقاً ... ومع ذلك ، رغم أنى لا أحب الفسيخ ، فقد أعربت له عن رغبتى فى "أكله فسيخ " ولم يتردد لحظة فى تحقيق رغبتى وخرج من البيت ليحضر لى ما طلبت . لم يكن الرجل على دراية كافية بشوارع القاهرة وبالذات بمحلات الفسيخ ، فكان أن أنفق ساعات فى الخارج حتى أفلح فى الوصول الى محل "فسخانى" وأشترى كمية من الفسيخ وعاد بها . كانت رحلة البحث عن الفسيخ هذه قد ضيعت من وقته الكثير ، حتى لم يبق على موعد الطائرة سوى ساعات قليلة ، مما اضطره الى إعادة طلبه بالزواج منى فراوغته ، وقد امتلأ قلبى - رغماً عنى - بعزوف شديد عن الاقتران به، ووجدت حرجاً فى التصريح له فجأة بذلك ، وعلى غير توقع منه ، ولا منى أنا أيضاً . ولم يكن " بن جملين " بالرجل اللحوح المتسرع ، ولكن ضيق الوقت ، ورغبته العارمة فى الحصول على موافقتى قبل سفره ، قد أخرجاه عن طبيعته ، فواصل الإلحاح والسؤال مؤكداً ضرورة البت فى الموضوع قبل سفره ..وكانت والدتى تتابع هذا الموضوع وهى فى دهشة شديدة من موقفى هذا ، وكانت حيرتها لا تقل عن حيرة (بن جملين)

إزاء هذا النفور الذى أبديته عن فكرة الزواج . وانتهزت أمى فرصة دخولى الى إحدى حجرات المنزل فدخلت ورائى وقالت لى : ماذا أصابك ... يجب أن تعطى الرجل رداً الآن كما طلب منك ... الست تحبينه .. ؟!وكأن أمى بهذا السؤال قد أشعلت فتيل القنبلة ، فلم أملك السيطرة على أعصابى ووجدتنى أصرخ ، وأصيح : " لا أريد الزواج .. لا أريد الزواج .. أنالا أحبه ... ولا أريد أن أرى وجهه مرة أخرى .. " وظلت أمى تحملق فى وجهى صامتة مندهشة ، وقد أفزعها صراخى على هذا النحو المفاجئ الغريب .. كنت أقول ذلك وأنا أصرخ بصوت عالى ، أسمع كل من فى البيت ، دون مراعاة لوجود (بن جملين) فى الحجرة المجاورة .. وعندما خرجنا كان قد ذهب .. وأدركت أنى فقدته الى الأبد .. وإذا سألنى سائل وقتها عن سر هذا التصرف لما وجدت الإجابة ، فأولا مصطفى هيكل والآن بن جملين،مع أنى أكن لكل منهما كثيراً من مشاعر التقدير والإعجاب بما يمتاز به كل منهما بمزايا عقلية وخلقية تجعله محط الإعجاب والتقدير . ولا ازعم أنى أعرف سبب الرفض ، بل والأعجب أنى لا أعرف سر الهيستريا التى أصابتنى عندما عرض على بن جملين الزواج . ولم أفكر فى ذلك ... إذ يبدو أن للتفكير وقتاً لم يكن متاحاً فى تلك الأيام البعيدة ... فقد أصبحت نجمة تعيش تحت الأضواء ليل نهار، دوامة النور أخذتنى ووجدت نفسى فى غمرتها أدور معها وأنا سكرى بإقبال الدنيا علىّ . فى هذا الوقت بدأت أنشغل بالتصوير فى فيلم " بيت الله الحرام " وفيلم " حياة غانية " ، وكان منتج الفيلمين هو محمود سمهان ... الصحفى البارز ولم أعرف - أنا - التى هربت من الزواج بمصطفى هيكل و بودجملين ، إنى سأتزوج محمود سمهان ، فلم يكن فيه ما يميزه عن السابقين، كان محمود رجلاً صعيدياً على طبيعته ، ولم يدر بينى وبينه أى حوار عاطفى ، ولقاءات غرامية ، بل كنا دائما نلتقى فى مكان التصوير بوصفه المنتج وبوصفى بطلة الفيلم الذى ينتجه ... وحدث أن كنا نصور فى " أبو رواش " فى يوم شديد الحرارة . ولأننا فى الصحراء فقد كان الحصول على الماء متعذراً ، وبالذات إذا كان المطلوب ماءً مثلجاً يشفى الغليل ...وانتابنى ظمأ شديد ، وأفصحت فى جملة عابرة - أثناء التصوير - عن شوقى لكوب ماء بارد ... وكنت بقولى هذا أعبر ولا أطلب ، فإن الطلب غير منطقى ، وغير مستجاب فى هذه الصحراء الحارقة . ورغم ذلك واصلنا جميعاً الهمة بعمل لا يعرف التراخى . وانتهى تصوير آخر لقطة ، وأعلن المخرج الانصراف للراحة قليلاً . وجلست فى ظل شجرة هناك والهواء الساخن يهب على فيؤجج أشواقى الى حفنة من الماء البارد .كنت مرهقة فأغمضت عينى قليلاً استجلاباً للراحة وفتحتها فجأة فإذا بكوب من عصير المانجو المثلج تحت عينى ...ظننت نفسى فى حلم ، وأطبقت على الكوب، ثم رفعت عينى الى صاحب اليد التى قدمها وطالعنى فى الهجير وجه محمود سمهان .. الذى تبسم قائلاً بصوته الغليظ : "تفضلى "رفعت

الكوب الى فمى بلهفة وأخذت الرشفة الأولى .. وحتى الآن ، وعلى كثرة ما ذقت من أطايب الحياة ، فلا أذكر مذاقاً أشهى ولا أعذب من هذا العصير الذى شربته ذات يوم قائظ فى صحراء أبو رواش .حدث هذا فى الأيام الأولى من بداية التصوير ، وبعد ذلك بيوم أو يومين - وكان موقع التصوير لا يزال بأبو رواش - تأخرنا هناك الى المساء ... والكل يعرف أن المناخ الصحراوى حار بالنهار ، بارد بالليل وكان طبيعياً أن أشعر بالبرد ، فمررت بيدى على ذراعى كما يفعل كل من مسته قشعريرة البرد ، وفوجئت بمحمود سمهان يخلع جاكتته ويضعها على كتفى ثم دعانى الى ركوب عربته ، وكنا لحظتها نتأهب للعودة بعد انتهاء العمل . جلست فى العربة ، وأنا أشكر لسمهان سريان الدفء فى بدنى وفى الطريق ... وكان هو جالساً بجوارى . قال لى فجأة وبدون عبارات منمقة: " تيجى تتجوزينى "، فلم أتردد لحظة ووافقته . وبالفعل تم الزواج بعد أيام قليلة من تلك الليلة ، رغم الفارق الكبير فى السن بينى وبينه ولم يقدر لهذا الزواج أن يدوم لأكثر من شهر واحد فكأنما هو الآخر كان " لقطة " سينمائية بدأت وانتهت لحظتها . وبالطبع كان وراء ذلك أسباب ، لم تكن فى حسابى ولم تخطر على بالى يوم وافقت فرحة الزواج منه ، ظننت أن حياتى ستصبح أكثر متعة بالزواج ، وأن انتقالى من حال الفتاة الى حال السيدة سيمنحنى قدرة أكبر على الحركة والانتقال ، فمثلا كان من أمنياتى أن أرى القاهرة بالليل ، وان أتجول فى شوارعها الهادئة وما كان هذا ممكناً لى، وأنا فتاة صغيرة عذراء ، مما كان يدعو أخى أن ينتظرنى كل ليلة فى المسرح ليعود معى الى البيت ، أما الآن وأنا " مدام سمهان " فإن باستطاعتى أن أفعل ذلك ولا حرج علىّ، ولكنى فوجئت بعكس ما ظننت، فما كان متاحاً لى وأنا عذراء أصبح مستحيلاً وأنا زوجة ، وتكشف لى أن محمود سمهان الصحفى اللامع ، والمنتج السينمائى ليس فى حقيقته سوى رجل صعيدى يرضخ تماما لكل ما فى الصعيد من تقاليد صارمة، ومنها أن المرأة لاحرية ولا رأى لها على الإطلاق ..فما كاد ينتهى التصوير - وقد انتهى سريعا - حتى ألزمنى البيت ، وحرم على الخروج بتاتاً ، فإذا حدث ودق جرس الباب وفتحته أنا ، وكان الطارق رجلا غريبا تعرضت للتأنيب والزجر ، واذا أردت الخروج للتنزه أو لزيارة صديقة من صديقاتى منعنى ، بل إن محادثاتى التليفونية نفسها كانت تحت رقابته . فعل محمود سمهان ذلك وكأنما قد انمحى من ذاكرته تماما انى نجمة سينمائية ومسرحيه مشهورة ، وأنى نلت قدرا من الثقافة والنجاح فى الحياة يجعلانى أهلا لأن اعتمد على نفسى ، وأن يعتمد الآخرون علىّ . وليته وقف عند هذا الحد ، بل زاد على الحبس بأن منع أحداً من زيارتى ، وفاته أن السجين نفسه يسمح له بالزيارة ..ثم اكتشفت شيئاً آخراً أطاش صوابى ، كان مكتبه يقع فى ذات العمارة التى نسكن فيها ، وكانت هناك "توصيلة " تليفونية من المكتب الى الشقة، فإذا طلبنى أحد كان هو الذى يرد عليه. وحدث

يوما أن كان غائباً عن المكتب ، والتوصيلة محولة - بالصدفة - على الشقة ، ورن جرس التليفون فلما رفعت السماعة وجدت على الطرف الآخر صحفيا من أصدقائى فقلت له معاتبة على الفور : " أين أنت ... لماذا لا يسأل عنى احد أو يتصل بى " فأجابنى الصحفى بان زوجى يرد على كل من يطلبنى بالتليفون فإن كان منتجا أو مخرجاً أو صحفيا قال له : انك اعتزلت التمثيل ، وزاد الصحفى على ذلك قوله إن زوجى هدد كل من يحاول الاقتراب منى من الصحفيين بالضرب ... وعندما أبديت دهشتى من ذلك ، وأفهمت الصحفى انى لم أكن أعلم شيئاً ، انهال الصحفى بالشتائم يصبها على (محمود سمهان) ووصفه بأوصاف غير لائقة ... وأنهى مكالمته بتحذيرى منه ومن شراسته وقسوته وغلظة طبعه ... لم يعد يزورنى فى منفاى عدا والدتى وإخوتى ، وسيدة شخصية واحدة من الوسط الفنى هى " علية اللبيسة " وهو اسم التى تقوم بإلباس الممثلات ثيابهن فى الاستديو ..وكانت كلما أبديت دهشتى بعدم اتصال أحد من المنتجين أو المخرجين بى كنت أراها تخفض رأسها ولا تجيب إلى أن قالت لى يوما : " بصراحة ياست ، الأستاذ محمود بيقول كل من يسأل عنك ، انك اعتزلت التمثيل ، وانك لن تمثلى بعد اليوم " .اذن فقد وقعت فى مصيدة!! ، ودخلت جهنم من باب مكتوب عليه جنة رضوان ... وأصبح الحال ينحدر من سئ الى أسوأ، ففى البداية كان معى قليل من المال أودعته عند والدتى ، غير ما كان لى فى البنك وبعض الأقساط المتأخرة لدى المنتج ، وكنت أنفق من هذا القدر دون ان أطلب من زوجى شيئا ولم يحاول هو أن يقدم لى مالا ، من تلقاء نفسه ، وكنت لا أهتم فليس بين الزوجين حساب، وكلما نفذ المال منى ، سألته أن يعطينى " مصروف البيت " فقدم لى مبغاً ضئيلا من المال ، وأصبح هذا عادته ، كلما سألته فكان يخرج - مثلا - جنيهين من جيبه - يعطينى منهما واحدا ... وبدأت صحتى تهزل ويصيبنى الدوار بين وقت وآخر من شدة الإرهاق .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل جاء يوما وأخذ من يدى أساورى الذهبية .. لأنه كتب شيكات بدون رصيد وعليه ان يدفع لأصحابها وإلا دخل السجن. وبعد أن كنت أقضى وقتى كنجمة سينمائية تحت الأضواء يتصاعد اليها تصفيق الجماهير كل ليلة على المسرح ، ويحيط بها إعجاب المخرجين والممثلين فى البلاتوه ، وتتحدث عنها الصحف بوصفها " ملكة الإغراء " ، و"خليفة فاطمة رشدى" أصبحت قعيدة البيت . بعد كل هذا تم اختطافى فجأة من قلب النورالى قلب الظلام . وأصبحت أقضى وقتى أمام طشت الغسيل ، أو أقضيه منكبة على كومة من الأرز أنقيها ، استعدادا لعمل الكشرى ، وأحيانا كنت أجلس وحيدة صامتة ، تتردد فى ذاكرتى أصداء التصفيق الذى كان يغمرنى على المسرح وأتساءل من يصدق ان ملكة الاغراء تجلس وحيدة بعد أن هدها شغل البيت . وبطبيعة الحال ، أصبحت العلاقة بينى وبينه متوترة على الدوام ، وقلت له مرة - بعد مكالمة الصحفى - ألا يطلبنى أحد

يسأل على ، الا يسأل عنى أحد من المخرجين أو الصحفين ، فأنفجر غاضبا وقال " لا يطلبك أحد فما هو المطلوب منى .. هل أذهب الى المخرجين فأرغى وأزيد ، وزعم انه كاذب ، ...فرددت عليه : " لابد أن أذهب بنفسى لأرى " وحين قلت ذلك ضربنى ..وكانت أمى تزورنى وترى ما يحدث لى ، ولكنها كانت دائما تدعونى الى الصبر ، عسى أن ينصلح الحال ، وأصبحت بعد أن نفد ما عندى من المال - تأتى ومعها علبة السجائر - وبرغم ضيق ذات اليد ، وكانت تقدم لى قدرا ضئيلا من المال بين الحين والحين ، على أن أمى نفسها لم تنج من يد (محمود سمهان ، فقد جاء على أساورها الذهبية هى الأخرى ، ليفك بها ضائقة من ضائقاته الكثيرة ويوم بعد يوم بدأ يزداد ضراوة وأصابت ناره كل من كان قريبا منى - وهما والدتى وعلية فقط. ففى ذات ليلة كانت علية فى زيارتى ، ونشب خلاف بينى وبينه ، فإذا به فى حدته وغضبه يرفع يده ليهوى بها على وجهى ، فاذا بعلية تمسكها قائلة : " مثل الست لايكون الحديث معها هكذا .. إنها نجمة ، ويجب محادثتها " فما كان منه إلا أن شتمها وضربها ، وطردها . مسكينة (علية) تحملت من أجلى الكثير ، فقد كانت - رحمها الله - تحبنى حبا جماً ، وكانت مثالاً للوفاء ومتانة الخلق .ووصلت الى حال لم أعد أطيق معه البقاء فى هذا البيت وعندما زارتنى أمى شكوت اليها ما أعانيه - وهى بلا شك تعرفه - وأبديت رغبتى فى الطلاق، وكانت أمى مثالا لربة البيت المصرية التى تعد عندها كلمة (الطلاق) من الكبائر ، فقدمت الى بعض النصائح التى تقدمها الأم لابنتها فى (بيت العدل) وكلها تدور حول وجوب تحمل المرأة لزوجها والصبر على نكد الدنيا ، وما الى ذلك من النصائح وعبارات تطيب بها خاطرى وتواسينى ... ورغم أن أمى كانت تردنى كلما أبديت لها رغبتى فى الطلاق ، إلا أن تصميمى على الانفصال يزداد تأكيداً وصلابة ، الى أن حدث ذات ليلة ان نشب شجار بينى وبين زوجى ، وكانت أمى فى حجرتها ، ومع أن صوت الشجار وصل مسامعها ، إلا أنها لم تتدخل ، فقد كان رأيها انه لا يصح التدخل - وبالذات من الأم - بين الزوجة وزوجها .. وتطور الشجار من الكلام الى الضرب ، وكان هو الضارب طبعاً ليس أنا ، وعلا صراخى ، ومع ذلك لم تتدخل أمى فى الموضوع ولما زاد بى الألم ، هربت من أمامه الى حجرة أمى ، وحال دخولى وجدتها تسد أذنيها بالوسادة حتى لا تسمع صراخى ، ارتميت فى أحضانها ، فضمتنى مواسية ... ولم يمض سوى وقت قليل حتى دخل محمود سمهان الى الحجرة وطلب منى النهوض والعودة الى حجرتى ، رفضت وأفهمته أنى سأبيت ليلتى هنا بجوار والدتى، وإزاء إصرارى ، تركنى وانصرف ... قلت لأمى " هل رأيت الآن بعينك لم يعد فى إمكانى البقاء فى هذا البيت ... لم أعد أحتمل . ومنذ تلك الليلة ... بدأنا نضع خطة الهروب... وكان أول ما حرصت عليه ، وأنا أتدبر الأمر ، الا يمس سمعتى شئ ، فهروب زوجة من بيت الزوجية قد يحمل الكثير من سوء الظن ، خاصة من قبل زوج ينحدر من

أسرة ثرية من أسر الصعيد لها طباعها وتقاليدها الصارمة ... ورأيت ان الضمان الوحيد الذى يمنع عنى السنة السوء ، أو فطنة السوء ، هو والدتى ، ولهذا حرصت على ان تكون معى فى كل خطوة من خطواتى بداية من الخطوة الأولى خارج عتبة البيت ..وكان لابد من الحذر والتدبر، وإلا فشلت الخطة ، وتعرضت منه للتنكيل وتشديد الحصار والرقابة، فكان أن اتفقت مع (علية) على ان تحجز لى غرفة بسريرين فى أحد الفنادق ، فذهبت (علية) ثم عادت واخبرتنى أنها حجزت لى حجرة فى فندق " هورس هوس " بالزمالك . فطلبت منها ان تذهب وتحضر تاكسى فإذا جاء تركته فى مكان قريب ، ثم تأتى لتأخذ الحقائب وتضعها فيه ... وقد فعلت (علية) كل ما طلب منها بالتمام ، وبعد أن حملت حقائبى ووضعتها فى التاكسى ، خرجت والدتى ، وركبت هى وعلية ومكثا فى انتظارى ... ثم غادرت البيت بمفردى ، وذهبت الى التاكسى الذى تحرك فور دخولى فيه . وجن جنون (محمود سمهان) وأمسك بخناق (علية) يستجوبها ويسألها : أين أختبئ ، ولكن علية انكرت أنها تعرف عنى شيئاً ، وحاول هو بكل الوسائل أن يجعلها تفشى مكان إقامتى ، ولم يفلح .

وكان (محمود سمهان) قد ذهب الى بيت والدتى ولكنه لم يجد أحدا ، وعندما جاءت علية وأخبرتنى بما فعله معها نبهتها الى وجوب الحذر الشديد عند زيارتى ، فإنه ماكر وقد يتتبعها الى الفندق ..ومكثت مختبئة بضعة أيام دون ان أتصل بأحد ولا أحد يتصل بى ، وذات يوم كنت أجلس أنا ووالدتى فى صالة الفندق نتسامر ، فقالت والدتى " ها قد وصل " فسألتها: من؟ فأجابت : (محمود سمهان)، ظننتها تمزح أو تحاول العبث بى فضحكت وأنا أقول " هيه وهل هذا معقول " وأدرت رأسى فإذا بى وجهاً لوجه أمام (محمود سمهان) . فقلت له على الفور: " إسمع لابد لك من أن تطلقنى " .... فرد على قائلاً : "أنتى زوجتى ، واذا لم تنهضى معى الآن ، فإنى سأستدعى الشرطة تأتى بك الى البيت فخير لك أن تأتى.. بدلا من البهدلة " ... فأجبته " اذا لم تطلقنى سأتصل بأبيك فى البلد ، وأخبره الحقيقة وأنت تعلم أنهم لو علموا هناك أن زوجتك هربت فسيركبك العار ، وتضيع كرامتك عند أهلك ... أدركت أنى أصبت الوتر الحساس لما بدا عليه من خوف وتردد ، فرحت أعزف على ذلك الوتر ، وبدا هو يبدى جانب من اللين ، ويطلب منى العودة ، واعداً بأن الذى حدث لى لن يتكرر ، وأنى لن أجد معه سوى ما يرضينى ويسرنى . ولم أنخدع بمعسول كلامه ، وصممت على الطلاق ، ولكنه واصل الإلحاح وبذل الوعد ، وإذ ذاك قلت له إن كنت تريد عودتى اليك ، فشرطى الوحيد لذلك أن تكون العصمة بيدى ، فأبى موافقته على هذا الشرط ، وانصرف ..فى اليوم التالى حدثنى فى التليفون ، وبدأ يتداول معى على موضوع الزواج والطلاق ، ثم قال " لاداعى لموضوع

العصمة هذا، فأنت تعرفين أن هذا عيب عندنا فى الصعيد "...فأجبته : " اذن أنت لم تتغير .. باى باى .. " ووضعت السماعة ، فلم يجد (محمود سمهان) بداً من النزول على رغبتى ، فكان أن تمت العودة إليه والعصمة فى يدى ...ولم تمض سوى أيام قليلة ، فاتحته فيها برغبتى فى الخروج للتمثيل .. ولكنه رد على بخشونة،رافضا طلبى ، زاعماً أن الزوجة يجب عليها طاعة زوجها والبقاء فى البيت فلا خروج ولا تمثيل ... " اذن أنت لم تتغير ، ولازلت كما أنت أنانياً ، مراوغاً ، ولا تريد ان تفى بوعدك " بهذا رددت عليه غاضبة ، فأثاره قولى وافقده أعصابه فانهال على شتماً وحاول أن يضربنى ... وفى اليوم التالى ذهبت إلى مكتب أحد المحامين ، ومعى ورقة الزواج ، وكنت قد أخفيتها فى بيت والدتى حتى لا يسرقها منى ، وطلبت من المحامى أن يقوم بإجراءات الطلاق بعد أن شرحت له بإيجاز كل ما جرى بينى وبين (محمود سمهان)، وبعد ذلك أردت أن أطلب سمهان فى التليفون لأقول له أنى سوف أطلقه ولكن المحامى نصحنى بأن اترك هذا له هو - أى المحامى - وبالفعل طلبه على التليفون ، وبدأ معه حديثاً هادئاً ، شارحاً فيه أن الأمر كلما تم بهدوء وبعيداً عن الانفعال كان هذا أفضل له ، فلا يعرض نفسه لألسنة الناس ، خاصة وأن له أعماله وعلاقاته فى السوق ولكن محمود سمهان أرغى وأزبد ، ولم يتقبل الأمر بهدوء ، ووضع المحامى السماعة ، وأخذنا أنا وهو نتداول فى الأمر .وفجأة جاء أخى ليقول لى انه ذهب الى بيت والدتى فى المنيل ولكنه وجد الدماء تملأ الأرض من باب الشقة الى الأسانسير وأردت أن أذهب من فورى الى بيت والدتى لأرى ماذا حدث ، ولكن المحامى كان شهماً ، فطلب منى عدم الذهاب والبقاء فى مكتبه ، حتى يذهب هو ليرى بنفسه ما هنالك. وفى اليوم التالى نشرت جريدة (آخر ساعة) بالمانشيت العريض " منتج سينمائى ينتحر من أجل ملكة الإغراء " وكان محمود سمهان بالفعل قد حاول الانتحار فإنه بعد محادثته التليفونية مع المحامى ظن أنى فى بيت والدتى ، فذهب الى هناك ثائراً ، وعند باب الشقة قطع شريان يده ، ولكنه فيما يبدو حين رأى الدماء تنزف منه بغزارة هبط مهرولاً الى الطريق ، وهناك حمله الناس الى المستشفى ، وتم إنقاذه من الموت . وقد مضى المحامى فى الإجراءات ، ونلت حريتى فى النهاية، فكأنما أخرجت من غيابات جب سحيق مظلم ، لأرى من جديد ضوء الشمس . إن الأيام التى أعقبت طلاقى من محمود سمهان مرت فى هدوء ، أما مشاعرى فكانت مزيجاً من الحزن والفرح .. الفرح لخلاصى من حياة بغيضة ، والحزن لأن شهراً مر دون أن يتصل بى أحد من الوسط الفنى . ولاشك أن انقطاعى عن التمثيل ، واختفاء أخبارى من الصحف ، فضلاً عما كان يذيعه محمود سمهان من أنباء اعتزالى التمثيل ، وتهديده لكل من يحاول الاتصال بى ، لاشك أن هذا كله كان وراء ما لقيته من إهمال أهل الصحافة ، وأهل الفن . ومرت الأيام ثقيلة ، وأنا أترقب يوماً بعد يوم أن يطلبنى أحد

المخرجين أو المنتجين لأمثل فى فيلم أو مسرحية الى أن جاءت علية ذات يوم وقالت لى إن (رمسيس نجيب) يسأل عنى وفهمت من الحوار الذى روته لى ، والذى دار بينها وبين رمسيس نجيب أن (علية) كان لها الفضل فى تذكيره بى . وأعادت هذه الدعوة الآمال الى قلبى ، والحيوية الى بدنى الذى كان قد أرهق لكثرة ما أصابنى من هموم وحزن خلال أيام زواجى .وذهبت الى مكتب رمسيس نجيب حيث وقعت عقد لتمثيل فيلم " سلطان " وكانت معى فى هذا الفيلم ، نادية لطفى و أذكر أنه كان أول فيلم لها وكان الممثلون الآخرون هم فريد شوقى ، وتوفيق الدقن ، ورشدى أباظة ، وسميحة توفيق ...بعد ذلك بدأ الزمن يبتسم لى مرة آخرى ، ففى خلال تصوير فيلم " سلطان " تعاقدت على تمثيل فيلم " نداء العشاق " الذى أعتبره البداية الحقيقية لى كبطلة من بطلات السينما .. والحقيقة أن يوسف شاهين - مخرج الفيلم - قام بتلقينى " أصول الصنعة " ، وأعتبره صاحب الفضل فى تعليمى الكثير من أسرار التمثيل أمام الكاميرا وبذلك جعل منى ممثلة سينما . وهذا أحد ثلاثة كان لهم فضل صقل موهبتى، الأولان زكى طليمات ويوسف وهبى فى مجال المسرح ويوسف شاهين فى مجال السينما وبعد " نداء العشاق " مثلت فيلم " فضيحة فى الزمالك " أمام عمر الشريف، وبهذه الأفلام حققت الشهرة والنجومية وبدأت حياتى تتخذ شكلا جديداً ومساراً جديداً . وبداية ذلك كان دعوتان من سفارتين أحدهما كانت سفارة الهند لحضور احتفال هناك . ولأن الدعوتين جاءتا فى وقت واحد ، فقد كان على أن أختار إحداهما وقد اخترت سفارة الهند . كانت هذه هى المرة الأولى فى حياتى التى اتعامل فيها مع الدبلوماسيين ، وعندما دخلت السفارة وجدت السفير وزوجته فى إستقبال المدعوين . كما تقضى التقاليد صافحت السفير وزوجته وقد احتفيا بى حفاوة بالغة . وكان الحفل قد أقيم لوداع السفير اليوغسلافى ، أقامه سفير الهند ، وكان السفير الهندى يدعى مستر بانل وزوجته مسز بانل ، وقد استولى على مشاعرى ما لاحظته من أدب جم ورقة بالغة فى التعامل ، وما امتاز به الحاضرون من ظرف ورقة . وكان مما أسر فى مشاعرى قول السفير العائد إلى بلادة أثناء إلقاء كلمته أنه لم يدرك أنه سيئ الحظ سوى الآن . ففى ذات اليوم الذى يعرف فيه النجمة برلنتى عبد الحميد هو ذات اليوم الذى يرحل فيه عن مصر . وقد ردت " مسز بانل " زوجة السفير الهندى بقولها إذا كنت أنت سيئ الحظ فنحن سعداء الحظ لأننا تعرفنا عليها وسنبقى فى بلادها . وقد قامت بينى وبين مستر بانل وأسرته صداقة حميمة بعد ذلك ، فقد كانا مثالا للرقة والذكاء ، وسمو الخلق .. وتطورت هذه الصداقة حتى أصبحت وكأنى واحدة من أسرة مستر بانل، وكان من عادتهما عند إقامة الحفلات أن يقفا فى نهاية السهرة لتوديع الضيوف . ولم أكن أقف فى طابور المنصرفين بل أقف قريبة منهما لكى نكمل السهرة معاً فى جلسة عائلية . وفى هذه

الحفلة الأولى ، دخلت القاعة كالتائهة فأنا لا أعرف أحداً من الموجودين ولكنهم كانوا على قدر من اللباقة ورقة الشعور بحيث أحسست بعد قليل وكأنى أعرفهم معرفة وثيقة . وسرنى جدا أن أصادف هناك رشدى أباظة فها هوا ذا واحد أعرفه، كان رجال السلك الدبلماسى إذا عرفوا أنى ممثلة سينما ، أحاطونى باحترامهم . وقد حدث أن وقف الى واحد منهم ، ثم جاء آخر وشارك فى الحديث ، ثم جاء ثالث .. وهكذا حتى وجدت نفسى أقف وسط دائرة كبيرة من الرجال والنساء وأنا أتحدث إليهم . بهرنى الجو الجديد وأثار أعجابى ، أنى أصبحت ألبى كل دعوة من دعوات السفارات، وأصبح لى كثير من الأصدقاء والعاملين فى السلك الدبلوماسى وزوجاتهم . كانت تلك الفترة بالنسبة لى هى فترة التألق بل والتوهج، ليس فنيا فقط بل إجتماعياً أيضاً على النحو الذى سبقت الأشارة إليه. وبالطبع كان للصحافة دورها المؤثر فى حياتى . وبمناسبة الحديث عن الصحافة فقد لفتت نظرى ظاهرة أثارت دهشتى وتأملاتى فى حينها وأنتهز الفرصة للحديث عنها الآن . ذكرت أن فيلمى " بيت الله الحرام " و " حياة غانية " تم تصويرهما خلال شهر واحد وبعد ذلك تم عرضهما معاً فى وقت واحد . وكان دورى فى بيت الله الحرام دوراً جديداً من جميع النواحى الدرامية والدينية والتاريخية ، وفوق ذلك كان باللغة العربية الفصحى وقد تدربت على ما فيه من حوار تدريباً صحيحاً متقنا . ومع ذلك حضرنا عرض الفيلمين ، كان حديث الصحافة ينصب أكثر على فيلم "حياة غانية " وكم تناول دورى فى " بيت الله الحرام " سوى قلة من النقاد والصحفيين . أما دورى فى حياة غانية فقد كان له الخطوة الكبرى عند الصحافة وأفاضوا فى الحديث والصور عن أساليب الفتنة والأغراء التى أبديتها فى هذا الفيلم ، وبسببه أطلقوا على " ملكة الأغراء " أما فى قرارة نفسى فقد كنت أرى أن دورى فى فيلم " بيت الله الحرام " الأولى بالنقد والمدح . والغريب أنه لم يكن يخطر ببالى أثناء تمثيل فيلم " حياة غانية " كل ما قيل عنى فيه بعد ذلك . فلم أتعمد الإغراء أو أن أكشف أجزاء من جسمى وكل ما كان يشغل فكرى هو دور يتطلب اداؤه أن أبدو بالصورة التى بدوت بها فى الفيلم، فضلا عن أنى أؤمن بأن الإغراء ليس عرياً وإنما هو فن من فنون النساء ربما أحتاج إتقانه إلى الإخفاء أكثر من الإظهار. أما العرى فإنه عمل لا فن فيه ولا جمال بل ولا إغراء ... أنه ابتذال لمفاتن المرأة وكنوزها .

ندوة الخميس :

إن حياتى منذ طفولتى إلى مطلع الشباب كانت - برغم قسوتها أحيانا - تمتاز بميزة طيبة ، ذلك لأنى صادفت فيها أحوالا ورجالا زرعوا فى طبيعتى الميل إلى المعرفة، وساعدت على نمو فضولى الفطرى إلى الثقافة ، فأبى الذى كان يحرص على أن يبدو فى صورة الرجل العصرى المثقف القارئ ، ثم مصطفى هيكل صاحب الطبيعة الجادة، والميل إلى الفهم والمعرفة والحرص على أن يزودنى فى كل لقاء بقدر من الثقافة وأن يعطينى كتاباً لأقرأه .

كل هذه الظروف تفاعلت مع ما فى طبيعتى من الميول الأدبية التى أفصحت عن نفسها فى محاولاتى المبكرة للكتابة ، ودخولى المعهد، قسم النقد الأدبى كما أسلفت القول ونتيجة ذلك أن أصبحت القراءة عادة يومية من عاداتى أحرص على ممارستها عدة ساعات ولكن حين دخلت الحياة الفنية، وأنشغلت بالتمثيل والأضواء ، بدأت هذه الساعات تتقلص إلى ساعة أو ساعتين ، أما حين أصبحت نجمة مشهورة فأن أوقات القراءة أصابها الضمور فأصبحت ساعة ، أو بعض ساعة ، أو دقائق لا تزيد عن العشر ثم أصبحت لا شئ .. والغريب أن حياتى الجديدة كنجمة أشعرتنى بالحاجة إلى المزيد من الثقافة والاطلاع ، وبقدر زيادة حاجتى إلى ذلك، قل الوقت إلى درجة لا تتيح لى إشباع هذه الرغبة . وكان مما أشعرنى بالحاجة إلى الاطلاع ، كثرة الأحاديث الصحفية ، والحفلات الدبلوماسية ، والتغيير الكبير فى المجتمع المصرى ، لما أصابه من حيوية أطلقتها فى أوصاله ثورة ٢٣ يوليو ... وما صاحب ذلك من حوار وقضايا شغلت أذهان الشعب المصرى كله بعماله وفلاحيه ، ومثقفيه، إننى الآن شخصية بارزة ، ومن مزايا الشخصيات البارزة أنها تستطيع الحديث فيما تعلم ومالا تعلم ... أما أنا كنت أحب الحديث فيما أعلم فقط ... لذا كانت حاجتى لزيادة " ما أعلم " قوية وملمة . وكنت أتلمس ذلك لدى من أصادقه أو أتعرف به من الكتاب والصحفيين ، وكنت مدربة على حسن الإصغاء فلم أجد مشقة فى تحمل أحاديث المثقفين المستفيضة المليئة بالسرد ، والتحليل ، والتعليل والاصطلاحات العلمية . وما يصاحب ذلك من عرض وجهات نظر وهجوم على وجهات نظر أخرى ...كنت أشعر أن مثل هذه الأحاديث تزودنى عن طريق الأذن، بما عز على تحصيله عن طريق الكتب . ومن هنا كان حرصى على تكوين صداقات ممن أصادقهم من الصحفيين والكتاب ، ودعوتهم إلى منزلى كلما سنحت الفرصة . وبالتدريج بدأت تتكون . شلة . ذات ميول

متقاربة فى الطباع ، ومستويات متماثلة فى الثقافة والاهتمامات، وبدأت هذه الشلة تجتمع فى بيتى مساء كل خميس وقد ساعدت هذه اللقاءات المنتظمة على توطيد أواصر المودة بين الجميع ، وتذويب العوائق النفسية ، ورفع الكلفة ، فأصبح الواحد منهم لا يجد غضاضة ولا أنا أجد غضاضة فى أن يأتى ومعه ما يشاء من طعام وشراب ، وقد لا يأكل الواحد منهم مما جاء به شيئاً بل يأكلة الآخرون ، أما هو فيأكل ما جاء به الآخرون ، ولم يكن أحد يسأل عن هذا الشيئ أو ذاك أو من جاء بهذا الشيئ أو ذاك ، وإنما كل يشارك فيما جاء به الكل ..كانت ندوة الخميس من أحلى الأيام فى حياتى وحياة كل من شارك فيها ؛ وكنت أشعر بأن كل واحد منهم يتطلع إلى ليلة الخميس فى شوق وسرور . كان كل واحد يتصرف على سجيته ، ويجلس حيث يشاء ، على الأرض أو فوق الكرسى ، وكما أن المجموعة كانت تشارك بعضها الطعام ، كانت تشارك بعضها القراءات ، والآراء ، فكل من قرأ كتابا جديد يذكره ، ويذكر ما جاء فيه ، وقد يدور نقاش حول ذلك الكتاب ، وقد يأتى ومعه الكتاب ذاته ليقرأه الآخرون . كانت هذه العقول كلها تنصب فى عقل واحد ، فلا يغادر أحدهم حتى يكون جنى رحيق العديد من زهور العلم ، والمعرفة ، والفن . والمترددون على هذه الندوة كان منهم من يأتى بانتظام ، ومنهم من يأتى أحياناً ، والمنتظمون كان منهم أحمد بهاء الدين وأنيس منصور ونجاح عمر ، ومهجة عثمان ، ومرقص المرافى ، وحامد زيدان وحجازى ، وعبد الستار الطويلة ، وعدلى فهيم وأحيانا كان يأتى كامل زهيرى ، ويوسف السباعى ، وكثيرون ممن تذخر بهم الحياة الثقافية .

القلب الوحيد

هذه الأيام العامرة بالأضواء ، والأصدقاء ، والنشاط ، وهذه الشهرة التى جعلتنى محط اهتمام الناس فى كل مكان ، وندوة الخميس ودعوات السفارات الأجنبية ...هذه الأيام بكل ما فيها من جد ومال وأصدقاء ، بماذا جاءتنى ؟ إنها لم تأتنى سوى بالوحدة ..وفراغ القلب.

فما كان أشد أبتعادى عن الرجال أبناء وطنى ، فلا أسمح لنفسى بالخروج مع واحد منهم على إنفراد ، ففى طبيعة الرجل الشرقى شيئ غريب لا أعرف كيف أفسره ، ذلك أنه ما يكاد يخرج مع إمرأة ويجد نفسه هو وهى على إنفراد حتى يعطى لنفسه حقوقاً عليها تتجاوز حدود الصداقة العادية ، والمجاملات الاجتماعية ، إلى مدى يفزع المرأة ويثير هواجسها ، ويجعلها تشعر بأنها ليست أكثر من شيئ جميل يريد أن يلهو به ... وعكس ذلك ما كنت أصادفة من رجال السلك الدبلوماسى ، فالواحد منهم لا يرى فى المرأة أكثر من صديقة وكأنها صديق، فإذا أراد أن يذهب أبعد من ذلك ، فهو قد يرتقى بنظرته إليها فيرى فيها الابنة ، إن كانت صغيرة عنه ، فيعطيها حنانا وأبوة . وقد يرى فيها الأخت إن قابلت الطباع والصفات فيعطيها الأخوة ، وقد يعبر لها عن مدى حبه لزوجته ، أو صنيعة من بعض أفعالها ، فإن رأى فيها المرأة الجميلة عبر لها عن ذلك بوضوح لا التواء فيه ولا خبث . يكفى عنده أن يحس هو ثم يؤكد لها أنه سوف ينتظر حتى يصبح إحساسها متجاوبا مع إحساسه ، المهم أن الرجل الأوروبى يحدد رؤيته للمرأة التى يعرفها ، يحددها بوضوح لنفسه ، ويعبر عن ذلك بوضوح للطرف الآخر ... وترد على ذاكرتى وأنا أدون هذا الكلام ، واقعة طريفة وقعت لى مع صديق أجنبى . فقد دعانى للعشاء ذات ليلة الكاتب الألمانى (أدجار رايتس) . وذهبنا إلى سميرا ميس وفيما نحن جالسان نتسامر ، لا حظت أن الرجل يديم النظر إلى وجهى ، فظننت أنه معجب بجمالى ، وعندما طال تأملة لوجهى داخلنى الزهو الأنثوى فتساءلت ونبرة الرضى غالبة على صوتى : لماذا تنظر إلى وجهى كثيراً ؟ قال على الفور : يخيل إلى أن احد حاجبيك يختلف عن الآخر الونزل على الرد كالصاعقة . وحل الغضب الكظيم محل الرضى والتباهى ، وأعود إلى الحديث عن الرجل الشرقى ، الذى يختلف كثيراً عن الرجل الأوروبى الذى يرى المرأة

بالصورة التى تكلمت عنها منذ قليل . أما الرجل الشرقى فإنه لا يرى فيها سوى قلعة لا بد وأن يغزوها ، ويقتحمها ، ويدوس زخائرها غير مبال بما قد يصيبها من حرج ، أو دهشة ، أو إحساس بالهوان، وغير مبال بحقيقة شعورها نحوه ونظرته له ... هذا كان سرا ابتعادى عن إقامة علاقات مع أحد من الرجال المصريين، لذا كان عجيبا أن أشعر وأنا فى قلب القاهرة تحيط بى كل هذه الأضواء ، وكل هذه الصداقات من الرجال والنساء ، وكان عجيباً أن أشعر بالوحدة ...كنت أشعر أن شيئاً هاما ينقصنى ، ولكنى لا أعرف بالتحديد ما هو ولا اين أجده ، فماذا بعد السهرات المرحة ، ومقابلة الوجهاء من القوم ، والأحاديث الطلية والشخصيات الجذابة ، ماذا بعد كل هذا ... لاشيئ ، إنها الوحدة مع النفس فى نهاية الليل ... حين أعود فلا أجد فى جعبتى سوى الإرهاق والحزن ، والإحساس القائل بأنى وحيدة ، فأروح أمشى وحدى فى جوف الليل الوحشى أو أقف على شاطئ النيل وقفة الفتور والملل ، إلا وقفة العاشق الذى يناجى النجوم والأشجار ، وكل شيئ فى الكون . ثم أعود وحيدة إلى بيتى ، وفى تكاسل أشرع فى الاستعداد للنوم ، أتساءل وأنا انضو ثيابى ... هذه الثياب الفاخرة ، والعطور الساحرة ، والماكياج الباهر لمن أضعها ؟لمن ألبس ، وأتعطر ، وأتزين ... ؟وتتساقط منى الدموع برغمى ... أتصيب القلب بعد كل هذا قبضة باردة تطبق عليه وتغوص به فى مهاوى الفراغ والوحدة ؟ ألا ما أمر الوحدة ... ما أمرها وحولك الكثيرون !! ولعل القارئ يتساءل : وما الذى يوقعك فى الوحدة والدنيا تفتح لك ذراعيها ؟ ... والقارئ على حق فى سؤاله ، فأنا أيضا سألت نفسى هذا السؤال . ولم أجد إجابة أو تفسير عندى لذلك ، حتى ظننت فى بعض الأحيان أننى إنسانة شاذه ، غير طبيعية ، وإلا فما سر هذا النفور والحذر من أن تطور العلاقة بينى وبين أى رجل إلى " علاقة خاصة " أو إلى زواج ... وقد يكون رفض العلاقة الخاصة أمراً مفهوماً فى حدود الكرامة وصون الذات ، أما رفض الزواج فهو غير مفهوم ، ولا تبرير له عندى سوى الشك فى صدق مشاعرى الأنثوية هل أنا عديمة الشعور إلى هذا المدى ألا أخضع لسلطان الغرام الذى يخضع له الناس ، ألا أحس إلى نداء الجسد الذى يحن له جميع الناس الأسوياء ... مالى أشارك فى الأفراح دون أن أفرح وأشارك فى الشراب دون أن أتجاوب ... أصخر أنا .. ؟ وكأن المتنبى كان يعبر عن حالى فى تلك الفترة حين قال : " إذا طلبت كمية اللون الصافية وحيرتها وحبيت القلب مفقود .. أصخرة أنا ، مالى لا تحركنى هذى المدام ولا تلك الأغاريد يا ساقيتى أخمر فى كؤوسكما ، أم فى كؤوسكما هم تسهير " ولقد أصابنى الفزع حقا من حالى فى تلك الأيام ، وخشيت أن أكون كما كان المتنبى لا نصيب له فى النساء ولا نصيب لى فى الرجال ..لا نصيب لى فيهم ، وهم كثيرون من حولى ، ويقينا لم يكن العيب فيهم ... وربما كانت هذه الحالة الغريبة ، وبالذات النفور من فكرة الزواج هى السبب وراء كثرة خروجى مع الأجانب ،

الذين أصبحوا فى نظرى لكثرة مخالطتى لهم ، واهتمامى بشئونهم ، أصبحوا ضيوف مصر ، وجعلت من نفسى مضيفة لضيوف وطنى، وأبلغ صورة تعبر عن ذلك هى علاقتى بالفنانين الإيطاليين ، التى كانت من القوة والود إلى درجة أنهم إذا هبطوا مصر كنت أول من يقصدونه ... وبدورى أتلقاهم بالترحاب ، وأخرج بهم فى جولات سياحية لمشاهدة معالم القاهرة وآثارها وأحيائها ، والإيطاليون قوم يشبهون كثيراً أهل مصر فى كثير من طباعهم ، ولعل هذا هو سر التقارب الشديد بينهم وبينى دون غيرهم من الأجانب .وتوطدت الألفة معهم حتى أطلقوا على أسم " برلنتى عبد النيل " وأصبح التعامل بيننا يتسم بالبساطة والوضوح ، ورفع الكلفة وما يكاد يأتى من إيطاليا وفد سينمائى منهم ، حتى أضع نفسى تحت تصرفهم . فأستضيفهم فى بيتى حيث يتصرف كل منهم على سجيته وكأنه فى بيته ، فمنهم من يقوم بإعداد لون آخر من الطعام ، وفى النهاية يغسلون الصحون والأطباق ..وكان الشعور الذى يسيطر على وأنا أقوم بكل ذلك هو أننى سفيرة لبلادى عند الأجانب داخل بلادى، ومن الطريف أن بعضهم كان يظن أنى لست مصرية ، فأنا مصرية أباً عن جد وعن جد الجد ، وإننى أنحدر من أسرة بسيطة من أسر مصر التى تعيش فى أحيائها الشعبية .كانت الفرق الإيطالية التى تأتى إلى مصر لأغراض فنية تعرف جيداً " برلنتى عبد النيل" إن معرفتهم بى وعشمهم الذى يدفعهم إلى زيارتى والسؤال عنى كلما جاءوا قد زاد من إحساسى بالمسئولية نحوهم فلا أدخر جهداً فى سبيل ضيافتهم والسهر على راحتهم ، وكنت أحيانا أحجز شاليها فى الهرم ليقيموا فيه ، وكم كان يسرهم ويفرحهم أن يجدوا أنفسهم فى ظلال أهرامات مصر العظيمة ، وأبى الهول ...واسترواح هواء الصحراء النقى ... ومن طريف ما أذكره أن فريقاً من الممثلين الأيطاليين جاء إلى مصر ذات مرة لتصوير بعض اللقطات ، وكان مخرج الفيلم صديقاً لى فدعوت الفريق كله بفنانيه وفنييه إلى سهرة فى بيتى وكان ضمن الفريق ممثل شاب بالغ الأناقة والوسامة ، وهو مشهور عنه القيام بأدوار الدون جوان فى الأفلام السينمائية ..فما كان منى وقد لمست إعجابه بنفسه وبشهرته كممثل لأدوار الدون جوان حتى لكأنه الدون جوان ذاته . ما كان إلا أن تجاهلت ما يفرضه واجب الضيافة من الحفاوة بكل ضيف وأهملت الدون جوان تماماً ، حتى أنى لم أكن ألتفت نحوه إطلاقاً ، رغم أنى كنت أبذل حفاوتى ورعايتى لمن هم دونه أهمية وشهرة طوال السهرة لم أوجه إليه كلمة أو نظرة ، وكان هو يقترب منى قليلا قليلا مغيراً وضع جلوسه فى كل مرة ، وكنت أتحدث إلى مخرج الفيلم حين رأيت الممثل الشاب يغادر مكانه ويأتى ليجلس بجوار المخرج وأقحم نفسه فى الحديث الدائر بيننا .. قال موجها حديثه للمخرج :إنى ألاحظ أن مدام برلنتى تتجاهلنى طوال السهرة ، وإنى أرى أنها سيدة لا يفوتها شئ فإن فاتها فلابد وأن يكون ذلك عن عمد ... فهلا تكرمت ياصديقى بأن تركب عربتك وتذهب

لتسألها لماذا تتعمد تجاهلى . ابتسم المخرج والتفت إلى قائلا : أرأيت كيف يتحدث الدون جوان بلباقة وخفة ظل، ثم نظر إلى الإثنان فى انتظار ردى على سؤال الممثل الشاب . فأجبته : إنى أعرف أنك تمثل دور الدون جوان ، وانك لذلك تظن نفسك دون جواناً ، يتهافت عليك النساء ، ويتساقطن صرعى حبك ، ويستسلمن ، لفتنتك دون غيرك دون قيد ولا شرط .فأجاب الفتى : ومن قال لك إن هذه هى صفات الدون جوان، إن الدون جوان شخص غير ما وصفت على الإطلاق، والحقيقة أنه مجرد رجل يقع فى حب امرأة ويواصل محاولاته للفوز بقلبها ، والصبر على صدها ولهذا فهو لا يجد وقتا - ولا رغبة . للنظر أو الجرى وراء غيرها . إنه عاشق يصرف وقته كله واهتمامه كله لتلك التى عشقها .أرأيت أن الدون جوان ليس بطلا مغروراً بوسامته وشبابه وإنما هو عاشق مخلص لمحبوبته ... وكان من نتيجة هذا الحوار أن زال الجمود المتعمد من ناحيتى وبدأ ينال نصيبه من حفاوتى كضيف ... مجرد ضيف وإن كنت لم أصدق حرفاً مما قاله فى وصف الدون جوان، إن الأجانب يمتازون . كما سبق وذكرت . بالصراحة التامة ويقولون رأيهم بشجاعة ، وأيضاً يتقبلون آراء الآخرين برحابة صدر حتى ولو جاءت نقداً لأعمالهم ..وفى ذات ليلة كنت أنا والمخرج الإيطالى ومساعده الأول نجلس فى (صحارى سيتى) ودار الحديث بين المخرج ومساعده حول الفيلم ولاحظت أن المساعد الأول يحيط إحاطة تامة بجميع عناصر الفيلم عما فيها من لقطات ، وزوايا تصوير وما إلى ذلك فقلت له :إنى أراك تعرف كل شئ عن الفيلم ، حتى أنك تستطيع إخراجه ، فلماذا تقوم بعمل المساعد الأول وباستطاعتك أن تقوم بالإخراج ، خاصة وأنك لست صغير السن ، ولا شك أن لك تجارب واسعة فى ميدان السينما .مثل هذا القول كان من الممكن أن يحدث أزمة حادة ولكن المخرج ومساعده تقبلا كلامى ببساطة بل إن مساعد المخرج أجابنى : إننى الأول فى إيطاليا باعتبارى . مساعد مخرج . فلماذا أجعل نفسى مخرجاً ... وأفقد هذه المكانة ... إننى أفضل أن أكون الأول كمساعد مخرج ، عن أن أكون العاشر كمخرج، ولقد تعلمت من هذا الحديث أن العامل يفضل الاحتفاظ بالترتيب الأول فى ميدانه ، فلا يفقده بدخوله ميدانا آخر فيرتد إلى آخر الصف . وذات مرة طلب منى مخرج ومنتج إيطاليين مشاهدة أحد أفلامى ، فدعوتهما وفريق الممثلين الذين معهم لمشاهدة فيلم " فضيحة فى الزمالك " الذى أقوم ببطولته أمام عمر الشريف .وكان الفيلم وقتها بإحدى سينمات الدرجة الثانية بميدان (السيدة زينب) وعلى التحديد فى سينما الشرق ومع ذلك لم أتردد فى اصطحابهم إلى السينما . وقبل ذهابى اتصلت تليفونياً بمدير السينما ، وأفهمته أنى سوف آتى ومعى وفد من الضيوف الأجانب لمشاهدة الفيلم ، وطلبت أن يحجز لنا مقاعدنا ... ورجوته أن يعمل على أن تكون الأضواء خافته عند مدخل السينما حيث سنصل بعد بدء عرض الفيلم بدقائق حتى لا يشعر بنا أحد اثناء

دخولنا أو خروجنا ..ووصلنا إلى السينما بعد بدء العرض بربع ساعة ، وفوجئت بأن مدير السينما الماكر قد أخر العرض وفوجئت عند وصولى بأن العرض لم يبدأ بعد ، وأن الأنوار مضاءة على أشدها ... تسللنا إلى مكتب المدير ، ورجوته أن يبدأ العرض حتى نستطيع الدخول إلى الصالة فى الظلام ؛ وبالفعل دخلنا إلى قاعة العرض بعد دقائق من بدءه، وجلست بين الوفد أشرح له بإيجاز مضمون المشاهد التى يراها ، وقبل النهاية بدقائق ، هممنا بمغادرة الصالة وتسللنا إلى الخارج فى الظلام حتى لا يتنبه لنا أحد ولكن المفاجاءة كانت تنتظرنى . فما كدنا نصل إلى الباب الخارجى للسينما حتى أضيئت الأنوار فجأة ، ووجدنا فى انتظارنا فرقة موسيقى " حسب الله " المشهورة فى كل مكان ، وفى كل زمان وهات "ياخبط ورزع " على الآلات الموسيقية وتجمع الناس وتكاثروا حولنا وهم يرددون على إيقاع الموسيقى " برلنتى ... تيت تات برلنتى ... تيت تات " وأدركت أن مدير السينما قد فعلها ، فلم أجد بدا من شرح الأمر للضيوف قائلة : هذا شكل من أشكال حفاوة الشعب بفنانيه ... واستطعنا أن نشق طريقنا بصعوبة وسط الجموع المهللة " برلنتى تيت تات " .وبعد أن أصبحنا فى العربة ... ضحك الضيوف طويلا وأخذوا يمزحون معى فى الطريق قائلين : " إذن هذه مزيكا هه ... هذه مزيكا ... تيت تات برلنتى " ..

منـاورات

كانت حياتى تمضى على هذه الوتيرة ، الوقوف أمام الكاميرات، ولقاء الصحفيين، وتلبية دعوات السفارات الأجنبية ، وندوة الخميس ، ثم الخلود إلى نفسى ، وحيرتى فى نهاية المطاف .هكذا كانت تمضى بى الحياة رتيبة بسيطة برغم سطوع نجمى وشهرتى . هكذا كانت تمضى حتى عام ١٩٦١،

فى هذا العام كنت أمثل فيلم " بنت البادية " وهو دور أقبلت عليه بحماس ، لأنه كان بالنسبة لى دوراً جديداً وغريباً، يدور حول فتاة بدوية تربيها أمها بالأسلوب الذى يربى به الصبيان بهدف أن تثأر لأبيها عند بلوغها السن التى يبلغ فيها الصبيان مبلغ الرجال، وكانت زوزو نبيل تقوم بدور الأم فى هذا الفيلم . كنا نصور فى المساء ، وأعود إلى بيتى بعد التصوير مرهقة، فأجد أمى بانتظارى ، فتحدثنى وكأنى رجل البيت الذى عاد من عمله ، فتروح تشكو من إخوتى الصغار ، وتتحدث عن مشاكل البيت وما إلى ذلك من أمور لا يتصدى لها سوى رجل البيت، وقد كنت أنا فعلا " رجل البيت " .واتسعت الدائرة عن طريق عملى واختلطت بالأجانب من الفنانين والفنانات ، واستمتعت بأن أكون مضيفة لهم فى بلدى ، وعرف عنى هذا فكانوا يقصدوننى مباشرة ، وأطلقوا على اسم " برلنتى عبد النيل " وكانوا يقولون إنى أشعرهم بأننى سفيرة لمصر عندهم ...كان هذا هو برنامج حياتى ، وبرنامج حياتى العامة أيضا فى أواخر عام ١٩٦٠ .. الوقوف أمام الكاميرات ، وندوة الخميس ، وتلبية دعوات السفارات ثم الانفراد بنفسى وحيرتى فى نهاية المطاف ... هكذا كانت حياتى فى أواخر عام سنه ١٩٦٠ ، وكنت أتعرض لنقلات فجائية ، أبرز ما فيها ، أنى لا أختارها ولا أسعى إليها !! وكأنها من صنع مؤلف روائى غريب الأطوار ، وكان نسيج روايته متيناً وبناؤها قويا ، رغم غرابته .وفى ذات ليلة كنت مدعوة إلى حفل أقامه مستر باتل . سفير الهند فى منزله بالزمالك . تكريما لقنصل أمريكا فى القاهرة ، وكان الحفل يبدأ فى الساعة الثامنة والنصف ، ولكن نظرا لانشغالى بالتصوير فى أحد الأفلام فقد ذهبت بالمكياج ، وحال دخولى هلل كثير من معارفى الأجانب فى حفاوة وود ، وهم يهتفون بى مرحبين " هو ... برلنتى عبد النيل " .ولم يمض وقت طويل حتى تألفت حولى حلقة من السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسى ، وأصبحت هى الحلقة الرئيسية فى حفل السفير المقام بحديقة منزله . وفيما نحن نتبادل الأحاديث ، والفكاهات السارة ، أحسست برجل يقف خلفى ويزاحم الرجل الواقف بجوارى وكان يضغط عليه . كأنه

فى أوتوبيس مزدحم . ليحتل مكانه ، ثم دفعه بقوة دفعة أزاحته عن مكانه ، وأصبح بعدها الرجل الواقف خلفى ، واقفا بجوارى ، وفى غمرة دهشتى من هذا السلوك مال الرجل على أذنى حتى أصبح فمه فى أذنى مباشرة وقال لى هامسا : " أنا فلان الفلانى (مخابرات) " .اعترانى الارتباك والخجل ، فإن الهمس يعد عيبا فى مثل هذه الحفلات، واحسست بأن جميع العيون ترقبنى وساد الصمت . رفعت عينى نحو الشاب . وكان طويلا اسمر . وقلت له بالإنجليزية . حتى يفهم الجميع : وما شأنى أنا بالمخابرات .. إننى فنانة ، ولا دخل لى بالسياسة ، والواقع أننى تعمدت الحديث بالإنجليزية حرصا على صداقتى بالرجال العاملين بالسلك الدبلوماسى ، وحرصا على ثقتهم فى هذه الثقة التى دفعتهم إلى أن يفتحوا لى أبواب بيوتهم لأخالط زوجاتهم وأبناءهم .. مسلك كهذا كفيل بإدخال الشك إلى قلوبهم وابتعادهم عنى ، خصوصا أن أغلبهم يلم ببعض اللغة العربية . ثم مال الشاب الأسمر مرة أخرى على أذنى ثم همس " الريس وصل " . نظرت حولى غير مصدقة ، فأنا لم اسمع لغطا أو جلبة أو أى شيئ مما يصاحب مقدم الرؤساء ، وأشار إلى الرجل بيده وقال لى لنذهب اليه ، فنظرت إلى حيث أشار . فرأيت رجل متوسط الطول خجولا ، يقف بمفرده تحت إحدى الأشجار ، قلت لرجل المخابرات البروتوكول يقضى بأن الرجل هو الذى يأتى للسيدة إذا كان يريد الحديث معها ، وليس من اللائق أن يدعوها إليه ، ثم ما شأنى أنا بكل هذا ؟ وعلى كل إذا كان يريد الحديث معى فليتفضل . كان الصمت والوجوم قد عاد إلى الحفل بعودة رجل المخابرات ، وحين قلت له هذا الكلام السابق ، لاحظت ظل إبتسامات ترفرف على شفاه الحاضرين . انتهت الحفلة ، وعدت إلى البيت ، ولم أكد أغلق الباب ورائى حتى سمعت جرس التليفون يرن .. رفعت السماعة فجاءنى من الطرف الآخر صوت رقيق مهذب يقول : " أنا صلاح بدر مدير المخابرات الحربية " وصمت ، وواصل حديثه الهادئ قائلا : إسمعى يامدام برلنتى .. نحن نعرف أنك وطنية ، فرددت عليه : طبعاً . قال : إذا كان هناك خطر يهدد الوطن ، وطلب منك المساهمة فى حماية وطنك من هذا الخطر فهل تمانعين ؟ قلت له : إذا رأيت خطراً فلن أنتظر حتى يطلب منى ذلك ، بل سأعمل من تلقاء نفسى . أجاب : عظيم ... ونحن لا نريد منك أكثر من ذلك فأنتى يا مدام برلنتى صديقة لعدد كبير من الأجانب ، وكل ما نريدة منك أن تؤدى خدمة للوطن وحماية للثورة ، فأنتى بالنسبة لنا وجه نادر لمعرفتك العميقة برجال السلك الدبلوماسى ، وكل ما نطلبه منك أن تكتبى تقريرا عن أى شيئ تسمعينه .. قلت له على الفور : أسمح لى .. أنا بنت بلد ، ولا أخون من وضع ثقته فى ، وليس من عادتى أن أنقل كلام قيل أمامى ، هؤلاء الناس أنا دخلت بيوتهم وأكلت معهم " عيش وملح " ثم إننى فنانة ولا دخل لى بالسياسة ، " الفن هو كل حياتى " قال الرجل بأدب ورقة : إذا لا

نطلب منك كتابة تقارير ، ولكن هل نطمع فى أنك إذا رأيت شيئا فيه خطر على أمن مصر او الثورة أن تخبرينا عنه ؟ قلت : طبعاً ، إذا رأيت خطرا على وطنى فأنا لن انتظر حتى يطلب منى الإبلاغ عنه ، بل أبادر من تلقاء نفسى للإبلاغ عنه .قال صلاح بدر منهيا حديثة : هل لديك مانع إذا اتصلت بك مرة أخرى ؟قلت : أبدا يشرفنى ذلك ..

وانتهت المكالمة ، ووضعت السماعة فى دهشة من أن يكون هذا الرجل الخجول الرقيق رجل مخابرات ، فأنا لم أكن قد رأيت من قبل رجل من المخابرات . ومرت أيام كنت قد نسيت خلالها هذه الواقعة ، وفى ذات يوم زارتنى فى بيتى كاتبة دينية معروفة وبعد أن جلست قالت :هناك شخص يريد أن يأتى لزيارتك فهل لديك مانع؟ سألتها : ومن هو ؟ ... إنه شخصية هامة ، فما رأيك ؟ – ولماذا يريد أن يزورنى ؟ لاأعرف هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقت على الزيارة وبعد محاولات بينى وبينها قلت لها فى النهاية :" لا مانع فليتفضل " . قالت قبل انصرافها : هل لديك مانع أن آتى معه ؟ – قلت : أبدا "أهلا وسهلاً" .. إنصرفت السيدة وبقيت وحدى وبعد ساعة تقريبا دق جرس الباب ، وعندما فتحت وجدت أمامى " السيدة الكاتبة ومعها رجلان، أفسحت لهم الطريق ، فإذا بالرجلين يدخلان ويدوران فى أنحاء الشقة ، فاحصين مدققين بنظراتهم هنا وهناك ثم سألنى أحدهم : " أين باب المطبخ ؟ " .. فدللتهما على مكانه ، فذهبا إليه ، واستطلعا كل منافذ الشقة ، وبعد أن انتهيا بارحا البيت صامتين .. وبقيت أنا والسيدة فى انتظار الشخصية الهامة المجهولة .

لم يمض وقت طويل حتى دق الجرس مرة أخرى، وعندما فتحته رأيت أمامى رجلا ممتلئا قليلا مبتسم الوجه . دخل الزائر ، وبعد أن استقر به المقام انشغلت قليلا بإعداد الشاى فقد كان من عادتى صرف الشغالة بعد الظهر .. وبعد أن قدمت الشاى جلست فبدأ الرجل الحديث بالسؤال التقليدى عن الصحة والحال ثم قال : "نحن نعرف يا مدام برلنتى أنك نجمة محبوبة ، وأن كثيرا من الأجانب المهمين المقيمين فى مصر يحبونك ويصادقونك ويهمنا حقا أن تتعاونى معنا ... سألته : ومين حضرتك .؟ بدت الدهشة على وجهه ثم تساءل بأدب :

الا تعرفين صلاح نصر ..؟ – لا لا أعرف .. يعنى بتشتغل إيه حضرتك .؟ ضحك الرجل وهو يتفرس فى وجهى غير مصدق ، ثم قال صلاح نصر مدير المخابرات ، قاطعته بقولى : لكن مدير المخابرات اسمه صلاح بدر !! قال صلاح بدر مدير المخابرات الحربية .. لكن أنا مدير المخابرات العامة .. إن عملنا ينحصر فى نطاق الأجانب ومهمتنا هي العمل على حماية الوطن من الأجانب الذين قد يقوم بعضهم بنشر مبادئ خاطئة ، أو عمل شبكات جاسوسية تستهدف الإضرار بمصلحة الوطن ، إن عمل المخابرات ضرورى لحماية مصر من أعدائها وهو

عمل يتسم بالوطنية ، وأظنك يا مدام برلنتى توافقين على ذلك .. قلت : طبعا

استرسل صلاح نصر قائلا :" إنك تختلطين بالأجانب ، وتسمعين منهم كل ما يقولون ، وتعرفين بماذا يفكرون ، كل ما نطلبه هو تقرير لن يستغرق من وقتك أكثر من دقائق قبل النوم .. قلت له :" أنت تعرف أنى بنت بلد، وفى حى السيدة الذى نشأت فيه ، كان من أول ما تعلمته أن الفتنة أشد من القتل ، وفوق ذلك فأنا لا أذكر الجزئيات، إن تكوينى العقلى لا يهتم بالجزئيات ، وإذا قرأت كتابا فأنا لا أذكر تفاصيله ، وإنما أتذكر الكتاب ككل وأحيط بخطوطه العريضة، وإذا أصغيت الى حديث فسرعان ما أنسى ولا أستطيع تذكره بعد ذلك ... دار صلاح نصر بعينيه فى أنحاء المكان وقال :" هذه الشقة صغيرة ... ولا تناسبك سوف نعطيك شقة كبيرة ونؤثثها لك بشكل فاخر .. تساءلت لماذا ..؟ .. قال :حتى تكون صالحة لنشاطك ولائقة لاستقبال الضيوف .. قلت :" ولكنى لا أريد ذلك " .. قال :" لماذا .؟ .. لأن هذه الشقة هي شقتى أستطيع أن أقابل من أشاء ولا أستقبل فيها من لا أريد ... إبتسم صلاح نصر ، قائلا :" والشقة الأخرى ستكون شقتك أيضا .. لا .. ليست شقتى .. أنا أحب هذا المكان وكل شئ صنعته بنفسى ووفق رغبتى ، وأنا أعيش حياتى راضية .. قال بماذا .؟ بأربعمائة جنيه هم كل رصيدك فى البنك قلت:" هذا أكبر مبلغ ادخرته وأنا أعتبره ثروة كبيرة وسعيدة به" .. قال وكأنه لم يسمع إعتراضى :" ستكونين فى أمان تحت رعايتنا، وإذا حدث وتهددك أى خطر فنحن سنقوم بحمايتك منه ، فإنك لن تدركى إن كان هناك خطر أم لا : ولكننا نستطيع أن ندركه ، ونمنعه فى الوقت المناسب .

قلت مصممة على رفضى .. أنا لا أصلح لمثل هذه المهمة ، أنا أحب وطنى حقا ، ولكنى أخدمه عن طريق الفن، فأنا لا أعرف شيئا عن السياسة. قال برقة :" المسألة مسألة إختيار ، نحن نشرح لك الميزات ولكى حرية الإختيار ثم قال :" هل تسمحين بالسؤال عنك بين وقت وآخر .. ورددت بقولى :" أبدا أهلا بك ويشرفنى ذلك " ... وانصرف بعد ذلك، وإن كان الأثر الذى تركه فى نفسى أنه رجل على قدر كبير من الثقافة والوطنية والكياسة .. ويتسم بالمرونة وسعة الأفق ، والغريب أن صديقتى الكاتبة اتصلت بى فى اليوم التالى وأبدت إعجابها بما فعلت ، وقالت إن ما فعلته هو الصواب بعينه ، فإن العمل مع المخابرات سلاح ذو حدين ، فأى هفوة - وجل من لا يسهو - يعرض صاحبه للهلاك .. فضلا عن أنه يأتى يوم يصبح فيه " محروقا " و لا نفع فيه عندهم حينئذ يجد نفسه ضائعا وغير مرغوب فيه ، وفوق ذلك يخشى منه ، لأنه أصبح يعلم الكثير ، ويجد نفسه محاصرا بالمراقبة ، إنى مسرورة حقا لأنك لم تقبلى هذا العرض .

الناظره فى الوسط وحولها أنا وباقى التلاميذ

اول فيلم " ريا وسكينة "

رنة خلخال

فيلم درب المهابيل

مع عمر الشريف فى فيلم (فضيحة فى الزمالك)

مع عمر الشريف فى فيلم (فضيحة فى الزمالك)

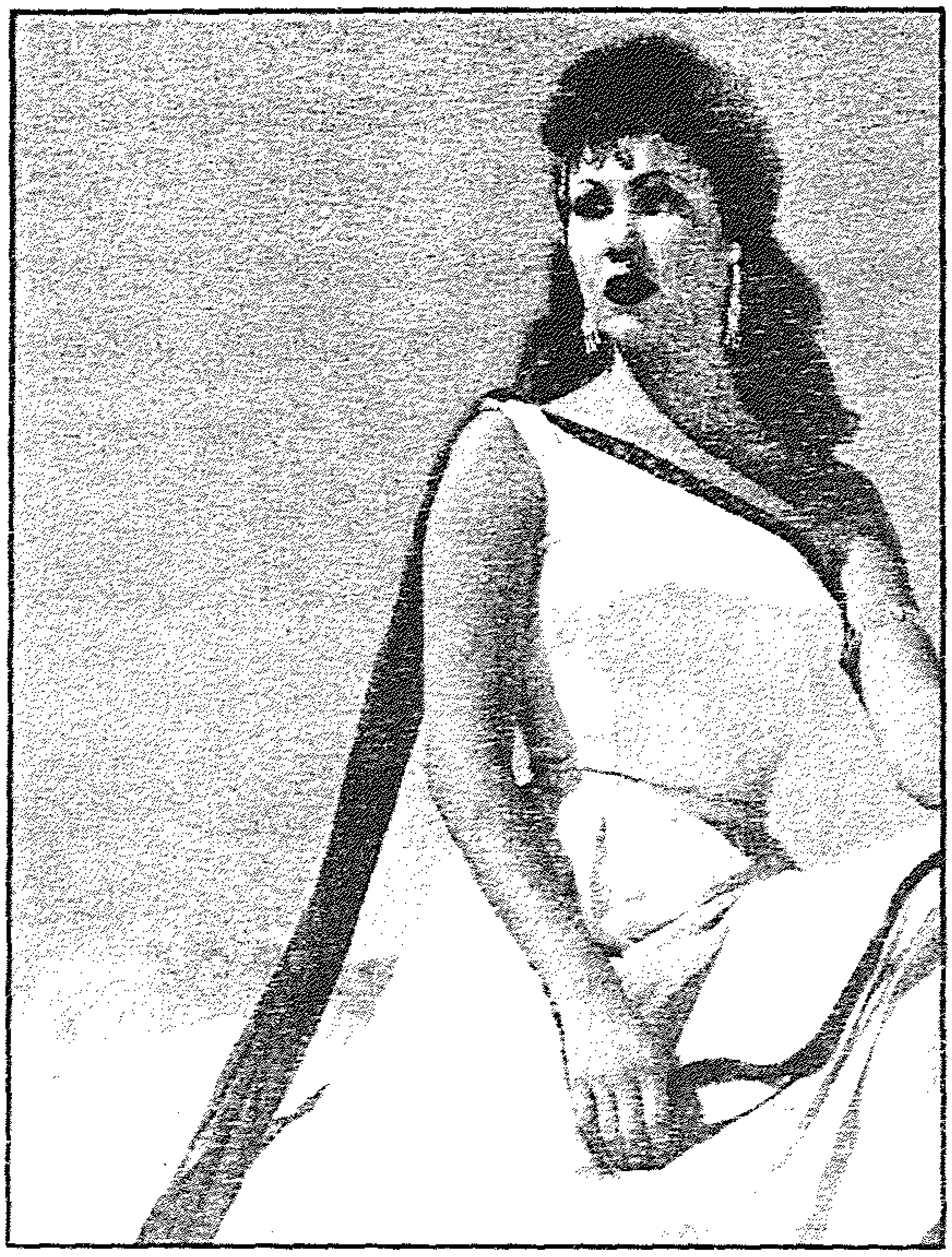

فيلم
بيت الله
الحرام

فيلم بيت الله الحرام

مع محمود المليجى فى فيلم (زيزيت)

مع يحيى شاهين فى فيلم (زيزيت)

إحدى المسرحيات فى المسرح الحديث

مع المخرج العالمى يوسيف شاهين (فى فيلم نداء العشاق)

أثناء الدراسة بالمعهد العالى والفنون المسرحية وعملى فى إحدى المسرحيات

الفصل الثانى

الطريق إلى قَدَرى .. إلى عامر

إن هذه الأيام من عـام ١٩٦١، كـانت تأتينى يومـا بعـد يوم، محملة بالمفاجـآت والغـرائب، وتكشف لى يوما بعد يوم عن حقائق كنت أجهلها تماما، والأصدقاء أنفسهم الذين اعتدت التسامر واللهو والتعامل ببساطة معهم كانو يظهرون لى فجأة بوجوههم التى ألفتها ، فكأن الواحد منهم يضع على وجهه قناعا فوق قناع، وهو يكشف من أقنعته ما شاء لمن يشاء ووقتما يريد ويختار...

كانت من المترددات على ندوة الخميس صديقة تعمل صحفية بروزاليوسف، وفى صباح أحد الأيام رن جرس التليفون وكانت المتحدثة هي الصديقة الصحفية قالت: "هل أستطيع أن أراك اليوم" .؟ قلت لها :" ولكن اليوم هو الثلاثاء وليس الخميس !! قالت : " أعرف ذلك ولكن لابد من رؤيتك اليوم لأمر هام جدا .. هل أستطيع أن أمر عليك لنتحدث .؟ .. وجاءت الصديقة وقالت لى :" لقد رشحتك للانضمام إلينا !!"، تساءلت بدهشة :" أنتم .. من ؟" قالت:" تعرفين أن أعداء الثورة كثيرون، وإننا يجب أن نعمل على حمايتها من أى عدو لمصلحة الوطن ، والجماهير الكادحة ولبقاء الدافع الثورى مستمرا لابد من إزالة أى عائق فى طريقة ، ونحن نعمل من أجل ذلك .. وقد رشحتك وهناك اجتماع سوف يعقد غدا ولابد من حضورك..!!" ... قلت لها :" أنت تعرفين أنى لا أهتم بالسياسة وحتى الجرائد لا أقرأها إلى درجة أنى لا أعرف رجال الثورة و لا أتحدث فى شئ غير الفن ... قالت :" إن كل ما تقولينه فى الحقيقة سياسة، فالفن سياسة، والاقتصاد سياسة، ومشاكل الناس التى تعالجها الأفلام سياسة، .. أن السياسة تدخل فى كل نواحى نشاطنا اليومى، وهكذا ترين أنه من الضرورى أن تنضمى إلينا وتحضرى الإجتماع غداً .. سألتها :" ومتى سيكون الاجتماع .؟ .. فى الثامنة والنصف مساء غد .. قلت لها :" دعينى أفكر .. ولكنها أصرت .. واتفقنا على أن تمر بى فى المساء فتصحبنى إلى مكان الاجتماع فسألتها :" وأين سيكون .؟ أجابت .. " فى شارع الهرم ولن أخبرك بتفاصيل أكثر فربما تغيرين من رأيك غدا فلا داعى لأن تعرفيه " .... وفى اليوم التالى ، كنت قد انتويت الذهاب معها بدافع الفضول، وأصبح كل ما يشغلنى هو اختيار اللبس

والزينة، وعندما اقترب الموعد لبست ثوبا أبيضا ذا أكمام طويلة ، وحذاء ذا كعب منخفض، واخترت تسريحة شعر معينة جعلتني أبدو كطالبة أنيقة ورشيقة، وقمت بعمل المكياج خفيف يقترب في شفافيته من اللون الطبيعي، وعندما جاءت صديقتي في الموعد سألتها :" ما الغرض من هذا الاجتماع .؟ ...أجابت :" إن السلطة يهمها أن تعرف ما تعاني منه الجماهير لتعمل على رفع المعاناة ، ومقاومة السلبيات التي قد تضر بمصالح الناس ، وأن الطريقة المألوفة هي كتابة التقارير غير الصادقة ، فكيف يعرف "اللي فوق" متاعب وأوجاع "اللي تحت " بصدق .؟ إن المهمة التي نقوم بها هي إعطاء الحاكم صورة صادقة عن مشاعر الناس ؛ ولذا فقد تم انتقاء الأفراد ذوي السمعة الحسنة والجرأة والأخلاق الطيبة ليقوموا بمهمة إمداد السلطة بالصورة الحقيقة لواقع الحياة المصرية لإصلاح أي خلل أو انحراف ..

بدا لي هذا الكلام معقولاً ومنطقيا كما كان في عصر عمر بن الخطاب الذي كان يتجول بنفسه في الأسواق ليتفقد أحوال الرعية " كما درسناها في المدراس "، فالحياة المعاصرة من الاتساع والتعقيد بحيث يكون مثل هذا العمل نافعا ومبصرا للحاكم. وفي الطريق سألت زميلتي :" وماذا عن مجموعتكم .؟ ...أجابت .. :" هناك مجاميع كثيرة منتقاة وكل مجموعة تتبع واحدا من رجال الثورة أو من المسئولين الكبار ، ولكن نحن مجموعة منتقاة بعناية ؛ خاصة وأن نظام العضوية فيها قائم على الترشيح ، ومن يرشح شخصا يكون مسئولا عنه ". أثار هذا القول اهتمامي وبدأ يعطي للمشوار أهمية خاصة عندي، فسألت.. وهذه المجموعة .. تابعة لمن .؟ .. أجابت .. :" نحن نتبع عبد الحكيم عامر وهو الذي سوف يرأس اجتماع الليلة".. وكنا قد اقتربنا من مكان الاجتماع فسألتها :" أين مكان الاجتماع ؟. أجابت :" الاجتماع شبه سري و أيضا المكان سري "، وماهي إلا لحظات حتى كنا قد وصلنا ، فرأيت بيتا من دور واحد بحديقة ؛ ورأيت الأضواء القوية تشع من كل ركن فيه، وعددا من الرجال متناثرين حوله وعند المدخل، وبدا لي المكان لا هو سري ولا شبه سري فقد بدا لخيالي أن المكان الذي تقصدة لابد وأن يكون مكاناً غامضاً يختبئ في الضباب والظلام؛ والدخول إليه يكون تسللا والحديث همسا .. دخلنا وكان أول ما استرعى نظري هو الإهمال الواضح في طريقة تنسيق الأثاث، بل إن المكان كله كان يبدو بسيطا فقيرا .. ورأيت في المكان كله عددا قليلا من الناس المتناثرين هنا وهناك في انتظار مجئ عبد الحكيم عامر إذا هؤلاء هم " مجموعتنا " كما كانت تسميهم زميلتي، وأحسست بالغربة في هذا الجو لجلسي وحدي في المؤخرة أنتظر مع المنتظرين .. وطال انتظاري حتى مللت . واعربت لصديقتي عن رغبتي في الانصراف ولكنها قالت " من العيب " أن تنصرفي بعد مجيئك خاصة وأني قد أعطيتهم

اسمك، وهو لذلك مدون ضمن أسماء من سيحضر هذا الاجتماع فانتظرت على مضض ، وضيقي ورغبتى فى الانصراف يزدادان دقيقة بعد دقيقة .. وفجأة أصاب الحاضرين اهتمام وحركة ، وسرى همس " وصل .. وصل .. " فاهتممت مع المهتمين، وتنبهت حواسى لما يجرى من حولى ، ثم دخل عبد الحكيم عامر ومن معه ، ولأنى كنت فى المؤخرة فلم أرى سوى عدد من الرؤوس وهى تتحرك وسط الجمهور القليل من الحاضرين الذين تجمعوا لاستقباله .. وكانت فى مؤخرة القاعة منصة وهى عبارة عن مائدة مستطيلة وخلفها كنبة، وعندما جلس الجميع استطعت أن أرى عبد الحكيم عامر ومن معه ، كان هو فى الوسط وعن يمينه وشماله أشخاص لا أعرفهم، وأخذت أتفرس بفضول فى وجه عبدالحكيم عامر ، ها هو أمامى .. واحد من الضباط الذين يحكمون مصر ، وأدهشني أن أجده فى ثياب عادية ، ولا تبدو عليه طلاوة الرجل المودرن ، كان يرتدى بذلة زرقاء ، وكرافت أزرق مخططا ، وتسريحة شعره قديمة .. الاجتماع بكلمة مختصرة ألقاها عبد الحكيم فينا ، على قدر ما أذكر :" تعرفون جميعا الغرض من هذا الاجتماع أن الثورة حريصة على مصالح الجماهير ، وإقامة حياة اجتماعية آمنة بالنسبة لأبناء الوطن ؛ والذى نريده منكم هو إبلاغنا عما يعانيه الناس من متاعب ، أو مظالم ، بل ونريد منكم تعريفنا بأخطائنا ؛ فإن كان ثمة قرار خاطئ ، أو انحراف فى أى موقع من المواقع ، فإننا نعتمد عليكم فى تعريفنا بكل ذلك حتى نقوم بإصلاحه ، والعمل من أجل مصلحة البلد والإنسان المصرى. كان يتكلم بصوت هادئ ، وبلهجة عادية للغاية ، وختم كلمته القصيرة بقوله :" و الآن أريد أن أسمع منكم ، لأننا جئنا كى نسمع منكم، فإن كان لدى أحدكم ملاحظة أو نقد ، أو لدية علم بحراف أو أخطأ فنرجوأن يحيطنا به علما وسكت عبد الحكيم عامر، وقد تهيأ ومن معه لسماع ما قد يقوله الأعضاء ... قام أحدهم ليتكلم فإذا به يفيض مدحا وثناءً للثورة ورجال الثورة ، ومضى على هذه الوتيرة يتحدث بحماس ، وأنا لا أدرى من أين يأتى بهذه الألفاظ الرنانة ، ولا من أين يستمد هذا الحماس الطاغى وهو يمدح ويثنى ويتملق ... وانتهى الرجل من كلامة وجنس ، وقام آخر وتبعه آخر وكلهم تحدثوا كما تحدث أولهم مدحا وثناءا بالثورة ورجال الثورة ، وكأنه ليس فى الإمكان أبدع من ما كان، واستبد بى ميل قوي للحديث. فنهضت معربة عن رغبتى فى الكلام ، ويبدو أن حديثى بصوت هادئ لم يصله فطلب منى عبد الحكيم عامر أن أتقدم ، فسرت إلى أول الصفوف حتى أصبحت قريبة من المنصة ، فقال لى وهو يتفحصنى بعينيه غير الواضحتين وبصوته الهادئ تفضلى .. قلت:" قبل أن أتكلم أريد الأمان !! ولم أكد أقول ذلك حتى أحسست بمن يجذب طرف ثوبى ومن يلكزنى ويشد حزام وسطى .. وقال عبد الحكيم عامر :" الأمان من أى شئ .؟ .. قلت :" الأمان

من الا اخرج من هنا إلى المجهول ... الأمان لأضمن أنى سأبيت الليلة فى بيتى " قال عبد الحكيم عامر ، وقد شاب صوته نبرة ساخرة :" لك الأمان تكلمى " ... قلت دون أن يشد أحد ثوبى هذه المرة أو يلكزنى .. لى صديقة اختفى أبوها .. أخذوه من الدار إلى النار و لا أحد من أهله يعرف أين هو .. أو ما هي التهمة ، ولا يجدون من يجيب على أسئلتهم من المسئولين ، أو يدلهم على مكان والدهم !! ... فكيف حدث مثل هذا الأمر ، ومن المسئول عنه ؟ .غضب عبد الحكيم عامر ، وتلفت إلى جانبه قائلا :"كيف حدث هذا .. أهذا معقول؟" .. ومرة أخرى امتدت الأيادى تلكزنى وتشد طرف ثوبى .. ثم رأيت عبد الحكيم يلتفت إلى من خلفه " وكان على شفيق " " وتحدث معه قليلا ثم قال :" إن والد صديقتك قد تم القبض عليه عن طريق المباحث العامة .. وسوف أرى هذا الموضوع وأتخذ الإجراءات المناسبة ، وانفض الاجتماع ، وفى طريق العودة قالت صديقتى مندهشة .. " ما هذا الذى فعلته " قلت :" فعلت ما يجب أن يفعل، وقلت ما يجب أن يقال .. فإن لم يكن الكلام على هذه الصورة فإنى لا أرى داعيا لمثل هذه الاجتماعات .. أتظنين أنهم عملوا هذا ليسمعوا قصائد المدح ، أم ليسمعوا عن السلبيات والانحرافات...". وعدت الى بيتى آمنة لأنام بين أمى واخوتى ... وفى ذات ليلة اتصل بى صلاح نصر عن طريق التليفون ولما رفعت السماعة جاءنى صوته مداعبا :" أهلا باللمضة .. إيه اللماضة دى كلها " وأنهى حديثه معى فى تلك الليلة قائلا :"اتصلنا بالمباحث العامة يمكنك الاتصال بصاحبتك لتطمئنيها على والدها ..إن اعتقاله تم عن طريقها، وقد أمر سيادته (يقصد عبد الحكيم عامر) بالتحقيق معه تمهيدا لإطلاق صراحه خلال أيام .. ثم قال :" على كل حال كان تصرفك طبيعيا .. " ثم ودعنى ووضع السماعة . وبعد ذلك بيوم فوجئت بصلاح نصر يزورنى مساء ، وبعد تبادل التحية قال :" أريد أن تأتى معى الآن " .. سألته مندهشة : .. الآن .. لماذا .؟ قال:"ستقابلين بعض الشخصيات الهامة " فسألته :" ومن هم .؟ قال :" ستعرفين حين تصلين " .. قلت :" لا أذهب .. فليس من عادتى الذهاب لملاقاة ناس لا أعرف من هم !! ... كان صلاح نصر ذكيا ، وقد أدرك منذ أول لقاء بينى وبينه مدى صلابة رأيى وعنادى، فلم يحاول الإلحاح أو المناورة وإنما قال :" أنا أعرف انك بنت بلد وأنا سوف أخبرك على شرط الا يعرف أحد أنى أخبرتك وأنا أثق فيك ، أعطينى الموافقة على شرطى " .. قلت :" موافقة ".. قال:" ستجدين هناك سيادة المشير عبد الحكيم عامر وهو يريد أن يتحدث معك". كانت الليلة من الليالى الباردة ، وانطلقت بنا العربة فى شوارع شبه خالية من المارة ، وعندما وصلنا إلى مكان اللقاء وجدته مكانا منعزلا ، غارقا فى الظلام قلت لصلاح نصر فى نبرة مزاح أخفى بها شكوكى ..إيه الحكاية .. واخدنى على فين ..؟ ودخل بى صلاح نصر إلى حجرة

ضعيفة الضوء ، يجلس فيها عدد من الرجال الغارقين فى معاطفهم وكوفياتهم وطواقيهم حتى إن الناظر إليهم لا يستطيع التعرف على ملامحهم ، وقدمهم لى صلاح نصر بأسماء وصفات أظن أنها جميعها منتحلة .. وكان من بينهم رجل ينادونه يا " دكتور "، وكان هذا الدكتور هو عبد الحكيم عامر، وكان مرتديا طاقية ينزل طرفها حتى حاجبيه، ويتلفع بكوفية تخفى نصف وجهه ، فلم يعد ظاهرا من وجهه سوى عينيه ، ويضع نظارة ، وإذا كان عبد الحكيم عامر يريد أن يكسب ميزة فى الحوار بتخفيه ، فقد اكتسبت أنا أيضا ميزة فى كونى اعرفه وهو لا يعرف أنى أعرفه، وأبدى صلاح نصر ملاحظة عدم حضورى الاجتماعات وتساءل لماذا لا أواظب على الحضور، فقلت :" وماذا أقول فى مثل هذه الاجتماعات !! إنى أرى أن المتحدثين لا يقولون سوى قصائد مدح وثناء، فماذا تنتظر فى جو ملئ بالنفاق مثل هذا " .. رد بقوله :" يمكنك أن تقولى ما تشاءين ، فأنت " لمضة " تستطيعين الكلام فى كل ما تشاءين . قلت :" لمضة مع مين ؟ .. مع شوية ضباط ..؟" .. قال مستغرباً : ضباط ؟ آه طبعاً ضباط ثانوية عامة وستة أشهر فما هى الثقافة التى حصلوها، خرجوا من الكلية الحربية إلى الجيش ثم الحرب ، فمتى وجدوا وقتاً للقراءة أو لتثقيف انفسهم . قال : إذن فأنت لا تعرفين شيئاً عن الضباط ، إن كثيرين منهم واسعو الثقافة .. وأخرجت سيجارة ولم أجد معى ثقاباً ، فإذا بعبد الحكيم عامر يخرج ولاعته رغم تخفيه ويشعل لى السيجارة : قلت وأنا أنظر إلى وجهة على ضوء الولاعة : انت تشبه شخصاً أعرفه !! قال :شخص تعرفينه ؟ .. من هو ؟ أنت تشبه " الأستاذ عبد الحكيم عامر " !! عاد إلى مقعده وأغرق فى الضحك ، سألنى أحدهم وكان عباس رضوان : وما هى ثقافتك أنت ؟ قلت : قرأت لسومرست موم ، وبلزاك وداروِن و ...، رد عبد الحكيم : يعنى كلهم خواجات : .. هل قرأت للمنفلوطى أو الجاحظ ، أو شوقى أو طه حسين .. هل قرأت عن عمر بن الخطاب ؟ أصابنى الوجوم ، فأنا لا أعرف شيئاً إلا القليل .. ثم سمعته يقول : طيب يا مسز سباجتى ،! قلت مقاطعة باستغراب : مسز سباجتى ؟ !! قال : نعم . أليس الإيطاليون يحبون " المكرونة الأسباجتى " وأنت لا تعرفين ولا تقرئين سوى للخواجات فأنت مسز سباجتى !! أحسست أنه أفحمنى .. وكنت نادراً ما أفحم ، وواصل سؤالى : لمن قرأت أول ما قرأت ؟ قلت : كان أول ما قرأت هى رواية " الأم . لمكسيم جورجى " ، وقرأت أيضاً لديستويفسكى ، وتولستوى . قال فى نبرة ساخرة : لكنهم شيوعيون ... يعنى !! ثقافة عيالى .. ثم قال : اقرئي القرآن واقرائي عن عدالة عمر بن الخطاب ، اقرئي عن مصطفى كامل ، ومحمد فريد ، والجاحظ .. عن إن الطفل أول ما يتعلم يتعلم الأشياء التى حوله ، والتى هى قريبة منه ، أما أنت فلم تنظرى إلى الأشياء القريبة منك ، ولم تعرفيها ، ومع ذلك تدعين

معرفتك بالأشياء البعيدة ، كان يجب ان تعرفى شيئاً عن أبناء بلدك أولا ، وأن تعرفى شيئاً عن ثقافة دينك ولغة وطنك العربية ، فتاريخ بلادك ملئ بالثقافة والمواقف العظيمة والبطولات . وعقب ساخراً " ولا إيه يا مسز سباجتي " .. أدرك عبد الحكيم نقطة ضعفى وهى جهلى بأى شئ عن الأدباء العرب والمسلمين ، وعن الشخصيات الإسلامية. وكان يبدو معجباً بهم غاية الإعجاب . انتهت المقابلة بعد ذلك ، انصرف عبد الحكيم عامر ومن معه أولاً ووراءهم أنا وصلاح نصر الذى قام بتوصيلى حتى منزلى . فى اليوم التالى جاءني عباس رضوان بهدية أرسلها عبد الحكيم عامر ، وكانت أول هدية يقدمها لى هى نسخة من القرآن الكريم ذات غلاف جميل للغاية ونسخة أخرى من كتاب عبقرية عمر للعقاد . كانت هذه أول هدية، أجل كانت أول نور يدخل قلبى بفضل تأثري الشديد بأخلاق عمر بن الخطاب وعدالته وإيمانه وصلابته . وأحسست أننى أشارك عبد الحكيم حبه لعبقرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لم أر عبد الحكيم غير تلك الليلة " سوى فى الاجتماع الذى تعقده المجموعة " فى شارع الهرم . فى هذه المرة جلست فى مقدمة الصفوف ، والتزمت الصمت ، فلم أشارك فى اللقاء والكلمات التى أخذ أصحابها يتنافسون فى إظهار إعجابهم بكل شئ ، فكل شئ طيب وعظيم . أما السلبيات فلا وجود لها وكان اهتمامي كله مركزاً هذه المرة على عبد الحكيم نفسه ، أتأمل ملامحه وثيابه ، وحركاته ، كان يرتدى بدلة بنية اللون وحذاءً بنياً وكرافت بنية ، كل ما فيه يدل على شخصية كلاسيكية تتميز بالبساطة فى الملبس والمسلك . وتأملت وجهه المكدور ونظراته العطوف ورغبته العارمة فى أن يحيطوه بكل الحقائق عن الناس ... ماذا يريدون ، وماذا لا يريدون ، ماذا يضايقهم وماذا يسرهم . وما هى الأصوب والأصلح لهم . إنتهى الاجتماع وخرجت منها شاعرة بأنى أصبحت أكثر قرباً من عبد الحكيم عامر . كانت حياتى كلها ملكاً للفن ولأمى وأخوتى ، وندوة الخميس وأصدقائى من أعضاء السلك الدبلوماسى، أما الأحداث الأخيرة من اجتماعات ولقاءات فقد ظلت على هامش حياتى ولم أندمج فيها . كانت بالنسبة لى عارضا ما يكاد ينتهى حتى أعود إلى نشاطى العادى من تمثيل وأحاديث صحفية وما إلى ذلك . وفى ذات يوم .. وكان من أيام الخميس. اتصل بى فى الصباح " على شفيق " وسألنى " هل أنت مشغولة اليوم ؟ قلت : عندى ندوة الخميس فى المساء . قال : " خسارة " إذن أتصل بك فى يوم آخر .قلت له : " إن الأمر فى يدى " كلها التزامات أملك التخلص منها الليلة .. وحددنا موعداً فى المساء لنلتقى فى ذات المكان الذى تقابلنا فيه المرة السابقة ، وكان لابد من الاتصال بكافة صديقاتى وأصدقائى من أعضاء ندوة الخميس معتذرة بظروف طارئة .

وفى الموعد ركبت عربتى وانطلقت بمفردى إلى مكان اللقاء ، وعندما دخلت المكان لم أجد أحداً على الإطلاق سوى رجل فى ثياب مدنية يقوم على حراسة المكان فسألته إن كان أحد قد حضر .. قال لم يأت أحد . أوقفت سيارتى بالحديقة ، وبقيت بداخلها لمدة عشر دقائق دون أن يحضر أحد ، آنذاك أدرت المحرك وانطلقت عائدة .. ولمحتهم قادمين فى سيارة ولكنى لم اتوقف وواصلت السير راجعة إلى البيت. وعندما دخلت شقتى لم تمض دقائق حتى رن جرس التليفون كان المتحدث على شفيق سأل " لماذا انصرفت " قلت : انتظرت حوالى ربع ساعة علاوة على أنى جئت متأخرة ثلث ساعة .. أخذ منه عبد الحكيم عامر السماعة وقال بهدوء : ألم تشاهدينا ؟ قلت : نعم رأيتكم ولكن البروتوكول يقضى أن ينتظر الرجل وليس العكس ، قال بلهجة حاسمة لا تخلو من رقة : " نحن جميعاً فى انتظارك " ولم ينتظر ردى !! عدت إلى الفيلا مرة أخرى ، وهناك وجدت عباس رضوان ، وصلاح نصر وعبد الحكيم عامر وبعض معاونيه. وعند دخولى نهض واقفاً ليستقبلنى ببشاشة وقد أثرت فى نفسى طريقة لقائة المفعمة بالرقة والبساطة . وفى هذا اللقاء لاحظت لأول مرة أن هناك شاباً يلازم عبد الحكيم على الدوام ، لفت هذا الشاب نظرى بأنشغاله الكامل بكل ما يخص عبد الحكيم ، واهتمامه العميق المخلص بمتابعة وتلبية أوامره، حتى قبل أن يطلبها منه عبد الحكيم، وكأنما كان يحس بما يدور فى رأسه . كان شاباً أبيض اللون، هادئ الملامح ، خجولا يوحى بالثقة والطمأنينة . من ذلك النوع الذى تألفة النفس وتطمئن إليه . وعرفت فيما بعد أن هذا الشاب هو " محمد متولى السيد " الشماشرجى لعبد الحكيم عامر . وعند وصولى كانوا يناقشون موضوعاً غمض على فهمه ، فلم أدرك عمن يتحدثون ، فهم حريصون على تجنب ذكر الأسماء. ولكنى فهمت أن عبد الحكيم عامر كان يشعر بالضيق من افعال شخص ما وكانوا يتحدثون بطريقة توحى بأنهم أصدقاء للطرفين، ويبذلون جهدهم لتخفيف الأمر على عبد الحكيم ، الذى كان مهموماً ضائقاً بكل هذه التبريرات إلى حد أن سمعته يقول : وهى إسطال مالها .. والجبنة القريش مالها !! .. وقد عرفت فيما بعد أن أسطال هى بلدته .. ولم يستمروا فى مناقشة هذا الموضوع .. فقد التفت إلى عبد الحكيم فجأة قائلا : كيف حال مسز سباجتى ؟ قلت مبتسمة : بخير .قال : وكيف حال اصدقائك الطليان ؟ قلت : بخير فى أحسن حال. سألنى : اريد ان اعرف ما الذى يعجبك فى الأجانب ؟ قلت : انهم صرحاء وصادقون، وإذا خرجت معهم عاملونى باحترام فهم يعاملون المرأة وكأنها " اميرة "، والواحد منهم لا يفرض نفسه على المرأة ولا يعطى لنفسه حقوقاً لمجرد خروجه معها مرة "لشرب الشاى مثلا "، فلا يتدخل فى شئونها الخاصة ، ولا يفرض نفسه على حياتها. قاطعنى قائلاً : ألم تجربى

صداقة أحد من المصريين ؟ قلت : كانت لى تجربة مرة .. زيجة فاشلة ، جعلتنى لا أفكر فى الارتباط أو الزواج . قال : والرجل الشرقى .. ما عيبه ؟ قلت : عيبه أنه يفرض نفسه على حياة المرأة الخاصة لمجرد أن التقى بها مرة ، أو شربا قدحين من الشاى ، أو عاملته برقة ، ويتصرف معها وكأنه اشتراها !! .. تصور أن صحفياً التقيت به مرة وعاملته بلطف وذوق فإذا به يتصل فى اليوم التالى تليفونياً ، وإذا به يسأل فى أول الحديث " ماذا تفعلين الآن " ورغم ضيقى بالسؤال فقد أجبته : لا شئ سوى أنى أنتظر صديقاً .. فسأل : من هو ؟ ... قلت له : ماذا تقصد بهذا السؤال ؟ قال : إننى أسأل! قلت : وأنا أجيب على سؤالك .. وتحولت المكالمة بعد قليل إلى عتاب ونقار ويقول: لماذا تعاملينني هكذا ؟ من حقى أن أعرف.. قلت له : فكر فى الواجبات قبل الحقوق .. هل بيننا هذه الحقوق والواجبات وهكذا تصور أننى ملك له بفنجان شاى !!قاطعنى عبد الحكيم عامر بقوله : سيمون دى بوفوار يعنى، قلت : إننى معجبة جداً بحياة سيمون دى بوفوار وجان بول سارتر .. سأل : لماذا ؟ قلت : لأن كل منهما يحترم حرية الآخر ، ويعيشان معاً فى حالة توافق عقلى وانسجام نفسى ، لهذا أعجب بهما لأنى أؤمن بأن الإنسان حر ولا يجب أن يفرض عليه شخص آخر إرادته .. قال عبد الحكيم : ولكن الحرية ينبع منها الالتزام بدافع الاحترام . قلت : لم أجرب هذا الشعور ، ولم أجد هذا الشخص .. ساد الصمت لحظة ..ثم قلت له : هل تسمح لى أن أحدثك بصراحة ؟ قال : " تفضلى " . قلت : فى المرة السابقة عرفتك .قال : باسماً : وأنا أدركت أنك عرفتنى قلت : فى هذه الحالة ، أرجو ألا تغضب من قولى " شوية ضباط ، وثانوية عامة " قال : " أنت معذورة " .. فمن أين لك أن تعلمى شيئاً عنا ؟. إننى أحب القراءة منذ كنت طفلا فى الصعيد ، وكان لدينا مكتبة ليس بها سوى بضعة كتب لاتعد على الأصابع ، ولكن هذه المكتبة امتلأت بالكتب التى كنت آتى بها من المنيا والقاهرة لقراءتها . وأصبحت القراءة عادة من عاداتى ، فلا أستطيع النوم مهما كان الوقت متأخراً قبل أن أقرأ شيئاً ..قلت : نعم لاحظت ذلك من تعليقاتك وحديثك عن سيمون دى بوفوار، هل تسمح لى أن أبدى ملاحظة ؟ نظر إلى مشجعاً وهز رأسه بالإيجاب فقلت : " رغم أنك رجل سياسى ، وقائد عسكرى فقد لاحظت أنك خجول" .قال : انت تحكمين على بسبب انطباعك عن اللقاء السابق ، والواقع أننا كنا نشعر بارتباك لأن هذه هى المرة الأولى التى تحضر مجلسنا امرأة ، وكنت ... ورد عباس رضوان ضاحكاً : وكنا نتصورها الأخيرة .. وأكمل عبد الحكيم : ولا تتصورى مدى ترددى قبل أن أقبل هذه الجلسة . ثم قال لى : مادمت تسألين فهل تسمحين بسؤال لك عن شئ ؟قلت : نعم .

قال : لماذا انصرفت فى المرة السابقة ؟ قلت : لأنى لا أحب الانتظار فهو يثيرنى بالضيق،

حتى إذا كنت أنتظر أحداً فى بيتى فإنى لا أرتدى ثيابى للمقابلة إلا بعد أن يحضر .. هذه طبيعتى .فقال : وفى صوته رقة وعتاب " ألا تنتظرين حتى تعرفى السبب ؟ أليس من الجائز أن شيئاً ما حدث لنا ؟

هزتنى منه هذه الملاحظة ، ثم سمعته يقول : لو كنت غبت عن هذه الجلسة اليوم لضاعت منك الهدية . صدمتنى كلمة هدية ، وقلت بتلقائية : أنا لا أقبل هدايا من أحد القال باسماً : ولكن هذه الهدية ستقبلينها !! قلت بعناد : لا لن أقبلها . ضحك قائلاً : أراهن أنك ستقبلين ؟ قلت معاندة : أراهن أنى لن أقبل . وعلى الفور التفت إلى متولى ، الذى أدرك مراده ، فأسرع بإحضار الهدية . قدم لى عبد الحكيم نسخة جميلة من القرآن الكريم لها غلاف بديع . قلت : حقاً هذه لا أستطيع رفضها. قال ضاحكاً : " أرأيت " أنك متسرعة فى الرد والحكم على الأشياء ، ثم قدم لى كتابا آخر ، نظرت فيه فإذا به كتاب " عبقرية عمر " للعقاد ، وتقبلت الهدية الأولى من المشير : كتاب الله وعبقرية عمر ، أحسست فى هذا اللقاء بحفاوة لم أجد لها مثيلا من قبل حتى أنهم عند الانصراف خرجوا جم يعاً حتى باب العربة ، وسلم علىّ عبد الحكيم وودعنى الآخرون ، وافترقنا على غير موعد .

الأشباح .. فى الطريق إلى قدرى

تعرضت حياتى فيما تلا ذلك من أيام، إلى مفاجآت غريبة، ومقابلات غير متوقعة، وعروض تجئ، كأنها وعود لا يفى بها صاحبها، ويلوح بها الناس، ثم يختفون وكأنهم أشباح تظهر وتختفى .

من ذلك أنى فوجئت يوماً برجل من الاستعلامات هو " مرسى سعد الدين " يتصل بى تليفونياً : أريد أن آتى لزيارتك لأتكلم معك فى أمر هام . فقلت له : اتفضل . ولما جاء قال لى : إن شركة فوكس "وهى شركة أمريكية" تريد وجوهاً مصرية، وقد رشحتك وأرسلت صورتك إليهم ثم سكت لبرهة واستطرد : " إن مستر جون مدير شركة فوكس، قد أرسل برقية ينبئنا بوصوله، وأرى أنه ستكون مجاملة رقيقة لو أنك جئت معى إلى المطار لاستقباله . قلت له : آسفة .. لا أستطيع الذهاب . فتساءل مرسى : .. " لماذا " ... اقلت : لأنه من غير اللائق أن أذهب لمقابلة رجل لا تربطنى به صداقة .. إنه عمل يتعارض مع الكرامة .. قال : لا أرى ذلك ما دمت مرشحة للعمل فى أفلام أمريكية .. قلت له : ياه .. ده أنا بقيت مشهورة فى أمريكا، ولما أحس بالسخرية فى صوتى، حضر أطلعنى على التلغراف الذى وصل من مستر جون (من لندن) .مضى على ذلك أيام ... إلى أن طرق بابى يوماً سيدة بدينة، وكان وجهها مألوفاً لدى، وبرفقتها شاب قدمته لى على أنه مسيو " موريس " وشرحت لى السيدة مهمة موريس فى القاهرة، وهى أنه جاء لمشاهدة بعض الفنانات، لينتقى وجوهاً مصرية للعمل فى بعض الأفلام الفرنسية، وأن مسيو موريس هو ابن صاحب شركات العربات الشهيرة (اعتقد رينو)، ووجدت مسيو موريس يتحدث الفرنسية بطلاقة أهل فرنسا، ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية، رحبت بالزائرين وتذكرت أن السيدة البدينة تعمل " كومبارس " فى السينما وان كان ليس بينى وبينها معرفة على الإطلاق، وتركتها وذهبت إلى المطبخ حتى فوجئت بالسيدة البدينة تدخل ورائى حاملة بيدها صرة منتفخة، هى عبارة عن منديل أبيض رجالى، وفتحت

السيدة الصرة أمامى، فإذا بداخلها عدد من الأساور الذهبية والخواتم المرصعة بفصوص من الماس، وبعض أقراط دقيقة الصنع ..نظرت بدهشة إلى هذه الثروة الملقاة تحت عينى، وسألتها : ما هذا؟ فأجابت : هدية بسيطة لك ... من المسيو موريس !! وتملكنى الغضب وخرجت لمسيو موريس قائلة : " لماذا تقدم لى هدية مسيو موريس؟ على أى أساس فعلت هذا؟ خذ هديتك .. ولولا أنك فى بيتى ضيفاً لطردتك من هنا. قال مسيو موريس معتذراً وهو يلملم أطراف صرته على كنزه الثمين .. أنا شديد الأسف .. فأنا لا أعرف تقاليد بلدكم، ولا أعرف شيئاً عن عاداتكم، ولكن هذه المرأة التى جاءت بى إلى هنا هى التى أشارت على بذلك .. وسألت المرأة بالعربية، ثم ترجمت له سؤالى بالفرنسية " هل تعرفيننى؟ أجابت : لا .. وترجمت له إجابتها ثم سألتها : هل شاهدتك قبل الآن وتكلمت معك؟ .. هل زرتنى فى بيتى هذا؟ قالت : لا، قلت لها تفضلى الآن ولا تحاولى أن تأتى مرة أخرى .. وكرر موريس اعتذاره، وانصرفا معاً، ومن الطريف أن أذكر هنا للقارئ، أن مسيو موريس هذا، ظهر لى مرة أخرى فى المخابرات العامة، وكان ذلك بعد موت المشير، فقد واجهونى به هناك، فإذا به يتكلم العربية " أحسن منى " وإذا به مصرى من أب مصرى وأم فرنسية وأن مسيو موريس ليس أسمه الحقيقى وسألونى عند المواجهة : " هل تعرفين هذا الرجل " . قلت : نعم أعرفه فقد جاءنى يوماً زائراً، وسردت على مسامعهم كل ما حدث فى تلك الليلة، والرجل يصدق على كل كلمة أقولها ..بعد واقعة مسيو موريس ببضعة أيام رن جرس التليفون فى منزلى، وعلى الطرف الآخر جاءنى صوت يقول : مدام برلنتى؟ .. قلت : نعم ... من المتحدث؟ .. قال : أنا الدكتور؟ .. سألته : الدكتور من .؟ قال بصوته الهادئ .. الا تعرفين من يتحدث اليك .؟ قلت لا ... قال .:" طيب، ووضع السماعة ... لم أذهب الى شارع الهرم لحضور اجتماعات المجموعة سوى مرات قليلة على فترات متباعدة فإنها لم تعد تستهوينى، وكنت بطبيعتى أضيق بمثل هذه الاجتماعات المرسومة وكنت أشعر بأمور غريبة تحدث حولى، أمور غامضة لاأعرف دوافعها، ففجأة تطلبنى السينما العالمية، ويزورنى غرباء فى منزلى وأقابل فى ليلة شتاء باردة رجالاً غامضين متخفين فى بيت خافت الأضواء، ويتصل بى مجهولون وغير ذلك مما لا أذكره، ولذلك لم أستجب لمحاولة صديقتى الصحفية فى أن أواظب على حضور الاجتماعات "وعيب وما يصحش وحماية الثورة ورعاية مصالح الجماهير الكادحة " الى آخر هذه العبارات التى يعرفها كل من كان يعمل فى الحقل السياسى فى مصر ... وفى ذات يوم اتصل بى أنور عمار صاحب صحارى سيتى وأنبأنى أن وفدا سينمائيا أجنبيا وصل الى مصر لعمل إنتاج سينمائى مشترك، وأنها فرصة عظيمة بالنسبة لى أن أقابل هذا الوفد وأتعرف على أفراده، وقال إن الوفد سيسهر فى صحارى سيتى ودعانى

للعشاء هناك للتعرف عليهم . قلت له :" كيف يمكن أن أذهب لقضاء سهرة فى مكان عام مع قوم لا أعرفهم ولا تربطنى بهم صلة .؟ !! تساءل وماذا فى ذلك؟ .. قلت : إنه يعد منافيا للذوق، ولم يقطع الأمل فأنهى حديثة قائلا : الكلام فى التليفون لن يكون نافعا وسوف أحضر إليك لنتحدث قليلا ... جاء أنور عمار بالفعل الى بيتى، وأعاد على مسامعى ما سبق قوله وزاد أنتى " فيديت " يعنى نجمة والمفروض أن تقابلى كثيرا من الناس، أنتى ممثلة ونجمة فلا تضيعى على نفسك فرصة دخولك الى ميدان السينما العالمية ...

لم يغير ماقاله من تصميمى على رفض فكرة ذهابى الى صحارى سيتى، فقلت له :" لا أريد السينما العالمية إذا جاءت بهذه الصورة .. وانصرف أنور عمار دون أن نتفق على شئ، ووسط هذه العروض التى كانت تنهال على من السينما العالمية بصورة غزيرة وفجائية، جاءنى عرض قبلته على الفور دون تحفظ، ولم يكن من السينما العالمية وانما هو فيلم مصرى اسمة " بنت البادية " ... والواقع أن هذه المرحلة من حياتى كنت أعيشها فى غمار من المتناقضات، أصدقاء كثيرون، وشعور مرير بالوحدة، شهرة ونجاح، فن وثقافة، ولا ترى الصحافة والنقاد فى سوى ملكة اغراء، ولما حاولت تحطيم هذا الإطار الذى وضعونى فيه دون جدوى؛ ثم جاءنى هذا الفيلم؟ بنت البادية؟ ليحقق شيئا مما تصبو اليه النفس فى مجال الفن، هذه التناقضات، فوقها العروض التى دخلت حياتى مثل الانفجار وأقصد بها عروض التمثيل فى الأفلام العالمية، أن الأسلوب الذى جاءانى به هذه العروض وتتابعها قد حرك فى أعماقى غرائز الحذر التى تتنبه فى الكائن الحى عند اقتراب خطر لا تراه العين، ولا تسمعه الأذن و لا يدركة العقل الواعى، وزاد الأمر وطأة على نفسى، أنى لم أجد من أبوح له بهواجسى، وحتى إن وجدت الخل الوفى فما عسانى قائلة له .. أأخاف ؟؟ ومم أخاف ... أأستريب ؟؟ ... ومما أستريب؟ ... ومع ذلك فقد كنت حقا أخاف وأستريب و لا أجد برهانا واضحا لخوفى ... ولم تكن العروض الفنية وحدها هي التى تأتينى، وإنما أيضا عروض الزواج ،لايسبقها حب ولا يعقبها حب، اتصل بى يوما "مرسى سعد الدين " واتفقنا على أن يذهب معى إلى حفل يقام بإحدى السفارات " لأن عريته بها تلف " وفى الطريق فاجأنى بأن عرض على الزواج .. طبعا رفضت، فلم يسبق أن كانت بينى وبينه علاقة عاطفية بأى شكل من الأشكال، وقلت له بصراحة أنه ليس "التيب" بتاعى، والغريب أنه بعد ذلك بأيام طلبنى فى التليفون وكانت محادثة غريبة وغامضة فهو يسأل و لا يلقى بالا لإجابتى، وإنما يجيب هو بإجابة من عنده غير التى أجيب بها، حتى لقد خيل الى أن شخصا ما يقف بجواره ليتابع هذا الحديث المفتعل بل وسألته فعلا : هل أحد بجانبك ؟ ... فأجاب :لا لماذا؟ .. لأنك تبدو كمن يحرص على أن يسمع شخصا آخر

أشياء لم أقلها، وكأن مرسى يريد أن يؤكد لهذا الشخص حقيقة أو أكذوبة ما على أنها الحقيقة .. لا أدرى بالضبط، قال لى : هل فكرت فى الأمر .؟ ... قلت : أى أمر ؟ ... قال : عال متى نلتقى .؟ .. لابد طبعا أن تختارى الدبلة بنفسك " ... قلت : أى دبلة ؟ .. قال : اتفقنا إذن!! ... على هذه الوتيرة كانت تمضى مكالمته التليفونية معى، وأنا لاأفهم شيئا مما يقول أو يبغى من وراء مثل هذه المكالمة .. أشياء كثيرة كنت أقف حيالها عاجزة عن الفهم .. وطرق كثيرة تفتح أمامى ولا أجد القدرة على السير فيها، بل أقف على مشارفها ولسان حالى يقول مع ابن الرومى "ألا من يرينى غايتى قبل مذهبى ومن أين والغايات بعد المذاهب " ... يطابق حال هذا البيت من الشعر حالى مع مسيو موريس - الذى سبق الحديث عنه - فإنه عاد فى اليوم التالى وكان بمفرده وليست معه السيدة البدينة التى تعمل كومبرس فى السينما، وكرر لى اعتذاره عما بدر منه متذرعا بجهله بأساليب الحياة الاجتماعية فى مصر، وأنه ظن - بناء على نصيحة السيدة - أن تقديم الهدايا بهذه الصورة هو أحد عاداتنا الشعبية ... وتكررت زيارات مسيو موريس، حتى توطدت الألفة بينى وبينه، بل وصحبنى معه بعض المرات للنزهة، وكان ينقطع عنى أحيانا بسبب عودته إلى فرنسا لمباشرة أعماله هناك، ولكن كان دائما يتصل بى فور عودته إلى القاهرة .وفى يوم اتصل بى موريس قائلا : أرجوك سأشترى فيلا بمصر الجديدة فأرجو منك رؤيتها قبل أن أمضى عقدها .. فأنا لا أعرف الأسعار هنا وأريد نصيحتك ، وكان قد عرض على الزواج فى إحدى مقابلاته لى وأعطانى مهلة للتفكير ، وفعلا حضر إلى وأخذته فى عربتى يسوق وأنا بجانبه ووراءنا أختى ولما وصلنا الفيلا وجدتها مفروشة وأحس بدهشتى فقال : معروضة هكذا علىَ بما فيها .تجولت داخل الفيلا وفى حجرة من الحجرات وكانت أختى تتأمل باقى الفيلا .. وجدته يتصرف بطريقة غير لائقة، فزجرته قائلة : كنت أظنك رجلا راقيا ولكن خاب ظنى فيك، وخرجت مسرعة وجاءت أختى على صوتى .وبعد أن ركبنا العربة . سألتنى : أختى ماذا بك؟ .. قلت لها ما حدث، و علقت قائلة : ده راجل نصاب .. لأنه تصرف كما يتصرف السوقة .. وقالت لى أختى :" ما رأيك فى استدراجه لشقتنا وإعطائه علقة، وقلت : لا، يكفى أنى أكتشفت حقيقته، وبعد ساعتين تقريبا من وصولى المنزل جاءتنى مكالمة من الدكتور قال بعد أن حيانى، أين كنت؟ قلت : وأنا مازلت غاضبة : والله كنت فى مشوار سخيف .. فأجاب ضاحكا : كيف .. فأجبته : ذهبت مع رجل كنت أظنه محترما فإذا به إنسان خسيس، صحبنى أنا وأختى لمشاهدة فيلا يريد شراءها فذهبنا معه ورويت له القصة كلها، وأنهيت حديثى بقولى : إننى أشعر بالضيق من نفسى .. فتساءل لماذا .؟ .. قلت :" لأنى أحس بأننى خدعت فى التغرير بى .. مما يجعلنى أشعر بأننى غبية ... رد ضاحكا :" مش

قوى" كان صوته فى هذه المحادثة طليقا مرحا على غير عادته، ونهاية المحادثة قال لى :" أريد أن أراك حالا، عندى شئ هام أريد أن أكلمك بصدده، كان يتحدث ببساطة، وفى منتصف الحديث قال فجأة : أسمعى تعالى زى ما انت تاخدى بعضك وتنزلى على طول هنا .. غادرت المنزل فى الحال، فقد جاءت المكالمة فى وقتها، وهناك وجدته واقفا ينتظرنى فى الحديقة، مرتديا قميص وبنطلونا، وحا لما وقعت عيناه على هتف مرحبا أهلا عروستى !! خيل الى أنى أخطأت السمع، فظننت أنه قال كلمة أخرى توهمتها (عروستى) ولم يكن من الممكن أو الجائز أن أسأله أو أستوضح حقيقة الكلمة .. وسار معى حيث يجلس الأعضاء التقليديون زملاؤه وأصدقاؤهم - عباس رضوان، صلاح نصر، ومدير مكتبه على شفيق، أما الشماشرجى متولى فهو يقدم لنا ما نحتاجه من مشرب ومأكل ... قال المشير ضاحكا: أنا الذى سأقدم لك العشاء هذه الليلة، فى المرات السابقة كنت تحضرين لنا العشاء ولكن هذه المرة على أنا ... قلت ضاحكة : ولكن هذا العشاء سيسبب لك المتاعب فأنت موظف ودخلك مهما كان محدودا (حسب علمى كما ذكر فى الجرائد أن أكبر مرتب فى الشهر خمسمائة جنيه) .أما أنا فإنى أكسب فى الشهر أكثر من ألف جنيه ".. ضحكوا وقال عباس رضوان :" هو أنتى دايما لمضة أنه يقول سأعشيك قولي له متشكرة "!! قاطعته معترضة :" لا .. أخاف عليه .. إن أنفق ثمن العشاء من مرتبه أن يصاب بأزمة مالية ".... كانوا جميعا فى هذه الليلة على سجيتهم، والمشير بالذات كان على طبيعته ولأول مرة أراه بهذه الصورة يروح ويغدو، يتحدث ويضحك، فما كنت أراه إلا جالسا فى كرسيه لا يبرحه حتى أنى لم أكن أعرف طول قامته إلا فى وداعى ... كان المرح يسود المجموعة كلها، والطبيعة ذاتها كانت تزهو ببهجة الربيع، الأشجار مورقة والأزهار متفتحة، والألوان من حولنا زاهية، وصوت أم كلثوم يغرد فى الحديقة والليلة كلها مزيج من الأنغام والعطور والضحكات ..

قال المشير موجها الحديث إلىّ :" يالّلا يا عروستى حضرى لنا العشاء . " لم يعد ثمة شك أنه بالفعل يقول (عروستى) وأنا لم أخطئ سماعها فى هذه المرة ولا فى سابقتها، قلت متسائلة :" عروستى .. " أجاب بوجه باش سعيد :" طبعا عروستى " ... تساءلت :" وما معنى هذه الكلمة.؟" أجاب:" معناها .. عروستى .. ألا تعرفين معنى عروستى .؟ ... لم أصدق أنه يقصد المعنى الذى أعرفه، وظننت أن هذه الكلمة تعنى شيئا آخر عندهم .. سألته : . قال : إن معناها فى الصعيد هو ذات معناها هنا وفى كل مكان فى مصر .. قلت مترددة : إذا تقصد عروسة ..عروسة ؟" قال وبسمته تتسع: بمعنى عروسة .. وزواج .. وأبناء . لزمت الصمت وقد بدا على الوجوم، ولاحظ المشير ذلك فقال لى: تعالى نتمشى فى الحديقة . أخذنى وسار بى

بين الأشجار ومشيت معه والصمت يظللنا، إلى أن بلغنا بقعة بين الأشجار فأشار لى المشير الى الأرض : اجلسى، فجلست على النجيل وجلس بجوارى قال : هل تعرفين لماذا قلت عروستى ؟ .. قلت : لاأعرف .. أجاب : لأنك نجحت فى الامتحان ، غمرتنى الدهشة متسائلة : امتحان؟ أى امتحان !! ضحك بسرور ومرح وقال : يبدو أنك لا تدركين ما يجرى من حولك، وعلى كل حال فأنتى مازلت صغيرة ولا تعرفين كثيرا عن الدنيا . قلت : ولكنى أريد أن أعرف ما هو هذا الامتحان ؟ . هز عبد الحكيم رأسة وهو يردد : سأقول لك كل شئ. وتكلم وأحسست أن رأسى يدور كلما أوغل فى الحديث، فقد عرفت الآن أنى حمقاء، أنا كنت حمقاء خلال العام الأخير، فكل ما رأيت كان خداعا وتمثيلا متقنا قام به رجال محنكون، فُصِّلَ بداية من أنور عمار، ونهاية بمسيو موريس أبن المليونير الفرنسى المشهور والذى ينطق الفرنسية " بالإغ"، عرفت الآن أنه مصرى أباً عن جد، وعروض الزواج وعروض العمل فى السينما العالمية كل هذه لم تكن حقيقية، كان المشير يسترسل شارحا لى الامتحان الذى نجحت فيه، دون أن أدرى ما هو الغرض منه، ودون أن أدرى -حتى - كيف نجحت فيه !! أصبحت فريسة لمزيج من الغضب والدهشة فتساءلت "لكن " لماذا كل هذا؟ .. أجاب المشير : لدواعى الأمن، جاء الرد مثيرا لمزيد من الحيرة والغموض فما علاقتى بدواعى الأمن الذى يتكلم عنها وكأنما كان يقرأ خواطرى، ويدرك ما يدور فيها من استفسارات، فقد واصل حديثه موضحا لعلك لا تعرفين أن من كان مثلى يصبح هدفا للكثيرين .. هؤلاء الكثيرون على استعداد لأن يدفعوا الملايين ثمنا لرقبتى . فكان ضروريا أن تتأكد أجهزة الأمن من أن من أختارها لأضع بين يدها رقبتى وأسرار الدولة أنها لا ثمن لها .. وقد برهنت على أنك امرأة لا ثمن لها، أنت امرأة لا تشترى، ولهذا قلت لك " عروستى " فأنتى الآن تصلحين زوجة للمشير ..

وضحك المشير قائلا: هل تعرفين أن عباس رضوان علق على ذلك بقوله : يا ناس حرام عليكم ده لو راجل كان سقط فى الامتحانات دى.

تدفق فى صدرى غيظ كظيم، إذن فقد كانت عروض الزواج وعروض التمثيل، وكان الذهب والمال والشباب كانت هذه كلها شراكا تنصب لى وأنا أسير كالعمياء !!. قلت : إذن فقد كنت فأر تجارب طوال هذه المدة وأنا لا أدرى. كان عبد الحكيم عامر فى تلك اللحظة بشوشاً لين الجانب، تهزه الفرحة والإعجاب بنجاحى فيما أسماه الاختبارات، أما أنا فقد أحسست بالهوان فقلت محتجة : ألم يكن من اللائق أن تسألنى أولا عن رأيى فى الزواج؟ . قال : فى حالة مثل حالتى يكون الوضع بعكس ما هو سائد، ففى مثل حالتى تفرض احتياجات الأمن

نفسها، ولذا يجب أن أوافق أنا أولا - ثم يعرض عليكى الأمر - لم أعد قادرة على منع تيار الغضب المتدفق فى شرايينى فقلت بانفعال: وما رأيك بعد كل هذا الذى فعلته - ما رأيك أنى لا أوافق .. نهضت غاضبة وانطلقت نحو عربتى ورآنى الرجال الجالسون فى الحديقة فأسرعوا نحوى متسائلين عما حدث . وإذ رأونى أركب العربة والغضب باد على وجهى، حاولوا تهدئتى ومنعى من الانصراف وقال على شفيق أنتظرى سيادتك واشرحى لنا ما حدث وحاول صلاح نصر أن يثنينى عن عزمى، ولكنى لم أصغا لهم وحتى لو أصغيت فما أظننى قادرة على رد نفسى وقد استبد بى شعور بأنى وردة تعبث بها الريح، وانطلقت بعربتى مغادرة المكان . عدت إلى بيتى وأنا فى حالة من التشتت والتمزق، لا أعرف كيف أصفها، ومضى الوقت دون أن أحس به وكأنى فى غيبوبة .. فى تلك الليلة زارنى صلاح نصر قال : ما هذا الذى فعلتيه أيتها المجنونة. قلت : نعم مجنونة . ألا تعرف أنى مجنونة، فما هو الجديد فى ذلك؟ قال محاولا تهدئتى : أنت تعرفين أن الأجهزة لابد أن تقوم بدورها .. وما كنت لأتدخل فى مثل هذا الموضوع لولا أنه لا يعنى المشير أو يعنيك وحدكما .. ولكنه يتعلق بالأمن إنه يتعلق بالمشير وبعد الناصر وبمصر، ولذا فإن ما حدث كان لابد أن يحدث والحمد لله فإن المخابرات تعتبرك نظيفة تليقين بزوجة المشير .. قلت : إن ما حدث كان إهانة لذكائى وموهبتى وأنوثتى ولن أبقى فى مصر سأسافر الى بيروت بجلابية، وسأشتغل وأعيش هناك، فأنا لا أريد البقاء هنا " .. واصل صلاح :" لست أرى داعيا لكل هذا الغضب فهو عرض للزواج، ليس أى شئ آخر وكان يجب أن تفرحى .. قلت : ليس غضبى لذلك .. فهو رجل ممتاز ولكنى اكتشفت فجأة أن كل ما حدث لى كان زيفا واستهتارا بعواطفى، وكان (لدواعى الأمن) .. وأجهشت فى البكاء، بكيت طويلا . طويلا وبحرقة، وقال صلاح نصر ممازحا :" ها أنت تبكين الآن كالطفلة حتى تعرفى أننى كنت صادقا حين كنت أقول لك (يا عيلة)..كفى بكاء ياعيلة أهذا بدلا من أن تفرحى .. وتضحكى .. ألا يرضيك أنك المرأة الوحيدة التى قابلها المشير الرجل المتدين وأنه يعرض الزواج"، وانتظر قليلا حتى هدأ روعى، وكففت عن البكاء .وسألنى إن كنت أستطيع العودة الى هناك الآن، فقلت له : دعنى بضعة أيام حتى أستطيع أن ألم شتات نفسى وأن أفكر . لم يلح على صلاح نصر، واكتفى بتوديعى وانصرف .وفى اليوم التالى لم أكن استعدت توازنى بعد، ثم جاءتنى مكالمة تليفونية ردتنى فجأة الى قلب الإعصار، وكان صاحبها منتجا إيطاليا سبق لى معرفته مع بعض الفنانين الإيطاليين معظمهم اشتغلوا فى أفلامه .. ويملك استديوهات خارج روما . ولهذا المنتج قصة تستحق أن تروى .

الإيطـاليون

كان تيار حياتى يتدفق بسرعة، ويسير بى فى اتجاهات لم أحددها، وكنت أظن أنى ممسكة بدفة حياتى، ثم تبين لى أنى كنت أقبض على دفة وهمية وأن مسار حياتى فى أيد أخرى لا أتبينها وإن كنت أشعر بأثرها ..

وما كان لدى وقت لأفكر أو أتأمل فى مرحلة مضت، فإن المرحلة الجديدة تباغتنى فور انتهاء سابقتها . فما كادت تنقطع صلتى بمسيو موريس حتى بدأت وفود الأصدقاء الإيطاليين ترد على مصر، وكعادتهم فإنهم يتصلون بى ويزوروني .. فى ذات يوما دق جرس التليفون وكان المتحدث هو (ماريو ديونيزى)، وهو شاب إيطالى زار مصر من قبل مع المجموعة التى جاءت لتصور فيلما وكان فيها (الدون جوان)، أخبرنى ماريو أنه وصل القاهرة مع بعض الأصدقاء من الفنانين وبالطبع رحبت بهم ودعوتهم الى بيتى، والواقع أن ماريو ديونيزى كان قد أستلفت نظرى ببراءته وسذاجته، كان شابا بالغ الطيبة، تشعر النفس بالراحة لرؤيته، وفيه شيئ، يحرك الشعور لعله انكساره وصمته الدائمين، ورغم بساطة مظهره الذى ينم عن فقر ورغم خفوت شخصيته بين تلك الشخصيات الجهيرة من الممثلين، رغم كل هذا فقد أحسست نحوه بميل ومودة .. جاء ماريو وبصحبته بعض الإيطاليين وأذكر من بينهم الممثل الايطالى "خوسيه" وهو ينحدر من أصل أسبانى، وكان خوسيه رجلا ذكيا مثقفا، يقوم عندهم بذات الأدوار التى يقوم بها محمود المليجى عندنا .. كان الضيوف قوما ظرفاء وتحدثوا عن مصر حديث المعجب بأهلها، وجوها وآثارها .. قالوا لى : إن الرجل المصرى يتحدث لغات متعددة، وأى رجل لابدله على الأقل أن يصنع جملاً من لغة أجنبية، فإننا نجد أن رجل الشارع الايطالى لا يعرف سوى الألمانية، بعكس رجل الشارع المصرى الذى يتحدث عدة لغات، وهذا دليل على ذكاء المصريين.. وقال ماريو ديونيزى : أنه جاءنى بهدية من إيطاليا، وقدم لى الهدية فإذا بها بضع لفائف من المكرونة لايزيد ثمنها عن بضعة قروش، رفعت عينى الى وجهه البرئ الطيب وضحكت قائلة : إذن فعلى أن آتى باللحمة .. وفى اليوم التالى استأجرت لهم شاليها فى الهرم، وذهبنا جميعا إليه وهناك شرع ماريو فى عمل المكرونة على طريقته الإيطالية،

وقضى الجميع وقتا طيبا فرحين بالصحراء والأهرامات وبذلك الجو الممتع الغامض الذى يحيط بتلك المنطقة من أرض مصر .. وكان كل واحد منهم يفعل ما يشاء فمنهم من ينطلق جاريا فى الصحراء، ومنهم من ينهمك فى عمل المكرونة، أو يأخذ حمام شمس، أو يجلس فى هدوء مع أوراقه وقلمه ليدون خواطره .. وانتهى اليوم وعدنا جميعا سعداء من تلك الرحلة.
ولم تمض أيام حتى اتصل بى " روبرتو " وهو أحد الممثلين الذين كانوا معنا فى الهرم .. قال روبرتو: إن منتجا إيطاليا أسمه (بيانكونى) جاء الى مصر، وعندما سمع عن رحلتنا الى الهرم اشتاق الى القيام برحلة مثلها، وطلب منا أن نستأذنك فى أصطحابه معنا فى المرة القادمة .. رحبت بمجىء المنتج الإيطالى، واستطرد روبرتو ليزيدنى معرفة بالمنتج الإيطالى فقال : إنه يملك عددا من الاستديوهات خارج مدينة روما، وأنه صديق حميم لصوفيا لورين وزوجها كارلوبونتى، وأنه أحد الأعمدة الرئيسية فى الإنتاج السينمائى الايطالى.. وفى نهاية المحادثة مع روبرتو حددنا موعد الرحلة .. وقمت بتأجير شاليه مرة أخرى فى الهرم، وجاءت المجموعة السابقة كلها ومعها المنتج الإيطالى ... وانطلقت المجموعة تلهو فى سرور وفرح كالمرة السابقة، وتحدث المنتج الإيطالى عن صداقته بصوفيا لورين وكارلوبونتى، وعن مدى حبه وأعجابه بهما وتحدث عن نفسة كصانع نجوم، وكان بين الحين والحين يشير الى أحد الممثلين هذا كنت أنا أول من أعطاه الفرصة ورشحته للبطولة .. وكان النجم المقصود يؤكد صحة هذا القول معترفا بفضل هذا المنتج فى أكتشافه وتقديمه للناس .. والغريب أنى طوال حديثه معى عن السينما الإيطالية وعن مكتشفاته من النجوم كان يشغلنى أمر واحد هو معرفة " وسطه من جسده " ..كان هذا المنتج رجلا مسنا، ولا يعرف من ينظر اليه أين ستنتهى أرجنه ويبدأ وسطه حتى لكأنه ساقان ركبت فوقها رأس إنسان، وأظهر الرجل أنه من هواة التصوير فشرع يلتقط صورا لرفاقه وقد خصنى بكثير من اللقطات. فقد تصادف أن استأجر أحدهم حصانا والمنتج الايطالى يلتقط لى صورا وأنا فوق الحصان، ولم يخطر ببالى أنه يلتقط صورا تذكاريه وليس له من وراء ذلك أى غرض آخر، ولكنه فاجأنى بعد أيام بقوله: عندى موضوع هام أريد أن أحادثك بشأنه، أننى كنت أريد أن أخبرك عنه قبل ذلك ولكنى تمهلت حتى تصل الموافقة .. واستطرد المنتج ليزيل الحيرة التى ارتسمت على وجهى بقوله إن الصور التى التقطها لك فى الهرم قد أرسلتها الى إيطاليا لتحميضها، ورشحتك للعمل فى السينما الإيطالية، وأنتظرت حتى جاءنى الرد بالموافقة من مجموعة المستشارين التابعة لى، وها أنا أزف النبأ الآن .. فهل تقبلين الظهور فى الأفلام الإيطالية، وأعلمى أن هذا بداية لظهورك بعد ذلك فى الأفلام الأمريكية والفرنسية، إننى سأتعهدك حتى تصبحى نجمة عالمية .

وصمت لحظة وهو ينظر الى وجهى، ولعله لمس عدم اعتراضى على ما يقول، فواصل : لكن هناك أمراً أحب أن تعرفيه من الآن . أنك ستظلين أربعة أشهر بعد وصولك الى إيطاليا بدون عمل وهى فترة نسميها (إعداد نجمة)... ستكون لك أحاديث صحفية وإذاعية وسنقيم الحفلات التى ندعو إليها المهتمين بالسينما والإعلام الإيطالى . وبعد ظهورك على غلاف أحدث المجلات ستصبحين نجمة . ..إن الاعداد كفيل بأن يجعل منك نجمة حتى قبل الظهور فى أى فيلم ... استمعت اليه ثم ناقشته فى مشروع إتقانى اللغة الإيطالية، وأبديت تخوفى من أن عدم إتقانى لها سيكون عقبة دون نجاحى هناك. ولكنه أجابنى بأنهم سيقومون بعمل الدوبلاج وضرب لى مثلا بصوفيا لورين قائلا :" إن صوفيا لورين نفسها الإيطالية يقومون بعمل دوبلاج لها فى الأفلام الإيطالية . فأزال مخاوفى من هذه الناحية مبررا ذلك بأن لهجتها ريفية .

وواصل المنتج ومكتشف النجوم الإيطالى حديثه قائلا : وبالطبع أن مثل هذه الأمور بما فيها من دعاية وأحاديث وحفلات تتكلف كثيرا، وعلىّ أنا القيام بذلك نظير ٢٠٪ من دخلك بعد أن تصبحى نجمة، إن أول فيلم تمثلينه سيكون كافيا لتغطية هذه النفقات، قلت له هذا بسيط للغاية، إن نسبة العشرين فى المائة ليست شيئا كبيرا .. فأجاب بلهجة الرجل المحنك العارف بطبائع النفس البشرية : أنت تقولين هذا الآن، ولكن عندما يحين موعد الدفع سترفضين، وحينئذ أضطر لإقامة قضية ضدك، وسافر المنتج إلى إيطاليا على أن يعود خلال أسابيع إلى مصر وأكون خلالها قد أعددت نفسى تماما للسفر، ووضع قدمى على أول طريق السينما العالمية ... وبدأ الصحفيون يتشممون الأخبار وقمت من ناحيتى بإعطاء الأحاديث لهم عن احترافى العمل فى السينما الإيطالية والعالمية، وكتبت الصحف عن سفرى هذا موضوعات جعلت لها مانشيتات مثل " أول نجمه مصرية تغزو السينما العالمية " أو " برلنتى عبد الحميد نجمة فى أفلام إيطالية "، وهكذا حتى أصبح موضوع سفرى هو الموضوع الرئيسى عند الحديث عنى فى الصحف ... وفى تلك الأثناء سافرت إلى البحر الأحمر مع بعض الأصدقاء الإيطاليين، وقضينا هناك عدة أيام ممتعة.

وعندما عدت الى القاهرة دق جرس التليفون ذات مساء فى منزلى رفعت السماعة فوجدت من يقول لى : مساء الخير .. أنا الدكتور ...(كان لقب الدكتور هو الاسم الكودى للمشير عامر) سألنى الدكتور : هل عندك ما يشغلك اليوم؟ .. قلت : لا .. قال : إذا هل يمكن أن تجيىء الليلة ... أصبح من الأمور العادية فى حياتى أن يتصل بى المشير ويدعونى لقضاء

سهرة معهم بعد اللقاء الذى أهدانى فيه مصحفا، وكتاب عن عبقرية عمر وأصبحت بدورى أعرف الطريق فأذهب بمفردى دون أن يصطحبنى أحد .

أخذت عربتى وقبل الذهاب أعددت لهم طعاما فاشتريت بعض الأطعمة والحلوى من (جروبى) وحملت معى كل هذا وذهبت .

لم يكن مكان اللقاء يتغير فهو ذات المكان الذى تعودوا الاجتماع فيه، والمجتمعون دائما هم، عبد الحكيم عامر، عباس رضوان، وأحيانا صلاح نصر، وأحد إخوته وطبعا الشماشرجى متولى لخدمة الضيوف ... وعند دخولى عليهم وجدت وجوههم مكفهرة ويبدو عليهم أثر حوار هام قطعوه فجأة عند وصولى، وتقدم منى المشير ناظرا إلى لفائف الطعام فى يدى وأخذ واحدة فتحها وهو يتساءل : ماذا أحضرت لنا معكى .. طعام والله أنت بنت حلال إحنا جائعين فعلا .. ثم واصل وهو يتفحص محتويات اللفائف بعد أن فضها: برضوا أكل خواجاتى، وأقبل الباقون على الطعام بشهية وكان واضحا أن حالهم هو حال الجعان وناسى نفسه . والواقع أن هذه الاجتماعات كان يغلب عليها طابع البساطة والتقشف حتى أنى لم أكن أجد فى الثلاجة شيئا من الطعام أو الشراب بل كنت أحضر معى عند زيارتهم بعض العصائر، وأضيف شيئا آخر لمسته لقد كانوا جميعا يبدو عليهم الحرج فى وجودى وهو الحرج الذى ينتاب الرجال الذين لم يعتادوا مجالسة النساء، ولذا كان وجودى بينهم مبعثا لسرورهم وحيرتهم فى آن واحد .

وكان المشير يبدو فى تلك الليلة مهموما، ترى آثار الحزن فى عينيه، ويضحك ضحكة مغتصبة، وكان الجميع بمن فيهم المشير، ينظرون الى ساعاتهم بين آن وآخر، مما يدل على أنتظارهم لموعد هام لم أعرف وقتها مع من، ولم يكن من شأنى أن أسأل..

قال لى المشير : كيف حالك الآن .. ماذا تصنعين .؟ .. فقلت إن حالى هو أحسن حال وأخذت أتحدث عن الاتفاق الذى تم بينى وبين المنتج الإيطالى وكيف أنى سأصبح نجمة عالمية، وعلق على ذلك صلاح نصر بقوله : إنى قرأت شيئا عن هذا فى الصحف، وسألنى عباس : ألا تخافين ألا تشعرى بالراحة فى بلاد غريبة ومع قوما أغراب؟.. فأجبته : إنى أحب الإيطاليين وأنهم قوم مهذبون ظرفاء، وأن طباعهم وأحاسيسهم قريبة من طباع المصريين . وسألنى المشير : ألم تجدى غير الإيطاليين لتصادقيهم .. وماذا عن المصريين، ألا تجدين فيهم من يمكن الخروج معه؟ قلت : إن الرجل الشرقى لا يرى فى المرأة سوى أنها أمرأة ولذا فهو لا يكتفى بالصداقة. ثم حدثتهم عن رحلتى الى البحر الأحمر فقال المشير مستنكرا : ألا تجدين غرابة فى الخروج مع رجال غرباء والسفر معهم الى أماكن بعيدة مثل البحر الأحمر، ألا ترين أن هذا

غير لائق؟ .. قلت : وماذا فى ذلك ؟ .. أجاب : إن هذا غير لائق فنحن شرقيون وطباعنا لا تقبل خروج المرأة بهذه الصورة مع أغراب، قلت فى ثقة : إنهم رجال مهذبون، والواحد منهم لا يسيئ إلى المرأة ولا يحاول الاعتداء عليها وأنا معهم أشعر بأنى رجل وسط الرجال قال على الفور : هذا كلام فارغ ..الرجل رجل، والمرأة مرأة .. وهم لا يختلفون فى شئ عن غيرهم من الرجال فى أى مكان فى العالم إنهم فقط يغلفون غرائزهم وشهواتهم فى ورق سوليفان، فلا تنخدعى بالمظهر البراق، إن ما تقولين ليس إلا مبررا، والخروج مع رجل غريب شيئ تأباه تقاليد بلادنا ".. وباستثناء هذا الكلام الأخير، كان المشير معى رقيقا بسيطا طوال الوقت وكان كعادته يسألنى عن "الناس" ويهتم أن يعرف منى كيف حال الناس وكيف يعيشون ... وحان موعدهم الذى لم أكن أعرف أين، ولا مع من، صافحنى المشير وهو ينظر فى عينى ويقول : خلى بالك من نفسك ... كانت هذه هي المرة الأولى التى أسمع فيها كلمة كهذه . لذا نظرت اليه مستغربة مستفسرة، ولكنه لم يزد عن أن أكدها لى وهو يؤكد جدية تحذيره بنظرته الحنون وصوته الهامس قائلا :" خلى بالك من نفسك". عاد المنتج الإيطالى الى القاهرة جاء ومعه خطة "البروباجندا " التى أعدها لى فى إيطاليا، وكانت هذه الخطة مثار حوار طويل بينى وبينه، وكان قد أعد العقد الذى سأوقعه وبدأ يقوم بإجراءات السفارة . ولم يكن العقد ولا إجراءات السفارة موضع نقاش أو اعتراض وإنما كان موضع النقاش هو خطته الدعائية لغرابتها !!

دار الحديث بينى وبينه حول هذه الخطة،ونحن نجلس فى أحد مطاعم شبرد الصغيرة،وقد حضر هذا الحديث منتج إيطالى آخر يسمى " بوبو" وزوجته ... وتتلخص الخطة فى أن يعلن فى الجرائد عن قصة غرام بينى وبين المنتج الايطالى - العجوز صاحب الساقين والرأس - وكيف أنه وقع تماما تحت تأثير سحر الشرق الغامض مع الإفاضة والتهاويل حول هذه الساحرة الآتية من بلاد الأهرامات وأبو الهول، والتى بلا شك فى روحها لمسة السحر الفرعونية .. عارضته قائلة : ولكن تقاليدنا كمصريين لا ترضى عن نشر قصص الغرام بهذه الصورة .. فأجاب بأنه سيكون حب على الورق فقط، للفت نظر الجمهور الإيطالى الذى تخيل عليه مثل هذه الكتابات وتحرك خياله ...

كان المنتج الإيطالى متحمسا لهذه الفكرة الدعائية، ولم أكن أشاركة الحماس، وإن كانت مثل هذه القصة -بلا شك- ستنطلق كالصاروخ المتوهج فى سماء الفن الإيطالى .. وواصل المخرج محاولة إقناعى بسلامة هذه الخطة قائلا : إنها بالطبع غير حقيقية - هذا فيما بينى

وبينك فقط - ولكن عليك أن لا تكذبى ما ينشر من حكايات عن هذا الغرام العجيب الذى ولد فى ظلال الأهرامات، وإن سألك الصحفيون فلا تكذبى أيضا شيئا منه ... وافترقنا فى تلك الليلة، والمنتج الإيطالى وأنا نعتقد أن السفر أصبح حقيقة، وأن نجوميتى العالمية قد باتت وشيكة على يديه، وسافر بعد ذلك عائدا الى بلاده، على أن يصطحبنى فى المرة القادمة ... اتصل بى المنتج كما ذكرت لدى وصوله إلى مصر وقال لى فى التليفون أنه عاد من إيطاليا وسيبقى فى القاهرة عشرة أيام، وأنه يقيم الآن فى فندق شبرد، وأعطانى رقم الغرفة . وطلب منى إعداد نفسى للسفر بعد عشرة أيام وذكرنى بالعشرين فى المائة العمولة من أجرى على كل عقد أوقعه، وطلب منى إعداد نفسى للسفر فى نهاية الأيام العشرة .. ونصحنى بألا أتعب نفسى بإحضار ملابس معى، فقد أحضر معه حقيبتين من الملابس خصيصا لى، وشرح لى كيف إنى سأهبط المطار بثوب صنع خصيصا لهذه اللحظة، ثوب يوحى بسحر الشرق ويليق بمكانة الإغراء، ولسوف يكون فى انتظارنا فى مطار روما عدد من الصحفيين والمصورين . وأن فى الحقائب أثواباً كثيرة جاء بها وصممها أشهر مصممى الأزياء فى روما ... وبعد أن أطلق فى خيالى هذه الصواريخ الملونة، قال - ولكن هناك أمرا أحب أن أكلمك فيه - فأنتى تعرفين أن مثل هذه الأمور تكلف كثيرا وأنى سأقوم بالإنفاق على هذه الدعاية وسأقوم بتقديمك الى رجال السينما الإيطالية ، وسيكون لى ٢٠٪ من كل عقد، وانتهت المكالمة وهو يهيب أن أستعد للسفر معه الى إيطاليا بعد عشرة أيام. كان هذا الحديث فى الظهيرة وضعت السماعة وأنا أشعر بعجزى عن التفكير، فإن الهواجس و الشكوك كانت تعربد فى عقلى كأنها الريح العاتية.. وبقيت فى بلبلة وتشتت حتى حل المساء قلت لابد من الاختلاء بنفسى لأفكر . أسدلت الستائر على النوافذ وجعلت الضوء خافتاً وجلست أستمع للموسيقى الهادئه التى تشارك الضوء خفوته ونعومته ولكى لا يقطع على مخلوق خلوتى، عزلت فيشة التليفون واستلقيت على إحدى الأرائك وتركت لخواطرى العنان، وحاولت أن أضع نفسى خارج المشكلة فلم أفلح كنت غارقة فيها تماما. إذا كان قد فعلوا بى ما فعلوا بدواعى الأمن .. أو ليس من الجائز أن أقتل .. أو أسجن .. وكله لدواعى الأمن أليس من الجائز أن يطلقنى لدواعى الأمن أأرفض؟ هل أرد مرة أخرى الى الوحدة القاسية، الغول المخيف الذى يلتهم شبابى وأنوثتى.. أأوافق؟ إذن فأنا أسير الى المجهول تحت عينى شبح مريع اسمه "، دواعى الأمن " أهى أقوى من إرادتى الشخصية وأقوى من إرادته .. وأقوى من الشرع الذى أباح الزواج لعباد الله على إرادتهم.

والمنتج الإيطالى أهو حقا منتج؟ هل أصبح نجمة عالمية أم أصبح زوجة لعبد الحكيم عامر ؟؟ نجمة أسبح فى الأضواء .. وأنعم بالمال والشهرة وأتقلب فى الحرير والرياش .. ظل

عقلى فى أرجوحته تلك حتى أوغل الليل وفجأة دق جرس الباب. دهشت !! من عساه يأتى الآن فى هذا الوقت المتأخر وبدون ميعاد . قمت وفتحت الباب فإذا بى أجد عبد الحكيم عامر واقفا أمامى . تسمرت فى وقفتى وعجز لسانى عن الحركة. قال المشير برفق : ألن تسمحى لى بالدخول ؟ ... تنبهت وأفسحت له الطريق ودخل وخلفه خادمه (متولى)، ومشى عبد الحكيم رأسا الى الصالون بينما بقى متولى بين الصالة والمطبخ..

دخلت خلفه فوجدته جالسا ماداً ساقية، مستند رأسه إلى الوراء، كان يبدو كمن يستريح بعد تعب شديد وظل ممددا فى استرخاء وهدوء وصمت فترة من الوقت . كنت خلالها أجلس على كرسى قريبا منه .. نهض فجأه ووقف ممشوقا وقال بلهجة آمرة : إنهضى، نظرت نحوه صامتة قال : ستأتين معى الآن !! ... سألته : إلى أين ؟ ... قال : سنذهب لأريك شيئا هاما .. كنت ارتدى ملابس بسيطة تصلح للخروج، خرجت أنا ومتولى أولا ركبنا العربة ثم هبط المشير بعدنا بدقائق، جلست على المقعد الأمامى بجوار متولى الذى كان سيقود السيارة أما المشير فكان فى المقعد الخلفى وقد غاص قليلا فى قلب السيارة ... قادنى الى نفس المكان، ورأيت هناك بعضاً من حرسه أبو المعاطى وسكرتيره على شفيق، وسمعت المشير يصدر أوامره، وصوته ينطلق قويا قاطعا فبدا لى بصورة لم أرها من قبل ...

وأخذنى المشير الى الداخل، وهناك قادنى الى قاعة واسعة لم أكن قد رأيتها من قبل، حتى ظننت أنه ما أخذنى إلى هذا المكان إلا ليجلدنى !!

وقفت وسط القاعة .. قال لى : إجلسى .. جلست على الأرض وجلس هو بجوارى، وفى أثناء جلوسى لاحظت أن فى نهاية القاعة شاشة عرض سينمائى، قال المشير بهدوء : أنت غاضبة لأنك تعرضت للاختبارات، وربما كنت تتساءلين لماذا كل هذه الأفعال! .. إن ما أشاهده وأسمعه كل يوم يجعل الإنسان لا يثق فى النساء !! ... قلت معترضة : ولكن هناك كثيراً من النساء الفاضلات مثل والدتي ووالدتك، فليس النساء جميعا على شاكلة واحدة ... قال : ستعرفين المبرر القوى لما أقول، ولما أعانيه من شكوك .. هل تريدين أن تعرفى ؟ .. قلت: نعم.

أعتدل المشير فى مجلسه وأصدر أمره بصوت مرتفع من قلب القاعة الشريط رقم كذا ثم رقم كذا، ثم رقم كذا !!! ..

وقدم لى عبد الحكيم عامر البرهان، وأطلعنى على حقيقة لم يخطر ببالى يوما أنها كانت حقيقة وما كنت لا أصدق لو لم أكن قد رأيتها بعينى على الشاشة، لقد نزل الأمر على

كالصاعقه لهوله، وفساده وبعده عن التصديق ..

قال لى المشير فى النهاية : هل صدقت ؟ ... قلت : نعم صدقت.

نهض المشير وعلى وجهه حزن دفين من تأثير ما شاهدنا ولم يترك نفسه لخواطره طويلا، فسرعان ما تخلص والتفت إلى قائلا : تعالى معى.

وصحبنى إلى الحديقة الغناء التى تحيط بالمكان، قادنى إلى مائدة عليها أطيب الطعام لحوم فاكهة حلوى وحولها باقات الورود التى جمعت من الحديقة وزينت به المائدة وما حولها ... نظرت إلى كل هذا فى دهشة فلم اعتد أن أرى بذخا فى إجتماعاتهم، بل ولم اعتد أن يقدموا لى طعاما، وأنا التى كنت أحمل لهم الطعام . ودعانى عبد الحكيم إلى الجلوس وقال بصوت عطوف: بعد الذى عرفته وشاهدته فلا شك أنك تلتمسين لنا العذر فى إجراء هذه الاختبارات التى أغضبتك .. والآن هل توافقين على الزواج منى ؟..

استطاع عبد الحكيم عامر بلطفه ورقتة وقوة منطقة أن يطفئ من ثورتى، وإن كان اختلاط الأمور فى نظرى لايزال قائما، فلم يكن من السهل أن يعود النظام إلى عقلى بمثل هذه السهولة والسرعة . ..

وواصل حديثه : ستتم الخطوبة فى وقت قريب، وبعدها نحدد موعد الزواج. لقد تفاهمت مع والدتك على كل التفاصيل، على أن يظل أمر الخطوبة والزواج سرا لفترة . ..... قلت له : ولكنى سأسافر إلى إيطاليا لأمثل بعض الأفلام هناك ! .... قال: لا ..لاسفر بعد الآن فما عاد يليق بك الذهاب وحدك إلى بلاد غريبة ثم العودة ..... قلت : لكن المنتج موجود الآن فى القاهرة، وقد أعد لى كل شئ واتفقنا على السفر بعد عشرة أيام ... قال المشير : أنا لا أقبل أن تسافر امرأة سوف أرتبط بها لتعايش الأجانب فإما السفر أو الزواج؟ ..... قلت: وما يمنع أن أسافر حتى لا تضيع مثل هذه الفرصة ..خاصة أننا لم نخطب فعلا ويمكن تأجيلها بضعة شهور لحين عودتى من إيطاليا ... قال مصمما : قلت لا لن تسافرى ..... كان الموقف بالنسبة لى هائلا فأنا بين إغراءين قويين (الزواج من رجل آراه ممتازا، والسينما العالمية بكل فتنتها وجاذبيتها).

أنقذنى عبد الحكيم عامر من حيرتى حين سألنى : أين يقيم المنتج الإيطالى؟ .. قلت : فى فندق شبرد .. قال : أطلبيه .. أدرت القرص وعندما أجاب سألت عن المنتج وقيل أنه موجود، وما هي إلا لحظة حتى جاءنى صوته قلت له :أنا برلنتى .. وفيما نحن نتبادل التحية

مد عبد الحكيم عامر يده وانتزع السماعة من يدى ووجه حديثة بالإنجليزية إلى المنتج قائلا بعد أن وجه له تحية مقتضبة :

أنا خطيبها إنها بجوارى الآن لا داعى للحديث معها تقاليدنا لاتسمح بذلك ستترك السينما نهائيا ولا داعى للمحاولة، ووضع المشير السماعة، ثم أمسك بذراعى قائلا وهو يسير بى نحو السيارة : أين تقيم أمك؟ .. وانطلقت بنا السيارة ويقودها السائق متولى وكنت أدلهم على الطريق حتى وصلنا منزل والدتي .. هبطنا جميعا وصعد المشير رأسا إلى منزلنا، وهناك قابلنا والدتي . ولاحظت أن الحديث بينها وبين عبد الحكيم عامر يدور بصورة من يعرف كل منهم الآخر .. واكتشفت أنها تعرف كل الموضوع بما فيه موضوع الخطوبة.

الكل كان يعرف، إخوة المشير... حسن ومصطفى وعبد المنعم عامر، وصلاح نصر، وعباس رضوان، ووالدتى إلا أنا، فأنا آخر من يعلم كما يقولون، وفى اليوم التالى فوجئت بوالدتى تدخل على قائلة إن الدكتور طلبها، ويريد ذهابها إليه وأن متولى ينتظر فى العربة .. وهناك قابلنا عبد الحكيم عامر، واتفق عبد الحكيم عامر ليلتها مع والدتي على خطوبتى، وقال لها : سوف اتصل بكم قريبا لنحدد الموعد وإتمام الخطوبة، ولا أريد أن يخرج هذا الأمر على ثلاثتنا... أنا وأنت وبرلنتى .

كان عبد الحكيم عامر يثق فى والدتي ثقة كبيرة، ويتحدث معها ببساطة عن أمور يعرفانها وأجهلها أنا، كانا صديقين من وراء ظهرى .. فهل يا ترى تعرضت والدتي لاختبارات مثلما تعرضت أنا ؟؟؟ .. وإلا فما سر هذه الصداقة التى اكتشفها فجأة، وما سر هذه الثقة البادية فى معاملته لها . وفى حديثه معها؟ ... منذ تلك الليلة تغير مناخ حياتى، فكان علىّ منذ الغد أن أنسحب من كل ارتباطاتى وأوجه نشاطاتى العادية، فإن جاءتنى عروض لأفلام رفضتها، وإن أراد صحفى حديثا اعتذرت له بأى عذر أختلقه، وبدأت أضع الترتيبات لأتخلص من "ندوة الخميس" .

ومرت الأيام دون أن أدرى متى سيتصل بنا عبد الحكيم عامر، ولا متى يكون يوم خطوبتى، فقد كان من السمات الغريبة لعلاقتى به أنى لا أعرف متى يأتى، أو متى يتحدث فى التليفون .. كما أننى لم أكن أعرف كيف ولا أين أتصل به إن شئت .. ومر يوم .يومان .ثلاثة .وفى اليوم السابع دق جرس التليفون، لنجد أن المتحدث هو "الدكتور" الذى أنفق وقتا يتحدث إلى والدتي دون أن أدرى فيما كان الحديث، وفى النهاية وضعت والدتي السماعة والتفتت تزف إلىّ موعد الخطوبة قائلة : إنه يوم الخميس المقبل .. مبروك .

ولما جاء يوم الخميس، وجدت نفسى منذ الصباح واقعة فى مشكلة غريبة محيرة ... وكانت المشكلة عبارة عن تساؤلى بينى وبين نفسى ماذا أرتدى من ثياب لهذه المناسبة ؟؟؟ ومصدر حيرتى هي أنى لم يكن لدى أى تصور عن حفل الخطوبة المقبل . وهل هو حفل ومعازيم؟ أم سيكون الأمر قاصرا على والدتي والمشير وأنا .... بعد الظهر بقليل جاء متولى حاملا علب الطعام والحلوى وأنفق وقتا يعد الساندوتشات، وأطباق الجاتوه وما إلى ذلك ثم غادر المنزل قرب العصر .... وظللت أنتظر، ولا أحد يدخل علينا، ولا أحد يخرج منا، لاأضواء على واجهة البيت، ولا صخب الأفراح المعتاد، بل سكون عميق يلف المكان كلما أوغل الليل، والعمارة ذاتها كانت هادئة وبالذات الدور الأخير والذى تقع فيه شقتى .. ثم جاء المشير . كان يفيض حيوية وبشرا ومرحا وبدا أنيقا مهندماً، وكان فى صحبته شقيقاه ورجلان آخران هما فى الغالب من حراسه. في تلك الليلة كان المشير يتصرف بتلقائية ويتحرك في البيت ببساطة واذا أراد شيئا من طعام أو شراب لم يطلبه من أحد، وإنما قام وأتي به بنفسه، وسألني مازحا : كيف حال ثلاجتك الفارغة . ونظر الي أحد أخويه مازحا : كل اللي عندها أكل خواجاتي ..وبدا لي الإخوة الثلاثة متحابين متفاهمين؟ وسألني المشير وهو يشير اليَ : انظري الي وجهه ... وحاولي أن تعرفي من يكون؟ فقلت : إنه يبدو قريبا لك. قال انظري جيدا ودققي النظر .. هيه .. هل عرفت من يكون؟ وفيما أنا أطيل النظر الي وجه حسن الضاحك قال المشير هذا أخي ... حسن. راق لي هذا الجو الأسري المحيط بي، كثيراً وبدد كثيا من قلقي وتوتري .. ثم جاءت لحظة تقديم الدبلة . أخرج عبد الحكيم من علبة أنيقة دبلة الخطوبة وألبسني الدبلة التي عليها اسمه وألبسته الدبلة التي عليها اسمي. ثم بدأنا تقطيع التورتة بين فرح المحيطين بنا، وعبارات التهنئة منهم .. وملأ عبد الحكيم عامر السهرة مرحا بعملية ظلت تتكرر طوال الوقت . فكان إذا طلبني أحد من أصدقائي وصديقاتي في التليفون؟ قام بالرد عليه، فان سأله الصديق من المتحدث أجاب " أنا أخوها ". وما أطرف المفارقات التي كانت تقع خلال هذه المحادثات، فان الصديق الذي كان يجهل شخصية المتحدث كان يقول عبارات بدت طريفة وغريبة مثل مالكش دعوة انت .. بس روح اندهلها او ياابني إحنا عاوزينها في فيلم، ولما يزيد المشير أسئلته يقول المتحدث: بس روح انت .. اندهلي حد كبير. وكان المشير يضحك من أعماقه لمثل هذه الردود خاصة بعد أن يضع السماعة ويروي لنا ما دار من حديث ويقول معقبا بقوله: عايزها ليه .. يقول لي مالكش دعوة .. انت لسه صغير .. ياابني عايزينها في شغل ما توجعش قلبي. وفي منتصف السهرة فاجأني بأن قدم سواراً ذهبيا بسيطا، وكان لدي طقم من الذهب المرصع بالماس اشتريته من سنوات، مؤلف من بروش، وحلقان، وأساور،

وخاتم، تزينت بهذا الطقم في تلك الليلة احتفالا بمناسبة الخطوبة . فلما البسني عبد الحكيم سواره الذهبي بدا فقيرا منطفيء بجوار الأساور المرصعة بالماس، واضطرني ذلك لخلع طقمي الذهبي، والاكتفاء بهديته التي أبقيتها في يدي . دبلة وسوار ذهبي متواضع هي كل شبكتي أنا نجمة السينما، يقدمها لي خطيبي الرجل الذي شارك في صنع تاريخ مصر . لمت مصوغاتي ووضعتها في علبتها، وأخفيتها في غور الدولاب، ثم خرجت الي أهل الفرح . وجدتهم يمرحون، وصوت أم كلثوم يملأ المكان ببهجته المميزة، فقد كان عبد الحكيم وإخوته يشاركون الملايين من أبناء مصر والأمة العربية، عشقهم الفائر لصوت أم كلثوم . وكنت أحب الموسيقي الهادئة، فأوقفت غناء أم كلثوم وأدرت شريطا لموسيقي غربية . لاحظت عليهم بمن فيهم والدتي، عدم الارتياح لهذه الموسيقي، لم يقلها أحد وإنما ظهر ذلك علي وجوههم واضحا وأدركت أن عليّ منذ تلك اللحظة أن أغير من " مزاجي الموسيقي " . بدأعبد الحكيم في تلك الليلة تقديمي الي إخوته، وكان له في ذلك طريقة خاصة ظاهرها الحنان وحسن سياسة الناس . بدأ يثير موضوعات للجدل بيني وبين إخوته ويتخيرها من الموضوعات التي أجيد الحديث فيها، فأعطاني بذلك ميزة الظهور علي محدثي بصورة رائعة. ولم يكن يكتفي بتفتيح الموضوعات، بل يجلس لإثارة حماسها، وكان كأنما يريد أن يقول " ليس جمال هذه المرأة هو الذي يستهويني وإنما شيء آخر أجمل من الجمال ..هل ترونه"، والحقيقة التي قد يستغرب لها الكثيرون، أن المشير كان رجلا لا تستهويه النساء، وما كان يخلب لبه جمال ولا فتنة؟ بقدر ما تستهويه الصفات التي يتميز بها أى انسان... رجلا كان أم امراة ... وتبين لي ذلك واضحا من فترة " الاختبارات " التي تعرضت لها، ومن آرائه وأحاديثه معي . ولقد عرفت عنه ذلك فلم أجرب معه سلاحا من أسلحة المرأة التقليدية .. وانما كنت أجرب معه الرأي والحجة، فقد كان رجلا ميزانه الحق والعدل . واني لأسبق الأحداث حين أقدم عنه هذا الرأي، فإن ما أحطت به تماما وأدركته بوضوح الا من خلال المعاشرة الزوجية التي تتضح فيها خفايا النفوس وحقائقها علي، أنني لا أخفي ما كان يدور برأسي من خواطر في ليلة الخطوبة، تلك التي نحن بصددها الآن، فإن شكا مؤلما كان يفحز عقلي؟ وتساؤلا محضا يرد علي خيالي : " ماذا كسبت من خطوبتي لعبد الحكيم عامر "؟ وكانت الاجابة تأتيني دائما بلاشيء. فقد خسرت العمل الفني، وأدركت أنه يتحتم عليّ ألا أقبل عروضا بعد الآن، ما عدا ما لم تتم منها وسبق التعاقد عليه، وكان فيلما ومسرحية... فيلم " الشياطين الثلاثة " ومسرحية " العش الهادىء " التي كنت أقدمها علي مسرح التليفزيون . وأحسست أيضا اني أخسر شيئا من حريتي... فنشاطاتي، وأحاديثي الصحفية وعلاقاتي، يجب أن تكون محسوبة وفي أضيق

الحدود. لم أكسب مالا؟ فما قدم لي شبكة سوى أسورة ذهبية لا تساوي أكثر من بضعة جنيهات . بل إن الخطوبة نفسها تمت في طي الكتمان، مما أشعرني بالألم، وكنت اري انه من حقي أن تكون في النور، وتعلن علي الدنيا كلها، فأنا نجمة مشهورة ملتزمة، وأمامها طريق مفتوح الي السينما العالمية، وما يتبع ذلك من شهرة في أرجاء الأرض. كانت السهرة تمضي علي هذا النحو المتواضع، ولا يبدومن عبد الحكيم عامر سوي المرح والسعادة والحنان. وفي ختام السهرة نهض عبد الحكيم فنظرت الي عوده الممشوق الي ارتفاع قامته وكأني أراه لأول مرة، وعندما سار بخطواته الواثقة المطمئنة، أحسست بأني استريح لهذا الرجل، وأني أثق فيه ...وأدركت في هذه الثواني - أثناء سيره من الشقة حتي الاسانسير، أدركت أني كسبت فعلا .. كسبت رجلا تشعر النفس بالاطمئنان اليه. رجلا عطوفا نقيا. عادلا . أجل هذا هو مكسبي، وهو مكسب لو تعلمون عظيم . وما كاد باب الأسانسير يغلق والمشير بداخله وانتظرت حتي غاب عن نظري، ثم عدت الي شقتي وأغلقت الباب خلفي . جلست صامتة واجمة، وقد دهمني شعور بأني وحيدة ... وحيدة ... وحيدة . . وانخرطت في البكاء؟ ألبسني الدبلة وذهب، غاب عني عدة أيام لا أعرف أين هو... ولا كيف الوصول إليه ان رغبت في رؤيته . ولا حتي رقم التليفون لأطلبه إن رغبت في التحدث إليه. وطالما أنا في البيت تصبح حواسي كلها ممتدة الي جهاز التليفون، ترقبا لرنين يعقبه صوت يقول " انا الدكتور " فإذا بارحت المنزل، ولم يكن ذلك سوي لتصوير فيلم في الاستوديو؟ فانني اواصل الاتصال بمنزلي عدة مرات، وترد الخادمة فأسألها هل اتصل الدكتور فتجيب بالنفي. ولاعتياد الخادمة علي سؤالي هذا، أصبحت تقول فور سماعها صوتي " الدكتور لسه ماتصلش" ولأداري خجلي أمامها كنت أسأل " وهل اتصل أحد غيره " واذا لم يكن لدي عمل، مكثت في البيت، اقضي الليالي وحيدة، استمع الي موسيقي خافتة علي ضوء خافت، وأفكر في وضعي الجديد، وحياتي الجديدة وكان تفكيرا يخلو من الأحلام والمني، ويفيض بالتساؤلات والقلق، ... ويستبد بي الشعور بالوحدة الإهمال فتعتريني غصة. وتدمع عيناي. ولأهرب من خواطري، ووحدتي كنت الوذ بكتاب اقرأه. العقل فأختاره سهلا لا يجهد الذهن فأن صار مشتتا، وتنقصه القدرة علي التركيز. وفي ساعة متأخرة من إحدي الليالي، دق جرس التليفون فقمت إليه وأنا في دهشة لأن يطلبني أحد في مثل هذه الساعة !!. وضعت السماعة علي اذني وانا اسأل بتكاسل مين يا افندم مسألت: من يتكلم جاءتني نبرات الصوت باسمه تقول : لا بأس .. أعرف انك غاضبة، لذت بالصمت، ولم أجد ما أقول. فقد عرفته انه الدكتور ...المشير ...عبد الحكيم عامر ... سألني : ماذا تفعلين الان قلت: اقرأ قال ليجادلني: كتاب هايف كان عبد الحكيم يفضل اسم " نفيسة " .. ويقول لي إنه أحب نفيسة التي بداخلي

.. بنت البلد ..بنت حي السيده زينب .. وليست برلنتي الخواجاية كنت لا أزال علي صمتي، ولا أبدي تجاوبا فقال مازجا العتاب بالمزاح: الناس لما تزعل كده ويبقي دمها تقيل .. تسأل الأول عن الصحة والأحوال، خجلت، وأحسست اني تماديت فقلت : طيب ..أخبارك ايه أجاب : مش قوي قرفان !! سألته باهتمام : " من إيه؟ قال: لا تشغلي رأسك الجميل بمشاكلي، ثم غير موضوع الحديث كعادته اذا كان الحديث قد يفضي الي ذكر " معلومات " عنه أو عن عمله . وكان المشير في ذلك حريصا، حتي ولو كان الكلام يدور بينه وبين آخرين، وتصادف دخولي، فإن الحديث يقطع فورا، وكنت أدرك من نهايات الحديث المقطوع، أن المشير علي خلاف مع شخص ما لا أعرف من هو .. وإن كان هذا الشخص يشار إليه رمزا أحيانا باسم " الجماعة " أو " الراجل "، سار التلاقي بعد الخطوبة تليفونيا وعلي غير ميعاد .. ومن مكان غير معروف يعجز خيالي عن ما هو ولا أين هو؟ وأصبحت هذه المحادثات تقربني من عبد الحكيم لما كشفته لي من جوانب هذه الروح الطيبة؟ المليئة بالرجولة؟ وسعة الأفق؟ والحب الغامر للناس. وقد حملت هذه المكالمات الي أذني شيئا أحبه في الرجل؟ هو الصوت ووقعه في أذني .. كان صوته تأنس اليه النفس؟ فيه دفء أبوي؟ نقي تتفتح له القلوب؟ وكنت أجد الجرأة علي نقده؟ وكان ببساطة وسعة صدر يتقبل النقد؟ بل ويعترف بالخطأ؟ ويعتذر إذا وجب الاعتذار؟ وكان أحيانا يقطع المحادثة فجأة قائلا: ساكلمك بعد قليل ولم يكن يرد علي سؤالي، لماذا،؟ أو أين أنت الان كانت هذه المكالمات هي كل ما أحظي به من عبد الحكيم عامر فيما تلا الخطوبة من أيام، حتي أن مثل هذه الدردشة التليفونية أصبحت جزءا هاما من برنامج حياتي اليومية. وفي إحدي المرات ،؟ وكنت أتأهب للنوم : فاجأني رنين التليفون،؟ وعلي الطرف الآخر،؟ وجدت المشير الذي بعد ان حياني قال باقتضاب : انتظري متولي فهو سيمر عليك غدا في الثامنة مساءً " ولم أفصح له عن غيظي في تلك اللحظة لأنه حدد الموعد دون ان يهتم بمعرفة إن كنت مشغولة أم لا في مثل هذا الوقت من مساء الغد .وفي الموعد جاء متولي وصحبني في عربته،؟ ولدهشتي وجدت العربة لا تتوقف عند المكان الذي ألتقي فيه مع المجموعة،؟ بل تجاوزته وظلت تسير حتي بلغنا طريقا متفرعا من شارع الهرم،؟ هو شارع حدائق الأهرام، وتوقفت العربة أمام شاليه صغير، يقع أمام قصر المرحوم المطرب؟ محمد فوزي. دخلت الشاليه ووجدت صالة واسعة ليس بها سوي كراسي من القش وترابيزة وحجرتين خاليتين . وبعد قليل .. دخلت عربة صغيرة ماركة " نصر " ونزل منها عبد الحكيم ومعه علي شفيق وآخر من حرسه ورآني عامر فأقبل نحوي بشوق ولهفة ولأول مرة قبلني علي وجنتي،؟ ثم سألني ما رأيك في هذا المكان ..؟ ولم ينتظر جوابي .. وقال: حاجة كده فقايري علي قدنا، ثم أكمل مازحا لا تليق

بنجمة كبيرة زيك "قلت متأثرة : وجودك في هذا المكان يعطيه أكبر القيمة. ابتسم قائلا : وزي ماانتي شايفة .. مافيش أثاث لغاية ماتفرشيه علي مزاجك ". أصبح عامر بعد ذلك يوجه لي الملاحظات الكثيرة الخاصة بثيابي الضيقة، وأكتافي العارية؟ وكنت أستجيب راضية دون أن يأمرني .. فقد كانت له طباع المروضين .

"كنجى حبيبتى"

لو.. سألنى سائل فى تلك الفترة من حياتى : أى الأصوات يعجبك ؟ لأجبت على الفور : رنين التليفون ، صوت المشير. أصبحت إذا دق جرس التليفون، دق قلبى معه، وأرفع السماعة. والأمل يداعبنى فى أن يكون هو المتحدث، فقد كان أكثر ما بيننا من وصال هو وصال تليفونى تجرى به الأسلاك المدفونة فى باطن الأرض.

وذات يوم عزف التليفون أنغامه الحبيبة، فلما وضعت السماعة على أذنى قال الصوت : إزيك يا عروستى ! فى هذه المرة أفرحتنى هذه الكلمة وسرنى أن أسمعها وأنه صوته المحبب الى قلبى. وفى هذه المرة طال بنا الحديث وتشعب، ولكنه كان ممتعا، فيه أعيش حياتى العاطفية السوية .وقبل أن ينهى المكالمة قال لى أنه مسافر غدا الى الإسكندرية. فسألته : هل أستطيع أن أراك فى الأسكندرية ؟ تساءل : " كيف ؟ "قلت: " عندى منزل صغير فى كنج مريوط، وكنت قد اشتريته من العرب .. فهل أستطيع أن أراك هناك ؟ضحك وقال على طريقته الساخرة: الله .. الله .. انت غنية بقى .. وعندك بيت !! وصمت قليلا ثم قال : على كل حال أرجو ألا تزعجك مواعيدى فى الإسكندرية .. فإن أنت سافرت، فقد لا أراك كثيراً، قلت : سأتحمل المخاطرة وأحضر. وما أن انتهت المكالمة، ووضعت السماعة حتى كنت قد اعتزمت السفر، ضاربة بعملى عرض الحائط .فقد كان يجرى وقتها تصوير مسلسل تليفزيونى بعنوان " حب من السماء " وهو مسلسل دينى من تأليف الكاتب ظافر الصابونى، وكان قد تم تصوير ثلاث حلقات منه وبدأنا فى الحلقة الرابعة، وكان يشاركنى البطولة الفنان الكبير أحمد مظهر، ورغم كل ذلك فقد تركت القاهرة وسافرت الى الإسكندرية ومن هناك أرسلت تلغرافا الى التليفزيون أدعى فيه أننى أصبت فى حادث، ولن أتمكن من الحضور فى موعد التصوير . إن أى نجمة سينمائية تعرف أن فيما فعلت مغامرة قد تكون آثارها وخيمة، ولكنى كنت أعلم أنى أضحى من أجل رجل

يملك الضمير والحب، وأنه جدير بكل تضحية .وفى بيتى فى كنج مريوط الذى بلغته فى الصباح. أمضيت النهار كله وحيدة دون أن يسأل عنى أحد .ودخل المساء أيضا ولم يسأل عنى أحد.وعندما أوغل الليل جاء عبد الحكيم فأضفى السعادة والأمان على كل ما حولى .كان البيت الذى أملكه فى كنج مريوط، بيتا صغيرا مؤلفا من حجرتين وصالة، وهو مفروش بغير عناية نظرا لقلة حضورى الى هذا المكان .لم أكن قد أعطيت المشير عنوان البيت، ولذا سألته : كيف حضرت الى؟ قال مبتسما : انا أقدر أجيبك ولو كنت فى المريخ !! كان المشير قد جاء فى هذا اليوم بهدية، وقدمها لى. فاذا بها كتابا عن أفلاطون، يتحدث عن حياته وفلسفته، وعن وفاته أيضا، ويروى كيف أن جماعة من تلاميذه جاءوه ليهربوه لكنه رفض، وأعطاهم درسا فى احترام القانون. قرأنا فى هذا الكتاب سويا لبعض الوقت، ثم ترك المشير الكتاب، وشرد قليلا ثم قال : شاهدت فيلما وأحب أن تشاهديه. أبديت موافقتى بابتسامة، فواصل المشير حديثه والشرود لا زال غالبا عليه : " إن أى إنسان مهما صغر شأنه له دور فى الحياة وممكن أن يفيد ولو حتى على مستوى أسرته، والتفت نحوى قائلا : الفيلم الذى أريدك ان تشاهديه فيلم عن " ملاك خايب " سحبوا منه أجنحته. ضحكت لصورة شيء سيكون ملاكا وخائبا أيضا. وواصل معى حديثه ، دارت مناقشة بين الملائكة وهذا الملاك، انتهت بأن حكموا عليه بالهبوط الى الأرض ليفعل طيبا، وأن هذا الحكم كان شرطا لاعترافهم به. ورد الجناحين إليه. نظر الملاك من عليائه بمنظار فشاهد رجلا ينوى الانتحار، فأسرع اليه وأنقذه من الموت فى اللحظة المناسبة. ولكن الرجل صرخ فى وجه الملاك غاضبا : انت الآن وضعتنى فى مأزق حرج، وعرضتنى لمشكلة كبيرة. لأنى بموتى كنت سأتخلص من مشاكل ليس لها حل . وهنا يعرض الملاك على الرجل تاريخ حياته منذ ولادته الى الآن، ويريه كيف كان سيعيش هؤلاء الناس لو لم يولد. وبدأ الملاك والرجل السير فى طرقات المدينة، وعند الصيدلية التى يشترى منها الدواء، دخل الاثنان كان بالداخل طفل يشترى دواء، ورأى الرجل أن الصيدلى ناول الطفل زجاجة سم وهو شارد، فقد كان مشغولا ومهموما فلم ينتبه لهذا الخطأ الذى وقع فيه. وخرج الطفل حاملا السم لوالدته ونظر الملاك الى الرجل قائلا : هل تذكر هذا الطفل لنرى حياته الآن بعد أن أعطى هذا الدواء لأمه ماذا حدث له ولها .ويكمل الفيلم كل الأعمال التى لولم يقم بها الرجل لكانت كوارث على أصحابها. وذكره بأنه فى ذلك اليوم أخذ منه السم وقال للصيدلى : ماذا دهاك، وخطف السم من يد الطفل، واعتذر الصيدلى وغيره الى الدواء المناسب المكتوب فى الروشتة التى مع الطفل : وهكذا أنقذ أسرة بأكملها. وقال الملاك للرجل تعالى ننظر الى زوجتك لو أنك لم تولد. نظر الرجل فإذا بزوجته عانسا، تعيش فى تعاسة

وكآبة لأنها، طبعا لم تتزوج. وكانت مشكلة الرجل أنه يعانى من أزمة مالية شديدة، وأنه رهن كل شيء يملكه ولم يستطع فك الرهن، ولا تسديد الديون المتراكمة عليه، حتى تم الحجز على بيته وعلى بيته، وتحدد يوم البيع، وليهرب من هذا كله حاول الانتحار وأنقذه الملاك. وعندما أخذ الملاك الرجل الى بيته وجد أن زوجته لازالت تقيم فيه، وأن البيت والأثاث وكل شيء على حاله، ولما دخل على زوجته أخبرته أن الجيران جمعوا المال وسددوا الدين ولذا لم يتم بيع البيت فى المزاد، ولما سألته زوجته: أين كنت؟ نظر الى الملاك وقال كنت مع صديق نتمشى على البحر سويا ... قال الملاك للرجل : أرأيت لو أنك إنتحرت لكانت زوجتك ترملت بلا أى داع .. واعلم أن لكل إنسان مهما صغر شأنه دوراً يؤثر فى هذه الحياة . إن إعجابى بالمشير كان يزداد يوما بعد يوم وأنا أراه رجلا يرى ويقرأ ويتذوق ولا يأخذ الأمور بسطحية. كانت ليلة من الليالى النادرة التى ننتزعها انتزاعا من براثن المهام والمشاغل ودواعى الأمن. ولا أنكر أنى فى ليلتى تلك همت به هياما!! ويبدو أن دلالا أنسويا بدر منى وترامى عليه!! ولكن المشير أيقظنى من نشوتى حين نظر فى عينى طويلا ثم ربت على ظهرى قائلا بغموض: لا بأس ... اصبرى. ثم صمت طويلا وهو يتفحصنى بعينيه الحانيتين ثم قال وعلى شفتيه ظل ابتسامة: قد تقولين أنى رجل فلاح. متخلف ... ولكن فلتعلمى أنى أركب الطائرات والغواصات... وإنى أتشاءم من " الحرام " . بدأ عقلى يفيق وأنا أتأمل معانى كلماته ! وأفكر فى مراميها ودواعيها ! وبدا لى الأمر غامضا ومحيرا ولم يتضح لى المعنى إلاحين قال ضاحكا: هل أحد يصدق ذلك.. أوحتى يتصوره.. إن هذا الجمال كله أمامى وأنا .. أعرض عنه ... فعلا الحقائق لاتصدق !!.. وقبل أن ينصرف وعدنى بالحضور غدا فى الساعة التاسعة. ولكن التاسعة من مساء غد جاءت ولم يحضر المشير ومكثت فى انتظاره ساعة كاملة. ساعة كأنها سنة. وفى العاشرة وصل المشير وبصحبته أنور السادات الذى بادرنى معتذرا: لابأس ... أنا السبب فى هذا التأخير، قلت للمشير ضاحكة : إذن فقد أتيت به، ليحميك منى، قال المشير للسادات : أصلها شرسة .. وقد أحضرتك معى لتخجل من نفسها وتقوم بواجبات الضيافة .. ثم استدار اليّ قائلا: ألا تقدمين لنا شيئا نأكله أو نشربه، سألت المشير : هل تفضلون الجلوس فى الصالون أم فى الحديقة، رد أنور السادات على الفور: الجنينة، ياريت ... ايه رأيك يا حكيم، فأجاب المشير وهو يضمنى إليه بحنان : " أنا أستريح فى أى مكان ما دامت معى عروستى. لا توجد بقعة فى الأرض تعلقت بها ذاكرتى، مثل " كنج مريوط " التى كنت أملك فيها الفيلا قبل الزواج ثم قضينا فيها أول يوم من أيام الزواج، لذا فلى بها بعض الذكريات الغالية، التى تتعلق بى وبالمشير بعد الزواج. وأذكر أن جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر كانا فى أجازة صيفية طويلة ببرج العرب. وقد

انتهزنا أنا والمشير هذه الفرصة لنقضى معا وقتاً أطول من المعتاد، ونسينا الرسميات تماما، وتحول المشير إلى طالب فى الكلية، أو إلى ضابط صغير، فصار من عادتنا أن نخرج إلى الصحراء حاملين الساندويتشات، وترامس الشاى والقهوة، ونقضى أوقاتا سعيدة نتجول فى الصحراء، ولم يكن البدو الذين نمر بهم يعرفون من هو أو من أنا، فلم تكن فى نظرهم سوى " أفندى والست بتاعته " . وقد جعل هذا التعامل معهم أكثر بساطة وأكثر تلقائية، فنتجاذب معهم أطراف الحديث على سجادة يحضرها البدو لنا، وتدور علينا أقداح الشاى .كان المشير يحب مجالستهم، ويداعب أطفالهم، ويطعمهم بيده، ثم نغادرهم بعد أن يمنحهم بعض المال، ونحن نشعر بسعادة غامرة ثم نعود إلى البيت فنجد سائقه " متولى " فى انتظارنا فيطلب منه إحضار بعض الكتب. كان من عادة المشير أن يحضر بعض الكتب من مكتبة منزله بالقاهرة، وقد قرأنا معاً فى هدوء الصحراء " المدينة الفاضلة " لأفلاطون، وبعض الأعمال الأدبية لجان بول سارتر، وسيمون دى بوفوار، وأحياناً كنا أنا وهو نتكلم فى السياسة العالمية، وقد جرفنى الحديث مرة عن " كارل ماركس " فإذا به ينظر إلى ضاحكاً وقال إنها نظرية عظيمة .. ولكن أصحابها نسوا أهم شيء وهو الإنسان، الذى حولوه إلى مجرد " ترس" فى ماكينة مع أن الإنسان هو القيمة، وهو العقل، وهو صانع هذه النظرية !!

ومن الأحداث التى لا أنساها، تلك الحادثة التى وقعت، عندما أردت إشعال نار المدفأة، فقد وجدتها تخبو ولم أكن " ست بيت " جيدة، ولما كانت الليلة باردة، فقد رأيت أن أأجج النار، بإلقاء بعض الكيروسين عليها وما كدت أفعل حتى أشتعلت النار بصورة تهدد بالخطر، وكادت أن تصل إلى وأنا أقف وعلبة الكيروسين فى يدى، وبصورة لا شعورية وجدتنى أقف بين المشير وبين النار خوفاً عليه، فإذا به يدفعنى بعيداً، ويأخذ العلبة من يدى وبعد أن تم إطفاء النار، وجلسنا صامتين، قال بعد قليل : إنت واقفة تحمينى من النار، ومش خايفة على نفسك؟ نظرت إليه وقد ملأنى إحساس بالحنان، وفى قرارة نفسى كنت مستعدة فعلاً لأن أحميه بحياتى. وكنا أحيانا نذهب إلى الإسكندرية، وقد أمضينا فيها أوقاتاً سعيدة، ولم يكن يزورنا أحد سوى بعض أسر من أقارب المشير، ومن الشخصيات التى كنا نحب زيارتها لنا أنور السادات، وكان إذا دخل البيت نادى بصوته الجهورى " يا ..حاااكيييم ". وكأنه يغنى أوبرا، وهو يتميز بخفة الظل، وحسن الدعابة، وهومن الناس الذين تطيب عشرتهم لما فيه من بساطة ولباقة عند الحديث، ولم يكن أنور السادات وحده هو الذى يزورنا فى الإسكندرية، بل أحيانا ماكان يأتى بعض زملاء عامر فى الثورة. وحدث فى ليلة ممطرة، أن جاءنا عباس رضوان حاملاً حذاءه تحت إبطه، وعندما رأيناه على هذه الصورة ضحكنا، وقال له عامر : " كويس " علشان

ماتنسوش أيام زمان وقد لاحظت أن جمال عبد الناصر، وعبد الحكيم عامر، وعباس رضوان وصلاح نصر وشمس بدران، كانوا يؤلفون شلة واحدة وفى الأجازات يقضون مع بعضهم وقتاً طويلا، وكان من عادة جمال إطلاق أسماء وصفية أو كودية على زملائه من أعضاء مجلس الثورة، فيقول جمال مثلاً : مش " النسناس " كلمنى النهاردة أو مش "الفريزيان" عدى على امبارح. ولم يكن فى بيتنا فى كنج مريوط تليفون، فإذا أراد الرئيس رؤية المشير فإنه إما أن يرسل أنور السادات أو يطلب متولى أو على شفيق فى استراحة المشير المواجهة لاستراحة جمال عبد الناصر، فيحمل أى منهم الرسالة الشفهية إلينا، والغريب أنى لم أطلب تركيب تليفون، ولم أدرك أن هذا الأمر كان غريباً إلا الآن وأنا أكتب هذه المذكرات !! ومن الأمور التى فوجئت بها بعد الزواج، هو اكتشافى أن عبد الحكيم عامر خجول للغاية ... ولم يكن يعرف كيف يتعامل مع النساء، ولا يعرف تنسيق الحديث، وكان يقول لى: أنا راجل فلاح .. وماليش أى علاقات ... تزوجت وأنا صغير .. وطلعت أمقت مايغضب الله واقبلينى أنت على هذه الصورة. كان على عكس ما يشاع عنه تماما، فهو جاد، خجول، يحافظ على الصلاة وأشهد أنى لم أره يدخن الحشيش، أو يشرب الخمر فى يوم من الأيام .

وســـــاوس

ومكثت فى الاسكندرية يومين، ثم غادرتها عائدة الى القاهرة بعـربتى "الاسـتـوديوبيكر" المتـهـالكة .انطلقت فى الطريق الصحـراوى بقلب مفعم بالمشاعر، حتى إن الصحـراء بدت لى نابضـة بالحيـاة، ولأن العمـر ليس كله هناء، فإن لحظة الهناء حين تـنزل بالإنسـان تتـرك أثرها الدافع فى ذاكـرتـه .لحظة الهناء هذه لها قوة السحر، تحيل الرمال تبرا، والأرض بساطاً ناعـمـاً، والريح عطراً ورخـاءً، والموسـيـقى المنبـعـثـة من راديو السيارة تغذى هذه الرؤى والمشاعر، فتزيدها جمالا وفتنة .

وحين بلغت بيتى، وجدت عددا من الخطابات الخاصة بى، ولكنى لم أجد رغبة فى فضها وقراءتها. ليت الزمان يقف عند هذه اللحظة، ولكنه -وأسفاه= لا يعرف التوقف، فيحملنى بعيدا عن لحظة الهناء الى صباح الغد حيث تقتحم الحياة القاهرية خلوتى، وكان منفذها إلى عقلى سماعة التليفون.فجأة فتحت النافذة، فانهمر الى داخل الحجرة هواء الشارع المحمل بالأدخنة، والأتربة وضجيج العربات ولغط الناس. معارفى وأصدقائى يتكلمون عبر التليفون أين كنت ؟ لماذا اختفيت فجأة ؟ هل تعلمين أن التليفزيون وضع اسمك فى القائمة السوداء .كيف تتركين التصوير وتختفين، أجل، أدهش الجميع اختفائى فجأة، إن اختفاء ممثل أثناء التصوير يعد من الأمور المثيرة بل .. والظنون أيضاً. ابلغنى مسئول فى التليفون بأنهم اتخذوا هذا القرار بعدم التعاون معى، قلت فى نفسى بعد أن سمعت النبأ: هذا جميل، فقد سهلوا على مهمتى !! ظافر الصابونى " المؤلف " وجد حلا مناسبا لمواصلة الحلقات بدونى، وهو حل بسيط تمارسه الأقدار مع من انتهت مهمتهم فى الحياة، الموت!!. أماتنى فى الحلقة الثالثة، وبدأت الرابعة بأختى " سناء جميل " التى جاءت بعد موتى لتحل مكانى لتواصل الحلقات سيرها الميمون " ويا جيب المخرج مادخلك شر ". لفت نظرى فى كومة

خطاباتى المهملة، خطاباً يحمل دعوة من إحدى السفارات الأفريقية، فالتقطه، وعرفت منه أن موعد الحفل سيكون فى الثامنة والنصف من مساء الغد . وكان من عادتى أن أترك دائما عند الخياطة أقمشة مع موديلاتها المنتقاة، وبعدها يكون مفصلا فعلا، ولا يحتاج سوى اللمسات الأخيرة. فإذا جد جديد أو ألم بى طارئ، طلبت من الخياطة إعداد ثوب يليق بالمناسبة، فيكون جاهزاً خلال ساعات. وأمضيت يومى فى ترتيب المنزل، وقراءة سيناريوهات الأفلام التى كان التعاقد عليها قائماً والرد على مكالمات الأصدقاء، وعلى كثرتها لم يكن من بينها مكالمة من " الدكتور " .ومر اليوم بطوله وأعقبه الليل حتى طلع الصباح، ولم يطلبنى عبد الحكيم، كنت قد روضت نفسى وعودتها على ألا تنشغل بموعد حديثه الذى لا يمكن التنبؤ به .وفى الغد ذهبت الى الأستوديو لتصوير فيلم " سمراء سيناء "، وبالطبع ظللت أسأل بين لحظة وأخرى عن " الدكتور " وظلت الإجابة بالنفى. إلى أن حان موعد ذهابى إلى الحفل .كان حفلا كبيرا أعضاؤه من الأفارقة، وأصر السفير صاحب الدعوة على أن يكون لى شرف افتتاح الحفل بمرافقته، فلم أجد مناصا من القبول، وإن كان الشعور بالقلق مصاحبا لى أثناء الرقص لإحساسى بأنى أفعل شيئا ليس من حقى أن أفعله الآن. كان بالحفل كبار الفنانين والفنانات المصريات، اذكر منهم ماجدة الصباحى، ورشدى أباظة وفاتن حمامة. وبهذه المناسبة أذكر أن فاتن حمامة كانت دائما تبدى اهتماما بى، وأشعر من قِبَلها بمعاملة خاصة طابعها الحب والاهتمام و الاحترام المتبادل رغم أننا لم نكن أصدقاء " أنتيم "، وكان من عادتها إن رأتنى فى حفل أو أى مكان تدعونى قائلة " تعالى خليكى جنبى "، وإذا وقع أمر اثار اضطرابى أو ذعرى أجدها بجانبى تقول " تعالى أوصلك ".

وأثناء تصوير فيلم " العش الهادى " كانت تقول لعاطف سالم المخرج " والنبى تسلم لى على برلنتى .. ماتنساش ارجوك " .انصرفت من حفل السفارة مبكرا، وذهبت الى البيت يحدونى الرجاء فى أن أظفر فى ليلتى تلك بحديث تليفونى مع عبد الحكيم، ولكنه لم يتكلم ...لم يكن يدرى أن انقطاع مكالماته كانت تفجر بركان هواجسى ومخاوفى مما قد الاقيه بعد الزواج، ويقع ذلك مختلطاً بغيظى الفطرى كأنثى يهملها رجلها، فارتد الى التمرد النفسى الذى كنت أعانيه فى بداية الأمر، وأروح أناقش نفسى من جديد.. هل أخطأت بقبول الزواج، كانت هناك تعاقدات لأعمال فنية فأتممتها .. ولم أتعاقد على شيء جديد. مر أسبوع بأكمله دون أن يتحدث عبد الحكيم، وعندما طلبنى أخيراً، لم يطل الحديث، وإنما طلب منى الذهاب الى فيلا حدائق الأهرام. وذهبت إليه من فورى، وهناك وجدت معه صلاح نصر، وأحسست أن فى الأفق شيئاً غامضاً، وغير طبيعى، فإن عامر لم يبد ميلا كبيرا للحديث معى، وإنما كان

صلاح نصر هو الممسك بزمام الحديث، وعامر يجلس صامتا جادا شاردا، قال صلاح نصر : كيف حالك .. بخير .. واضح أنك بخير .. الأخبار تقول عنك أنك بخير، وأنك تتحركين كثيرا هذه الأيام. أدهشتنى هذه الإجابة فسألته : ما معنى تتحركين كثيراً قال وهو يهز كتفه : يعنى تتحركين .. وتتكلمين كثيراً . أوجست من كلامه خيفة، وتحرك الشك فى أعماقى فسألته : أتكلم كثيراً، ماذا أقول؟ .. قال محاورا : يعنى تحكين الحكايات .. قولى لنا أنت ماذا كنت تقولين، قلت : هذا الأسلوب فى الكلام لا يعجبنى فأجاب : ولا يعجبنا نحن أيضاً. نظرت إلى عامر فوجدته يراقب صامتاً مهموماً هذا الحوار الغريب الذى يجرى بينى وبين صلاح نصر، لم أدر كيف أتصرف، فإن حديث صلاح نصر يحتم على إتخاذ موقف، حديثه هجومى طابعه المناورة والتخابث، والأمرّ من ذلك أن شعوراً داخليا يسيطر علىّ بأنهم يجرون تحقيقا معى قلت لصلاح نصر : إننى عشت حياتى كرب أسرة مكافح وكان ذلك بسبب كلمة أعطيتها لأمى، كانت وعدا أن أتكفل بها وبإخوتى. ثم واصلت حديثى وقد آلمنى أن أجد نفسى فى هذا الوضع : أرجو أن تتكلم بوضوح لأفهم ما تقول، ودار بينى وبينه حوار غريب غامض، كأنه ألغاز، فلما ضاق صدرى قلت : أرجوك تتكلم بصراحة، وإلا سأغادر هذا المكان، ونظرت إلى عامر فوجدته مازال على صمته وكأن الأمر لا يعنيه، فزادنى هذا حيرة وغيظاً ونظرت فى عين صلاح نصر فوجدت فيهما الإصرار على المطاردة والتعقب، وردا على عبارتى الأخيرة قال : ألم تقابلى أناساً وتحدثت معهم عن خطوبتك لسيادة المشير، أليس كذلك؟ رغم أننا اتفقنا على إبقاء الأمر سراً لدواعى الأمن. اجتمع فى ذاكرتى لقاء كان بينى وبين الكاتبة الدينية، سألتنى فيه عن سر اختفائى أثناء تصوير المسلسل وهو مالا يتوقعه منى أحد، فقلت لها : لأوقف التساؤل والتخمينات، إننى مخطوبة لأحد المسئولين فى الوزارة. ذكرت هذه الواقعة على الفور لصلاح نصر والمشير وأضفت : إننى لم أذكر اسم أحد ولم أحدد الوظيفة، وإنى أتحداك أن تثبت أنى ذكرت اسم أحد، وأقسم بالله العظيم أننى لم أذكر اسم أحد، قال بإصرار : أنت كاذبة.

حينئذ فقط بدأالمشير يبدى اهتماما، وهو يعرف طبيعتى .. يعرف أنى حين أشعر بالظلم أغضب، وأننى حين أكذب أضحك. كنت بالفعل أمتلىء غضباً، فتركتهما وانطلقت باكية الى الخارج، أسرع المشير خلفى، وسمعت صلاح نصر يقول : سيبها دى حتودينا فى داهية .. هنلاقى ناس داخلين علينا بالمدافع الرشاشة، ونحن بدون حرس . أدركنى المشير عند العربة وكنت قد بدأت فى فتح بابها ودخلت، وأنا فى ثورة غضبى .وتوقف المشير بدوره، لا يدرى كيف يتصرف .. وعندما أدرت محرك السيارة خفض رأسه حتى أصبح وجها لوجهى، وأطل من نافذة العربة قائلا : معلش .. طولى بالك ..، برضه عنده حق .. تعالى بس .. تعالى. لم أصغ

الى حديثه وانطلقت بالعربة الى بيتى .. ولم أكد أفتح باب شقتى حتى سمعت رنين التليفون، فأغلقت الباب ورائى لأجيب الهاتف، وجدت المشير على الطرف الآخر، وما كاد يسمع صوتى حتى قال : تملكى أعصابك يا عيلة .. قلت له : والله العظيم إنى لم أذكر أسمك لأحد .. وأتحداه أن يواجهنى بمن قال ذلك .. بل وأصر على ذلك. أظهر المشير تفهمه لموقفى، وفسر الأمر بأن السيدة المذكورة، سنية قراعة، ربطت بين مقابلاتى السياسية، وبين رفضى للأعمال الفنية، وتغيير أسلوب تعاملى، واستنتجت بذكائها وجود علاقة بينى وبين المشير. كان الغضب مسيطرا على تفكيرى، إلى درجة أنى فكرت فى فسخ الخطوبة، والنجاة بجلدى من " دواعى الأمن هذه ". وبعد أن انتهت المكالمة جلست، وأنا فى حال من البلبلة، والغضب، وجعلت عقلى يتأرجح بعنف بين الرغبة فى الفرار من هذا الحصار الأمنى الذى وجدت نفسى فيه، وبين العودة الى حياتى السابقة حياة النجمة سيدة المجتمع. وكان سر ترددى هو أن المشير رجل ليس من السهل نسيانه، فهو من ذلك النوع الذى يترك أثرا قويا فى نفس من يعرفه. وفيما أنا على هذه الحال، دق جرس الباب فذهبت لأفتح الباب، فوجدت المشير أمامى مبتسماً. ودخل ببساطة وكأن لم يحدث شيء وجلس آمنا مطمئنا، يضاحكنى ويدردش معى، ولم يغادر البيت إلا بعد أن تصالحنا.

إن مثل هذه المواقف التى كانت تقتحم حياتى لتثير فيها الزوابع الفجائية أثقلت قلبى بالشعور أنى أمثل خطرا داهما عليهم جميعا، وإن كنت فى الحقيقة لا أدرى لماذا كنت أشعر أنى هدف للشكوك والمراقبة بلا مبرر قوى يدعو إلى كل هذا. وكان المشير أحيانا يساعد على زيادة هواجسى بانقطاعه طويلا عن زيارتى أو محادثتى ومن ذلك ما حدث. ذات مرة، حين ظل شهرا كاملا لا أراه ولا أسمع صوته، وبالطبع أقلقنى هذا الوضع الذى لم أعد أعرف فيه إن كنت مرتبطة أم غير مرتبطة. ويزيد الأمر سوءا أننى لا أعرف رقم تليفونه لأطلبه حين كان ينقطع، لا أعرف عنه شيئا. وفى يوم بعد عودتى من الخارج دق جرس التليفون وسمعت صوتا يقول لى بعد أن نطقت كلمة آلو : وجدته يقول لى " أيوه " ثم صمت ... عرفت صوته على الفور واشتعل غضبى فهو يتكلم بعد شهر ليقول " أيوه " ثم ينتظر منى ان أتكلم. قلت معاتبة : هل هذا معقول ؟، تجاهل سؤالى ودهشتى وسألنى: أين كنت ؟هذه هى المرة الثالثة التى أطلبك فيها اليوم ولا أجدك قلت : أهذا هو الكلام الذى تقوله لى بعد شهر من عدم السؤال عنى، قل لى أنت : أين كنت؟ قال ببرود : كنت موجود. أغاظنى رده فقلت : موجود فى القاهرة ولا تسأل عنى .. شهرا بأكمله. قال بغموض: ألا تعرفين السبب، قلت باندفاع لم أفعل شيئا. كنت أشعر أنى أتكلم مع شخص غريب ملىء بالجفوة والغموض والمكر. تراجعت عن أسلوب العتاب وقلت له :

نتقابل، لابد أن نتقابل. قال : هذا غريب .. أنت تريدين رؤيتى، قلت : الغريب حقا أن تسأل هذا السؤال. قال : ولماذا تريدين مقابلتى؟ أحسست أنه يعنى ما يقول .. وأن هناك سوء تفاهم .. فصممت على لقائه واذ لمس إلحاحى وإصرارى قال : ألا تخافين منى؟ قلت : لا .. لست خائفة .. قال : احتمال أن أقتلك ! قلت موافقة .. إن كنت قد أخطأت فأنا مستعدة لقبول هذه النتيجة، وأفضل أن أراك فى كنج مربوط اذا سمح وقتك بذلك. قال : إذن نتقابل .. وحدد لى اليوم والساعة.

وبالفعل ذهبت الى الاسكندرية والفضول يملؤنى لمعرفة ماذا حدث، ولم يكن يعادل فضولى سوى شوقى لرؤيته .. وفيما أنا على هذه الحال من اللهفة والفضول توقفت عربيتى وتبين لى أنى نسيت تزويدها بالوقود الكافى لمثل هذا السفر، وضاع منى وقت طويل حتى وجدت من يمد لى يد العون، وقد ساعدتنى عربة فى الطريق وأحضرت لى البنزين. وصلت متأخرة عن الموعد ساعتين فوجدته جالسا فى تراس الفيلا ومعه شخص ثان وكانا يحتسيان الشاى. قال لى بعد أن استقر بى المقام : أنظرى الى هذا الشخص .. من تظنينه؟ كان ذهنى مشغولا ومشتتا من تأثير السفر. نظرت الى وجه الرجل وقلت : أظنه أحد أقاربك .. قال : " أين ذكاؤك أنظرى جيدا تفرست فيه تفرسا بغير إمعان وإذ لاحظ المشير حيرتى لم يتركنى طويلا وقال : هذا عبد المنعم عامر .. أخى الاكبر. وعقب يعنى لما أكبر حا أبقى كده. وبعد قليل قال المشير : كنت أظن أن الخوف سيمنعك من الحضور، ألا تخافين أن أدفنك هنا فى الصحراء، قلت معاندة : أنا لا أخاف. قال : " إذن تعالى معى ". وأمسك بيدى، ودخل بى إلى صالون الفيلا. وبعد أن أجلسنى وجلس جاء سكرتيره " على شفيق " ببعض الأوراق، جلس المشير يقرأ بإمعان، وبين الحين والحين يقول تعليقاً وهو ينظر إلىّ: إذن أنا طظ فيا .. وحتطلعى عينيه !! قلت مستنكرة .. ما هذا الذى تقول، قال. أقول كلامك .. والمكالمة مسجلة بصوتك. اجتاحت عقلى ريح مزمجرة، وعصفت الحيرة بكيانى كله، وحاولت جاهدة أن أتذكر هذه المكالمة التى يشير إليها .. متى؟ ومع من؟ وعن أى شيء؟ وفى قمة حيرتى وارتباكى سمعته يقرأ بصوت مسموع. " لا .. لو ما مشيش كويس أنا أطلع عنيه .. واشتكيه فى المحكمة " صرخت فيه .. انتظر لحظة .. أشكوك فى المحكمة ماذا بينى وبينك لأشكوك فى المحكمة، هل هناك قضية، أو عقد بينى وبينك. صمت المشير وفكر ملياً فى حديثى، فقلت له : أتعذبنى شهرا كاملا بلا سبب أهذا هو العدل الذى تتحدث عنه كثيراً. طوى المشير الصفحات التى بيده ولم يكمل قراءتها وكان لم يقرأ منها سوى الصفحات الأولى فقط. كانت كلمة "أشكوه فى المحكمة" هى برهان براءتى وغلب على الشعور بالظلم. لا لذنب اقترفته سوى حبى لرجل

سياسى. فانخرطت فى البكاء، ثم تمالكت نفسى وقلت له: لقد جئت لكى أعرف فقط .. وسأرحل حالا، ولم يتركنى المشير، فمازال بى حتى ذهب غضبى وتصالحنا. إنه أول شخص أحببته فى حياتى، وكان صدقى معه بلا حدود بدافع من إعجابى به، ولكن هكذا السياسة و دواعى الأمن !

اعترافات

كانت الأفلام السينمائية هى وسيلة التسلية فى لقاءاتنا، وكنا نقضى السهرات القليلة إما فى بيت الزوجية المرتقب فيلا الأهرام وإما فى شقتى بالعجوزة. كان المشير يفضل الأفلام التى اختيرت موضوعاتها من روائع الأدب العالمى، وإما من النوع العلمى الخيالى، أو من الموضوعات الإنسانية التى تمجد فضيلة من فضائل الطبع الإنسانى، ومعهما نوع آخر قد يبدو مستغرباً بجوارهما، هذا النوع هو أفلام رعاة البقر.

وكان لعامر وجهة نظر معينة فى مثل هذه النوعية من الأفلام، فقد كان يقول لى عن شخوصها، هؤلاء الرجال ليسوا مجرمين، إن هذا العنف الذى يمثلونه هو ثورة فى مواجهة دنيا تكشر عن أنيابها، انظرى كيف يقاسون، وهم يبنون حياتهم، إن هؤلاء الرجال هم الذين بنوا أمريكا بسواعدهم القوية، التى نراها أحياناً تطلق النار يميناً وشمالاً. إنهم ليسوا رعاة بقر فقط، بل هم أيضاً رعاة حقول وبساتين وبيوت تضمهم هم وزوجاتهم، وكيف أن الصبيان والبنات أيضاً يكافحون بجوار آبائهم وأمهاتهم. وكيف يدافعون عن الأرض بدمائهم .. هؤلاء هم الذين بنوا أمريكا، ودفعوها إلى مقدمة الشعوب، ولا أظن ان ما يقال عن أنهم جماعات مغامرة هاجرت من أوروبا إلى أمريكا. فليس المغامرون فقط والفارون من وجه العدالة هم الذين يتركون أوطانهم ويهاجرون، وقد يكون العكس صحيحاً. فأصحاب المبادىء أيضاً يهاجرون وأصحاب الأفكار الجديدة والطموحات العالية أيضاً يهاجرون. إن منهم صاحب المبدأ، ومنهم صاحب التجربة، ومنهم جماعات دينية!! مثل هذه الأفلام وغيرها كانت هى اللون المفضل عندنا. فى هذا الوقت من عام ١٩٦٢، والذى كثرت فيه اللقاءات ومشاهدة الأفلام، كان عبد الحكيم يبدو مهموماً فى أغلب الأوقات، كثير التفكير والتأمل ميالاً لاقتناص الحكمة والموعظة من أى عمل أدبى أو فنى يطالعه. ولم أستطع أبداً أن أعرف أسباب كآبته، وإن كنت قد

ربطت بينها وبين حادث الانفصال بين مصر وسوريا الذى وقع فى سبتمبر من عام ١٩٦١ . وإذا بدا عدم سؤالى غريبا، فإن الأغرب منه ألا أسأل عن موعد الزواج بعد أن أصبحت مخطوبة !!.. كنا نلتقى أو نشاهد الأفلام، ونتحدث، ونتسامر ونأكل دون أن يأتى ذكر لموعد الزواج، ولا حتى ونحن فى بيت الزوجية المرتقب. والحقيقة أننى فى هذه الفترة لم أكن أو بالأصح لم أعد أستعجل الزواج، فكل ما كان يتملكنى هو شعور بالسعادة فى تواجده معى بصرف النظر عن كوننا رجل وامرأة. وكانت بداية هذا الشعور الذى استبد بى، واستفحل عندى، هو فى تلك الليلة الحالمة بكنج مريوط، والتى قال لى فيها: أصبرى. كانت ليلة من الليالى النادرة التى انتزعها من براثن المهام والمشاغل ودواعى الأمن، ولا أنكر أنى فى ليلتى هذه همت به هياما، ويبدو أن دلالا أنثوياًبدر منى وترامى عليه .. ولكن عامر أيقظنى من نشوتى حين نظر فى عينى طويلاً ثم ربت على ظهرى قائلاً بغموض : لا بأس اصبرى، ثم صمت طويلا وقال وعلى شفتيه ابتسامة: يمكن تقولى إنى راجل فلاح متخلف، لكن بصراحة كده أنا راجل باركب طائرات وغواصات وعرضة أن أموت فى أى وقت، واللى زيى ماينساش ربنا. بدأ عقلى يفيق، وأنا أتأمل كلماته. وكان عبد الحكيم عامر يبدى لى الحب، ولكنه لم يبد لى هياماً قط، ولم تظهر منه بوادر رغبة من رغبات الرجال، فهو دائم الحديث عن الأخلاق، حريص على الصوم والصلاة. تناسيت يوم الزفاف ولم أعد أسمح له بأن يراود خيالى، إلى أن جاء يوم فوجئت فيه بوالدتى، ومتولى يدخلان على شقتى بالعجوزة .. كان وجه أمى يبدو جادا بصورة أثارت قلقى، وزاد توجسى حين قالت باقتضاب " ارتدى ملابسك . .. سألتها بدهشة: لماذا ؟ أجابت: الدكتور سيحضر الآن. قلت دون وعى: الآن لماذا ؟ قالت أمى فى دهشة من سؤالى : إنه خطيبك، ويريد أن يأتى لزيارتك أليس من حقه، أحسست أنها تعلم شيئاً وتخفيه عنى، وقد أثار هذا هواجسى. فلعل " إجراءات الأمن " وراء هذه الزيارة، وعبثاً حاولت أن أعرف شيئاً من والدتى .. ثم جاء المشير.. دخل علينا بوجهه البشوش، ووراءه على شفيق، واختص أمى بملاطفاته وأحاديثه المرحة، وبعد أن أمضى لحظات على هذا الحال، وجم، ثم قال موجهاً الحديث إلى والدتى : استمعى جيداً لما سأقوله الآن، فأنا أريدك شاهدة على كل كلمة فيه .. ثم ولى وجهه ناحيتى وفاجأنى بقوله : أظن كفاية بقى لعب عيال .. مسألة الخروج والسفارات والتمثيل .. مافيش خروج خالص، ومش عايز شغل. قلت : معنى ذلك أن أمكث فى البيت فلا خروج، ولا عمل .. ماذا أصنع إذن قال : تفعلين كما تفعل كل زوجة .. تستقر فى بيتها .وقد انتظرت حتى تنتهى الأعمال التى تعاقدت عليها، والحمد لله قد انتهت فلا عقود جديدة بعد ذلك. تساءلت : لماذا ؟ قال : لأننى لا أريد زوجتى أن تشتغل بالتمثيل كمانى رجل لا أحب أن تعمل زوجتى ".

قالت أمى مؤيدة له : " طبعا .. التمثيل ليس لنا وكنت دائما أتمنى أن تبتعد ابنتى عن هذا الميدان .. والحمد لله أن جاءت هذه الفرصة أخيرا ولكنى واصلت حوارى ومعارضتى وقلت: لكن مسرحية العش الهادىء لم تنته بعد .. وليس من المعقول أن أتركها، قال : كم يوما تحتاجين فقلت : حوالى أسبوعين قال : إذن الزواج بعد أسبوعين .. وصبر عليَّ حتى أستوعب ما قال ثم واصل : وبعد الزواج لاخروج إلا بإذن منى. ثم وجه حديثه إلى والدتى قائلا : كل الملابس التى هنا اجمعيها يا ماما .. وضعيها فى حقيبة وكذلك جميع الصور هاتيها. كان لدى "ألبومات" تجمع كثيرا من الصور التى التقطت لى أثناء الحفلات والرحلات، وحدث أن كان عامر فى زيارتى يوما فأطلعته عليها وأنا فى زهو وسرور وتفرج عليها واحدة واحدة ثم ردها إلى وهو يعلق: شيء عظيم، ولم أفهم مقصده من الشيء العظيم سوى الآن عندما طلبها ليمزقها. قالت أمى فى حماس: أيوه كده ربنا يحميك .. أنا التى سأحضر تلك الصور، وقامت من فورها بجمع ثيابى السواريه وذات الصدر المفتوح وكنت أراها تقوم فى همة وحماس يساعدها فى ذلك متولى. وما هى إلا لحظات حتى كانت ثيابى فى الحقيبة وصورى فى يد المشير الذى راح ينظر اليها قائلا بقى نفيسة بنت ابن الشيخ حواس ترقص مع خواجات والله عال!! إيه ده قاعدة وسط هيئة أمم بفستان بالشكل دد ويحملق فى الصورة ثم يمزقها وأنا أمامه أشعر بالغيظ لفقدان صورى التى كنت أعتز بها وبعد أن انتهى من تمزيقها، نظر اليَّ متسائلا: غاضبة !! قلت، نعم، قال هذا غضب مؤقت وسيزول فيما بعد حين تعرفين. قلت وأنا فى دهشة صادقة : أنت تبدو لى اليوم رجلا صعيديا تماما .. إننى لم أرك من قبل بهذه الصورة. أجاب بهدوء : لأننى لم أكن زوجا لك من قبل. ثم واصل ساخرا.. أنظنين أنك بذلك تكونين سيدة متحضرة .. أهذه هى الحضارة التى تفهمينها إن الحضارة ليست تحللا وفسادا .. إن الحضارة جد وعرق وذكاء وعلم .. ليست خلاعة .. إن ما تظنينه حضارة هو فى الحقيقة قشور .. أراك تتكلمين كثيرا عن الحضارة .. هل اخترعت شيئا أو أضفت شيئا للحضارة. ثم صمت ونظر الى بوجه عطوف مبتسم قائلا : إنت أصلك لسه صغيرة .. واحنا مش عاوزين الخواجاية برلنتى .. إحنا عاوزين نفيسة .. وكان وقع " نفيسة " على نفسى وقعا غريبا أيقظ بداخلى حقيقة كانت راقدة وراء بريق الحياة التى كنت أعيشها آن ذاك من فن وثقافة. وانطلاق وواصلت وجدانى بوجدان عبد الحكيم عامر " الصعيدى المؤمن ". ثم قال ليرضينى : " هيا بنا نتمشى قليلا ". ولا أنكر أنى فرحت بهذا الاقتراح فهذه أول مرة يدعونى للتمشية غادرنا جميعا المنزل وبعد أن أوصلنا والدتى الى منزلها بجوارى خرجنا الى الطرقات وماكان أعظم سعادتى فى تلك اللحظة وأنا بجانبه يحنو على ليزيل من نفسى ما أصابنى من ضيق

منذ لحظات ."وهو يغطى نصف وجهه بكوفيه " ولم يعد الذى بجانبى رجلا من الضباط الأحرار ولا من رجال الدولة وإنما مجرد خطيب يتنزه مع خطيبته فى عربة تجوب شوارع القاهرة ولأول مرة أضع رأسى على كتفه وأحسست لحظتها بالاطمئنان والراحة وكأن حملا ثقيلا انزاح عن صدرى فطوال حياتى أعيش فى كفاح وعلى كاهلى عبء أسرة والتزامات ثقيلة والآن أشعر بأنى ألقى هذا العبء عن كاهلى. وتمضى بنا العربة إلى شارع الهرم ومازال متولى يصعد بنا حتى وصلنا الى الطريق الصحراوى وعاودنى القلق فما زال شبح إجراءات الأمن لا يريد أن يبرحنى فقلت مازحة : " هل سنذهب الى الاسكندرية "قال المشير " قف هنا " وقفت بنا العربة فى الطريق الصحراوى وهبطنا منها والصحراء من حولنا تسطع فى ضوء القمر ومن داخل العربة يصلنا صوت أم كلثوم يشدو بأغنية الأطلال " هل رأى الحب سكارى مثلنا " .. وكان جوابى على سؤال أم كلثوم " نعم . . . أنا والمشير ". عشنا فوق الرمال قليلا، ثم وقفنا نتأمل ما حولنا، ثم استدار المشير نحوى نظر فى عينى طويلا، فنظرت بدورى فى عينيه فقال : قوليها، تخابثت متسائلة : ماذا أقول؟ قال : قوليها .. علشان أنا كمان أقولها. قلت : لا أستطيع قال : لماذا، ألست تحسينها قلت : أحسها ولكنى لا أستطيع قولها. قال معانداً : لابد من قولها .. لا تخجلى منى إنها لا تنقص من قدرك. قلت : لن أقولها وأنت تعرفها قال : أريد أن أسمعها، قلت : لم لا تقولها أنت قال : قوليها أنت أولاً. ولم أشعر إلا وكل منا يحتضن الآخر فى حب .. وقبلنى قبلته الأولى منذ تعارفنا .. أنبأنى المشير فجأة بأن موعد الزواج سيكون الخميس المقبل، ولم يكن باقياً على ذلك اليوم سوى يومين أو ثلاثة. كان هذا مفاجأة لى، ولكنى تعودت أن أتلقى المفاجآت وأتقبلها قبول مجريات الحياة المألوفة التى تقع لنا كل يوم. فلم يعد عندى لكثرة وغرابة ما مر بى خاصة من دواعى الأمن شيء غريب أو مفاجيء. ومن ثم فإن الذى احتل تفكيرى فيما تلا ذلك من أيام هو الاستعداد لذلك اليوم المرتقب والهام من أيام حياتى. وما كانت مشاغلى كثيرة فيما يخص التفكير فى الحياة القادمة كزوجة لعبد الحكيم عامر، أما الجهاز فلم يزد عن إعداد ثيابى فقط، وكان أكثر ما اهتممت به فيها الثياب المنزلية والداخلية، أما ملابس الخروج فلم أعرها اهتماما كثيرا فقد كنت أعلم أن خروجى سيكون نادراً، وأن زواجى سيكون فى طى الكتمان. وكانت مشاعرى فى هذه الأيام القليلة مزيجاً من الفرح والقلق. كنت فرحة لأن زواجى سيضع حداً لقيامى بدور "رجل" البيت المسئول عن أم وأخوة وأخوات وأقارب. ولأن هم المسئولية سينزاح عن كاهلى لأول مرة منذ بدأت مسيرتى العملية فى الحياة. أما القلق الذى مازج هذه الفرحة، فقد جاء بسببها، فإن صدرى أصبح ممتلئاً بنبأ عظيم ولكنى لا أستطيع البوح به لأحد من أصدقائى أو صديقاتى، بل إن

التفكير فيه عندما أبرر به اختفائى فجأة كان يزيد هذا القلق ويؤججه. فبدأت أوحى لمعارفى باحتمال سفرى قريباً إلى مكان ما. وفوق كل هذا كان يخالجنى ما يخالج قلب كل عروس مقبلة على انتقال إلى بيت الزوجية، والذى يعنى بالنسبة لها حياة جديدة مجهولة الأوصاف، ولا تدرى أن تكون حياة موحشة. أم حياة مليئة بالسعادة والنشاط. أما بالنسبة لى فإن مثل هذه الخواطر كانت مثقلة باحتمالات الأمن ودواعيه. وكل ما كنت أرجوه من الله أن تدعنى هذه الدواعى لأعيش فى هدوء واستقرار بجوار الرجل الذى أحببته وأعجبت به. ثم جاء يوم الخميس الخامس عشر من شهر مارس سنة ٦٣ وحتى هذا اليوم لم أكن أدرى كيف ستكون إجراءات الزواج وكيف سيكون الفرح، ومن يا ترى يشارك فيه من الناس وبالقطع لن يكون فيه أحد من أصدقائى أو صديقاتى، فأنا لم أخبر أحدا ولم أدع أحداً الى يوم زفافى. طلبنى المشير بالتليفون فى صباح ذلك اليوم ليطمئن أو لعله يطمئننى الى أن كل شىء يسير بانتظام. سألنى ملاطفا : ماذا أعددت من ثياب جديدة. قلت متخابثة : بالطبع لم يعد عندى ثياب فثيابى كلها أخذتها والدتى كما تعلم. ضحك قائلا : سوف تدركين فيما بعد أن هذا كان لصالحك وأن هذا أفضل بكثير فلا تغضبى من ذلك قلت له : أعددت ثيابا جديدة بدون صدور مفتوحة .. وبأكمام طويلة بعض الشىء .. وبألوان جميلة ولكنها وقورة. قال : هذا أفضل. ثم يسألنى ماذا تفعلين الآن قلت : سأذهب الى الكوافير. قال : وأين هذا الكوافير قلت : لن أخبرك عنه .. أجاب ضاحكا : أليس هو الذى أخبرتينى عنه فى مصر بهلر .. وضحكنا معا. قال : " سيأتى متولى للذهاب بك الى هناك وسيكون تحت أمرك طوال اليوم. مرت ساعات اليوم سريعة. والجميع يروح ويغدو تأهبا للحظة الرحيل. وإذا كانت فرحة يمازجها القلق فثمة شخص آخر كانت فرحته خالصة صافية لا تشوبها شائبة تلك كانت والدتى. التى كانت السعادة تكاد تقفز من عينيها وعبارات الشكر لله تتحرك على شفتيها دائما الذى استجاب الله لدعائها فخرجت ابنتها نفيسة من حياة الفن الى " بيت العدل ". وأقبلت ساعة الصفر وقد تأهبت لها بثوب أبيض طويل الأكمام مقفول الصدر وحذاء أبيض، وأقبل متولى لينقلنا الى بيتنا الجديد. رافقنى فى ليلة زفافى أمى وأختى زهرة وأخى الأصغر هشام !! وكان هؤلاء الثلاثة هم كل " معازيم العروسة ". وهناك فى ذات الفيلا التى شاهدتها من قبل وهى عباره عن شاليه قديم، والتى قال المشير فيها أنها ستكون بيت الزوجية لم أجد سوى مائدة للطعام وضعت فى جانب من الصالة وفى الجانب الآخر بعض المقاعد " الفوتيل " وبعض الأرائك، أما الجدران فقد أعيد طلاؤها ودخلت المطبخ فوجدت دولابا فى الحائط مليئا بالأطباق والحلل وبوتاجازا صغيرا وثلاجة. وبعد جولتى الاستطلاعية هذه لبيتى الجديد حملت حقيبتى

ودخلت حجرة النوم. ولم أكد أفعل حتى وقفت فى وسطها مبهوتة غير مصدقة لما أرى فلم يكن بها سرير، ولا دولاب للملابس ولا تسريحة لا شيء سوى مرتبة فرشت على الأرض أهذه حجرة نومى ليلة عرسى !! أهذه حجرة نوم المشير عبد الحكيم عامر وزوجته برلنتى عبد الحميد نجمة السينما؟ أفقت من ذهولى على غضب يعصف بكيانى !! فجلست القرفصاء على المرتبة وعيناى تملأهما الدموع !! ويبدو أن جلوسى على هذه الحال قد طال، فإن أمى جاءت للبحث عنى فلما وجدتنى على هذه الحال: وقفت تحدثنى بكلمات طيبة مواسية، لتزيل من نفسى ماأصابها من حزن، وتذكرنى بأن كل شيء يمكن شراؤه فى وقت لاحق، وليس المهم الآن، إنما المهم ما سيكون، يكفينى سعادة أننى تزوجت رجلاً طيب الأخلاق عذب الطباع، واستطاعت كلماتها أن تخرجنى بعض الشيء من هذه الحالة، فنهضت وأصلحت أيضاً من ملامح وجهى، وبدلتها من الحزن والهم إلى السرور والفرح، مستعينة فى ذلك بمواهبى التمثيلية، وخرجت عليهم فى دور العروس المرحة فى ليلة زفافها، وإن كنت قد أضمرت مواجهته حين نخلو إلى بعضنا. كان ترتيب السفرة والزهور ترتيباً يخلو من لمسة الجمال، ولعله كلف به أحد حراسه، وكذلك الكنب والكراسى، فشرعت من فورى فى إعادة الترتيب، وتنسيق الزهور، وكذلك نثرت بعض الوسائد الصغيرة التى كانت معى ذات الألوان الزاهية على الأرائك مما أضفى جمالا على المكان. ثم جاء المشير وأخوته حسن عامر ومصطفى عامر ومعهم أنور السادات وكان قد سبقه للحضور على شفيق وأبو المعاطى، كان المشير يبدو عريساً بحق، يأخذ العين بأناقته ورشاقته وسعادته التى تضيء وجهه وعينيه، كان الإشراق بادياً على كل شيء فيه، وقد دعانى مالمسته فيه من فرح وسعادة إلى استبعاد فكرة مواجهته التى أضمرتها غضبا فى قلبى فقد عز على أن أكون سبباً يقلل من هذه السعادة التى ما رأيت مثلها من قبل على وجهه.. وتم عقد القران فى تلك الليلة. ورأيت عبد الحكيم عامر يطوى ورقة الزواج، فور الإنتهاء من كتابتها وتوقيعها بشهادة أخويه.. مصطفى عامر .وحسن عامر.. ويضعها فى جيبه، ثم يميل إلى الوراء مسنداً رأسه على حرف المقعد، مادا ساقيه، واسترخى استرخاء من يجد الراحة بعد سفر طويل .. وزاد تصميمى حين رأيته على هذه الحال، على ألا أنغص عليه ليلته، فمحال أن يجرؤ القلب على خدش هذه الفرحة الطاغية، الصافية التى قد لا ينالها الإنسان إلا لساعات قليلة خلال عمره كله. عقد القران، ووزع الشربات، وزاط المعازيم وهم قليلون وتألق الحفل بالبهجة والفرحة، وواظبت أنا من ناحيتى على " التمثيل " فأخذت أروح وأغدو ضاحكة، أجامل الحاضرين، وانتهز المشير فرصة وقوفى بجانبه فى إحدى المرات، فهمس فى أذنى، قائلاً : أعترف أنك ممثلة ممتازة .. بس عينك بتقول أنك زعلانة. كان المشير دقيق الملاحظة ويملك

شفافية القلب، فما انطلى عليه تمثيلى وأدرك ما أعانى فأصبح ينتهز كل فرصة ليداعبنى بمثل قوله السابق. وعندما شارف الحفل نهايته، قلت له هامسة: لماذا لا نقضى الليلة فى كنجى مريوط ؟، فأجاب على الفور: نحن ذاهبون فعلاً إليها، ثم نظر مبتسما وعيناه تفيضان حباً. وبالفعل سافرنا إلى الأسكندرية فى تلك الليلة، وفى صحبتنا والدتى وأخوتى، وعندما وصلنا إلى كنجى مريوط ودخلت الفيلا، كان كل شيء فيها قد تغير، فحجرة نومى أنيقة جديدة، وكل شيء فى الفيلا قد استبدل بغيره أكثر جدة، ماعدا حجرة الصالون. أكملنا السهرة فى حديقة الفيلا، والسعادة تملأ الجو حولنا، فهنا، ومنذ تلك الليلة كانت بداية عمرى، فأنا لم أولد من قبل سوى الآن، ولم أوجد فى الدنيا سوى الآن .. هنا كانت بداية عمرى الحقيقى، الذى لم يزد عن بضع سنوات ولكنها كانت هى كل حياتى، وما عداها، وما سبقها .. كلاهما لا شيء ....

"القنبلة"

فى كنج مريوط، كان شهر العسل، وفى الأيام الأولى كنت أعيش فى غلالة من الأحلام والأمانى، وكأن الأقدار أرادت أن تعيدنى إلى الصواب وعالم الحقيقة، فوقعت حادثة صغيرة، ولكنها كانت كافية لتوليد تيار من القلق يلازمنى طوال حياتى مع المشير، تلك الحياة التى اختتمت بالقلق الأكبر: أو بالأصح، الفاجعة الكبرى، ألا وهى موت المشير على النحو الذى أشيع بين الناس بصورة تجعل قصة موته لغزاً فى تاريخ السياسة المصرية المعاصرة.

كانت كل الدلائل تشير إلى سهرة ممتعة، سوف أقضيها مع المشير، ففيما كان بعض العاملين يعدون وجبة الطعام بإشراف والدتى، كنت أتنزه أنا وهو فى الحديقة المحيطة بالفيلا، ونلتقط بعض الصور التذكارية. ثم تناولنا العشاء، ونحن فى حال من الانشراح و السرور، جلسنا نستمع إلى أم كلثوم، وحولنا والدتى وشقيقاتى، وفجأة سمعنا صوت " كلاكسات "، وعلى الفور نهض المشير وقد بدا عليه الإهتمام وأجاب على نظراتى بقوله : هذه من عند الرئيس !! وبالفعل ماكاد ينتهى من كلامه حتى دخل علينا متولى الذى يرابط فى استراحة المشير حيث التليفون، وأبلغه أن الرئيس جمال عبد الناصر يطلبه. لبس عبد الحكيم ثيابه على عجل، وخرج مع متولى ولما سألته : إلى أين هو ذاهب، أجابنى: عندما أعود سأحكى لك كل شيء. خرج المشير وبعد قرابة الساعة عاد ليقول لى أنه سيقضى الليلة عند الرئيس، حيث يريده لأمر هام، وابتسم فى وجهى قائلاً بأنه سيعود غداً بإذن الله. ضاعت السهرة الجميلة، التى ظننت أنى سأقتنصها من دوامة المشاكل التى تأخذه منى أكثر الوقت، وأويت إلى فراشى مبكرة. وفى اليوم التالى قرب الظهر، عاد عبد الحكيم، وعرفت منه أنه رافق جمال عبد الناصر فى القطار إلى القاهرة، ثم عاد !! وعندما أبديت له دهشتى إذ أن سفر عبد الحكيم لم يكن مقرراً

بالطبع عرفت ذلك من الليلة السابقة، حيث كان عبد الحكيم لا يبدو عليه أن هناك ما يشغله، وأنه سيقضى معنا الوقت على راحته. عندما أبديت لعبد الحكيم هذا فقال : أنت تعلمين أنى مسئول عن سلامة الرئيس. وما معنى هذا ؟ضحك وقال : الحكاية أن بعض أجهزة الأمن أبلغت الريس أن القطار الذى سيسافر به من الأسكندرية إلى القاهرة قد تكون به " قنبلة "، وقد طلبنى جمال ليقول لى ذلك، فكلفت بعض رجالى بالتفتيش ولكنهم لم يعثروا على شيء، ولكن الريس ظل غير مطمئن .. فلم أجد أمامى لإقناعه بخلو القطار من أى خطر سوى أن أرافقه أثناء الرحلة، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة لطمأنة جمال. سألت ببلاهة : وماذا لو كانت هناك قنبلة فعلا ؟ضحك بشدة وقال : كنا متنا بالطبع وشعرت لحظتها أن القنبلة ليست فى القطار فقط، بل هى أصبحت فى حياتى أيضاً، وأدركت لحظتها أنها لن تكون تلك الحياة الوردية الناعمة التى ظننت أننى سأنعم بها بزواجى من النائب الأول لرئيس الجمهورية، وتأكد هذا المعنى بالطريقة التى انتهت بها رحلة شهر العسل، فبعد هذه الحادثة أى فى اليوم الثالث. تقرر عودتنا فجأة إلى القاهرة. ففى الصباح قضينا وقتاً حالماً، أنفقته فى الرعاية بعبد الحكيم، وأحطته بحبى، وأحسست أنى أمتلكه فى تلك اللحظات، فاخترت له طعام الإفطار والبدلة. والكرافت، وفى غمرة هذا الحلم أيقظنى بقوله: سنعود اليوم إلى القاهرة. وفى هذه اللحظة، ظننت أننا سنكمل هذا الشهر فى القاهرة، ولكن كل هذا كان وهماً وسراباً، فعلى باب الفيلا ونحن نتأهب لركوب العربة قال لى : اركبى أنت فى هذه العربة ، أما أنا، وأشار إلى عربة أخرى تقف أمام عربتى: فسوف أركب هذه. وسار بنا الموكب فى الطريق الصحراوى، هو فى المقدمة، وأنا فى العربة التى تسير خلفها، وطوال الطريق لم تلتق العربتان، ولم نتبادل حديثاً إلى أن أصبحنا داخل القاهرة، وذهبت أنا وحيدة إلى بيتى .

المشير عبد الحكيم عامر

النائب الأول لرئيس الجمهورية ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

مولده :

- ولد فى ١١ ديسمبر عام ١٩١٩ بأسطال بمحافظة المنيا .
- كان فى ذلك الوقت مليئا بالحوادث التى كتبت سطورها فى تاريخ مصر بدماء آلاف من الشهداء .. وكان سعد زغلول وزملاؤه قد سافروا إلى باريس لإثارة القضية المصرية ، بعد أن اضطر الاستعمار البريطانى إلى إخلاء سبيلهم من منفاهم فى " مالطة " .

دراسته :

- تلقى علومه بالمنيا .. وبعد أن أتم الدراسة الثانوية التحق بالكلية الحربية .. وكان يقود جماعته بأسلوب لا عهد لطلبة الكلية الحربية به .. أسلوب الزميل الباسم الذى كان يجلس معهم .. لا كقائد .. بل كصديق .. وظلت جماعته فى الكلية الحربية تستمتع دون غيرها بقيادة غير معقدة .. فكان الطلبة يفاخرون زملاءهم بـ " الأونباشى عامر " .
- تخرجه : تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، فكلية الأركان عام ١٩٤٨ .

حياته العسكرية :

- عين فى إحدى وحدات سلاح المشاة التى كانت ترابط فى منطقة قريبة من الإسكندرية .. وبدأ يشق طريقة فى الجيش بنفس الأسلوب الذى أشتهر به وقت أن كان طالبا بالكلية الحربية .. أسلوب البساطة .. والإيمان .. وحب العمل .
- نقل إلى السودان فى يناير عام ١٩٤٠ .
- ذات يوم حدث خلاف شديد بين عبد الحكيم عامر وقائد فرقته المرابطة فى الخرطوم بسبب ترتيبات زيارة حاكم السودان الإنجليزى .. وتطور ذلك الخلاف حتى رأى عبد الحكيم عامر .. بما عرف عنه من عناد .. أن يقدم استقالته ، وقدمها بالفعل .. غير أن الأزمة مرت بسلام .. ومع ذلك لم يهدأ عبد الحكيم عامر .. الضابط الشاب .. وطلب نقله من الخرطوم .
- نقل إلى مركز التدريب فى منقباد عام ١٩٤١ .. حيث قضى هناك عاما ونصف عام .. ثم نقل بعد ذلك إلى مدرسة الكتاب العسكريين .

- شارك فى حملة فلسطين عام ١٩٤٨ .. وجرح فى الميدان .. وكان هو الذى وضع خطة معركة " نيتسليم " التى سقطت فى أيدى الجيش المصرى فى ذاك الوقت .. حيث كان عبد الحكيم عامر يعمل أركان حرب الكتيبة التاسعة مشاة .. ورقى استثنائيا ومنح نجمة فؤاد الأول العسكرية .
- أسهم فى ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ باشتراكه فى تنظيم الضباط الأحرار .. وذلك بقيامه بتجنيد عدد كبير من الضباط وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب، وهو الذى كتب خطة الثورة على ست ورقات بخط يده .. وفى أعقاب نجاح الثورة أصبح عضو مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٢ .
- عين قائداً عاماً للقوات المسلحة فى ١٨ يونيو عام ١٩٥٣ .. ورقى إلى رتبة اللواء .. وكانت ترقيته أول مرسوم صدر بعد إعلان الجمهورية ..
- عين قائداً عاماً للقيادة المشتركة لقوات مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن .. فى ٢٢ إبريل ١٩٥٦ .
- رقى لرتبة " الفريق " فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٥٧ .
- رقى إلى رتبة المشير فى ٢٣ فبراير ١٩٥٨ .
- عين نائباً لرئيس الجمهورية فى ٢ فبراير ١٩٥٩ .
- عين نائباً أول لرئيس الجمهورية ونائباً للقائد الأعلى للقوات المسلحة فى ٢٥ مارس عام ١٩٦٤ .
- رئيس الاتحاد الرياضى للقوات المسلحة .. ورئيس اتحاد كرة القدم.
- كما تولى رئاسة عدد كبير من اللجان الهامة فى الدولة مثل اللجنة السياسية ، الاقتصادية ، لجنة السد العالى ،لجنة النقل العام ،لجنة تصفية الإقطاع .

دور عبد الحكيم فى الثورة

قبل الدخول فى تفاصيل حياتى المقبلة مع المشير، والتى وقعت فيها الأحداث التاريخية خلال السنوات الأخيرة من عمره . أجد من الأهمية بمكان أن أضع تحت عينى القارئ دور عبد الحكيم البارز فى ثورة ٢٣ يوليو ، حتى تكون ماثلة فى خياله، وهو يرافق - معى - عبد الحكيم وسط تقلبات الأحداث السياسية والعسكرية ، بما تخللها من مؤامرات ودسائس ومناورات. ولعل ذكريات بداية الثورة ، أن تلقى بضوئها الكاشف على نهاية عبد الحكيم .نشر كثير من المعلومات عن عبد الحكيم عامر والضباط الأحرار ، وكتب الكثيرون عن قيام الثورة ، وكيف قامت وعن الأدوار التى قام بها كل واحد منهم .

وقد أتيح لى بعد وفاته أن أطلع على الملف الخاص به ، إذ فاجأنى يوماً صلاح نصر بأن وضع بين يدى أوراقاً قائلاً إقرأيها فهى ملف عبد الحكيم عامر .ولا شك أن الكثيرين يعرفون ، الكثير عن مسقط رأسه ، وتاريخ مولده ، والمناصب التى تولاها ، وتواريخ توليها ، إلى آخر هذه البيانات التى يعرفها الجميع ، لذلك لن نشغل القارئ بها .كان للمشير الفضل فى تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار ، وقد ساعد على ذلك موقعه فى الجيش حيث كان " برئاسة المشاة" تحت قيادة محمد نجيب ، بل إنه هو الذى جند محمد نجيب نفسه " أول رئيس للجمهورية " وضمه إلى الضباط الأحرار ، وذهب المشير إلى جمال فرحاً قائلاً : أنا وقعت على كنز : وقد بلغ عدد الضباط الأحرار - وفقاً للكشوف - ٣٢٩ ثلاثمائة وتسعة وعشرون ضابطاً حرا ، اشترك منهم فعلاً فى أحداث ليلة ٢٣ يوليو ما لا يقل عن ثمانين ضابطاً حراً .فى عهد وزارة إبراهيم عبد الهادى سنة ١٩٤٩ ، وقع جمال عبد الناصر فى مأزق كاد يتسبب فى فشل الثورة بإفشاء سر تنظيم الضباط الأحرار . فقد استدعى عبد الناصر إلى مكتب الفريق

عثمان المهدى- رئيس أركان حرب الجيش - وهناك جلس ينتظر بمكتب البكباشى عبد العزيز فتحى ، مدير مكتبه . ثم خرج الثلاثة واستقلوا سيارة إلى مكتب رئيس الوزراء ، ولم يكن عبد الناصر يعرف سبب استدعائه ، وكان يحمل فى جيبه أوراقاً يمكن أن تكشف نشاط التنظيم السرى ، بها أسماء بعض الضباط الأحرار وفى مكتب رئيس الوزراء ، استبد القلق بعبد الناصر، فما كاد يدخل إلى مكتب سكرتير رئيس الوزراء حتى استأذن فى دخول دورة المياه .. وهناك أخرج الأوراق ومزقها ثم ألقى بها فى المرحاض . وعاد بعد أن تخلص من هذا الموقف.ويبدو أن عثمان المهدى قد لاحظ قلق عبد الناصر ، فقد بادره بعد عودته من دوره المياه سائلاً : "هل معك أوراق " فأجابه عبد الناصر : تخلصت منها . وقد تم اللقاء بين عبد الناصر ورئيس الوزراء فى هذا اليوم ، وقد حذره من القيام بأى نشاط سياسى ، وكان هذا التحذير هو سبب الاستدعاء . وقد حدثت مشادة بين عبد الحكيم و عبد الناصر بعد ذلك بسبب هذه الواقعة ، حيث أبدى عبد الحكيم استياءه من قلة حذره . وذهابه إلى مكتب رئيس أركان الحرب ، ثم مكتب رئيس الوزراء وهذه الأوراق فى جيبه. فى حرب سنة ١٩٤٨ التى خاضها الجيش المصرى ضد إسرائيل قام عبد الحكيم عامر ومعه صلاح سالم ، ومحمد أبو نار ، وغيرهم بمهاجمة مستعمرة "دير سنيد " وادوا مهمتهم بنجاح ، وأثناء العودة ، اكتشف عبد الحكيم - بعد أن عبروا الأسلاك الشائكة - غياب أحد الجنود الذين كانوا معهم . فلم يتردد لحظة فعاد عبر الأسلاك الشائكة - غير مبال بتحذير الزملاء ، ووجد الجندى مصاباً ، فاختبأ هو والجندى حتى هدأت الدوريات الإسرائيلية ، ثم حمله وعاد رغم إصابة عبد الحكيم فى ذراعه وقد نجح عبد الحكيم فى إدارة معركة " نيتساتيم " وهى واحدة من أشرس المعارك التى خاضها الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وكانت هذه المستعمرة ، تعطل تقدم قواتنا وتقديراً لكفاءته وشجاعته عين أركان حرب اللواء العاشر الذى كان يرأسه محمد نجيب.كان عبد الحكيم عامر هو الذى أقنع صلاح نصر بالانضمام إلى الضباط الأحرار ، ثم دبر أول لقاء بينه وبين جمال عبد الناصر ، الذى أعجب بثقافة صلاح نصر ، ونظر إلى عبد الحكيم قائلاً : أنا سعيد بانضمام صلاح إلى التنظيم فى ساعة الصفر ، وقع خطأ كاد يؤدى إلى اشتباك قوتين ، قوات يوسف صديق ، وقوات عمر محمود على الذى وصل فى موعده ، وفوجئ بوجود قوات عند بوابة مبنى رئاسة الجيش ، فظن أنها قوات معادية ، فأمر جنوده ، بتعمير بنادقهم والاستعداد لإطلاق النار .. لولا جرأة ويقظة عبد الحكيم عامر الذى كان يعرفه عمر محمود على فأظهر نفسه مقترباً من القوات المتحفزة ، وعندما وقعت عليه عين عمر محمود على بالكتيبة الثالثة عشرة ، أدرك أن القوة التى أمامه هى من قوات الثورة ، وقد انضمت القوتان

وحاولوا اقتحام المبنى ، إلا أن جندى الحراسة اعترضهم وبدأ يصيح ويصرخ محاولاً تنبيه الحرس ولم يجد عبد الحكيم بداً من تحذيره .. تم إطلاق الرصاص عليه ، وحينئذ اقتحموا المبنى بعد أن رمى عبد الحكيم السلاحليك من على البوابة .وفيما كانوا يقتحمون المبنى، وقف عبد الحكيم أمام بوابة مقر القيادة ، ليقبض على القادة وهم يتوافدون الواحد تلو الآخر ، ويأمر بالتحفظ عليهم وإرسالهم إلى مبنى الكلية الحربية المواجهة لمبنى القيادة .

كان عبد الحكيم عامر " دينامو الثورة .. والمحرك لنشاطها " يتابع تنفيذ الخطة بعين يقظة .. وقد لاحظ وجود مدفع فوق مبنى القيادة وخشى أن يستعمله أحد ، فأطلق عليه الرصاص حتى لا يستخدمه أحد .عبد الحكيم عامر هو الذى كتب " بيان الثورة " .الذى أذاعه أنور السادات ، وقد ذكر هذه الحقيقة " فتحى رضوان " فى مقاله الذى نشر فى جريدة الوطن بتاريخ ١٩يوليو سنة ١٩٨٤ ، معرباً عن دهشته ، لبعض من نسب هذا البيان إلى أكثر من واحد .والحقيقة أن الدور الذى قام به جمال حماد ليلة الثورة لم يزد عن ملازمة ، القائم مقام أحمد شوقى - قائد الكتيبة ١٣- لتأمين سلامة الضباط الأحرار ،حيث إن عبد الناصر خشى أن يقوم أحمد شوقى بالتبليغ عن الضباط الأحرار ، لأنه كان قريباً من اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة ، فأمر عبد الناصر الصاغ جمال حماد واليوزباشى جمال القاضى بملازمته وعدم تركة إلا بعد أن تتحرك القوات ، أما أحمد شوقى فقد صحبهما إلى منزله ، وكان لبقاً فلم يحاول الاختفاء عن أعينهما ، وما كان يتحرك إلا برفقتهما .قال لى المشير يوماً : وهو يستعيد ذكريات بداية الثورة ، قال لى عن ذلك البيان أنه كان قد كتبه وأعطاه لأخيه حسن ليحمله معه خوفاً من أن يقع له . أى المشير . ما وقع لجمال عبد الناصر حين ذهب إلى القيادة وفى جيبه أسماء أعضاء التنظيم . وفى الليلة السابقة على الثورة عاد إلى منزله ليرتدى الزى العسكرى، ثم استرد الخطاب من أخيه حسن عامر ووضعه فى جيبه إلى أن أعطاه لأنور السادات . وقد سألته لحظتها : لماذا اخترت أنور بالذات ؟ فأجاب ضاحكاً. علشان أدبسه . ويعرف أن مشوار السينما ما نفعش ، ومما حكاه لى عامر عن أحداث هذا اليوم . أن جمال عبد الناصر كان يرقب عملية اقتحام مبنى الرئاسة وهو على رصيف الكلية الحربية ، وهو فى ثياب مدنية ، وكان قد تم الاتفاق على ذلك بينه وبين عبد الحكيم ، حتى إذا فشل الهجوم وقبض عليهم فإن عبد الناصر يستطيع مواصلة الثورة . لقد استعرضت بعض المعلومات التى استنبتها من المرحوم عبد الحكيم عامر خلال جلساتنا .. وبالطبع فلم تكن هذه المعلومات مجمعة ولكن على فترات مختلفة وتعليقاً على بعض الأحداث . ولقد كتب عن عامر الكثير .. ولقد آثرت . تدعيما لما أقول . اختيار بعض ما قاله هؤلاء .. ولقد اخترت الأخذ بشهادات

محمد نجيب ، أنور السادات ، وشمس بدران ، صلاح نصر على سبيل المثال وليس الحصر .
يقول محمد نجيب فى شهادته : " جاءت حرب فلسطين التى جرحت فيها ثلاث مرات وحصلت على نجمة فؤاد العسكرية ، وتعرفت خلالها بعدد من الضباط الوطنيين كان أقربهم إلى الصاغ عبد الحكيم عامر الذى فهمت منه أن هناك تقارباً بين عدد من الضباط الوطنيين ظهر التعبير عنه فى منشورات الضباط الأحرار ، وتعرفت كذلك على البكباشى أ.ح جمال عبد الناصر ، والبكباشى أ.ح يوسف صديق ، والبكباشى أنور السادات والبكباشى أ.ح كمال الدين حسين (كان صاغ فى ذلك الوقت). بعد حل مجلس إدارة نادى الضباط .. كان أمامنا ثلاث حلول .. واستقر الرأى على الحل الثالث (وهو اغتيال كبار الضباط وفرض شروطنا على الملك) الذى اتفقت عليه مع الصاغ أ.خ عبد الحكيم عامر والذى كان صلتى بالضباط الأحرار فى محاولة لتأكيد السرية حيث إن الأنظار كانت مسلطة على وتحركاتى غالباً كانت مرصودة .
وفى يوم ١٩ يوليو حضر لى الصاغ بالمعاش جلال ندا ومعه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت لسؤالى عما تم فى مقابلتى مع محمد هاشم. وأثناء جلستنا فوجئت بحضور جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر على غير موعد، وكنت متلهفاً لرؤيتهما لإبلاغهما بما دار بينى وبين محمد هاشم (يوم ١٨ يوليو) ، فعرفتهما بهيكل . وبعد مناقشة خاصة فى غرفه جانبية ، استقر الرأى على ضرورة الإسراع بالحركة بدلا من اليوم الذى اتفقوا على تحديده وهو ٥ أغسطس لاستكمال وصول بعض الوحدات وضمان استلام الضباط والجنود لمرتباتهم . ويقول قائد السرب حسن إبراهيم: " وأثناء حرب فلسطين بدأ تجمعنا من جديد وتشكلت المجموعة التأسيسية للضباط الأحرار من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محى الدين وكمال الدين حسين ومنى، ثم انضم إليها صلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وجمال سالم وأخيراً انضم إلينا أنور السادات عام ١٩٥١ وكانت له صلات سابقة هو وحسن عزت بتنظيم الطيران فى فترة الأربعينات ولكنها توقفت بخروجه من الجيش واعتقاله . عندما صدر قرار مجلس الثورة بعزل نجيب وتحديد إقامته فقمت مع عبد الحكيم عامر لتنفيذ القرار وأخذنا نجيب من قصر عابدين إلى استراحة حرم مصطفى النحاس حيث حددت إقامته بها . ويقول ثروت عكاشة: " فى الخامسة مساء يوم ٢٢ يوليو اجتمعت قيادة الفرسان بمنزلى، وعكفنا على دراسة الخطة العامة التى حررها عبد الحكيم عامر بخط يده مع إضافات لزكريا محى الدين والتعليقات النهائية لجمال عبد الناصر، واستخلصنا منها الواجبات المنوطة بسلاح الفرسان وكانت جسيمة وخطيرة " . ويؤكد معلومات السيد ثروت عكاشة السيد اللواء جمال حماد فى كتابه أطول يوم فى تاريخ مصر حيث يقول: " فى الثالثة

من بعض ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليو أجتمع فى منزل خالد محى الدين بشارع فوزى المطيعى بمصر الجديدة عشره من الضباط الأحرار، كان ستة منهم من أعضاء لجنة القيادة وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محى الدين وعبد الحكيم عامر - الذى كان يعمل برئاسة الفرقة برفح وكان فى أجازة ميدان بالقاهرة- وحضر الاجتماع أربعة ضباط من خارج اللجنة وهم عبد المنعم أمين من سلاح المدفعية ، وحسين الشافعى من سلاح الفرسان ، وزكريا محى الدين من سلاح المشاة وإبراهيم الطحاوى من سلاح خدمة الجيش . وكان موعد اللقاء محدداً من قبل . ويمكن اعتباره بمثابة اجتماع عقده القائد لمجموعة الأوامر ليصدر لهم أمر العمليات الذى يحدد الواجبات المخصصة لوحداتهم . كما هو متبع فى فن التكتيك الحربى . ولذا كان من المفروض أن يتولى عبد الناصر بصفته الرئيس المنتخب للجنة القيادة مهمة قراءة الأمر على زملائه الحاضرين، ولكنه آثر ترك هذه المهمة لزكريا محى الدين أستاذ التكتيك الحربى بكلية أركان حرب، وكانت الخطة مسجلة فى ستة صفحات فولسكاب ومكتوبة بخط عبد الحكيم عامر ووضعت عليها بعض التعديلات بخط زكريا محى الدين مع بعض الملاحظات بخط جمال عبد الناصر وبعد أن انتهى زكريا محى الدين من قراءة الخطة وضعها فى جيبه وقال " على بركة الله "، وعندما انصرف زكريا التفت عبد الناصر إلى الحاضرين .. قائلا " الحكاية مش أقدمية ". قال ذلك لأن زكريا محى الدين كان أقدم منه فى الرتبة، وخشى من تأثير ذلك على زملائه ". وقص علينا أنور السادات فى كتابة " قصة الثورة كاملة " فى الصفحات من ٩٨ - ١٠٢ كيفية اقتحام مركز القيادة فى كوبرى القبة " لم يقل لى عبد الحكيم فى تلك اللحظة أنه هو الذى قاد معركة رئاسة الجيش وأنه هو الذى احتلها بجنوده أو هو الذى قاد الجنود ثم تقدمهم واقتحم بهم المبنى وهو يحمل طبنجته تماما مثل ما فعل ذات يوم فى فلسطين .. إنه فى يوم نيتسليم اقتحم بمسدسه وعساكره خلفه، وفى يوم رئاسة الجيش بمسدسه وعساكره خلفه وانطلقت رصاصات جنود عبد الحكيم عامر حول مبنى رئاسة الجيش وسقطت القلعة المنيعة فى ثوان وجنودها " . ويقول كمال الدين حسين فى كتاب ملفات يوليو لطارق حبيب صفحة ٤٩: " كانت هناك خطة عسكرية محكمة .. وهى التى غيرت تاريخ مصر الحديث : وكانت المهام ساعة الصفر كالآتى : الإشراف العام والقيادة كانا لكل من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكانت العملية مدروسة بصفة عامة وموزعة على الضباط وتولى زكريا محى الدين (أقدم رتبة) أركان حرب العملية . ويؤكد شمس بدران فى شهادته فى كتاب ملفات يونيو " المشير هو اللى فتح باب رئاسة الجيش ، كان فيه حرس من جوه .. العساكر بالسلاحليك .. وبالسلاح بتاعهم

.. فمارضيوش يفتحوا الباب فاضطر بضرب واحد منهم .. وضرب البنادق فى السلاحليك وقعها على الأرض وفتح الباب .. جاء يوسف صديق بقواته .. ودخل رئاسة الجيش واحتلها .. لكن اللى فتح الباب هو عبد الحكيم عامر .. وبعدين أعطوا الولد تعويض عن الحادثة ".
ويقول صلاح نصر فى شهادته فى كتاب أحمد حمروش شهود ثورة يوليو: " توليت قيادة الكتيبة ١٣ س لتنفيذ المهام التى أوكلت إليها وتتلخص فى وضع سرية ومعها تروب دبابات تحت قيادة الصاغ صلاح سعدة لاحتلال مبنى الحدود منعا لتصديه للحركة ، وسرية ثانية تحت قيادة يوزباشى عمر محمود على ومعه ملازم فؤاد أبوالحى ، وملازم مصطفى أبوالقاسم لاحتلال مبنى رئاسة أركان حرب فى كوبرى القبة (القيادة العامة فيما بعد) وفصيلة مشاة تحت قيادة يوزباشى جمال القاضى (الذى ألحق من تنظيم الضباط الأحرار على الكتيبة) لاحتلال مبنى الإذاعة فى شارع الشريفين، وفصيلتين لتأمين بعض بوابات ثكنات العباسية ، وفى صباح ٢٣ يوليو أرسلت فصيلة لتأمين محطة لاسلكى فى أبو زعبل . كانت ساعة الصفر .. منتصف الليل وتحركنا فى الموعد تماما بالسرية المتجهة لسلاح الحدود ثم تحركت الوحدات بفارق توقيت نصف ساعة بين بعضها وعندما تحركت السرية المتجهة إلى مبنى رئاسة الأركان وجدت بها قوات يوسف صديق ولم تتعرف على عمر محمود وقواته فحاولت أن تطلق عليها الرصاص وأنقذ الموقف ظهور عبد الحكيم عامر الذى يعرفه عمر محمود فانضمت القوتان لاقتحام المبنى، وأمر عبد الحكيم عامر جندى الحراسة أن يفتح البوابة الحديدية للمبنى لكنه رفض وأخرج عبد الحكيم طبنجته وهدد الجندى بقتله إذا لم يستجب للأمر ، ولكن الجندى أصر على رفضه ، وكان يصرخ مستنجداً بالقوة المرابطة داخل المبنى . أصبح الموقف حرجاً فأطلق عبد الحكيم النار على الجندى (فى رجله) واقتحمت القوات المبنى ، ولم تلق أى مقاومة . ثروت عكاشة (طارق حبيب ص ٣١) قام جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد عودتنا من فلسطين بالدعوة لهذا التنظيم .. وكنت قد عينت برئاسة هيئة أركان حرب الجيش إدارة التدريب الحربى، وعين جمال عبد الناصر مدرساً بكلية أركان حرب ، وعين عبد الحكيم عامر أركان حرب سلاح المشاة ، وقام كل منهما بالدعوة على تنظيم الضباط الأحرار الذى انضميت إليه بطبيعة الأحوال لأن كل ما كان مطلوباً من هذا التنظيم هو ما كنا نردده فى اجتماعاتنا وخلواتنا فكراً وحواراً . ويقول عبد المحسن أبو النور : بعدما انتهت حرب فلسطين اجتمعنا فى القاهرة ، وبدأ جمال عبد الناصر يفكر فى تكوين الضباط الأحرار وكان تقريباً سنة ٤٩ وفاتحنى هو وعبد الحكيم عامر فى هذا وانضمينا مع بعض وابتدينا نعمل خلايا الضباط الأحرار ، الخلية اللى أنا فيها كانت مع عبد الحكيم عامر وإسماعيل فريد

ومحمد البلتاجى وعباس رضوان وكان بتجتمع مع عبد الناصر فى أوقات كثيرة، وابتدت الخلايا تكبر وتتسع ويقول أمين شاكر : عبد الناصر قال لى على تنظيم الضباط الأحرار وأنا قبلت ، وأنا قاعد فى الميز جاء سعد توفيق وكلمنى وقال فيه تنظيم فيه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر كنا مع بعض فى فلسطين عاوزين يقابلوك، رحنا لقينا حيدر باشا كان قائد عام الجيش أول ما شافنا ، قال لنا بتعملوا أية هنا . ده قريب عبد الحكيم عامر ابن خالة أمه على طول قالوا له ما فيش حاجة يافندم وأخذنا بعضنا ودخلنا على جوه وانضميت للتنظيم .

محاولة اغتيال حسين سرى عامر

لقد اتفق ناصر وعامر فى حب مصر وضرورة القضاء على الفساد ، وضرورة إجلاء المستعمر ، كما واجها الموت معا فى ميادين القتال ، وواجها خطر السجن والإعدام معا وهما يكونان تنظيم الضباط الأحرار . أما الخلاف بينهما . فقد اتضح عند التطبيق .. وظهر أن لكل منهما فلسفته ووجهة نظره المختلفة عن الآخر فى التعامل مع الأحداث الكبيرة التى مرت بها مصر منذ قيام الثورة . والأمثلة على ذلك كثيرة . فمنها ما وقع وأنا زوجة المشير . ومنها ما وقع قبل ذلك . ولكنى عرفته من خلال الأحاديث اليومية التى تدور فى بيتى .

وكان أول خلاف نشأ بينهما قد وقع . قبل الثورة . بسبب حسين سرى عامر وقد أتم ذلك فى عجالة حين حاول جمال عبد الناصر قتله فأطلق عليه الرصاص أمام منزله ونجا من الموت، فقد كان يتعقب الضباط الأحرار ويجمع المعلومات عنهم. وكان عبد الناصر قد أقترح قتل حسين سرى وعارضه عبد الحكيم وقال له : ليس حسين سرى عدونا .. إنما العدو هو النظام نفسه فلو قتلناه فإن الملك سيأتى بغيره ، كما أنه لا ينبغى أن نقتل ونلوث أيدينا بالدماء . وقد وافقه جمال عبد الناصر على ذلك قائلا : " معك حق " . ثم قام بمحاولة قتله ولكن العيار لم يصبه . وهرب جمال .

وعندما التقيا . ناصر وعامر . بعد ذلك عاتبه عبد الحكيم وسأله ، ماذا فعلت . هل أطلقت عليه النار فعلا ، فأجاب عبد الناصر : نعم .. لكنه لم يمت ، وقال له المشير " ألا تدرك أن هذا كان من الممكن أن يعرضنا للخطر ؟ .. فلو أنه قبض عليك لاكتشفوا التنظيم كله .. ووضعنا كل الأولاد فى داهية !! ومن المؤكد أن عبد الناصر هو الذى دبر حادث محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر ، واشترك فى تنفيذ هذه المحاولة كل من حسن إبراهيم عضو مجلس

الثورة ، واليوزباشية حسن تهامى وكمال رفعت وصلاح دسوقى ، وقد أقر عبد الناصر بتدبيره هذه المحاولة فى كتابه "فلسفة الثورة " ذاكراً أنه أحس تحت وطأة أزمة ضمير بفكرة ثورة ٢٣ يوليو . يقول عبد الناصر فى كتابة " فلسفة الثورة " :" ووصلت إلى بيتى واستلقيت على فراشى ، وفى عقلى حمى ، وفى قلبى وضميرى غليان متصل . وكانت أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة مازالت تطرق سمعى . ولم أنم طول الليل .. بقيت مستلقيا على فراشى فى الظلام ، أشعل سيجارة وراء سيجارة ، وأسرح مع الخواطر الثائرة ، ثم تتبدد كل خواطرى على الأصوات التى تلاحقنى .. وأقول لنفسى ومازلت أتقلب فى فراشى فى الغرفة التى ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات : !وأسمع هاتفا يرد على : وإذن ماذا ؟ وأقول لنفسى فى يقين فى هذه المرة : إذن يجب أن يتغير طريقنا .. ليس ذلك هو العمل الإيجابى الذى يجب أن نتجه إليه .. المسألة أعمق جذوراً وأكثر خطورة وأبعد غورا . وأحس براحة نفسية ، ولكن الصفاء ما يلبث أن تمزقه هو الآخر أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة ، تلك التى مازالت أصداؤها ترن فى أعماقى . ووجدت نفسى فجأة أقول : ليته لا يموت ! وأسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله قد كتب له النجاة . وإنما المشكلة الأساسية .. هى العثور على العمل الإيجابى ! وبدأنا نرسم الخطوط الأولى فى الصورة التى تحققت مساء ٢٣ يوليو ، ثورة منبعثة من قلب الشعب ، حاملة لأمانيه ، مكملة لنفس الخطوات التى خطاها من قبل على طريق مستقبله .

ومهما كان الأمر ، ومهما كانت الدوافع التى بررها عبد الناصر ، فمما لاشك فيه أنه كان يميل إلى العمل السرى حتى بعد قيام الثورة ، وتوطيد أركانها ، وبخاصة فى الدول التى كانت لا تساير سياسته على نحو ما سنوضحه فى حينه وأيضا انفراده باتخاذ القرار .

رجل المهام الصعبة

كان جمال عبد الناصر يعتبر المشير عبد الحكيم عامر هو رجل المهام الصعبة ، وكان يعتمد عليه الى حد كبير، ويثق فيه ثقة غالية، ومنحه كثيرا من سلطاته التي لم يمنحها لأحداً غيره، ويتجلى ذلك واضحا في اللجان العليا التي كان يرأسها مثل اللجنة السياسية واللجنة الاقتصادية ولجنة السد العالى ولجنة النقل والمواصلات حتى لجنة الرياضة وهى لجان يصدر أمر تشكيلها من رئاسة الجمهورية بقرارات جمهورية، وتضم عادة مجموعة من الوزراء وصفوة المتخصصين. ومن خلال هذه اللجان باشر عامر معظم أمور الدولة ، وكان ناصر يصدر أمره بدون أن يناقش عامر أو يستمع إلى آرائه ..

وعندما يكون عامر خارج الجمهورية لمدد طويلة مثل ما حدث في دمشق أو اليمن .. فكان عبد الناصر يكتب له رسائل مطولة يشرح له فيها ما يدور في القاهرة ومحتوى مقابلاته وما يدور فيها، فكان يكتب له قائلا - على سبيل المثال وليس الحصر - أنا لا أشعر بأى ضيق، ولكن من الضرورى أن أطلعك على كل ما يقال في هذه المقابلات تفصيليا حتى تعطينى رأيك بسرعة اذا كان هناك رأى جديد أو فكرة جديدة. . ولقد نشر السيد محمد حسنين هيكل في ملحق الوثائق بكتابه -سنوات الغليان - .. نماذج من هذه الرسائل بخط يد الرئيس عبد الناصر في الملاحق أرقام (٣٨،٣٧،٣٦،٣٥) ورسائل عبد الناصر مطولة .. تصل في بعض الرسائل إلى ثماني صفحات، وبالإضافة الى ما سبق ذكره .. فكان عبد الناصر يعتمد على عبد الحكيم عامر في المأموريات الخارجية لمقابلة رؤساء الدول .. كما تعددت زياراته للاتحاد السوفيتى لشراء الأسلحة واختيارها والتفاوض بشأنها . ومن أنجح زياراته .. فرنسا حيث قابل الجنرال ديجول استطاع أن يزيل سوء التفاهم الذى نتج عن دور فرنسا في حرب ١٩٥٦ ..

كما وفق في إقامة جسور المودة والثقة والصداقة .. الأمر الذى امتد حتى وقتنا هذا .. وسوف استعرض في مجال بعض المقابلات و زيارات عامر بالصور توضيحا لدوره أمام الأجيال الجديدة التي لم تعاصره، ولم يقدر لها أن تقرأ ما كتب عنه في الصحف في حينه .

بحيث يمكن القول إنه زار معظم دول الشرق والغرب وآسيا زيارات رسمية موفدا من قبل الدولة .. وكلها تقريبا حققت نتائج إيجابية، بل يمكن القول إن هذه الزيارات قد حققت كل الأهداف المخططة لها قبل الزيارة .. ومن هذا يتضح لنا أن عامر لم يكن رجلا عسكريا فحسب بل كان سياسيا ودبلوماسيا في المقام الأول .. ولم يكن عامر يعامل رسميا على أنه كان مجرد نائب رئيس الجمهورية .. بل كان يعامل معاملة رؤساء الجمهوريات بروتوكوليا .. وكانت الوفود الشعبية تخرج لاستقباله مزودة بأعلام دولتها وأعلام الجمهورية العربية المتحدة، وتصطف فى الشوارع لاستقباله .. وهذا لا يحدث عادة إلا في استقبال رؤساء الدول ولكن كانت الدول التى يزورها تعترف انها تقابل شخصية غير عادية .. بل شخصية مفوضة تفويضا كاملا من حكومتها ورجل مسئول عما تقوله وعما يتفق عليه .. وأنه قادر على أن يضع اتفاقاته موضع التنفيذ. ويمكن القول -بدون أن يكون حديثنا مجرد استنتاج- إن هؤلاء العظماء الذين قابلوه كانوا يعتبرون أنفسهم في حضرة عبد الناصر شخصيا ممثلا في شخص عبد الحكيم عامر .. فهما الاثنان جسدين وروح واحدة .. وعقل واحد .. وتفكير متحد فى معظم القضايا، ومختلف فى بعض القضايا .

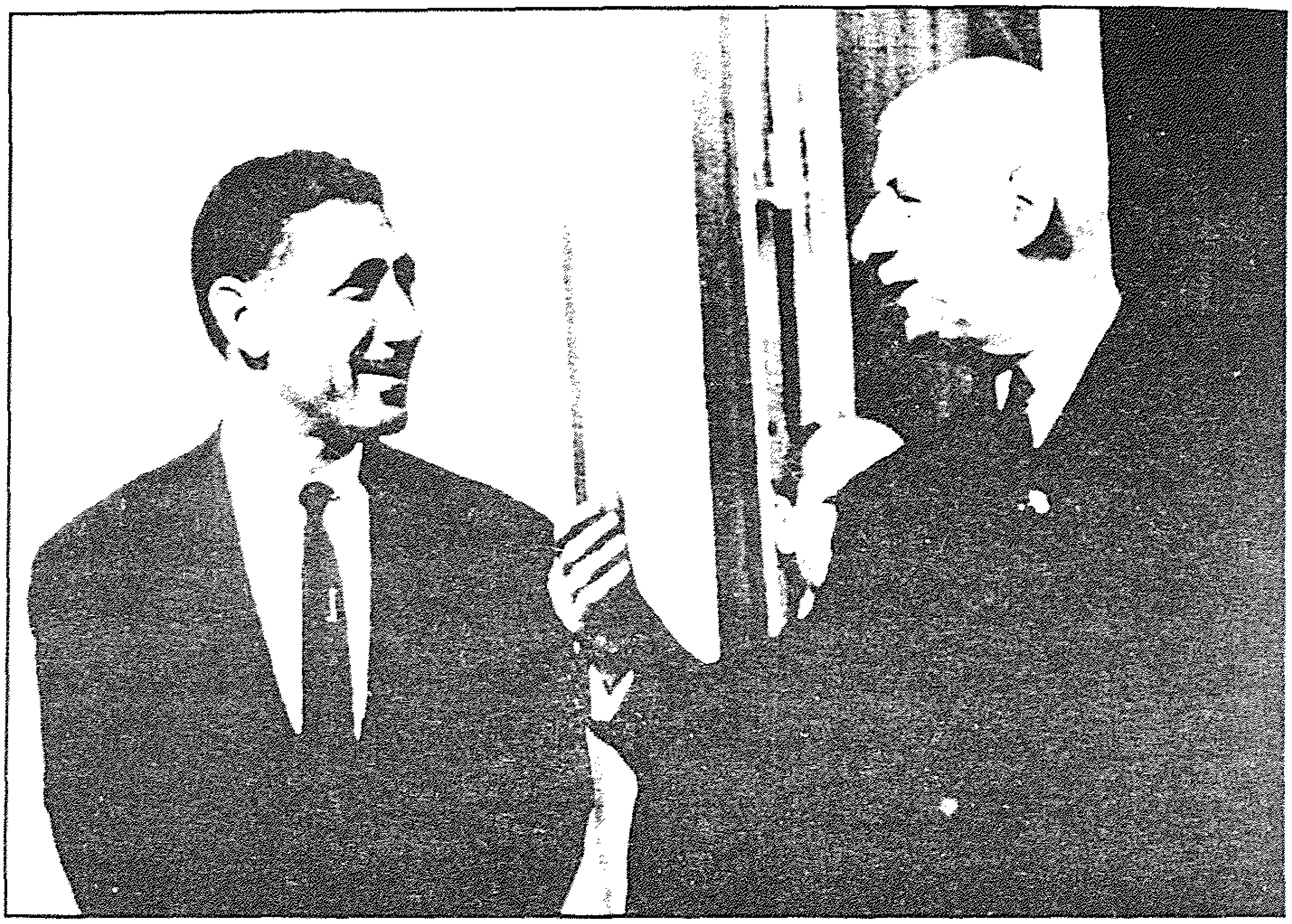

رجل المهام الصعبة / المشير عامر فى فرنسا مع الرئيس شارل ديجول

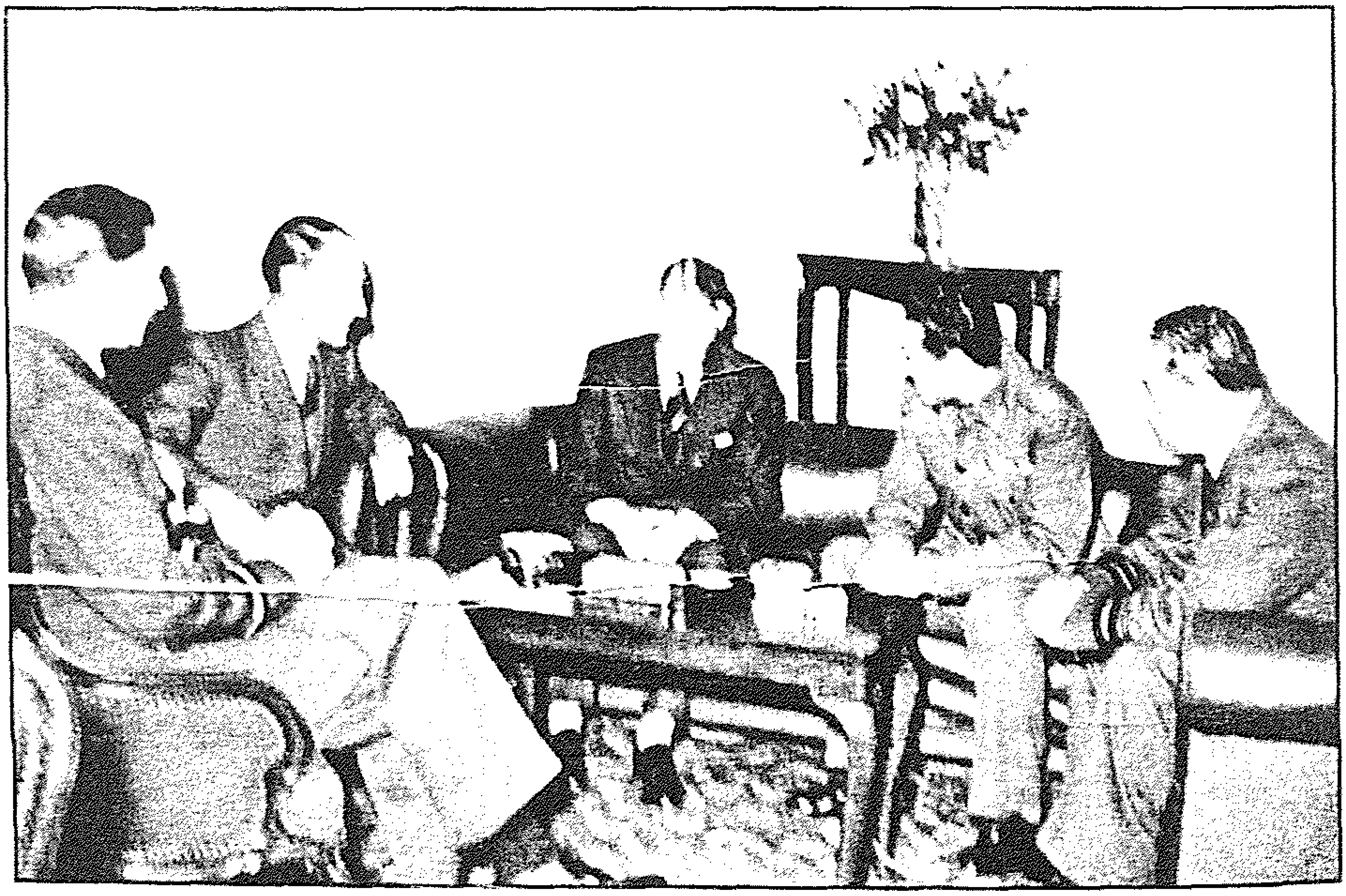

رجل المهام الصعبة / المشير عامر مع وفد أجنبى

رجل المهام الصعبة / المشير عامر مع نهرو رئيس وزراء الهند

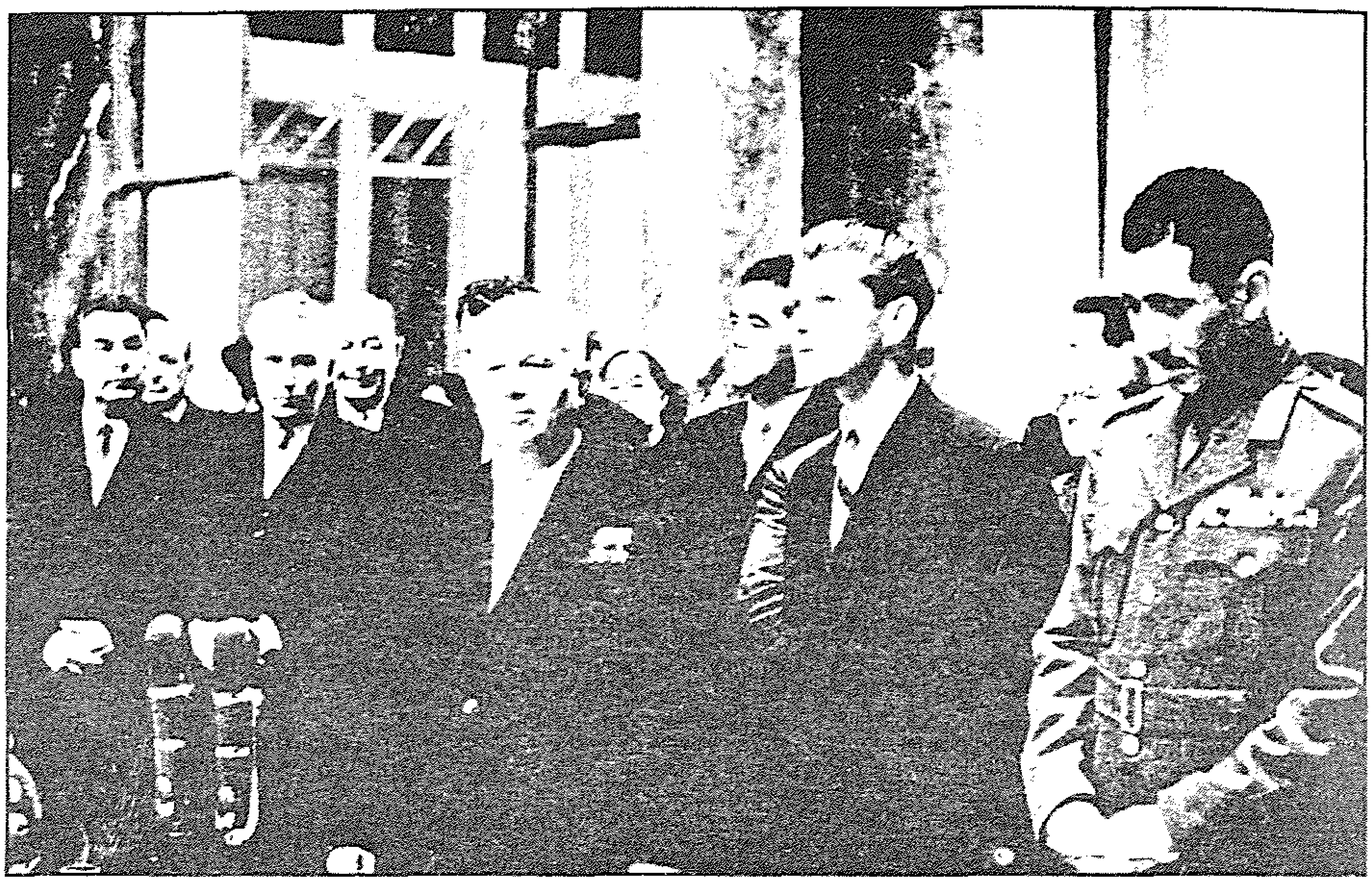

المشير عامر مع الرئيس خروشوف والقادة الروس فى إحدى المهام

رجل المهام الصعبة / المشير عامر مع القادة العسكرين السوفييت في إحدى القواعد العسكرية

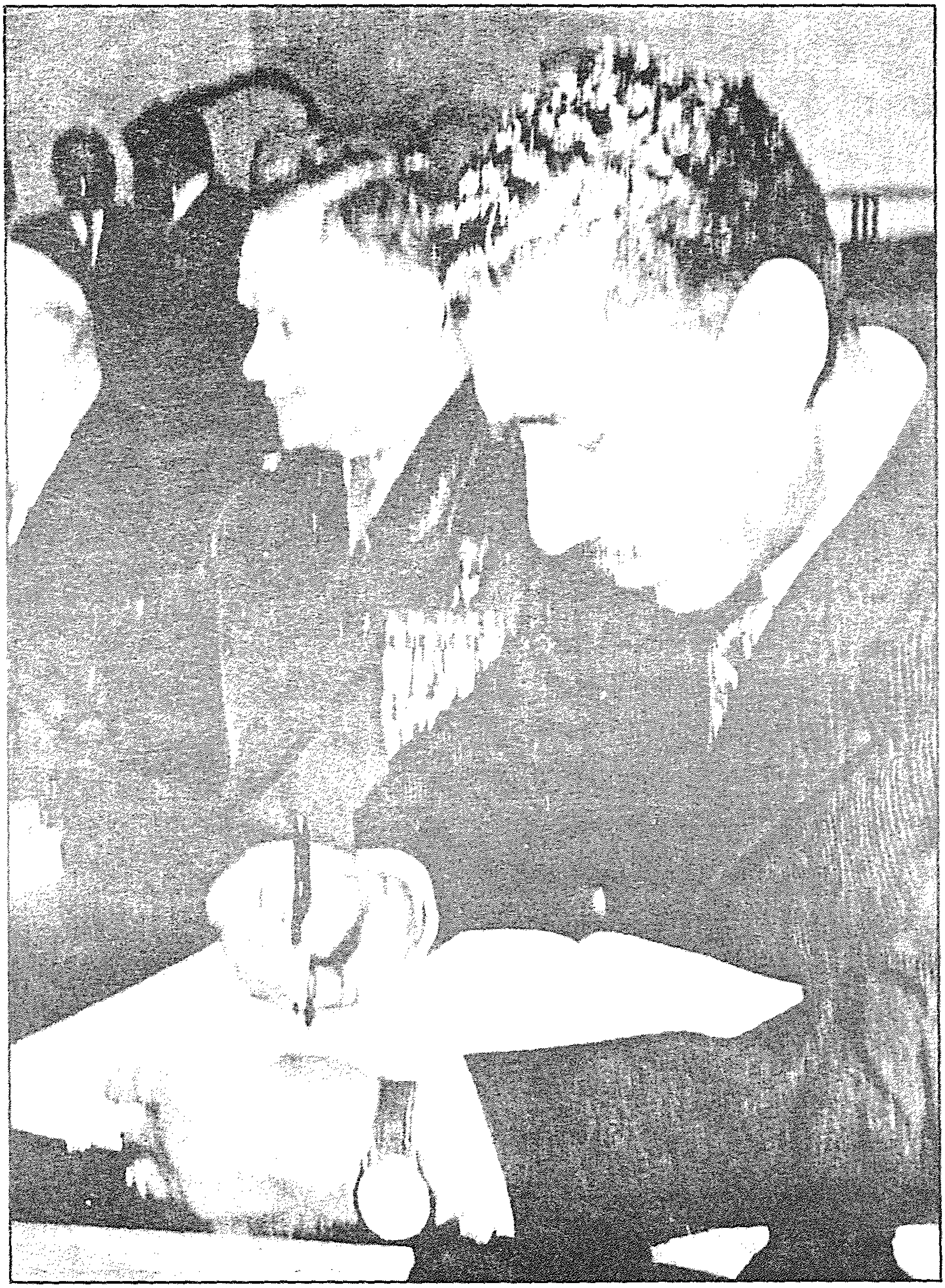

رجل المهام الصعبة / المشير عامر يوقع على اتفاقية صداقة مع روسيا

رجل المهام الصعبة / المشير عامر مع امبراطور أثيوبيا هيلاسلاس

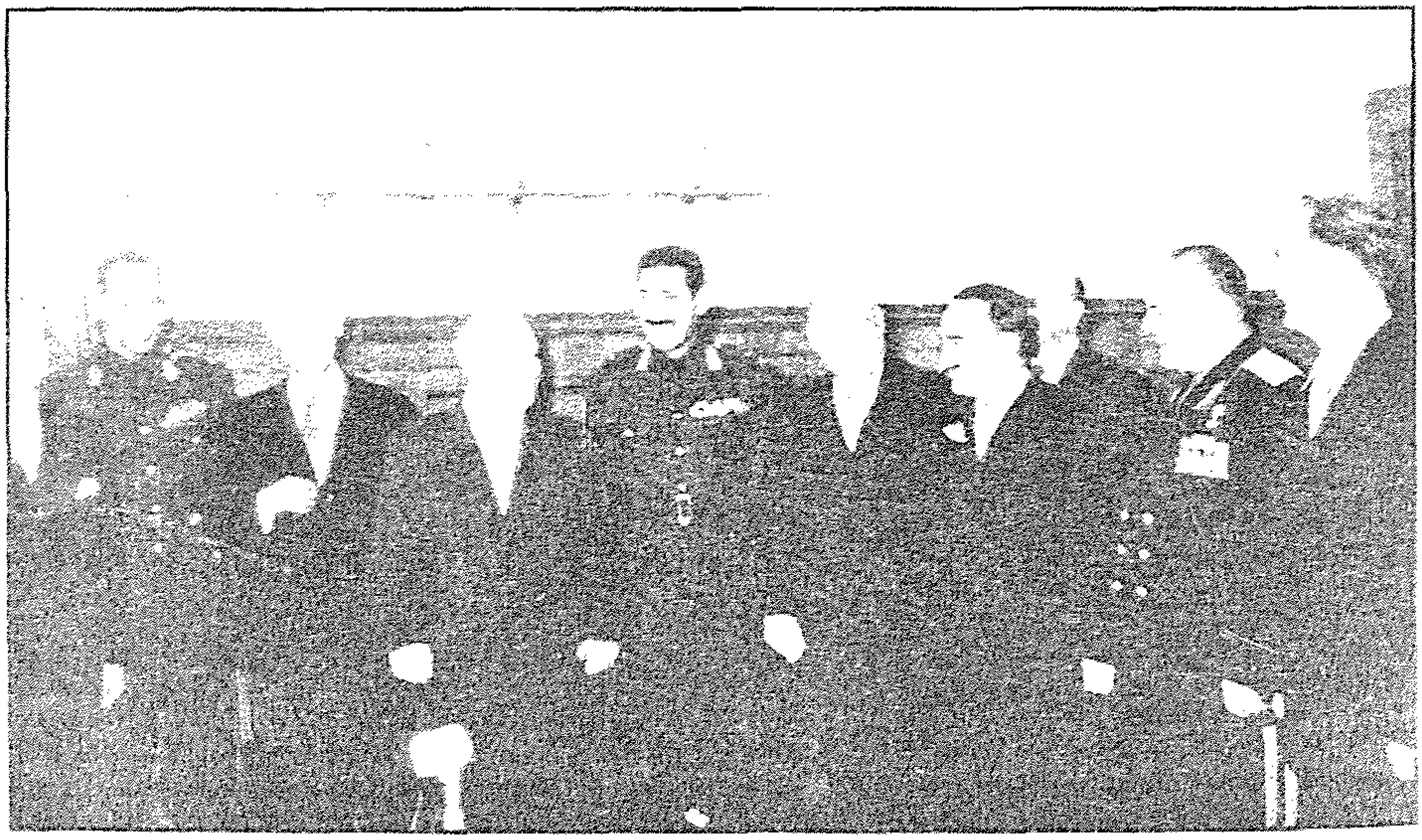

المشير عامر مع خروشوف رئيس وزراء الأتحاد السوفيتى وإلى اليسار بولجانين
وحولة كبار اعضاء الحزب الشيوعى

المشير عامر مع الملك سعود

المشير عامر فى زيارة هامة لرئيس الجزائر بن بيلا ونائبه بومدين

صداقة تحدت المستحيل

كان مكان اللقاء الأول الكلية الحربية عام ١٩٣٧ ، فقد التحق جمال عبد الناصر بكلية الحقوق وظل بها لمدة ستة شهور ثم تركها ليلتحق بالكلية الحربية في ١٧ مارس ١٩٣٧ .

وبالصدفة أيضا كان عبد الحكيم عامر قد التحق بكلية الزراعة ليظل بها ستة شهور ثم يتركها ليلتحق بالكلية الحربية في أكتوبر ١٩٣٧، وهناك وعلى أرض الكلية الحربية كان كل منهما على موعد مع التاريخ ! .. وطوال فترة الدراسة في الكلية الحربية كان جمال مسئولا عن عبد الحكيم، وسرعان ما ولدت بينهما صداقة طالت وامتدت وتعمقت وتوثقت أواصرها بمرور الأيام والسنوات ! وفى أيام الشباب كان جمال وعبد الحكيم يقتسمان الحلم واللقمة والضحكة والطموح والثورة !.. كانا معا في كل مكان.. في السودان.. في حرب فلسطين ، في إنشاء وتكوين الضباط الأحرار ، في القيام بثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢ .

ببساطة شديدة كان جمال عبد الناصر يسكن قلب عبد الحكيم وكان عبد الحكيم يسكن قلب عبد الناصر ! .. ومن العبارات ذات الدلالة المهمة ما كتب ذات يوم أحمد لطفى واكد عضو الضباط الأحرار فقال : قبل أن ألتقى بعبد الحكيم عامر لأول مرة في أوائل عام ١٩٥١ كان عبد الناصر قد حد ثنى عنه بكثير من المحبة والثقة حتى تصورتهما توءمين، ولما عرفت عبد الحكيم عامر اكتشفت أن ما بينهما من علاقة يتجاوز الالتقاء الفكرى والوطنى والسياسى إلى حب أخوى صوفى .. وكان عبد الناصر يقول : إذا أردت أن أفكر في أى موضوع أو أحل أية معضلة فإننى أتكلم بكل حرية مع عبد الحكيم إلى أن تتبلور أفكاري.. وفى غابة السياسة حيث تتشابك المصالح أو تتصادم يستحيل أن تدوم الصداقات .. لكن صداقة الرئيس والمشير تحدت هذه القاعدة ! .. الصداقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت تبدو شذوذا على القاعدة فهى قد ثبتت أمام أكثر من عاصفة كانت جديرة بأن تقتلعها من جذورها ، وفى قمة الخلاف والصراعات التي نشبت بينهما ظلت الرابطة العاطفية بينهما تغالب الأمواج العاصفة حتى المشهد الأخير !! وقد بلغ من عمق هذه الرابطة وثباتها أن البعض اعتبرها لغزا يستحق

التفسير .. كان على رأس هؤلاء هو الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الذى يقول : إن فك لغز شخصية جمال عبد الناصر الشديدة التميز والتفرد في التاريخ المصرى ، والعملاق الذى خرج من تراب مصر بعد قرون من الرقاد كفرعون جديد جبار لا يمكن أن يتم فهمه إلا إذا أمكن فك لغز علاقته بثلاث شخصيات وصداقات كان لها أكبر الأثر في حياته . علاقته بـ عبد الحكيم الذى سلمه الجيش بكامله، وانشق عليه وصار ندا له دون أى ند منذ الستينيات ، ومع ذلك ترك له كل هيلمانه وتأثيره في أهم أحداث حكمة النهاية المرة .. وعلاقته بـ أنور السادات الذى كان يبدو أنه يختلف عنه، في كل شئ ومع ذلك فقد اختاره لأن يكون خليفة له . ولست من أنصار النظرية أو النظريات التي تعتبر هذا من باب الملابسات غير المقصودة ، ولكن أعتقد أنه كان اختيارا مدروسا ومقصودا ، رغم التشهير الذى لا مثيل له الذى قاده السادات بحنكة ومهارة وشراسة ضده بعد وفاته .. وعلاقته بـ محمد حسنين هيكل الصحفى الذى لم يكن من أقرب الناس إليه في أول الثورة، ولكنه صار بعد ذلك في تقديرى أقرب الناس إليه على الإطلاق، فجعله شريكا في الحكم على أعلى مستوى .. وفيما بعد يذكر عبد المجيد فريد أمين عام رئاسة الجمهورية : بأن علاقته -أى عبد الناصر- والمشير عامر علاقة خاصة تحتاج إلى دراسة ، لأنه هو الوحيد الذى كان تتميز علاقته مع الرئيس بحاجة خاصة ، وقال لى مره الرئيس في جلسة من الجلسات: إحنا أصلنا صعايدة وطلعنا ضباط سوا .. وأخذنا شقة مع بعض في القاهرة .. وهو اللي علمنى السجاير .. ورحنا سوا مع بعض (منقباد) في الوجه القبلى ، وعبدالحكيم أنا الوحيد اللي دخلت بيته ، وأدخل لأسرته حتى لو مكنش موجود .. وعندى بييجى ويدخل عندى وعند أسرتى دون إذنى .. الوحيد، فكانت علاقته مع عبدالحكيم علاقة خاصة جدا .. ويصف السيد عباس رضوان طبيعة العلاقة بين الرئيس والمشير منذ بداية تعرفه عليهما في عام ١٩٤٩ بأنها: صداقة ليس لها مثيل ووصلت إلى حد الوفاء النادر الذى لا يشكك فيه أحد بأى شكل من الأشكال ، بل الذى يحاول أن يشكك فيه فهو الخاسر. ويروى عباس رضوان واقعة مهمة يدلل بها على كلماته السابقة فيقول : حدث أمام الوزراء وأمام الجماهير في مؤتمر شعبى عقد في مدينة الإسماعلية في الستينات، وكان عبد الناصر يجلس على المنصة ومن حوله بعض الوزراء وجلس عبد الحكيم في الطرف الآخر وبينهما المنضدة التي سيخطب عليها عبد الناصر، وفجأة انقطع التيار الكهربى وخيم الظلام الدامس على المكان، وقد استغرق ذلك حوالى دقيقتين أو ثلاث دقائق حيث تم التحويل إلى مولد كهربى آخر ثم أضيئت الأنوار على منظر لا أنساه .. وجدنا عبد الحكيم عامر واقفا بطوله أمام عبد الناصر الجالس على الكرسى بحيث أنه لو جاءت رصاصة لجمال تصيبه هو. ويكمل عباس رضوان قائلا: إن هذا المشهد أبكى الحاضرين .. الحرس الذى كان خلفه لم يتحرك،

وتحرك عبد الحكيم عشرة أمتار ووقف أمام جمال عبد الناصر يحميه من أى رصاصة قد تأتى إليه في الظلام. ولا أستطيع أن أقول بعد هذا المثال أن هناك صداقة أمتن وأقوى وأعمق من ذلك، ولهذا قال لى جمال عبد الناصر أكثر من مرة : إن الوحيد الذى يمكن يتقبل عنى الرصاص هو عبد الحكيم ، الوحيد الذى يمكن أن يفدينى بروحه هو عبد الحكيم عامر. فالعلاقة بين عبد الناصر وعبد الحكيم كانت علاقة أكثر من شقيقين ، وكان من أصعب المصاعب أن يؤثر عليها أحد مهما كان ومهما حاول .. ولكن بمرور الوقت كانت هناك خلافات في الرأى .. آراء متباينة من الجائز أن يختلف الفكر نفسه سواء أكان في تفاصيله أو في مجمله، وإذا وجد من ليس له الغرض يستطيع أن يلم الشمل ويخفف من هذا الخلاف .. ولكن للأسف أستطيع أن أقول إن هناك أناسا حاولوا بقدر المستطاع أن يزيدوا من سعة هذه الفجوة حتى لو عادت الأمور لوضعها الطبيعى ويترقبوا وينتهزوا فرصة أى خلاف ليزيدوا من اتساعه، إلى أن وصلت الأمور إلى ما حدث بين الصديقين. كانت قد مضت ١٥ سنة بالضبط على كارثة يونيو ١٩٦٧ عندما أدلى الفريق أول متقاعد صدقى محمود قائد سلاح الطيران بحديث مهم لمجلة (الوادى) أغسطس ١٩٨٢ وسئل عن الصراع بين المشير عامر والرئيس عبد الناصر ! وعلى صفحات الوادى قال صدقى محمود بالحرف الواحد : هذا الصراع لم ألمسه إطلاقا رغم صلتى الشديدة بهما وبحكم العمل وبحكم الصداقة ، ولكن حدث مرة أو مرتين خلاف بين عبد الناصر والمشير ، وأراد المشير أن يستقيل ولكنى تدخلت ومنعته من تقديم استقاله . وحتى آخر يوم لى في الخدمة كنت أعتبر عبد الناصر والمشير تؤمين . أذكر أنه في حفل عقد قران حسين عبد الناصر شقيق الرئيس جمال على ابنة المشير، كنت أقف مع الرئيس ثم جاء حسين وسلم علينا ثم قلت لعبد الناصر : ولو عندى٣٠ في القوات الجوية من الضباط الذين في رتبة حسين وفى كفاءته و أخلاقة لكنت سعيد جدا ، وهذا ليس لأنه شقيق سيادتك ..فقال لى عبد الناصر : فعلا يا صدقى .. حسين هو الهدية الكبيرة آلتي أقدمها لعبد الحكيم. ومن هذه القصة ينتقل صدقى محمود على قصة أخرى لا تقل دلالة وأهمية في مغزاها عن القصة السابقة فيقول : في زيارة لنا لموسكو كنت أنا والمشير والمرحوم الفريق أول سليمان عزت (قائد القوات البحرية) دعانا السفير " مراد غالب " على عشاء خاص جدا في منزله ، وكان حاضرا معنا المرحوم " على شفيق " مدير مكتب المشير أيامها .. ثم تطرق الحديث عن الحب ثم قال المشير : ما هى أسمى درجات الحب ..؟ فقال كل منا إجابته فقال المشير : لا .. إن أسمى درجات الحب الحقيقى هو حب الصديق للصديق ! .. فقلت له : تقصد علاقتك بالرئيس جمال ..؟ فقال المشير عامر : بالضبط .

وفى مذكرات صلاح نصر يقول من خلال ذكريات تعارفه على عبد الناصر وعبد الحكيم

.. في أحد الأيام، وبعد أن انتهى جمال عبد الناصر من إلقاء المحاضرة في مادة الشئون الإدارية للطلبة المتقدمين لكلية أركان حرب، وجدته يسأل عنى ، ثم انفرد بى وقال ممكن نشرب قهوة عندك في البيت ؟ قلت له : بكل سرور.. متى تحب ..؟ قال: الآن إذا لم يكن لديك مانع، واستقل معى عربتى الفيات ،وتوجهنا إلى حدائق القبة حيث انتقلت إلى منزل جديد في شارع دويدار ، أحد الشوارع المتفرعة من شارع مصر والسودان عند اقترابه من سراى القبة .. كان عبد الحكيم قد حدثنى كثيرا عن جمال عبد الناصر ، وكان يبدو من حديثه أنه يكن له حبا كبيرا وتقديرا عظيما ، ولما طلبت منه بعد ضمى إلى التنظيم أن أقابله، أجاب عبد الحكيم بأنه سيرتب ذلك، ولكنه أوصانى أن أسلك سبيل الكتمان في أى حديث يدور حول التنظيم .. وكانت تعليمات التنظيم تنص على ألا يتحدث أى عضو مع أى أحد من الضباط حتى ولو كان صديقا له .. ولذلك حينما قامت الثورة ظهر أن لى أصدقاء قريبين كانوا منضمين للتنظيم مثل عباس رضوان ، وكمال الحناوى .. وكانت مفاجأة لنا جميعا أن نرى أنفسنا في تنظيم الأحرار ، وقد أخفى كل منا السر عن أقرب أصدقائه .. وكان هذا الكتمان عاملا حيويا لعدم تسرب أية أخبار عن التنظيم . . أخذ عبد الناصر يجاذبنى أطراف الحديث وهو يرشف قهوته ، وبدأ الحديث عن كتاب " الشرق الأوسط في مهب الرياح "، وأخذ يشيد به وبالجهد الذى بذل فيه .. ثم ناقشنا بعض الموضوعات آلتي جاءت به مثل المسألة الشرقية ، والفصل الخاص ببترول الشرق الأوسط وغير ذلك من الموضوعات . وبالطبع لم يكن جمال عبد الناصر يهدف إلى مناقشة الكتاب سالف الذكر ، ولكنه كان يريد أن يتعرف علىّ ، فما أن انتهينا من موضوع الكتاب، حتى ذكر لى بصراحة ، أنه سعيد لانضمامى للضباط الأحرار ، وأنه يعرف كل ما دار بينى وبين عبد الحكيم عامر ...

ويذكر صلاح نصر : وللتاريخ فقد كان عبد الناصر هو العقل المدبر للتنظيم، بينما كان عبد الحكيم عامر هو الدينامو أو المحرك لنشاطه ، وبلاشك كان له الفضل في تجنيد أكبر عدد من الضباط الأحرار.

وكتب محمد نجيب يقول : ولم اترك يوما واحدا يمضى دون الاتصال بمن أثق في رجولتهم من الضباط .. أحرضهم على، على الاهتمام بما يدور في العاصمة . وكان الصاغ أ . ح عبد الحكيم عامر قد عين أركان حرب للوائي ، وقد وجدت فيه ضابطا ذكيا دقيقا .. وعندما سمعنى أردد هذه الآراء ذهب إلى صديقه البكباشى أ.ح جمال عبد الناصر وقال له - كما أخبرني فيما بعد - لقد عثرت في اللواء محمد نجيب عل كنز ... وقابلت في هذه الفترة النشطة عددا كبيرا من الضباط .. ولم يكن حديثنا يخرج عن إطار ضرورة تغيير الأوضاع في مصر .. وخلال حلقات الحديث تعرفت بالبكباشى أ.ح جمال عبد الناصر والصاغ أ.ح كمال حسين والبكباشى أنور السادات والصاغ أ.ح صلاح سالم الذين ضمهم مجلس الثورة فيما بعد .. وتعرفت إلى عدد كبير من الضباط كانوا يتحدثون بنفس اللغة . . ورغم أنى محسوب من ناحية السن والرتبة على كبار الضباط ، إلا أنى كنت منجذبا دائما إلى صغار الضباط ، أجد فيهم الوهج الذى كان يخبو في صدور أبناء جيلنا . . وكان عبد الحكيم عامر هو أقرب هؤلاء إلى قلبى وإلى مكان عملى .. إذ كان أركان حرب لى .. بينما كنت أحمل في قلبى بعض الشكوك التي تبين أنها غير صحيحة تجاه المرحوم صلاح سالم لصلته الوثيقة بالفريق محمد حيدر. وحسب ما جاء في مذكرات صلاح نصر، فقد كان اللواء " محمد نجيب " يحب عبد الحكيم حبا كبيرا، وكان يتباهى به في كل مكان ، وكان يقول:لو فتحوا قلبى لوجدوا فيه صورة عبد الحكيم منقوشة عليه. ويضيف محمود الجيار قائلا: كان عبد الناصر قد أقنع زملاءه بضرورة اختيار شخصية عسكرية كبيرة تعلن الثورة باسمها حتى تكون أكثر إقناعا للجماهير .وعندما بدأ اقتراح الأسماء كان محمد نجيب مرشحا من عبد الحكيم عامر، بينما رشح الباقون اللواء فؤاد صادق وكانت مؤهلات فؤاد صادق هى شهرته في حرب فلسطين أيام تولى القيادة بعد اللواء المواوى .. ولكن مؤهلات نجيب كانت أرجح فهو مثل فؤاد صادق أبلى بلاء حسنا في الحرب، ولكن زاد عليه أنه اكتسب شعبية في الجيش عندما تحدى مرشح الملك في انتخابات نادى الضباط عام ١٩٥١ .. قال عبد الحكيم عامر : نحن في أوائل يوليو ١٩٥٢ والوزارة وزارة السيد/ حسين سرى، وموجات السخط تجتاح النفوس ، وتزداد وطأتها كلما قامت وزارة وراحت أخرى بسرعة مجنونة يحرك خيوطها ملك مجنون وعصبة فاجرة ، وجاءنى جمال عبد الناصر وحسبتها زيارة عادية لكن كان لها ما بعدها ، فلا شئ وراء جمال عبد الناصر إلا الحسم . سألنى : هل سمعت بأمر الملك الخاص بإغلاق نادى الضباط ؟! وأجبت : نعم .. وصمت جمال قليلا إلا أنه كان بادى التفكير ، كمن اتخذ بينه وبين نفسه قراراً معيناً. ثم عاد وسألنى : إيه رأيك؟ إن حل المجلس إدارة نادى الضباط معناه أن الضباط سيصابون بهزيمة

معنوية ينتج عنها تفكك رابطتهم وقوتهم .. وأتبع كلامه بقوله : وحسين سرى عامر إذا أصر الملك على تعيينه وزيرا للحربية، فمعنى ذلك أن أى ضابط " فيه رمق حيتبهدل " .. وتكلمت وأنا أعتقد أن كلامى سيطابق القرار الذى أتخذه بينه وبين نفسه .. وقلت : مفيش حل إلا أن الحركة - الثورة - تتعمل . .. فقال : أنا فعلا وصلت إلى هذا القرار .. وتصافحنا . وأصبحنا منذ هذه اللحظة داخل خط النار لا خارجه كما كنا منذ دقائق ، ووجدنا أنفسنا في المعمعة نجد ونكد ونسهر وننام (إن نمنا) بعين واحدة والأخرى تراقب الاحتمالات والمفاجآت التي تحملها لنا الليالى، واتفقنا على اتخاذ إجراءات واسعة للاتصال بالضباط الموجودين خارج القاهرة والموجودين بها وكثير منهم كانوا بالإجازات ، وأخذ البكباشى "جمال " على عاتقه أن يتصل بالضباط الموجودين بالقاهرة أساسا. .. ويروى اللواء عبد الحكيم عامر بقية القصة بلسانه فيقول: لقد دخلنا مقر قيادة الجيش ، وألقينا القبض على الفريق حسين فريد واثنين من اللواءات كانا معه ، وكان هؤلاء الثلاثة فقط هم الذين وجدناهم في القيادة ، واثنين من الضباط الآخرين ، إما أنهم كانوا في طريقهم إلى القيادة ، أو كانوا لا يزالون في بيوتهم ، لأن الفريق حسين فريد كان قد اتصل بهم وطلب منهم الحضور فورا إلى مقر قيادة الجيش ، ولكنا لم نترك لهم الفرصة لذلك ..

ومضى اللواء عبد الحكيم عامر يقول : واقتدت الفريق حسين فريد واللواءين الآخرين إلى سيارة نقلته إلى السجن وبقيت أنا في مقر القيادة .. ولست أنسى نادرة طريفة وقعت أثناء هذه الظروف العصيبة الحرجة ، لقد كان أحد الضباط معى عندما قبضنا على الفريق حسين فريد فسمعته يقول له : إننى أحاول منذ عام مقابلتك ، فلم تأذن لى، وها هى الفرصة أتيحت لى ، وأذنت أنا لنفسى بمقابلتك. وصمت حسين فريد ولم ينبس بكلمة ! .. يعترف عبد الحكيم عامر على صفحات مجلة " آخر ساعة " أنه عند اقتحام مقر قيادة الجيش حدث تبادل إطلاق النيران مع حرس القيادة وقتل جندي واحد ولم يزد عبد الحكيم عامر حرفا واحدا على ذلك ... ولكن بعد ٢٨ سنة كاملة تأتى التفاصيل من مذكرات صلاح نصر رئيس المخابرات العامة السابق وأقرب المقربين للمشير عامر نفسه، فيقول في الجزء الأول "الصعود " ... أمر عبد الحكيم عامر جندي الحراسة أن يفتح البوابة الحديدية للمبنى ولكنه رفض فأخرج عبد الحكيم عامر طبنجته وهدد الجندى بقتله إذا لم يستجب للأمر ، ولكن الجندى أصر على الرفض ، وكاد يصرخ مستنجدا بالقوة المرابطة داخل المبنى وأصبح الموقف حرجا فأطلق عبد الحكيم عامر النار على الجندى فأرداه قتيلا، واقتحمت القوات المبنى ولم تجد أى مقاومة .. وفى خطاب في المجلة للصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد كشف سر تعيين عامر قائد للقوات

المسلحة فيقول : قالوا لماذا رقى عبد الحكيم عامر من رتبة الصاغ إلى رتبة اللواء ..؟ وقالوا إن هذه محسوبية ، لهم الحق في كلام ..إلا أننا نقفل كل الطرق أمامهم ونوحد أركان هذه الثورة وسنقويها ، ونسير قدما إلى نهايتها بإذن الله .. نعم رقى عبد الحكيم من رتبة الصاغ الى رتبة اللواء ، فمن يوم أن قامت الثورة وعبد الحكيم عامر من بين حفنة الرجال الذين قادوا هذا البلد من الظلام إلى النور، وقبضوا فى قوة على الدولة ، وتركزت في أيديهم ، الوا على أنفسهم أن يصلوا بالبلاد إلى أهدافها .. ومضى صلاح سالم يقول في نفس خطابه أمام الجماهير . . فليس الموضوع موضوع رتبة أو ترقية من صاغ إلى لواء فهؤلاء لا تشرفهم الرتبة وكم من لواءات كثيرين خربت ذممهم وانحدروا إلى الحضيض ووصلوا إلى الدرك الأسفل ، فهذه الرتبة لا تشرف من يحملها، ولكن الموضوع أبعد من هذه بكثير هو أن تستمر الثورة قوية .. وأخذ صلاح سالم يشرح للجماهير حكاية ترقية عبد الحكيم عامر كاملة فقال لهم: لقد كان محمد نجيب منذ اليوم الأول قائداً عاما، وكل منكم يشعر أنه يقود هذه الأمة، ويشرف على مجلس الوزراء ومجلس الثورة ويزوركم في كل منطقة فلم يكن محمد نجيب يستطيع أن يتفرغ لقيادة الجيش وهو القوة آلتي تسند هذا العهد، ، وقد فطنا إلى هذا الوضع من اليوم الأول، واتفقنا أن يشرف أحدنا فعلا على قيادة هذا الجيش، فكان عامر يذهب إلى مكتب القائد من اليوم الأول يصدر الأوامر للوحدات ، ويشرف على نهضة الجيش وتدريبه وتسليحه ، لأن الجيش لا يمكن أن يسير بدون قيادة يوما واحدا ، ولا يمكن لمحمد نجيب الذى يعمل ١٧ ساعة يوميا أن ينتقل من مكان الى مكان يؤدى واجبه الشعبى والرسمى ، ثم يقود الجيش أيضا ويسخر كل وقته لهذا الجيش ، وكلنا نشعر أنه يجب أن ينهض، لأن الأمة لاتساوى شيئا بدونه .. يجب أن يكون هناك قائد ، وكلنا نعرف أن محمد نجيب لم يستطع أن يترك البلاد ويدير الجيش فكان عبد الحكيم من أول يوم يدير دفة هذا الجيش !!.. ثم يتساءل صلاح سالم أمام الجماهير قائلا : ومن هو عبد الحكيم عامر ..؟! ويقول صلاح سالم في إجابته على هذا السؤال : إنه الشاب الذى لا يطمع في مائة جنيه مرتب اللواء ، وتحت يده الآلاف بل الملايين، لو أنه حرب الذمة لاستطاع أن يستولى عليها ويأخذها، كما كان يفعل اللواءات اللذين تعرفون عنهم الكثير .. لقد كان عامر يصدر الأوامر للجيش، ويشترك في نهضته فقررنا وضع كل شخص مكانه حتى نظهر أمام الشعب بالوضع النهائى والطبيعى، فقلنا إن محمد نجيب رئيس هذه الدولة فهو رئيس الجمهورية ، كما أننا مفروض فينا أن نتحمل التبعات . وإذا كان عبد الحكيم عامر يقود الجيش فعلا طوال هذه الفترة ، فلا يكون الوضع طبيعيا إذا ما أعلن برتبة الصاغ قائدا للجيش، ويشرف على رتب قائمقام وأميرلاى ولواء ولو أنه كان يتولى ذلك

طوال السنة ، إذن يجب أن يأخذ عبد الحكيم الوضع الطبيعي والشكل الرسمي ويحمل هذه الرتبة آلتي لا تشرفه وإنما يشرفه العمل على رفعة شأن الجيش إلى الوضع الذى ستفخرون به ... عبد الحكيم عامر هو الذى كافح ١٥ سنة كضابط في الجيش والذى يقدم رأسه أكثر من مرة، ووهب جسمه وروحه من أجلكم ومن أجل البلاد، واستمر عشر سنوات يترك منزله وأولاده ويجتمع ليلا نهارا في الجمعيات السرية . وكان يعرض نفسه للموت والهلاك في عهود الظلام ليضع الخطط ويجمع الأفراد ليشترك في رفع الكابوس عن صدور ٢٢ مليونا، وكان يمكن أن يقتل أو يسجن أو يشنق دون محاكمة كما تعلمون ! .. هذا هو عبد الحكيم عامر الذى حارب في فلسطين، وكلكم سمعتم عنه أنه تقدم الصفوف، وكان يحارب كجندى ، ونجح وكان ثانى نجاح نالته القوات المصرية على يد عبد الحكيم في فلسطين وهو جرح في يده ونسى أنه مجروح واستمر الى نهاية المعركة ، وهو الذى أخلى من المعركة إذ كانت الأوامر تقضى بألا يرجع الى الميدان فرجع اليه خلسة معرضا نفسه للموت ومقدما عنقه .واختتم صلاح سالم وزير الإرشاد خطابه بقولة: هذه قصة عبد الحكيم عامر وقصة الجمهورية وقصة دخول العسكريين الى الوزارة. .... وفى نفس الموضوع يقول حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة: من الضرورى أن يكون هذا القائد واحدا من أعضاء مجلس قيادة الثورة، ولابد أن يكون وثيق الصلة برئيس المجلس . - قائد الثورة - ألا يشتم منه استغلال منصبه أو احتواء الجيش لحسابه الشخصى الخاص ، مما يشكل خطورة على الثورة وقائدها .. لهذا - يضيف حسن ابراهيم - - فإن جمال عبد الناصر اختار عبد الحكيم عامر باعتباره صديقه الوفى المخلص . وفى الوقت نفسه فإن عبد الحكيم عامر كان ضابطا جيدا، ونال ترقية استثنائية في حرب فلسطين .. وفيما بعد أيضا فقد تناول السيد أمين هويدى، الذى تولى وزارة الحربية بعد أيام من النكسة مسألة تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاما فذكر في كتابه ((مع عبد الناصر)) ما يلى : حينما تولى المشير عامر قيادة القوات المسلحة عقب قيام الثورة كان هذا الإجراء يتفق وطبيعة الأشياء ، فالثورة - أية ثورة - لها الحق في تأمين نفسها خاصة في القوات المسلحة ، التي يمكن أن تتجه إليها جهود الثورة المضادة إن هى فكرت في استعادة السلطة .. والمشير عامر كان أهلا للقيام بهذا الواجب ، فشخصيته تتميز بالتسامح والرقة والإنسانية إلا أن علاقاته الخاصة كانت ترجح انضباطه الذى من المحتم أن يكون صفة مميزة لمن يتولى قيادة رفيعة كتلك آلتي كان يتولاها .. ثم فوق كل ذلك - يضيف أمين هويدى - كان عامر هو الشخص الأقرب إلى قلب عبد الناصر قائد الثورة وزعيمها ولقد قام المشير عامر بتحقيق هذا الواجب في يسر وكفاءة حببت فيه القوات المسلحة، وفى الوقت نفسه زادته قربا من الرئيس

مما أثار حفيظة بعض الزملاء، وغيرة بعض الأصدقاء فتسبب عن ذلك صراعات وخلافات كانت دائما لصالح المشير عامر .. ثم يتساءل أمين هويدى قائلا: ولكن لماذا عبد الحكيم عامر بالذات ؟ وكانت إجابته كما يلى : كان عامر من ضباط الجيش المعروفين تتلمذ على يديه كثير من الضباط خصوصا هؤلاء الذين يحاولون الالتحاق بكلية أركان الحرب عن طريق اجتياز اختبارات صعبة تحتاج إلى مساعدة وكان عامر على اتصال بالكثيرين الذين كانوا يلجأون إليه لتحقيق ذلك .. ثم كان الرجل ولا شك خدوما له علاقاته الإنسانية ، متواضعا محبوبا ليس فيه تزمت الضباط من ذوى الرتب الضعيفة، ثم كان عامر عضوا في مجلس قيادة الثورة ، ثم - هذا هو الأهم -كان الرجل صديقا لـ عبد الناصر وقريبا إلى قلبه وموضع ثقته . ثم كان في الوقت نفسه على علاقة بالرئيس محمد نجيب الذى تصدر الثورة وقت قيامها ولحين حدوث الانشقاق في صفوفها في حركة مارس ١٩٥٤ ... كانت فيه كل المزايا التي ترشحه للقيام بالواجب المنوط به لتأمين الثورة. ويضيف أمين هويدى في حديثه، واقعة بالغة الأهمية تتعلق بواجب تأمين الثورة وحمايتها كما يفهمه جمال عبد الناصر وقتها فيقول: كان يتولى رئاسة أركان الحرب أحد الضباط وهو الفريق محمد إبراهيم وكان الرجل السريع الغضب، كثير الانفعال ينفر منه الضباط الصغار بتهجماته التي لا تنقطع وقد أزعجت كراهية الضباط لرئيس أركان الحرب أحد الضباط المقربين من عبد الناصر فذهب إليه منزعجا، وأخبر عبد الناصر بما يقلقه .. ولدهشة الزميل نظر إليه عبد الناصر وهو يبتسم ابتسامته الواثقة وقال له في اختصار : طيب واحنا عاوزينهم يحبوه ليه ؟، ويعلق أمين الهويدى على كلمات عبد الناصر السابقة بقوله : والمعنى واضح تماما لما ذهب إليه عبد الناصر. .... السيد عباس رضوان نائب رئيس المخابرات ووزير الداخلية وواحد من الضباط الأحرار يقول في شهادته على تعيين عبد الحكيم عامر قائداً عاما للجيش : إن اختيار عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة كان اختياراً صحيحا ١٠٠ ٪، فعبد الحكيم ضابط عظيم الكفاءة ومؤهل، ومر بجميع مراحل تكوين الضباط ليكون القائد الصحيح، وتخرج في كلية أركان حرب ، وكان من أوائل دفعته في الكلية .. وكان أحد الضباط الخمسة الذين تمت ترقيتهم استثنائيا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أثناء العهد الملكى: وكذلك فإن عبد الحكيم عامر كان له مجهود في تكوين الضباط الأحرار وتنظيمهم وتشكيلهم يفوق مجهود جمال عبد الناصر بحكم موقعه في سلاحه وخدمته في فلسطين والحقيقة المؤكدة أن أكبر حصيلة من الضباط الأحرار دخلت التنظيم كانت عن طريق عامر ... في نهاية شهر مارس ١٩٥٣ كان السيد محمد حافظ إسماعيل يغادر واشنطن في طريقه إلى القاهرة ليشغل منصبه كمدير لمكتب اللواء محمد

نجيب وحتى ذلك الوقت لم يكن حافظ إسماعيل قد التقى باللواء نجيب وعن هذه الفترة يقول محمد حافظ اسماعيل لقد جذبني إليه بعد أن بدأت العمل معه أسلوبه الصريح والودود ولكن سرعان ما تبين لي أنه لا يملك السلطة الكافية لإحداث التغييرات الملحة أو الجذرية داخل القوات المسلحة . وفضلا عن ذلك ، كانت مهمة الجيش – باعتباره الحارس على الثورة- تفوق في أهميتها في هذه المرحلة أية اعتبارات أخرى، مما يفرض تأجيل ما يتصل بتطوير هذه القوات حتى يتحقق الاستقرار على الجبهة الداخلية والاتفاق على الجلاء . . ولقد جاءت الخطوة الأولى في سبيل الاستقرار مع إعلان الجمهورية في ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيين عبد الحكيم قائدا عاما للقوات المسلحة مدعما بسلطة عبد الناصر. ويضيف حافظ اسماعيل: وخلال سبعة أعوام ونصف، عملت مع عبد الحكيم عامر مديرا لمكتبه ومع أن عامر لم يكن عبقريا إلا أن ذكاءه وحسمه كانا محل إعجابي به . كما كان عامر إنسانا قبل كل شئ ، عاطفيا إلى حد بعيد كان دائما على سجيته لا يشعر الإنسان معه بفارق سن أو بفارق رتبة لايصعب اللقاء به أو الحديث معه .. وكان أكثر ما يذكرني بقامته الفارهة ووجنتيه البارزتين والأنف الطويل والشفاة الغليظة بصورة الفراعنة على جدران المعابد في الأقصر . .. ولقد أبقى عامر على تنظيم مكتبه تحت إشرافي بينما مكتبا آخر للشئون العامة يعالج من خلاله ما يتصل بمسائل الأمن والضباط وكانت مسئوليتي ومساعدتي مراجعة ما تتقدم به هيئة أركان الحرب الثلاث – فيما يتصل بالعمليات والتنظيم والإمداد والتدريب – والتنسيق فيما بينها. ورغم دقة عملنا هذا، فقد كسبنا ثقة وحترام عامر ورؤساء أركان الحرب ، وعلى امتداد عملنا معا لم نختلف في أمر من أمورنا وكان ذلك دافعا له لكي يستبقيني الى جواره ، ولم أكن لأتردد في قبول ذلك برضاء تام. أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار ورئيس تحرير مجلة التحرير يقول عن تعيين عامر قائدا للجيش : كان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس و خارجه بتركيز شديد يعطي ليله ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه ... كانت براعته في اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول بهم على الأغلبية التي يريدها ، امرا لايتوافر لأحد من زملائه ، الذين كثيرا ما كانت تفرقهم بعض المشاكل والاهتمامات الخاصة ، والذين لم يحدد أحد منهم طريقه أو رأيه الخاص، وإنما كان يندفع مع المجموعة في حماس شديد تاركا التفكير لغيره. كان جمال أرصن زملائه شخصية وأقلهم كلاما وأحسنهم استماعا وأقدرهم على حل المشاكل بمهارة تكتيكية ملحوظة . وكما كان هو مركز حركة الضباط الأحرار وأكثرهم اتصالا بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليو فإنه ظل أكثرهم اتصالا

بمختلف الضباط أيضا بعد الحركة مدركا أن قوته تأتي من صلته الوثيقة بزملائه في مختلف الأسلحة .. .. ويرون أحمد حمروش قوله بأن استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئا شديدا عليه، في وقت تضخمت فيه المسئوليات وتعددت الواجبات ، وتجاوزت مرحلة تكوين تنظيم الى مرحلة المسئوليات الكاملة عن مصر .

ويقول محمود الجيار عن صداقة عامر وناصر : عامر كان يفهم الصداقة على طريقة الصعايدة وبمنطق الحديث الشريف (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) وكان عبد الحكيم عامر رجلا شهما إلى أقصى الحدود ، لايملك الذى يعرفه إلا أن يحبه، وقد كانت شهامته نقطة الضعف التي أتاحت لبعض العاملين معه - فيما بعد - أن يشكلوا مركز قوة، وكان عامر محبوبا في الجيش ، وصاحب صلات لاحد لاتساعها برغم صغر سنه كان مسئولا عن شئون الضباط في سلاح المشاة ، ومن هذا الموقع كسب حب الكثيرين لرجولته وحسن تصرفه. .. .. ويحسم يؤكد لطفى واكد: بعد نجاح الثورة، كان واضحا أن يثبت زعامة عبد الناصر وإحاطته بالأمان كانا هدفين واضحين في تفكير عامر وفى مواقفه حتى أنه فاجأ عبد الناصر بغير علمه بنقل عائلته ومنقولات منزله من الشقة التي كان يقيم فيها بكوبرى القبة الى فيللا صغيرة بمنشية البكرى بين المعسكرات تتكون من ثلاث غرف عاش فيها عبد الناصر على حالها أربع سنوات الى أن فرضت الظروف توسيعها ! .. .. وموقف آخر بين عبد الناصر وعامر يرويه لطفى واكد قائلا : وقبل تبادل العنف مع الإخوان المسلمين كان يحلو لعبد الناصر الذهاب الى السينما بدون حراسة وكنت ألحظ في كل مرة أن عامر ، يضع نفسه في موضع الدرع الذى يقى عبد الناصر من أى سوء .. .. وكانت الصحافة الأجنبية هى أول من أطلقت على عامر لقب الرجل الأول مكرر في مصر على اعتبار أن جمال عبد الناصر هو الرجل الأول ! .. ولم يكن عبد الحكيم عامر غائبا أو محتجبا عن قرارات وأفكار جمال عبد الناصر !!! .. في أكتوبر ١٩٥٧ كان المهندس سيد مرعى يشغل منصب وزير دولة للإصلاح الزراعى ، وفى أحد اجتماعات مجلس الأمة ، فوجئ سيد مرعى بالسيد على صبرى وزير الدولة لشئون رياسة الجمهورية يناوله ورقة صغيرة موجهة له تقول سطورها : إن الرئيس جمال عبد الناصر يريد أن تتولى وزارة الزراعة إلى جانب عملك كوزير دولة للإصلاح الزراعي. وبعد الاجتماع جلس السيد مرعى مع على صبرى وأوضح له دوافع اعتذاره عن قبول المنصب ، وفى نفس الوقت يبلغ الرئيس جمال اعتزازه بهذه الثقة من جانبه، وباقى ما جرى يرويه المهندس مرعى في مذكراته كالتالى : في اليوم التالى دعانى الرئيس عبد الناصر للغداء معه، وكان على صبرى قد أبلغه برفضى لوزارة الزراعة، وذهبت الى بيته في منشية البكرى ووجدت هناك المشير عامر

، ودارت أحاديث عادية على الغداء ولم يفتح الرئيس الموضوع ولم يشر اليه ، وبعد أن انتهينا من تناول الغداء جلسنا في الصالون نحن الثلاثة وحدنا والتفت الى المشير عامر وقال لى فجأة : هل يجرؤ إنسان في مصر على أن يعترض على قرار يصدره عبد الناصر، وبعد مناقشة قصيرة قبلت. آلاف الروايات والقصص والأقوال حول هذه الصداقة الفريدة من نوعها ورغم أنها هددت بعواصف شديدة ، كان من الممكن أن تقتلعها من جذورها إلا أنها وقفت صامدة .. قوية .. تتحدى المستحيل .. وهذا المستحيل كان أمرا لا يتوقعه أحد .. كان أمرا بعيدا عن التصور مهما أشتط الإنسان في خياله .. كانا توءمين .. لايستطيع أحدهما أن ينام قبل أن يخاطب الآخر، وكانت سفريات عامر كثيرة بحكم اعتماد عبد الناصر عليه في المهام الصعبة .. .. وفور عودة عبد الحكيم كان يتجه فوراً لمقابلة عبد الناصر، ويجلس معه بالساعات ويحيطه علما بكل وثائق ما جرى وما حدث خلال سفرة .. ثم انطفأت هذه الشعلة المتوهجه من الصداقة والوفاء ..

كيف حدث ذلك ..؟

كيف أصبح المستحيل واقعاً ..؟

كيف تنتهى هذه الصداقة الفريدة من نوعها تلك النهاية الدرامية المأساوية ..؟

هذا ما سوف نعرفه خلال باقى فصول الكتاب ..

الرجل الأول عبد الناصر والأول مكرر عبد الحكيم عامر

لا غرو أن أطلقت الصحافة السوفيتية على عبد الحكيم عامر لقب الرجل الأول مكرر في مصر، وسوف يتضح للقارئ فيما يلى من صفحات بيان للمسئوليات التي كان ناصر يلقيها على عامر .. الذى يقوم بها على خير وجه وبالطريقة وبالأسلوب الذى يتوافق مع عبد الناصر .. وليس معقولا ولا منطقيا أن يكلف ناصر رجلا بهذه المهام الثقيلة إلا اذا كان يثق ثقة بالغة في قدراته السياسية والعسكرية .. وإلا فإن ناصر يكون قد أساء الاختيار وهذا أمر مستبعد تماما .. فالثقة في عقل عبد الناصر وذكائه وقدرته على اختيار معاونيه أمر لاشك فيه (*).

(*) ٢٣ الانباء ١٩/٥/١٩٨٦

أزمة مارس .. بذور الانقسام داخل الضباط الأحرار

الواقع أن الانقسام والصراع داخل مجلس قيادة الثورة كانت له جذور ممتدة منذ الأسابيع الأولى لقيام الثورة .. فهناك أسباب متعددة متشابكة أدت إلى هذا الصراع ، و إن ظلت مختفية تحت حماس النصر الذى أحرزته الثورة ..

ولكن لم يمر وقت طويل حتى بدأت بوادر الصراع تطفو على السطح ، و أخذت تستفحل و تشتد حتى وصلت إلى ذروتها فى مارس عام ١٩٥٤ .لقد بدأت الثورة مواجهتها للأمور صباح ٢٣ من يوليو، ولم يلبث أن تشكل مجلس قيادة يحمل بين طياته بذور الانقسام، ففضلاً عن طبيعة تشكيله الذى جمع مجموعة من الناس متباينة الفكر و الثقافة و المزاج ، كان هناك بعض الضباط الأحرار الذين رأوا أنفسهم أحق من بعض الأفراد الذين عينوا فى مجلس القيادة ، كذلك كان هناك بعض الضباط الذين انضموا إلى الثورة ليلة قيامها ظنوا أنهم سيكونون زعماء لهذه الثورة بحكم أقدميتهم العسكرية .وكان أغلب الضباط الأحرار يعملون حينئذ فى التشكيلات لحماية الثورة ،فلم يكن المجلس يستطيع أن يستغنى عنهم فى بدء الثورة ، و كانوا يعتبرون أنفسهم صانعى الثورة ، و أن الثورة قامت على أكتافهم و لهذا كانوا يرون أن لهم الحق فى معرفة ما يدور، و محاسبة المخطئ.. فهم بحكم دورهم مسؤولون عن الثورة. ومن ناحية أخرى كان البعض منهم يحس بنوع من الحسد نحو بعض الضباط الذين عينوا فى مناصب ولم يكن لهم دور فى الثورة.. و لذا كان جمال عبد الناصر يراعى مشاعرهم، ويعمل حسابا لهم ، ومن ثم ابتدع فكرة المؤتمر الأسبوعى الذى كان يجمع فيه ممثلى الأسلحة من الضباط الأحرار، أو ما أطلق عليه(الخط الثانى) فى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان يناقش معهم السياسة العامة للثورة ، و المشكلات التى تواجهها، كما كان لكل عضو فى المؤتمر الحق فى عرض أى اقتراح أو مناقشة أية مسألة سياسية أو عسكرية . وقد

استمرت هذه المؤتمرات إلى ما بعد أزمة مارس ، ثم أخذت تضعف حتى ألغيت تماماً .. و من المسلم به أن هذا المؤتمر الأسبوعى انبثق من ذهن عبد الناصر بعد قيام الثورة مباشرة، فقد احتفظ عبد الناصر لنفسه صباح الثورة بمنصب مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة و لم يكن يظهر مع نجيب إلا قليلاً ، حتى لو رافقه فى زيارة أو تحرك كان يحاول أن يصدره و يظل هو فى الخلف .. و كان عبد الناصر يقابل الضباط الأحرار فى مكتبه و يتشاور معهم فى شئون الثورة ، فلما عين عبد الناصر وزيراً للداخلية ترك هذه المهمة للصاغ عبد الحكيم عامر ، إلى أن عين الأخير قائداً عاماً للقوات المسلحة فى الثامن عشر من يونيو١٩٥٣ .وحينما تولى عبد الحكيم عامر قيادة عام القوات المسلحة فى يونيو سنة١٩٥٣ ، تم تنظيم مكتب القائد العام على أساس مكتبين : مكتب للشئون العسكرية و يرأسه البكباشى حافظ إسماعيل ، و مكتب للشئون السياسية و الإدارية و يرأسه صلاح نصر، كانت الأقدمية العسكرية هى معيار التسلسل القيادى ، و لكن جاءت الثورة فأبرزت ضباطاً برتب أصغر تعلو كلمتهم على الرتب الأعلى . حينما كان عبد الناصر يجتمع بضباط الخط الثانى من الثورة فى مبنى القيادة العامة فى أوائل الثورة، أصدر توجيهات بأن يحضر هذا الاجتماع البكباشى محمد حافظ إسماعيل رئيس المكتب العسكرى - ولم يكن من تنظيم الضباط الأحرار - حتى يكون فى الصورة السياسية التى تتم مناقشتها فى هذا الاجتماع. وما أن انتهى عبد الناصر من حديثه و انتظر أن يسأله أحد عن أى شئ غامض، حتى وجد محمد حافظ إسماعيل يقول له فى صيغة متعالية، لأنه كان أقدم من عبد الناصر فى ترتيب الضباط : أنا رأيى يا عبد الناصر أن ..". وهنا أنهى عبدالناصر المؤتمر .. وكانت هذه آخر جلسة يحضرها حافظ إسماعيل الو أخذت الأمور تجرى إلى أن أدرك حافظ إسماعيل الفرق بين الأقدمية العسكرية والسلطة السياسية.. فعبد الناصر أصبح رئيساً للجمهورية بينما حافظ إسماعيل لا يزال عقيداً مديراً لمكتب القائد العام للقوات المسلحة المشير عبدالحكيم عامر، الذى قفز فى الترقية من رتبه الصاغ إلى رتبه اللواء ثم إلى رتبه المشير . وبدأت شوكة الضباط الأحرار تقوى داخل الجيش و أحس عبدالناصر بخطورتها ، فقرر مجلس الثورة - ولم يمر عام عليها - إبعاد جميع الضباط الأحرار عن القوات المسلحة ، وكلف المجلس الصاغ صلاح سالم عضو مجلس الثورة كى يبلغ هذا القرار للضباط الأحرار. وأحس الضباط الأحرار أن مجلس الثورة يريد التخلص منهم لينفرد بالحكم، فكانت تجرى مؤتمرات سياسية داخل الوحدات ، فصدرت أوامر بوقفها ، ومع أن بعض الضباط الأحرار استجاب لرغبة المجلس ، و أغرته بعض المناصب المدنية ، فإن أغلبهم رفض ترك الجيش. كان تنظيم الأحرار يتشكل من مجموعات من الخلايا تضم ضباطا من

مختلف الفكر والثقافة و السلوك و المزاج ، فمنهم من كان منتميا إلى تيار سياسى من تلك التيارات السياسية التى كانت سائدة قبل الثورة ، و منهم من كان بعيدا عن الحقل السياسى ، ومنهم من بلغ مستوى عاليا من الثقافة العسكرية أو الأدبية أو السياسية ، ومنهم من لم يكترث بهذه الناحية . . هذا فضلا عن اختلافهم فى الطبيعة و الشخصية ، وقد لعبت كل هذه العوامل دورا فى الصراعات منذ قيام الثورة ، و كان أول صراع لاح فى الأفق هو ما بدا فى محيط الضباط الأحرار، فقد كان واضحا أمام الضباط أن هناك خلافات بين محمد نجيب من جانب وبين معظم أعضاء مجلس القيادة من جانب آخر . كان الأخوان جمال وصلاح سالم يتزعمان الهجوم على محمد نجيب ، وكان عبد الناصر يرى فى نجيب منافسا قويا لزعامته ، وقد أحس أن نجيب بدأ يكتسب شعبية كبيرة فى الجيش و فى الأوساط الشعبية بعد رحلاته التى قام بها .. فبدأ فى محاولة تقليص سلطات محمد نجيب وكان بداية النزاع بين نجيب ومجلس الثورة، ومن المؤكد أن ثورة ٢٣ يوليو قامت على أساس تشكيل الخلايا داخل القوات المسلحة بأفرعها الثلاثة .. فلما قامت الثورة وعرف معظم أفرادها أصبحت مجموعة الضباط الأحرار الذين برزوا أصبحوا يشكلون قوة سياسية داخل الجيش ، و لذلك اعتمد عبد الناصر على هذه المجموعة فى تأمين القوات المسلحة، وفى زيارات اللواء نجيب لوحدات القوات المسلحة فى بادئ الثورة ، كان عبدالناصر يترك الصدارة لنجيب بينما ينتحى هو جانبا فى المؤخرة أو بجواره، ليسأل الضباط عن أحوالهم، و لكن الضباط الأحرار كانوا يعرفون أن عبدالناصر هو الرئيس الفعلى للثورة . وبدأت شعبية نجيب تجتاح الشعب و جزءاً كبيراً من القوات المسلحة، و خشى عبدالناصر أن ينتزع نجيب الزعامة منه .. ومن ثم عين مجلس الثورة اليوزباشى إسماعيل فريد من الضباط الأحرار ياوراً لمحمد نجيب ليكون عينا لمجلس الثورة على نشاطه و تحركاته السياسية . كانت الثورة فى بدايتها- شأنها شأن أية ثورة أخرى- يتميز رجالها بإنكار الذات و الاندفاع أساساً نحو مصلحة الوطن، و لكن الانقسام بدأ بعد أن عين بعض أعضاء مجلس الثورة وزراء . فى داخل الثورة من ينتمى للثورة واشترك فى إعدادها و تنفيذها، و لكن بعد قيامها ضمت الثورة بعض الضباط الموثوق بهم . و لذلك بدأ الصراع على السلطة واضحا. ولم تمر ستة أشهر، حتى بدأ الانقسام مبكرا بين محمد نجيب وبين أغلب أعضاء مجلس الثورة . ومع أن عبدالناصر كان يحرك الأشياء من خلف الستار، فإنه سرعان ما استفحل الصراع ، وظهر على السطح . كانت الثورة تواجه أعداء فى الداخل والخارج على حد سواء . ففى الداخل كانت هناك الأحزاب التى قضت عليها الثورة، وكان هناك أيضاً الإخوان المسلمون الذين أرادوا احتواء الثورة ، و أيضاً الشيوعيون الذين كانوا يراقبون الأحداث

حتى تسنح لهم الفرصة للسيطرة على السلطة . لقد بدأ الصراع على السلطة داخل المجلس أولاً، ثم تجاوز مجلس الثورة إلى قاعدة الضباط الأحرار، كان أساس الصراع التسابق على السلطة ، فبينما كان عبد الناصر يحرك الأمور من وراء الكواليس ، كان نجيب يجول فى أنحاء البلاد ، و يستقبله الناس استقبال الأبطال .. و كان نجيب حريصا على أن تظهر الصحف و الإذاعة نشاطه و خطبه التى يلقيها خلال زيارته للبلاد .. وأحس عبد الناصر بخطورة نجيب .. وكان يشاركه فى ذلك أغلب أعضاء الثورة و كان أغلب الشعب يظن أن نجيب هو قائد الثورة الفعلى و مع أن الصراع بدأ بخلافات بسيطة إذ نشب خلاف حول تغطيه الصحف و أجهزة الإعلام لنشاط نجيب بصورة تظهره أنه قائد الثورة و كانت هذه بمثابة البذرة التى نبتت وترعرعت حاملة بين ثناياها جذور أزمة مارس، و جذور انقلابات المدفعية و المدرعات .لم يمر سوى خمسة أشهر على قيام ثورة٢٣ يوليو حتى بدا نجيب كأنه بطل الثورة فى أعين أغلب الشعب المصرى ، وخشى عبد الناصر أن تستغل الأحزاب وجماعة الإخوان المسلمين و الشيوعيون هذه الخلافات فى تهديد أمن الثورة ، فحاول عبدالناصر ألا يفجر الصراع بصورة عنيفة. ومع تطور الخلاف مع نجيب، ازداد الخلاف بين محمد نجيب وأغلب أعضاء مجلس الثورة.. فكان المجلس فى بادئ الثورة يجتمع فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة مرة كل أسبوع .. كان يوم الأحد مخصصاً لاجتماع مجلس الثورة .. و كانت القرارات تتخذ فى بادئ الأمر بأغلبية الأصوات . و كانت تبدو فى مناقشات المجلس اختلافات فى الرأى ، كانت تزعج عبدالناصر ، وبخاصة أن الصراع بينه و بين نجيب أصبح أمراً واقعاً ، وقد نما التوتر بين نجيب من ناحية وعبد الناصر من ناحية أخرى . وكان أساس هذا التوتر هو إحساس عبد الناصر بأن نجيب يريد أن يستأثر بالسلطة وحده ويسلبه زعامة الثورة .ففى اجتماع تم فى العشرين من ديسمبر سنة ١٩٥٣ ، عقده مجلس الثورة وحضره نجيب، أثيرت أخطاء نجيب التى كان يذيعها مجلس الثورة على الضباط الأحرار، وباقى ضباط الجيش لجذبهم إلى جانب مجلس الثورة. لقد أذيع أن نجيب انفصالى لا يعمل إلا لمصلحته الخاصة، وأنه يتصل بالرجعية التى تريد الانقضاض على الثورة ، كما أنه يساند جماعة الإخوان المسلمين التى تريد أن تحتوى الثورة، فضلاً عن ضمه لبطانته أشخاصاً يسيئون إلى الثورة. وفى اجتماع العشرين من ديسمبر جلس نجيب ليحاسب حساباً عسيراً ، ووجه إليه جمال سالم نقدا مريرا لتصرفاته، كما تحدث عبدالناصر عن دور نجيب فى الثورة و كيف تم ضمه للتنظيم قبل قيام الثورة ، و مع ذلك لم يراع أنه دخيل على الثورة ، و أنه أراد أن يستأثر بالسلطة .وفى النهاية طالبه عبد الناصر بالتخلص من مساعديه و المتعاونين معه و حدد له

أسماء معينة : د. صلاح فوزى الطبيب بالخدمات الطبية للقوات المسلحة، و اليوزباشى محمد رياض سكرتيره الخاص، و اليوزباشى رياض سامى سكرتير نجيب للشئون الصحفية . و لكن نجيب أصر على رفض هذا الاقتراح و دافع عن هؤلاء بشدة قائلا إنه لايستطيع أن يبعد أفراداً لم يرتكبوا أى أخطاء. ولم يصل المجلس إلى حل، واستمر الاجتماع حتى الصباح الباكر والنقاش و الجدال مستمران ، وهنا نفذ صبر عبدالناصر و قال لنجيب مهدداً : أنت عارف إزاى جبناك وفتحنا معك موضوع الخلاف سعياً لتسويته و لكنك تصر على أن تمضى فى طريقك الانعزالى ، ولا تريد أن تتعاون معنا لتحقيق أهداف الثورة . . هذا لايمكن أن نسكت عليه . وقد أحس نجيب أن ناصر يريد أن يجعل منه طرطوراً فلم يستسلم وانتهى الاجتماع فى الفجر دون الوصول إلى أى حل . وقد أسر الرجل بعد ذلك لعبد الحكيم عامر الذى كان يكن له الأول حبا كبيرا، كان يتباهى به فى كل مكان و يقول: لو فتحوا قلبى لوجدوا فيه صورة عبدالحكيم منقوشة عليه. ويبدو أن هذا الحب كان يرجع إلى عهد حرب فلسطين حيث عمل الاثنان معاً. اشتكى الرجل إلى عبدالحكيم قائلاً: أتريدون أن تجعلوا منى طرطوراً؟ أنا لست إنفصاليا؛ و أنا على استعداد أن أتعاون مع المجلس كما يريد ، و لكن لا تجعلوا منى دمية يضحك الناس عليها. فهم عبد الحكيم عامر أن الرجل استسلم لرغبات المجلس .. و لكن نجيب كان يحمل فى سريرته إصراره على الاحتفاظ بشخصيته ، والاستمرار رئيسا لمجلس قيادة الثورة .. ولكن كيف تطورت الأمور إلى أن انتهت إلى استقالة نجيب و قبول استقالته، لقد هدأت الأمور إلى حين بعد أن بدا من نجيب أنه استسلم بعد مقابلة عبدالحكيم عامر له فى شهر يناير سنة ١٩٥٤ و أقنعه بقبول رأى المجلس.كان جمال عبدالناصر قد قرر أن يحضر الذكرى السنوية لوفاة الشيخ حسن البنا المرشد السابق لجماعة الإخوان المسلمين،الذى حدد له يوم الجمعة١٢ فبراير سنة١٩٥٤ . وعلم نجيب بهذا الأمر فقرر أن يحضر الحفل أيضاً. ومعنى ذلك أن حضورهما معا سوف يظهر نجيب بأنه الرجل القوى الذى لا يزال يحرك الأشياء ، ولو امتنع جمال عبدالناصر عن الحضور تجنبا لمقابلة نجيب فى مناسبة مثل هذه ، فقد يفسر على أن عبدالناصر كان صاحب القرار بحل جمعية الإخوان المسلمين الذى صدر فى الثانى عشر من يناير سنة ١٩٥٤ ، وأن محمد نجيب كان مغلوباً على أمره، وأنه مساند لحركتهم. كان مجلس الثورة قد أصدر بالإجماع قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين بعد أن تبين له أن الجمعية متجهه الى استخدام أعمال العنف.ذلك أن طلبه الإخوان، المسلمين فى الجامعة تحرشوا ببعض الطلبة المنتمين لهيئة التحرير أول منظمة سياسية أنشأتها الثورة، و نشب صدام دام كاد يؤدى إلى أحداث مريرة.و قد شمل قرار الحل اعتقال حسن الهضيبى

مرشد الإخوان كذا أعضاء القسم الخاص، و عدد من أعضاء الجمعية وصل إلى ما يقرب من خمسمائة عضو. و شمل القرار أيضا فصل بعض الطلبة و الموظفين المنتمين للإخوان المسلمين، وإحالة ضباط الشرطة الإخوان إلى التقاعد و كان عددهم لا يتجاوز العشرين ضابطا. و أعلن عبدالناصر أنه لا يستطيع أن يتعاون مع نجيب ، و هدد المجلس بأنه سوف يعود إلى الثكنات ، تاركا السياسة لمحمد نجيب حتى ينكشف أمره للشعب ، ومن ثم يطالب الشعب مجلس الثورة بالعودة مرة أخرى. و كما قلت فى مكان آخر إن هذه فكرة ساذجة، أو مناورة سياسية بعيدة عن الذكاء لا يمكن أن يعنيها عبدالناصر المحنك المدرب. و قد أيد عبدالناصر فى اقتراحه عبدالحكيم عامر و صلاح سالم ، بينما عارض آخرون هذا الاقتراح بحجة أن البلاد كانت تمر بظروف عصيبة فى الداخل و الخارج ، كما أن مسألتى الجلاء و تقرير المصير فى السودان لم يتحقق منهما شيء بعد .. و كان جمال سالم يتزعم هذه المجموعة ، و شاركه فى هذا الرأى كل من عبداللطيف بغدادى و كمال الدين حسين و زكريا محى الدين .. أما أنور السادات وحسين الشافعى فلم يبديا أى رأى. وأخذ الصراع داخل مجلس الثورة يزحف كالسرطان ، و الغريب أن جمال سالم الذى كان يعارض عبدالناصر فى كثير من الآراء فى بداية الثورة ، أصبح أكثر أعضاء مجلس الثورة تحمساً للتخلص من نجيب ، بدرجة أنه صرح أنه على استعداد لأن يطلق النار على محمد نجيب ويخلص البلاد من شروره – على حد قوله- ثم يسلم نفسه للمجلس لمحاكمته ، ويكون بهذا قد أدى واجباً وطنياً لمصر. و تدهورت العلاقات بين نجيب و أعضاء مجلس الثورة ، إذ أحس نجيب بأنه أصبح طرطوراً ، وأن أغلب أعضاء مجلس الثورة يعاملونه معاملة لا تليق بسنه ولا بمركزه .. و بلغ الأمر استهانة المجلس به ، فكان يجتمع دون علمه إما فى مبنى قيادة الثورة و إما فى منازل أعضاء مجلس الثورة. ثم كانت القشة التى قصمت ظهر البعير لتفجر الموقف.. ففى يوم ٢١ من فبراير سنة١٩٥٤ حضر محمد نجيب الى مبنى مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة لحضور اجتماع مجلس الثورة الأسبوعى (اجتماع الأحد) .. و كان من المعتاد أن يصعد أعضاء المجلس إلى مكتب نجيب حيث كان يعقد الاجتماع، ولكن الرجل ظل ما يقرب من الساعتين ولم يصعد إليه أحد يخبره بالاجتماع ، فأرسل سكرتيره الخاص اليوزباشى إسماعيل فريد إلى أعضاء مجلس الثورة الذين كانوا مجتمعين فى مكتب عبدالناصر ليستفسر عن سبب تأخرهم فى الصعود إلى نجيب لإجراء الاجتماع ، فما كان من جمال سالم إلا أن ثار كعادته ، وأخذ يسب نجيب و يلعنه ، فانصرف إسماعيل فريد. و مضى وقت طويل و أحس نجيب أن المسألة مقصودة وتعنى التحرش به و الاستهانة به ، فما كان منه إلا أن غادر مبنى مجلس قيادة الثورة ، وآثر السلامة و حترام نفسه

، وأحس بأنه أصبح لا مفر من أن يقدم استقالته، لقد أصبح التعاون مع أناس لا يريدونه، أمرا إن لم يكن محالا فهو على الأقل مهين لكرامته. وأصبحت مشكلة نجيب مسألة لابد من وضع حد لها، و استمر المجلس يجتمع بغير نجيب. ووجد المجلس أنه ليس أمامه سوى الدخول مع نجيب فى معركة حاسمة واقترح تنحية نجيب عن رئاسة مجلس الوزراء و أن تقتصر مسئوليته على منصب رئاسة الجمهورية، و أن يعين عبدالناصر رئيساً لمجلس الوزراء. وكانت شعبية نجيب و الخوف من ردود فعل تنحيته عاملين من العوامل التى كانت محل البحث، فرؤى أن يؤخذ رأيه قبل إعلان المجلس قراره. و أرسل المجلس إلى نجيب وفداً يتكون من جمال سالم وكمال الدين حسين و حسين الشافعى لإقناعه بالاكتفاء بمنصب رئيس الجمهورية، على أن يتولى عبدالناصر رئاسة مجلس الوزراء.. و لكن المهمة باءت بالفشل. وفى اجتماع لمجلس الثورة عقد يوم الثالث و العشرين من فبراير لم يحضره نجيب بالطبع، فوجىء المجلس بحضور إسماعيل فريد، الذى قدم لكمال حسين مظروفاً معنوناً باسمه و سرى للغايه و شخصى .. كان كمال الدين حسين يقوم بأعمال سكرتارية المجلس، فقام بفض المظروف، و علم من محتوياته أنه عبارة عن استقالة لنجيب من جميع المناصب و السلطات المخولة له، مؤكداً أن مصلحة الوطن أملت عليه ذلك لأسباب لن يذكرها إلى حين.استقالة محمد نجيب: وهكذا نرى أن الصراع بين محمد نجيب و بين أغلب أعضاء مجلس الثورة قد بدأ مبكرا .. لقد كان أغلب أعضاء المجلس يتجاهل نجيب كرئيس لمجلس قيادة الثورة ، ووصل الأمر بالبعض مثل الأخوين جمال و صلاح سالم إلى قيامهما بسبه علنا أمام الضباط . كانت مظاهر الخلافات بين نجيب و المجلس غير خفية و بدأ أعضاء مجلس الثورة قبل نشوب أزمة مارس بوقت كثير باستمالة الضباط الأحرار بجانبهم ضد نجيب ، فأخذوا يبثون فيهم صورة سيئة عن سلوكه، و اخذوا يشهرون به فيذيعون أنه مدمن خمر و أنه يقضى بعض السهرات الخاصة التى كان يعدها له الطبيب صلاح فوزى الى غير ذلك من وسائل التشهير الرخيصة. و انتشرت هذه القصص بين الضباط الأحرار .. و فضلا عن ذلك قام أعضاء المجلس بتصويره للضباط بصورة الرجل الذى يريد تصفية الثورة لحسابه، و تعاونه مع أعداء الثورة و خصومها. ونجح مجلس الثورة فى استمالة معظم الضباط الأحرار بالأسلحة المختلفة عدا سلاح الفرسان الذى كان له وضع خاص ، أدى إلى انضمام أغلب ضباطه إلى جانب نجيب، و بدأ خالد محى الدين يبث فى عقول الضباط مناقشات عن الديموقراطية، موحياً إليهم بأن مجلس الثورة متجه نحو الديكتاتورية، وأن خالد محى الدين يرفض هذا الاتجاة ، حتى تشبعت نفوس الضباط بالنفور من مجلس الثورة، والتفوا حول خالد محى الدين ، بينما

حسين الشافعى لا يدرى شيئا عما كان يدور داخل السلاح . و قد أثبتت الحوادث التى جاءت بعد ذلك أنه كان هناك اتفاق ضمنى بين نجيب و خالد محى الدين الذى استطاع أن يجذب الى جانب نجيب كثيراً من ضباط الفرسان منهم بعض الضباط الأحرار فى السلاح. وأصدر مجلس الثورة قرارا بتعيين جمال عبدالناصر رئيسا لمجلس الوزراء ورئيسا لمجلس قيادة الثورة ، و أبدى الغالبية العظمى من الضباط ميلهم إلى التوفيق بين محمد نجيب و مجلس الثورة لكن الصراع بين نجيب و مجلس الثورة كان قد وصل إلى طريق مسدود فاستقر المجلس على قبول استقالة نجيب يوم الرابع و العشرين من فبراير ، و نشرت الاستقالة فى الصحف صباح اليوم التالى الخامس والعشرين من فبراير حدث اعتصام فى سلاح الفرسان بثكنات العباسية المواجهة لمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، و أن بعض الضباط الأحرار فى سلاح الفرسان تزعموا هذا الاعتصام ، وقد قرر هؤلاء عقد اجتماع لضباط الفرسان مساء يوم الخامس و العشرين من فبراير .. و لقد نجحوا فى عقد الاجتماع، و طلبوا حضور حسين الشافعى لمناقشته فى مسألة استقالة نجيب. وقد قرر جمال عبد الناصر أن يذهب بنفسه لحضور هذا الاجتماع و حاول عبد الحكيم عامر أن يثنيه عن الذهاب إلى الفرسان ، وأن يرسل بدلاً منه حسين الشافعى لاستكشاف ما يدور، حتى لا يتعرض لأى أقوال جارحة من بعض الضباط المتهورين ، وتوجه عبد الناصر إلى سلاح الفرسان وحضر الاجتماع فى مساء هذا اليوم .. وهناك سمع نقداً لاذعاً من صغار الضباط، فقد ركز ضباط الفرسان على مسألة الديموقراطية التى دأب خالد محى الدين منذ قيام الثورة على تلقينها للضباط الصغار فى سلاح الفرسان ، مبيناً لهم أن مجلس الثورة متجه إلى حكم البلاد حكماً ديكتاتورياً.. وقد استخدم خالد محى الدين اللواء نجيب أداة لتحقيق أغراضه . و حاول عبدالناصر أن يقنع ضباط الفرسان بأن مجلس الثورة يتبع الأسلوب الديموقراطى فى وضع القرارات، فهو يصدر قراراته بأغلبية الأصوات .. و لكن ضباط الفرسان كانوا يعنون ديموقراطية تنبع من الشعب و ليست ديموقراطية الصفوة . عاد عبدالناصر إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة حيث كان مجلس الثورة مجتمعاً، و شرح للمجلس ما دار فى اجتماع سلاح الفرسان ، ولخص مطالب ضباط الفرسان فى مطلبين : أولهما عودة محمد نجيب كرئيس لجمهورية برلمانية، و ثانيهما استعجال مجلس الثورة للجنة الدستور كى تنتهى من وضع الدستور الجديد. وعلى الجانب الآخر كان الضباط قد أمروا وحداتهم بالاستعداد للتحرك، وأن الموقف كاد ينفجر داخل سلاح الفرسان، وأن الضباط فى انتظار رد عبدالناصر على المطلبين الذين حملهما إلى مجلس الثورة . ظل مجلس الثورة مجتمعاً فى غرفة القائد العام للقوات المسلحة، وقد ملأ

الضباط مبنى القيادة .. وأخذت المناقشات الجانبية تدور بينهما ، ولكن دون أن يفكر أحدهم فى أى اقتراح ينقذ الموقف. وفى حوالى الساعة الواحدة صباحاً خرج صلاح سالم من الاجتماع، و أعلن للضباط أن المجلس قرر عودة محمد نجيب رئيساً للجمهورية و تعيين خالد محى الدين رئيساً للوزراء، و عودة رجال الثورة إلى ثكناتهم .. أى تسليم مقاليد الحكم إلى محمد نجيب و خالد محى الدين .. كما قال أنه سيبلغ مدير الإذاعة كى يذيع هذا القرار. و كلف مجلس الثورة خالد محى الدين بالتوجه إلى منزل محمد نجيب فى الزيتون لإبلاغه قرار المجلس، وأوفد معه كلا من الصاغ عماد ثابت و اليوزباشى عباس رضوان و الملازم أول شمس بدران من الضباط الأحرار . وفى مكتب القائد العام للقوات المسلحة حيث كان يجلس بعض أعضاء مجلس القيادة حول منضدة الاجتماعات، بينما كان عبدالحكيم عامر واقفاً على مكتبه وقد بدا عليه الإنهاك و التوتر .. نظر إلى وجوه أعضاء مجلس قيادة الثورة، كان عبداللطيف بغدادى و حسين الشافعى تذرف أعينهما بالدمع، بينما كان جمال سالم يذرع الحجرة جيئة و ذهاباً فى حالة عصبية، و كان زكريا محى الدين يجلس فى هدوء يبدو على وجهه نوع من القلق .. أما عبدالناصر فكان قد ترك الغرفة و اتجه إلى الغرفة المواجهة لمكتب القائد العام - و كانت تسمى غرفة المؤتمرات - حيث كانت تغص بالضباط .. كان عبدالناصر يعتلى منضدة المؤتمرات و يحدث الضباط عن القرار الذى اتخذه المجلس . و بدأ الضباط الأحرار الذين لم ينصرفوا فى دخول مكتب القائد العام، و أخذوا يحاولون مناقشة أعضاء المجلس مبدين رأيهم بأن قرار المجلس يعنى تصفيه الثورة . و فجأة التفت عبدالحكيم عامر يسأل عن خالد محى الدين الذى كان قد توجه إلى محمد نجيب فى منزله ليبلغه قرا ر مجلس الثورة .. وما هى إلا دقائق حتى كان قد حضر ودخل إلى مكتب عبدالحكيم عامر . كانت مفاجأة غير سارة تنتظر خالد محى الدين؛ ففى حزم وإصرار وجه عبد الحكيم إليه الحديث بقوله : اذهب يا خالد إلى سلاح الفرسان، و أبلغ الضباط أنهم لو لم يسلموا أنفسهم فوراً سوف أصدر أوامرى لهذه الطائرات و الأسلحة المحاصرة لمبنى الفرسان، بقصف المعسكر. وكان صلاح نصر قد اتصل بقائد الكتيبة ١٣ و طلب محاصرة مبنى الفرسان و أسقط فى يد خالد محى الدين .. كان الوقت سحراً .. و عند هبوط خالد من الدور الثانى لمبنى القيادة متجها إلى مبنى سلاح الفرسان، قابله الصاغ وحيد جودة رمضان أحد الضباط الأحرار .. و مد خالد يده مصافحاً، و لكن وحيد رمضان امتنع عن مصافحته و قام بسبه بقوله :"أنا لا أمد يدى ليد خائنه شيوعية ".. و لما وصل خالد إلى بوابة مبنى القيادة اعترضه البكباشى أحمد أنور قائد البوليس الحربي، و حاول أن يعتقله، و لكن عبدالحكيم عامر كان يطل حينئذ من الشرفة فى الدور الثانى، فصاح على أحمد أنور ، و أمره أن يترك خالد محى الدين فى سبيله.

عودة نجيب رئيساً للجمهورية:

تمت عمليه إحباط تمرد الفرسان دون إطلاق طلقة واحدة ، كما نقل نجيب إلى ميس المدفعية بألماظة ،وكان الجهد قد بلغ قمته بأعضاء المجلس و بالضباط الأحرار المجتمعين، فقرر المجلس الخلود إلى الراحة والنوم، على أن يستأنف الاجتماع بعد عدة ساعات. وقبل أن ينفض المجلس طلب عبدالناصر من المجلس تفويضه سلطة اتخاذ أى قرار قد تقتضيه الظروف فى تلك الساعات القليلة التى سيأوون فيها إلى فراشهم ..

و ما هى إلا ساعات قليلة حتى عاد المجلس للانعقاد. و كان رأى صلاح سالم ان الشعب لا يريدنا، و لابد من عودة نجيب، و أخذ صلاح سالم يوجه الحديث لزملائه و قال فى عصبية ملحوظة علينا أن نرحل .. الشعب لا يريدنا .. لقد ألقى الناس الأحذية على عربتى و أنا فى الطريق إلى هنا. كان صلاح سالم قد ذهب لينال بعض الراحة خلال تلك الساعات القليلة التى قررها مجلس الثورة للراحة .. وفى طريقه من المنزل إلى مبنى القيادة رأى جموعاً شعبية محتشدة فى ميدان عابدين تطالب بعودة نجيب حامى الديموقراطية و سقوط مجلس الثورة ممثل الديكتاتورية .. و كانت الجموع تهتف بحياة نجيب و تندد بالثورة؛ و تهتف هتافات عدائية ضد جمال عبدالناصر و صلاح سالم ، ووصلت إلى درجة السباب ، كما قذف بعض الأشخاص عربته بالأحذية .. و كان لهذا الحادث أثر سيئ على نفسية صلاح سالم الذى كان أشبه بمن يهذى وهو يقص ما رأى على أعضاء المجلس ، وكان مجلس الثورة قد أرسل حسن إبراهيم عضو مجلس الثورة إلى الإسكندرية للاجتماع بضباط المنطقة الشمالية .. و حينما اجتمع حسن إبراهيم بهم فى نادى الضباط ، و حاول أن يجرح نجيب من ناحية تصرفاته الشخصية. ثار الضباط فى وجهه ، و لم يسمحوا له أن ينال من محمد نجيب .. كان هناك كثير من الضباط موالين لمحمد نجيب، و بخاصة فى سلاح الفرسان .. و قد دافعوا عنه دفاعاً

مستميتاً.. وعاد حسن إبراهيم إلى المجلس بخفى حنين. و فى الإسكندرية أجمع الضباط على مساندة نجيب وقالوا: لقد خرجنا ليلة ٢٣ يوليو لمساندة الحرية و الديموقراطية، فكيف لا نساند غير الذى يقف بجانبها؟ و أخيراً قرر ضباط المنطقة الشمالية إرسال وفد من الضباط إلى القاهرة لمقابلة عبدالناصر و إبلاغة إصرار ضباط الإسكندرية على ضرورة عودة نجيب لمنصب رئيس الجمهورية. فى ذاك الوقت انتشرت همسات بين الضباط الأحرار حول مسلك بعض رجال الثورة ، مثل علاقة صلاح سالم بالأميرة فايزة التى قيل أنه أنشأ معها علاقة عاطفية وساعدها على تهريب أموالها للخارج.. كذلك مسلك أخيه جمال سالم و اعتدائه على الناس.. و هناك الحادثة المشهورة التى تحكى قصته مع على الشمسى (باشا) .. إذ استدعاه جمال سالم يوماً فى مكتبه فى مبنى مجلس الوزراء، لمناقشة بعض الأمور، وإذا بموظفى مجلس الوزراء يرون على الشمسى يجرى بينما يطارده جمال سالم وهو يصيح:إتفرجوا على باشاوات مصر، و كثرت الأحاديث عن صفقات قامت بها السيدة محاسن سعودى حرم عبد المنعم أمين .. كما تحدث بعض الضباط عن إدمان نجيب الخمر و سهرات كان يعدها المحيطين به و أثر هذا كثيراً على الصراع الذى كان دائراً فى أزمة مارس، وأستغل كل جانب هذه الهمسات فى التشهير و التجريح. و ظل صلاح سالم يحث مجلس الثورة على ضرورة عودة محمد نجيب ، وقال: إنه لو لم يعد نجيب فسوف تحدث مجزرة نتيجة الصدام الذى سوف يقوم بين الشعب وبين الثورة. ثم استطرد قائلاً ..."بصفتى وزيراً للإرشاد القومى سوف أعلن هذا القرار. كان عبدالناصر أشبه بالتائه فى تلك اللحظات ، فلم يعط قراراً ، فما كان من صلاح سالم إلا أن أصدر أوامره إلى الإذاعة بإعلان عودة محمد نجيب كرئيس للجمهورية ، و قد تم ذلك فعلاً فى السادسة مساءً من يوم السابع و العشرين من فبراير ١٩٥٤ . و فى صباح اليوم التالى خرجت الصحف كلها ، وقد نشرت بياناً من مجلس الثورة يقرر بأنه دعا محمد نجيب إلى منصب رئيس الجمهورية البرلمانية المصرية. وكان المجلس قد أوفد خالد محى الدين إلى محمد نجيب مرة أخرى ليقنعه بعودته دون أن يشترك معه فى تأليف الوزارة .. و مع أن محمد نجيب أبلغ خالد محى الدين أنه لن يقبل أن يكون رئيساً لجمهورية برلمانية ، لأن معنى ذلك أن يكون مجرد دمية بلا سلطة، فقد أرسل نجيب رداً على دعوة المجلس بالموافقة على قبول المنصب. عاد نجيب رئيساً لجمهورية مصر البرلمانية ، ولكن النفوس كانت مشحونة لتفجير الصراع فى أى وقت.كان عبدالناصر حريصاً منذ قيام الثورة على آلا يبعد عن الضباط و بخاصة الضباط الأحرار .. و الدليل على ذلك قيامه فى بدء الثورة بتحمل مسئولية مدير مكتب القائد العام، ثم نقل هذه المسئولية من بعده إلى صديقه الوفى

عبدالحكيم عامر، ثم إلى صلاح نصر - الذى يثق فيه ثقه كبيرة - بعد تعيين عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة فى١٨ من يونيو ١٩٥٣ . و لقد استمر اتصال عبدالناصر بالضباط عن طريق هذا المكتب، بل حاول يوماً ما أن يجند طلبة من الكلية الحربية ليلقنوا بالمبادئ الثورية ، و كلف بهذه المهمة إبراهيم الطحاوى و لقد نجح فى التخطيط لها ، وعمل فى تأن و روية، متأثرا بحكمة "كونفوشيوس" الصينى التى كان يؤمن بها و يرددها كثيراً، و التى تقول :"إذا أردت أن تقتل عدوك فلا تذهب إليه، بل انتظره عند شاطئ النهر، و سيحمل التيار جثته إليك" .. أو كما جاء بالمثل العامى المصرى المعروف :"مد لعدوك الحبل يشنق بيه نفسه" . عاد نجيب منتصرا على الأقل من الناحية الشكلية .. و كان رأى عبدالناصر أن يمتص النقمة الجماهيرية التى ظهرت فى المظاهرات و الاضطرابات، و من ثم اجتمع مجلس قيادة الثورة يوم الرابع من مارس ١٩٥٤ ، و كان عبدالناصر قد قرر إجراء بعض التنازلات لامتصاص الغضب و الاستياء الذى نتج عن المظاهرات، و تفويت الفرصة على نجيب الذى حمل شعار الديموقراطية لمحاربة المجلس و جذب القوى السياسية الأخرى إلى جانبه .. و أصدر المجلس قراراته التالية:

أولاً : اتخاذ الاجراءات الفورية لعقد جمعية تأسيسية تنتخب عن طريق الاقتراع العام المباشر، وتجتمع خلال شهر يوليو ١٩٥٤ على أن تتولى مهمتين : الأولى أن تناقش مشروع الدستور الجديد وتقره، والثانية أن تقوم بمهمة البرلمان المؤقت إلى أن يتم عقد البرلمان الجديد وفقاً لأحكام الدستور الذى ستقره الجمعية التأسيسية.

ثانياً : إلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات بما لا يقل عن شهر.

ثالثاً : إلغاء الرقابة على الصحافة و النشر ابتداءً من ٦ مارس فيما عدا الشئون الخاصة بالدفاع الوطني.

و الواقع أن هذه القرارات لم تأت جزافاً، فقد كان يبدو واضحاً أن المجلس سوف يرجع عنها لو سنحت الفرصة، و أنه وضعها تحت الظروف القهرية التى أدت إلى عودة نجيب.. و كان هناك تفكير- حتى بعد عودة نجيب- أن تجرى ثورة على الثورة، تقوم بتطهير كل من وقفوا ضد الثورة و محاكمتهم، و تعلن استمرارها فى الحكم. و لقد تمت مناقشة هذا الأمر بين عبدالناصر و عبدالحكيم عامر فى منزل الأول قبل انعقاد جلسة الرابع من مارس، ولكن هذا الاقتراح استبعد على أساس أن هذا الاتجاه سوف يشجع على قيام انقلابات متكررة كما حدث فى سوريا. كانت الظروف العامة توحى بأن مجلس قيادة الثورة قد استسلم لمحمد نجيب ، ومن خلفه القوى السياسية القديمة المساندة له. وفى رأيى صلاح نصر أن التنازلات التى

قدمها مجلس الثورة- و بتدبير من عبدالناصر- لم تكن سوى محاولة لكشف القوى المعادية التى ظلت فترة تحت ستار النفاق السياسى تداهن الثورة و تنافقها، فما أن أعلن عن إلغاء الرقابة على الصحف اعتباراً من السادس من مارس سنة ١٩٥٤، حتى كشفت هذه القوى عن وجهها ، و ظهر لمجلس الثورة حقيقة هذه القوى وشجع القوى المعارضة على الهجوم على مجلس الثورة ، ما لاحظته من الاستسلام المتتالى من مجلس الثورة لمحمد نجيب ، وظنت هذه القوى أن الرياح هبت مواتية لسفينة نجيب . ففى اجتماع المؤتمر المشترك الذى كان يضم مجلس الثورة ومجلس الوزراء و الذى عقد يوم الثامن من مارس سنة ١٩٥٤ تقرر أن تعود الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل استقالة نجيب، فقرر مجلس قيادة الثورة إسناد قيادة الثورة و رئاسة مجلس قيادة الثورة و مجلس الوزراء فضلاً عن رئاسة الجمهورية إلى محمد نجيب. وهكذا عادت جميع السلطات إلى اللواء محمد نجيب. و لكنه اعترض بأن القوات المسلحة هى المهيمنة على الأمور، و أن قادة التشكيلات يكنون الولاء لعبدالناصر ومجلس الثورة دون نجيب .. ومن ثم خرج نجيب بفكرة مطالبته بتعيين قادة الوحدات حتى مستوى الكتائب بأمر جمهورى، كما طالب بسلطة ترقيات الضباط ، فقد بدأ يظهر للضباط الأحرار على الأقل ، أن ثمة لعبة شبيهة بلعبة القط والفأر يقوم بها نجيب و عبدالناصر، وأن تصفية أحدهما للآخر أمر واقع لا مفر منه.و بدا لنجيب أنه انتصر على مجلس الثورة بعودته مدعماً بتأييد شعبى ومن القوى السياسية التى عبرت عن مساندتها له من خلال المظاهرات .. و تبنى الشعارات مثل عودة الجيش إلى الثكنات وإعادة الحياة النيابية و الإفراج عن المعتقلين وغيرها.. وكان الخلاف و التوتر واضحين فى مسلك نجيب و عبدالناصر..كان من السهل أن تشم رائحة الصراع الذى كاد ينفجر، ففى المؤتمر الكبير الذى عقد فى نادى القوات المسلحة يوم التاسع من مارس، حيث دعا نجيب الضباط إلى ترك السياسة إلى إخوانهم المدنيين الذين - على حد قوله- يسعون للهدف ذاته، و هو تحقيق عزة البلاد و حريتها، وقف عبدالناصر يدحض هذه الفكرة فى إصرار و عزيمة، و يهاجم الرجعية و الاستعمار ، و يحمل ضباط الجيش مسئولية الدفاع عن الثورة. من الثابت أن قرارات ٥،٤ مارس صدرت تحت ظروف ضغط متفجرة معينة .. و لكن عبدالناصر كان يرى أن ما حدث ليس إلا ثورة مضادة ، تكاتفت فيها القوى المعادية لضرب الثورة و تصفيتها ، مستغلة الخلاف مع نجيب لتحقيق مصالحها. ترك عبدالناصر الأمورتسير ووقف موقف المترقب للأحداث، فبينما كان رجال الثورة ورجال الأحزاب و القانون يديرون مناقشات قانونية حول مستقبل الحياة الحزبية فى مصر ، كان عبدالناصر يؤمن بأن الحياة الحزبية القديمة كانت وبالا على مصر، و بأن الثورة لابد أن تستمر لتحقق أهدافها

التى قامت من أجلها. و كان أغلب أعضاء مجلس الثورة توافق على آراء عبدالناصر عدا خالد محى الدين و يوسف منصور صديق .. ومع ذلك اختلف الاثنان فى رأيهما، خالد محى الدين يرى أن الأحزاب القديمة قد أدت رسالتها وانتهت مهمتها، و أن الشعب فى حاجة إلى أحزاب جديدة تقدم برامج جديدة و لذا فإن رجال الثورة فى حزبهم الجديد يتمتعون بشعبية أكبر من رجال الأحزاب القديمة و خصوصا بعد قرارات ٥،٤ مارس، فلا خطورة من عودة الأحزاب القديمة. أما موقف يوسف منصور صديق فهو من دعائم تنظيم الضباط الأحرار، و لكن ليس بالصورة التى صورها بعض الكتاب الماركسيين إذ صوره البعض أنه صانع الثورة، وهذا مجاف للحقيقة، فلم يتعدً دوره دور عشرات من الضباط الأحرار الذين قام على أكتافهم إعداد التنظيم أو تنفيذ مخطط الثورة.. كما أن يوسف صديق يتميز بأنه صاحب فكر ماركسى واضح، وقد نشرت له صحيفة المصرى حديثاً صرح فيه بقوله: إن الشيوعيين الموجودين بمصر هم الآن قوة لا يمكن إنكارها، إلا إذا أردنا الهروب من الواقع .. وإنهم كمصريين لهم الحق فى مناقشة آرائهم كغيرهم من المواطنين، وإن إنجلترا و أمريكا فيهما شيوعيون. اجتمعت هيئة التدريس بجامعة الإسكندرية يوم السابع و العشرين من مارس، كما اجتمعت هيئة التدريس فى كل من جامعتى فؤاد و إبراهيم - القاهرة وعين شمس على التوالى- فى الثامن و العشرين و ا اتخذت قرارات مشابهة مضادة للثورة، فأصدرت جامعة الإسكندرية بيانا طالبت فيه بإلغاء الأحكام العرفية، و حل مجلس قيادة الثورة فوراً، و تأليف وزارة مدنية تتولى المسئولية لحين اجتماع الجمعية التأسيسية، كما أصدرت جامعتا فؤاد و إبراهيم عدة قرارات تطالب بإلغاء الأحكام العرفية و عودة الحياة النيابية ، والإفراج عن المعتقلين .. و أسرع عبدالناصر لمواجهه الموقف ، و أعلن فى حديث صحفى له أن فى نيته أن يفرج عن المعتقلين بعد بحث سريع لحالاتهم ، و أنه سيعاد النظر فى الأحكام التى صدرت على المحكوم عليهم من محكمة الثورة ، كما أن الذين لم يحاكموا بعد لن يقدموا للمحاكمة. و فعلاً تم الإفراج عن بعض الضباط الأحرار الذين كان قد حكم عليهم بالسجن فى مؤامرة المدفعية(قضية رشاد مهنا) وهم البكباشى مصطفى راغب و اليوزباشية محسن عبدالخالق، و سعد عبدالحفيظ ، و محمد عبدالله .. كما صدر عفو صحى عن إبراهيم عبد الهادى وحددت إقامته فى منزله، و سمح لفؤاد سراج الدين بموجب قرار من مجلس الثورة بالعلاج فى مستشفى مجدى بالدقى .. و لكن من ناحية أخرى كان مصطفى النحاس لا يزال معتقلا، و كانت السيدة زينب الوكيل زوجته لا تزال تجرى محاكمتها، أما حسن الهضيبى و كبار رجال الإخوان فكانوا لا يزالون فى المعتقل .

قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤

وسط هذه الظروف القاسية التى واجهت الثورة كان عبدالناصر يفكر فى إنقاذ الثورة من تكاتف الثورة المضادة وكان يبدو لبعض أعضاء مجلس الثورة أن عبدالناصر مغلوب على أمره بينما كان فى الحقيقة يفكر فى أن التسليم بأية تنازلات تصفى الثورة تدريجياً .

وفى حديثه مع صلاح نصر قال ناصر:يجب أن تحدث ثورة على ثورة و لكن بصورة أخرى.. علينا أن نضع نجيب أمام أمرين لا ثالث لهما : إما أن تصفى الثورة و تعود الأحزاب ، و إما أن تسير الثورة فى خطها المرسوم .. ففى الحالة الأولى يمكن أن نقوم بثورة من داخل الجيش تضرب القوى المعادية التى كشفت عن وجهها ، و فى الحالة الثانية نكون قد حققنا انتصاراً دون عناء . وعلى أساس هذا التفكير، اجتمع مجلس الثورة يوم الخامس و العشرين من مارس ١٩٥٤ برئاسة محمد نجيب و حضور كل من جمال عبدالناصر و عبدالحكيم عامر و كمال الدين حسين خالد محى الدين و حسن إبراهيم و عبداللطيف بغدادى وجمال سالم و صلاح سالم و أنور السادات و زكريا محى الدين و حسين الشافعي. ولكى يبدو أمام نجيب أن المجلس منقسم فى الرأى ، تقدم عبدالناصر باقتراح تصفية الثورة، و تقدم عبداللطيف بغدادى بالاقتراح الآخر أى استمرار الثورة، و اتخاذ الإجراءات الحاسمة لحمايتها.

ففى ممارسة العمل السياسى ، لا تكمن حقيقة الأشياء فيما يدور من مناقشات فى الاجتماعات ، ولا فى القرارات التى تصدر ؛ ولا فى الحجج التى يبديها الساسة فى مناقشاتهم ؛ إنما تكمن الحقيقة فيما يدور بين الكواليس ، و فيما يدبر فى الخفاء .. و المسرح السياسى فى هذا الشأن مثل مسرح عرض الروايات الذى يبدو عليه الممثلون فى أحسن صورة ، بعد أن قام المخرج خلف الكواليس بالتخطيط والتدبير . وكان من المتفق عليه قبل اجتماع مجلس الثورة أن يعرض الاقتراحان بالصورة التى ذكرتها ، و كان هناك خمسة أصوات مضمونة لجانب عبدالناصر هى أصوات كل من عبد الحكيم عامر و كمال الدين حسين و أنور السادات و زكريا

محى الدين و حسين الشافعى .. ففى ذلك الوقت كانت علاقة عبدالناصر بعبد الحكيم عامر كانت فى أوج قمتها ، و كثيرا ما كان يتفق الاثنان قبل الاجتماعات على الأشياء ، على أساس أن يبدو عبد الحكيم عامر معترضا فى بعض الأحيان على آراء عبدالناصر و لكن فى النهاية عند أخذ الأصوات فإن صوت عبد الحكيم عامر فى جانب عبدالناصر دائماً .. أما كمال الدين حسين فكان فى ذاك الوقت قريباً جداً من عبدالناصر .. و كان عبدالناصر يضرب به المثل فى إخلاصه ووفائه له و يقول:إذا كان واحدا فقط مخلص فى هذه البلد فهو كمال الدين حسين و لذا كان صوت كمال الدين حسين مضمونا دائما بجانب عبدالناصر .. أما أنور السادات فكان عبدالناصر يثق فى مساندته و يقول: أنا أدخل أى اجتماع و ضامن صوت أنور معى. و الواقع أن عبدالناصر استطاع أن يجذب إلى جانبه حينئذ كلا من زكريا محى الدين و حسين الشافعى و إن اختلفت طبيعتهما .. و استطاع عبدالناصر فى ظروف مختلفة أن يفتت أى تكتل أو تجمعات شللية داخل المجلس و بالطبع كان موقف خالد محى الدين لا يختلف عما أبداه من قبل و هو التوفيق بين الاقتراحين المقدمين ، و انضم إليه نجيب ،ولكن عبدالناصر كان مصراً على أخذ الأصوات على الاقتراحين المقدمين .. فتم أخذ الأصوات على الاقتراحين ، ففاز اقتراح عبدالناصر بثمانية أصوات ضد أربعة أصوات و هم: عبد اللطيف بغدادى،و حسن إبراهيم، و الأخوان جمال و صلاح سالم. و معنى ذلك انضمام محمد نجيب و خالد محى الدين إلى جانب عبدالناصر حتى يبدوان أمام الشعب أنهما من أنصار الديموقراطية. و بعد أخذ الأصوات أصدر مجلس الثورة القرارات التالية التى عرفت بقرارات ٢٥ مارس:

١- السماح بقيام الأحزاب.

٢- لا يؤلف مجلس قيادة الثورة حزباً.

٣- لا حرمان من الحقوق السياسية كى لا تؤثر على حرية الانتخابات.

٤- حل مجلس قيادة الثورة يوم الرابع و العشرين من يوليو سنة ١٩٥٤ ،و تسلم البلاد إلى ممثلى الأمة.

٥- تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا حرا مباشرا، و تكون لها السيادة الكاملة و السلطة الكاملة، و تكون لها سلطة البرلمان كاملة، و تكون الانتخابات حرة.

٦- تقوم الجمعية التأسيسية بانتخاب رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها.

و هنا سؤال يطرح نفسه بشدة : هل كان عبدالناصر و من قام بالتصويت بجانبه يعنون

فعلا ما صدر من قرارات؟ و هل كان عبدالناصر مستعداً لتصفيه الثورة بهذه البساطة؟و هل كان هناك ما يعده عبدالناصر لجولة أخرى فى هذا الصراع القائم بينه و بين نجيب؟ و إذا كان هناك مخطط لضرب الثورة المضادة فهل بنى على أساس دراسة و تمحيص؟

أسئلة لابد و غيرها أن تدور رأس أى مراقب للأحداث .. فلا يمكن لعبد الناصر الذى كان يؤمن بالثورة و بزعامته لها أن يتخلى عنها بهذه البساطة .. لقد قرر عبدالناصر أن يضرب الثورة المضادة ، وأن يسير بالثورة فى اتجاهها المرسوم ، و ما كانت القرارات التى صدرت إلا ضربا من المناورة ، اكتسب به مجلس الثورة وقتاً للتحرك و التخطيط .. و الواقع أن الضربة التى وجهها عبدالناصر إلى القوى المضادة فى تلك اللحظات التاريخية، تعد من أبرع الضربات السياسية التى استطاع بها أن يقضى على قوة كادت تعصف بالثورة من جذورها .. و إذا كان قد قيل على لسان البعض أن عبدالناصر كان بعيد عن تدبير الأحداث التى جرت فى ذاك الوقت ، فمن المؤكد أنه إن لم يكن المدبر المباشر لها ، فقد كان الموجه لها. لقد كانت الصورة واضحة أمامه قبل اتخاذ مجلس الثورة قرارات ٢٥ مارس ، و كانت الظروف تهيئ له الفرصة كى يوجه ضربته للثورة المضادة لو أحسن استخدام الظروف ، وقد أحسن استخدامها و نجح فى ذلك. فأوضاع القوى المعادية له عند صدور قرارات ٢٥ مارس عبارة عن.. جماعة الأخوان المسلمين... قيادتهم فى السجون يكرهون عبدالناصر، ونجيب ، أيضاً، فقد حل عبدالناصر الجماعة ووضعهم فى السجون، و محمد نجيب يحاول إعادة الأحزاب التى تكن العداء للإخوان، و كانت قوتهم متعادلة ومهيأة كى يفوز من يسبق الآخر فى الصراع الدائر المحتدم داخل مجلس الثورة، أما الوفد فكانت زعامته مضروبة و قاعدته العريضة ممزقة تحتاج لمن يقودها فى تلك الظروف ، وكان مصطفى النحاس زعيم الوفد لا يزال محدد الإقامة فى منزله، مما ترك اضطرابا سائدا وسط قاعدة الحزب الجماهيرية . كذلك كان الحال بالنسبة للشيوعيين، فحزب حدتو و الحزب الشيوعى المصرى مشلولان نتيجة اعتقال قيادة الأول و كثير من أعضاء الثانى و كان الشيوعيون لا يثقون بنجيب ويسخرون من تصرفاته، و يطلقون عليه اسم (البهلوان). أما القوى المثقفة - و تتمثل فى الجامعات و نقابة المحامين و نقابة الصحفيين -فكان موقفها عدائيا للمجلس منذ قرارات ٥،٤ مارس و كانت نقابات العمال قوة لا يستهان بها و لها مطالب قد تتحقق على يد الثورة التى ستحررهم من الرأسماليين، و هى قوة فى نظر ناصر ممكن أن تلعب دورا مهما لو أحسن توجيهها. لكن القوات المسلحة كانت أهم قوة يمكن للثورة الاعتماد عليها فى حسم النزاع، و كان تأثير الضباط الأحرار عليها يؤهلهم للقيام بدور فعال فى حسم هذا الصراع.. و مع أن نجيب حاول التأثير على بعض ضباط

القوات المسلحة خصوصا داخل سلاح المدرعات ، لكن عبدالناصر تغلب على هذه المشكلة بالقضاء على فتنة المدرعات، وتصفية الضباط الموالين لنجيب فى الأسلحة الأخرى. كانت هذه هى الصورة بعد صدور قرارات ٢٥ مارس .. فقد بدأ التسابق و اشتد الصراع بين نجيب و مجلس الثورة (إعادة جماعة الإخوان المسلمين)، فى ذلك الوقت زار مصر عاهل المملكة العربية السعودية فى٢١ مارس ١٩٥٤ ، وكان عبدالناصر قد تقابل معه حينما توجه إلى السعودية للتعزية فى وفاة والده الملك عبد العزيز آل سعود ، و انتهز عبدالناصر هذه الفرصة فأدى العمرة، كانت العلاقات السياسية بين الرياض و القاهرة يؤمل منها الكثير ، لمواجهة محور عمان-بغداد الذى كانت بريطانيا تعتمد عليه داخل سلسلة من الأحلاف لتدعيم سياستها فى منطقة الشرق الأوسط- و كان العداء التقليدى بين السعودية و الهاشمية ممثلة فى الأسر الحاكمة فى العراق و الأردن ، كذا طموح سعود ليكون خليفة المسلمين فى العالم هما أساس تقارب الملك سعود لعبد الناصر، و لذا حاول الملك سعود أن يبدو معاديا للأحلاف الاستعمارية التى كان عبدالناصر ينادى بمحاربتها. وجاء الملك سعود إلى مصر و أزمة مارس فى عنفوانها ، ولا تشجع على مناقشة ما يدور فى رأس الملك. فالإخوان المسلمون ، و هم الركيزة الأساسية التى سوف يعتمد عليهم سعود فى العالم الإسلامى لنشر دعوته، تم حل جماعتهم الرئيسية فى مصر وأودع زعماؤهم السجون ، كما أن الصراع بين نجيب و مجلس الثورة وصل إلى قمته ، إلى حد أن شكى نجيب لسعود سوء معاملة المجلس له.. وعند توديع الملك سعود فى المطار، اعتدى جمال سالم على نجيب بالضرب، و طلب نجيب من سعود حمايته!! كانت الظروف السياسية حرجة للغاية ، فبينما كان عبد الناصر يؤكد رفض تعاونه مع الوفد ، و إصراره على استمرار حل جماعة الإخوان المسلمين، كان الملك سعود يطلب من عبد الناصر بشكل غير مباشر الإفراج عن المعتقلين من الإخوان، و السماح للجماعة بمزاولة نشاطها. أما حزب الوفد فقد بادر أحمد الألفى عطيه - أحد أعضائه البارزين بعد حل الحزب مع باقى الأحزاب - بالاتصال بإبراهيم الطحاوى و عرض عليه اقتراحاً بأن ينضم مجلس الثورة إلى حزب الوفد بعد أن يقوم بتطهير صفوفه، على أن يعين عبد الناصر سكرتيراً عاماً لحزب الوفد،مع استمرار النحاس رئيسا شرفيا، و لكن عبد الناصر أحس بمحاولة الوفد احتواء الثورة، ومن ثم رفض هذا العرض، و قرر الاستمرار بالثورة فى طريقها المرسوم.. و قال عبد الناصر كيف نشارك أحزاباً تمت إدانتها بالفساد؟!.أما الإخوان المسلمون فلم يكن لدى المجلس حينئذ أى فكرة لإعادتهم، و لكن الملك سعود تحدث مع جمال عبدالناصر خلال زيارته فى أمر الإخوان، وأبدى له أن لا يجوز أن يحدث فى مصر و هى زعيمة الدول العربية و الإسلامية، مثل ما حدث

للإخوان من حرمانهم من نشاطهم و إيداع قادتهم السجون.. و كان عبدالناصر حريصاً على ارضاء الملك سعود و التقارب معه فى تلك الظروف .. ولذا لم يمر يومان على ذلك حتى نشر فى الثامن و العشرين من مارس قرار مجلس الثورة بإعادة جماعة الإخوان المسلمين، و زال كل آثار قرار الحل السابق.. و كان قد افرج عن حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان، و جميع المعتقلين من الإخوان أثناء زيارة سعود لمصر. كان عبدالناصر لا يحارب فى جبهتين فى وقت واحد .. لقد وجد الفرصة سانحة كى يضرب القوى السياسية المعادية الأخرى ، ومن ثم قام بمهادنة الإخوان، و إرضاء الملك سعود.. ومن الغريب أن الإخوان الذين أعادوا نجيب بمظاهرات ٢٨من فبراير المشهودة. هم الذين نكصوا على أعقابهم و أداروا ظهورهم لنجيب ، واتفقوا مع عبدالناصر. و سار التيار مع الثورة ، فأسرع مجلس الثورة للانعقاد فى التاسع والعشرين من مارس و إرضاء الملك و اتخذ قرارا بإرجاء تنفيذ القرارات التى أصدرها المجلس فى ٥ مارس، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .. وأسقط فى يد نجيب وشعر أنه خسر الجولة، و لكنه استمر يفقد سلطاته شيئا فشيئا، حتى تمت تنحيته عن رئاسة الجمهورية.

السلطة الفعلية فى يد عبد الناصر

أصبح الموقف بين عشية و ضحاها يميل لرجحان كفة عبد الناصر و مجلس الثورة على كفة نجيب.. لقد بدأت حركات اعتصام العمال تتضح معالمها ، و تجنى ثمرة ما قامت به ، و سرعان ما ساد إضراب عمال النقل جميع أنحاء البلاد، توقفت المواصلات و توقفت سبل الحياة ، ولم تتحرك قطارات السكك الحديدية فانقطعت البلاد عن بعضها البعض. و كانت القوات المسلحة قد حددت موقفها ، و أصبحت القوة الفعلية بجانب مجلس الثورة، و مع ذلك لم يستطع المجلس حسم الصراع وتنحية نجيب، ذلك أن استمرار نجيب فى المجلس كان حيويا بعد قرارات ٢٨، ٢٩فبراير.

لقد أحس نجيب بضعف موقفه ، و شعر بأنه لن يلتقى مع مجلس الثورة لا من قريب و لا من بعيد، و أنه لا مناص من تصفيتهم له.. فآثر أن يخرج الرجل بكرامته، وقدم استقالته إلى مجلس الثورة، ولكن المجلس رفض بالإجماع قبول استقالته، و ناشده الاستمرار رئيساً للجمهورية ورئيساً لمجلس الثورة.. و كان محمد نجيب مرافقاً للملك سعود فى زيارته للإسكندرية، و عادا معا بالطائرة إلى القاهرة يوم السابع و العشرين من مارس، وكان القائمقام أحمد شوقى مساعد نجيب الأيمن فى الجيش قد أحيل إلى التقاعد، وكان نجيب قد سمع همهمة بين الضباط بأن شيئا ما سيتخذ ضده. فما أن وصل نجيب إلى القاهرة، حتى توجه إليه القائمقام أحمد شوقى، و أبلغه نجيب أن الضباط ثائرين عليه، وأن شائعات تروج فى الجيش أن النية مبيتة لقتلهما الاثنين .. و غادر نجيب منزله فورا ، واتجه الى قصر القبة حيث كان يقيم الملك سعود، و أبلغه بنية قتله، و طلب منه أن يصحبه هو و القائمقام أحمد شوقى الى السعودية عند سفره صباح يوم التاسع و العشرين من مارس.و اتصل الملك

سعود بعبد الناصر ، و رجاه أن يحضر إليه برفقة عبد الحكيم عامر، ووجدا نجيب لديه، فناقشا الخلاف بحضور الملك سعود، و هاجما نجيب أمام الملك هجوما قاسيا عنيفا، مما جعل نجيب فى موقف يرثى له. و ناشد الملك عبد الناصر تماسك الوحدة و استمرار نجيب.. و تحت رجاء سعود قبل عبد الناصر أن يستمر نجيب فى منصبى رئيس الجمهورية و رئيس مجلس الثورة. و كان المجلس المشترك قد اجتمع عدا الوزراء المدنيين الذين قدموا استقالاتهم بعد صدور بيان ٢٥مارس وهم: حلمى بهجت بدوى، و عبد الجليل العمرى، و وليم سليم حنا، و عباس عمار، وحسن بغدادى، وقرر إرجاء تنفيذ قرارات ٥مارس،٢٥مارس إلى نهاية فترة الانتقال،و تشكيل مجلس وطنى استشارى يمثل الطوائف و الهيئات، و يحدد القانون تشكيله و اختصاصاته. و فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى - الثلاثين من مارس- انتهى الإضراب العام بعد نشر هذه القرارات، و عادت الأمور هادئة.. و هكذا أصبح نجيب مقلم الأظافر، فأفسح لمجلس الثورة الطريق لتصفية قوى الثورة المضادة فيما عدا الأخوان المسلمين.. و كان يوم الخامس عشر من إبريل سنة ١٩٥٤، هو بداية هذا المخطط إذ اجتمع مجلس الثورة فى هذا اليوم و أصدر القرارات التالية:

١- محاسبة المسئولين عن الفساد السياسى فى العهود الماضية، و إبعادهم عن العمل فى مجال السياسة، و حرمان عدد منهم من الحقوق السياسية.

٢- تطهير الصحافة.

٣- منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام الدراسة بها.

٤- البحث فى إصدار قانون لحماية الثورة و الأسس التى يقوم عليها المجلس الوطنى.

و لم يتوان المجلس فى تنفيذ هذه القرارات ، فأصدر فى اليوم ذاته قراراً يحرم من حق تولى الوظائف العامة و من كافة الحقوق السياسية و تولى إدارة النقابات و الهيئات لمدة عشر سنوات، كل من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة من السادس من فبراير سنة ١٩٤٢إلى ٢٣يوليو سنة ١٩٥٢-أى فى السنوات العشر السابقة للثورة-و كان ينتمى إلى حزب الوفد أو الحزب السعدى أو حزب الأحرار الدستوريين ، أما من لم يكن ينتمى إلى هذه الأحزاب ، فلا ينطبق عليه قرار الحرمان إلا بقرار خاص من مجلس قيادة الثورة. و بموجب هذا القرار، قلمت أظافر الأحزاب ، بإبعاد أقطابها عن الحياة العامة. و جاء الدور على نقابة الصحفيين ، و صدر قرار بحلها لفسادها و قيام سبعة من أعضائها بتقاضى مبالغ جسيمة من المصروفات السرية فى

العهد الماضى، و قد صدر كشف بأسماء الصحفيين الذين تقاضوا مصروفات سرية منهم حسين أبوالفتوح و إحسان عبدالقدوس و فاطمة اليوسف و أبو الخير نجيب و مرسى الشافعي، و إبراهيم عبده. و عبد الرحمن الخميسى، و محمد خالد، و كامل الشناوى. و لم ينس مجلس الثورة حقد الأقلام التى انتهزت فرصة الاضطرابات التى حدثت فى أزمة مارس، فانهالت تشكك فى الثورة ، و تؤلب الناس عليها .. و تقرر تطهير الصحافة.

هكذا أصبحت السلطة الفعلية
تكمن فى يد عبد الناصر

و منذ هذا التاريخ، تغيرت واجهه الثورة، و أصبح عبد الناصر هو المحرك الفعلى لكل أجهزة الدولة، وبدأت فى مصر مرحلة سياسية جديدة. بعد أن تم القضاء على الثورة المضادة. أما نجيب فقد استسلم للأمر الواقع ، و كان مجلس الثورة قد أرسل إليه وفدا يتكون من عبد اللطيف بغدادى و كمال الدين حسين و زكريا محى الدين، لإقناعه بالإكتفاء بمنصب رئيس الجمهورية بحجة أن مجلس الثورة متجه إلى اتخاذ موقف متشدد فى المرحلة المقبلة لمواجهه حالة الفوضى و التسيب التى سادت البلاد ..

و رأى محمد نجيب أن يبعد نفسه عن هذا الاتجاه ، فعرض على الوفد إقتراحاً باكتفائه بمنصب رئاسة الجمهورية، وقيادة مجلس الثورة و ظل الهدوء يسود العلاقة التى تربط نجيب بمجلس الثورة، حتى تم توقيع اتفاقية الجلاء فى التاسع عشر من أكتوبر سنة ١٩٥٤ .. و كانت الاتفاقية محل نقد مرير من بعض القوى المعادية، فقرر عبد الناصر القيام بجولة فى الأقاليم لشرح الاتفاقية و تفنيد اتهامات أعدائه ، و شرح المكاسب التى ستجنيها مصر نتيجة إبرام هذه الاتفاقية. وبدأ عبد الناصر جولته بمدينة الإسكندرية .. و فى ميدان المنشية، وبينما كان عبد الناصر يلقى خطابه المشهور، أطلق عليه الرصاص عضو من جماعة الإخوان المسلمين يدعى محمود عبد اللطيف. و لكن عبد الناصر نجا من الاعتداء. و نقل الأثير صوت عبد الناصر ، و هو يصيح بانفعال و بصوت متهدج، يطلب من الأكداس المتراصة من الشعب فى ميدان المنشية أن تثبت فى مكانها، و يعلن للناس أنهم جميعاً جمال عبد الناصر، و أنه لو مات فلن تقف الثورة. و أصبح عبد الناصر بطل حادث المنشية، و عاد إلى القاهرة فى اليوم التالى بأنتصار، و استقبله الشعب على طول الطريق بالحفاوة و التهليل، و فى القاهرة ا

ستقبل استقبالا تاريخياً حاراً. وواتت الفرصة للتخلص من نجيب، فقد قيل إنه كان متعاوناً مع جماعة الإخوان المسلمين فى تدبيرها، فاجتمع مجلس الثورة و قرر فى الرابع عشر من نوفمبر سنة ١٩٥٤إعفاء نجيب من منصبه، و حددت إقامته فى منزل أعد له بالمرج. و تقرر أن يتولى مجلس الوزراء سلطة رئيس الجمهورية، و أن يحرم نجيب من حقوقه السياسية لمدة عشر سنوات، و استمر عبد الناصر يرأس الوزارة إلى أن تم الاستفتاء عليه كرئيس للجمهورية عند الاستفتاء على الدستور الدائم.

مؤتمر باندونج

ولقد واتت عبد الناصر الفرصة فى مؤتمر باندونج الذى عقد فى إندونيسيا وحضره ثلاثون دولة آسيوية وأفريقية حصلت على استقلالها حديثا لتظهر على المسرح السياسى كقوة محايدة غير منحازة، ويرجع الفضل الأكبر لعقد هذا المؤتمر إلى كل من نهرو رئيس حكومة الهند وشواين لاى رئيس حكومة الصين الشعبية .

غادر عبد الناصر فى شهر أبريل عام ١٩٥٥ مصر للخارج فى رحلة لأول مرة فى حياته - إذا استثنينا خدمته فى السودان فى بدء حياته العسكرية واشتراكه فى حرب فلسطين ثم رحلته القصيرة للسعودية للتعزية فى وفاة الملك عبد العزيز آل سعود-ليحضر مؤتمر باندونج . وقبل سفره تحدث عبد الناصر مع كل من صلاح نصر وعباس رضوان عن الاعتداءات المتكررة من اسرائيل وعن سلسلة الغارات التى قامت بها على الأراضى العربية منذ اكتوبر عام١٩٥٣ : وكان هجوم اسرائيل المسلح فى ٢٨فبراير سنة١٩٥٥ على المنشآت العسكرية القائمة على شريط غزة . لقد كشفت هذه الغارة لعبد الناصر ضعف القوات المسلحة المصرية وكان عبد الناصر قد وعد ضباط جيشه بتسليح حديث ونموفى حجم الجيش تحقيقا لمبدأ إنشاء جيش وطنى قوى الذى جاء ضمن مبادئ الثورة الستة .. ولما كان عبد الناصر يحتاج الجيش حينئذ لتأمين الثورة فقد أقلقه احتمال فقد ولاء الجيش لو تركه بهذه الصورة الضعيفة. كانت حاجة عبد الناصر إلى أسلحة لتدعيم دفاعاته وضمان ولاء جيشه هى شاغله الأول، ولكنه تيقن أن الأسلحة لن يستطيع الحصول عليها من الغرب، فقد أخفق مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة والواقع أن حاجته الفورية للسلاح جعلته يجرى بحثا شاملا لمسألة علاقة مصر بالقوى الكبرى ويتجه إلى اتخاذ موقف الحياد .

تحدث عبد الناصر عن تصوره الأساسى للسياسة المصرية الخارجية، فأشار إلى أنه من

المهم للدول الصغرى أن تحافظ على استقلالها من سيطرة الدول الكبرى وأن تتجنب الإنحياز إلى أى منها . ثم قال إن الحقيقة البارزة الكبرى للموقف الدولى تكمن فى صراع بين كتلتين عظميتين، الغرب تحت زعامة الولايات المتحدة والكتلة الشيوعية تحت زعامة الاتحاد السوفييتى وكان يرى أن تعادلهم التقريبى فى إمكاناتهما العسكرية مقيد للدول الصغرى وبخاصة الدول العربية كما يبين أنه لن يسمح لا للاتحاد السوفييتى ولا الولايات المتحدة بأن يحتل أحدهما منطقة ذات أهمية استراتيجية مثل منطقة الشرق الأوسط، واستطرد قائلا: إن السبيل الوحيد أمام العرب هو الحياد كى يفلتوا من التورط فى الانحياز لإحدى هذه الكتل وانتقل بعد ذلك للحديث عن تورط مصر بثقلها الاقتصادى مع الغرب فلسنوات طويلة كان معظم محصول القطن وهو مصدر أساسى لمصر فى التبادل التجارى- كان يباع فى الأسواق الغربية التى بدأ فيها الطلب على القطن المصرى ينكمش .وسافر عبد الناصر فى رحلته وفى طريقه إلى باندونج أجتمع مع نهرو صاحب مبدأ حياد اسيا وقد اكتشف عبد الناصر أن زعماء الدول المستقلة حديثا فى آسيا وأفريقيا يتفقون مع آرائه -أى الخوف من التورط فى الصراع الدول الكبرى- ويشاركونه آماله فى تشكيل توليفة قد تجد الشعوب الحديثة فيها سبيلا لتنمية اقتصادية واجتماعية وتمكنها من أن تلعب دورا فى تشكيل المسائل الدولية .

ولقد أصغى هؤلاء الزعماء إليه باحترام كمتحدث عن وجهة نظر عربية، وليس كمجرد زعيم مصرى. وكان من الأمور البارزة فى هذا المؤتمر اتصاله مع شواين لاى ممثل جمهورية الصين الشعبية فى المؤتمر الذى استطاع بمهارته أن يضفى على أعضاء المؤتمر إحساسا بأن الصين تواقة إلى تحقيق رفاهية للدول الأفريقية والآسيوية المستقله حديثا ، وقد أقنع شواين لاى الكثيرين من الزعماء بأن الشيوعيين يريدون بكل مشاعرهم مساعدتهم على منع الإمبريالية من إعادة السيطرة على بلادهم .ولقد استطاع عبد الناصر فى صيف سنة١٩٥٥ أن يطور من مبدأ الحياد بحيث يتناسب مع إطار القومية العربية وأصبح يعرف هذا المبدأ "الحياد الإيجابى "، وكان عبد الناصر يأمل فى ازدياد الطلب على القطن المصرى من الكتلة الشرقية ومن الدول غير المنحازة فى آسيا فضلا عن أن دول الكتلة السوفيتية كانت قد أصبحت تنتج سلعا مصنعة بكميات أكبر مما تحتاجه السوق ولذلك وصل عبد الناصر إلى نتيجة بأن الطريق كان واضحا أمام مصر كى توازن بين علاقتها الاقتصادية بين الغرب والشرق، ومن ناحية أخرى كان يرى أنه من المرغوب فيه تنمية تجارة مصر مع الدول غير المنحازة، وبذلك تستطيع مصر أن تحرر تجارتها فى ثلاث اتجاهات .

الروس يظهرون على السطح

فى مؤتمر باندونج لقى عبد الناصر حفاوة بالغة من شواين لاى، وتبادلا وجهات النظر وحينما قام شواين لاى بسؤال عبد الناصر عن الموقف فى الشرق الأوسط انتهز عبد الناصر الفرصة ليعبر له عن مدى التهديد الذى تواجهه مصر من إسرائيل وعن حاجة مصر الماسة للأسلحة وعن إخفاقه فى الحصول عليها من الغرب دون التفريط فى سيادة مصر وهنا سأل عبد الناصر شواين لاى عما إذا كانت الصين يمكنها أن تمد مصر بالأسلحة .

ولكن شواين لاى ذكر لعبد الناصر أن الصين تعتمد على موسكو فى هذا المجال واقترح عليه أن يطلب الأسلحة مباشرة من موسكو وعاد عبد الناصر إلى القاهرة بعد انتهاء مؤتمر باندونج وكان برفقته صلاح سالم عضو مجلس الثورة وبعد عدة أيام من عودة عبد الناصر أتصل دانييل سولود السفير الروسى فى القاهرة بصلاح سالم وأبلغه أن بكين أبلغت موسكو حاجة الحكومة المصرية للأسلحة وقد ردت موسكو بأنها ترحب بطلب الحكومة المصرية للأسلحة وأنها على استعداد لمدها بأية كمية من الأسلحة بما فى ذلك الدبابات والطائرات الحديثة على أن تدفع مصر ثمنها أقساطا مؤجلة فى شكل سلع من القطن والأرز المصرى وفضلا عن ذلك أبدى السفير الروسى استعداد موسكو لمعاونة مصر فى أى مشروع صناعى مثل بناء السد العالى لتخزين المياة الزائدة من مياه النيل ومد مصر بقوة كهربية المتولدة من مساقط مياه المشروع لنتساءل: لماذا غيرت روسيا سياستها إزاء منطقة الشرق الأوسط ؟ أليست روسيا أول من أنضم الى الولايات المتحدة للاعتراف بإسرائيل عقب إعلان قيامها مباشرة وأول من أنضم إلى واشنطن أيضا للموافقة على تقسيم الأمم المتحدة لفلسطين ؟ أليست موسكو هى التى كلفت تشيكوسلوفاكيا لمد إسرائيل فى حرب ٤٨ بالأسلحة التى تمكنها

من النصر فى حربها مع الدول العربية كانت موسكو ترى أن إسرائيل دولة تقدمية قامت وسط الدول العربية الرجعية ،ولذا ينبغى مساعدتها ولكن الأحداث تطورت فى المنطقة إذ قامت الثورة المصرية فى يوليو سنة ١٩٥٢ وانتشرت دعوة التحرر فرأت موسكو مساعدة الدول التى تسعى للتحرر بهدف أن تضمها إلى معسكرها .ولقد ساعدت الأحداث على تغيير موقف روسيا من إسرائيل. ففى شهر فبراير سنة ١٩٥٣ انفجرت قنبلة فى السفارة الروسية فى تل أبيب فبادرت موسكو بقطع علاقتها الدبلوماسية مع تل أبيب وفى شهر مارس استخدمت حق الفيتو على قرار فى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة يؤكد حق اسرائيل فى المرور عبر قناة السويس وانتهز السوفييت فرصة مساومة الغرب للعرب لمدهم بالأسلحة وحاولوا أن يبدوا كالملائكة الذين يقدمون العون دون أى ارتباطات أو شرط .

ولم يكن عبد الناصر متحمسا فى بادئ الأمر لعرض السوفييت فهو لم ينس مواقفهم السالفة من العرب كما أنه كان يخشى أن تتحكم موسكو فى السوق المصرية إذا ما رهن محصول الأرز او القطن لتسديد ثمن الأسلحة وتذكر ما فعله الانجليز من قبل فى سوق القطن المصرية وتحكمهم فيه لصالح الغزالين البريطانيين هذا فضلا عن أن القوات المسلحة المصرية تعودت على استخدام الأسلحة والمعدات الغربية ومعنى ذلك إعادة تكوين جيش جديد بأسلحة جديدة وبعقيدة عسكرية جديدة ولكن الأحداث تطورت مما جعل عبد الناصر يتجه إلى موسكو (*) ففى شهر مارس سنة١٩٥٥ تجمعت حشود تركية على الحدود السورية فاسرعت القاهرة باذاعة إنذار لتركيا تحذرها من تهديدها لاية دولة مجاورة تعارض الإنضمام إلى حلف بغداد ومع أن عبد الناصر حذر لندن وواشنطن عن طريق سفيريهما فى القاهرة بأنه سيلجأ إلى موسكو لإمداده بما يحتاج من أسلحة، فإنهما لم يكترثا لتهديداته ومن ثم اتجه عبد الناصر إلى موسكو وبدأت المناقشات بين صلاح سالم وسولود السفير السوفييتى وفى نهاية شهر يونيو أقترح سولود على صلاح سالم أن تقوم الحكومة المصرية بدعوة ديمترى شيبلوف لزيارة القاهرة بمناسبة عيد الثورة الثالث وكان شيبلوف قد خلف مولوتوف كوزير للخارجية السوفيتية ولعب دورا مهما فى عقد صفقة الأسلحة . وصل شيبلوف إلى القاهرة فى شهر يوليو سنة١٩٥٥ بناءً على دعوة من القاهرة وفى أيام قليلة قدم مشروعا لاتفاقية تستطيع مصر بموجبها أن تشترى أسلحة روسية بما قيمتها ٨٠مليون دولار متضمنا ذلك مقاتلات طراز ميج قاذفات طراز إليوشن ودبابات طراز ستالين ومعدات أخرى على أن تدفع قيمتها

(*) يونيو ٢١ سنة ١٩٥٥

مذكرة عن احتمالات شراء الأسلحة من الاتحاد السوفيتى صورة منشوة في الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (١) صفحة ٦١٣

بالقطن المصرى .ومع أن الصفقة كانت من الناحية الرسمية مع الحكومة التشيكية فإن الأسلحة التى ستورد لمصر ستكون روسية الصنع. ولقد سافر الوفد العسكرى الى براغ برئاسة العقيد محمد حافظ اسماعيل مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة وعضوية كل من قائد الجناح محمد شوكت والصاغ عباس رضوان للتفاوض على الأسلحة، التى وعد بها السوفييت وقام عبد الناصر فى ٢٧ من سبتمبر بإعلانه للعالم الخارجى أنه قد وقع اتفاقا مع السوفييت، لإمداده بأسلحة روسية مقابل الدفع بالقطن المصرى .ويعقد صفقة الأسلحة التشيكية كسر عبد الناصر احتكار الغرب للسلاح الذى كان يعد علاقة مميزة للغرب بالعرب منذ أن بدأوا فى تكوين جيوش حديثة .وأخذت الأسلحة السوفيتية تتدفق إلى مصر بينما كانت القوات البريطانية تجلو عن قناة السويس وفقا لاتفاقية الجلاء التى أبرمت عام ١٩٥٤ ، ولقد احتفل بإتمام الجلاء فى يونيو عام١٩٥٦ ، وأجرى عرض عسكرى كبير للقوات المسلحة المصرية ضم كميات ضخمة من الأسلحة السوفيتية الجديدة واستغل عبد الناصر هذه الفرصة فأقنع بعض الدول العربية بالاشتراك بقوات رمزية فى هذا العرض فسارت فى العرض سرية من فيلق الجيش العربى الأردنى بزيها العربى الجذاب وسرية هجانة سودانية بملامح جنودها التى تعبر عن الطيبة والإصرار ووحدات من قوات الانزلاق على الجليد اللبنانية بأزيائهم البيضاء التى كانت تنصع تحت شمس القاهرة الساطعة.. كل هذه القوات تحركت تحت سماء القاهرة المشرقة مع القوات المصرية كرمز للمشاركة الوجدانية. لهذه الأسباب التاريخية وعلى المنصة التى أعدت فى ميدان عابدين أمام قصر الملك فاروق الذى شهد أحداثا بارزة فى تاريخ مصر الحديث منذ ثورة عرابى حتى ثورة يوليو ٥٢ جلس ديمترى شيبلوف وزير خارجية السوفييت فى المنصة الرئيسية كضيف شرف مزهوا كالطاووس كلما مرت دبابات ستالين الصاخبة وكلما سمع فى السماء أزيز الطائرات الميج الخاطفة أمام عبد الناصر الذى كان صاحب العرض فكان يجلس وفى ذهنه شئ آخر لقد أكد ما يجرى أمامه صحة سياسته فى الحياد هذا المبدأ الذى كان يريد أن ينشره بين الدول العربية .

صدامات الحدود

كان قرار عبد الناصر بدفع الفدائيين داخل الأراضي الإسرائيلية من أهم القرارات التي أتخذها عبد الناصر بعد غارة إسرائيل على غزة. وقد أدى ذلك إلى وقوع موسى شاريت تحت ضغط عنيف داخل إسرائيل كي يرد على أعمال الفدائيين المصريين لكن تردده أدى إلى استقالته وخلفه بن جوريون في رئاسة الوزراء الإسرائيلية في نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

وعاد شاريت مرة أخرى وزيرا للخارجية وبعد سبعة شهور تالية ترك منصبه وحلت مكانه جولدا مائير وعاد بن جوريون للحكم ليجدد منهاجه في استخدام العنف إذ أعلن أن إسرائيل سوف تستخدم القوة- إذا تطلب الأمر- لفتح الممر البحري إلى إيلات الذي أغلقته مصر سنة ١٩٤٨ . ولم تكتف إسرائيل بالانتقام من الفدائيين، بل عملت على زيادة التوتر باستخدام الإثارة التي أغضبت القادة العسكريين المصريين فقد ظل عبد الناصر يكبح جماح تلك القيادات فهو لا يريد أن يدخل في مواجهات عسكرية مع إسرائيل في وقت ومكان غير مناسبين(*).. فالجيش المصري يحتاج إلى شهور عديدة للتدريب على الأسلحة الروسية التي وعدته بها موسكو كما أنه لم يشأ أن يدخل في مغامرة غير مدروسة ومن ثمة اقترح عبد الناصر على الجنرال بيرنز رئيس مراقبي الهدنة التابع للأمم المتحدة أن يسحب كل طرف قواته كيلو مترا واحداً من خط الحدود المعين ومع أن إسرائيل رفضت هذا الأقتراح على أساس أنه يفقدها سيادتها على أرضها فقد قبل عبد الناصر سحب القوات المصرية بأمل الايتورط في اشتباك كبير مع اسرائيل

(*) عقد اجتماع بين محمود فوزى ووزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية في يونيو ١٩٥٦ وكان ذلك اول اجتماع لبحث مشكلة مصر واسرائيل، وقد أوضح الدكتور فوزي وجهة نظر مصر والرئيس عبد الناصر في المشكلة.
- صورة مذكرة الاجتماع منشوة في الملحق الوثائقي لهذا الكتاب تحت رقم (٢) صفحة ٦١٥

كان لابد لعبد الناصر ألا يظهر بمظهر المتقاعس عن الرد على هجمات اسرائيل أمام ضباط جيشه وإزاء اللاجئين الفلسطينيين، ومن ثم قرر فى أبريل سنة ١٩٥٥أن يدفع بالفدائيين المصريين داخل الحدود الإسرائيلية كانت أعمال الفدائيين المصريين بمثابة ذريعة لإسرائيل استغلها بن جوريون كى يقوم بعدة عمليات أنتقامية ضد أعدائه ... وقد حاول عبد الناصر الأبتعاد عن أية مواجهة كبيرة مع إسرائيل ولكنه وجد نفسه فى السنة والنصف التالية لغارة غزة وقد أصبح لايجابه بن جوريون فحسب بل أصبح أيضا فى صدام مع دالاس وايدن اللذين رأيا فى حياد عبد الناصر ستارا روسيا موجها ضد مصالح بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية فى الشرق الأوسط .

تدهور العلاقات مع بريطانيا وفرنسا

ما أن اقتربت سنة ١٩٥٥ من نهايتها حتى أحست لندن وواشنطن أن سياسة الضغط على عبد الناصر لن تمكنهما من فرض نفوذهما على مصر، ولذلك نجدهما يصدران قرارهما بتمويل السد العالى بالمشاركة مع البنك الدولى .

كان عبد الناصر يعول كثيرا على مشروع السد العالى، ويعده كأحد إنجازات الثورة، ولذا ما أن صدر قرار لندن وواشنطن - سالف الذكر- حتى بادر بإرسال عبد المنعم القيسونى وزير ماليته على رأس وفد من الفنيين الى الولايات المتحدة لمناقشة موضوع بناء السد العالى . ومع أن الولايات المتحدة وبريطانيا كانتا لاتزالان ممتنعتين عن مد عبد الناصر بالسلاح الذى يحتاجه(*)، فقد قرر الرئيس أيزنهاور رفض طلب إسرائيل بمدها بخمسين طائرة نفاثة عدا كمية من الدبابات وبعض من المعدات الثقيلة كى توازن ما ستقوم روسيا بمده لمصر من أسلحة.(**) ولكن الأحداث تطورت لتثير النزاع بين عبد الناصر والغرب، فبالرغم من الوعود التى أعلنتها كل من واشنطن ولندن للمساهة فى بناء السد العالى حدث ماخيب الآمال .

(*) برقية من السفارة الامريكية بمصر الي وزارة الخارجية الامريكية ..... فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٥ .
مضمونها رغبة مصر في شراء أسلحة من امريكا، وهناك معلومات أن مصر تتفاوض مع الاتحاد السوفيتى لشراء أسلحة، والسفير الامريكى تكلم مع عبد الناصر عن تأثير الشيوعية في مصر وتأثيرها علي العالم العربي مجتمعين ورد عبد الناصر بأن جميع الشيوعيين في سجون مصر. ولم يطمئن السفير لكلامه، قال له ناصر ايضا أنا احتاج سلاح لأمن مصر من اسرائيل ولهذا فأنا في حاجة الى سلاح سواء منكم او اى جهة اخرى وقد اجبت ناصر بأننا لا نمانع اذا انتم تريدون الأسلحة من جهات اخرى (عملية مماطلة من الأمريكان لايريدون تمويل السد العالى ولا تقديم أسلحة لمصر).
- صورة مذكرة الاجتماع منشوة في الملحق الوثائقى لهذا الكتاب تحت رقم (٣) صفحة ٦١٩

(**) خطاب بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٩٥٥ من رئيس المخابرات الأمريكية للسيد وزير الخارجية حول المعلومات التى وصلت من سفير امريكا في مصر (هنرى بايرود) عن مقابلته مع السيد أحمد حسين سفير مصر السابق في الولايات المتحدة حول تمويل السد العالى وأن مصر ستعطى القطن للاتحاد السوفيتى مقابل تسليحها بأسلحة سوفيتية.
وبالخطاب معلومات جاءت من سفير مصر (أحمد حسين) سفير مصر ف واشنطن ، ان مصر ستعطى قطن للاتحاد السوفيتى ويأخذوا بدلا منه مائة طائرة ميج و ٢٠٠ دبابة وقاذفات قنابل إليوشن ٢٨، ثم سمع من راديو موسكو باللغة العربية نفس الموضوع، ورايى أن هذه المعلومات غير صحيحة، ونعرف ان الاتحاد السوفيتى يستطيع أن يعطى هذه الاسلحة ولكننا لانصدق حجم هذه الكمية (والحقيقة ان الاسلحة كانت اكثر بكثير كما عرف فيما بعد) وقد سأل رئيس المخابرات الأمريكية نظيره في انجلترا فقال له إن المصريين يحبون البلف فلا تصدقهم.
- صورة الخطاب منشوة في بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (٤) صفحة ٦٢١

السـد العـالي

كان مشروع السد العالى أحد المنجزات الكبرى لثورة ٢٣يوليو ومظهراً مهماً من مظاهر سياستها الداخلية . ذلك أن الثورة كانت تواجه في مصر مشكلة النمو السكانى الرهيب، فحينما قامت الثورة كان تعداد سكان مصر قد بلغ ثمانية عشر مليون نسمة بينما لم تزد رقعة الأرض منذ أيام محمد على لتواجه النمو السكانى الهائل ..

وكانت مساحة الأراضى المنزرعة في عهد محمد على أربعة ملايين فدان بينما لم يزد عدد سكان مصر حينئذ على أربعة ملايين نسمة، وكان لابد للثورة أن تبحث عن مشروع لزيادة رقعة الأرض المنزرعة كان مشروع السد العالى قد وضع على أساس أنه سوف يسمح بزراعة مليون فدان جديدة ويحول ما يقرب من ثلاثة أرباع مليون فدان من رى الحياض إلى رى دائم، وكان المشروع يهدف إلى الاحتفاظ بمياه الفيضان التي تلقى في البحر سدى لاستخدامها في سنين الجفاف، هذا فضلا عن الطاقة الكهربائية التي ستتولد من إنشاء السد العالى لاستخدامها في تصنيع البلاد. ولذلك قامت الثورة في الشهور الأولى من قيامها بالاتجاه الى المانيا الاتحادية لإعداد مشروع السد العالى، ومع أن الحكومة الألمانية وافقت على الفكرة فقد ظهرت على السطح مشكلة التمويل فالمشروع يحتاج إلى تمويل ضخم بينما كانت خزانة مصر تفتقر إلى العملات الاجنبية التي يحتاجها المشروع . ومن ثم اتجه عبد الناصر إلى واشنطن ولندن والبنك الدولى لمعاونته في تنفيذ المشروع .. وفى عام ١٩٥٥ بعد أن قام البنك الدولى بدراسة المشروع اتفقت كل من واشنطن ولندن على تمويل المشرع بالاشتراك مع البنك الدولى الذى كان سيدفع نصف العملات الصعبة التي يحتاجها المشروع، بينما تتكفل حكومتا واشنطن ولندن بالنصف الآخر .

وفى نوفمبر سنة ١٩٥٥ وسافر عبد المنعم القيسونى وزير مالية مصر إلى واشنطن كى

يبدأ المفوضات مع يوجين بلاك وممثلى الحكومتين الأمريكية والبريطانية . وفى شهر ديسمبر أعلن البنك الدولى أنه سوف يقدم بالاشتراك مع دولتين غربيتين التمويل اللازم لبناء السد العالى، لكن المشروع ارتطم بالعراقيل منذ البداية، ذلك أن الغرب قدم مذكرة تفسيرية وضع فيها شروطا مجحفة كأساس لتنفيذ المشروع ،وأحس عبد الناصر بأن قوى الغرب تسعى للسيطرة على اقتصاد مصر واضعا في ذهنه ما حدث لمصر في عهد الخديوى اسماعيل من ابتزاز وضياع استقلال مصر (*).. فهو اذا سلم بالشروط التي قدمها الغرب لبدء المرحلة الأولى من مشروع السد، فإنه سوف يتعرض في المرحلة التالية لشروط أشد إجحافا قد تؤدى إلى السيطرة الغرب على اقتصاد مصر ثم التسليم في النهاية باستقلال مصر .

ورفض عبد الناصر هذه الشروط في غضب، فبادر دالاس بإيفاد يوجين بلاك رئيس البنك الدولى إلى القاهرة كى يشرح لعبد الناصر الدوافع وراء هذه الشروط، وقابل يوجين عبد الناصر وحاول أن يقنعه بدبلوماسية رجل المصرف أن يوافق على الشروط التي جاءت في المذكرة التفسيرية، ولكن عبد الناصر رفض في إصرار بأن يسلم بأى إشراف مالى من الخارج على خزانة مصر .. وما أن وصلت دالاس أنباء إخفاق مهمة بلاك حتى أبرق إلى كيرميت روزفيلت ممثل المخابرات المركزية الأمريكية في أثينا كى يطير فورا إلى القاهرة لتهدئة الموقف .وانضم كيرميت روزفلت إلى بلاك محاولا إقناع عبد الناصر بما يريده البنك الدولى، ونجح بلاك أخيرا في إقناع عبد الناصر على بعض حقوق البنك في الإشراف على الإجراءات التي تكفل عدم حدوث تضخم في مصر. وفى ٨ فبراير ١٩٥٦ أعلن البنك الدولى أنه تم الاتفاق على أن يقوم البنك الدولى بمد مصر بقرض قدره مائتا مليون من الدولارات(**) .. ولكن الأحداث تطورت لتقلب الأوضاع ففى نهاية عام ١٩٥٥ أرسل دالاس خلال المراحل الأولى من مناقشات موضوع السد روبرت اندرسون المليونير الأمريكى كمبعوث له إلى منطقة الشرق الأوسط كى يقنع عبد الناصر بن جوريون باحتمالات الوصول إلى تسوية، ولكن صادف زيارة أندرسون هجوم اسرائيلى على سوريا في ديسمبر سنة١٩٥٥مما حدا بعبد الناصر أن يبلغ المبعوث الأمريكى إستحالة جلوس مصر وإسرائيل على منضدة واحدة وبخاصة بعد هجوم إسرائيل

(*) مذكرة بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٦ عن وجهة نظرها بأن بناء السد العالي سوف يكون مكلفا ميزانية الحكومة المصرية، وعلاوة على ذلك سوف يؤثر على مجري مياه النيل علي السودان وأثيوبيا ويوغندا. وفوق ذلك ستكون مصر في حالة تقشف لمدة من ١٢ الى ١٦ عاماً لتدفع مصر حصتها من تمويل السد ويبلغ تسعمائة مليون دولار .

(**)صورة مذكرة حول محادثات وزير الخارجية ، ومساعد وزير الخارجية. وأحمد حسين سفير مصر فى الولايات المتحدة. والسيد چورچ ألن، والسيد وليام . م. رونترى حول موضوع تمويل السد العالى بتاريخ ١٩ يوليو ١٩٥٦ .

– صورة المذكرتين منشورتان بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (٥) صفحة ٦٢٣

المتكرر على الأراضى العربية . لقد أحس دالاس بمرارة نحو عبد الناصر الذى دمر مهمة أندرسون، كما بدأ حماس دالاس لبناء السد العالى يفتر نتيجة مواقف عبد الناصر من صفقة الأسلحة الروسية وحلف بغداد .. والواقع أن دالاس نظر إلى مشروع السد العالى بنظرة شخصية من عبد الناصر، فهو يرى أنه المسئول عن هدم كل مخططاته في منطقة الشرق الأوسط، كما كان دالاس يشك في قدرة الروس على تشييد السد العالى، ولذلك قرر ألا يحقق لعبد الناصر حلم بناء الهرم الجديد وكان يظن أن الشعب المصرى سوف يطيح بعبد الناصر لو أخفق مشروع السد العالى. ومن ناحية أخرى كان إيدن قد أعلن حرب نفسية شعواء على عبد الناصر بعد أن طرد الملك حسين جلوب من قيادة الفيلق العربى الأردنى في شهر مارس فقد ظن أن عبد الناصر وراء كل المتاعب التي تواجهها بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط. وأخذ رجال المخابرات الامريكية بالاشتراك مع نظرائهم البريطانيين في تدبير انقلاب في مصر على نظام عبد الناصر مشابه للانقلاب الذى أطاح بحكومة مصدق في إيران، وكان خروشوف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفييتى وبولجانين رئيس الوزراء السوفييتى قد قاما بزيارة رسمية إلى لندن لإجراء محادثات مع الحكومة البريطانية، وخلال الزيارة صرح إيدن بأن بريطانيا قد تلجأ إلى القتال - إذا لزم الأمر - لحماية مصالحها البترولية في الشرق الاوسط.. كان يكمن في هذا التصريح تهديد مستتر للروس الذين كانوا قد أتموا عقد صفقة الأسلحة الثانية مع مصر .. وكان خروشوف نسف محادثاته مع لندن فحاول أن يظهر حسن نوايا السوفييت بأن صرح في مؤتمر صحفى عقده قبل مغادرته لندن ما يشير إلى أن روسيا على استعداد أن تساهم مع الأمم في فرض حظر على إمداد المناطق المضطربة مثل الشرق الأوسط " بالسلاح"... وقد أقلق عبد الناصر هذا التصريح إذ خشى أن ينجح الغرب في الضغط على السوفييت فيوقفوا إمداده بالسلاح . ولذا حاول أن يتجه إلى مصدر آخر لايخضع لحظر الأمم المتحدة ووجد ضالته في الصين الشعبية.. ولكن الصين لاتستطيع أن تمد عبد الناصر بالأسلحة فمازالت تعتمد على الروس في هذا المجال، ولاتستطيع أن تقوم بأكثر من وسيط بين مصر والسوفييت بالرغم من الصداقة التي ربطت بين شواين لاى وعبد الناصر في مؤتمر باندونج، فإن مصر مازالت غير معترفة بالصين الشعبية .

وقرر عبد الناصر الاعتراف بالصين الشعبية وأعلن ذلك فى١٦مايو ١٩٥٦ معلنا تبادل السفراء بين حكومتى بكين والقاهرة، وهاج دالاس وثار وازداد سخطه على عبد الناصر .. مع أن إسرائيل كانت قد اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠دون أن يسبب ذلك أدنى إزعاج لواشنطن، ورغم موافقة عبد الناصر على الشروط الأنجلو -أمريكية، إلا أن دالاس كان قد قرر

سحب العرض الأمريكى، وقام بإبلاغ السفير المصرى بأن حكومة الولايات المتحدة قد وصلت إلى قرار بأن اقتصاد مصر لايستطيع أن يتحمل أعباء بناء السد العالى ؛ ومن ثم قررت حكومة واشنطن سحب عرضها بتقديم المعونة المالية(*) ... وبعد أربع وعشرين ساعة أخرى أعلن إيدن أن بريطانيا قررت سحب عرضها أيضا .

ولما كان اكتتاب البنك الدولى يتوقف على مشاركة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، فقد أصبحت مشاركة البنك الدولى غير قائمة، وظن دالاس أنه هدم المعبد على عبد الناصر، ولكن الواقع أن دالاس هدم المعبد على النفوذ الغربى ليس في مصر فحسب، بل في العالم العربى بأكمله .

(*) اعلان الخارجية الأمريكية فى ١٩ يوليو ١٩٥٦: سحب الولايات المتحدة الأمريكية تعرضها لبناء السد العالى

- صورة المذكرة منشورة بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (٦) صفحة ٦٣٠

تأميم قناة السويس

أعلن البنك الدولي في ٢٣ من يوليو أن عرضه لتقديم قرض لتمويل بناء السد العالي أصبح غير قائم بعد سحب واشنطن ولندن عرضيهما، في ذلك الوقت كان عبد الناصر يجتمع مع تيتو ونهرو في جزيرة بريوني على ساحل الأدرياتيكي اليوغسلافي.

وقد أثارته هذه الإجراءات فعاد فورا إلى مصر وألقى في الإسكندرية يوم ٢٦ يوليو -وهو ذكرى تنازل الملك فاروق عن عرشه ومغادرته أرض مصر- خطابا تاريخيا مثيرا أمام جمع حاشد في الإسكندرية أعلن فيه تأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية، وكان أبرز النقاط التي وضحها عبد الناصر سيطرة القوة الغربية فيما مضى على الدول العربية .. وعاد فأكد أنه بعد تحققت حرية مصر السياسية، وبعد أن اتحد أبناء الشعب المصري في تحالف وطني يعارض الإمبريالية والسيطرة والاستغلال والحكم الجائر أصبح الغرب يضع مصر في حسبانه .وتحدث عن المشاكل التي ناقشها في بريوني مع تيتو ونهرو : مشكلة ألمانيا في أوروبا ، مشكلة الصين في آسيا ، مشكلتي فلسطين والجزائر اللتين تهمان الدول العربية والشعب العربي بأجمعه . وبين عبد الناصر في خطابه أن آراء تيتو ونهرو كانت متماشية خلال المناقشات مع الخط العربي، وأن العرب استطاعوا بذلك أن يستولوا على حصن آخر، وأن يؤكدوا وجودهم في العالم. كان على عبد الناصر أن يعيد تقييم علاقته مع الغرب، إذ رسخ في ذهنه أن الغرب لن يتوانى في اقتناص أي فرصة لإخضاع مصر والدول العربية والسيطرة عليها ، كما أن محاولة الغرب جر مصر إلى تحالف دفاعي قد أكدت جانبا نفسيا في تفكير عبد الناصر بأن الغرب مصر على تقييد حرية مصر في العمل .

وكان ما يزعج عبد الناصر ويقلقه هو تدفق الأسلحة إلى إسرائيل بكميات تفوق ما يسمح به الغرب للعرب مع الفرق الشاسع بين القوى البشرية للجانبين ، على أن مازاد النار

اشتعالا موقف دالاس من سحب عرض الولايات المتحدة لتمويل السد العالى وما ترتب عليه من انسحاب بريطانيا والبنك الدولى(*) ... كان عبد الناصر يأمل أن يسد السوفييت الفراغ الذى تركة الغرب، وكان من المتوقع أن يقوم عبد الناصر بزيارة الاتحاد السوفييتى في الشهر التالى لتأميم القناة مما تتيحه له فرصة الالتقاء مع خروشوف .ولكن أزعجة تصريح شبيلوف وزير خارجية السوفييت الذى أعلنه بعد يومين من إعلان دالاس سحبه لعرض تمويل السد العالى إذ قال إن موسكو غير مهتمة بالمشاركة في مشروع السد العالى .

وكان عبد الناصر يظن في بادئ الأمر أن البنك الدولى هو الذى غير وجهة نظره إزاء قدرة مصر على بناء السد العالى، وأنه هو الذى دفع دالاس لسحب العرض ولذلك ظن عبد الناصر أن بلاك قد خدعه عندما حثه على الموافقة على الشروط التي جاءت في المذكرة التفسيرية . ولكن عبد الناصر تيقن فيما بعد أن بلاك لم يؤخذ رأيه في سحب عرض التمويل ومن ثم عادت العلاقات الودية بين عبد الناصر ورئيس البنك الدولى بعد أن قام عبد الناصر بمواجهته وتشبيهه بـ"دليسبس" صاحب مشروع قناة السويس الذى جاء إلى مصر كمصاص دماء اجنبى ليستغل موارد مصر وجهد شعبها في خدمة أطماع إمبريالية القرن التاسع عشر . على أن فكرة الحصول على العملة الأجنبية عن طريق تأميم قناة السويس لم تكن فكرة حديثة تماما إذ كان يدور في ذهن عبد الناصر بعد توقيع معاهدة الجلاء فكرة الاستيلاء على شركة قناة السويس في مرحله تالية، فهو يرى أن مصر كدولة مستقله لا يمكنها أن تسمح لقوى أجنبية أن تسيطر على أهم مورد من موارد دخلها القومى .ومع أن عبد الناصر كان يشعر بأن لديه من الأسباب المعنوية ما يبرر قيامه بالاستيلاء على شركة قناة السويس - فلم يكن واثقا من أن هذا الإجراء سوف يحل مشكلة بناء السد العالى- فقد كان عليه أن يعوض المساهمين في الشركة مما يجعل ما يتبقى من دخل القناة لايكفى لبناء السد، وحتى لو فرض أنه أمكن الحصول على دخل القناة الذى بلغ عام ١٩٥٥- ٩١مليون دولار- فلا يزال يحتاج إلى المساعدة الفنية لتشييده. وكان عبد الناصر قد هاجم واشنطن يوم ٢٤يوليو ١٩٥٦ في خطاب

(*) مذكرة بتاريخ ٢١ يونيو ١٩٩٥ من مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط فى واشنطن إلى نائب وكيل وزارة الخارجية الامريكية بواشنطن . انه يوجد رسائل بين الحكومة المصرية والاتحاد السوفيتى على شراء أسلحة منهم وحلفائهم مقابل القطن المصرى، وان هذه أول مرة سيصدر الاتحاد السوفيتى اسلحة خارج البلاد والتى تمت سيطرتهم عليها مثل رومانيا والتى وعدت مصر بتزويدها منتجات بتروليه بتكلفة ثمانية مليون دولار ونصف مقابل القطن المصرى وهناك قلق بعد مؤتمر باندونج لأن مصر والصين الشيوعية يناقشون قيام تبادل تجارى مقابل القطن المصرى؛ وهناك قلق أن تفتح المنطقة الباب مع العالم الثالث.

- صورة الخطاب منشورة بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (٧) صفحة ٦٣١

له ألقاه بمناسبة افتتاح خط أنابيب جديد يمتد من السويس إلى القاهرة .. قال عبد الناصر: حينما أذاعت واشنطن الكذبة بأن اقتصاد مصر غير سليم واجهتهم وجها لوجه وقلت لهم موتوا بغيظكم فلن تستطيعوا أن تفرضوا أنفسكم على مصر . وتغلب عبد الناصر على ما يواجهه من عقابات المعونة الفنية إذ اتجه إلى موسكو عن طريق سفيرها في القاهرة ييفيجيني كيسليف، ووصلت السفير السوفييتي حينئذ تعليمات بأن يبلغ عبد الناصر أن موسكو على استعداد لمساعدته في بناء السد العالى . ومع أن عبد الناصر كان متصلا بموسكو للتفاوض على بناء السد العالى فإنه لم يتحدث معه كلمة واحدة عن نواياه لتأميم قناة السويس .. حتى في الداخل لم يتحدث مع أحد في هذا القرار الإفى آخر لحظة. ففى القطار الذى استقله عبد الناصر وبعض زملائه الى الاسكندرية يوم ٢٦يوليو لإعلان قرار التأميم في خطاب ألقاه في ميدان المنشية، عرف عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة بقرار التأميم لأول مرة، وقد ترك هذا الأمر أثراً سيئا في نفسية عبد الحكيم عامر، وقال لعبد الناصر أما كان ينبغي أن تبلغ هذا القرار للقائد العام للقوات المسلحة في وقت مبكر ليقرر عما إذا كانت القوات المسلحة تستطيع أن تحمى الغرض السياسى الذى قررته واسترسل المشير: كيف أكون أنا قائداً وتتخذ هذا القرار الخطير دون أن تبلغنى لتعرف إذا كان الجيش بإمكانياته الحالية قادرا على تنفيذ هذا القرار أم لا ؟ !! ولما ناقش عامر حتمال نشوب حرب وتدخل الدول الكبرى مع إسرائيل، كان رأى جمال أن فرنسا مشغولة بالجزائر، وأن إسرائيل ما زالت تحبو وخففت من غارتها علينا ولا يعقل أن تقوى على الوصول إلى قناة السويس. وحاول عامر في الإسكندرية إثناء جمال عن إعلان قرار التأميم. وأذكر أنى سمعت من عبد الحكيم كلاما مفاده أن القرار لم يكن له داع، و أن ما يسعى إليه الآن آت بعد انتهاء مدة عقد الامتياز، وأن هذا الهدف لايستحق التضحية الجسيمة بتعريض البلاد لاحتمالات الحرب في ظروف كان الجيش يعانى فيها نقصاً في الأسلحة والذخائر وعدم استكمال التدريب على الأسلحة الجديدة التشيكوسلوفاكية البديلة عن الأسلحة الغربية التي تمرس عليها ... لكن عبد الناصر يميل إلى إخفاء نواياه حتى عن أقرب زملائه. كان يخشى أن تتسرب أية معلومات تفسد خططه وهكذا نجده يستدعى المهندس محمود يونس الذى كان عليه أن ينفذ قرار التأميم ويبلغه بما ينبغي عمله ويطلب منه مراعاة السرية التامة . لقد سلمة عبد الناصر مظروفا مختوما وطلب منه أن يفتح المظروف حينما يسمع في الإذاعة ذكر أسم دليسبس أثناء إلقاء عبد الناصر خطابه في الاسكندرية .. وعلى محمود يونس ومساعديه أن يتحركوا إلى مكاتب الشركة في الإسماعيلية والسويس وبورسعيد وينفذوا التعليمات الأخيرة ... وفى

الخطاب الذى ألقاه عبد الناصر ٢٦يوليو١٩٥٦ في الاسكندرية ذكر عبد الناصر المستمعين بالمهانة التي كان يفرضها المستعمر على الشعب المصرى قبل قيام الثورة، قال عبد الناصر : لقد أعادت الثورة للشعب كرامته بعد أن كان قد سلبها المندوب السامى البريطانى ثم السفير البريطانى فيما بعد. وأخذ عبد الناصر يبرر في خطابه الأسباب التي دفعته للجوء إلى الروس لشراء أسلحة روسيا بعد غارة اسرائيل على غزة في فبراير سنة١٩٥٥، فقال للمستمعين انه سواء كانت هذه الأسلحة شيوعية أم غير شيوعية فهى في مصر أصبحت أسلحة مصرية، وأشار عبد الناصر في خطابه إلى أن واشنطن أرادت أن تعاقب مصر لأنها رفضت الدخول في احلاف عسكرية ، كما أرادت أن تفسد علاقتها الاقتصادية مع الدول التي تتعامل معها . وجاءت العبارة التي كان متفقاً عليها مع محمود يونس :

" لقد أشعرنى مستر بلاك أننى أجلس أمام فرديناند دليسبس " وقرأ عبد الناصر قرار التأميم ، وأنهى خطابه بصيحة هزت الجماهير : "سوف نبنى السد العالى وسوف نعيد حقوقنا المسلوبة ".

هجوم اسرائيل وقرار الانسحاب

لم تمض أيام على إخماد ثورتى المجر وبولندا، حينما كان قد استقر الرأى على خطط الحرب الفرنسية - البريطانية في منتصف أكتوبر، ولم يكن معروفا مدى انشغال الاتحاد السوفييتى في الأيام الأولى من نوفمبر، وهو الوقت الذى كان محدداً لضرب مصر ..

أما الأمريكيون فكانوا مشغولين بانتخابات رئاسة الجمهورية في ٧ نوفمبر، ومع ذلك فقد كان من جراء التعبئة العامة في إسرائيل يوم ٢٨ اكتوبر أن أرسل لها ايزنهاور تحذيرا سريعا بعدم التحرك ، وبالرغم من هذا فقد تحرك طابور إسرائيلى بعد ظهر ٢٩ اكتوبر بقيادة موشى ديان نحو مصر في أربعة محاور .. اندفع المحوران الأولان تجاه قناة السويس بهدف السيطرة على القناة، بينما المحوران الثالث والرابع لسد قطاع غزة والاستيلاء على شرم الشيخ .

وفى عدة لقاءات قال لى صلاح نصر : كانت المعركة تدار من مبنى القيادة المشتركة في الماظة، وتوجهت إليها وجدت جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر منهمكين في دراسة الموقف على الخرائط، وأخذ أعضاء مجلس الثورة يتوافدون مساء - عبد اللطيف البغدادى- زكريا محى الدين- كمال الدين حسين - أنور السادات - حسين الشافعي ..هذا فضلا عن ضباط القيادة العامة .

كان مكتب عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة أشبه بسوق عكاظ، يفتقر إلى الهدوء الذى يحتاجه قائد القوات لإدارته معركته، وكانت هناك مناقشات من كل جانب جعلت القائد العام في موقف لايحسد عليه، وتقرر فى هذا اليوم أن تحاول القوات الجوية المصرية الحصول على السيطرة الجوية حتى يمكنها أن تعمل بكفاءة ضد قوات إسرائيل الأرضية ولن

يتأتى ذلك إلا بضرب طائرات العدو ومطاراته وتدميرها فورا .. ولكن هذا الهدف لم يتحقق لاشتراك قوات الطيران الفرنسى منذ أول يوم مع الطيران الإسرائيلى في المعركة الجوية .

وفى يوم ٣٠ من اكتوبر سنة ١٩٥٦أرسلت بريطانيا وفرنسا إنذارا - أقصاه ١٢ ساعة - إلى كل من مصر وإسرائيل تطلبان فيه وقف إطلاق النار والسماح بوضع القوات الفرنسية والبريطانية على طول ضفة القناة بصفة مؤقتة وكذلك الإنسحاب إلى مسافة ١٠أميال من القناة، وبالطبع قبلت إسرائيل هذا الإنذار ورفضته مصر، بينما ناشد الرئيس أيزنهاور إيدن ومولية أن يكفا عن العمل في الوقت الذى كانت قاذفات قنابلهما تغير على المطارات المصرية.. أما في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة فقد استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو للتصويت ضد قرار اقترحته الولايات المتحدة لوقف إطلاق النار .. كان إيدن ومولييه قد اجتمعا معا صباح ٣٠من اكتوبر. وفى الساعة الرابعة بعد الظهر قامت وزارة الخارجية البريطانية بتوزيع الإنذار سالف الذكر إلى كل من السفير المصرى والقائم بالأعمال الإسرائيلي، وفى الوقت ذاته أعلن إيدن لأعضاء مجلس العموم الذين دهشوا من الإنذار ، الذي أتخذه بالاشتراك مع حليفته فرنسا وانقسم أعضاء مجلس العموم بين مؤيد ومعارض وانتشرت انباء الإنذار الانجليزى في جميع أنحاء العالم .. وحينما وصل الإنذار الفرنسى - البريطانى عبد الناصر، ظن في بادئ الأمر أنها خدعة من لندن وباريس كى يجبراه على الاحتفاظ بقواته الرئيسية بعيدا عن أرض المعركة في سيناء بقصد معاونة إسرائيل في الحصول على نصر ساحق .

ولكن سرعان ما تيقن عبد الناصر من المؤامرة الثلاثية، وأيقن أن دور إسرائيل التي بدأت الهجوم ليس سوى دور ثانوى، كما تأكد أن الإنجليز والفرنسين سيبدأون غزوهم ، لقد وصلت عبد الناصر الأنباء بأن الطيران البريطانى قام بغارة جوية على القاهرة في مساء ٣١من أكتوبر، وبينما كان الطيران الفرنسى يعمل فوق سيناء كان عبد الناصر قد جمع مجلس الوزراء مساء ٣٠ أكتوبر وقرأ للوزراء الإنذار ثم أعلن للمجلس أنه سوف يرفض الإنذار الفرنسى - البريطانى، وأنه سيدعو تريفليان السفير البريطانى ويبلغه ذلك ومع أن بعض الوزراء المصري شكوا في قدرة مصر على القتال وحاولوا أن يثنوا عبد الناصر عن قراره فطلبوا منه دراسة أوفى للموقف قبل أن يبلغ السفير البريطانى رفضه للإنذار، فقد كان عبد الناصر مصرا على تنفيذ ما انتواه .. وبذلك بدأت الحرب بين مصر من جانب وبين بريطانيا وفرنسا من جانب آخر.

انظر الخريطة المرفقة والتى تبين المعارك التى دارت في سيناء مع الجيش الاسرائيلى.

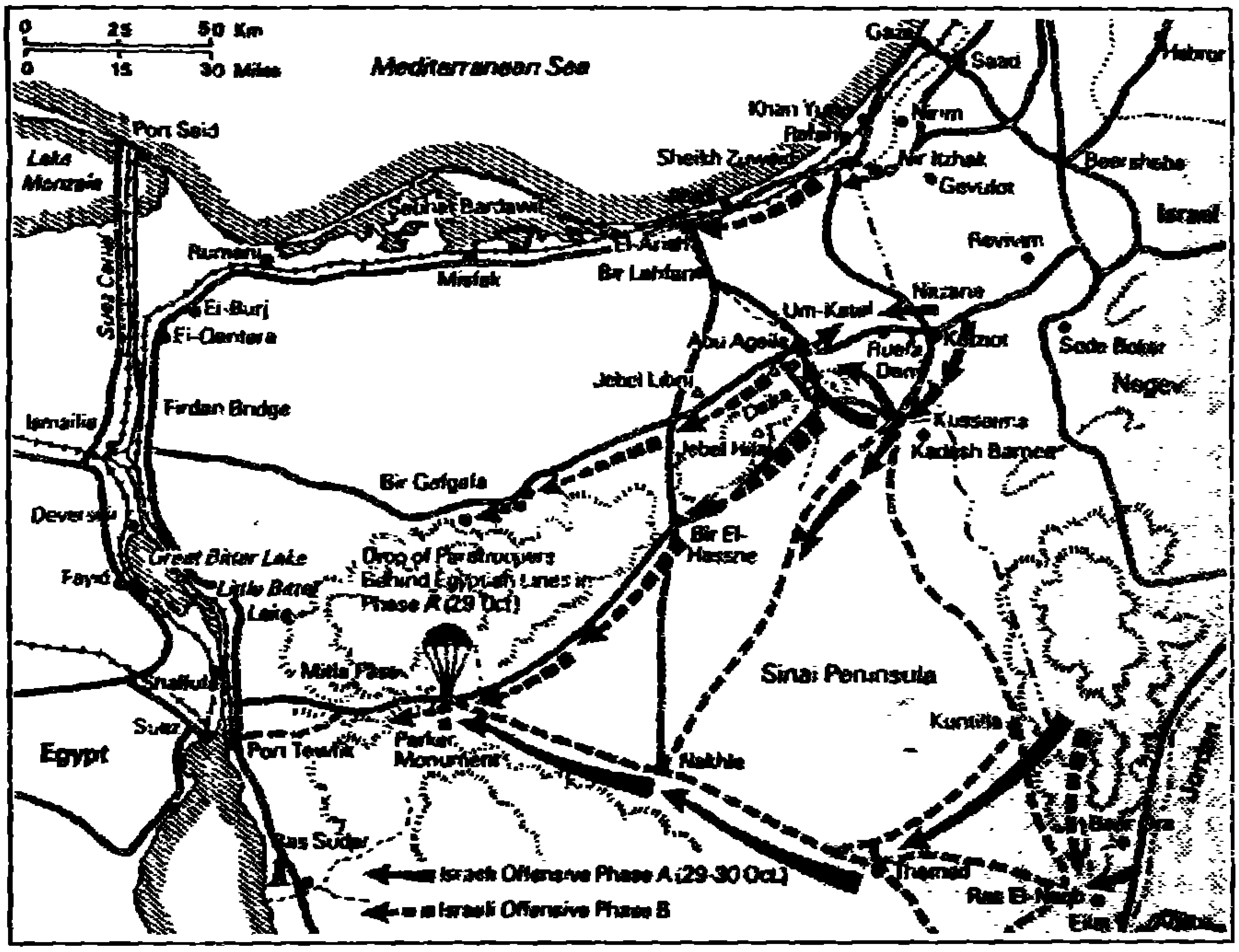

The Israeli Offensive Phase B, 31 October to 1 November 1956

تمثل المعارك التى دارت في سيناء مع الجيش الاسرائيلى في أبو عجيله وتمد وبير جفجافه

كانت القيادة العامة قد انتقلت يوم ٣١ اكتوبر إلى مبنى القيادة العامة السابقة في كوبرى القبة، وكان عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة قد أدرك من عدد الطائرات المغيرة وانواعها اشتراك فرنسا وانجلترا في المؤامرة (*).. وفى المساء كانت غرفة القائد العام بكوبرى القبة تغص بأعضاء مجلس الثورة كما حضر جمال عبد الناصر، وبعد أن شرح عبد الحكيم عامر الموقف تبين ان إنجلترا وفرنسا ضالعتان في المؤامرة وأن دور إسرائيل لايتعدى أن يكون مبررا لتدخل قوات فرنسا وإنجلترا بأن تقوم بعزل القوات المصرية شرق القناة في سيناء ومن ثم يمكن القضاء عليها وتدميرها ...... جلس عبد الناصر على مكتب عبد الحكيم عامر وأمامه خرائط المعركة، وبعد مناقشة اقترح عامر الانسحاب ووافق عبد الناصر على سحب كل قواتنا من سيناء واصدر عبد الحكيم عامر اوامره بالانسحاب في تمام الساعة العاشرة والنصف مساء إلى قواته .

لكن من صاحب قرار الانسحاب ؟؟؟.. كان عبد الناصر يشترك أو بمعنى أدق يشرف على إدارة المعركة منذ هجوم إسرائيل وكان في بادئ الأمر يستبعد فكرة نزول القوات الفرنسية - البريطانيه في منطقة القناة ، ولذا حث عبد الحكيم عامر على دفع قواته إلى سيناء حتى يحرم القوات الاسرائيلية، من تحقيق نصر ساحق .. وكان عبد الحكيم عامر قد استشعر من معركة سيناء أن قوات الطيران الفرنسية مشتركة في المعركة وأن القوى الجوية المعادية تفوق قوة إسرائيل في الطيران، وناقش الأمر مع صلاح سالم واتفقا على أن يذهب صلاح سالم إلى عبد الناصر ويقنعه بالانسحاب ولكن لم يقتنع، ثم حضر عبد الناصر إلى مبنى القيادة بكوبرى القبة مساء ٣١اكتوبر ولم يمض أقل من ساعة حتى قامت قوات طيران معادية بإغارة على القاهرة وتبين أنها من قوات السلاح الجوى البريطانى " وهذا يؤكد ما قاله لى عامر: أن يوم العدوان كان ناصر حاضرا إدارة المعركة ومعه أعضاء مجلس قيادة الثورة وكل واحد منهم يدلى برأى مختلف، كان عامر منصرفا بذهنه كله إلى المعركة دون أن يلقى بالا إلى الآراء التي تتخبط من حوله، وهذا ما جعله يستنتج اشتراك قوات إنجليزية وفرنسية مع قوة الطيران الإسرائيلى(**)، لأن أعداد الطائرات كانت أكثر بكثير من قوة الطيران الإسرائيلى، وعلى هذا اقترح عامر على جمال سحب القوات من سيناء لأن ما يحدث هو "كماشة لوضع الجيش

(*) وثيقة من وزارة الحربية الفرنسيه SHAA ارسلو ١٨ ميستير ٤ /أ و ٤٣ طيار فرنسى بل اخذوا بطاقة عبرية بأسماء مستعارة ويونيفورم إسرائيلى وكان الاسرائيليون يقولون ان جميع الطائرات والطيارين اسرائيليون.
طائرة فرنسية بالطيار فرنسى تحت علامة من القوات الجوية الاسرائيلية.

(**) المطار الحربى بالأقصر والذى ضرب بالطائرات الفرنسية التى تحت العلامه الإسرائيلية .
- صورة الوثيقة منشورة بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (٨) صفحة ٦٣٣

المصرى في مصيدة"، واعترض على هذا القرار كل من الموجودين عبد الناصر والبغدادى وزكريا محى الدين كانت القوات الموجودة في سيناء في ذلك الوقت عبارة عن قوات صغيرة مهمتها إعطاء الإنذار المبكر عن تقدم العدو، والقيام بأعمال القتال التعطيلية لحين وصول باقى القوة الرئيسية للجيش للقيام بالضربة المضادة، وهنا كان تقدير عامر الا يدفع بباقى قوة الجيش إلى سيناء لتدعيم القوات الأمامية كما طلب جمال عبد الناصر للاحتمال الوارد ذكره وهو الكماشة التي سوف تطبق على الجيش المصرى من جميع الجهات، ففى الشرق إسرائيل تهاجم القوات في سيناء، وفي الغرب أي مؤخرة الجيش المصرى وخطوط مواصلاته مع القاعدة الرئيسية للإمداد الأمر الذى يعنى تدمير القوات المسلحة المصرية في صحراء سيناء المفتوحة وقطع طرق مواصلاتها وإمدادها. فإن لم يكن الموت والهلاك من الأسلحة، فسيكون الموت جوعا وعطشا. وبهذا أنقذ عامر القوة الرئيسية خصوصا الفرقة الرابعة المدرعة التي تجمعت غرب القناة استعدادا للقيام بالضربة المضادة في حالة نجاح القوات البريطانية والفرنسية في الوصول إلى شمال الإسماعيلية . وحينما أصروا على رفض الانسحاب ثار عامر في وجه عبد الناصر وطلب أن يتنحى عن قيادة المعركة ليقودها ناصر بنفسه الذى اضطر إلى التراجع والموافقة على القرار الانسحاب. وجدير بالذكر أن القوات انسحبت بطريقة منظمة وعادت معظمها في حالة جيدة من سيناء، وكان عامر فخورا بموقف كتيبتين من المشاة بقيادة المقدمين منير عبد الرحيم ، وعلى عبد الخبير فقد كان يحتلان موقع " أم قطف " على طريق (العوجة) وقامت إسرائيل بمهاجمة هذه القوة بثلاثة لواءات أحدها مدرع. ولم تستطيع أن تدخل الموقع الا بعد تمام انسحاب هاتين الكتيبتين بعد أن قاومتا لمدة ثلاثة أيام ودخل الإسرائيليون الموقع فوجدوه خاويا(*).

○ ○ ○

(*) - صورة الوثيقة منشورة بالملحق الوثائقي بالكتاب تحت رقم (٩) صفحة ٦٢٥

توتر العلاقة بين عبد الناصر وعامر

كان هذا أول خلاف بينهما بعد الثورة، وثاني خلاف بينهما قبل الثورة أثر في علاقتهما وجعل بينهما حساسية دائمة، حتى إن جمال كان لايفتأ فيما تلا ذلك من سنوات يعاتبه بين الحين والحين بقوله : لااستطيع أن أنسى أنك ثرت في وجهى وخاطبتنى بصورة غير حسنة أمام بغدادى وزكريا !!

كان جمال قد طلب من المشير طرد صدقى محمود من الطيران، وإجراء تحقيق مع القادة لتهدئة الشعب مما أصابه نتيجة الغزو والغارات المكثفة داخل القطر المصرى ولكن عامر رد عليه بقوله : مين اللي يتحاكم ؟ .. صدقى محمود علشان مقدرش يحارب فرنسا وانجلترا واسرائيل بجزء من سلاح لم يصل بقيته بعد؟!! واللا صدقى هوه اللي أمم القناة ؟ اللي يتحاسب هو الذى قدر الموقف تقدير خطأ رفض عامر أن يكون صدقى هو كبش الفداء، وانصرف غاضبا. ولأن جمال كان يعرف أن عامر لن يتصل به لما عرف من عناده في الحق فقد اتصل ناصر بصلاح نصر وطلب منه التدخل ولكن صلاح نصر قال لجمال: إن عامر طيب القلب ولو انك اتصلت به فستنتهى الأزمة. وبالفعل طلب ناصر عبد الحكيم وطلب منه أن يظل موضوع الاستقالة إلى ان يلتقيا ويناقشا الأمر ثم دعاه إلى مقابلته فوافق عامر وذهب اليه، وهناك رفض ناصر استقالة عامر وتم الصلح بينهما .. وبعد أن اصدر عبد الحكيم عامر أوامره بالانسحاب، حدثت غارة جوية على القاهرة حيث كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة مساء بقليل، و في غرفة العمليات وصلت الأنباء تفيد بأن قوة من جنود المظلات أنزلت في منطقة السباق مصر الجديدة وحدث هرج ومرج في غرفة العمليات وقال أحد ضباط العمليات العقيد صلاح حسين : لقد انتهت مهمة العسكريين وعلى السياسيين أن يبحثوا عن حل. والواقع أن هذه المعلومات كانت خاطئة .. وأن ما حدث هو أن بعض الطائرات المغيرة كانت قد اسقطت بعض المشاعل فوق منطقة السباق لتكشف لها الأهداف التي تريد قصفها وقدر

ضباط القيادة أن هدف قوات المظلات المزعومة هو الاستيلاء على مبنى كوبرى القبة .. وحينما بلغ أعضاء مجلس الثورة هذا الخبر المزعوم حدث اضطراب بينهم، وطلب عبد الحكيم عامر منهم أن ينصرفوا على أن يبقى هو مع قواته المسلحة للاستمرار في المعركة، ويقوم الباقى بالإعداد للعمل السرى إذا ما تطلب الموقف وفى الصباح الباكر من يوم الخميس أول نوفمبر قام السلاح الجوى البريطانى بقصف مطارى الماظة ومصر الجديدة .. واستمر العدو في قصف الأهداف العسكرية والإغارة على القاهرة، كان الناس يسيرون في الشوارع ولايكترثون للطائرات المغيرة، كانت روحهم المعنوية عالية. وبعد أن بدا لعبد الناصر أن اشتراك فرنسا وإنجلترا في الحرب أمر مؤكد برز التساؤل : هل نستمر في الحرب مهما كانت التضحيات ؟ أم نجنب البلاد ويلات الحرب بالاستسلام وبدء عمليات المقاومة الشعبية . كان من رأى عبد الناصر الاستمرار في القتال وقال : إننا لو لم نقاتل اليوم فلن نقاتل أبدا، لابد لنا من القتال حتى لو أجبرنا على الانسحاب إلى الوجه القبلى واللجوء إلى حرب العصابات. أما عبد الحكيم عامر فقد ذكر عبد الناصر بتحذيره له من مواجهة دولتين كبيرتين وقال لعبد الناصر: إن القوات المسلحة ليست في وضع استعداد لمواجهة غزو كبير وأن معنى ذلك انتحار القوات المسلحة وتخريب اقتصاد مصر ، واستطرد عبد الحكيم القول : إن ضرب مصر سوف يؤخرها ألف سنة على الأقل، وأن ضميره لن يسمح له أن يتحمل الشعب المصرى هذه المجزرة. وقد قام صلاح سالم بتأييد عبد الحكيم عامر في رأيه وذهب صلاح سالم إلى عبد الناصر واقترح عليه أن تستسلم الحكومة القائمة وتأتى حكومة جديدة تتفاوض مع الغزاة . قال صلاح سالم لعبد الناصر : إننا لم نقم بثورة كى تعرض البلاد للخراب، إن وطنيتنا كمجلس ثورة تحتم علينا أن نترك الحكم ونسلم أنفسنا للسفير البريطانى وبذلك ننقذ مصر من الخراب.. وهنا انفجر عبد الناصر في وجه صلاح سالم ونعته بالجبن وقال له إنه داعية استلام. مما أثار حفيظة صلاح سالم كان عبد الناصر في حالة أشبه بالهستيريا ويبدو أنه تذكر نهاية هتلر وبعض أعوانه فاقترح على أعضاء مجلس الثورة الانتحار كبديل للاستسلام ، وبالفعل كلف عبد الناصر زكريا محيى الدين كى يعد كمية من عبوات سيانيد البوتاسيوم تكفى أعضاء مجلس الثورة لاستخدامها لو لزم الأمر. كانت القيادة العامة قد انتقلت إلى نادى مصر بالزمالك المواجه لنادى الجزيرة .. وفى مساء الجمعة ٢ من نوفمبر أرسل سليمان حافظ زوج ابنته - وهو ضابط بالقوات المسلحة يدعى الراعي - برسالة شفهية إلى عبد الناصر يطلب فيها تدبير لقاء فورى بين جمال وسليمان حافظ لأمر بالغ الخطورة، وفهم منه أن الأمر يتعلق بمجرى الحرب وبأن هناك اقتراحا من سليمان حافظ بتنحى القيادة

السياسية الحالية عن مسئولياتها لإنقاذ مصر من الخراب الذى سوف تتعرض له، ويبدو أن عبد الناصر كان لديه علم بما كان يريده سليمان حافظ وفى غرفة الاجتماع في مبنى القيادة أبلغ عبد الناصر برغبة سليمان حافظ في مقابلته حتى بدا على وجهه الامتعاض وقال : هو سليمان حافظ مش هيبطل المناورات الحزبية دى خيانة ..أنا هعتقله. ورفض عبد الناصر مقابلته وكلف عبد اللطيف بغدادى بهذه المهمة ولما أبلغ رسول سليمان حافظ بأن بغدادى سوف يقابله نيابة عن عبد الناصر عاد الرسول فقال إن سليمان حافظ يريد أن يحضر عبد الحكيم عامر هذا اللقاء، وتوجه بغدادى وعامر لمقابلة سليمان حافظ بمنزله بالدقى حوالى الساعة التاسعة مساء .. وحينما عاد عبد الحكيم من هذا اللقاء سأله عبد الناصر عما جرى من حديث مع سليمان حافظ .. قال عبد الحكيم عامر .. الرجل ده ذو أنياب زرقاء.. ويبدو أنه لم ينس حقده عليك ، فهو يطلب تنحية جمال عبد الناصر لأنه مكروه على حد قوله وأن يأتى بشخص آخر مثل محمد نجيب يطلب من ،دول المعتدية اعتبار مصر دولة محايدة وفى رأيى أنه يمهد لحكومة حزبية تجئ بعد التخلص من نجيب وتتعاون مع الغزاة .. قام الإنجليز صباح السبت ٣ نوفمبر بغارة جوية شديدة على مطار الماظة والثكنات العسكرية القائمة بها وسببت خسائر في المعدات وبعض الأرواح . وضربت خزينة الماظة العسكرية وانتثرت الأموال التي كانت بها .. وأحس عبد الناصر بمدى الخطر الذى تتعرض له البلاد وبالتالى نظامه لوقامت القوات الفرنسية البريطانية بغزو بلاده فهو ليس مهددا من الخارج فحسب بل من الداخل أيضا .. وكان عبد الناصر يكن الكره لصلاح سالم ويظن أنه هو الذى يحث عبد الحكيم عامر على فكرة تجنب ويلات الحرب .. وبدأ في الأفق بداية في تدهور العلاقات بين صديقى العمر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر إذ بدأ جمال يشكو لكل من يقابله من عبد الحكيم عامر قائلا: إن عبد الحكيم عزله عن القيادة السياسية وأنه لايضعه في الصورة عما يجرى من أمور الحرب بالرغم من أنه المسئول الأول عن حماية البلاد وأمنها .

والواقع أن في هذه الشكوى تجنياً كبيراً ، فعبد الناصر كان موجودا دائما منذ بداية عدوان إسرائيل في القيادة العامة ؛ وهو الذى أبتعد بعد ذلك عن القيادة بعد أن تبين خطورة الموقف، ويسترسل صلاح نصر في حديثه : أحسست أن ثمة تصدعا في العلاقة بين جمال وعبد الحكيم وشيك الحدوث.. في ظهر ٣ نوفمبر اتصل جمال عبد الناصر هاتفيا بعبد الحكيم عامر في مبنى القيادة بكوبرى القبة حيث كانت القيادة العامة قد تركت مركزها في الزمالك وعادت الى مبنى كوبرى القبة .. ولاحظت أن عبد الحكيم عامر يعض على نواجزه .. وبعد انتهاء المحادثة طلب عبد الحكيم عامر من صلاح سالم الذى كان موجوداً بالمكتب أن

يسافر فورا إلى السويس ويتولى مسئولية الدفاع عنها، وخرجت مع صلاح سالم لأودعه،وكان يبدو على وجهه مسحة من حزن وحسرة وعلى درجات مبنى القيادة قال لى صلاح سالم وأنا أودعه : بقى جمال عبد الناصر بيقول على جبان علشان كنت عاوز أنقذ مصر من ويلات الحرب .. أنا رايح السويس وهاحارب ودى مش أول مرة أحارب فيها .. أنا كان غرضى أن أحمى مصر من الخراب . واستقل صلاح سالم سيارته وسافر إلى السويس ليشرف على العمليات العسكرية بها .

على أن ما أريد أن أبينه هو أن العلاقة بين عبد الناصر بدأت تتأثر منذ حرب السويس فقد اتهم عبد الناصر عبد الحكيم عامر بأنه واقع تحت تأثير صلاح سالم، وبأن عبد الحكيم لايضعه في الصورة عما يجرى في القوات المسلحة .. وحدثت مشادة بين الرجلين وطلب عبد الحكيم من جمال أن يتولى القيادة العسكرية بدلا منه ، وأبدى عبد الحكيم استعداده للعمل تحت قيادته وأردف: أنت عارف أن لى شخصيتى المستقلة ولا يمكن أن يؤثر على صلاح سالم أو غيره . توترت علاقة عبد الحكيم بجمال وشابتها الحساسية والتصدع، و ربما كانت هذه الأيام بداية لتوتر العلاقات بينهما التي ازدادت على مر الأيام حتى تمت مأساة عام ١٩٦٧ . ويكمل صلاح نصر حديثه : كنت قد توجهت يوم ٤نوفمبر إلى الإسماعيلية بناءً على تعليمات عبد الحكيم عامر لأقف على الموقف العسكرى هناك، وعلى طريق الإسماعيلية رأيت فلول جيش ودمار جعلا الحسرة تفتك بى دبابات مدمرة ومدافع محرقة وسيارات عسكرية مقلوبة أو خاوية على هيكلها، كل هذه تشير إلى مافعله العدو بقواتنا المسلحة .

وصلت الإسماعيلية وتوجهت إلى مبنى القيادة العامة فوجدته غاصا بالضباط، كانت البلبلة تبدو على وجوه كثير من الضباط، ولم تكن هيئة القيادة العسكرية توحى بأنها على مستوى مواجهة عملية غزو كبير . ورأيت عبد الناصر وكمال الدين حسين .. وكان عبد الناصر يبدو كأسد جريح أدمته الخناجر وكان يبدو على وجهه قلق واضح مما تخبئه الأيام .

طلب منى عبد الناصر أن أعود إلى القاهرة وأن أبقى بجوار عبد الحكيم وطلبت منه العودة إلى القاهرة حتى يستطيع أن يدير دفة الدولة ولكنه رفض ، ولكننى ما أن عدت للقاهرة حتى عاد عبد الناصر إليها وعلمت من عبد الحكيم أنه هو الذى ألح عليه بالعوده إلى القاهرة .

وشعرت أن عبد الحكيم قد ساءه أن يسافر جمال الى القناة دون أن يخبره، ومع أن هذه من المسائل صغيرة فإنها زادت من الحساسية بين جمال وعبد الحكيم.

موقف الولايات المتحدة

كانت واشنطن قد سادتها موجة من الغضب بعد أن استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو للتصويت ضد قرار اقتراحات الولايات المتحدة لوقف إطلاق النار، وقد غضب كبار المسئولين الرسميين في واشنطن لدرجة أن دالاس استدعى السفير الفرنسى ولقنه محاضرة قاسية، ولكن كانت المسألة تكمن في التساؤل : هل كان لهذا الغضب في واشنطن مايبرره نتيجة أن حلفاءها قد تركوها في الظلام اعتقاداً منهم بأن مسلك الحكومة الأمريكية كان يتسم بالخيانه والغدر؟..

الواقع أن دالاس كان قد أحس بأنه أهين إهانة شخصية لأن حلفاءه غدروا به .. حقيقة أن الولايات المتحدة لم تكن في موقف تسطيع فيه أن تتخذ موقفا متزنا نتيجة غضب حكومتها من تصرف انجلترا وفرنسا الذى تم خلف ظهرها، ونتيجة قصور الأمم المتحدة في علاج المشكلة .. ومع ذلك فقد تقدم دالاس إلى الجمعية العمومية للأمم المتحدة في أول نوفمبر باقتراح قرار لوقف إطلاق النار - ولكنه يختلف عن القرار الذى استخدمت بريطانيا وفرنسا حق الفيتو ضده - في أنه لم يقصر اللوم في عملية غزو مصر على إسرائيل فحسب، بل وجه اللوم أيضا الى أطراف النزاع .. وفى ٣نوفمبر رفضت بريطانيا وفرنسا النداء بوقف إطلاق النار وتعقدت المشكلة وأصبحت تهدد بالانفجار. كان أمام الولايات المتحد أن تختار بين أن ترى الأمم المتحدة تندد بحلفائها أو أن تتزعم هى عملية التنديد .. والأخير يثير في عقول الملايين الكثيرة من أبناء الحلفاء الشعور العميق بالضير الذى لحق بهم، ولكنه كان يتميز بأنه يضع الولايات المتحدة على رأس الكتلة العربية الآسيوية المحايدة، كما أنه يحول - ولو إلى حين - دون تزعم الإتحاد السوفيتى لأغلبية في الجمعية العمومية تقف ضد بريطانيا وفرنسا، كذلك إذا أمكن للأمم المتحدة أن تحرز موافقة أغلبية حاسمة لوقف القتال فعند ذلك

تكون هيبتها وسلطتها قد حفظت لمناسبة أكثر خطورة من هذه وعندما وازنت واشنطن بين الجوانب المختلفة وجدت أن الاعتبار الأخير يبرر تصويتها مع قرار وقف إطلاق النار الذى تمت الموافقة علية باغلبية ٦٤ صوتا ضد ٥ أصوات . عند ذلك اصبح الموقف مهيأ كى يتقدم السوفييت باقتراح مؤداه ان يسمح مجلس الأمن ان تمد الولايات المتحدة والاتحاذ السوفييتى مصر بالمعونة العسكرية مالم يتوقف القتال في مدى ١٢ ساعة ، ولكن لم يوافق على القرار (٤ : ٣) . في هذا الوقت كانت القوات الانجليزية - الفرنسية قد نزلت على شواطئ بور سعيد في الطرف الشمالى من قناة السويس ، وكانت القناة قد تم سدها من بدايتها الى نهايتها ببعض السفن التي قامت مصر بإغراقها بعد أن ملأت بعضها بالأسمنت المسلح . كان العدو قد أنزل فوجا من جنود الظلات عند مطار الجميل وفى منطقة المقابر ببور سعيد .. كما أنزل قوة اخرى من المظلات عند كوبرى الرسوة في المنطقة ذاتها . وقد لقى هذا الفوج مقاومة شديدة من المصريين ولحقت به خسائر كبيرة .. فأنزل العدو فوجا آخر يدعم الفوج الاول .. كانت هذه القوات بمثابة رأس شاطئ لقوات العدو التي سيقوم بإنزالها بعد أن تقوم قوات المظلات بتأمين قاعدة لها .ودار قتال مرير بين قوات المظلات والقوات المصرية والفدائيين المصريين يوم ٥ نوفمبر ، وكان القائد البريطانى قد نزل مع بعض قوات المظلات عند وابور المياة في بور سعيد وأرسل إلى قائد القوات المصرية في بور سعيد يطلب منه أن يرسل مندوباً إليه ليبلغه شروط تسليم مدينة بورسعيد .. واتصل اللواء صلاح الموجى قائد حامية بورسعيد بالقيادة في مصر ليبلغها عن تطورات الموقف فأصدر إليه عبد الناصر تعليمات باستمرار المقاومة وأن يطلب من قادة العدو أن يسلم نفسه ومن معه من جنود ... واستمرت القوات المصرية تدافع بالاشتراك مع المقاومة الشعبية إلى أن قام أسطول العدو بضرب المدينة تمهيدا لإنزال قواته الرئيسية، كما قامت طائرات العدو بالتركيز في ضرب المدينة ومع ذلك استمرت المقاومة المصرية، بالرغم من تفوق العدو حتى صدر الأمر بإيقاف إطلاق النار ووافقت عليه كل من فرنسا وانجلترا .

الإنـذار السـوفيـتى

عنـدمـا رأى الاتحـاد الســوفـيــتى أن الولايات المتـحـدة والأمم المتحدة تقفان إلى جانبـه، ترك عملية إخماد ثورة المجر بعض الوقت ليـقـوم بهـجـومـه في ٥ نوفـمبـر لمصلحة مصـر.. إذ أرسل ثلاث رسائل شديـدة إلى كل من أيزنهاور وايدن ومـوليـيـه . وفى الرسالة التي أرسلها الاتحاد السوفيتى الرئيس ايزنهاور طلب فيـها منه أن ينضم إلى الاتحاد السـوفـيـيـتى لإنهـاء الغـزو، وفى الرسالة الموجهة إلى ايدن تساءل كيف يكون موقف بريطانيا لو وجدت نفسها معرضة لهجوم من دولة أقوى منه تمتلك كل انواع الأسلحة الحديثة المدمرة ومن بينها الصواريخ ؟ ..

وجاء في الرسالة أيضا: أن الاتحاد السوفيـيتى وقد طلب من الولايات المتحدة أن تشترك معه مصمم كل التصميم على أن يسحق كل المعتدين وأن يعيد السلام إلى منطقة الشرق الأوسط باستخدام القوة .. كان الاتحاد السوفييتى يأمل أن يتخذ إيدن سبيل العقل والحكمة وأن يستخلص من هذه المذكرة الاستنتاجات المطلوبة.

وكانت الرسالة الموجهة إلى موليـيه شبيهة بالرسالة التي أرسلت لإيدن . . وعموما كانت هذه الرسائل الثلاث تحوى تنديداً قارصا " باللصوص" وبحرب النهب وبالحرب الاستعمارية .. وكانت لهجتها من النوع الذى يبعث الدفء والحرارة في قلوب العرب .وقضت واشنطن ليلة ملؤها التوتر الشديد نتيجة لهذه الرسائل. ولقد كتب أحد المراسلين الصحفيين في واشنطن يقول : من العسير أن نكون مغالين إذا وصفنا التوتر المتناهى الذى استولى على حكومة الولايات المتحدة من الساعة ٦ مساء أمس حتى الساعة١ بعد ظهر اليوم، وعندما أعلنت بريطانيا وفرنسا وقف إطلاق النار في مصر، لقد أخذت الحكومة الأمريكية موضوع التهديد

مأخذ الجد الشديد، وقد كانت اللهجة القاسية التي صيغت بها المذكرات الثلاث مفاجأة ولدت الذعر في الحال .." .. وأصدر الرئيس الأمريكي بيانا قال فيه :: إن الولايات المتحدة سوف تعارض أي تدخل سوفييتي عسكري في الشرق الأوسط. ولقد تم استدعاء الضباط ورجال الدفاع الجوى الامريكيين من منازلهم وظل المسئولون الأمريكيون طوال الليل يحاولون تخمين المكان الذى سوف تضرب القوات السوفييتية منه ضربتة وكيف يضربون، بينما كانت إدارات المخابرات الأمريكية تبذل مجهودتها اليائسة لتقييم الشائعات التي لا حصر لها للحركات العسكرية السوفيتية . وكان إعلان وقف إطلاق النار من جانب بريطانيا وفرنسا سببا في انقشاع سحابة التوتر فجأة . وإذا كان هذا هو تاثير الرسائل السوفيتية على واشنطن فإن تاثيرها على باريس ولندن كان ساحقا .. لقد كان قرار الحكومة البريطانية في لندن معرضا لهجوم عنيف عليه من نصف الشعب البريطاني تقريبا ولموجة غضب عنيفة في واشنطن وللاستنكار الأدبى الشديد في الأمم المتحدة لقد كانت هذه الضغوط متوقعة مقدما ولكن ما كادت الرسائل الثلاث تكيل ضرباتها حتى نكصت الحكومة البريطانية على عقبيها وأصدرت أوامر بوقف إطلاق النار وكانت المذكرات السوفيتية لم تحدد موعدا للندن وباريس، ولكن بريطانيا سلمت في مدى الإثنتى عشرة ساعة التي حددتها مذكرة الكرملين إلى الأمم المتحدة لقد أذيع التهديد السوفييتي أولا بواسطة الاذاعة حتى أنه كان له أثره المطلوب عند تسليمه فعلا، والواقع أن انهيار الحكومة البريطانية وإنهاء الغزو يرجع إلى ضغط الولايات المتحدة الشديد على الغزاة. لقد استخدم أيزنهاور اللغة العسكرية عندما قام بحديثه التليفوني مع رئيس الوزراء إيدن وطلب منه أن يتصل تليفونيا بدوره برئيس وزراء فرنسا في باريس في ظرف دقيقتين ويطلب منه إلغاء الغزو، على أنه من ناحية أخرى هناك من يعزو انهيار بريطانيا وفرنسا إلى الخوف من التدخل الروسى وإصرار واشنطن على إبعاد الدب الروسى عن منطقة الشرق الاوسط .

نتائج الغزو

ولقد ظل البريطانيون والفرنسيون يحاولون طيلة أسابيع عدة أن يحصلوا على بعض الضمانات بشأن المستقبل بعد ان تنسحب قواتهم من مصر، ولكنهم كانوا لا يجدون إلا آذانا صماء في كل من واشنطن والأمم المتحدة. فلم يكن هناك اتصال عملى بين حكومتى واشنطن ولندن، وكان المسئولون البارزون في واشنطن لا يقبلون مقابلة أى ممثل بريطانى .. لقد ثبت لهم أن البريطانيين والفرنسيين معتدون مذنبون، ولذلك فلن ينالوا من الولايات المتحدة أية معاونة . وكان هذا هو الموقف ذاته في الأمم المتحدة.

وإلى جانب الارتباط الامريكى العربى الآسيوى كانت هناك المعارضة الشديدة من جانب همر شلد السكرتير العام . لقد جندت قوات صغيرة تابعة للأمم المتحدة بين الدول الصغيرة لتسهيل مهمة خروج القوات البريطانية والفرنسية والإسرائيلية من مصر ولمنع حدوث أية اشتباكات، ولكن همر شلد كان مصرا على ألا تستخدم هذه القوات لتسوية الخلاف لقد كان يشعر أن الهجوم على مصر لم يكن له ما يبرره وأنه خرق لميثاق الأمم المتحدة، كما أنه قوض التحسن الذى كان قد ينجح في إحرازه في مجال التوتر العربى الإسرائيلى بعد زيارته للمنطقة في الربيع السالف، ولهذا كان يصرخ بأنه لايمكن عمل أى شئ بواسطة قوات الأمم المتحدة إلا بموافقة الرئيس عبد الناصر، كما أن بقاء هذه القوات في مصر رهن برضائه .. كما قامت الولايات المتحدة مع الأمم المتحدة بالوقوف بجانب مصر وبدا أن سياسة الولايات المتحدة كانت تهدف أساساً إلى معاقبة بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لأنها لم تطع وزارة الخارجية الامريكية. وبعد أن هدأت بريطانيا وفرنسا اتجهت وزارة الخارجية الامريكية نحو إسرائيل وقامت بتهديدها بالطرد من الأمم المتحدة لو رفض بن جوريون رئيس وزرائها أن

يسحب قواته من سيناء . وقد رضخت إسرائيل واسترد عبد الناصر مكانته بعد أن أحرز نصرا سياسيا..

وكانت النتيجة انتصارا باهرا أحرزه السوفييت في الشرق الأوسط حيث ظن الجميع في كل أنحاء العالم أن الإنذار السوفييتى كان العامل الفاصل في هذه الأزمة. وقد ساعد عبد الناصر على انتشار هذا المفهوم .

أما بالنسبة للشعبين الفرنسي والبريطانى فكانت النتائج محزنة، إذ انتهز عبد الناصر الفرصة فقام بمصادرة البنوك والشركات البريطانية والفرنسية وكانت قيمتها بليونا من الدولارات، كما قام بطرد اليهود المصريين بعد مصادرة ممتلكاتهم . على أن بريطانيا حينما حاولت أن تستخدم القوة التي باءت بالإخفاق كان اقتصادها مهتزا فازدادت لندن إضطرابا نتيجة إخفاقها واضطرت الدول الغربية أن تقلل من حجم نشاطها الإقتصادى نتيجة نقص البترول .. كما ازدادت الحال سوءا نتيجة الإجراءات التي اتخذتها شركات البترول الأمريكية التي لم تكتف برفع الأسعار فجائيا بل عمدت إلى إجبار الأوروبيين على أن يتسلموا كميات أكبر من الوقود في وقت لم تكن مواردهم تعينهم على ذلك .

وفضلا عن هذه الضربة الشديدة التي أصابت كبرياء الشعبين البريطانى والفرنسى وافقدتهما الثقة في نفسيهما، فقد اتضح أن كلا من باريس ولندن لا تستطيع تأمين مصالحها الحيوية دون تدخل القوتين الأعظم : الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وكان اعتذار إنجلترا وفرنسا بأن تدخلهما كان لحماية القناة إعتذارا أجوفا ، لأن تدخلهما سوف يؤدى إلى أن يقوم المصريون بسد القناة لعدة شهور .. لقد انكشف غرضهما الحقيقى وهو استعادة السيطرة على القناة من الإنذار الذى وجهاه لمصر ، والذى يتضمن احتلالهما للقناة ... لقد انتهت الحرب وحصلت مصر على نصر سياسى وأصبح عبد الناصر زعيم الأمة العربية بلا منازع ومحط أنظار الوطنيين العرب وملجأ للأحرار ...... وبانتهاء حرب السويس تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ ثورة ٢٣ يوليو حيث تتم وحدة مصر وسوريا، وحيث تتكالب القوى الخارجية والداخلية على فصم الوحدة .. ثم دخول مصر حرب اليمن ...

الفصل الثالث

الوحدة مع سوريا .. وحرب اليمن

العدوان الثلاثى

كان تأميم قناة السويس بمثابة ضربة معلم لاستقلال العرب ، لقد أصبح عبد الناصر البطل الذى لا ينافس فى ميدان التحرير والقومية العربية ، وامتدت شعبية عبد الناصر فى أنحاء العالم العربى ، ولكن نورى السعيد وأصحاب الأحلاف كانوا فى واد آخر ينظرون إلى عبد الناصر على أنه رجل القلاقل والفوضى والاضطراب ..

لقد ذكر إيدن فى مذكراته التى نشرها بعد عشر سنوات من حرب السويس أنه - بعد سماعه بنبأ التأميم فى حفل عشاء خاص كان يحضره نورى السعيد والأمير عبدالله - الوصى على عرش العراق فى ذاك الوقت - قال: إن المصرى وضع أصبعه على قصبتنا الهوائية ، وأننى أفضل أن أرى الإمبراطورية تسقط فى ارتطامة واحدة بدلا من أن أراها تتفتت قطعة وراء قطعة ولقد أثبتت جريدة الصنداى تايمز اللندنية هذا التعليق فى سلسلة تحقيقاتها عن ظروف حرب السويس التى كتبها هيوم توماس . ومن صيغة هذا التعليق العصبى لإيدن يمكن أن تشم رائحة الحرب النفاذة . لقد قررإيدن من اللحظة الأولى التى سمع فيها بقرار تأميم قناة السويس أن يتجه إلى الحرب للقضاء على عبد الناصر ونظامه ، وبعد إعلان القرار بأيام جاءت التقارير لتؤكد نية الدول الثلاث على الحرب ، فقد أرسل ثروت عكاشة - وكان يعمل فى سفارتنا بباريس - تفاصيل خطة العدوان ، كما استطاع أن يحصل على معلومات عن المؤامرة ، وأيضا ملحقنا العسكرى فى تركيا أرسل فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ يبلغنا أن انجلترا وفرنسا وإسرائيل سوف يقومون بالعدوان على مصر ، وأنه استطاع أن يحصل على هذه التفاصيل من عميل مزدوج فى تركيا .ورغم ذلك لم يقتنع عبد الناصر وقال إن حساباتى تقول ان هذه الدول الكبرى لا يمكن أن ترتكب هذه الغلطة الكبيرة . والواقع أن الخبراء السوفيت لم يكونوا قد وصلوا إلى القاهرة ، وكان الجيش قد غير من وقت قريب سلاحه من سلاح غربى

إلى سلاح شرقى ، ولم يصل الخبراء لتدريب الجيش إلا فى أواخر سنة ١٩٥٨، لذا عندما وقع العدوان الثلاثى ولم تكن ظروف الجيش مناسبة من حيث التسليح والتدريب لمواجهة هذا العدوان .

خرجت مصر ظافرة من حرب السويس، تلك الحرب غير المتكافئة التى دارت رحاها على أرض مصر، بين جيوش ثلاث دول منها دولتان كبيرتان وبين جيش مصر الفتى ، الذى كان لايزال فى مرحلة التأهب والبناء والتسليح . تحررت مصر من السيطرة الأجنبية . وبدأت مرحلة جديدة من مراحل ثورة يوليو وهى مرحلة القومية العربية والوحدة العربية . والواقع أن فكرة الوحدة العربية كان لها تاريخ طويل ، ولكنها كانت لا تزال فكرة أكثر منها برنامج عمل ، كما أن القومية العربية كانت فى ذلك الوقت اتجاهاً فكرياً ، وكان العرب برغم اتفاقهم على الأهداف يختلفون على الوسائل التى تحقق هذه الأهداف .. كان عبد الناصر هو أكثر الزعماء العرب تطبيقاً لفكرة القومية العربية وهو يعتبر باعث هذه القومية وليس منشئها . فالقومية العربية كانت فكرة قائمة فى المنطقة العربية قبل قيام ثورة يوليو وقبل ظهور جمال عبد الناصر . وسوف تظل قائمة من بعده ، برغم كافة العراقيل السياسية والاقتصادية التى تواجهها الأمة العربية من خارج المنطقة ومن داخلها بهدف تدمير أى وحدة أو أى تقارب بين الدول العربية .

تحركات قبل الوحدة

فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٦ قام المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة المصرية بزيارة كل من دمشق وعمان لتوحيد قيادة القوات المسلحة فى الدول الثلاث (مصر وسوريا والأردن) بغرض التصدى لأى عدوان إسرائيلى. وفى أثناء زيارته بدأ العدوان الثلاثى على مصر يوم ٢٩ اكتوبر١٩٥٦ فختم زيارته فى دمشق يوم ٣١ من الشهر ذاته ، أى بعد يومين من العدوان بعد أن تم الاتفاق على تشكيل قيادة للقوات المسلحة الثلاث تكون مقرها القاهرة . وترصدت قوى العدوان تحركات المشير عامر ، وكان هدفها إسقاط طائرته عند عودته الى القاهرة ، وكادت المؤامرة تتم لولا أن تدخلت ظروف طارئة ، إذ تأخرت طائرته ، وقامت طائرة أخرى تحمل مرافقيه قبل إقلاع طائرته فأسقطت فى الجو ظنا من المعتدين أنها طائرته ولا يعرف شئ حتى الآن عن مصير من كانوا بالطائرة المنكوبة .

وبعد إنتهاء العدوان الثلاثى أنشئ فرع للقيادة المشتركة فى دمشق ، وتولى الإشراف على هذا الفرع عبد المحسن أبو النور والواقع أن هذا الفرع لم يكن له دور عملى للإعداد للوحدة ، وكانت علاقة عبد المحسن أبو النور فى ذاك الوقت بالعسكريين فى سوريا مقصورة إلى حد كبير على علاقته برئيس المكتب الثانى (المخابرات) فى حدود وظيفته كملحق عسكرى يقوم بمهام أى ملحق عسكرى تعينه الدول لجمع المعلومات العسكرية .. وقد نشأت صلة بين السراج وعبد المحسن أبو النور كى يضمن الأول وصول تقاريره إلى عبد الناصر ، الذى سبق أن ربط نفسه معه منذ عدوان ١٩٥٦ مباشرة سعيا لتثبيت وضعه ، وبخاصة أن عبد الناصر قد أصبح

له تأثير واضح يمتد الى سوريا والبلاد العربية الأخرى . كما حرص عبد المحسن أبو النور أن يكون له ارتباط شخصى مع أعضاء مجلس القيادة العسكرى الذى عرف أسماءهم ، كما حاول أيضا أن يرتبط مع بعض ضباط البعث فى مجلس القيادة العسكرى .. وكان محمود رياض فى ذاك الوقت سفيرا لمصر فى دمشق . وكانت مهمته فى هذه المرحلة محصورة بالقوى المدنية وبعيدة عن الوسط العسكرى ، وكانت وثيقة بالبعث وبخاصة أكرم الحورانى وميشيل عفلق وصلاح البيطار وخليل كلاس وعبد الكريم زهور . والواقع أن البعث كان حريصا على توثيق هذه الصلة إذ كان محتاجا لمساندة عبد الناصر بأمل أن يصل الحزب إلى السلطة كى يحكم سوريا . إما من خلال عبد الناصر فى إطار وحدة أو اتحاد فيدرالى وإما فى ظل سوريا المنفصلة .

سفر الوفد العسكرى السورى إلى القاهرة

وفى الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٥٨ ، كانت الأحداث قد تطورت بصورة واضحة. وكان أبرز هذه التطورات والأحداث اشتداد حدة الصراع بين البعث والشيوعيين ، إذ أخذ كل منهما يكيل الاتهامات المختلفة للآخر ، وخاصة فيما يتعلق بموضوع الوحدة كل منهما يتهم الآخر بأنه غير جاد فى قضية الوحدة وبأن سلوكه ليس إلا مزايدة ومناورة حزبية . وحدث أن أطلق البعثيون فى صفوف الجيش السورى شائعة معادية لعفيفى البرزى قائد الجيش الأول ، تقول بأنه غير وحدوى، وأنه غير جاد فى الوحدة ، وأنه يميع قضيتها فى المجلس بغرض الحيلولة دون قيامها، متعاونا فى ذلك مع الحزب الشيوعى السورى منفذا لمخططاته. وردا على هذه الشائعة قام عفيفى البرزى مساء١١يناير بدعوة المجلس العسكرى السورى لاجتماع طارئ أثار فيه حملة البعث الظالمة عليه ، وأعلن أنه جاد فى موضوع الوحدة ، وأنه يتحدى فى ذلك البعثيين .

ونتيجة للنقاش الذى دار فى جلسة المجلس هذه . انتهى المجلس فى الواحدة صباحا إلى قرار بإيفاد وفد عسكرى إلى القاهرة كى يقابل عبد الناصر وينبئه بقرار الجيش بضرورة قيام الوحدة الفورية بين مصر وسوريا ، وعلى الوفد أن يطالب عبد الناصر بضرورة الاستجابة لهذه الخطوة، ويبلغه فى الوقت ذاته أن الجيش أبلغ قرارة الى كل من رئيس الجمهورية السورى ورئيس المجلس النيابى ورئيس الحكومة .. كان الوفد العسكرى السورى قد وصل الى مطار القاهرة مع مطلع الفجر . وهبطت الطائرة التى تقل الأعضاء فى مطار ألماظة ثم توجهوا الى قصر الطاهرة، وكان عبد الناصر مشغولا بضيفه الرئيس الأندونيسى

أحمد سوكارنو فى زيارة لمدينة أسوان . وفى مساء يوم وصول الوفد الى القاهرة زار المشير عبد الحكيم عامر الوفد فى قصر الطاهرة وتحدث معهم فى موضوع الوحدة ... كان الوفد يضم بعض الضباط المستقلين مثل آكرم ديرى وجادو عزالدين وأحمد حيدى وطعمة العودة الله ، وقد تركوا الفرصة للبعث والشيوعيين للحديث ، وترك الوفد لعفيفى البرزى الفرصة كى يعرض قرار المجلس .

واستمع عبد الحكيم عامر لعفيفى البرزى ورد عليه بقوله : إن الوحدة أمل للأمة العربية، وإن موضوعها عبارة عن تجسيد مادى لهذا الأمل، كما أن هذا التجسيد سيجعل الوحدة هدفا من أهداف الاستعمار .. واستطرد المشير عامر فى الحديث عن المشكلات التى ينبغى النظر إليها بعين الاعتبار قبل أخذ قرار فى هذا الموضوع ثم اختتم حديثه بقوله : إن الرئيس فى أسوان مع سوكارنو وأنه على وشك الحضور إلى القاهرة. وفى مساء ١٢من يناير ١٩٥٨ استقبل عبد الناصر الوفد السورى ، وكانت جلسة استماع منه ولم يحضر هذه الجلسة من الجانب المصرى سوى المشير عامر .. ومساء ١٤ من يناير استقبل عبد الناصر الوفد السورى مرة أخرى، واستعرض مشكلات قيام الوحدة والمعارك المحتمل أن تخوضها دولة الوحدة فى الميادين الدولية والسياسية والاقتصادية . تحدث عبد الناصر عن الموقف الدولى ولم يشر الى الاتحاد السوفييتى ، بل تحدث عن الغرب وبخاصة إنجلترا وفرنسا والولايات المتحدة ، وقال إن هذه الدول لن يسعدها قيام الوحدة وأنها لن تتوانى عن تمزيق الوحدة ، وسوف تستخدم إسرائيل أداة للضغط على العرب ، كما ذكر أن دمشق ليست بعيدة عن اسرائيل واستطرد عبد الناصر قائلا : إن بعض الدول العربية لن ترحب بهذه الوحدة ، وبخاصة تلك التى تدور فى فلك الغرب ، وان باقى الدول سوف ترحب بالوحدة . وانتقل عبد الناصر للحديث عن اختلاف التجانس الاجتماعى والاقتصادى والسياسى بين مصر وسوريا الذى ينبغى معالجته قبل قيام الوحدة ، إذ إن ترك مثل هذه المشكلات الى ما بعد قيام الوحدة سوف يلقى عبئا ثقيلا على الوحدة ، ووضع عبد الناصر نقطتين أساسيتين كشرطين لقيام الوحدة : أولهما أنه لابد من حل الأحزاب فى سوريا أسوة بما جرى فى مصر ، وثانيهما أن الجيش ينبغى أن يبتعد عن السياسة وبخاصة أن هذا الموضوع قد حسم فى القاهرة بعد الثورة .

موقف شكرى القوتلى

كان عبد الناصر قد استقبل - قبل اجتماع ليلة ١٤ يناير - صلاح البيطار وزير الخارجية السورى الذى كان قد وصل الى القاهرة موفدا من الحكومة السورية التى عقدت أجتماعا برئاسة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية إثر المذكرة الخطية التى قدمها مجلس القيادة العسكرى ، وناقش الاجتماع المذكرة وقرر المؤتمرون استعدادهم للدخول فى وحدة مع مصر .. والطريف أن شكرى القوتلى حينما وصلته مذكرة المجلس الخطية الساعة الثالثة صباحا بواسطة الضابط أمين التفورى قال : إن هذا انقلاب عسكرى !. وعلق صبرى العلى رئيس الحكومة على ذلك بقوله : إننا نرحب يافخامة الرئيس أن تكون بطلا وحدويا ".

ومن ثم قرر القوتلى أن يكون سباقا فى طريق الوحدة ، بدلا من تخطى العسكريين له ، وكان خالد العظم هو الشخص الوحيد الذى عرض قيام الوحدة فى جلسة الحكومة السورية برئاسة شكرى القوتلى . وقد أعلن صراحة أنه لايوافق على قرار مجلس القيادة العسكرى، وسجل تحفظه على محضر الجلسة. وبعد انصراف الوفد من منزل عبد الناصر، زاره صلاح البيطار ودار حديث طويل حول الوحدة، وكان رأى صلاح البيطار حينما تم سؤاله عن موقف حزب البعث العربى الاشتراكى من الوحدة أجاب أن رأى الحزب هو الاتحاد، وليس الوحدة ، ثم عاد فقال إن رأيه الشخصى هو قيام الوحدة ولكنه كحزبى يلتزم برأى الحزب . وفى ليلة ١٤ ابناير أجتمع ضباط الوفد السورى واتفقوا على أن يكون الرد على عبد الناصر كما يلى :

أولا : الموافقة على ابتعاد الجيش السورى عن الحزبية ، وأن المجلس العسكرى سوف ينحل بمجرد قيام الوحدة ، وسيضع أفراده أنفسهم تحت تصرف رئيس دولة الوحدة ، وهم

مستعدون أن يصبحوا جنودا عاديين فى أى مواقع الدولة بترضية رئيس الدولة .

ثانيا: إبلاغ عبد الناصر موافقة المجلس على حل الحزب وترحيب الجيش بمثل هذا القرار .

قام الوفد السورى بالاتصال مع دمشق هاتفيا صباح ١٤ من يناير كى يضع باقى أعضاء المجلس فى الصورة فوافق المجلس على هذه الخطوات .. وفى مساء ١٥ يناير وقد تصادف أن يكون عيد ميلاد عبد الناصر الأربعين ، استقبل عبد الناصر الوفد العسكرى السورى الذى أبلغه بقرار المجلس العسكرى إزاء المطلبين السالفين .وهنا أعلن عبد الناصر موافقته على قيام الوحدة .

مؤامرة سعود

الواقع أن المؤامرة التى عرفت بأسم مؤامرة سعود بدأت، فى شهر ديسمبر ١٩٥٧ مع بروز تيار الوحدة المتزايد، ومع وضوح موقف الجيش السورى المتحمس بقيام الوحدة مع مصر .. وقد أكتشف مجلس قيادة الجيش السورى هذه المؤامرة ، وقرر أن يتولى السراج - بصفته قائد المكتب الثانى - متابعة الموضوع ، ووضع المجلس العسكرى باستمرار فى الصورة ، وأن يكون تصرف السراج فى حدود ما يراه المجلس العسكرى.

لقد أغضب سعود رفض مصر وسوريا مشروع أيزنهاور الذى كان يروج سعود له، ومن ناحية أخرى كانت العراق تحاول أن تضم سوريا إلى حلف بغداد ، ومن ثم كان هناك احتمال كبير لأن تقوم الولايات المتحدة بنسف الوحدة عن طريق ضرب المحاور العربية بعضها ببعض: محور مصر - سوريا - السعودية، ومحور حلف بغداد، وطلب مجلس القيادة العسكرى السورى - كاختبار لمدى جدية العملية - من عبد الحميد السراج أن يطالب السعودية بإمكانات مادية توضع تحت تصرفه ، ولكن السراج رفض- فى بادئ الأمر - خشية أن يتهم بالرشوة ، وأصر المجلس على أن يطلب السراج من السعودية تحويل مبلغ معين باسم السراج على المصرف الذى ترغبه السعودية، فجاءه شيك بمليون جنيه باسم عبد الحميد السراج ، وعرض السراج على المجلس رقم الشيك ، ولكن المجلس طلب زيادة المبلغ فحولت السعودية شيكا آخر قيمته بنصف مليون جنيه ، واستمرت عملية المفاوضة حتى وصلت المبالغ المحولة لحساب المؤامرة إلى مليونى جنيه فى شيكات متفرقة . كانت خطوات الوحدة تسير حثيثا بجانب المؤامرة المزعومة التى كان يعقد عليها سعود آمالا كبيرة إلى أن تيقن سعود أن الوحدة بين مصر وسوريا ستقوم لا محالة فاقترح ضرب طائرة عبد الناصر وإسقاطها لو لم تسنح الفرصة بعمل لوقف قيام الوحدة !!!

وقد جاء طلب إسقاط طائرة عبد الناصر بعد إبرام ميثاق الوحدة بين مصر وسوريا فى

اجتماع ضم حكومتى القطرين برئاسة عبد الناصر و شكرى القوتلى فى النصف الثانى من يناير ١٩٥٨ ، وحدد فى هذا الاجتماع يوم ٢٢فبراير ليكون تاريخ الاستفتاء على الوحدة وقيامها والاستفتاء على اسم رئيس الجمهورية للدولة الموحدة ... وبعد هذا الاجتماع توجه القوتلى إلى مجلس الشعب السورى وأعلن تأييده لترشيح عبد الناصر .وقرر المجلس العسكرى إرسال عبد الحميد السراج بصفته رئيسا للشعبة الثانية الى القاهرة كى ينضم إلى من تبقى من أعضاء الوفد العسكرى السورى بالقاهرة برئاسة عفيفى البرزى، وأبلغ السراج عبد الناصر بموضوع مؤامرة سعود فطلب منه الأخير متابعة الموضوع وإبلاغه بتطوراته وكان السراج تواقاً للحضور إلى القاهرة كى يبلغ عبد الناصر تطورات المؤامرة بغرض أن يحميه من أية مضاعفات مستقبلية تنتج عن أية تأويلات للمبالغ التى دفعتها السعودية للقيام بتدبير المؤامرة ، واستمر سعود ينتظر فى قلق نتائج هذه المؤامرة الوهمية إلى أن قامت الوحدة القومية وانكشف أمرها . سافر عبد الناصر إلى دمشق بعد قيام الوحدة وإتمام إجراء الاستفتاء على قيام الجمهورية العربية المتحدة وعلى رئيسها جمال عبد الناصر. وخلال الأيام الأولى من إقامته فى سوريا، كان عبد الناصر مشغولا فى إصدار دستور مؤقت للجمهورية العربية المتحدة ، وفى تنظيم شكل الحكم وتشكيل الحكومة، وكان توجيه عبد الناصر فيما يختص بموضوع المؤامرة ألا يعلن عنها إطلاقا وألا يجرى أى اتصال مع السعودية وأن يسدل الستار على الموضوع. وكان عبد الحميد السراج قد عين وزيرا للداخلية فى المجلس التنفيذى للإقليم الشمالى .. وحدث بعد مرور أيام قليلة من إقامة عبد الناصر فى دمشق أن أشارت الصحف اللبنانية الى موضوع المؤامرة ، الأمر الذى كان مثار استغراب عبد الناصر وغضبه، فاستدعى عبد الحميد السراج واستوضح منه حقيقة الأمر فنفى له السراج أى علم له أو صلة بتسرب الخبر وعزا السراج تسرب الخبر الى شكرى القوتلى ، بينما الواقع لم يكن شكرى القوتلى يعلم عن موضوع المؤامرة شيئا .. ولكن يبدو أن السراج أراد أن يوقع منذ الأيام الأولى للوحدة بين عبد الناصر والقوتلى ، فأشار إلى عبد الناصر بالعلاقة القديمة بين السعودية وعائلة القوتلى .. وبذلك أصبح عبد الناصر مجبرا على إعلانه ، ففى خطاب له فى دمشق أعلن ان هناك مؤامرة دبرها سعود ودفع فيها مبلغ مليونى من الجنيهات لمنع قيام الوحدة واغتياله إذا اقتضى الأمر ، ونسب عبد الناصر فضل كشف المؤامرة الى السراج وأشاد بأنه رجل وطنى رفض أن يبيع نفسه ، وأغفل عبد الناصر دور مجلس القيادة العسكرى فى موضوع المؤامرة .. ومن الطبيعى أن هذا الإعلان خدم مصلحة السراج إذ أن عبد الناصر أصبح مدينا له بحياته أمام الرأى العام العربى . وغضب أعضاء المجلس من عبد الحميد السراج ،

وصدموا من تصرف عبد الناصر ، ذلك أن السراج احتكر لنفسه فضل كشف المؤامرة بينما لم يكن من وجهة نظرهم أكثر من منفذ لما كان يراه المجلس .. والواقع أن عبد الناصر أراد أن يحدث انقساما فى المجلس فأثار الغيرة داخله بإسناد فضل كشف المؤامرة إلى عبد الحميد السراج وحده، وهذا الأسلوب كثيرا ما استخدمه عبد الناصر مع زملائه فى الحكم فى مصر .. لقد أراد عبد الناصر أن يقرب السراج منه كى يعتمد عليه فى حكم سوريا. فسوريا بالنسبة لعبد الناصر كانت شيئا جديدا ، لم يكن عبد الناصر يثق فى البعث ومن ثم وجد ضالته فى شخص عبد الحميد السراج . والطريف أنه بعد حين اتضح أن السراج هو الذى قام بتسريب معلومات كشف المؤامرة الى صحافة لبنان عن طريق الصحفى " مطيع النونو " وذلك خلافا لما أنكره السراج أمام عبد الناصر .

قيام الوحدة
وإعلان الاتحاد العربى الهاشمى

فى أواخر يناير سنة ١٩٥٨، حضر إلى القاهرة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية، وبرفقته جميع أعضاء الحكومة السورية برئاسة صبرى العسلى، واجتمعوا بالرئيس عبد الناصر وجميع أعضاء الحكومة المصرية، وصدر عن هذا الاجتماع إعلان قيام الوحدة بين مصر وسوريا وحدد فى هذا الإعلان تاريخ ٢٢من فبراير ليكون يوم استفتاء على قيام الوحدة.. والجدير بالذكر أنه بعد صدور هذا الإعلان اجتمع البرلمان السورى فى دمشق وألقى شكرى القوتلى خطابا أمامه بصفته رئيس الجمهورية السورية، ورشح عبد الناصر فى خطابه هذا رئيسا لدولة الوحدة ودعا الشعب السورى لانتخابه رئيسا للدولة الجديدة.

وهكذا يكون القوتلى قد سجل تنازلا عن رئاسة الجمهورية لعبد الناصر، وتم بالفعل الاستفتاء على قيام الوحدة، وعلى انتخاب رئيسها فى اليوم المحدد، وكانت نتائج الاستفتاء شبه إجماعية فى مصر، وغالبية فى سوريا لصالح قيام الوحدة ولصالح انتخاب عبد الناصر رئيسا لها. وفى اجتماع الحكومتين المصرية والسورية، كان جميع أعضاء الحكومة السورية مؤيدين لقيام الوحدة عدا خالد العظم - الذى كان وزيرا للدفاع فى حكومة صبرى العسلى - فقد اعترض صراحة على قيام هذه الوحدة وسجل رأيه معارضا لرأى الحكومة .. وقد صاحبت هذه الأحداث منذ إعلان الوحدة حتى الاستفتاء عليها موجة من الفرح الجارف والتأييد الشعبى الجارف فى كل من القاهرة ودمشق، ولكن الشئ البارز كانت موجة الفرح

الجارفة الصادقة بين جماهير الشعب السورى . والواقع أن سوريا لم تشهد فى تاريخها الجديد مثل هذه الأفراح، فكانت مدن سوريا وعلى رأسها دمشق فى بهجة مستمرة تشهد يوميا ولمدة شهر مظاهرات عارمة تؤيد دولة الوحدة . وبعد إجراء الاستفتاء يوم ٢٢فبراير وصل عبد الناصر فجأة إلى دمشق يوم٢٤فبراير وأمضى بها حوالى أسبوعين أنجز خلالهما - بعد التقائه بكل القوى القائمة فى سوريا - تشكيل الحكومة وقد ضمت أول حكومة شكلت بعد قيام الوحدة كلاً من أكرم الحورانى "بعث" وصبرى العسلى"الحزب الوطنى" كنائبين لرئيس الجمهورية، كذلك ضمت عدداً ملحوظاً من الوزراء البعثيين ، وكانت هذه أول حكومة تضم مثل هذا العدد من البعثيين من أبرزهم رياض المالكى وخليل الكلاس ، وصلاح البيطار ، واشترك فى الحكم أيضا بعض الوزراء العسكريين الذين كانوا أعضاء فى المجلس العسكرى السورى من أبرزهم أمين النفورى ، مصطفى حمدون ، أحمد عبد الكريم ، عبد الحميد السراج .

وما أن قامت الوحدة بين مصر وسوريا ، حتى وجد الملك حسين نفسه مدفوعاً للارتماء فى أحضان نورى السعيد، مستسلما لما أملاه الأخير من شروط ، ذلك أن الملك حسين وجد نفسه مهددا من سوريا التى أصبح يحكمها حينئذ - من وجهة نظره -عدوه الداهية عبد الناصر . فضلا عن أن الملك سعود كان قد أبلغ حكومة الأردن - أثناء مباحثات الوحدة فى مصر بين عبد الناصر والوفد العسكرى = أنه سوف يتوقف عن دفع نصيب السعودية فى الدعم الأردنى وقدره خمسة ملاين من الجنيهات لاتجاه حسين الى العراق ، وبالطبع كان توقف الدفع يعنى الإفلاس لخزينة الأردن ، ولذا لجأ حسين إلى عمه فيصل ملك العراق بهدف إحياء التراث الهاشمى ، طالما بدأت القاهرة تضغط عليه كى ينحاز بسياسته الخارجية والعربية بجانب مصر . وفى يأس وضع حسين نفسه تحت تصرف نورى السعيد فوافق على شروط العراق غير المتكافئة لحمايته ومساعدته والارتباط مع العراق فى اتحاد فيدرالى . وفى أوائل مارس أعلنت العراق فيه بمثابة الشريك الأكبر . وهكذا أصبح فيصل العراق رئيسا للدولة الجديدة، ونورى السعيد رئيسا للحكومة الفيدرالية الذى سيقوم بتوجيه السياسة العامة للشؤون الخارجية والمالية والدفاع .. كان عبد الناصر يرى فى الاتحاد الجديد بين العراق والأردن عائقا لخططه إزاء سياسة الحياد التى كان يدعو لها ، ومع ذلك كان وشيك الانتفاع من هذا الموقف بصورة غير مباشرة .. ذلك أنه حينما أعلن الرئيس الامريكى أيزنهاور مبدأ أيزنهاور شعر الملك سعود فى قرارة نفسه بميل قوى نحو هذا المشروع الذى ظن أنه سيحميه مما أطلق عليه "الغلالة الزاحفة للنفوذ الشيوعى فى العالم العربى"، ولكن موقف

سعود تغير بقيام الولايات المتحدة بمساندة الأتراك ضد سوريا ، فى الوقت الذى كان متفاهما فيه مع القاهرة منذ مؤتمر القاهرة الذى عقد سنة ١٩٥٥ ، وحينما وجد سعود حليفه حسين يتجه نحو العراق ويقيم اتحادا مع الذين روجوا لحلف بغداد اتجه لرفض أقتراح الرئيس أيزنهاور .. ومن ناحية أخرى ، قام الإمام أحمد إمام اليمن بإرسال ولى عهده الأمير البدر لمقابلة عبد الناصرلإبلاغه رغبة الإمام فى الانضمام إلى دولة الوحدة الجديدة فى شكل اتحاد أطلق عليه " الدول العربية المتحدة " ، وكان لقيام هذا الاتحاد صداه وتأثيره وبخاصة على الملك سعود .

إعادة تنظيم الجيش الأول وتسريح الضباط الشيوعيين

فى دمشق التقى المشير عبد الحكيم عامر بالمجلس العسكرى الذى ساهم بالدور الرئيسى فى قيام الوحدة وطالب المجلس بتنفيذ ما اتفق عليه قبل قيام الوحدة .. وعرض المشير عامر على أعضاء المجلس ثلاثة أمور رئيسية ..

أولاً : أن يعتبر المجلس منحلا طالما أصبحت الوحدة قائمة .

ثانياً : من يرغب من أعضاء المجلس البقاء فى الجيش ينبغى عليه الابتعاد عن العمل السياسى والتفرغ لإعداد الجيش عسكريا .

ثالثاً : من يرغب فى العمل السياسى فالمجالات واسعة ، ولكن لابد أن يترك الجيش أولا .

وأجمع أعضاء المجلس على البقاء فى الجيش والابتعاد عن السياسة عدا عضو واحد هو بشير صادق الذى أبدى للمشير عامر رغبته فى العمل فى الحقل العام خارج الجيش ...... وفى هذا الاجتماع قام المشير بتوزيع نجمة الشرف العسكرية على أعضاء المجلس العسكرى ، وكان عبد الناصر قد منحها لأعضاء المجلس بصفته رئيسا للجمهورية العربية المتحدة تكريما لهم على جهودهم الوحدوية .. ومن الواضح ان تشبث أعضاء المجلس العسكرى الحزبيين ببقائهم فى الجيش كان دافعه حرص الأحزاب على بقاء عناصرها العسكرية فى الجيش . فهو موقع قوة ، يضمن لها توجيه سياستها من خلال تصورها السياسى ، أما العناصر المستقلة فكانت معظمها تثق فى عبد الناصر ولذلك تركت الأمر منوطا بما يراه عبد الناصر، وكان البعض يظن أن عبد الناصر سوف يحفظ لهم فضلهم فى قيام الوحدة ولن يفرط فيهم .. بعد ذلك بدأ المشير اتصالاته الفردية لبعض أعضاء المجلس العسكرى

لاستكشاف رغباتهم . وتمخضت هذه المقابلات عن اختيار أربعة للوزارة منهم عبد الحميد السراج . كان عبد الناصر يعالج الموقف السياسى بينما كان المشير عامر يتولى معالجة أمور المجلس العسكرى . وبعد تشكيل الوزارة أصدر عبد الناصر الدستور المؤقت .. وعند قيام الوحدة أطلق على الجيش السورى اسم "الجيش الأول"، وسمى الجيش المصرى " الجيش الثانى " وقام عامر بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة لدولة الوحدة بإصدار نشرة عسكرية تضمنت بعض التعيينات المحدودة فى المناصب الكبرى فى الجيش الأول.

أحداث خارجية أثرت على الوحدة
(زيارة عبد الناصر الأولى للاتحاد السوفيتى)

راقب السوفييت الأحداث منذ قيام الوحدة بدهشة ، فبالرغم من اعترافهم بالوحدة بين سوريا ومصر اعترافا بالأمر الواقع ، فإنهم كانوا لا يرحبون فى قرارة أنفسهم بأى نوع من أنواع الوحدة بين القاهرة ودمشق ولا يشجعون نهضة أى قومية..

لقد كان الحزب الشيوعى السورى يزداد نموا ونفوذا قبل قيام الوحدة وسط الاضطراب والتفكك الذين كانا يسودان سوريا .. وكان تأييد الشيوعيين السوريين للوحدة ينبع من فكرة أن عبد الناصر لن يوافق على الوحدة ، فلما تبين للشيوعيين أن الوحدة قائمة لا محالة ، بادروا وعلى رأسهم خالد بكداش على معارضة الوحدة.. كان إصرار عبد الناصر على حل الأحزاب السياسية فى سوريا ضربة للشيوعيين جعلت خالد بكداش يفر من سوريا إلى الكتلة الشرقية فى الرابع عشر من فبراير ١٩٥٨ لكى يقوم بمهاجمة الوحدة من الخارج . والواقع أن السوفييت كانوا لا يدركون طبيعة القومية العربية ونفوذها، وكانوا يرون أن الوحدة الحقيقية بين الدول هى وحدة البروليتاريا ، أما فكرة قيام اتحاد أو أى نوع من أنواع الوحدة بين الدول العربية فكان أمرا لا يهمهم فى شئ إن لم يكونوا يبغضونه ، ولكن حينما لاحظ السوفييت اندفاع تيار القومية فضلا عن الحماس البالغ الذى استقبل به السوريون عبد الناصر حينما زار دمشق لأول مرة فى شهر فبراير ، فكر السوفييت فى إعادة النظر فى القومية وفى زعامة عبد الناصر للمنطقة ومن ثم كان لابد من مناقشة كثير من المسائل وجها لوجه فتقررت زيارة عبد الناصر للاتحاد السوفييتى .. وكان قد تقرر أن يقوم عبد الناصر بزيارة الاتحاد السوفييتى سنة ١٩٥٦ ، ولكن الزيارة تأجلت نتيجة العدوان الثلاثى على مصر ، وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا وسفر عبد الناصر إلى دمشق و إعلانه الدستور المؤقت للدولة الجديدة فى ٥ مارس ١٩٥٨ ، عاد الى القاهرة ليستعد لزيارة رسمية للاتحاد السوفييتى قام

بها فى ٢٨ ابريل ١٩٥٨ وقد اصطحب وفدا رسميا تكون من أكرم الحورانى وعبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين ومحمود فوزى وعلى صبرى وأحمد عبد الكريم وصلاح نصر . واستغرقت الزيارة ١٧ يوما زاروا خلالها عدة مناطق، واستقبل عبد الناصر فى كل مكان استقبالا حافلا . ولقد جرت مفاوضات بين وفدى البلدين منذ أول يوم للزيارة لتدعيم العلاقات بين البلدين وقام خروشوف بشرح الوضع الدولى ومواقف السوفييت فى التيارات التى تسود العالم ، كما قام عبد الناصر بشرح وجهة نظر مصر إزاء المشاكل الدولية القائمة وبالطبع لم تخل المحادثات من طلب مصر العون العسكرى والاقتصادى من الاتحاد السوفييتى ، وكعادة الروس كان خروشوف يتحدث بالروسية بينما يقوم مترجم بترجمة حديثه الى العربية ، ثم يترجم حديث عبد الناصر من العربية الى الروسية . وقد أدى هذا الأسلوب الى حدوث سوء تفاهم بين خروشوف وعبد الناصر .. ففى إحدى المحادثات فهم عبد الناصر من ترجمة المترجم أن خرشوف طلب فى حديثة أن يسمح للشيوعيين فى سوريا ومصر بنشاط أكبر . وحينما جاء دور عبد الناصر فى الحديث قال : إن هناك نقطة أريد توضيحها وهى أننا لسنا شيوعيين ، لقد فهمت من المترجم أنك ذكرت فى حديثك أن على الجمهورية العربية المتحدة مساعدة الشيوعيين فى نشاطهم، واستطرد عبد الناصر يقول :إننا نعتبر هذا بمثابة تدخل فى شئوننا الداخلية . وساد جو الجلسة شئ من الوجوم ، ولكن سرعان ما أصلح خروشوف الأمر معتذرا ، وقال إنه لم يطلب مثل هذا الطلب وأن هناك سوء فهم نتيجة خطأ المترجم ، وأبدى خروشوف استعداده لمؤاخذة المترجم على ما سببه من سوء فهم . وكان السوفييت حريصين أيضا على أن يظهروا لعبد الناصر مدى تقدمهم فى بناء السدود ، ومن ثم تضمن برنامج الزيارة مشاهدة أكبر سدودهم على نهر الفولجا ، ووقف عبد الناصر والوفد المرافق له يشاهدون بإعجاب المياه المتدفقة باندفاع لتدير توربينات الكهرباء ، ومال مرافق عبد الناصر عليه وقال :سيكون لديكم سد أكبر من هذا على النيل !! .. لقد كان الروس حريصين على بناء السد العالى كرمز لتقدم التكنولوجيا السوفييتية، بخاصة حينما علموا من عبد الناصر أن واشنطن أرسلت إليه قبل بدء زيارته لموسكو تغريه بأن الحكومة الأمريكية لا تزال لديها الرغبة فى المساهمة فى بناء السد العالى من خلال ألمانيا الغربية .. وبالطبع كانت واشنطن تهدف من وراء ذلك منع عبد الناصر من القيام بزيارته للاتحاد السوفييتى أو على أقل تقدير إخفاق زيارته إلى الحد الذى لا تورطه فى أية ارتباطات سياسية أو اقتصادية .. ولكن كل هذه المحاولات باءت بالإخفاق لأن الأحداث كانت قد سبقت الزمن .

ثورة العراق

كان الموقف فى الشرق الأوسط قد وصل إلى ذروة التوتر .. ووسط هذه الأحداث وقع انفجار مفاجئ أثر على مجريات الأحداث فى العالم العربى . ففى ١٤ يوليو ١٩٥٨ وقع انقلاب عسكرى فى العراق بقيادة العميد عبد الكريم قاسم ونائبه العميد عبد السلام عارف .. وأسفر الانقلاب عن تصفية الأسرة الحاكمة جسديا حيث قتل الملك الشاب فيصل وأغلب العائلة المالكة ، كما قتل نورى السعيد وأعلن راديو العراق قيام الجمهورية .

وعين قاسم أول رئيس حكومة لها كما عين عبد السلام عارف نائبا له ، ورغم وجود عبد الناصر فى يوجوسلافيا فإنه أرسل برقية للاعتراف بالنظام الجديد . وتطورت الأحداث بصورة مذهلة ، فقد نزلت قوات أمريكية إلى لبنان وتواترت أنباء عن احتمال طلب الملك حسين لقوات بريطانية كى تدافع عن عرشه فى الأردن ، كما أصدر بيانا إلى الشعب العراقى يحثه على سحق الثورة . تكهرب الجو فى كل من بيروت وعمان وأنقرة وواشنطن ، وفى واشنطن رأت المخابرات المركزية الامريكية أن عبد الناصر بمساندة روسيا كانا وراء حركة العراق لتدمير كل نفوذ للغرب فى المنطقة .. وفى ١٨ يوليو طار عبد السلام عارف فى رحلة سرية ليجرى محادثات مع عبد الحميد السراج فى دمشق وطار عبد الناصر فورا إلى دمشق . ووقع عبد الناصر مع عبد السلام عارف اتفاقية تحالف وصداقة ومساعدة متبادلة .. وكان واضحا أن هناك خلافاً بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف ، إذ كان الأخير يتمتع بحب الجيش العراقى ويكثر من الزيارات والمرور فى جميع أرجاء العراق ، بينما كان قاسم قابعا فى مكتبه ، وبدأت الأنباء تتوالى من العراق عن التنكيل بالعناصر الوطنية وأصحاب الميول المصرية .. وسيطر الشيوعيون على العراق نتيجة ترك قاسم لهم حرية

النشاط مما حدا ببعض الضباط القوميين العراقيين على محاولة الإطاحة بقاسم قبل أن يستفحل أمر الشيوعيين ، ومن ناحية أخرى كان عبد الحميد السراج يلح على عبد الناصر ضرورة تدبير انقلاب على حكم قاسم . ووافق عبد الناصر على اقتراح السراج فاتصل الأخير مع العقيد عبد الوهاب الشواف قائد لواء الموصل بشمال العراق الذى قام بثورة ضد عبد الكريم قاسم ، ولكن هذا الأخير تمكن من القضاء على الثورة ، وقام بضرب الموصل بالطائرات وانتهى الأمر بسحق الثورة ومصرع الشواف ، وتقديم كل المشاركين فى الثورة الى المحاكمة !!!..

الشائعات .. لقد عمد المعادون للوحدة إلى بث الشائعات التى تجعل السوريين يتذمرون ، فروجوا أن هناك تدبيرا يعد لنقل الفلاحين المصريين وتملكهم أراضى سوريا ، وأن الاهتمام بنقل المصريين الى سوريا ينال اهتماما من القاهرة أكثر من اهتمامها بتمليك السوريين الذين لايملكون.. وعاون البعث فى هذه الحملة ولذلك لم يكن غريبا أن يخفق قانون الإصلاح الزراعى فى سوريا فى تحقيق النتائج المرجوة منه وبخاصة النتائج السياسية، ذلك أنه بعد توزيع الأراضى بموجب القانون الجديد كانت لاتزال هناك قوى سياسية تتكون من ملاك الأراضى الجدد ، والمنتفعين أو الذين نزعت منهم بعض الأراضى ، وقد التقى الأخيرون مع القوى المعادية للوحدة سواء بطبيعتها التى استجدت نتيجة عدم تحقيق مصالحها أو سياستها المناهضة للوحدة أصلا كما حدث فى حزب البعث .

عبد الحكيم عامر
ممثلا لعبد الناصر فى سوريا

كان عبد الناصر قد أوكل حكم سوريا فى المرحلة الأولى لقيام الوحدة وبعد تشكيل حكومة الوحدة الأولى إلى البعثيين ، فأثار هذا الوضع حفيظة كل القوى غير البعثية ، وبخاصة القوى المنظمة : شيوعيون أو إخوان مسلمون ، حزب وطنى ، حزب الشعب .

وقد عزز سلوك البعث فى الحكم مخاوف هذه الفئات من القاهرة وشكوكها إزاء نوايا عبد الناصر ، إذ قام البعثيون لمحاولة بسط سيطرتهم ودفع عناصرهم دون غيرهم إلى مختلف المراكز الحساسة فى الدولة ، كما عملوا على تسريح الضباط الشيوعيين من الجيش وعلى رأسهم عفيفى البرزى قائد الجيش الذى اتهموه بالشيوعية ، هذا فى الوقت الذى لم يمس فيه البعثيون .. واستمرت موجة مد البعث تتزايد بخاصة بعد التعديل الوزارى الذى أجرى فى نوفمبر ١٩٥٨ والذى عزز عناصر البعث فى الحكومة بسوريا وأوكل اليهم أكثر الوزارات حساسية وتأثيرا .. وبدلا من أن يلجأ البعثيون إلى اتباع سياسة الاعتدال كسبا للقوى الأخرى ، وبدلا من أن يستجيبوا الى توجيهات عبد الناصر المتكررة بضرورة الابتعاد عن روح التمييز الحزبى فى حكم سوريا وإدارة الأمور فيها ,أصروا على الاستمرار بنفس الأسلوب الحزبى. وكان لامفر من أن يقع الخلاف بين عبد الناصر وبين البعث : وثم بدأت حمله النقد البعثى لعبد الناصر ، ولكنه لم يستجب لضغوط البعثيين ، مما اضطره إلى القيام بإجراء توازن في الجيش عن طريق إصدار حركة تنقلات دورية ، أدت إلي نقل عدد من ضباط الجيش المنتمين إلي البعث إلي الإقليم المصرى ، وقد أثار هذا حفيظة البعث ، ومن ثم نما الصراع السياسي بين عبد الناصر وحزب البعث ، وأخذ يستغل إلى أن قدم البعثيون استقالانهم لعبد الناصر فى أواخر سنه ١٩٥٩ وهم أكرم الحررانى ، صلاح البيطار ، مصطفى

حمدون ، وعبد الغني قنوت .

كان مشيل عفلق رئيس البعث قد ذهب إلى الرائد داود عويس مدير مكتب وزير الحربيه حينئذ المشير عبد الحكيم عامر ، كي يتصل بكل من الوزراء كمال رفعت وعباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح لإقناعهم بالتضامن مع وزراء البعث، وتقديم استقالاتهم .. ولكن داود عويس ابلغ ذلك لكل من المشير عبد الحكيم عامر ، وعباس رضوان ، ثم قام المشير من جانبه بإبلاغ الرئيس عبد الناصر بمحاولة البعث ، كما قام عباس رضوان بإبلاغ المشير عامر باتصال داود عويس.

وقد تركت هذه المحاولة أثرا سيئًا إزاء الوزراء المصريين ، علي الرغم من انهم لم يستجيبوا لنداء البعث . وكان عبد الناصر قد قام - قبيل تقديم وزارء البعث استقالاتهم - بإيفاد المشير عبد الحكيم عامر إلى سوريا متمتعا بصلاحيات رئيس الجمهورية - لمعالجه الأمور الناشئة بعدالوحدة في الإقليم الشمالي ، وقد لمس المشير عامر بعد وصوله دمشق فوراً تصرفات الفئة المناوئة للقاهرة ، فأراد معالجتها ، فما كان من البعثيين إلا أن قدموا استقالاتهم ردا مباشرا علي تشكيل اللجنه الوزارية التي أوكل المشير عامر إليها مهمه مراقبه تطبيق قانون الإصلاح الزراعي .. ذلك أن القانون لم يعد خاضعا لتصرفات مصطفى حمدون وزير الاصلاح البعثي ، هذا فضلا عن أن البعثيين ضمنوا استقالاتهم سببا آخر ، هو أن القاهرة لم تستجب لوجهة نظرهم فيما تتعلق بطريقة انتخابات الاتحاد القومي فأسلوب اجراءاتها ، التي أجريت في أوامر سنه ١٩٥٩ وكان عبد الناصر يرى أن يتم تشكيل الاتحاد القومي عن طريق الانتخابات حتي يتم التوازن بين القوى المختلفة في سوريا ، بينما رأى البعث أن يتم جزء منها بالتعيين ، حتى ينضم للإتحاد العناصر القديمة .

الخلاف بين السراج والوزراء العسكريين

بعد تكوين الاتحاد القومى وتسلم عبد الحميد السراج أمانة سر الاتحاد القومى فى سوريا ، أصبح واضحاً أن خيوط السلطة جميعها تقريبا فى قبضة شخص واحد هو السراج . وهكذا أصبح السراج يسيطر على الإدارة والسياسة والاقتصاد فى الوقت ذاته ونتيجة التصرفات السيئة التى كانت تمارسها عناصر خاصة من المباحث والمخابرات السورية مع كثير من فئات الشعب وقطاعاته، فقد ظهرت فجوة واضحة بين هذه الأجهزة وبين جماهير الشعب.

بدأ اللغط وأصوات التذمر والانتقاد لمسلك هذه الأجهزة يعلو والشكاوى تنهال على مكتب المشير عامر كمسئول عن تسيير الأمور فى سوريا كما تدفقت الشكاوى إلى مكتب جمال عبد الناصر ، وقد حاول المشير عامر من خلال مسئوليته المفوضة إليه من رئيس الجمهورية أن يصحح مسار الأمر ويكبح من جماح السياسة المطبقة فى سوريا، فاصطدم بالسراج الذى اتضح أنه كان حريصا على وضع العراقيل والعقبات فى طريق نجاح مهمة عبد الحكيم عامر بغرض إخفاق مهمته موحيا الى السوريين بأن من يستطع معالجة الأمور فى سوريا لابد أن يكون أحد أبنائها . وكان عبد الحكيم عامر حريصا على معالجة الأمور فى سوريا بكثير من اللين والمرونة ، فحاول ألا يدخل فى مشكلات من تلك التى تدور فى عقل السراج حرصا منه على الوحدة هذا من ناحية ، أما من ناحية أخرى فقد بدأت أجهزة الأمن والأجهزة السياسية التى كان يسيطر عليها السراج تبث الشائعات - وأغلبها كاذب - ليسئ إلى مكاتب عبد الحكيم عامر وإلى كل المتعاونين معه من القوى السورية ، كما أخذت الأجهزة تلعب على وتر النعرة الإقليمية فأثارت حملة تشهير بالعناصر المصرية ، مدنية كانت أم

عسكرية، ووصفوا المصريين بالفراعنة الذين يريدون غزو سوريا واحتلالها حقيقة حدثت أخطاء من بعض العناصر المصرية ومن بعض العناصر السورية ولكن هذه الأخطاء ما كانت تبرر الخط والمسلك الذى اتبعته هذه الأجهزة حرصا على الوحدة وعلى المبادئ التى كانت تعبر عنها . ومن الملاحظ أن المشير عبد الحكيم عامر قائد عام القوات المسلحة والذى كان مخولا بصلاحيات رئيس الجمهورية فى سوريا - كان موضوعا تحت الرقابة المشددة من أجهزة الأمن السورية ، ولذا أنشأ المشير عامر سنترالا خاصا لمواصلاته التليفونية ولكن سرعان ما اكتشفته أجهزة الأمن السورية ووضعته تحت الرقابة !!!

الخلاف بين عامر والسراج

كان عبد الناصر قد قام في نهاية سنة ١٩٥٨ بإجراء أول تعديل وزاري في ظل دولة الوحدة، وتضمن هذا التعديل تشكيل ما أطلق عليه الوزارة المركزية بالإضافة إلى المجلس التنفيذي لكل من مصر وسوريا. وكان غرض عبد الناصر من تشكيل الوزارة المركزية هو استقطاب بعض العناصر السورية التي لم يكن عبد الناصر راضيا عن مسلكها السياسي، مثل أكرم الحوراني وصلاح البيطار اللذين كانا يتصدران حملة حزب البعث العربي الاشتراكي في نقد سياسة عبد الناصر في سوريا، وبخاصة إزاء إبعاده بعض الضباط البعثيين في الإقليم المصري نتيجة نشاطهم الحزبي داخل الجيش، فضلا عن كبح عبد الناصر جماح البعث وعدم إطلاق يده في حكم سوريا بالشكل الذي كان يتصوره البعثيون على أساس أن البعث على حد قولهم هو الحزب الذي ينبغي أن تطلق يده في حكم سوريا، وكان هذا الهدف هو دوما في مركز الصدارة بالنسبة للبعثيين، وكان من جملة دوافعهم الأساسية على قبول الوحدة مع مصر.

وقد قام عبد الناصر بموجب التعديل الوزاري الأول، بإبعاد بعض العناصر السورية التي لم يكن عبد الناصر راضيا عن مسلكها إزاء الوحدة مثل أمين النفوري و أحمد عبد الكريم، وعلى الرغم من أن عبد الناصر استقطب بعض الأقطاب البعثية في القاهرة، وبالرغم من انه دعم قوة البعث في المجلس التنفيذي السوري بعناصر بعثية جديدة، إلا أنه ظل يمسك بزمام

السلطة بحيث لم يسمح للبعث بالانطلاق بالدرجة التى كان يتوق اليها ولذلك كان من الطبيعى فى هذه المرحلة أن تبرز الخلافات بين عبد الناصر والبعث على السطح ... كان عبد الحميد السراج حتى هذه المرحلة ينفذ توجيهات عبد الناصر تنفيذاً أمينا ، ولكن فى ذاك الوقت كان يتظاهر بأنه قريب من البعث ويبدى تعاطفه معهم. ولكن من ناحية أخرى عمد السراج إلى تشويه صورة البعث فى ذهن عبد الناصر . ليدفع بالأمور إلى ضرب البعث بطريقة خفية تبعد عنه الشبهات ، وتجنبه نقمتهم عليه ... ونتيجة للخلافات الخفية بين عبد الناصر والبعث - التى كانت قائمة قبل أن تظهر على السطح - قام عبد الناصر بتشكيل لجنة من عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين وأكرم الحورانى لتذهب إلى سوريا ، وتبحث مختلف المشكلات المثارة من مختلف القوى وتضع اقتراحات الحلول لها . وحتى هذا التاريخ كانت تطلعات عبد الحميد السراج متواضعة ومقصورة على أن يظل قادرا على البقاء فى الحكم وتثبيت أقدامه .. أما بعد خروج البعثيين من الحكم ، أصبح السراج يتطلع ويحلم بأن يكون حاكم سوريا المطلق فى ظل عبد الناصر ، وهى الآمال ذاتها التى راودت البعث من قبل. ومع بداية هذه المرحلة ، بدأ عبد الحميد السراج يلعب دورا يتمثل فى المزيد من التقرب من عبد الناصر ، وفى الابتعاد تدريجيا عن المشير عامر والتمرد عليه وهو يباشر سلطاته المخولة له من رئيس الجمهورية فى سوريا ، ومهد السراج للاختلاف مع عبد الحكيم عامر بتكوين صورة يبدى فيها إخلاصه لعبد الناصر. وفى الوقت ذاته يبين اختلافه مع عبد الحكيم الذى يعزو إليه عدم تفهمه لأمور سوريا بوقائعها . ومن هذا المنطلق بدأ عبد الحميد السراج فى نقد سياسة المشير، والتشهير بأسلوب عمل مكاتبه فمثلا حدثت مشادة بين زوجة ضابط مصرى كبير فى رئاسة الأركان بدمشق وبين مصفف شعر سورى ، فاستغل هذا الحادث وشجعه بالشائعات ، فقيل إن زوجة الضابط اعتدت على الحلاق بالضرب المبرح ومن ناحية أخرى أوعز السراج إلى الوزارات والمصالح بالكف عن الرد على مكتب الشكاوى التابع للمشير عامر بصفته مخولا لسلطات رئيس الجمهورية فى سوريا ، هذا فضلا عن استخدام أعمال الإثارة مع المصريين مثل التدقيق فى تفتيشهم بصورة استفزازية عند الهبوط فى مطار دمشق أو عند سفرهم منه للقاهرة ، أو مراقبة تليفونات المصريين بعامة ، واستغلال المعلومات للتشهير بهم . على أن أخطر ما حوته الحملة كان يكمن فى بث الشائعات حول المصريين ووصم مصر بالاستعمار المصرى وترويج الشائعات بتزايد المصريين فى الوزارات ودوائر الدولة والجيش بهدف السيطرة على سوريا . وكان طبيعيا إزاء هذا الجو الثقيل للمباحث وأجهزة الأمن السورية الذى كان يجثم على صدور المواطنين ، أن اتجه المواطنون بشكواهم إلى مكتب الشكاوى

الخاصة بالمشير عامر ، الأمر الذى اقتضى عامر أن ينبه السراج إلى ضرورة معالجة مثل هذه الأمور ومراقبة تصرفات رجاله ومحاسبة الذين تصدر منهم إساءات إزاء المواطنين . وأحس السراج أن تصرف المشير عامر هذا ليس إلا بداية لتقليص سلطاته وبداية لوضع كل تصرفات الأجهزة المختلفة التى كانت فى قبضة السراج تحت سلطة المشير وإشرافه وهذا سوف يضعف بالطبع موقف عبد الحميد السراج ويهدد أطماحه . وكانت النتيجة أنه بدلا من أن يتعاون السراج مع عامر ويستجيب لتوجيهاته حاول أن يشعر الأجهزة بأن عبد الحكيم عامر يريد أن يسلبها كل الصلاحيات التى مكنها لها السراج وهذا من أجل تأليب هذه الأجهزة على عبد الحكيم عامر واستخدامها فى مخطط السراج .. وكمثل على الفوضى والتخبط الذى ساد سوريا نتيجة هذا الجو غير العادى ، أرسل مواطن سورى شكوى ضد ممدوح الأحدب – أحد ضباط السراج – إلى مكتب الشكاوى التابع للمشير عامر، يشكو من اعتداء وقع عليه من قبل عناصر من المباحث ، وأحيلت هذه الشكوى بطبيعة الحال الى وزير الداخلية لإجراء اللازم ، وبدلا من أن تقوم وزارة الداخلية السورية بالتحقيق فى الشكوى واتخاذ الإجراء اللازم وإفادة مكتب المشير بالنتيجة، حولت الشكوى إلى المشكو فيه مع الإيحاء بعدم الرد .. وقامت مكاتب المباحث السورية بعد ذلك ببث الشائعات بأن وزارة الداخلية لا ترد على مكتب المشير عامر، ولا تسمح له بأن يتدخل فى شئونها، وذلك بغرض الحط من هيبته والامتهان من قدرته على الإدارة . فإذا ما عنّ للمشير أن يسأل السراج عن هذه الشائعات، رد السراج بأن هذه العمليات تقوم بها عناصر مخربة هدفها الإيقاع بينهما ، وفى الوقت ذاته تبث وزارة الداخلية السورية الشائعات بأن المشير عامر يتحرش بالسراج ويريد أن يقلص سلطاته ويقتص من أعوانه . مثال آخر ظهر فى الاتحاد القومى ، فحينما حاول المشير عامر أن يصحح الأوضاع داخل الاتحاد القومى و أن يحول دون أسلوب السراج – الذى كان سائدا – كان السراج يعد ذلك تدخلا غير جائز من المشير عامر، وكان يرد على ذلك ببث الشائعات بين صفوف الاتحاد القومى التى تقول أن المشير عامر يريد تغيير تشكيلات الاتحاد القومى . ويجرى تعديلات بها ليخرج كثيرين من عناصر الاتحاد ليأتى عوضا عنهم بعناصر تكن له الولاء وتعمل وفقا لمخططاته . على أنه قد يكون من الطريف أن نذكر المثال التالى الذى يوضح كيف كان السراج يدبر المكائد للإيقاع بين البعث والقاهرة ، بأساليب أقرب الى المناورات الحزبية ... لقد جرت العادة أن يقام مهرجان خطابى بمناسبة ذكرى استشهاد الضابط عدنان المالكى الذى اغتاله (القوميون السوريون) عام ١٩٥٥ ومع أن عدنان المالكى لم يكن بعثيا ، فإن البعثيين درجوا على استغلال هذا الحفل حزبيا على أساس أن رياض المالكى – وهو بعثى – أخ للشهيد عدنان

المالكى .. وفى أثناء الوحدة وبعد أن دب الخلاف بين عبد الناصر والبعث حدث فى الذكرى الثانية لاستشهاد المالكى أن استغل البعث هذا الحفل فى عملية نقد لنظام عبد الناصر ، وقرر عبد الناصر أن يكتفى فى الذكرى الثالثة لاستشهاده بوضع أكاليل الزهور على قبره من قبل القوات المسلحة بصفته ضابطا بها ، كذا من قبل المؤسسات الرسمية التى ترى أن تساهم فى إحياء ذكراه .. وكان توجيه عبد الناصر هذا نتيجة التقارير التى قدمها السراج إليه .. وجاء السراج قرب موعد الذكرى الثالثة فأخبر البعثيين الذين طالبوه بإقامة المهرجان فى هذه المناسبة بأن عبد الحكيم عامر هو الذى أوقف هذا التقليد بعد أن أقنع عبد الناصر كى يوافق على ذلك ، وأنه لا علاقة له بالأمر وتظاهر السراج بأنه سيسعى لدى عبد الناصر بضرورة إقامة الحفل كالمعتاد مع أنه كان يعلم أن هذا الحفل لن قيام وسيعزى ذلك، إلى عبد الحكيم عامر.. والغريب أن يقول السراج هذا للبعثيين وهو يعلم أن المهرجان سيثير كثيرا من مشكلات تتعلق بالأمن، وبالطبع لا يرغب أن تحدث مثل هذه المشكلات التى تجبره على التصدى للبعثيين إذا وقعت، ولذا اقترح على عبد الناصر الاكتفاء بوضع أكاليل الزهور على القبر، فى الوقت الذى أخبر البعثيين عكس ذلك حتى لا يكشف نفسه أمامهم .

آثار اجتماع المعمورة أغسطس ١٩٦٠

لم يستمر الخلاف بين عبد الحميد السراج وعبد الحكيم عامر فى الخفاء بل برز على السطح وأصبح معروفا فى كل من دمشق والقاهرة .. هذا فضلا عن أن رفاق عبد الحميد السراج العسكريين القائمين معه فى الحكم كانوا غير راضيين عن سلوكه السياسى ولا عن تصرفات أجهزته .. وقد وصلوا فى النهاية إلى أن تركيز السلطة فى يد شخص واحد لابد أن يؤدى الى خلل فى الإدارة وفى السياسة ، وتنتهى إلى فردية فى الحكم فى الإقليم السورى . لذلك كان هؤلاء الوزراء وهم أكرم ديرى ، طعمة العودة الله ، جادو عزالدين ، جمال صوفى ، وأحمد حنيدى يرون ضرورة توزيع المسئوليات المركزة فى يد السراج على مسئولين متعددين ..

وكان معظم الوزراء المدنيين السوريين من مؤيدى هذا الرأى، وكانوا أكثر ضجيجا وتذمرا من الوزراء العسكريين من تصرفات أجهزة السراج، وكانت شكواهم لا تنقطع الى عبد الناصر و عامر .. ومن خلال المناداة بفكرة توزيع المسئوليات ومن خلال الدعوة لإصلاح حال المباحث والمخابرات السورية - التى ازداد تذمر الأوساط المختلفة منها- استدعى عبد الناصر وعامر عبد الحميد السراج ورفاقه الوزراء العسكريين إلى الإسكندرية فى أغسطس عام ١٩٦٠ لبحث هذه الأمور ومحاولة معالجتها .. وكان المشير عامر قد سافر مع الرئيس عبد الناصر من دمشق الى القاهرة بعد تشكيل المجلس التنفيذى الذى أعلن فى مارس سنة ١٩٦٠، ثم عاد المشير الى سوريا فى أول يونيو وقضى بها شهرى يونيو و يوليو حتى استكمل تشكيل المؤتمر العام للاتحاد القومى، وتعيين أعضاء مجلس الأمة فى الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣يوليو سنة ١٩٦٠ .. ولقد تم الاجتماع فى المعمورة فى شهر أغسطس ١٩٦٠ بعد ما يقرب من مرور

سنة على تولى عبد الحكيم عامر لمسئولياته فى سوريا .. وكان المشير عامر قد اطلع خلال هذه الفترة بصورة دقيقة على أوضاع سوريا من النواحى الاقتصادية والسياسية والادارية، وكون فكرة على جانب كبير من الدقة عن مجريات الأمور فى الإقليم السورى، وتدارس مع عبد الناصر فى كل هذه الأمور، ووصلا فعلا الى قرار بضرورة إجراء تعديلات أساسية فى جهاز الحكم فى سوريا . وكان فى ذهن عبد الناصر تقليص صلاحيات السراج الضخمة والعديدة وتوزيع هذه المسئوليات على عناصر كثيرة ومتخصصة، وكان الاستغناء عن السراج وقبول استقالته - فى حالة عدم موافقته على البقاء فى الحكم فى ظل التعديلات والظروف الجديدة - واردا فى عقل عبد الناصر .. والجدير بالذكر أن اجتماع المعمورة انتهى إلى اتخاذ عبد الناصر لقرار يخالف ماكان معدا لهذا الاجتماع، وذلك نتيجة مقتل هزاع المجالى رئيس وزراء الأردن .. ومن ثم كان عبد الناصر مجبرا على اتخاذ قرار بإطلاق يد السراج فى سوريا بتعيينه رئيسا للمجلس التنفيذى فى سوريا، ورئيسا للمؤسسة الاقتصادية بها، فضلا عن السلطات العديدة الأخرى التى كانت فى يده والتى تحدثت عنها من قبل .. وتطلب هذا القرار من عبد الناصر سحب عبد الحكيم عامر من سوريا دون إلغاء صلاحياته انتظارا لنتائج هذه المرحلة الجديد .. والواقع أن قرار عبد الناصر هذا كان مستغربا من ناحية خاصة .. وكانت آثاره غير مستحبة بين صفوف مختلف القوى فى سوريا وبين صفوف غالبية الشعب السورى .. وأخيرا صدر قرار عبد الناصر بتاريخ التاسع عشر من سبتمبر عام ١٩٦٠ ليشمل التعديل الوزارى الذى اقتضاه الموقف .. وبدأ السراج يدير أمور سوريا بشقين : شق ظاهرى يتمثل فى قيام المجلس التنفيذى السورى ورئاسته له وتجوله فى المحافظات كى يطلع على شئونها على الطبيعة ويعمل على معالجة مشكلاتها بالتعاون مع الوزراء .. وشق خفى يستهدف تقوية مركزه و إحكام قبضته على كل المؤسسات بهدف أن يصبح عبد الناصر غير قادر على إزاحته إذا ما فكر فى ذلك، وقد أنحى عبد الناصر باللائمة على السراج لموقفه الضعيف فى إدارة المناقشات والتحكم فيها أثناء الاجتماعات الشعبية ، وضرب عبد الناصر مثلا مستشهدا بإدارة خروشوف للجنة المركزية، قال عبد الناصر : إن خروشوف كان يجمع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى ويستمع لكل عضو فيها ويقول ما يشاء ولكنه لا يسمح لأحد أن يتجاوز الحدود التى ينبغى أن يراعيها . والغريب أنه قال عبارة تحوى معنى لأسلوب تعامل خروشوف فى الحزب الشيوعى إذا استطرد عبد الناصر قائلا : كان بيضربهم بالجزم !! وشدد عبد الناصر على أهمية الانضباط وأنه لن يسمح بالفوضى مرة أخرى .. أما نشاط السراج الخفى فقد تجلى فى مظاهره الرئيسية الآتية :

...... **أولا : الاتحاد القومى** الذى بدا يكونه كتنظيم شخصى له حتى أن اللجنة التنفيذية للإقليم السورى والتى كانت تتألف من عدد من الوزراء الى جانب السراج -أكرم ديرى، طعمة العودة الله ، أحمد حنيدى ، جادو عزالدين ، جمال الصواف، أحمد الطرابلسى ، إلخ - لم تجتمع سوى مرة أو مرتين من تاريخ استلام السراج رئاسة المجلس التنفيذى حتى تاريخ تعيينه نائبا لرئيس الجمهورية فى القاهرة فى أغسطس سنة١٩٦١ .. لقد انفرد السراج بالسلطة فى الاتحاد القومى ، حتى بدا الاتحاد القومى وكأنه جهاز خاضع له. ومن خلال الاتحاد القومى استطاع السراج أن يخلق الأجواء التى يريدها ويطلق الشائعات التى يروجها .. والغريب أنه اتضح فى نهاية أيام الوحدة حينما نقل السراج الى القاهرة، أن هذا التنظيم كان يساهم بتوجيه من السراج بإثارة النعرات الإقليمية وتنمية الضغائن بين المصريين و السوريين، بدلا من أن يعمل على التفاعل بين الإقليمين وإزالة الفوارق الإقليمية . ... **ثانيا : أجهزة الأمن :** أخذ السراج يعزز سيطرته على كل الأجهزة الإدارية فى الإقليم السورى سواء فى دمشق أو فى باقى المحافظات ، حتى بدا وكأن الاتحاد القومى هو الجهاز الشعبى ينفذ ما يعطى له من تعليمات يتلقاها من أجهزة الأمن، ومن خلال هذه الأجهزة كان السراج يحاول أيضا إثارة الفرقة بين المواطنين بغرض استقطاب فئة منهم وضرب فئة أخرى .. وفضلا عن أجهزة الأمن فقد سيطر السراج على المحافظين بحكم رئاسته لهم، ولذا كانوا يتسابقون لإرضائه وتنفيذ تعليماته . ...**ثالثا : المؤسسة الاقتصادية** : حاول السراج استخدام سلطته على المؤسسة الاقتصادية كعامل مساعد لفرض تأثيره، حتى بلغ به الأمر أن يقترح على عبد الناصر فى برقية أرسلها إليه ان تسند اليه وزارة الاقتصاد أيضا، ولكن عبد الناصر لم يرد عليه وقال أكرم ديرى فى مقابلة له ان السراج أرسل له يطلب وزارة الاقتصاد مما آثار حفيظة أكرم ديرى.

تأميم البنوك والقرارات الاشتراكية

فى منتصف يناير عام ١٩٦١، انعقد مجلس الوزراء فى الجمهورية العربية المتحدة (المجلسان التنفيذيان للإقليمين المصرى والسورى) برئاسة جمال عبد الناصر وحضر جميع نوابه هذه الاجتماعات، واستمر دور الانعقاد عدة أيام. وخصصت جلسات الاجتماع لمناقشة إنجازات الوزارات لخطة التنمية السنوية، وكان كل وزير يعرض خطة وزارته وانجازاتها التى تمت والصعوبات التى يلاقيها بغرض الوصول فى نهاية النقاش الى حل يضمن تنفيذ الخطة السنوية دون أى تقصير أو تلكؤ. وقد أثير فى هذه الدورة وفى أكثر من جلسة من جلسات المجلس موضوع تأميم البنوك فى سوريا وكانت هناك معارضة لهذا الرأى من بعض أعضاء المجلس التنفيذى السورى وفى مقدمتهم حسنى الصواف وزير الاقتصاد فى الإقليم السورى الذى قدم استقالته نتيجة لذلك وعين خلفاً له أكرم ديرى، أما الأول فقد عين محافظا لبنك سوريا المركزى .. وقد تمت عملية التأميم التى بحثت فى جلسات مجلس الوزراء هذه فيما بعد وذلك فى أواخر شهر فبراير ١٩٦١ أثناء زيارة عبد الناصر لسوريا فى شتاء هذا العام ..

أما فيما يتعلق بسير الأمور وإدارة دفة الحكم فى سوريا برئاسة عبد الحميد السراج، فقد استدعى عبد الناصر- بعد انتهاء دورة مجلس الوزراء المشار اليها سالفا - بعض الوزراء السوريين الى منزله بمنشية البكرى حيث حضر الاجتماع أيضا المشير عبد الحكيم عامر ..

وبدا عبد الناصر فى هذا الاجتماع ومنذ افتتاحه منفعلا متأثرا من السراج فبادر بسؤاله عما يرغب وعما يريد وعما يرضيه وعما يمكن أن يعمل له وذلك بلهجة حوت كل مظاهر القسوة والتأنيب والتهديد . . ولقد قال عبد الناصر بالحرف الواحد :" أنت عاوز ايه يا عبد الحميد ؟ عاوز أعملك إيه علشان ترضى ؟ عاوز أعرف إيه يرضيك ؟ ما تقول وتخلصنا ! أنا قاعد ومفتح ودانى وعينى لكل همسة فى مجلس الوزراء و انت ولا انت هنا هى الأمور ماتهمكش ؟ ". و لم ينبس عبد الحكيم عامر ببنت شفة أو يتدخل لتلطيف الجو كما سلك المسلك ذاته باقى الوزراء السوريين .. وانهال عبد الناصر على عبد الحميد السراج بمحاذرة فيها كل القسوة وكل التهديد معلنا أنه إذا لم تسر الأمور فى سوريا بصورة يرضى عنها عبد الناصر فانه سوف يحاسب السراج ولن يتسامح فى هذه الأمور ..

وقـوع الانـفـصـال

فى شهر اغسطس من عام ١٩٦١ تم تشكيل الحكومة الواحدة بهدف معالجة الأوضاع المضطربة التى سادت سوريا فى السنة الأخيرة من سنوات الوحدة، والتى بلغت ذروتها عقب إعلان القرارات الاشتراكية التى استغلت فى سوريا لتدعيم الجو المعادى للوحدة، ولصبغ هذه القرارات بصبغة السيطرة المصرية على سوريا والتى لا تعامل على أساس التكافؤ مع الإقليم المصرى ..

والواقع أن تشكيل الحكومة هذا لم يساعد على ما كان يهدف اليه ذلك لأن غالبية الأعضاء السوريين فى هذه الحكومة لم يكونوا مرتاحين لأوضاعهم فى التشكيل الجديد فمعظمهم كان يتصور أن العملية تحوى عناصر سوف تقلص سلطتهم وتهيئ لإخراجهم من الحكم .. وكان عبد الحميد السراج أكثر الأفراد شعورا بهذا التصور لذلك كان الوزراء السوريون، وبخاصة العسكريين، يعلنون فى سوريا سخطهم عن أوضاعهم وعن هذا التشكيل الذى أجرته القاهرة . .. وكانت أجواء سوريا مهيأة لمثل هذا المناخ، كما كانت القوى العديدة المتحركة ضد الوحدة ترحب بما يعبر عنه أعضاء الحكومة من عدم الرضا وكان السراج قد عاد من القاهرة فى ٢٢أغسطس الى دمشق بعد قبول عبد الناصر استقالته فقام بتحريض ضباطه على الامتناع عن تنفيذ أوامر نقلهم الى القاهرة، وقامت تشكيلات الاتحاد القومى فى سوريا بإيعاز من السراج بإطلاق موجات من التذمر من القاهرة ومن مسلكها مع سوريا حتى أن هذه الأجهزة تناولت عبد الناصر بالذات بالتجريح واتهمته بالتنكر للمخلصين إليه من أمثال السراج. وكان لامفر فى هذه الفترة من ان يقوم المشير عامر بالرد على تحركات السراج، ويحاول توضيح الأمور لكثير من الأوساط التى تأثرت بالشائعات . كما انهمكت مخابرات الجيش فى الالتفاف الى إحباط محاولات التشويش التى كانت تغذيها أجهزة

السراج والاتحاد القومى السورى، وإلى معالجة الفوضى السائدة فى دمشق نتيجة محاولة إضراب المخابز وإضراب وسائل النقل الداخلى، ومحاولة إثارة بعض فئات العمال ودفع بعض العناصر للقيام بالمظاهرات .. وقد اشترك فى هذا النشاط الشيوعيون السوريون يدعمهم الاتحاد القومى. والواقع ان هذه الفترة المضطربة كانت فرصة لاتعوض سنحت للتنظيمات السرية القائمة فى الجيش كى تنشط بعيدة عن الرقابة وتقوم بإعداد نفسها لتنفيذ الانفصال .. وحقيقة كانت أجهزة الدولة فى سوريا فى شلل تام حينما تحركت القوات المسلحة السورية على السلطة وتنفيذ الانفصال. ودارت مناقشات مطولة حول دور الحزب ومسئولياته تجاه عبد الناصر وتجاه الجماهير ووافق الطرفان – ظاهريا – إلى صيغة مشتركة تقضى بضرورة إعادة بناء الحزب بشكل سرى خشية من رقابة المباحث السورية، لكن الاختلاف حول تجديد الوحدة وحول عبد الناصر استمر قائما بين الزعماء الثلاثة، فبينما كان أكرم الحورانى مقتنعا بضرورة الحفاظ على الشخصية السورية وتوحيد السياسة الخارجية والدفاع فقط، كان رأى عفلق والبيطار عدم فصم الوحدة مع مصر ، والنضال من أجل إقناع عبد الناصر بضرورة تغيير أساليبه وشكل النظام العام فى مصر وسوريا بالوسائل السلمية .. كانت الوحدة قد دخلت عامها الثالث فى شهر سبتمبر و كمحاوله لرأب الصدع والبدء بنشاط الحزب الجديد السرى تقرر عقد اجتماع بالقيادة القومية البعثية فى فيللا "الصنوبر" فى مصيف " برمانا " فى جبل لبنان ، وذلك فى منتصف شهر سبتمبر .. وحضر الاجتماع صلاح البيطار وعبد الغنى قنوت ممثلا الحورانى عن سوريا ، وفيصل الحيزران عن العراق وغسان شراره وخالد بشرطى عن بعث لبنان .. وقام المؤتمرون بدراسة ما وصلت اليه الحال فى سوريا وتداولوا فيما بينهم حول أفضل الحلول لإصلاح الموقف .. وفى أثناء اجتماعاتهم وصل الى برمانا السيد محمد اليوسيفى الجزائرى مندوبا عن بن بيللا الذى عرض عليهم التوسط بينهم وبين عبد الناصر لإعادة توحيد الصفوف والحفاظ على الخط الاشتراكى .. وقد رحب المؤتمرون بمندوب بن بيللا وظنوا أن هناك تحولا فى خط القاهرة واستبشروا بالوساطة وعاد اليوسيفى الى القاهرة لإتمام مهمته .. ولكن تردى الأوضاع داخل سوريا كان قد وصل الى نقطة الانفجار، فبينما كان قادة البعث ينتظرون رد عبد الناصر على وساطة بن بيللا إذ يفاجأون بإذاعة دمشق صبيحة ٢٨سبتمبر ١٩٦١ باذاعة البيان رقم ١ معلنا قيام الانتفاضة المباركة، وإنهاء حكم الوحدة والتسلط المصرى ، وكانت محطة الإذاعة تعزف النشيد الوطنى السورى الذى لم يكن قد سمع منذ أكثر من ثلاث سنوات ..

مجـري الأحـداث

قبل أن تبلغ الوحدات المشتركة فى التآمر دمشق، كانت شعبة المخابرات العسكرية السورية بقيادة العقيد السورى محمد الاستنبولى قد علمت بتحرك وحدات الانقلاب، فأخطرت المشير عامر فى استراحته، وأمر المشير عامر فورا بالاتصال باللواء جمال فيصل قائد الجيش وبرؤساء شعب الأركان كى يتوجهوا فورا الى مبنى الأركان .. كذلك أعطى أوامره كى يجرى اتصالا مع الوزراء العسكريين لينضموا فى مبنى الأركان .. وقرابة الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة سمع تبادل إطلاق النار فى استراحة المشير..

وفى الساعة الرابعة صباحا وصلت دبابات اللواء الأول السورى المتحرك من قطنة الى مبنى الأركان والاذاعة واحاطت بهما واتضح حينئذ أن عبد الكريم النحلاوى الذى لم يكن قد حضر الى مبنى الأركان كان مصاحبا للدبابات التى أحاطت بمبنى الأركان، كما كان برفقته مهيب الهندى بوصفه قائدا للقوات المتحركة من اللواء . وقرابة الساعة الرابعة والنصف، اتصل أكرم ديرى هاتفيا بمبنى الأركان واستفسر عن الموضوع وذكر انه فى طريقة الى مبنى الأركان. ووصل أكرم ديرى الى مبنى الأركان، وعند وصوله إليه تصدى له حيدر الكزبرى، وجرى نقاش بينهما واستغرب الكزبرى عن سبب مجئ أكرم ديرى للمبنى . فالمعروف لديه أن أكرم ديرى مع الانقلابيين، ولكن أكرم نفى علمه بالانقلاب!! وتراشق أكرم والكزبرى بالسباب فما كان من الكزبرى الذى كان -ثملا- إلا أن أطلق النار على أكرم وأصابت الطلقة ساق أكرم ديرى بجرح طفيف ودخل أكرم بعدها مبنى الأركان .. وقد فسرت هذه العملية بأنها تمثيلية الغرض منها إبعاد الشبهة عن أكرم ديرى لاسيما بعد تأخره عن الحضور لمبنى الأركان للانضمام مع رفاقه من الوزراء العسكريين الأمر الذى أثار الشك لدى زملائه وقد ثبت لديهم

أنه كان خارج بيته فى هذه الساعة المتأخرة فاعتقدوا أنه كان مجتمعا مع بعض ضباط الانقلاب، ومع الفجر بدأت الاتصالات بين الانقلابيين وبين المشير عامر، فكلف المشير كلا من جاسم علوان - قائد اللواء المحاصر لمبنى الأركان - وكان جاسم قد استدعى للأركان من قطنة الساعة الواحدة صباحا من الليلة ذاتها - جادو عز الدين وأكرم ديرى بالاستفسار من النحلاوى والهندى عن أهدافهما فأجاب النحلاوى بأن الحركة لا تستهدف سوى إجراء بعض الإصلاحات فى الجيش بعد أن ساءت الأمور الى الحد الذى اقتضى هذا التحرك. وأعلن النحلاوى أنه يقوم بهذه الحركة وهو حريص على وحدة الإقليميين فى الجمهورية العربية المتحدة وعلى الاعتراف برئاسة عبد الناصر للجمهورية وبقيادة عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة فى الإقليميين المصرى والسورى، ونفى النحلاوى بأن تكون هذه الحركة هدفها أى غرض آخر أو القيام بعمل انفصالى . ومن خلال هذه المبادئ أعلن النحلاوى عن رغبته فى ان يقابل المشير عامر ويعرض عليه تصوره فى الإصلاحات التى يرى الجيش ضرورة القيام بها لتنتهى الحركة وتعود القوات الى ثكناتها .. وقد طلب المشير من النحلاوى أن يسحب دباباته بعيدا عن مبنى الأركان لإثبات حسن نيته، والواقع أن النحلاوى انصاع لهذا الطلب وتراجعت الدبابات إلى أطراف ساحة الأمويين القائمة أمام مبنى الأركان والتى تبعد عنه مسافة صغيرة نسبيا وليطمئن النحلاوى على نفسه طلب أن يوضع خارج مبنى الأركان وبين الوحدات المحاصرة له بعض الرهائن واختار ان تكون الرهائن مكونة من اللواء انور القاضى والعقيد احمد زكى وهما مصريان، وقد وافق المشير عامر على تأمين النحلاوى فأمر اللواء القاضى والعقيد احمد زكى بالخروج والوقوف مع القوات المتمردة. وحينما قابل النحلاوى المشير عامر أكد الأول أن حركته لا تهدف إلى أى أغراض انفصالية وأن غرضها إجراء بعض الإصلاحات منها تخفيف عدد من الضباط المصريين فى الجيش السورى وبخاصة فى رئاسته وكذا إجراء بعض التنقلات التى عرضها النحلاوى على المشير. وتيسيرا لإنهاء الحركة وسحب القوات الى قواعدها، اقترح النحلاوى على المشير الموافقة على ترحيل بعض الضباط الى القاهرة وهم اللواء أنور القاضى والعقيد أحمد علوى والعقيد أحمد زكى والعقيد محمد استنبولى رئيس شعبة المخابرات الحربية السورية (والأخير من أبناء الإقليم السورى). كذلك اقترح النحلاوى ترحيل الوزراء العسكريين الذين كانوا مجتمعين فى الأركان وقد تم ترحيل الوزراء فعلا حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وكان النحلاوى قد اتفق مع المشير على صيغة بيان يعلن بعد إتمام عملية الترحيل هذه ينهى بموجبه حالة العصيان وتعود الأمور الى طبيعاتها .. وفعلا صدر البيان الذى سمى بالبيان رقم ٩ وأذيع من إذاعة دمشق وهذا نصه :

" إن القيادة العربية الثورية للقوات المسلحة تعلن أنها ليست عناصر مخربة انتهازية تريد الإساءة لقوميتنا ، فقامت بحركتها المباركة تلبية لرغبة الشعب العربى وآماله وأهدافه، وعرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة ، الذى تفهم أمور الجيش على حقيقتها واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها لصالح وحدة القوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة.. لقد عادت الأمور العسكرية الى مجراها الطبيعى اعتمادا على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة وقائد الجيش الأول الذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة .." .

وقامت فى سوريا نتيجة اعلان البيان مظاهرات ابتهاج وفرح لانتهاء الأزمة واعتقد الشعب السورى أن الأمور ستعود الى ماكانت عليه. لكن النحلاوى وزمرته ما لبثوا أن نكثوا بالعهد، فقد صدر البيان رقم (١٠) يلغى مضمون البيان السابق ويعلن أن المشير عامر لم يوافق على ما جاء بالبيان السالف ... والواقع أن البيان رقم (٩) لم يكن سوى محاولة للمساومة أو المناورة لكسب الوقت، وقد طلب الانفصاليون من المشير عامر قائد عام القوات المسلحة والفريق جمال فيصل قائد الجيش السورى - وهما تحت الحفظ - أن يعلنا بيانا بأن الأمور قد انتهت ولكن المشير عامر رفض طلب الانفصاليين كما رفض جمال فيصل أن يعلن أى شئ وأصبحت حياتهم وحياة من معهم معرضة للتضحية والخطر . وقامت قوة الانقلاب بتفريق المظاهرات بعد إعلان هذا البيان وعم الوجوم الكثيرين . وبعد ترحيل الوزراء بما يقرب من الساعتين قام الانفصاليون بترحيل المشير الى القاهرة فى الساعة الخامسة والدقيقة العشرين مساء وأذاعوا بيانا بذلك بعد أن استقل الطائرة مباشرة على أن تقوم اسرائيل باقتناص طائرته كما حدث عام ١٩٥٦م مع طائرة مرافقى المشير، على أن ما نبغى ذكره هو أن النحلاوى بصفته عنصرا عاملا داخل مبنى الأركان ، عمل على تجنيد سرية الحراسة فى مبنى الأركان الى جانبه، فحينما أطبقت دبابات الانفصال على مبنى الأركان قام قائد سرية الحراسة بجمع افراد السرية التى كانت منتشرة فى مواقع قتالية على سطح الأركان وفى ساحتها وأدخل أسلحتها الى مخزن الأسلحة الأمر الذى جعل المشير عامر وقيادة الجيش الأول بكاملها مجردة من أى عنصر للدفاع عنها، لقد مكن ذلك النحلاوى وضباطه من أن يدخلوا أحد أجنحة المبنى ويشغلوه وأن يقيموا حراسة على هذا الجناح من العناصر المتمردة .

وبعد رحيل عبد الحكيم عامر عن دمشق، أحس الانفصاليون بان الأمور استقرت لهم، وبدأوا اتصالاتهم الفورية مع القوى السياسية الانفصالية لتشكيل حكومة تطلب الاعتراف به

تدعيما لموقف سوريا، وبالفعل تم تشكيل هذه الحكومة فى الساعة الحادية عشرة مساء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ برئاسة مأمون الكزبرى الانفصالى العريق فى التآمر .. وما أن تشكلت هذه الحكومة حتى بادرت الأردن والسعودية والعراق بالاعتراف بها وهذا ما خلق وضعا معقدا بالنسبة لمعالجة الوضع فى سوريا من جانب عبد الناصر. وطوال يوم ٢٨ سبتمبر١٩٦١ كانت جميع مراكز المحافظات السورية تجتاحها المظاهرات المؤيدة للقاهرة ولم تبق عاصمة من عواصم المحافظات إلا وسقط فيها- فى ذلك اليوم- العديد من الشهداء على يد القوات العسكرية الموالية للانفصاليين .

قرارات عبد الناصر في القاهرة

قبيل الانفصال بعشرة أيام، أصدر عبد الناصر أوامره بسفر صلاح نصر لمعاونة المشير عامر ولتنفيذ قرار دمج المخابرات بعد استقالة السراج . كانت أياما عصيبة تشوبها الفوضى والاضطراب، وكان يسود دمشق قبل الانفصال جو من الاكتئاب والهموم، وتعيش أجهزة الدولة ومؤسساتها في سوريا دون ضابط أو رابط ووصل الأمر الى تمرد أفراد بعض الأجهزة مثل المخابرات والمباحث السورية وكان الاتحاد القومي السوري يحرض على المظاهرات المعادية لعبد الناصر ويروج الشائعات ضد مصر وكان قد طلب المشير عامر من صلاح نصر أن يعود إلى القاهرة فورا ليبلغ عبد الناصر الصورة القاتمة التي تسود سوريا ثم يرجع بتوجيهات عبد الناصر، وفعلا رحل على الفور وأبلغ عبد الناصر وشرح له الموقف المتردي في سوريا ..

كان من رأى عبد الحكيم أن حالة الفوضى التى تسود سوريا قد تهيئ لأى جماعة فى الجيش أن تقوم بعمل انقلاب معادى للوحدة وبخاصة أن أعداء الوحدة قد تكاثروا بعد استقالة السراج ونمو عداء البعث وصدور القرارات الاشتراكية. كما كانت هناك معلومات تفيد بأن الرأسمالية السورية نشطة وأن الشركة الخماسية - وهى مؤسسة صناعية يمتلكها عدد صغير من الأسر - تمول مؤامرة لعمل انفصال ، ولكن الفوضى التى عمت أجهزة سوريا هيأت المناخ كى تحرك اى تنظيم لضرب الوحدة .وتلا ذلك بيان آخر هو البيان رقم اثنين وضح فيه نية المتآمرين إزاء الوحدة، إذ أعطى البيان إشارة الى الانفصال حيث تكلم عن مصر وعن سوريا باعتبار كل منهما جزءا منفصلا عن الآخر، كما هاجم القرارات الاشتراكية ووصفها بانها قرارات ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب وأنها تهدف الى خديعة

الكادحين من أبناء هذه الأمة وبخاصة العمال والفلاحين . وصدر بيان ثالث يذكر ان المتمردين يسيطرون على الموقف، وتبعه بيان رابع ينص على اغلاق كافة المطارات والموانى السورية اعتبارا من صدور البلاغ وحتى إشعار آخر. وفى بادئ الأمر كان عبد الناصر يظن أن الأمر ليس خطيرا وأنها مجرد قوة عسكرية قريبة من دمشق استولت على السلطة، وبالرغم من الصورة القاتمة التى كانت لديه فى مساء اليوم السابق فإنه كان يظن أن أغلب الجيش وجماهير الشعب لاتزال موالية له .. وأصدر الرئيس جمال عبد الناصر بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة أمرا بعزل قادة التمرد وتجريدهم من رتبهم العسكرية وإعفاء ضباطهم وجنودهم من أى ولاء لهم وهم : " العميد عبد الغنى دهشان ، العميد موفق عصاصة، المقدم عبد الكريم النحلاوى ، المقدم حيدر الكزبرى، المقدم مهيب الهندى ، المقدم هشام عبد ربه، " ولكن عبد الناصر بعد ان أجرى اتصالات بالتليفون اللاسلكى مع المشير عامر بدأ يتبين خطورة الموقف وكان اخر هذه الاتصالات تلك التى جرت قبل استيلاء الانفصاليين على مركز الاتصال اللاسلكى الساعة العاشرة صباحا وبعد أن صدر البيان رقم (٩) قبل قطع الاتصال بين دمشق والقاهرة، اتصل عبد الناصر بعبد الحكيم عامر ودار الحديث التالى : قال عبد الناصر : هل وافقت حقا على إنهاء حالة التمرد وعودة الأمور الى ما كانت عليه ؟ أجاب عبد الحكيم : هناك مفاوضات جارية مع ضباط الانقلاب وقد أمرتهم قبل عمل أى شئ سحب قواتهم بعيدا عن مبنى الأركان . . قال عبد الناصر : أخشى أن تكون خدعة منهم أن يعودوا الى ثكناتهم وأجاب عامر : إن هذا الاحتمال وارد ولذا عليكم بالتصرف فى حالة انقطاع الاتصال بيننا دون وضع اى اعتبار شخصى !! فالمصلحة الوطنية التى تقدرها فوق أى أعتبار .. كانت هذه آخر الاتصالات بين عبد الناصر وعامر وحينما صدر البيان رقم (١٠) الذى نكث فيه الانفصاليون فى وعدهم وجد عبد الناصر أنه لابد من التصرف ..

وكان أول عمل قام به عبد الناصر صباح يوم الانفصال أن توجه الى مبنى الإذاعة بالقاهرة وأذاع فى التاسعة صباحا بياناً على الأمة العربية أعلن فيه أن ما قام به المتمردون فى دمشق يؤثر على وحدة العرب القومية ، كما يؤثر على كفاحهم الطويل فى سبيل عروبتهم، وقال عبد الناصر إنه لن يعلن حل الجمهورية العربية مهما جابه من متاعب وأنه ليس من سلطاته بأى حال من الأحوال أن يعلن ذلك وأشار الى أن إسرائيل تريد هذا الحل كما ينادى الاستعمار وأعوانه بحل الجمهورية العربية المتحدة وأنه لن ينضم إلى أعداء الوطن العربى، وأصر عبد الناصر فى بيانه على استمرار الوحدة بقوله : " ستبقى الجمهورية العربية ستبقى طليعة الكفاح العربى وستبقى قاعدة للكفاح العربى. وتوجه عبد الناصر بعد ذلك الى مقر القيادة العامة فى كوبرى القبة حيث أمضى طوال النهار فى اتصالات مع المسئولين واتخاذ ما

يراه من قرارات .. وحينما اتخذ عبد الناصر قراره بإرسال قوات الى سوريا للتصدى لقوة الانفصال كان هو صاحب القرار .. وشجعه على اتخاذ هذا القرار أن منطقتى حلب واللاذقية كانتا لاتزالان على ولائهما للقاهرة، ولذا أصدر عبد الناصر قرارا بإرسال لواء مظلات الى منطقة اللاذقية بغرض تعزيز حامية اللاذقية ريثما تصلهما القوات المحمولة بحرا والتى تلقت بالفعل أمرا بالتحرك فى آخر ضوء يوم ٢٨ سبتمبر ، وكان قوام هذه القوة فرقة مدرعة وفرقة مشاة، غير أن عبد الناصر عاد وألغى أوامره لوحدات المظلات كى تعود من الجو ولكن الدفعة الاولى منها بقيادة المقدم جلال هريدى كانت قد هبطت بالفعل .. كانت الأوامر المعطاة لقائد المظلات تقضى بأن يتوجه الى قيادة منطقة اللازقية ويضع نفسه وقواته تحت تصرفها وألا يطلق النار إلا دفاعا عن النفس على أساس أن قوات اللاذقية موالية لمصر ، وسوف تتعاون مع القوات الهابطة بمجرد نزولها .. وكان عبد المحسن أبو النور الذى كان عبد الناصر قد استدعاه الى مبنى القيادة ، قد أكد لعبد الناصر أن كامل زيتونة المسئول عن البحرية السورية فى اللاذقية موالٍ مائة فى المائة لمصر ، وقد نفت قوات المظلات التى هبطت عند اللاذقية الأوامر التى تلقتها، فوضعت نفسها تحت تصرف القوة السورية الذى اقتربت منها بمجرد هبوطها وتحركت القوات المصرية الى اللاذقيه ولكنها ما أن بلغت الثكنات حتى طلبت منها قيادة المنطقة تسليم أسلحتها وأعتبار أفرادها أسرى .

وقام الانفصاليون بأعمال التشهير فأذاعوا أنهم وجدوا مع القوات المصرية الهابطة مبالغ كبيرة من العملة السورية بينما واقع الأمر أن ذلك لم يكن يعدو مبلغاً محدودا تسلمه جلال الهريدى من المخابرات العامة بأوامر من عبد الناصر لإعاشة قواته .. وبعد ان قرر عبد الناصر الرجوع عن استخدام القوة واعادة قوة المظلات من الجو أصدر أوامره بوقف عملية تحريك القوات المنقولة بحرا .. على أن هناك تساؤلا قد يبدو للمرء لماذا أمر عبد الناصر بتحريك قوات مصر لسوريا، وما أسباب عدوله بعد ذلك. عرفت من عامر فيما بعد أن القرار بإرسال قوات مصرية وتحرك طلائع لها جاءت تحت مؤثرات عاطفية الفعالية نتيجة تشبثه على إبقاء سوريا فى وحدة مع مصر مهما كان الثمن .. لكن العدول عن هذا القرار بعد تقدير للموقف وحساب احتمالات كثيرة بما فيها مواقف الدول الكبرى من الصراع فى منطقة الشرق الأوسط، وموقف الدول العربية الرافض للوحدة ومواقف اسرائيل وسط هذه الخلافات وهكذا تأكد لناصر أنه لن يستطيع الحفاظ على سوريا للوحدة ولن يكون قادرا على التصدى للقوة الأجنبية أو العربية والخاسر هى القوات السورية والمصرية، والضحايا ستكون من الشعب السورى، والمآسى التى ستتخلف من هذا الصراع، وروح الكراهية التى ستحل مكان روح الأخوة التى كانت تربط مصر وسوريا.

أزمة مجلس الرئاسة

عام ٦٢ كنت ألحظ عندما نلتقى أنه يعانى من قلق غامض ويبدو دائما صامتا مشغول البال ولم أسأله في تلك الفترة عما يقلقه ولم أتمكن من معرفة السبب إلا بعد الزواج ومرور عامين على حالة القلق والشرود كان ذلك الشرود والقلق الذين كنت ألحظهم عليه اثناء خطبتنا بسبب ما يسمونه بـ "أزمة مجلس الرئاسة"، وتلك واقعة أخرى تشير إلى الخلاف بين الرجلين عامر وناصر، إذ يبدو أن جمال أراد ان يقلص نفوذ المشير في تلك الفترة وأن يسحب منه كثيرا من اختصاصاته فألف مجلساً للرئاسة!!.

وفوجئ عبد الحكيم في أحد الاجتماعات بأن جدول الأعمال يتضمن" النظر في تخصصات القائد العام للقوات المسلحة ، واقتراح آخر بأن يكون لمجلس الرئاسة الحق في نظر الترقيات وتعيين قادة الكتائب وإبعاد العناصر التي يرى أنها غير صالحة للجيش إما بعزلهم أو تعيينهم ملحقين بالسفارات في الخارج!! ولم يكن عبد الناصر يرأس هذا الاجتماع فقد أعتذر عن رئاسته بحجة "الوعكة الصحية " وترك رئاسة الجلسة لعبد اللطيف البغدادى. وقد أراد المشير تأجيل مناقشة هذه المقترحات إلى حين التشاور مع عبد الناصر ، خاصة أن الرئيس السابق محمد نجيب كان قد طلب هذه الصلاحيات لنفسه ورفض جمال بحجة أن هذا يحوله الى ديكتاتور ويخلق شللا وتفرقة بين أفراد الجيش ها هو ذا يحلل لنفسه ما سبق وحرمه على محمد نجيب...

ولكن عبد اللطيف البغدادى أصر على مناقشة جدول الأعمال دون إرجاء وأيده بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق... وعندما أرادوا أخذ الأصوات اعترض عبد الحكيم موضحا أن هذا معناه أن يصبح لكل عضو أنصار في الجيش يكون ولاؤهم لهذا العضو فيصبح الجيش فرقاً مختلفه وليس لهم "ولاء واحد لقائد واحد" . وكان هذا هو رأى عبد الناصر في الأزمة بينه وبين محمد نجيب ، ورغم ذلك فقد أصروا على أخذ الأصوات وكان

المؤيدون للاقتراح هم: بغدادى، أنور السادات، زكريا محيى الدين، حسين الشافعى، على صبرى ، ونور الدين طراف والمعارضون هم: كمال الدين حسين، كمال رفعت، حسن ابراهيم، والشرباصى . ولما وجد عبد الحكيم أن معه أقلية بعضو واحد غضب وترك المجلس بعد ان أعلنهم بالاستقالة من مجلس الرئاسة والجيش .... وإلى القارئ نص الاستقالة التي قدمها عبد الحكيم عامر عام ١٩٦٢:-

عزيزى الرئيس جمال عبد الناصر

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أرى من الواجب وأيضا من الوفاء أن اكتب لك معبرا عن رأى مخلص رغم الأحداث الأخيرة . فبعد عشر سنوات من الثورة وبعد أكثر من عشرين عاما من الصلة بينى وبينك لا يمكننى أن أعتزل وأترك الحياة العامة دون أن أبوح لك بما في نفسى كعادتى دائما ، إننى أعتقد أن الانسجام والتفاهم بين المجموعة التي تشارك في الحكم أمر ضرورى وأوجب من ذلك الثقة المتبادلة بين أفراد هذه المجموعة.

وقد وجدت في الفترة الأخيرة أن الأسلوب الغالب هو المناورات السياسية ونوع من التكتيك فضلا عن ما لا أعلمه من أساليب الدس السياسى الذى قد أكون مخطئا في تصوره رغم أن الحوادث كلها والمنطق يدل على ذلك ، والنتيجة التي وصلنا اليها اليوم خير دليل على هذا التصور فقد استطاع هذا الأسلوب أن يتغلب على ما كنت أظنه مستحيلا وهو تحطيم صداقتنا ، وما نجم عن ذلك من أحداث لاداعى لذكرها فكلها لاتتفق مع المصلحة العامة في شئ ، المهم في هذا الموضوع أننى لا أستطيع بأى حال من الأحوال ان أجارى هذا الأسلوب السياسى لأننى لو فعلت ذلك لتنازلت عن أخلاقى وأنا غير مستعد لذلك بعدما انقضى نصف عمرى ، الذى أريد ان أحدثك عنه بخصوص نظام الحكم في المستقبل فإننى أعتقد أن التنظيم السياسى القادم كى يكون مثمرا أو ناجحا يجب أن يبنى على الانتخابات من القاعدة إلى القمة، بما في ذلك اللجنة العليا للاتحاد وبما في ذلك اللجنة التنفيذية العليا. وإن أتت اللجنة العليا بدون انتخابات حقيقية فسيكون ذلك نقطة ضعف في التنظيم الديموقراطى للاتحاد ، وأن ما يجب ان نسعى إليه تدعيم الروح الديموقراطية بعد عشر سنوات من الثورة والتى لا أتصور بعد كل هذه الفترة وبعد أن صفى الاقطاع ورأس المال المستغل ومنحتك الجماهير ثقتها دون تحفظ أن يكون هناك ما تخشاه من ممارسة الديموقراطية بالروح التي كتب بها الميثاق . وخصوصا أن الملكيات الفردية الباقية ، والقطاع الخاص ، لايشكلان أى خطر على نظام الدولة ، كما أنه ليس هناك ما يمنع إطلاقا انسجام هذه القطاعات مع النظام الاشتراكى . كذلك الأمر بالنسبة الى الصحافة فيجب أن تكون هناك ضمانات تمكن الناس من كتابة آرائهم وكذلك يتمكن رؤساء التحرير والمحررون من كتابة آرائهم دون خوف أو تحفظ، وقد تكون هذه الضمانات عن طريق اللجنة التنفيذية العليا أو نظام آخر يكفل عدم الخوف من الكتابة وتوهم الكاتب أنه سيطارد أو يقطع رزقه وخصوصا أن الآراء التي ستعالج لن تخرج عن مشاكل الناس والمسائل التنفيذية وبعض المناقشات في التطبيق الاشتراكى وفى هذا فائدة

كبيرة لأنه سيعبر عن الآراء التي تدور في خلد بعض المواطنين . دعني وأنا أودعك ان أحدثك أيضا عن الحكومة ورأيي فيها .. قبل كل شئ ، لايمكن أن تسير أى حكومة في طريقها الطبيعى نحو الحكم السليم إذا كان الحكم في حد ذاته ممسوخا ومشوها فيجب أولا ، أن نستفيد بتجارب العالم وحكوماته التي عاشت مئات السنين مستقرة منتظمة دون حاجة للتغيرات الشاملة كل فترة قصيرة من الزمن ، وفى رأيى أن النظام الطبيعى للحكم يكون كالآتى: إما حكومة رئاسية ويرأس الوزراء فيها رئيس الجمهورية ويكون مسئولا أمام البرلمان مسئولية جماعية مع وزرائه ، وبدون الدخول في التفاصيل يمكن أن يكون هناك نائب للرئيس .وإما حكومة برلمانية يرأسها رئيس الجمهورية، ويكون رئيس الاتحاد الاشتراكي هو رئيس الوزراء .. و لا أريد أدخل في التفاصيل لكى تكون أيضا مسئولية الوزراء جماعية أمام البرلمان كما ورد في الميثاق ، على كل أى من هذه الحلول موجود في النظام ، أو على الأصح على رأسه ضرورة وطنيه ،أنا لاأقول ذلك مجاملة فهناك كثيرون مستعدون للمجاملة أو الموافقة على رأيكم بمجرد إبدائه لكنى أعتقد أن أى تصرف غير ذلك سيكون بداية لنهاية لايمكن معرفة مداها .ودعنى أيضا قبل أن أودعك أن اقول لك إن اختلاطك الشخصى بالناس ضرورى فإنه يعطى الثقة المتبادلة ويعطى إحساسات متبادلة ويعطى أيضا أفكاراً متبادلة وهذا هو الطريق الطبيعى للارتباط بأفراد شعبنا قيادات المستقبل ، أما انعزالك التام فإنه سيجعل صور الناس عندك أسطر على ورق أو أسماء مجردة لا معنى لها ، وهذا في رأيى لا يمثل الواقع فالعقل والعاطفة من مكونات الإنسان ولا تستطيع أن تفصل بينهما كلمة ، لكن يجب الجمع بينهما في الطريق الصحيح وهذا لا يكون إلا بالإتصال الشخصى ، وهذا أيضا هو الطريق الوحيد لإظهار شخصيات للقيادة وتعتز برأيها دون خوف ولكنها في الوقت نفسه تثق بقيادتها وتحترمها، وهذا النوع من الناس أنت في حاجة إليه بل وطننا كله محتاج إليه، نوع جديد لم يتمكن منه حب المنصب ليسكت عن الخطأ ولم تأخذ الأضواء نور بصره فيضحى بكل القيم ليعيش في هذه الأضواء. وأنا أودعك أيضا أرجو من الله أن لايحدث منى ومنك ما يجعل ضميرينا يندمان على الإقدام عليه ويجعلنا صغارا في أعين أنفسنا، ويكفى في رأيى ما حققه أهل السوء الى الآن فقد نجحوا فيما تمنوا وفيما كانوا يعتبرونه مستحيلا . لاأريد ان أطيل عليك ولكنى أبديت آرائى لك فيما أعتقد أنه المصلحة العامة ، وليكن فراقنا بالمعروف كما كانت عشرتنا بالمعروف والله أسأل أن تتم حياتنا بشرف وكرامة كما بدأناها بشرف وكرامة.ورغم كل شئ.. ورغم كل ما أعلم .. فإنى أدعو الله من قلبى بالتوفيق وأتمنى لك الخير.وأدعو ربى أن يوفقك في خدمة هذه الأمة ولخيرها والسلام.....................
عبدالحكيم عامر............ القاهرة ١٩٦٢/١٢/١ .

الستة الكرام

قال لى عامر : من العبارات التى كانت مألوفة لأذنى وتقال مصحوبة بالضحكات والتعليقات هى عبارة (الستة الكرام) ، وعندما سألته ذات مرة عن معنى هذه العبارة قال لى : إنهم الستة الذين قدمت لهم استقالتى -أعضاء مجلس الرئاسة- الذى شكله جمال عبد الناصر ليضحك به عليهم ويتولى هو كل الاختصاصات ، ولكن جمال أستدعانى وتقابلنا في برج العرب وهناك شرحت له وجهة نظرى في نظام الحكم وقلت له طلبات تخص الناس وأنهم لازم يحسوا بالأمان ولازم يكون فيه نظام حكم يحترمه الشرق والغرب ويتناسب مع طبيعة شعبنا وأخلاقه ، وفعلا وعدنى بالدراسة وشكل لجنة من كبار مثقفى مصر في معظم العلوم ، وبدأت مناقشات حرة وعلى ضوئها صدر الميثاق وقد اشتركت في تعريف جناحى الحرية.. (مش بس الحرية الاجتماعية هيه المهمة وإنما لازم الحرية السياسية أيضا جناحا الحرية) ..

والستة الكرام هم الستة الذين كانوا ضدى عند التصويت على المقترحات التي وضعها عبد الناصر وأصر بغدادى على مناقشتها ، ولكن هل انتهت الخلافات بين عامر وناصر بنهاية هذه الأزمة ؟ إن الذى اتضح لى من خلال معاشرتى لعامر ومن خلال الأحاديث التي كان يتبادلها مع زواره في بيتى بل ، ومن خلال ثرثرة بعض رجال عامر عند تواجدهم عندنا ، أن الخلاف بين المشير والرئيس كان خطا رئيسيا في هيكل العلاقة بينهما ، فقد كان بينهما من خلاف بقدر ماكان بينهما من تعاون واتفاق . وقد يسأل سائل كيف اتفقا وعلام اختلفا ؟ ولأن الوفاق كان علانية والخلاف كان سرا فإن كيفية اتفاقهما كانت واضحة لكل الناس ، فهما اللذان قاما بالثورة معا وهما اللذان طردا الملك معا وهما اللذان توليا أعلى منصبين في البلاد

: الرئيس ونائبه. لقد اتفقا في حب مصر وضرورة القضاء على الفساد وضرورة إجلاء المستعمر ، كما واجها الموت معا في ميادين القتال ، وواجها خطر السجن والإعدام معا وهما يكونان تنظيم الضباط الأحرار، أما الخلاف بينهما فقد اتضح عند التطبيق وظهر أن لكل منهما فلسفته ووجهة نظرة المختلفة عن الآخر في التعامل مع الأحداث الكبيرة التي مرت بها مصر منذ قيام الثورة . والأمثلة على ذلك كثيرة ، فمنها ما وقع وأنا زوجة المشير ومنها ماوقع قبل ذلك ولكنى عرفته من خلال الأحاديث اليومية التي تدور في بيتى .... وكان أول خلاف نشأ بينهما قد وقع -قبل الثورة - بسبب حسين سرى عامر حين حاول قتله جمال عبد الناصر فأطلق عليه الرصاص أمام منزله ونجا من الموت فقد كان يتعقب الضباط الأحرار ويجمع المعلومات عنهم وكان قد اقترح عبد الناصر قتل حسين سرى وعارضه عبد الحكيم عامر وقال له : ليس حسين سرى عدونا إنما العدو هو النظام نفسه ، فلو قتلناه فإن الملك سيأتى بغيره، كما أنه لاينبغى أن نقتل ونلوث أيدينا بالدماء وقد وافق عبد الناصرثم قام بمحاولة قتله ولكن العيار لم يصبه وهرب جمال وعندما التقيا "ناصر وعامر" بعد ذلك عاتبه عبد الحكيم وسأله: ماذا فعلت ؟ هل أطلقت النار فعلا؟ أجاب عبد الناصر: نعم لكنه لم يمت .فقال له المشير ألاتدرك أن هذا كان من الممكن أن يعرضنا للخطر؟ فلو أنه قبض عليك لاكتشفوا التنظيم كله وودينا كل الأولاد في داهية .

الموقف السياسى
في الساحة العربية قبيل ثورة اليمن :

كانت الساحة العربية في أوائل الستينات ميدانا للصراع والنزاع بين دول المنطقة ، ففى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ تمت حركة انفصال سوريا عن مصر ، وبدأ العداء السافر بين الدولتين انحازت خلالها بعض الدول العربية الى جانب الحكم الجديد في سوريا ، وبدأت سلسلة من المبارزات الدعائية بين القاهرة ودمشق مما وسع الخلاف بينهما واستغلت السلطات السورية ظروف القبض على قائد قوات الصاعقة المصرى المقدم جلال هريدى - الذى كان قد أسقط مع قوة بالمظلات أثناء محاولة مصر للسيطرة على الأمور في سوريا لإجباره أو إغوائه على إعلان سخطه على سير الأمور في مصر ومهاجمة كبار الزعماء السياسيين والعسكريين المصريين .

وبازدياد حملات الدعاية تقدمت سوريا بشكوى ضد مصر الى جامعة الدول العربية متهمة إياها بالعديد من التهم ، وعقد مجلس الجامعة العربية في اشتورا في صيف ١٩٦٢ تبادل فيها ممثلو الدولتين السباب والتجريح ، ومما أحرج موقف مصر هرب ملحقها العسكرى في لبنان (المقدم زغلول عبد الرحمن) ولجوئه إلى سوريا ومهاجماته لمصر وقادتها وكشف بعض أسرار السياسة العربية التى تتبعها مصر .

لعبت المملكة العربية السعودية وعلى رأسها الملك سعود دورًا رئيسيًا في انفصال الوحدة بين مصر وسوريا بعد أن شعرت بمدى الخطر الذى يتهددها من تلك الوحدة وذلك نتيجة لتزعم مصر الدعوة الى القومية العربية مما أدى إلى توتر العلاقات بين مصر والسعودية حتى وصلت الى الهجوم العلنى على حكام السعودية وسياستهم الداخلية والخارجية . أما بالنسبة

للعراق فكان على رأسها عبد الكريم قاسم في ذلك الوقت والذى كان على خلاف شديد مع كل من مصر والكويت نتيجة لأطماعه في الكويت وثرواته، أما بالنسبة لليمن فقد شهدت في مطلع الستينات استمرار محاولات الجيش اليمنى في التخلص من حكم آل حميد الدين وذلك من خلال محاولة اغتيال الإمام أحمد في ٦ مارس ١٩٦٠ حينما قام ثلاثة من الضباط اليمنيين بإطلاق الرصاص عليه أثناء زيارته لمستشفى بمصر الجديدة ، وإن كان الإمام أحمد قد نجا من هذا الحادث إلا أنه ظل طريح الفراش متأثرا بجراحه حتى توفى في ١٩سبتمبر ١٩٦٢ . ومن بين الأسباب التى أثارت استياء عدد كبير من السادة الأشراف في اليمن تحول نظام الإمام الى النظام الوراثي حينما عين الإمام يحيى ابن احمد ولياً للعهد وحصوله على البيعة له في حياته فكانت أول سابقة من نوعها ثم تكررت حينما أخذ الإمام أحمد البيعة لابن محمد البدر، هذا بالإضافه الى اتهام حكم الائمة بالمركزية الشديدة مما كان يسبب توقف سير العمل في البلاد إذا أصيب الإمام بأى عائق أو مرض.

السياسة المصرية تجاه اليمن قبيل الثورة :

كان للموقف الذى اتخذه الإمام أحمد بعد وقوع الانفصال بين مصر وسوريا في ١٩٦١ أثره البالغ في دفع مصر الى إنهاء الاتحاد بينها وبين اليمن ، وأعلنت أنها ليست على استعداد للدخول في تجارب وحدوية لاتخدم غير أغراض الحكام وتستغل ضد أماني الشعوب ، ومن هنا أصبح مضمون السياسة المصرية هو تغيير الإمام بالثورة وتتفق هذه السياسة مع ما جاء بالميثاق الوطني الذى صدر في مايو ١٩٦٢ والذى جاء به أن مصر لابد لها أن تنقل دعوتها والمبادئ التى تضمنها لتكون تحت تصرف كل مواطن عربي .

ولا ينبغي الوقوف لحظة أمام الحجة البالية القديمة التى تعتبر ذلك تدخلا منها في شئون غيرها ... ولكي تحقق مصر هذه السياسة لجأت الى وسيلتين هما الدعاية الخارجية والأنشطة السرية ، فيسرت للدكتور - عبد الرحمن البيضاني - أن يذيع أحاديث من محطة صوت العرب تدعو صراحة للثورة ضد الإمام فكانت تلك الأحاديث من عوامل إثارة اليمنيين ضد نظام الإمام، وفى نفس الوقت عملت على تعلق اليمنيين بالإذاعة المصرية. أما بالنسبة للأنشطة السرية، فكان لمصر أكثر من وسيلة فقد بدأت مصر بالاتصال بثوار اليمن على أرض اليمن عن طريق أفراد البعثة العسكرية المصرية في اليمن، ثم استمر في الاتصال بعد رحيل البعثة المسئول الوحيد في السفارة المصرية في اليمن في ذلك الوقت وهو السيد / محمد عبد الواحد، وكذلك حققت مصر اتصالات بالثوار في اليمن عن طريق عبد الرحيم عبدالله طيار الأسرة المالكة الذى لعب دورا كبيرا في نقل الأسلحة الى الثوار ، واخيرا عن طريق الدكتور/ البيضاني الذى كان يتسلم الأسلحة وينقلها الى اليمن ، كما قامت المخابرات الحربية بإعداد معسكر لتدريب اليمنيين على الأسلحة الصغيرة في مصر .

قيام ثورة والتدخل المصري المسلح :

في الساعة الخامسة من مساء الثلاثاء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ تحركت بعض الوحدات من الجيش اليمني بناء على تخطيط مجموعة من الضباط التى تمثل قيادة الثورة وهم : الزعيم عبدالله السلال - الزعيم حمود الجافي - المقدم عبدالله جزيلا - الرئيس عبد اللطيف ضيف الله - الرئيس محمد قائد سيف - الرئيس محمد المخذي - الملازم على عبد الغنى - الملازم محمد مفرح وقامت بقصف قصر البدر والمسمى "بدار البشائر" بالدبابات ، مما دفع البدر الى الهرب ، وفى غضون ساعات قلائل من قيام الثورة تم الاستيلاء على جميع المراكز والمباني الحكومية في صنعاء ، وأعلن مع فجر يوم ٢٦سبتمبر أول جمهورية عربية في اليمن .

يكاد يجمع المعاصرون على أن مصر لم يكن لها أى دور إيجابي في تحديد تاريخ اندلاع الثورة الذى حددته صنعاء ، فكما جاء على لسان الفريق صلاح الحديدي (بما نشر بمجلة روزاليوسف) بأنه لم يكن للقاهرة أى دخل في تحديد اندلاع الثورة ، بل لم يكن لها أى دخل في الخطة التفصيلية للانقلاب لقتل الامام البدر والسيطرة على مقاليد الأمور ، ويرى الفريق صلاح الحديدي أن تشجيع مصر لفكرة تغيير الحكم في اليمن كان يتمشى مع السياسة التى سار عليها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر في ميله الى التأثير على نظم الحكم في بعض البلاد العربية، حتى يكون الحكام الجدد أقدر على تحقيق أفكاره فيما يتعلق بشكل وحدة هذه البلاد لتسرع فى تنفيذ هذه الوحدة ، وأكثر قبولا لزعامته فيما كان يصبو اليه من إنشاء دولة من المحيط الى الخليج . ويؤيد محمد حسنين هيكل في كتابه وقائع تحقيق سياسى امام المدعى الاشتراكي ذلك بقوله : من المهم أن نلاحظ أن الثورة اليمنية بدأت دون تدخل مصر على الإطلاق ، ولكنا نرى الدكتور البيضاني يروى مقابلته لعبد الناصر ليلة ٢٦ سبتمبر ، وطلب منه ٥٠٠جندى وثلاث طائرات وخبير عسكرى . وفى ٢٨ سبتمبر وصلت الى صنعاء

طائرة مصرية تقل البيضاني وعبد الرحيم عبد الله والعميد على عبد الخبير ، وهذا يدل على أن مصر كانت على غير علم مسبق بموعد الثورة ولكن يؤكد أن مصر كانت تشجع الثورة وتؤيدها . ويذهب ادجار او برانس في كتابه الحرب في اليمن الى أن أول قوات مصرية وصلت الى اليمن جوا في ٢٨ سبتمبر وبحرا في ٢٩سبتمبر مما يعنى أن القوات التى أرسلت بحرا كانت في البحر فعلا أثناء حدوث الثورة ، وربما يقصد أو برانس بوصول القوات جوا في ٢٨ سبتمبر تلك القوات التى سبق الإشارة إليها، أما أن تقوم القيادة بإرسال قوات قبل قيام الثورة والتأكد من نجاحها فهو أمر مستبعد ولا يقره المنطق . والواقع فعلا أول قوة أبحرت لليمن من ميناء الأدبية ليلة ٢/٣ أكتوبر سنة٦٢ .

اختلفت المواقف التى اتخذتها دول العالم بصفه عامة والدول العربية بصفة خاصة بالنسبة لثورة اليمن ما بين مؤيد ومعارض أو مترقب لما سيتم من أحداث ليؤيد من سترجح كفته. فعلى الصعيد العربى كان من الملفت للنظر في ذلك الوقت أن تتلاقى وجهتا النظر السورية والمصرية رغم ما بينهما من خلافات في الاعتراف بالنظام الجديد في اليمن، وكانت سوريا هى الدوله الثانية بعد مصر في الاعتراف وفى الجانب المضاد نجد السعودية وقد تحالفت معها المملكة الأردنية الهاشمية تعارضان بشدة النظام الجديد وتسارعان بالوقوف ضده بل إن السعودية لم تتردد في استضافة الإمام البدر في أراضيها ومعه بعض أفراد أسرته، كما انضم إليهم بعد فترة عدد آخر من كبار الشخصيات الموالية والمتعاونة مع الإمام حيث لقوا جميعا من السلطات السعودية كل تأييد . أما باقى الدول العربية فقد فضلت الانتظار حتى ينجلى الموقف فتستطيع حينئذ أن تعلن تأييدها الى أى جانب ، ولعلنا نتساءل عن الأسباب التى دفعت السعودية للوقوف في الجانب المضاد للثورة ، لأن الثورة اليمنية قد مثلت تحديا خطيرا للنظام السعودي من حيث :

أولا : سقوط الملكية اليمنية أصبح في نظر السعودية كغيرها من الملكيات العربية نذيرا بسقوطها هى نفسها .

ثانيا : وجود حدود مشتركة بين اليمن السعودية يستلزم حدوث رد فعل مضاد من السعودية لتفادي أى نتائج لهذه الثورة على السعودية.

ثالثا : سرعة استجابة مصر بتقديم الدعم العسكرى للثورة اليمنية اقنع حكام السعودية بان عبد الناصر يهدف الى الإطاحة بالنظام السعودي بعد أن يتخذ من اليمن قاعدة له في شبه الجزيرة العربية، وقد ظهرت آثار الثورة اليمنية على النظام السعودي في الانقسام الحاد داخل المؤسسة العسكرية السعودية والذى تمثل في تعدد حوادث هرب الطيارين السعوديين بطائراتهم الى مصر في الفترة من ٢ الى ٨ أكتوبر ١٩٦٢ مما دفع الملك سعود الى إيقاف استخدام السلاح الجوى بالكامل لعدة أسابيع مع قيامه بعملية تطهير شاملة بين الطيارين، لهذا فان فيصل بمجرد تولي السلطة الفعلية كرئيس للوزراء في اكتوبر ١٩٦٢ بنى سياسته على أساس توفير قاعدة في نجران للملكية

اليمنية وتوفير الأموال والسلاح لهم والعمل على تجنيد اليمنيين العاملين بالسعودية للعمل في صفوف الملكيين اما بالقوة او بالإغراء المادي، بالإضافة الى تقديم المساندة الدبلوماسية والدعائية للملكيين. أما الأردن فأظهرت تأييدها للإمام المخلوع بتقديم المستشارين العسكريين لأغراض التدريب، وكذلك في المساندة الدبلوماسية والدعائية وقد ووجهت هذه السياسة بمعارضة داخلية تجلت آثارها في لجوء قائد الطيران الاردنى بطائرته الحربية الى القاهرة في ١٢نوفمبر ١٩٦٢ بعد ان كلف بمهمة في السعودية ضد ثورة اليمن، ثم تلاه في اليوم التالى لجوء طيارين آخرين بطائراتهما الحربيتين الى القاهرة، وقد صدرت عن الطيارين الثلاثة تصريحات عديدة تهاجم السياسة الأردنية المعادية لثورة اليمن .

أما على الصعيد العالمي فسيتم تناول موقف كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ثم الاتحاد السوفيتى باعتبار الأولى دولة لها تواجد عسكرى في قاعدة عدن المتاخمة لليمن وباعتبار الثانية والثالثة تمثلان الدولتين العظميين في العالم.

اولا : موقف بريطانيا من ثورة اليمن :

بالرغم من حرص بريطانيا على إعلان سياستها بعدم التدخل في الشئون اليمنية، إلا أنه كان واضحا ابتداء من منتصف أكتوبر ١٩٦٢ ان هناك دعما فعالا من بريطانيا للملكيين عن طريق إمداد القبائل بالمعدات والأسلحة والخبراء براً وجواً وقيامهم بأعمال الاستطلاع والعمل على إثارة النزاعات الطائفية وخاصة في المحور الشرقى ومنطقة الحدود الجنوبية، هذا بالاضافة الى عدم الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية كوسيلة للضغط عليها ولتحليل اسباب اتخاذ بريطانيا لهذا الموقف نجد ان الثورة اليمنية قد تمت في اسوأ توقيت ممكن بالنسبة للمصالح البريطانية في عدن، وقد تمثل الخطر من ثورة اليمن من خلال ردود الفعل الشعبية الفورية التى أظهرت حماسا هائلا للثورة في الجنوب اليمنى ثم برفعها شعار الوحده مع اليمن كبديل حقيقى لاتحاد الجنوب العربى الذى كانت تتبناه بريطانيا، وفى نفس الوقت تطور الأمر الى حد استدعاء قوات مسلحة مصرية لدعم النظام الجديد والذى سوف يكون له اثار عاجلة بالنسبة لمستقبل بريطانيا في الجنوب اليمنى .

ثانيا : موقف الولايات المتحدة الامريكية من ثورة اليمن :

كانت الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى إخراج مصر من اليمن تأمينا لمصالحها البترولية في الشرق الأوسط ولمنع تطور نفوذ الاتحاد السوفيتى في المنطقة، وقد اتفقت هذه المصالح مع اتجاهات كل من بريطانيا والسعودية والأردن، لذلك اتجهت أمريكا الى خلق موقف يمكن من حماية الاستقرار في السعودية والأردن وهذا بالتالي يؤدى الى تأمين مصالحها وذلك بتشجيع العصاة الملكيين وإجهاض الثورة اليمنية بالقوة، وفى نفس الوقت اعلنت انها تقدم الاعتراف بالنظام الجمهوري في اليمن اذا تعهدت الحكومة اليمنية باحترام الالتزامات الدولية

لحكومة الامام وبالفعل اعترفت أمريكا بالنظام الجمهوري، ولكن بتطور الأحداث ولجوء الطيارين السعوديين والأردنيين الى مصر وإعلان النظام الجمهوري عن نواياه في سحق قواعد العدوان داخل السعودية، قامت الولايات المتحدة بعدة إجراءات عسكرية مثل إرسال سرب مقاتلات امريكية في مظاهرة دعائية فوق الرياض، ثم كانت الخطوة الثانية باذاعة خطاب كينيدى الى الأمير فيصل في ٨ يناير ١٩٦٣ بتأكيد النية الامريكية في الدفاع عن السعودية، ثم تلا ذلك إرسال المدمرة الأمريكية في زيارة الى ميناء جدة في ١٥يناير ١٩٦٣، ثم حاولت أمريكا الدخول في مفاوضات مع مصر لفض الاشتباك في اليمن، وأمام النجاح النسبي الذى حققه الملكيون في اليمن لم يكن امام مصر سوى تصعيد التدخل بشكل يؤدى الى السيطرة الجمهورية الكاملة على اليمن قبل فض الاشتباك .

ثالثا : موقف الاتحاد السوفيتى من ثورة اليمن :

تجاوزت العلاقات السوفييتية اليمنية في عهد الإمام يحيى العلاقات الدبلوماسية العادية الى تعاون افنى وعسكري، ثم ازدادت هذه العلاقات أيام الإمام احمد عندما استعان بهم في رفع كفاءة ميناء الحديدة و عندما وقع معهم اتفاقية عام ١٩٥٧ لتزويد اليمن بالأسلحة وبعض من الخبراء، فلما قامت الثورة اليمنية كان الاتحاد السوفيتى أول دولة أجنبية تعترف بالنظام الجديد. وعندما طلبت مصر من الاتحاد السوفيتى إمدادها بطائرات الأنتينوف (طائرة نقل عسكرية بعيدة المدى وذات حمولة ثقيلة) لحاجتها الملحة إليها لعمل جسر جوى مع قواتها في اليمن، وافق الاتحاد السوفيتى على هذا الطلب خلال ٤٨ساعة بل وعرض الجانب الروسى إرسال أطقم سوفيتية لقيادة وصيانة ١٠طائرات انتينوف تعمل بصفة مؤقتة تحت القيادة المصرية على خط القاهرة صنعاء مقابل ان تزود مصر هذه الأطقم ببطاقات شخصية تثبت انهم مدنيون يعملون في خدمة الحكومة المصرية في عمليات النقل الجوى حتى يتم تدريب أطقم مصرية للعمل على هذا النوع من الطائرات. ولاشك ان الاتحاد السوفيتى كان يرى في تأييده لثورة اليمن فتح آفاق جديدة تفيد اليمن يمكن ان ينشا وجود سوفيتي يصبح له دور مؤثر على مناطق البترول في الشرق الاوسط وعلى المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وأيضا على دول شرق أفريقيا والعديد من الدول النامية ولعل الظروف السائدة اليوم في منطقة القرن الأفريقي وبعد مرور ما يقرب من عشرين عاما فهى خير دليل يؤيد هذا القول.

الآن وبعد استعراض موقف الدول من ثورة اليمن لعلنا نتساءل عن الأسباب التى دفعت مصر للتدخل المسلح في اليمن ؟

بدأت مصر بإرسال أحد ضباط القيادة العامة للقوات المسلحة إلى اليمن بمهمة وضع تقرير عن الموقف هناك، وبناءً على طلب مجلس قيادة الثورة اليمنية قامت مصر بإرسال سرية صاعقة وعدد ٢ طائرة يا (التى تستخدم للتدريب) بأطقمها والفنيين اللازمين لها على الباخرة السودان من ميناء الأدبية فوصلت إلى الحديده يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ . وبدأ السلال في

استخدام سرية الصاعقة المصرية مما أظهر للعالم أن مصر تساند ثورة اليمن عسكريا، ونتيجة لذلك تكونت قيادة عسكرية مشتركة سعودية -أردنية انتقلت إلى منطقة نجران في جنوب السعودية لتكون على مقربة من الأحداث حتى تتصل بالقبائل اليمنية وتعمل على استمالتها بالمال والسلاح، كما وضعت محطة إذاعة تحت تصرف الملكين يحرضون من خلالها القبائل ضد النظام الجمهوري ، ثم تطور الموقف بسرعة بعد أن ثبت التدخل الخارجى ضد ثورة اليمن ووصول خبراء أجانب إلى اليمن وتسرب الأسلحة والمعدات والذهب وتسلل الرجال إلى داخل البلاد وهنا اتخذت القيادة المصرية قرار التدخل العسكرى المسلح وإرسال وحدات عسكرية متكاملة الى اليمن عبر ألفى كيلو متر من حدودها دفاعا عن الثورة اليمنية، وبعد أن ثبت رسميا وصول كميات ضخمة من الأسلحة تقدر بحوالى١٣٠,٠٠٠ مائة وثلاثون الف بندقية تكفى لتسليح مائة وثلاثون الف جندي ٥٠٠٠ رشاش خفيف ومتوسط ١٢٠مدفع مضاد للدبابات ٩٠هاون ١٦ مدفع مضاد للطائرات ٢٠مليون طلقة مختلفة الأنواع ٨٦٠٠لغم مضاد للدبابات وهكذا يتضح أن الهدف من اتخاذ قرار التدخل العسكرى المسلح أو تنفيذ العملية ٩٠٠٠ (وهو الاسم الرمزي للتدخل العسكرى في اليمن) إنما كان يهدف إلى سرعة تحقيق استقرار الأمور والأوضاع في اليمن كمرحلة أولى ثم التواجد على حدود مشتركة مع المملكة العربية السعودية .

تطور دور القوات المسلحة المصرية في اليمن :

من الواضح أنه لم تكن هناك استراتيجية شاملة لحرب اليمن، فقد جاءت هذه الحملة نتيجة لظروف عربية معينة ولم يكن هناك بديل مقبول في نظر القيادة السياسية في ذلك الوقت إلا القيام بضربة عسكرية مضادة للضربة السياسية التى وجهت إلى مصر وترتب عليها حدوث الانفصال بين مصر وسوريا، فوضع استراتيجية شاملة تمهيدا لحل نزاع ما والعمل على تنفيذها يحتاج إلى سنوات طويلة قبل اللجوء إلى الحل العسكرى الذى يعتبر أكثر أنواع الحلول تكلفة رغم أنه غالبا ما يحسم الموقف بصفة نهائية . تطورت العمليات الحربية في اليمن في أربع مراحل رئيسية تميزت كل منها باستراتيجيتها العسكرية المختلفة .

المرحلة الأولى : منذ بدء التدخل وحتى مارس ١٩٦٣ :(*)

١- حددت توجيهات العمليات مهمة القوات المصرية في اليمن في الآتي :

أ- تأمين ثورة اليمن عن طريق تأمين قاعدة الثورة في صنعاء و تدعيم الموقف في مأرب وعمران وحجه وصعده وذلك باحتلال قمم الجبال المتحكمة في الطرق المؤدية إليها .

(*) -فى أواخر سنة ٦٢ كانت قوات الجمهورية اليمنية المعارضة للإمام محمد البدر، يسيطرون على ثلاث مدن فقط يمنية منها "صنعاء" وكانت باقي مدن اليمن معارضة لنا ، وفى أوائل رمضان ٦٣ ، ذهب المشير بنفسه لينهى هذه المشكلة اثناء وجود الجيش المصرى باليمن، وأعد خطة عسكرية لمدة ثلاث أسابيع، وقاد قواته وجنوده بنفسه واستطاعوا السيطرة على الأراضى فى اليمن.

ب- تأمين سلامة القوات المصرية بالدفاع عن ميناء الحديدة الذى كان يمثل قاعدة متقدمة في المسرح يستقبل القوات والإمدادات المستمرة الآتية عن طريق البحر من مصر .

٢- كان من المخطط استخدام لواءين (ل٥ ، ل١٨ ش) في إنجاز المهام السابقة إلا أن تطور الظروف أدى إلى استمرار تدفق القوات المصرية إلى اليمن حتى وصل حجمها إلى ما يوازى ١٢لواء وعدد من الوحدات الخاصة .

٣- تميزت هذه المرحلة بنقص الخبرة والمعلومات عن اليمن لدى قواتنا وكذلك عدم تكامل أسلوب التعامل مع القبائل اليمنية .

٤- تمكنت قوات اللواء ١٨ مشاه من دخول مدينة صعده يوم ٣٠نوفمبر ١٩٦٢ والسيطرة على المنطقة الجبلية المجاورة، وفى ٢٨فبراير ١٩٦٣ تمكنت ثلاث كتائب مشاة (٧٠،٥٢،١) من دخول مدينة مأرب والاستيلاء عليها وبذلك أمكن قفل طرق التسلل من الشرق عن طريق إمارة بيجان ومن الشمال عن طريق نجران . وقامت قوات مصرية من مأرب بالتوجه إلي صرواح ونجحت في فك حصارها الذى استمر عدة أشهر، وفى ١١ مارس ١٩٦٣ قامت وحدات فرعية من اللواء الخامس باحتلال منطقة الحجة المتاخمة لحدود السعودية وبذلك تم تأمين الطريق الساحلي(*) .

المرحلة الثانية : وتغطى الفترة من أبريل ١٩٦٣ وحتى نهاية العام :

١- نتيجة للاتفاق الذى توصل اليه أوثانت بين كل من السلطات المصرية واليمنية والسعودية وأعلن على مجلس الأمن فى٢٩أبريل ١٩٦٣ والذى يقضى بتوقف السعودية عن مساندة الملكيين و منعهم من استخدام أراضيها كمراكز لمواصلة الكفاح ضد اليمن مقابل التزام مصر بالبدء في الانسحاب من اليمن على مراحل وفى أسرع وقت ممكن مع إنشاء منطقة منزوعة السلاح على جانبي الحدود بين اليمن والسعودية لمسافة ٢٠كم يعمل فيها مراقبون دوليون ، بدأت القيادة المصرية تفكر في وضع نهاية مشرفة للحملة العسكرية .

٢- كانت وجهة النظر للقيادة المصرية في إنهاء الحملة العسكرية هى ضخامة التكاليف والتى وصلت المصروفات فيها إلى حوالى مليون جنيه يوميا أكثر من نصفها بالعملات الحرة وتأثير حجم القوات المصرية(التى كانت قد وصلت في ذلك الوقت إلى حوالى ٤٠,٠٠٠ مقاتل)على الأوضاع العسكرية في جبهة سيناء وانها قد حققت سيطرتها تقريبا على معظم الأراضي اليمنية أى أنها تتكلم من منطلق القوة .

٣- استغل السعوديون والملكيون هذا الاتفاق وانطلقوا يروجون الإشاعات عن بدء انسحاب القوات المصرية من اليمن نتيجة وصول وحدات جديدة من مصر للغيار،

(*) - من كتاب حرب اليمن للمؤلف ادجار اوبالانس، منشورة بالملحق الوثائقى من الكتاب تحت رقم (١٠) صفحة ٦٣٦

واستمرا في دعم القبائل الموالية لهم بالمال والسلاح وقد ظهر مخطط للعدو للهجوم العام على صنعاء بالقبائل المحيطة بها مستغلين فترات تخفيف القوات نتيجة الغيار وتنفيذا للاتفاق ، ففى ٧ يونيو ١٩٦٣ تمردت قبائل بنى مطر والحميه وقطعت طريق الحديدة وصنعاء في عدة أماكن كما قامت قبيلة تهمدان بقطع طريق صنعاء راده في ١١ يونيو وتلا ذلك تمرد قبائل أخرى فقطع طريق عمران أتحلان يوم ٦/١٤ طريق صنعاء جيحانه يوم ٦/١٩ ولكن نجحت القوات المصرية في إعادة فتح وتأمين الطرق، وبنهاية شهر يونيو كان الوضع مستقرا حول صنعاء بعد أن تم تأمينها والاحتفاظ بقوة تعادل لواء كامل مدعم كاحتياطي عام .

٤- في الفترة من أوائل مايو وحتى منتصف يوليو ٦٣ أزداد نشاط العدو فى المنطقة الشمالية حول صعدا مما أدى إلى تمرد القبائل وبدأت سلسلة من العمليات الحربية انتهت بتمكن قواتنا من تطهير المنطقة تماما في شهر سبتمبر ٦٣ وظلت الأحوال حتى نهاية العام هادئه في جميع مناطق مسرح اليمن .

المرحلة الثالثة: وتمتد خلال عام ١٩٦٤ :

١-لم يجد جمال عبد الناصر وسيلة لإيقاف هذا الاستنزاف الذى لانهاية له إلا أن يعيد النظر في علاقاته العربية بشكل عام وكان الوقت مناسبا لذلك. ففشل الأمم المتحدة في إيقاف القتال في اليمن قد ساعد في نفس الوقت على عدم احترام المواقف بين القوتين العظميين وأدى إلى نوع من الاسترخاء الذى يسبق إجراء عمل دبلوماسي حاسم ويمهد له. ومن ناحية أخرى أصبحت المخاوف العربية حقيقة لاشك فيها عندما بات واضحا أن إسرائيل جادة في خططها الخاصة بتحويل مياه نهر الأردن الى أراضيها لذا وجه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء خطابه في الذكرى السابعة بعيد النصر في بورسعيد (١٩٦٣/١٢/٢٣) الدعوة الى عقد اجتماع لملوك ورؤساء الدول العربية لبحث ما يجب اتخاذه حيال المؤامرة الإسرائيلية لتحويل مجرى نهر الأردن .

٢ - عقد مؤتمر القمة في القاهرة من ١٢-١٧ يناير ١٩٦٤ ونجح في دعم التضامن العربى ووضع الأساس لمؤتمرات القمة التى عقدت فيما بعد، كذلك كان من ثمار هذا المؤتمر إنشاء القيادة العربية الموحدة ، وفى ٢٢يوليو ١٩٦٤ أعلن الملك حسين اعتراف الأردن بالجمهورية اليمنية ولكن المؤتمر فشل في تحقيق هدف جمال عبد الناصر الذى كان يصبو إليه وهو وضع نهاية للحرب في اليمن . استغل الملكيون والإنجليز دعوة مصر لعقد مؤتمر القمة وحاولت إدخال أقصى ما يمكن من إمدادات الى القبائل المتمردة داخل اليمن بغرض الاستيلاء على إحدى المدن الهامة (صنعاء- صعدة -حجة) لتتخذ منها عاصمة للملكيين تستطيع أن تحصل بها على كسب في المجال الدولى ، وتنفيذا لهذا المخطط قامت القبائل المتمردة بعمل عدة كمائن على

طريق الحديدة معترضة سير الأرتال الإدارية، كما قامت بقطع طريق صنعاء - تعز، وطريق الروضة - السر والطريق بين جيحانة - رأس العرقوب .

٣- وضعت قيادة القوات المصرية باليمن خطة لمقابلة الموقف الجديد مستغلة في ذلك وحدات الغيار التى وصلت خلال شهريناير الى مسرح اليمن كاحتياطي في منطقة صنعاء كما استفادت من القبائل الموالية في معاونة قواتنا في أعمالها القتالية وكانت الاستراتيجية العسكرية للقوات المصرية في تلك الفترة تهدف إلى استمرار الضغط على العدو، والتحول إلى الهجوم لتصفية جيوب المقاومة داخل اليمن مع تصفية موقف القبائل غير الموالية والعمل على استقرار الموقف السياسى الداخلى في اليمن وإعلان الدستور في البلاد ، وقد استعادت الأوضاع كالآتى :

أ - إعادة فتح الطرق المقطوعة واستعادة السيطرة عليها وتمت حتى منتصف فبراير .

ب- التحول للهجوم وتطهير جيوب المقاومة في مناطق هضبة كوكبان وجبل الزامن في منطقة عمران والهيئات المسيطرة على طريق حجة والهيئات شمال وجنوب جيحانة ، وتمت حتى آخر ابريل ١٩٦٤ .

جـ- تطهير جيوب المقاومة في المناطق الأكثر وعورة في جبل مسور وشرق الصفراء وبراش والتقدم من حجة الى المحابشة وتمت حتى آخر يونيو ١٩٦٤ .

د- استغلال النجاح شمالا في المنطقة الشمالية الغربية لليمن وقفل طرق الإمداد نهائيا من جيزان الى وشحة والمحابشة والاستيلاء على جبل رازح واستمرار أعمال الإغارات على القبائل غير الموالية وحصارها بغرض تصفيتها وتمت هذه الأعمال في الفترة من أغسطس وحتى نهاية عام ١٩٦٤ .

المرحلة الرابعة، وتمتد من ١٩٦٥ وحتى يونيو١٩٦٧ :

١-عقد لقاء جدة في ١٩٦٥/٨/٢٢ بين جمال عبد الناصر وفيصل وتم التوصل الى ضرورة التعاون بين الدولتين لعقد مؤتمر حرض في يوم١٩٦٥/١١/٢٣ لتقرير مصير الشعب اليمنى على أن تتبنى الدولتان قرارات المؤتمر المذكور وتوقف السعودية جميع المساعدات العسكرية في مقابل أن تسحب مصر كافة قواتها العسكرية من اليمن خلال عشرة شهور من مؤتمر حرض مع إيقاف الاشتباكات المسلحة في اليمن فورا .

٢- لم ينجح مؤتمر حرض نظرا لانعدام الثقة بين اليمنيين وبدأ النشاط المعادى للقبائل مرة أخرى التى أصبحت تتلقى المساعدات من البدر والسعودية مرة أخرى من امثال الغادر ، وشريف بيجام مما اضطر القيادة المصرية في اليمن الى طلب قوات جديدة

وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة تفكر في إحياء الخطط العسكرية القديمة التى كانت تهدف الى الاستيلاء على نجران القاعدة السعودية الرئيسية لإمداد القبائل المعادية في اليمن.

٣- اتبعت القيادة المصرية في اليمن استراتيجية عسكرية جديدة في تلك الفترة أطلق عليها استراتيجية النفس الطويل والتى تقوم على الأسس التالية :

أ-احتمال بقاء القوات المصرية في اليمن لمدة طويلة .

ب- خفض التكاليف الى أقل حد ممكن وهذا بالتالى يتطلب خفض حجم القوات والتى تم تخفيفها الى ٢٠,٠٠٠ جندي بدلا من ٧٠,٠٠٠جندي .

جـ- إخلاء المواقع المتطرفة وتجميع القوات المصرية في مراكز قوية يمكنها من توجيه ضربات فعالة مؤثرة ضد الملكيين .

د- الاعتماد على القوات اليمنية في تأمين المواقع المتقدمة وإعادة فتح طريق صنعاء - صعدة بعد أن قطعته قوات الملكيين .

٤- أعقب تطبيق استراتيجية النفس الطويل هدوء تام في القتال ولعل أكبر دليل على نجاح هذه السياسة احتفاظ قوات الجمهورية بمدينة صعده على الرغم من أهميتها الرمزية الفائقة للملكيين، ولعل ترشيد الإنفاق في مجال مساعدات القبائل وجعلها في مقابل مهام محدده كحراسة طريق حيوى مثلا جعلت عددا متزايدا من القبائل يشايع الجمهوريين ضمانا للمكافآت واتقاء لشر الغارات الجوية التى ستتعرض لها .

المشير عامر وخلفه السادات فى إحدى المهام باليمن

انسحاب الجيش المصرى من اليمن :

في الرابع عشر من شهر مايو عام ١٩٦٧ رفعت درجة الاستعداد للقوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة، وتم حشد قوات الجيش المصرى في سيناء نتيجة معلومات غير صحيحة عن حشود إسرائيلية أمام جبهة سوريا. ثم تطورت الأحداث بسرعة وكانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ وانتهت الى تمزيق القوات المسلحة المصرية ولم يكن من المعقول أن يظل لمصر قوات في اليمن .. توقفت الغارات الجوية المصرية على الملكيين بعد أن سحب جزء كبير من الطائرات المصرية في اليمن في النصف الأول من يوليو ٦٧ ومعها المزيد من القوات حتى وصل حجم القوات المصرية هناك الى ١٥,٠٠٠، وقد استغل الملكيون هذه التطورات في القيام بهجوم على القوات المصرية خلال النصف الثانى من شهر يونيو وتمكنوا بالفعل من تحقيق بعض النجاح .. قامت القوات المصرية من اليمن بهجوم مضاد في بداية شهر يوليو وتمكنت من استعادة الأوضاع في المحور الغربى الساحلي الا أنها لم تتمكن من استعاده مأرب وحريب، ولم يمض شهر على ذلك حتى تقدمت مصر بمبادرة لتسوية المسألة اليمنية في اجتماع وزراء الخارجية العرب بالخرطوم الذى سبق اجتماع القمة وفى أول أيام أجتماع مؤتمر القمة بالخرطوم اجتمع كل من عبد الناصر وفيصل وتم التوصل الى اتفاقية الخرطوم التى تنص على تشكيل لجنة ثلاثية (العراق ،المغرب، السودان) لوضع الخطط اللازمة لانسحاب القوات المصرية من اليمن، ووقف المساعدات العسكرية السعودية الى الملكيين . قامت القيادة المصرية بتنفيذ التزاماتها بموجب اتفاقية الخرطوم بشأن انسحاب القوات المصرية من اليمن كالآتى :.

١- تم انسحاب أول دفعة من القوات المصرية من الحديدة في ١٩٦٧/٩/١١ الا أن أحداث ١٩٦٧/١٠/٣ والتى راح ضحيتها ٣٠ جنديا مصريا غير المسلحين دفع مصر الى زيادة معدل سحب القوات المصرية وخاصة من صنعاء بل إن مصر قد قررت عقب هذه الأحداث سحب كافة الخبراء المدنيين العاملين في اليمن .

٢- في ١٩٦٧/١٠/٩ أعلنت مصادر مصرية مسئولة عن إخلاء إقليم صنعاء ونقل القيادة المصرية خارجه، وفى ١٩٦٧/١٠/٢٤ أعلن أن كافة القوات المصرية في اليمن قد تجمعت في الحديده .

٣- في ١٩٦٧/١١/٢٦ أعلن أن عدد القوات المصرية في اليمن قد تناقص الى ٥,٠٠٠، وفى ٨ديسمبر تلقت القيادة العامة للقوات المسلحة من ميناء الحديدة ما يفيد أنه ابتداء من الساعة ١١ صباحا لم يعد أى جندي في اليمن .

نتائج حرب اليمن على الجيش المصرى :

ما من شك أن حرب اليمن لعبت دورا بارزا في هزيمة الجيش المصرى عام ١٩٦٧ ويرجع ذلك الى الأسباب الآتية :-

١- تميز مسرح العمليات في اليمن من الناحية الجغرافية بالجبال الشاهقة والهيئات

الطبيعية البالغة الارتفاع وهو ما يختلف اختلافا جوهريا عن طبيعة مسرح سيناء ذات الأراضي الصحراوية المنبسطة .

٢- خبرة القتال التى حصلت عليها القوات في اليمن كانت ذات آثار مدمرة على أداء القوات المصرية في مواجهة إسرائيل نظرا لأن القوات المصرية في اليمن كانت تواجه عدوا يستند إلى أسلوب حرب العصابات بينما يتوفر لديها السيادة الجوية الكاملة وهذا حرم القوات البرية المصرية من خبرة اتخاذ أية إجراءات دفاعية ضد الطيران العدو .

٣- تميزت عمليات اليمن بالبطء الشديد حيث لم يكن للسرعة ما يبررها، بل ربما أفاد البطء في كثير من الحالات بإعطاء رجال القبائل فرصة للدخول في مساومات مع القيادة المصرية تنتهى غالبا بالانضمام الى الجمهورية .

٤- ازدياد الثقة في نفوس قواتنا لدرجة الغرور، وقد اتضح ذلك من صدور القرار الذى اتخذته السياسة بإعلان حالة الطوارئ في ١٤/٥/١٩٦٧ .

قالوا عن حرب اليمن

سوف استعرض فيما يلى أقوال بعض كبار العسكريين والسياسيين الذين عبروا عن آرائهم في حرب اليمن حتى يكون القارئ على بينة وعلم بآراء الآخرين :

الفريق عبد المحسن كامل مرتجى قائد حملة اليمن :

"حرب اليمن من ضمن الحاجات التى كان له تأثير مش كويس على القوات المسلحة في حربها مع اسرائيل .. ليه ؟ في اليمن طيران عندنا ودبابات وعربات مصفحة وهم ماعندهمش .. إذن كل حاجة كانت في أيدينا .. يعنى العملية عبارة عن حرب عصابات .. يظهروا في حتة نروح نضربهم .. يعنى المناورة والديناميكية بتاعت المعركة ما كنتش موجودة، كل الناس مكنتش موجودة كل الناس اللي كانوا موجودين أخذوا فكرة خاطئة عن الحرب .. يعنى التصميم للمعركة اللي إحنا بنعمله في وقت السلم إن إحنا نخلى القائد والعسكرى تحت ظروف الحرب .. دى ماكنتش موجودة .. وأثرت تأثيرا كبيرا جدا على التدريب .. علاوة على كده كان الناس لما ييجوا من مصر القيادة بتدلعهم .. أسوأ وقت مر على القوات المسلحة .

وهنا سؤال يطرح نفسه بشدة .. هل حرب اليمن كانت خطأ .. ؟ مائة في المائة كانت خطأ .. كنا عاو زين إيه من اليمن ..؟

كل اللي هناك قائم بالأعمال .. محمد عبد الواحد وكان فيه ناس كثير من الثورة موجودين هنا .. زى البيضانى والزبير .. فاللى كان قائم بالعملية دى السادات .. فقال خلاص الثورة قامت وأى قوات تيجى بس تكون رمزية .. فبعتنا سرية من الصاعقة .. هذه السرية وصلت من ٢٠٠ عسكرى إلى ٥٥ ألف عسكرى .. وبعدين .. ياما كتبنا للرئيس وقلت له إن

اليمن لاتفيدنا .. إنما هو كان متصورا إزاى يخرج من الحصار الاقتصادى اللي حواليه .. بأن هو يبقى ماسك قناة السويس .. البحر الأحمر من فوق وخليج باب المندب من تحت .. أنا أفتكر إحنا لما كنا في اليمن .. وبعدها جمعنا ناصر في المنتزه .. وكان البعض قد طالب أن نهاجم منطقة جيزان ..اللي هى حدود السعودية واللى هى أصلها يمنية .. المشير ومعه البعض كان بيحبذ إن إحنا نهاجم جيزان .. فأنا فاكر الرئيس بيقول لى إنت رأيك إيه ؟ أنا عارف اليمن وخدمت في اليمن .. قلت له إحنا دخلنا اليمن بسرية .. بقى فيه ٥٥ألف دلوقتى .. لو دخلت جيزان حادخلها بقد إيه .. كان معمول حسابهم أن ندخل لواءين .. قلت له حتقدر تصمد الى متى خصوصا إن الأمريكان لابد إنهم حيساعدوهم بالطيران .. فالبعض منهم رد وقال إن الأمريكان ملخومين في فيتنام .. قلت لهم بالعكس دول عايزين يثبتوا وجودهم في الأرض المكشوفة هنا بالطيران بتاعهم .. فأنا من وجهة نظرى العملية في بدايتها ممكنة لكن ما بعدها هو اللي حيبقى متعب .. فهز دماغه وقال لى شوف إحنا ما نعملهاش كده .. زى ما هم بيقولوا إحنا نعملها واحدة واحدة .. نروح نضرب بالطيران ونرجع نشوف حيحصل إيه .. تمسك في حتة وتثبت فيها شوية وترجع .. يعنى عملية (خطوة بخطوة) .. على العموم أنا رايح أقابل فيصل وإن شاء الله حنحل موضوع اليمن" .

الفريق سعد الشاذلى :

"اليمن كان لها عيوب .. ومن ضمن العيوب بتاعتها إن الضباط والجنود اكتسبوا عادات سيئة .. لأن الحرب لم تكن نظامية .. لان الحرب لم تكن جيش ضد جيش .. ده جيش ضد عمليات فدائية .. مافيش طيران معادى .. أكسبت القوات النظامية بعض العادات اللي تضرهم عندما يدخلوا في الحرب نظامية .. لكن تقدر تقول برضة اذا نظرنا الى الفوائد .. إنه إحنا في اليمن كنا بنساعد كل الحركات التحررية فى عدن والخليج" .

عبد اللطيف البغدادى نائب رئيس الجمهورية :

هل الحرب موجهة الى السعودية ..؟ لا .. هى جت بعد ذلك .. لما راحت مصر وبعدين ظهر إن البدر ما اتقتلش .. انما ظهر إنه هرب على الحدود السعودية .. في بلد اسمها جيزان .. وبعدين تبنته السعودية .. فالسعودية من وجهة نظرها وأمنها .. أن مصر بقت على حدودها في اليمن وده لا ترضى به .. ثورة هنا وقاعدة تساعد وتعمل على مساندة الثورات في الدول العربية .. كانت مصر عملت في الوقت ده ضد السعودية منشورات .. فمن هنا فيصل تبنى البدر وقوى البدر .. وابتدوا يشتروا القبائل ضد الوجود المصرى في اليمن .. وابتدت عملية العند بقى بين جمال عبد الناصر وبين فيصل فمن يتغلب على الآخر ؟! اللخبطة جاءت من هنا .

هو كان سنة ٦٢ .. سافرت لندن أعمل عملية المرارة .. كان جمال عبد الناصر مر علىّ يشوفنى قبل ما أسافر .. فكان لى رأى قلت له نخرج من اليمن بأقصى سرعة لإن ده بيشبهنى بأسبانيا أيام نابليون لما عملوا له بؤرة قلاقل داخل أسبانيا .. وكان عمل أخوه ملك أسبانيا ..

فانشغل بها واستنزفته .. وأنا قلت له نخرج بقدر المستطاع هاودنى .. لكن اللي في ذهنه كان حاجة تانية .. لأن بعد يوم ٦٧ .. ماحصل وكمال حسين راح له فقال له كمال ..: نسيب اليمن للبدر .. لكن هو عنيد .. والعند ينفع في حاجات وما ينفعش في حاجات .. لازم يبقى فيه مرونة .. فهو كان ضد الخروج من اليمن ..

وقال ايضا الفريق عبد المحسن كامل مرتجى قائد حملة اليمن :

"خسائر حرب اليمن أتصور أنها قد تقدر في حدود ١٠-١٥ألف عسكرى وضابط طبعا وهناك ضباط برتب كبيرة ماتوا" .

ويقول كمال الدين حسين :

"حرب اليمن كانت من سوء الطالع لمصر .. عجيب جدا في حرب اليمن .. قطعا إحنا أخرجنا شعب من القرون الوسطى للعصر الحديث .. يعنى فيه ناس لحد النهارده تقول لك احنا عملنا خبراء لكن على حساب ايه .. ؟ هو ده اللي يمكن مناقشته .. العملية لم تجد اعتراض الأول شوية سلاح ونفرين تلاتة يروحوا يودوا السلاح في طائرة بس عملية بسيطة .. تطورت العملية دى لغاية ما بقى فيه جيش علشان يقاتل في اليمن .. استغلت العملية دى استغلالا سيئا .. طبعا لما يكون جيشنا بيحارب مكان ما يبقى اعلان المعارضة دى عملية غير مستحبة .. وانا قلت لجمال عبد الناصر إن إحنا تورطنا في حرب اليمن .. زى الأمريكان ما تورطوا في الحرب فيتنام .. ويجب أن نسحب قواتنا من هناك في أسرع وقت ما يمكن .. لكن لم يكن سهلا على جمال عبد الناصر بعد عملية الانفصال عن سوريا .. وبرضه انفصال سوريا عن الآشتراكية لا يبينها إلا الاشتراكيون .. وتعمل ذنبا للاتحاد القومى لأن هو المسئول في هذا الموضوع" .

ويقول الدكتور ثروت عكاشة :

"كانت مغامرة غير محسوبة .. لها إيجابياتها ولها سلبياتها .. أما إيجابياتها فهى تحرير اليمن من أغلال القرون الوسطى .. أما سلبياتها فهى في رأيى ودون الدخول في التفاصيل.. كانت أحد العوامل الأساسية في هزيمة ٦٧" .

ويختم الفريق عبد المحسن كامل مرتجى قائد حملة اليمن حديثه عن اليمن في جملة واحدة: "الحملة التى لا داعى لها" .

ويقول مصطفى أمين :

"أكبر أخطائنا .. لأن لا يمكن أنك تدخل تفرض حكم بالذات .. اترك الشعب اليمنى هو الذى يقرر مصيره بإيده، لكن لا ترسل قوات مصرية تحارب .. نتج عن هذا أن الكثير من البلاد العربية خافت إن إحنا نعمل لها زى ما عملنا في اليمن .. ونتيجة لهذا ... اليمن بعد ما

كانت صديقة حميمة لنا .. تعمل اللي إحنا عاو زينه .. أصبحت ضدنا وأعتبر إنها رصيد دائن وإيجابى وحضاري .. قد يكون هناك آلام نتجت من هذا ولكن سيذكر التاريخ إنه بفضل مصر صحت الأمة العربية وتحررت من الاستعمار وتحررت من بعض أنواع التخلف .. نبتت في مشاعر المواطنين العرب فكرة القومية وفكرة الحضارة الحديثة والارتقاء العالمي .. بلا جدال إنه لولا ثورة مصر ولولا دعم مصر لثورة اليمن لم تكن لليمن أن تقوم ثورة حضارية فيها" .

ويقول حسين الشافعي :

"إذا اعتبرنا أن الوحدة مع سوريا دى أول خطوة لاستدراجنا وإخراجنا من خندقنا لتوجيه الضربة لنا .. فحرب اليمن كانت التدبير الثانى لاستدراجنا في العملية وكانت للتأكد من أن رد الفعل حيستجيب للدعوة بالنسبة لحرب اليمن لأن أتعملت وأعلنت يوم ٢٦سبتمبر سنة ١٩٦٢ أى قبل الذكرى السنوية الأولى للأنفصال بيومين .. فطبعا كانت بالحساب السيكولوجى تبقى وسيلة للتغطية بالنسبة للوضع السياسى في المجال العربى .. علشان يبقى لنا عزوة في البلاد المتحررة .. ولو عزوة معنوية لأن إحنا سندنا إيه .. إلا قاعدة الأحرار .كل ما تتسع كل ما تبقى لنا سد" .

ويحدثنا الفريق صلاح الحديدى عن أوجه التكلفة الفعلية لحرب اليمن فيقول :

أما عن أوجه الإنفاق في اليمن بصفة عامة فإننى أخشى أن يفوتنى البعض منها ، ولذا فإنى أتحفظ وأقول إنها كانت كما يلى على سبيل المثال وليس الحصر :

١- مرتبات ومصروفات الإدارة اليمنية ابتداء من الحكومة إلى أدنى المستويات .

٢- مرتبات وتكاليف القوات اليمنية التى ارتبطت بها قيادة القوات في اليمن ولم يكن لوجودها نتائج إيجابية في الواقع .

٣- مبالغ تدفع شهريا الى العديد من مشايخ القبائل ، كل حسب أهميته وأهمية قبيلته وموقعها لإبقائهم على ولائهم للجمهورية ، ومبالغ تدفع الى مشايخ آخرين ليتحولوا الى موالين لنا .

٤- مبالغ تدفع الى رجال القبائل وطبعا مشايخها أيضا ليقوموا ببعض العمليات ضد قبائل أخرى مجاورة أعلنت العصيان .

٥- مصروفات المشروعات العمرانية التى أقامتها مصر لمدة السنوات الخمس من مدارس ومستشفيات وآبار للمياه وشق الطرق ورصفها، وخلاف ذلك مظاهر الحضارة التى حاولت مصر إدخالها إلى اليمن .

٦- إنشاء مطار للطائرات النفاثة في الحديدة وآخر في صنعاء خلاف مناطق هبوط للطائرات في جحانة وفى بعض جهات أخرى .

٧- قيمة ما لايقل عن نصف الأسلحة والسيارات ومخازن التموين والملابس والمعدات

وخلافها التى كانت موجودة في حوزة القوات المصرية في اليمن عندما تقرر رحيلها الى الوطن بعد هزيمة ٦٧ ورؤى أن نقلها الى مصر يتكلف مبالغ باهظة فقدمت كهدية الى الحكومة اليمنية .

٨- مرتبات إضافية لرجال القوات المسلحة المصرية لمدة تقرب من الخمس سنوات تراوح خلالها عدد القوات من سرية قوامها مائة جندي الى ما يزيد على سبعين ألف مقاتل.

٩- مصروفات نقل الأفراد والأسلحة والمعدات وباقى الاحتياجات لمسافة ثلاثة آلاف كيلو متر من السويس الى الحديدة بحرا ومن مطارات القاهرة الى مطارات اليمن جوا .

١٠- إنشاء مبنى ضخم لقيادة القوات المصرية في اليمن مجهز بعدة مصاعد كهربائية ومؤمن بكافة الاحتياجات وترك في صنعاء طبعا .

١١- مصاريف الزيارة التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر وكبار رجال الدولة لليمن لمدة أربع أيام وما يكتنف مثل هذه الزيارات عادة من مظاهر القدرة والبذخ والإغداق بالإضافة الى تكاليف الأمن الضرورية .

وبعد كل هذا يردف الفريق الحديدى بقوله :

ليس في استطاعتي تحويل هذه المطالب المالية الى رقم معين من ملايين الجنيهات أو بلايينها ولأترك هذا لخيال القارئ وقدرته على الحساب وأطالبه أن يتصور معى لو أن هذه الأموال بقيت خزائن مصر أو أنفق جزء منها- ولا أقول كلها لاستحالة ذلك - على المشروعات الاستثمارية فيها أو حتى على مشروعات الخدمات التى قدر لهذا الجيل أن يعانى نقصها طول حياته .. لعمرى كم تكون مصر رائعة وكم تكون شامخة .

ونأتى الى نهاية القصة في نظر الفريق صلاح الحديدى فيقول :

عندما تجمعت القوات المصرية في الحديدة إيذانا بانسحابها من البلاد، تعرضت هذه القوات لمظاهرات صاخبة عنيفة يوم ٢ أكتوبر وقتل نتيجة لهذه المظاهرات ما يزيد على المائة جندي مصرى قبل أن يعود الهدوء ويستتب الأمن .. ولم تكن عملية الانسحاب من المناطق البعيدة عن المدن أقل صعوبة، كان انسحابا مبنيا على القتال لتحمى القوات نفسها أثناء انتقالها حتى الحديدة .. وهكذا تم رحيل القوات المصرية عن اليمن .رحيل حزين في أسوأ الظروف التى واجهت مصر في تاريخها الحديث وربما القديم أيضا .. الوطن ممزق وإسرائيل جاثمة على صدورنا تحتل سيناء بأكملها ولا يعوقها عن عبور قناة السويس شئ. وحتى الشعب اليمنى رغم كل ما قدمناه طيلة السنوات الخمس التى مضت فقد أعلن عن موقفه ولم يراع في هذا الموقف الظروف التى كنا نعيشها والآلام التى كانت تدمى قلوبنا .

ومع ذلك فقد كان في رحيلنا راحة . ❖ انتهت المشاكل وانتهت المناورات .

توقف نزيف الدم واستنزاف الموارد .

الفصل الرابع

شهر عسل .. وسنوات بلا عسل

شهر عسل ... وسنوات بلا عسل

بعد عودتنا من كنج ماريوط على النحو الذى ذكرته سابقا ، اتضح لى أنه من المستحيل أن يكتمل شهر العسل ، فقد انتهى بنهاية الأيام الثلاثة الأولى . أما ما أعقب ذلك من أيام ، وشهور وسنوات ، فقد حفلت كلها بأحداث و مفاجئات ، كنت أراها بعين الزوجة ، أقداراً كاسحة ، تحول بينى وبين اللقاء ، و النجوى والتسامر من عبد الحكيم عامر ، و فى الأوقات القليلة التى تتاح لنا فيها خلوة ، كان كل منا يعبر عن حبه للآخر وتعلقه به، وكانت هذه اللحظات القليلة ، هى كل من سمحت لنا به الأقدار ، فلم تكن سعادتنا بضخامة حكايتنا ، ولم تكن بضخامة ما أشيع وروى عنى وعن عبد الحكيم عامر فيما بعد .

وللحق لم يكن ثمة مفر من وحدتى ، فالرجل الذى تزوجته كان يعطى كل وقته لمسئوليات منصبه ، و كنت كأى مواطنة أعرف أخباره ، وأنباءه من الصحف ، و الإذاعة ، و التلفزيون ، فأعرف أنه اليوم فى اليمن ، أو فى السويس ، أو فى موسكو أو فى الجزائر .كانت مسئولياته كثيرة فإلى جانب مهامه السياسية كنائب أول رئيس الجمهورية ، ومهامه العسكرية كقائد للجيش ، كان عليه متابعة كثير من المشاريع المدنية .لم أكن أتصور قبل الزواج ، وأنا فى غمار الآمال و الأحلام و أضواء الفن لم أكن أتصور وقتها أن الإنسان - أى إنسان - يمكن أن يكون مشغولاً بدرجه تجعله لا يجد وقتاً لكى يرى فيه من يحب !! .وكنت أشكو له إحساسى بالوحدة ، ورغبتى فى قضاء وقت أطول معه فكان يرد على بقوله : (أنا لا أملك نفسى... أنا ملك الثورة و الناس و المسئولية) .كان مثل هذا القول يؤثر فى تأثيرا عميقا و يولد فى نفسى إعجابا به ، يضاهى شوقى إليه .و الحق أن المشير كانت به صفات أحببتها ، منها انهماكه الشديد المخلص فى سبيل المبادئ التى يؤمن بها ، و تلقائيته مع من يعرفهم و يثق بهم ، كما أنه كزوج كان عطوفا لين الجانب ، وإنى لأعجب كيف كان يمكن لإشاعات الحشيش و المجون ، والغراميات أن تنتشر عن رجل لا يجد وقتا لراحة بدنه .وقد مر العام الأول من زواجى - سنة

١٩٦٣ - و انا لا اجد ما افعله سوى ممارسة الرياضة فى حديقة المنزل .و الحق انى كنت قد بدأت اخاف على رشاقتى و قوامى ، فأنا أعيش فى راحة ، و لا أبذل جهداً كما تفعل كل زوجة فى بيتها، فحاجاتى كلها مقضية ، ولم أكن أخرج إلا نادراً - فلا أزور ولا يزورنى أحد - و كان خروجى الوحيد إما للذهاب إلى السينما ، بصحبة (السائق متولى) وكثيرا ما كان يأتى أحد من حرس المشير إلى داخل السينما أثناء العرض يهمس (الدكتور وصل) فاضطر إلى مغادرة القاعة والعودة إلى البيت ، وإن لم أذهب إلى السينما فإنى كنت اتجول حول البيت بالعربة مع أحد الحرس أو مع على شفيق .ومر عام ١٩٦٣ ، و مع بداية عام ١٩٦٤ حدث تغير فى حياتى : الحمل .و عندما عرف عامر ، كانت فرحته لا توصف ، فأخذ يتكلم كثيرا عن الولد المنتظر .. و ماذا نسميه؟ .. كما يحدث عادة بين الأزواج . ويبدو أن القدر أبى لهذه الفرحة أن تتم ، فأجهضها و أجهض معها الجنين ... ولذلك قصة .فى إحدى زيارات صلاح نصر ، قال لى مازحاً : (أيوه ياست حملت .. ويكده اترستقتى) .احسست بالإهانة ، وبجرح فى كبريائى ، و كأننى إمرة تافهة لا تستطيع أن تطمئن إلى زوجها إلا بالإنجاب .قلت له: عامر عنده سبعة أولاد .. ولم يمنعه هذا من الزواج مرة أخرى .وكانت هذه العبارة سببا فى زوال البهجة من نفسى ، وحل محلها الكدر و الضيق ، وقد لاحظ عامر ما اعترانى من تغير ، فكان يسألنى (ماذا بك) فأجيب (متعبة) .انتهت السهرة ، وقبل انصرافهما قال لى عامر : (خلى بالك من صحتك .. ولا تجهدى نفسك) .ونظرت إلى صلاح و أن أقول : (إن شاء الله) .ولم انم ليلتها كيف فسَرت علاقتنا على هذا النحو بعدما ضحيت بالنجومية و الشهرة لأعيش فى منزل متواضع من حجرتين وصالة ، ورضيت ان اقبع هنا فى انتظار زوج لا أعرف متى يجيء ... ومتى يسعدنى حظى ببقائه معى ليلة أو ليلتين فى الأسبوع ، كان يعطينى مائتى جنية فى الشهر كمصاريف لكل شيء : الأكل و الإيجار و النور ، و أحيانا عزومات الأصدقاء ... ثم لا أخرج إلا بأذن ومعى حارس ... و لااستطيع دعوة أية صديقة عندى لدواعى الأمن ، وكأننى فى سجن انفرادى إذاً فقد تحملت هذا من أجل حب كبير ، فلأى شيء أعيش تلك الحياة التى لا تتحملها أية زوجة عادية وليست نجمة سينمائية .قد تكون حياة الوحدة سبباً فى تزايد الغضب بداخلى ، و إعطائى وقت فراغ أجتر فيه بداخلى حديث صلاح نصر ، مع ما صاحب ذلك من توتر واستثارة . وكان طبيعيا فى تلك الحالة الا أحظى بنوم مريح ، و أن أصحو من نومى بجسد مرهق و أعصاب متوترة ... ويبدو أن القدر كان يمسك حكاية لم أنتبه إليها ، فقد واصل نسجها حتى أتمها فى الصباح .. فما كدت أغادر غرفة نومى ، و أتقدم من السلم و أشرع فى الهبوط، حتى وجدتنى أسقط على السلم وأنا أصرخ ، و كانت لحظات أعانى فيها آلاما قاسية ثم غبت عن الوعى ، وأفقت على وجود طبيبة بجانبى . قالت وهى تربت على خدى: حمدا لله على السلامة .. ياخسارة .. كان ولد، و قد عرفت أنى أجهضت الجنين ، وراحت الطبيبة تواسينى و توصينى بعدم الحزن .. أو الانفعال وأن أهتم بصحتى . ثم جاء عبد الحكيم عامر ولاحظ أنى فى حالة إعياء ولا استطيع الوقوف ، فأحاطنى بيده ، وهو يردد : سلامتك .. شدى حيلك .ومر يومان على هذه الحادثة تمالكت فيها بعض قواى ، الحق أن آلام البدن بدأت تفارقنى ، ولكن الغضب من تلميحات صلاح نصر لم تفارقنى وصح عزمى على

ابلاغ المشير بما قاله صلاح ... فانتهزت لحظة كان فيها جالسا إلى جانبى - وكنا وحدنا - وقلت له فجأة :هل جريمتى أننى أحببت مشيرا ؟!! بلاش فلسفة وخشى فى الموضوع .انت تستمع لكل الناس بصدر رحب ، فاتركنى أعبر عن مشاعرى بطريقتى .قال بشكل رسمى : اتفضلى .بصراحة ، هل أنا كسبت ماديا أو اجتماعيا بزواجى منك ؟ أم خسرت ؟ قال بشدة منذ متى تحسبين علاقتنا بحساب المكسب و الخسارة، و منذ متى يحسب الأخذ و العطاء بين زوجين ؟ قلت : أرجوك انا اتساءل فقط ، وليس معنى ذلك أن هذا هو تفكيرى .قال : أنا لا أحب الألفاظ و الديباجات ، تكلمى بصراحة ، فلست بحاجة إلى مقدمات .. فأنا أعرفك جيداً .. أجيبى بسرعة ماذا حدث ؟ ! أخبرته بما قاله لى صلاح نصر ، فلم يصدق وقال : هوه قالك كده ؟! .انا لا أكذب .امسك التليفون على الفور و كلم صلاح الذى قال له ضاحكاً : معقول تاخد الموضوع بالشكل الجد ده ؟ .و أعطانى عامر السماعة و سمعت صوت صلاح نصر يقول لم أتصور أن هذه الكلمة تفعل فيك كل هذا .. أنا كنت بهزر !! .تركت هذه الحادثة أثرا عميقا وغائرا فى نفسى ، فقد شعرت و كأننى فى بلاط ملكى ، ولا خبرة لى فى التعامل مع رجال السياسة و الحكم .. ولكنى تعلمت أن تكون كل تصرفاتى بحساب ، وكل كلماتى بحذر ، ونسيت البساطة التى كنت أتعامل بها طول حياتى و أحسست فجأة أننى كبرت أعواماً و لكن معاملة عامر الكريمة و حنانه و حبه ، كل ذلك احتوى مشاعرى وأقبلت مرة أخرى على الحياة بأحاسيس أكثر قوة ونضجا.

من عالم الفن الى عالم السياسة

عادت المياه الى مجاريها بينى وبين عامر بعد حادثة الإجهاض، ولكنى لم أعد أبداً كما كنت، أصبحت أعيش فى مناخ كله سياسة وقلبى معلق برجل يعمل فى السياسة وبدأ عقلى ينتبه الى مايجرى من حولى وما يدور من أحاديث بين عامر وزواره من رجال الدولة. وفى تلك الليلة التى قال فيها صلاح نصر ملاحظته التى أغضبتنى تذكرت سؤال صلاح نصر للمشير عامر الازلت غاضبا من صاحبك؟ ودار بينهما كلام عن خصام وخلاف بين المشير وصاحبك.

وتذكرت ان مثل هذا الحوار يتردد كثيرا فى مجالسنا عندما يأتينا زائر مثل صلاح نصر أو أنور السادات وعباس رضوان أو عصام خليل أو أخوته مصطفى وحسن وعبد المنعم عامر " الراجل مش عايز"صاحبك زعلان من كذا"وهو لايرضى عن كذا " "وسيادتك تعامله بكذا". "كان الراجل "او صاحبك" إشارة الى جمال عبد الناصر - كما فهمت بعد ذلك- وترسخ فى ذهنى إحساس بأن هناك خلافاً دائماً بين عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر. واذا كان هذا الشعور قد تأكد عندى فإن شعوراً آخر يناقضه كان مؤكدا بدوره وهو الصداقة القوية بينهما ..وكان طبيعيا أن يدفعنى الفضول -والخبرة الجديدة- الى محاولة فك أسرار الخلاف بينهما بسؤال المشير عن ذلك وكان عبد الحكيم بطبعه كتوماً وحذراً ولذا لم أفلح فى استخلاص أى سر منه إلا بعد أن يكون قد فقد أهميته بمرور الوقت. مثال ذلك خلافهما عام ٥٦ وخلافهما ٦١ وكذلك عام٦٢ ثم عام٦٧ . إنه تاريخ حافل بالخلافات وقد استبدت بى الدهشة لاكتشافى هذه الحقيقة فالصورة التى كانت راسخة فى ذهنى أن بين الرئيس والمشير روابط قوية من الصداقة والأخوه والتفاهم، حتى أن كلا منهما أطلق اسم صاحبه على ابن من أبنائه، كان ثمة خلاف بين الرجلين وقد صرفت اهتمامى لمعرفة هذا الخلاف الذى يتردد صداه تلميحا آنا وصراحة آنا آخر بين جدران منزله . وقد حفزنى ذلك بدافع من حب الاستطلاع من ناحية ، وحب المعرفة من ناحية أخرى لأن أحاول فهم الأحداث الكبرى التى تمثل نقاط تحول واضحة فى

تاريخ الثورة مع التركيز على دور عبد الحكيم عامر الذى تبين أنه كان دورا محوريا وأساسيا رغم أنه لم ينل حظه من الدعاية والإعلان، حيث نسبت كافة الإنجازات والإنتصارات إلى جمال عبد الناصر بأعتباره رئيس الجمهورية ورمز القيادة العسكرية، خاصة وأن عبد الحكيم عامر بطبيعته كان زاهدا فى الناحية الإعلامية ولم يكن يعنيه كثيرا أن تظهر صورته فى الصحف والتليفزيون أو تنشر على لسانه التعليقات والتصريحات، وهناك العديد من الأحداث لم أكن قد أوليتها اهتمامى أثناء وقوعها لكنها ظلت تلح على خاطرى لمحاولة معرفة أسرارها بأثر رجعى سواء من خلال قراءاتى ، أو من خلال حواراتى مع عبد الحكيم عامر وأصدقائه المقربين... أنور السادات الذى كان لايفارقة تقريبا وصلاح نصر وعباس رضوان وكثيرين وجميعهم كانوا فى مواقع مطلعة بل ومشاركة فى صنع القرار وتنفيذه . ومازلت حتى اليوم أجد سعادة حقيقية لدى العثور على معلومة جديدة تلقى ضوءا على تاريخ الثورة وتاريخ عبد الحكيم عامر، وذلك من خلال شهود تلك المرحلة الهامة من تاريخ مصر الذين تطوعوا للإدلاء بشهادتهم وكتابة مذكراتهم فأثروا المكتبة العربية بتفاصيل كثيرة على درجة كبيرة من الدلالة والأهمية، وسوف استعرض فى الصفحات التالية بعض المواقف الهامة فى علاقة الرجلين والتى تبين مدى عمق الصداقة بينهما وحقيقة أن هذه الصداقة التاريخية لم تقف حائلا أمام أى منهم للتعبير عن رأيه وذلك فى إطار من الإخلاص والمصارحة والحرص على المصلحة العامة. فمثلا عرفت أن المشير كان يعارض جمال عبد الناصر فى تطبيق قوانين الإصلاح الزراعى فى سوريا بعد الوحدة، وهو ضد الاستيلاء على ملكيات الملاك الذين ينتمون لأحزاب سياسية و أبنائهم يتولون مناصب قيادية فى الجيش السورى، كما أنه عارض قرارات التأميم التى أدت الى تأميم الشركة الخماسية بسوريا وهى إحدى الشركات الكبرى التى تضم أكبر الاقتصاديين الذين يسيطرون عل النشاط الاقتصادى هناك وقد كانت هذه الشركة صاحبة دور كبير فى الانفصال كما عارض عامر ايضا تأميم البنوك التى يعتمد عليها رجال الأعمال والتجارة مما أكد بعد نظر عبد الحكيم عامر، ان عدم فهم طبيعة الحياة الاقتصادية فى سوريا كان أحد الأسباب القوية لهذا الانفصال الذى بدا غريبا لكثيرين بعد التحالف بين مصر وسوريا ذلك لأن عماد الاقتصاد السورى يقوم على التجارة وليس الزراعة، فجاءت قرارات التأميم لتشل هذا النشاط التجارى. بالطبع تبع ذلك قيام حكم بوليسى فى سوريا على غرار الحكم القائم فى مصر، ولم يكن عبد الحكيم راضيا عن ذلك كله وقد أرسل عامر رسالة مع صلاح نصر قبل الانصراف حذر فيها جمال عبد الناصر موضحا حرج الموقف فى سوريا وطلب منه فيها سحب السراج فورا والذى كان هو الحاكم الحقيقى لسوريا آنذاك وتفويض المشير لاتخاذ الاجراءات لمنع الانفصال. وكان من الأمور التى حزت فى نفس المشير عبد الحكيم آنذاك هو إذاعة خبر تحرك طائرته من سوريا إلى مصر وهذا خبر كان من الممكن أن يعرضه للموت من المدفعية الاسرائيلية المضادة للطائرات والتى كانت فرصة ثمينة لإصطياده، وعندما هبطت به الطائرة فى مطار القاهرة لم يجد فى انتظاره صديق عمرة وشريك كفاحه جمال عبد الناصر !! وانما وجد كمال الدين حسين والذى يكن له احتراما كبيرا ولم يكتم عبد الحكيم مشاعره فقال لكمال ساخرا : هو الريس كان متوقع عدم وصولى.

خلافات بعد الثورة

بينت سابقا فكرة عن بعض الخلاف الذى كان ينمو بين ناصر وعامر، والذى كان يطل عليهما فى كل حادثة كبرى من الأحداث التى مرت بها مصر...... فمثلا فيما يتعلق بتأميم قناة السويس ،كان عبد الناصر قد اتخذ القرار دون استشارة أحد، وفاجأ به عبد الحكيم عامر فى القطار وهما فى الطريق إلى الاسكندرية، وكان رد المشير : كيف أكون أنا قائد الجيش وتتخذ هذا القرار الخطير دون أن تبلغنى، لتعرف إذا كان الجيش بإمكانياته الحالية قادرا على تنفيذ هذا القرار أم لا !!..

ولما ناقش عامر ناصر احتمال نشوب حرب ، وتدخل الدول الكبرى مع إسرائيل كان رأى جمال أن فرنسا مشغولة بالجزائر ، وأن إسرائيل مازالت تحبو وخففت من غاراتها علينا ، ولا يعقل أن تقوى على الوصول إلى قناة السويس، و حاول عامر فى الاسكندرية إثناء جمال عن إعلان قرار التأميم. وأذكر أنى سمعت من عبد الحكيم كلام أن القرار لم يكن له داع وأن ما يسعى إليه آت بانتهاء مدة عقد الامتياز، وأن هذا الهدف لا يستحق التضحية الجسيمة بتعريض البلاد لاحتمالات الحرب فى ظروف كان الجيش يعانى فيها نقصا فى الأسلحة والذخائر ، وجهلا بما فى يده من أسلحة جديدة - تشيكوسلوفاكية بديلة عن الأسلحة الغربية التى تمرس عليها .

وبعد إعلان القرار بأيام جاءت التقارير لتؤكد نية الدول الثلاث على الحرب... فقد أرسل ثروت عكاشة -وكان يعمل فى سفارتنا بباريس - تفاصيل خطة العدوان، كما استطاع أن يحصل على معلومات عن المؤامرة، وأيضا ملحقنا العسكرى فى تركيا أرسل فى شهر أكتوبر ١٩٥٦يبلغنا أن انجلترا وفرنسا وإسرائيل سوف يقومون بالعدوان على مصر، وأنه استطاع أن يحصل على هذه التفاصيل من عميل مزدوج فى تركيا .

ورغم ذلك لم يقتنع عبد الناصر !! وقال : إن حساباتى أن هذه الدول الكبرى لايمكن أن

ترتكب هذه الغلطة الكبيرة .. والواقع أن الخبراء السوفييت لم يكونوا قد وصلوا إلى القاهرة وكان الجيش قد غيّر من وقت قريب سلاحه من سلاح غربى ، الى سلاح شرقى، ولم يصل الخبراء لتدريب الجيش إلا فى أواخر سنة ١٩٥٨ ، لذا عندما وقع العدوان الثلاثى لم تكن ظروف الجيش مناسبة من حيث التسليح والتدريب لمواجهة هذا العدوان .. ويوم العدوان كان ناصر حاضرا ادارة المعركة ومعه أعضاء مجلس قيادة الثورة وكل واحد منهم يدلى برأى مختلف .

كان عامر منصرف بذهنه كله إلى المعركة ، دون أن يلقى بالا إلى الآراء التى تتخبط من حوله وهذا ما جعله يستنتج اشتراك قوات إنجليزية وفرنسية مع قوة الطيران الإسرائيلى لأن أعداد الطائرات كانت اكثر بكثير من قوة الطيران الإسرائيلى، وعلى هذا اقترح عامر على جمال سحب القوات من سيناء لأن ما يحدث هو كماشة لوضع الجيش المصرى فى مصيدة، وقد اعترض على هذا القرار من الموجودين كل من عبد الناصر ، البغدادى، زكريا محيى الدين ... وأصر عامر على الانسحاب خوفا من هلاك الجيش ، وحينما أصروا على رفض الانسحاب، ثار عامر فى وجه عبد الناصر وطلب عامر تنحيته عن المعركة ليقودها ناصر بنفسه ولكن عبد الناصر تراجع ووافق على الانسحاب وكان الانسحاب، منظما وتم الحفاظ على معظم قوة الجيش ... وكان هذا ثانى خلاف بينهما قبل وبعد الثورة أثر فى علاقتهما وجعل بينهما حساسية دائمة حتى أن جمال كان لا يفتأ فيما تلا ذلك من سنوات يعاتبه بين الحين والحين لقوله : لا استطيع أن انسى أنك ثرت فى وجهى وخاطبتنى بصورة غير حسنة أمام بغدادى وزكريا !! .. كان جمال قد طلب من المشير طرد صدقى محمود من الطيران ، وإجراء تحقيق مع القادة لتهدئة الشعب مما أصابه نتيجة الغزو ، والغارات المكثفة داخل القطر المصرى ولكن عامر رد عليه قائلا: مين اللى يتحاكم ؟ صدقى محمود علشان ماقدرش يحارب فرنسا وانجلترا وإسرائيل بجزء من سلاح لم يصل بقيته بعد !والللا صدقى هو اللى أمم القناة ؟ .. اللى يتحاسب هو الذى قدر الموقف تقديرا خطأ .

قصر البرملى

بعد حادثة " الإجهاض " بأسابيع ، فاجأنى المشير بالحضور إلى المنزل ومعه متولى وقال لى :" اعدى حقيبتك " لأننا سنسافر إلى الإسكندرية كانت كلمة الاسكندرية هى كلمة السر التى تفتح أبواب السعادة ، فى نفسى فما كدت أسمعها حتى قفز قلبى من الفرح وأسرعت لإعداد الحقيبة والملابس ، وكل ما يلزم للرحلة . . وفى العربة جلست بجانبه ، وكان يتولى القيادة ، وانطلقنا فى الطريق الصحراوى ومتولى خلفنا فى عربة أخرى، لحظات فى حياة الإنسان لا ينساها !! كانت هذه اللحظة واحدة من تلك اللحظات...

لقد بدا لى كل شئ جميلا الصحراء الممتدة أمام البصر والرمال الغارقة فى ضوء الغروب الذهبى وغناء أم كلثوم يضيف جمالا إلى جمال الصحراء، وبين الفينة والفينة أقدم له قدحا من الشاى أو فنجانا من القهوة ، أو سندوتشا وظللنا على هذا المنوال حتى وصلنا إلى كنج مريوط ، وفوجئت بأنه لم يعرج فى الطريق إلى كنج مريوط بل واصل السير فسألته : لماذا لم تنحرف إلى الفيلا ؟! أجابنى بهدوء أصبرى ، تبين لى أننا فى الطريق إلى استراحة المشير التى فى برج العرب وكان يطلق عليها قصر "البرملى"وهى بناء مهيب يشبه القلعة وكانت ملكا لرئيس المخابرات البريطانية فى شمال أفريقيا . توقف المشير أمام الاستراحة فغادرنا العربة ودخلنا .. كانت القاعات واسعة ونظامها المعمارى جميلا ومع ذلك فقد كان واضحا أنها تفتقر إلى لمسات المرأة، فهذا الجمال المعمارى كانت عليه مسحة من الصرامة ومع ذلك فقد كنت سعيدة وفرحة لوجودى معه. كان فى حجرة السفرة ساعة حائط كبيرة وقد بدأت تدق معلنة الثانية عشرة - منتصف الليل - وفاجأنى عامر بأن أخرج علبة أنيقة ، قدمها لى قائلا : ولو أنها جاءت متأخرة -كل سنة وانتى طيبة .. فتحت العلبة فإذا بها سوار جميل رقيق قدمها لى عامر فى ذكرى زواجنا .. وقدأثر فى نفسى أن يتذكر عامر هذه الذكرى وسط مشاغله الكبيرة، ولو أنه نسى ولم يقدم لى شيئا لما كنت أعاتبه لعلمى بمدى ما هو فيه من اهتمامات ومسئوليات كثيرة . . وفى اليوم التالى أراد المشير أن يأخذنى فى رحلة إلى البلاج وكان

مخصصا له شاليه على الشاطئ "برج العرب" فى مكان لا يبعد عن الاستراحة أكثر من بضع دقائق أخذنى عامر فى عربته وذهبنا بمفردنا إلى الشاليه الذى لم يكن قد زاره من قبل وقد ترك أمر الإشراف عليه وتفقده من حين لآخر إلى سكرتيره العسكرى المقدم على شفيق وعبد المنعم ابو زيد المشرف على صيانة الاستراحات وعندما دخلت العربة إلى بداية الطريق المؤدى إلى الاستراحة رأينا شيخا بدويا يمسك بيده عصا غليظة طويلة -شومة - وقد أقبل علينا رافعا عصاه زاعقا فينا " ارجع يا أفندى هنا ممنوع " ... ويبدو أن المشير قد أعجبه الموقف ولأننا جئنا هنا طلبا للراحة والمتعة فقد وجد فى هذه البداية الظريفة ما يدعوه للتفكه فقال للرجل :- احنا جايين عايزين نقعد هنا شوية أنا والست، وأخرج من جيبه عشرة جنيهات قدمها للرجل قائلا نريد ان نجلس ولو نصف ساعة " ... ولكن البدوى أبعد يد المشير بعيدا وأخرج مسدسا من تحت ملابسه ثم تراجع إلى الوراء مهددا : امشوا من هنا حالا والا حا افرغ فيكم الرصاص .. وأدركنا فى هذه اللحظة على شفيق الذى أقبل علينا ضاحكا ولما رآه البدوى قال مرحبا باهتمام اهلا يا بيه فقال له على شفيق دول ضيوفنا، حينئذ بدأالهدوء على البدوى وأخذ يرحب بنا -أنا والمشير - ويدعونا للدخول ومنذذلك اليوم اصبح هذا الشيخ البدوى من المقربين إلى قلب المشير ، وأصبح أحد رجلين ظل يرعاهما ويرعى أسرتيهما طوال حياته، وكان الأول هو الجندى الذى تصدى للضباط الأحرار ليلة الثورة وصمم على منعهم من الدخول إلى مقر القيادة فأضطر إلى اطلاق الرصاص عليه . كانت هى الطلقة الوحيدة فى الثورة البيضاء .. المهم دخلنا ووضعنا متاعنا وتأهبنا للنزول إلى الماء فقد كان للشاليه شاطئ خاص ولم ير عامر بأسا من أن ألبس المايوه واجلس على البلاج .. أذكر هذا اليوم كحلم فقد كان ومضة نور فى حياتى المكفهرة المليئة بالضباب والأسرار والصراعات .. يوم سعيد لهونا فيه على الشاطئ كأننا طفلان لا تقلقهما أمور الدنيا فى شئ. إن أكثر لحظات المرأة هى اللحظة التى تستأثر فيها بالرجل الذى تحبه وقد استأثرت به فى هذا اليوم النادر من حياتى سبحنا معا فى الماء وجرينا على الشاطئ بل تناولته هو شخصيا بالرعاية فقصصت له شعره وسويت له شاربه ومكثنا على هذه الحال حتى غابت الشمس .. وبعد أن ارتدينا ثيابنا ، عاد بى المشير إلى الاستراحة وقضينا هناك الليل وفى الصباح رأيت على شفيق ومتولى يحملان المدافع الرشاشة ، بل إن المشير أقبل علىّ وبيده مدفع رشاش وأعطاه لى وهو يسألنى : تعرفى تضربى نار .. ولما أجبته بالنفى قال :- تعالى أعلمك .. وبدأ يعلمنى كيف استعمل المدفع الرشاش وكيف أصوب على الأهداف، وبدأنا نتدرب وكان يشاركنا فى التدريب كل من على شفيق ومتولى، ثم عقد المشير مباراة فى التنشين بينى وبينهم والمدهش أنى أحرزت النصر عليهم "حظ المبتدئين" مما دعا عبد الحكيم عامر إلى الضحك طويلا ثم قدم لى جائزة الفوز خمسة جنيهات أخذها من على شفيق عقابا له على عدم اهتمامه بالتمرين الدائم .. انتهت المباراة وجلسنا نشرب الشاى وفى تلك الأثناء قال لى عامر:- ستذهبين مع متولى الى كنج مريوط، أما أنا سأنتظر لأن بعض الزائرين سيأتون وبعد ذلك سألحق بك فى الكنجى .

عبد الناصر بى ضيابتنا

صحبنى "على شفيق" سكرتير المشير، وهو من الضباط الأحرار إلى الكنجى ومكثت هناك بمفردى اليوم بطوله، وفى المساء سمعت صوت كلاكسات فأسرعت فرحة إلى الحديقة للقاء المشير وفيما أنا أقبل مندفعة صوب العربة، رأيت الباب يفتح وإذا بجمال عبد الناصر أمامى !! توقفت على الفور فهذه أول مرة أراه فيها وتطلعت إليه وقد شملنى الوجوم، وامتلأت نفسى هيبة منه، ونظرت إلى المشير فرأيت فى عينه نظرة عطف وتشجيع مما ساعدنى على تمالك أعصابى، فبدأت الترحيب به "أهلا وسهلا، إننى سعيدة بأن تزورنا وأن أراك بيننا" ..

ولم يزد جمال عن كلمة واحدة إزيك، ومضى رأسيا يتجول فى الحديقة ووجدت نفسى أسير خلفه وكأننى أنا الضيف وهو صاحب البيت .. وفى حديقة الفيلا، كان جمال وعامر يتمشيان هنا وهناك ويثرثران، أما أنا فقد انهمكت فى إعداد المائدة والكراسى والأطباق وكل شئ، وأثناء انهماكى فى ذلك كان يصل إلىَّ أحيانا صوت ضحكتهما، وبعد أن تم كل شئ ودعوتهما للجلوس، فوجئت بعبد الناصر يعترض على الجلوس فى الحديقة قائلا : نقعد جوه أحسن . قال ذلك وسار رأسا إلى الداخل ونحن وراءه وفى بهو الفيلا مشى جمال وهو يفحص محتوياتها .. وينظر حوله متفرجا على هذه اللوحة أو ذلك الكرسى ثم تخير لنفسه مقعدا وجلس .. وعدت أنا إلى إعداد المائدة من جديد ونقلها من الخارج إلى الداخل بعد نقلها من الداخل للخارج .. وكان جمال عبد الناصر يتفرج علىَّ فى ذهابى وإيابى وكأنه يستمتع بما أنا فيه من إجهاد وحيرة .. وقد انضم إلى الرئيس جمال فى تلك الزيارة كل من أنور السادات وعصام خليل وقد لاحظت أن من طبيعة هؤلاء الرجال التحفظ الشديد فى وجود النساء، وخاصة إذا كانت المرأة زوجة واحد منهم، ورغم ذلك فقد أحسست طوال الوقت أننى تحت عينى جمال عبد الناصر ... كانت له عينان متغلغلتان تسبران غور من يقف أمامه .. وبعد أن اجتمع شمل الأربعة جمال وعامر والسادات وعصام خليل على المائدة للعب البوكر - والتى كان قد

جهزها على شفيق- وقف جمال إلى ان انضم الآخرون ثم جلس وجلسوا معه وكأنهم فى أحد الاجتماعات الرسمية .. لم يكن البوكر بقصد المقامرة بل يلعبون فقط للتسلية وبدل النقود كان يعطى للجميع اقدارا متساوية من الفيشات ليلعبوا بها .. وبعد أن اتخذوا أماكنهم ظللت أنا حائرة لا أدرى ماذا أفعل أو أين أجلس وشملنى الارتباك، فجلست على كرسى يبعد قليلا خلف المشير وأثناء اللعب أخذت اقترب منه قليلا قليلا حتى أصبحت بجواره مباشرة .. وبين حين وآخر كان عبد الناصر يلتفت ناحيتى ويشملنى بعينيه دون أن يتكلم كنت أشعر أننى وحيدة فى هذه المجموعة التى يعتبرونها غريبة عنهم وقد رسخ عندى هذا الظن بطريقة لا أعرف كيف تسربت إلى نفسى .. وأثناء اللعب كانوا يثرثرون ويعلقون ككل الناس فى تلك اللحظة والغريب أن جمال عبد الناصر كان ثرثارا كثير الكلام فى مثل هذه الجلسات .. ولكن ما لفت نظرى أثناء لعب البوكر هو الطريقة التى يلعب بها كل من جمال وعامر وقد كانت من الوضوح بحيث إنها أصبحت مثار تعليقات وتلميحات ذكية تصدر منهم .. مثال ذلك أنى لاحظت أن المشير -وقد كنت أنظر إلى ورقه- يهرب من عصام قائلا (باس) ويتركه يفوز رغم أن الورق الذى بيدعامر كان قويا ويستطيع به أن يكسب عصام خليل الولكن هروب عامر لم يرحم عصام من هجوم جمال عبد الناصر وانور السادات فظل يخسر ويخسر حتى أصبح عدد الفيشات التى أمامه قليلا جدا، فإذا بالمشير يزيح ناحيته كبشة من الفيشات التى أمامه وعندما بدرت منى دهشة لما فعل قال عصام ضاحكا : أصل المشير شايف ان الفيش قرب يخلص وهو ما يضربش ضعيف .. وقد حدث أثناء اللعب ان توالت جولتان كان التصعيد فيهما بين ناصر وعامر فقط، وكنت أرى عامر يهرب رغم بيده ورق معقول إلى ان جاء دور بدا فيه التصعيد بين جمال وعامر، ورأيت الورق الذى بيد عامر ضعيفا للغاية ولكن لدهشتى الشديدة وجدته يصمد أمام جمال فكلما صعد جمال المبلغ زاد عليه عامر حتى جاءت لحظة كشف الورق لتحديد الرابح فإذا بعامر يربح !! كان ورق عامر ضعيفا ولدهشتى رأيت أن ورق جمال أضعف وأنه كان بيبلف، حتى إن الأخير توقف عن اللعب وراح يسأل عامر لماذا دخلت معى هذه المرة .. بينما هربت منى فى المرتين السابقتين أريد أن أعرف؟ ... ولكن عامر لم يعطه إجابة شافية أبدا رغم إلحاح ناصر لمعرفة السر الذى دعا عامر لقبول الرهان هذه المرة، ومات عامر وبعده ناصر دون أن يعرف السر.. وقد أفضى لى عامر بهذا السر بعد ذلك حينا جاءت ذكرى هذه اللحظة فى الحديث : أصل جزء من خد الريس الشمال بيصفر لما يكون بيكدب أو بيبلف فأعرف ذلك وأدخل له ، ... قلت له:: انتما متفاهمان ومع ذلك فإن ما يحيرنى أنكما مختلفان تماما فكيف اتفق النقيضان بهذه الصورة .؟! ... قال عامر : ماحدش فاهم الريس .. الريس ده ثروة لمصر ولينا .. لكن مايحبش حد يعارضه ولا تكون له إرادة .. إنه يريدنى قويا وطرطورا .. وهذا مستحيل، وهو يعرف أنى لن أكون طرطورا. وكلما وقع الخلاف أتركه يندم فهو يعرف أنى لا أعمل ضده بل الحقيقة أنى مسئول عن سلامته وأنا الذى كونت حرسه الخاص .. ومازلت مسئولا عن أمن الرئيس فى البلد .. ... قلت : ألاحظ رغم كثرة خلافاتك معه انك تحبه ... قال : إننى أحبه وأخاف عليه .. ولا أطيق أن أراه متألما لقد كان مريضا ودخل المستشفى - فى بداية الثورة - فلم استطع مفارقته وظللت قريبا منه ولم تطاوعنى

نفسى على تركه - عندما بلغنى خبر وفاة أمى فى حادث سيارة إلا بعد أن رتبت نظام الحراسة بصورة تجعلنى مطمئنا، وعندها فقط عدت إلى المعسكر لأرى السائق -..؟

كان أحد المجندين- وتعرفين ان بيتى كان يقع داخل معسكر الحلمية - وكانت أمى فى عربة ومعها اثنتان من بناتى .. وعندما رأت العربة قادمة عليهن احتضنت بناتى وعرضت نفسها للصدمة فأنقذت حياتهما كانت امرأة عظيمة "يرحمها الله " .. سألته : وماذا فعلت مع العسكرى المجند؟ قال: كان المسكين منهولا تماما عندما وصلت إلى هناك فقد كان كل من حوله يتوعدونه بالويل والأهوال ، لأنه قتل أم القائد العام وكنت قد عينت فى هذه السنة قائدا عاما كما تمنت لى دائما ولذا عندما رأيته على هذه الحال طمأنته وأعطيته إجازة لتستريح أعصابه من الصدمة وقلت هذا قضاء الله وحمدت الله على نجاة بناتى .

المعارضة

كان عبد الحكيم بمثابة الصديق المعارض لجمال عبد الناصر، وكان مجلس قيادة الثورة يضم معارضين فى البداية فكان عبد الحكيم عامر يجد فيهم سندا وعونا عند اتخاذ القرارات .. ولكن عدد المعارضين ظل يتناقص على الدوام مما سبب ضيقا شديدا لعبد الحكيم.

وحدث ذات يوم- وكنا فى أواخر عام ١٩٦٥- أن جاء المشير والحزن باد على وجهه وجلس متجهما صامتا لا يقول شيئا سألته .. إن كان يريد أن يأكل .. فرفض وكان يرفض الطعام "كعادته" عندما يغضب أو يحزن ولا يتناول فى تلك الساعات سوى الشاى والقهوة مع إشعال السجائر الواحدة تلو الأخرى .. لم أجد بدا من سؤاله عما به . فقال : لاشئ . قلت : ولكنى أرى وجهك حزينا. قال بلا مواربة : بالضبط هذا هو ما أشعر به، سألته لماذا ؟ .. قال والضيق ظاهر فى صوته : تصورى .. واحد من أشرف الرجال يريد أن يتركنا فماذا أفعل ؟ .. بهذه الصورة سأجد نفسى وحيدا بين مجموعة كلها من طراز موافقون فإذا بقيت أنا وحدى الذى يجادل ويعارض فسوف يكون شكلى مش ظريف .. سألته من هذا الرجل ..؟ قال : كمال الدين حسين .. كلنا نعرف انه راجل دوغرى راجل تقى وطنى ليس له أطماع أو مكاسب، صريح وجرئ، وكنت أشعر أنه سند لى فى المجلس .. وكان سبب غضب كمال الدين حسين ، الاعتراض على نظام الحكم وأن مجلس الرئاسة الذى شكله عبد الناصر ليكون أعلى سلطة وعليه دراسة المشاكل وإعطاء القرارات ، لم يعد يؤدى دوره ، بعد أن انفرد جمال عبد الناصر بالسلطة وباتخاذ القرارات وإصراره على تجاهل الأعضاء وعدم تمرير أى مشكلة خاصة بالبلد عليهم، وقد أرسل كمال الدين حسين خطابا إلى عبد الناصر أثناء اعتقالات الإخوان المسلمين ، والمحاكمات الخاصة بهم .

خطاب كمال الدين حسين إلى جمال عبد الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى السيد الرئيس / جمال عبد الناصر.. رئيس الجمهورية

من كمال الدين حسين ..﴿ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد﴾

لاخير فىّ إذا لم أقل لك .. اتق الله .. ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا)

لاخير فىّ إذا لم أقلها لك .. اتق الله .. ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره رشدا﴾

اتق الله : قالها سبحانه وتعالى لنبيه الكريم ﴿يا أيها النبى أتق الله ولا تطع الكاذبين والمنافقين ﴾

اتق الله : ولا تكن ممن قال فيهم سبحانه وتعالى ﴿وإذا قيل له أتق الله اخذته العزه بالإثم فحسبه جهنم ﴾

اتق الله: أمر بها الله الرسول والمؤمنين .. وأمر بها الرسول أصحابه والمؤمنين .. قالها الخلفاء والأئمة لولاتهم وللمسلمين .. وقالها للخلفاء والأئمة والولاه ولبعضهم بعضا .. قالتها تلك الأمة التى أعزها الله بقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ صدق الله العظيم

وسلام على من اتبع الهدى

كمال الدين حسين ١٢/١٠/١٩٦٥

وأعطى كمال الدين حسين هذا الخطاب إلى المشير ليعطيه إلى جمال عبد الناصر وقد ثار عبد الناصر عندما قرأ الخطاب ، وحاول المشير تهدئته قائلا : من حقه علينا ان يتكلم ونسمعه. فهو عنصر نقى ومن الخطأ أن نخسره ولكن عبد الناصر كان ثائرا فاقداً لأعصابه يصرخ قائلا : اتق الله يعنى ايه .. اضرب نفسى بالطبنجة ..؟ دين ايه اللى عايزه وشريعة ايه ..؟ وأصدر جمال أمرا باعتقال كمال الدين حسين، وتحديد ألإمته ووضع حراسة مسلحة عليه . ولم يجد كمال الدين حسين بدا من إرسال خطاب إلى عبد الحكيم عامر بعد تحديد إقامته

.أرسل إليه يقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عبد الحكيم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة صريحة وأخيرة لن تنزعج بعدها يا عبد الحكيم لم أجد بدا من أن أقولها لك بعد كل ما حدث وإن كنت قد ترددت كثيرا فى الكتابة لك .. فإنى حين نويت لم اتردد فى أن أكون صريحا .. اليوم أصبحت يا عبد الكريم أعتقد أنه لا حياة لى فى بلدى الذى أصبحت أرى فيه جزاء كلمة " اتق الله " هو ما أنا فيه وما أهلى فيه .. عندما قلت لكم : اتقوا الله... قصدت أن تتقوا الله فى هذا الشعب الذى قمنا لخلاصه واسترداد حريته، قلت لكم اتقوا الله بعد ان الجمتم جميع الأفواه ، إلا أفواه المنافقين والمتلفين والطالبين والزامرين، قلت لكم اتقوا الله لأنكم استنعجتم هذا الشعب وأنا لم أكن أرضى ذلك .. ولذلك أصبحت الآن لا أطيق الحياة فى الجو الخانق .. وأرجو أن تتيسر لك معرفة درجة الاختناق فى هذا الجو .. وإذا لم يتيسر لك ذلك فالمصيبة تكون أعظم ، فإذا كانت قد بقيت لديكم بقية من أخوة كانت بيننا يوما من الأيام فإنى لا أطلب سوى ان أخرج أنا ومن يريد من أسرتى التى نالها أيضا نصيب وافر من اجراءاتكم إلى السعودية ، لأبقى بجوار رسول الله أقضى ما بقى من حياتى مستخلصا روحى لنفسى ودينى لله .. فاليوم يمكننى ان أرى صورة المستقبل لهذا الوطن بعد أن كان جزائى ، على كلمة الحق " اتق الله " ما أنا فيه .. وأنت تعلم يا عبد الحكيم انكم لم تتقيدوا بشرع تجاههم .. وهم إذا لم يكونوا قد فهموا معنى القانون رقم ١١٩لسنة ١٩٦٤ فإنهم سيعرفون معناه جيدا الآن . أنا آسف ان تتحول ثورة إرهاب لا يعلم فيها كل انسان مصيره .. لو قال كلمة حرة يرضى بها ضميره ووطنه .. فإذا قيل لى أو للناس أن هناك مفهوما آخر للحرية ، فهذا هو التضليل وحكم الهوى الذى يضل به الشيطان أولياءه لينسوا قانون الله وشرع الله وشرع الإسلام .. الذى جاء ليخلص الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .. حرية يتساوى فيها أبناء آدم وحواء أمام الله .. أمام الشرع أمام الحكم الإلهى الذى لا يقبل التأويل واللف والدوران .يا عبد الحكيم .. مهما كانت التفاسير والشعارات فالحرية هى الحرية التى عبر عنها عمر بن الخطاب حين قال (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)، وحين قيل له "اتق الله" قال (لا خير فيهم إذا لم يقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها). وأنت يا عبد الحكيم انى لن استعطف أحداً ولن أخاف إلا الله، وأنا حين أكتب اليك الآن فإنى لا أطلب شيئا غير الرحيل عن هذه الارض التى يئست ان تقال فيها كلمة الحق فضلا عن ان يقام فيها ميزان عدل وإن أبيتم علىّ ذلك فإن ولِيِّىَ هو الله اتكل عليه وأنيب " وإنا لله وإنا اليه راجعون ". يا عبد الحكيم إن اجراءاتكم هذه التى أصابتنى ان كنت قد تحملتها فى صبرفإن الصدع الذى أصاب مشاعرى تجاه من أمر بها صدع يصعب رتقه .. وبقائى هنا مشقةلى ولكم وانت تعلم يا عبد الحكيم حينما جئتنى فى مارس عام ١٩٦٥ وقلت لك أننى مستعد للاعتقال أو القتل أو أى شئ آخر .. قلت من نفسك (اعتقال ايه ياشيخ والله انا اللي ييجى يعتقلنى أضربه بالرصاص) أنا فكرت فى هذا ولكنى لم أستسغه لأن هذا يتنافى مع إيمانى وجاء

يحدثنى هلال كرجل وعلى لسان الرجل ومع ذلك كانت النتيجة أن فتش منزلى وحجرة نومى وعائلتى وحتى ملابس ومتعلقات السيدات واعتقل أهلى وضيوفى الذين تصادف وجودهم فى منزلى حينئذ وأنا لا أعرف مصيرهم حتى الآن كما لايعلم أحد من افراد الشعب سبب يكتفى بأن يخطر اهله بأنه قد هرب او انه اندفن فى مكان كذا وتحت رقم كذا حجرة رقم كذا .كان انسانا حيا فأصبح رقما مدفونا .. يا عبد الحكيم ان ما قمتم به نحوى جريمة تماما مثل الجرائم الكثيرة التى ارتكبت تجاه المواطنين طبعا مع تغير الشكل .. وكانت الرجولة يا عبد الحكيم تقضى أن يواجهنى واحد منكم لأعلم منه ماذا جرى لماذا انطبقت السماء على الارض من كلمة حق " أن اتقوا الله "، ولكن للأسف خانتكم شجاعتكم فأبيتم هذه المواجهة واستخدمتم سلاحا لا يقنع عقلا حرا ولا يكبل ضميرا حيا ولا يئد إيمانا وتقوى، ولكن يورث النفس مرارة وأسفا إذ لم يواجهنى أحد منكم فلماذا لاأواجه بمحكمة عادلة شرعية على الأقل لأعرف ما هى التهمة الموجهة لى مادام قد أصبح أمرا طبيعيا فى زمن الحرية أن يعتقل الناس وتصادر حرياتهم دون أن تواجه لهم تهمة . أنا اتحدى اى اتهام وأتحدى أن يواجهنى أحد بأى تهم تبرر ما حدث، طبعا إنى اخرج من حسابى عمليات التلفيق لانى مازلت انكر عليكم اللجوء مع مثلى ، لمثل ذلك . ... ياعبد الحكيم ألم أقل لك فى مارس الماضى : ماهى ضمانات الحرية ؟ فقلت نحن ضمانات الحرية، وقلت لك انى لا أثق فى ذلك وهذه الأيام تأتينى بالبرهان بأن للحرية ضمانات وانتم الضمانات ؟! كل شئ جايز الم اقل لك يومئذ انه إذا لم يتنازل عن تألهه وفرديته فلا فائدة للعمل معه فهل يا ترى هذا الذى لمواجهة كلمة اتق الله هو دليل هذا التنازل ؟ كلمة صريحة اقولها يا عبد الحكيم : انى ارثى لهذه الحال ومع ذلك اتمنى ان يهديكم الله .. لا تغضب انت الآخر ياعبد الحكيم .. راجع نفسك ولا يغلبك الهوى والغرض راجع ضميرك قبل ثورة ٢٣ يوليو وعلى مدى سنين من هذه الثورة ثم نظر اين ينتهى بكم الطريق طريق الحرية اقدس ما منح الله للإنسان . يجب ان تعلم يا عبد الحكيم رأى الناس فيكم وما يحسونه نحوكم لقد اصبحتم للأسف جلادين نتيجة تدعو للرثاء وحصاد مر الثورة ٢٣ التحريرية الكبرى تتجرعة الملايين المستذلة بعد ما وضعت فى الثورة وقيادتها آمالها واعطتها الكثير واستأمنتها على الكثير على الحرية ولكن أين الأمانة الآن ؟ ! والله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل لقد بددت الأمانة ووئدت الحرية ونعيش هذه الأيام وكأنه ليل لا يبدو له فجر ..

يا عبد الحكيم لاتتصور أنى مبتهج لما جرى ولكنى حقيقة اشعر بالأسى وأقول: " يا حسرة على الرجال .. ياخسارة على الثورة " وأشعر بالذنب واحس بتأنيب الضمير لأنى مكنت الطغيان من ان يسلب هذا الشعب حريته وكرامته وإنسانيته، ومهما كانت الشعارات الزائفة التى تتردد والادعاءات التى تقال فالناس جميعا يعرفون الحقيقة

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كمال الدين حسين ١٩٦٥/١٠/٢٥

وجاءنى المشير عامر حائرا يقول لى اقرئى هذا الخطاب .. وبعد أن قرأته قال لى : ماذا افعل ؟ ... لقد زرته مرارا وجلست معه ساعات طوال لأثنيه عن رأيه ولكنى وجدته متعصبا لوجهة نظره لايريد ان يسمعنى .. وكنت مع جمال أمس وأعطيته الخطاب ليقرأه وقال لى عامر إنه وجد جمال يثور بشدة ... قائلا لعامر : ماذا يريد كمال ..؟ ثم صاح ناصر بشدة أكثر قائلا : هل يريد منا أن نترك الاخوان المسلمين يقتلون ويعملوها مذبحة فى الشوارع .. وقال له عامر : كمال انسان نقى.

خطاب عبد الحكيم عامر

إلى كمال الدين حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزى كمال ..

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد تعودت ألا تزعجنى الصراحة .. لأن الصراحة هى الطريق إلى الفهم الصحيح ودعنى أيضا اصارحك القول ، وقد تعودت أن أقول ما أعتقد ولا أخشى فى ذلك الا الله وضميرى .. ان طبيعة الرسالة التى تلقيتها منك كانت بمثابة صدمة عنيفة ، فقد نسفت فى نظرى جميع القيم والروابط التى تجمعنا ، ورأيى أنه لم يكن هناك ما يبررها على الإطلاق، فهى مرسلة وسأعبر عن ذلك مخلصا، وصادقا .. " من كمال رسول الله إلى عبد الحكيم كسرى أنو شروان " .. فنحن نؤمن بالله واليوم الآخر وكنت أنتظر أن تكون رسالتك فى مثل هذا الوقت .. وهذه المؤامرات الإجرامية التى تدبر والتى كان الغرض منها التحطيم والقضاء على النفوس بريئة والرجوع بها الى الخلف سنين طويلة .. كنت أنتظر على الأقل ان تستنكر ذلك وما عهدت فيك عدم الوفاء وما عهدت منك ان ترى الأمور بهذه الطريقة الغريبة التى لا أعلم ، ولا يعلم الله كيف وصل بك الأمر إلى ذلك ،.. ارجع إلى نفسك يا كمال ، وتأمل كل شئ بهدوء وبنفس خالية من الغضب والنزاعات .. فكر فى الأمور بعيدا عن المؤثرات وبعيدا عن كلام المغرضين وهمساتهم ، وافتراءاتهم .. الذين لهم هوى والذين لا يبغون الا مصلحة ذاتية من ورائك .. وقد وجدوا فى شخصك الأمل الذى يحقق لهم أهدافهم ، فهم يدعون الكلام باسم الحق ، وهم لا يريدون سوى الباطل . ان المؤامرة الأخيرة التى دبرها الإخوان المسلمون المتعصبون ، مؤامرة لا يمكن وصفها بأنها جريمة ضد شعب باكمله .. بل جرائم قتل باسم الإسلام .. ودماء تسيل وخراب يعم باسم الإسلام .. هل هذه الحرية التى يطالب بها هؤلاء الذين يريدون فرض أنفسهم على الناس بالقتل والخراب .. والله هذا لا يقره دين ولا يقره أى شخص عنده إنسانية ، اننى تابعت التحقيق خطوة خطوة ، والمؤامرة فيها أكثر مما نشر حتى

الآن، أيريد سيد قطب الذى كنت توزع كتبه أن يصنع من نفسه نبيا ينزل عليه الوحى .. يأمره بقتل الناس ويدمر البشر ؟؟ .. أهو ظل الله على الأرض ينهى حياة من يشاء من العباد، لا أعلم كيف لم يحدث هذا العمل فى نفسك الألم كل الألم .وكيف اكتفيت بإرسال خطابك لى بالمعنى الذى سبق أن ذكرته لك .. هل فكرت ماذا كان سيترتب على نسف محطات الكهرباء فقط ؟ .. توقف المستشفيات ، وفاة المرضى رجالا ونساء وأطفالا ، القاهرة بلا ضوء .. بلا مصانع يعمل فيها آلاف العمال .. أصبحوا عاطلين .. الناس لا تجد قوت يومهم .. بل لا يجدون حتى الماء ليشربوه ، مجارى تطفح فى الشوارع والمنازل .. أوبئة تفتك بأرواح لن تعوض طبعا !! باسم ماذا يحدث هذا ..؟ بأمر من يحدث هذا ..؟ حكم من هذا ..؟.. حكم من جعلوا انفسهم خلفاء الله فى الأرض . إنه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه بل أيضا لمعايشه

انفسهم خلفاء الله فى الأرض . إنه اغتيال لشعب ولحريته ولحياته ولتقدمه بل أيضا لمعاشة

اليومى .. وماذا يكون شعورك وأولادك فى منطقة تتفجر بمواد النسف .؟ ماذا يكون شعور كل أب كل أم، كل أخ ؟ فكر قليلا يا كمال دون تحيز دون غضب لأن هذا هو حكم الطغيان بكل معانيه .. حكم الغابة بكل صوره .. هذا هو الإرهاب بكل قوتك وان تؤيده فى خطابك الأول الذى يدل معناه على ذلك .. أمعنى ذلك أنك توافق على قتلنا وهذا فى رأيى أبسط الأمور فلكل أجل كتاب ، ولكن كيف يطاوعك ضميرك ، وكيف تقنع نفسك بالموافقة على اغتيال شعب ..؟ تعرضت فى كلامك عن الثقة فينا .. وأنا بدورى أقول إنك لم تخطئ بثقتك فينا ، وكل ما أريده منك وأرجوه ان تفكر بعيدا عن كل مؤثر أو مظهر ، ولا تجعل أى تصرف شخصى ، أو تصرف بسيط يؤثر على جدية هذه الموضوعات، إننا وأنا من جانبى سنعمل على المحافظة على مصالح شعبنا وسنحافظ عليه ضد محاولات من هذا الطابع ، بكل وسيلة ممكنة ، وكما ذكرت حقا فى خطابك الأخير الناس يعرفون الحقيقة ، ولكن ليست الحقيقة التى تتصورها أنت .. والتى طبعا يصورها لك بعض الناس الذين تعتبرهم ثقة ، وإن كلامهم لا يقبل المناقشة . وتقول إنك تريد أن تخرج إلى السعودية ؟ هل هى بلد الحريات ؟ هل هى بلد الإسلام ؟ .. ما هذا يا كمال .. عجيب والله هذا التفكير. إن النبى كان بشرا .. ومات كما يموت البشر .. وإن جلوسك بجانب قبرة لن يعطيك شيئا ، لا تخدع نفسك يا كمال .. جرد نفسك ياكمال من كل الاعتبارات ملياً وسترى الأمور بغير هذه العين ، خصوصا بالنسبة للحقائق التى سردتها لك ولا تقبل جدلا ... ثم بعد ذلك تكلمنى عن القانون ويزعجك ان يصدر مثله !! وهذا ليس موضوعا جوهريا ، ومهما اخطات الثورة يا كمال فإنها تصحح اخطاءها .. ولكنها ما كانت قاسية وما كانت منتقمة ، وأنت تعلم ذلك ، وشاركتنا أفكارنا وفى جميع الأحداث التى مرت بشعبنا منذ ٢٣ يوليو١٩٥٢ وتعلم جيدا كيف نفكر وكيف نتصرف . ان الذى يقضى على الحرية ويقتلها هو التعصب مهما كان شكله ومهما كانت الشعارات التى يختفى فيها ان كان تحت الإسلام أو تحت اصلاح أو غيرة، إن بلادنا يتآمر عليها الاستعمار و الرجعية الا يكفى ذلك حتى تخرج هذه الفئه لتضع البلاد تحت رحمته وتجعلنا فى قبضته مرة اخرى ربما إلى سنين طويله لا يعلم الا الله عددها . هل هذا هو مفهوم الحرية . ؟ وهل هذه هى الحرية التى أعلنها الإسلام، أنا أقول كلا وألف كلا، هذا هو الكفر بعينه بل هدم للقيم البشرية والانسانية

بأكملها .. هل توافق يا كمال أن يحكم هذا الشعب مثل هذه الحيوانات الكاسرة التى نزعت من قلوبها الرحمة ، تعصب أعمى لا يرى إلا فى القتل والتهديد وسيلة لكل شئ .. وبأمر من ؟ ظل الله على الأرض سيد قطب، وهل هذا هو حكم الله؟ .. إن الله برئ من القتلة والسفاكين .. أنت عاتب إذن ؟ .. إن عتابى عليك أكثر وأعظم !! أليس من حقى وأنا بشر ولست نبيا ولا أدعى أنى أوتيت من الحكمة كلها أو بعضها .. أليس من حقى أن أصاب بصدمة حين أجد أن هذا هو أسلوب تفكيرك الجديد وهذا ما يقره ضميرك وهذا ما تراه حقا .. إننى يا كمال كما تعرف لاأخاف أحدا ولا أخشى شيئا الا الله وضميرى، ولولا سفرى الى فرنسا لجابهتك بهذه الحقائق مع ضعف أملى أنك ستستمع لما أقوله ، وتقتنع بالحقائق الملموسة إننا لم نمنع الناس عنك إلا خوفا عليك .. قد نختلف فى الرأى لكن أرجو أن تصغى إلى نفسك وتفكر فى الأراء وتطرح المسائل الصغيرة جانبا ، وطبعا أنت حر فى أن تأخذ بها أو تلقيها فى عرض البحر ولكن لى الحق فى أن أكتب إليك ناصحا بأمانة وصدق كما كتبت لى لائما وناصحا .

هل تذكر حين كنت فى الحكم وجميع السلطات فى يدك سياسية وتنفيذية وهذه حقيقة، وكنت حر التصرف وهذه حقيقة أيضا، ولم يحدث طوال هذه الفترة أن اختلفت على المبادئ التى تثور عليها بل كنت متحمسا لها وكنت أشد تطرفا. ربما تذكر قوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ والآراء التى ايدتها أنت شخصيا فى الاجتماع بالاسكندرية وكنت يا كمال متطرفا إلى حد كبير ومتحمسا للقوانين أشد التحمس وهذه حقيقة أيضا .. ماذا تغير إذا بعد كل ذلك حتى تتحول هذا التحول المفاجئ المتطرف أيضا وفجأه كل شئ خطأ وتصبح الحريات مغتالة على حد تعبيرك الذى لم أهضمه مطلقا .. فجأه حدث كل ذلك ما الذى غير أفكارك بهذه السرعة الكبيرة ؟ ما الذى أفقدك توازنك بهذه الدرجة ، حتى تنقلب أفكارك فجأه ؟... لقد تناقشت أكثر من مرة فى أفكارك وتطارحت الحجج والبراهين وصدقنى والله ما وجدت فى أرائك التى أصر انها ظهرت فجأة - شيئا منطقيا ، بل وجدت لديك إصرارا غريبا وعقلك يرفض أن يناقش بل تصمم على ماأنت فيه. إن تطبيق أى نظام حكم يحتاج منا جميعا الى اعادة النظر فى خطواتنا من حين لآخر فجل من لايخطئ وأظن الا تعتبر نفسك معصوماً من الخطأ ولا أظن أن يصل بك الأمر الى هذا الحد ولكن كل الشواهد تدل على غير ذلك فأنت تريد فرض رأيك ورأيك انت فقط فى نظرك هو الصحيح .. وهذه هى الديكتاتورية فى أعنف مظاهرها يا كمال .. وهذا هو قتل الحريات وضربها ضربة قاسمة، كل منا يرى عيوب غيره وحبذا لو فكر فى عيوب نفسه. لماذا لاتحاول أن تجابه نفسك وتعرف عيوبك كما تبحث عن عيوب الأخرين ؟ وتبالغ فيها الى اقصى الحدود !! إن حاولت أو فعلت بالنسبة لنفسك يكون حكمك على الأمور أقرب الى الصواب ، ولا تختلط الأمور فى ذهنك هذا الاختلاط الفظيع، لا تجعل حالتك النفسية تؤثر على تفكيرك، ولا تجعل لكلام مَنْ حولك له قدسية .. وهم فى قرارة انفسهم يعملون طلبا للنفوذ والسطوة والشهرة وعندى على ذلك أمثلة كثيرة واقعية ، أمثلة حية غير مبنية على استنتاج أو كلام الغير .. إذا فكرت جيدا وحللت كل شئ مع نفسك بصراحة ووضوح ستجد أنى كنت خير ناصح حتى ممن تظن أنهم أقرب وأخلص الناس إليك ... وأعود مرة أخرى وأقول كيف تتصور أن تولد الحرية فى ظل الدمار والخراب ؟ وأن يكون لفئة أن يتكلموا

ويأمروا باسم الله مفوضين منه يفعلون ما شاءوا - هل هذه هى الحرية ؟ هل هذا هو طريق الديموقراطية ؟ ...

أقول بدورى يا كمال اتق الله فى نفسك .. " اتق الله فى شعب مصر " .. " اتق الله فى حياة الناس وأرزاقهم .. ولا تظلم نفسك ولا تظلم الناس معك " .. فقد حاولت جهدى أن أشرح لك الحقيقة وإن كانت مُرة، ولكنك دفعتنى الى ذلك دفعا واقول وأنا مرتاح الضمير أننى أديت الأمانة ولعلك ترى الأمور على حقيقتها بعيدا عن المؤثرات التى وقعت تحت تأثيرها فترة من الزمن وإن حدث ذلك كان نقدا عظيما مع نفسك وكان نعمة وبركة من الله على الجميع ... وقد ترددت أن أكتب خوفا من أن تكون قد سددت أذنيك لا تريد أن تسمع أحداً إلا إذا حدثك على هواك وعن ما تحب ولكنى قررت أن أرد عليك قدر جهدى ومناقشة الموضوعات التى أثرتها ليست صعبة وقد ناقشناها معك مرارا وما اقتنع أحد من الذين ليس لهم غرض بماتقول يا كمال . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

عبد الحكيم عامر

١٩٦٥/١١/٤

ملاحظة

إننى أخشى حكم التاريخ عليك أن يقول كمال حسين أنقلب على الحكم متبنياً أفكاراً جديدة ، لأنه أبتعد عن السلطة التنفيذية والسلطات التى كان يمارسها ... أكتب إليك لتعرف الجانب الآخر من الصور التى قد تكون التهمت عقلك وسط خضم المتكلمين والمتحدثين وانى أكتب لك ما أعتقد وعن صدق .. والحديث طويل ولا تتسع له هذه الصفحات القليلة ولكن لعل الله يجمع ما تفرق ويهدى ويرتق الصدع إنه على كل شئ قدير.

عبد الحكيم عامر

١٩٦٥/١١/٤

وقال لى عامر أنه من شدة تمسكه بوجود كمال الدين حسين فى الحكم أن ظل معه الخطاب يومين حتى يضيف إليه ما يعن له إضافته لإقناع كمال والاستفادة منه كعنصر نقى وجرئ ، وكان المشير يعقب بمرارة .. " ما هو مش معقول أفضل أقول رأى مناهض لجمال طوال الوقت وحدى أنا محتاج لرجل نظيف وشجاع حتى يحدث توازن فى المناقشات التى تهم البلاد، فالآخرون موافقون على طول الخط .. لأنهم يعرفون مصير من يعارضه، ولهذا كان خطاب عامر لكمال طويل حتى يضمن إيصال وجهة نظره اليه كاملة وكان أيضا حريصا على إزالة الخلاف مع ناصر ويقول عامر لأن ذلك سيجعل مهمتى صعبة ولا استطيع أن أعارض وحدى طوال الوقت.

والنجم إذا هوى

لم يكن قلب المشير ينطوى على كراهية لجمال عبد الناصر، فالخلاف الدائم بينهما، لم يبذر فى قلبه بغضا أو حقدا تجاه الرئيس .. كان ذلك ما استشعره من حديث عامر، حتى وهو فى أشد حالات الضيق، والغضب، كان يؤكد خوفه عليه وحرصه على حياته، وكانت عبارة "أنا مسئول عن حياته" من العبارات التى يرددها المشير كثيرا حتى أصبحت " لازمة " فى طريقة حديثه عن جمال.

والغريب - مما بدا لى - أن المشير قد وسع نطاق حراسته، فلم تعد الحماية من الاغتيال أو الخيانة فحسب، بل أراد أن يحميه من طالعه أيضا .. ذلك لأن جمال كان يؤمن بالتنجيم، وله عرافون يستدعيهم من مختلف بقاع الجمهورية، فمن قنا كانوا يحضرون له "سيدى أحمد القنائى" وينزلون فى لوكاندة بسيدنا الحسين .. ومن القاهرة " الشيخ عبد المقصود محمد سالم " ورئيس جمعية القرآن بالسيدة زينب، وكان عبد الناصر يتردد عليه فى مقره هناك. بل ان الاساقفة بدير المحرق بأسيوط، لم يتركهم جمال واستعان بهم فى رؤية الطالع والتنبؤ بالمستقبل .. وكان الشيخ عبد المقصود محمد سالم يعالج الرئيس "علاجا روحانيا" فقد كان جمال أحيانا يصاب بحالة من الهياج العصبى .. ومن المشايخ الذين كان جمال يتردد عليهم، الشيخ محمد منصور الأورن، وقد بطش به جمال فى أواخر أيامه لصداقته بمحمد نجيب .. وإنى أذكر هذه الأشياء الآن لما كان لها من تأثيرا على علاقة جمال بالمشير، ولما كانت تسببه من هموم وقلق للمشير عامر يفضى بها إلى أحيانا .. وقد تكون من الضرورى، أن أدون هنا نبوءة إحدى العرافات، التى قالتها لجمال وعبد الحكيم، ذات يوم قبل الثورة، وهما بعد لم يزالا شابين طموحين يمتلئ قلباهما بالآمال والأحلام .. قالت العرافة لهما :"ان نجميكما مرتبطان ببعضهما، فإذا علا أحدكما يعلو معه الآخر .. وإذا هوى أحدكما هوى معه الآخر ... وسيكون لكما صيت ينتشر فى كل مكان" .. وقد روى لى المشير هذه النبوءة وذكر أن العرافة رفضت رفضا باتا أن تأخذ منهما أجرا على ذلك !! .. كان من رأى عامر أن العرافين دجالون، ورغم ذلك فإنى أرى الآن ان هذه النبوءة سواء كانت نبوءة أم هذيانا - أراها قد صدقت تماما على حياة هذين الرجلين فقد كافحا معا، وارتفعا معا، وهويا معا، فإن عبد الناصر لم يعش بعد المشير سوى ثلاثة أعوام قضاهما فى العذاب، لابسبب الهزيمة وحدها، وإنما بسبب

المرض والآلام الشديدة التى عانى منها جمال فى أواخر أيامه ، ومن الطريف أنهما ماتا فى شهر واحد هو سبتمبر. قلت إن المشير كان يريد حماية عبد الناصر من طالعه ايضا .. فكان يحاول إقناعه بالحجة أن ما يقوله المنجمون ليس إلا كذبا ، وإن أفعالهم من قبيل الدجل والشعوذة ولكن جمال لم يكن يلقى بالا إلى كلام عامر . . وقد أراد عامر ذات مرة ، ان يقدم لجمال دليلا على دجل العرافين ، وكان مقررا أن يلتقى جمال بواحد منهم فى قصر السلطان حسين بالدقى ، فاشترط عامر ان يترك لرجاله تفتيش الدجال قبل دخول القصر، كما أمر بتفتيش القصر وتنظيفه وخصوصا الحمام ، الذى من عادة الدجال الدخول فيه ليقرأ تعاويذه ... ولما جاء الدجال أمر المشير بإدخاله إلى الصالون ، وما كاد يدخل حتى جلس على الأرض ، وشرع فى إظهار براعته ، فطلب من المشير ان يكتب اسئلة فى ورقة، فكان الدجال "يعزم" عليها ، ثم يعطيها للمشير فإذا بها الإجابة عما سأل ... قال عامر :" هذا لايكفى .. هذا من ألعاب الحواة .. وهناك كثيرون يفعلون ذلك " ... فقال الدجال :" سوف ترى الآن فأنت معمول لك عمل من أقرب الناس إليك " ... ابتسم المشير قائلا :" طيب ورينى شطارتك " ... وأنتظر المشير ساعتين ، ولكن الدجال لم يستطع أن يفعل شيئا ، فتركه ناصر وعامر إلى حجرة أخرى ليشربا القهوة .. وسرعان ما صاح الدجال :" لقد ظهر العمل " .. فقال له المشير "يعنى ظهر لما سيبتك .؟" بلاش كلام فارغ ...... رد الدجال :" ولكنهم فتشونى قبل ان أقابل سيادتك " ... نظر المشير إلى صبى جاء مع الدجال وقال :" ولكنهم نسيوا يفتشوا اللى جنبك" ... هذه خزعبلات كان لها جانبها الواقعى فى حياة عبد الناصر، فقد خلقت حوله بطانة من المغرضين الذين وجدوا فى إيمان جمال بالتنجيم وسيلة للهيمنة والتسلل الى حياته وإقامة عازل يحول بينه وبين زملائه ، وخاصة عبد الحكيم عامر الذى عانى كثيرا من خبثهم ودسهم ومكرهم وتشهيرهم وكان أكثر أثنين تأثيراً على جمال هما سامى شرف ومحمد فوزى ... وكان المشير يشكو خاصة من سامى شرف مر الشكوى ، فقد كان يمد العرافين بالمعلومات عن طباع عبد الناصر وعاداته ، وتعريفهم بما يحب جمال ويكره ، وآماله بالنسبة لمحاولاته الزعامة العربية ، فيمكنهم ذلك من إجادة الشعوذة فى حضرة جمال عبد الناصر !! كان العرافون يقولون لجمال مثلا :"إنه سوف يأتى النصر الكبير الذى لم يحققه قائد من قبل " أو سوف تقود البلاد العربية وسوف تكون من أسباب ازدياد زعامتك أو ستكون زعيما يحكم أكثر البلاد العربية .. وكان جمال يحب سماع هذه التنبوءات ويفرح لذلك .. وحدث أن سامى شرف جاء بأحد العرافين من لبنان وكلفه ذلك آلاف الجنيهات وقد سمع جمال من هذا العراف كلاما يشبه هذا الكلام الذى ذكرته ، كما هى العادة كان يتقن كثيرا من شعوذات وأفعال غريبة تقنع جمال بصحة ما يقول .. مثال ذلك انه طلب بعض المصاحف فلما جاءوا له بها ظل يعزم عليها ثم قال :" افتحوها .فستجدون فى كل مصحف شعرة " ... وقد وجدوا بالفعل فى كل مصحف شعرة بهذه الأساليب الماكرة أفلح سامى شرف وأجهزته ومعاونوه من السيطرة على جمال عبد الناصر وبذر بذور الشك والحذر من عبد الحكيم عامر الذى كان أكثر الناس إخلاصا وأكثرها حرصا على مصالح الوطن ، ولذا كان عالم التنجيم من المنغصات فى علاقة عبد الحكيم بعبد الناصر . .

التنجيم والتجسس والتآمر

أيكون حب التنجيم نابعا من الميل إلى التجسس ؟ وهل الميل إلى التجسس دافع للتآمر والغدر .؟ ربما ... فإن سامى شرف الذى كون فرقة المنجمين هو نفسه الذى كون التنظيم السرى داخل الكلية الحربية والجيش ووضع على رأسه " نسيبه " محمد فوزى وصحيح أنه تم بأمر جمال عبد الناصر - فلم يكن يجرؤ أى أحد ان يفعل شيئا إلا بموافقة جمال الشخصية - إلا أن هذا الأمر جاء بعد دس ووقيعة بين عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر.

بل إن هذا التنظيم اساسا ، كان موجها ضد عبد الحكيم عامر ، لإضعاف قوته وضربه من داخل الجيش . ويؤكد هذه النية تسميته باسم "جيش عبد الحكيم" وصاحب التسمية هو سامى شرف ونشرها من تبعه من الأجهزة التى تغطى القطر المصرى وساعده أيضا محمد فوزى وشعراوى جمعة وعبد المجيد فريد... هذه المجموعة كونت فى تاريخ الثورة ما سمى بمراكز القوى . وقد تضافرت اطماعهم مع أطماع الروس فى الهيمنة على مصر ، ومن الواضح ان أهدافهم لا بد ان تكون هدامة بحكم تكوينهم على هذا النحو . ولأن عبد الحكيم عامر كان معارضا للنفوذ السوفيتى من منطلق إيمانى؛ وكان مختلفا تماما مع عبد الناصر لما فى طبعه من ميل إلى الديمقراطية وتاريخ الثورة الحافل بالمواقف التى تبين الخلاف بين روح الديمقراطية عند عبد الحكيم وروح الديكتاتورية عند عبد الناصر ولأن هذا هو موقف عبد الحكيم ، فقد كان طبيعيا ان يصبح هو وجيشه هدفا للتآمر ، لذا عندما جاءت حرب سنة ١٩٦٧ كان الجيش الذى يحارب فى نظرهم هو جيش عبد الحكيم ، وليس جيش مصر ! والواقع انهم كانوا قد وصلوا فى تآمرهم إلى مدى بعيد ، فعبد الحكيم يكره الروس، و لايسمح بتدخلهم داخل الجيش ولا إعطاء امتيازات وتسهيلات وقواعد لهم إذن فهو لا ينبغى أن يقود وقد وضعوا العراقيل فى طريق عبد الحكيم عامر مما أدى إلى النهاية المؤسفة للجيش وقائده فى حرب ٦٧ مما سيأتى ذكره فيما بعد عند الحديث عن مصرع عامر !!!...... وكان مما قامت

به جماعة سامى شرف من أعمال ضد المشير هو تسريبها أخبار زواجه بى بل وطبعت منشورات بهذا المعنى ، بقصد إحراج المشير إذ فكر المشير فى إعلان زواجنا ، وفاتح عبدالحكيم عبدالناصر فى الأمر ، فطلب منه التأجيل وأن يتفقا على إعلان الزواج فى ظروف أفضل، كانت حجة عبد الناصر " أن السرية فى الزواج عملية أكثر أمنا ولأن الناس تنظر إلينا - يقصد الضباط الأحرار- على أننا مجرد آلات تحكم وتعمل لمصلحة البلد - وخصوصا أننا جئنا بعد الملك فاروق ... فالناس تنظر إلينا كقديسين". ... وقد أبلغنى المشير بما كان يفكر فيه وبما قاله له جمال عبد الناصر ، لما لاحظت عليه الضيق بسبب ذلك قلت له لأسرى عنه : ماذا ينقصنا .. ألسنا سعيدين ؟.. .. قال : أنا لا أحب هذه الأوضاع ، أحب ان أكون مرفوع الرأس ولا أحب ان يكون فى حياتى نقطة ضعف تؤخذ علىَّ، انت لا تعرفين قذارة لعبة السياسة ثم انى لا احب ان أعيش بشخصيتين .. ولا أحب ان أظلم أحدا وهذا من حقك فلماذا احرمك من حقوقك .؟ هو عبد الحكيم عامر فقط الذى تزوج مرة ثانية ..؟ خلاص !!أهذه هى المشكلة التى تؤرق البلد ؟!! ... قلت إننى اقدر ما تقول .. ولكن أنا اكره الرسميات ولا أطيق العيش وحركاتى مرصوده ورجال حول البيت وداخل البيت " دواعى الأمن : تانى ولا أخرج الا بحرص فما الذى ساستفيده من إعلان زوجنا ؟ قال المشير ضاحكا :" انت عيّلة " ولا أظن أحداً يكره أن يكون زواجه معلنا : إلا إذا كنت قد أصبحت فيلسوفة وأنا لاأدرى .. وبعد صمت قصير قال :" لا أحب أن أشعر أنى ظلمتك " .. فقلت له :"ما دمت سعيدة معك فلا أكون مظلومة " .. كانت رغبة عامر صادقة فى اعلان زواجنا ولكن معارضة جمال عبد الناصر منعته من ذلك ، وقد برهن على صدق رغبته بأن تغير أسلوب التحفظ الشديد الذى كان يتبعه حين يأتى لزيارتى، على كلٍّ أحسست أنه يبذل جهدا ، ويتحايل كلما أمكن لأكون معه أطول فترة ممكنةرغم مسئولياته الجسيمة وظروفة الصعبة ناهيك بكونه رب أسرة أخرى وقد فوجئت به ذات يوم -يرسل لى السائق" متولى " وكان ذلك فى شهر رمضان المبارك وطلب منى إعداد حقيبة بها بعض الملابس لى ولأختى الصغيرة التى كانت تقيم معنا ولا أدرى الى أين نحن ذاهبتان فقد تعودت ألا أسأل وكنت أظن اننا سنذهب الى الاسكندرية ..وأخذنى متولى فى العربة "نصر" ورأيته يجتاز ميدان الجيزة فى الطريق الى العباسية فسألته برغمى " الى أين ..؟ فأجاب عند بيت سيادته " ... ملأتنى الحيرة فسألته :" كيف تذهب الى منزل المشير؟" قال: " أوامر سيادته كده . لأنه سيمكث بعض الوقت بمنزله بالحلمية !! ورأى ان المشوار سيكون طويلا من الحلمية للهرم فقرر ان تقطنى بجانبه فى منزل "بقشلاقات " الجيش فى الحلمية .. لذلك أرجو وضع الإيشارب والنظارة وقت دخولنا القشلاق ... كان المنزل الذى أقمت فيه يخص أحد رجال الجيش "العقيد على شفيق " ، وقد سرتنى هذه الرحلة لأنى وجدت فيها تجديداً فى نظام حياتى، ووجدت المنزل مكونا من دور أرضى ودور أول ومساحته كبيرة ولكنه غير مفروشا بالكامل كأنها استراحه بأحد المصايف، ولما وجدت نفسى وحيدة ، أخذنا أنا وأختى نتمشى بين حجرات البيت ونظرت من شباك حجرة النوم فوجدته يطل على ممر ضيق ينتهى باستراحة عامر، ووقع بصرى على ابنه جمال ومعه أخوه الأصغر نصر كنت أعرفهم واحدا وحدا وكثيرا ما كان عامر يحدثنى عنهم .. ومن الطريف انه كان أحيانا يحدثنى

بالتليفون من حجرة نومه فى منزله .. وكان عادة ما يقطع الحديث وهو يضحك قائلا :" الجاسوس وصل " وكان يعنى بذلك أصغر أولاده صلاح الذى لا ينام إلا بعد أن يمر على والده مهما كان الوقت متأخرا .. وأمضيت بعض الوقت فى مشاهدتهم وهم يدخلون ويخرجون حتى اقترب موعد الإفطار فجاءنى متولى بصينية يحمل عليها الطعام .. أفطرت - أنا وأختى - بمفردنا فقد كان ذلك في شهر رمضان وبعد لحظة بحثت عن كتاب لأقرأ- فلم أجد حتى جريدة أو مجلة فانتابنى الضيق والملل ، وفيما أنا كذلك رأيت عامر يقف أمامى فى وسط الصالة .علل عبد الحكيم تأخره بأنه كان مع الرئيس .. وتسامرنا برهة قال لى خلالها إنه سيبقى معى حتى السحور .. ثم قال متأففا " أرأيت التمزق الذى أنا فيه .؟ .." إن أمنيتى أن أبيت هنا الليلة ولكنى لااستطيع .. قلت له :" كل شئ له ثمن والعبرة بجوهر العلاقة وليست بالشكل أو المظاهر " .. أخذ يضحك وهو يقول :" ايوه قوليلى شوية من الفلسفة العيالى بتاعتك دى " ده الريس ذهل لما عرف إنك معايا فى القشلاق وقال لى :" ده أنت جرئ قوى " وما زال يحدثنى حتى أخرجنى من حالة الضيق ثم سألنى :" هل كنت صائمه؟ كان يحضنى على الصوم والصلاة وشدد على ذلك فالتزمت بالصلاة والصوم، ومكث المشير معى الى السحور كما وعد ثم انصرف.

فى اليوم التالى حضر وفاجأنى بقوله تعالى معى ." سألته فى دهشة : معاك فين ؟"

كنت أعرف أنه من المستحيل أن نخرج معا وسط هذا القشلاق الملئ بالضباط والجنود . ولم يمهلنى فأخذنى من يدى وهبطنا السلالم . وسار بى فى الممر الضيق حتى وجدت نفسى على أعتاب بيته فى الحلمية وما كدنا ندخل حتى أجفلت فزعا فقد رأيت اسدا يقف فى مواجهة الداخل من الباب .. ضحك المشير وهو يقول لى : "لا تخافى فهو من الخارج أسد .. ولكنه من الداخل قش " وتحسس بيده رأس الأسد قائلا :" ده صلاح أبنى بيركبه " .. وأنت تخافين منه ؟ يا عيلة . وعشت فى هذا المنزل أياما "فى رمضان "لا أذكر عددها ولكنها كانت كافيه لتعيد انسجامنا، وكان جمال عبد الناصر يطلبه أحيانا على التليفون سمعت عامر يقوله ولا شجاعة ولا حاجة ؟ مش مراتى ؟ كتر خيرها إنها راضية بكدة !! ..

وريت المشير على ظهرى وهو يكمل حديثه مع ناصر :" أنا تعبت على ما روضتها على حياتى دى .. وبهذه المناسبة أقول إن عبد الناصر كان يسمينى "المتوحشة" ... ولم يكن عبد الناصر هو الوحيد الذى أطلق علىّ اسما فقد كانت لى عدة أسماء ينادينى بها احيانا أصدقاء ناصر، فمثلا عباس رضوان كان يسمينى "الخواجاية" وصلاح نصر كان يسمينى " اللمضة " وأنور السادات كان يسمينى " الليدى بيبى " أما عبد الحكيم فقد أطلق علىّ "مسز أسباجتى" .

الحذر من الروس

كان المشير لايخفى شكوكه فى النوايا الروسية ، ويسر بها إلى المقربين منه ، وربما كان إيمانه بالله ، وهذا وحده يجعله على النقيض تماما مع القادة الروس الذين يتخذون من إنكار وجود الله ركيزة أساسية فى العقيدة الماركسية !! . هذا عن الجانب الدينى أما عن الجانب السياسى فقد كان المشير يؤمن بالإنسان والديمقراطية، وكثيرا ما حث جمال عبد الناصر على الأخذ بالأساليب الديموقراطية فى إدارة شئون البلاد ، وكان هذا أيضا على النقيض من السوفييت اللذين يطبقون ديكتاتورية البروليتاريا " والحقيقة هى ديكتاتورية اثنى عشر شخصا هم المجلس الأعلى للسوفيت، ولما كان الروس قد أصبحوا أصدقاء رغما عنا ولحاجتنا إليهم ،ولما كان مؤشر البوصلة السياسية متجها الى الاتحاد السوفيتيى، ولما كانت القرارات الاشتراكية قدصدرت فإن عبد الحكيم عامر قد أصبح جسما غريبا فى هذا التكوين المؤلف من الروس وجمال عبد الناصر ومراكز القوى .

ولأن المشير كان قويا ومحبوبا من الجيش وله ركائز قوية بين الضباط الأحرار والعاملين فى الجيش، فإن نبذ هذا الجسم الغريب لم يكن ممكنا لمجرد الرغبه فيه .. وعلى ذلك امتلأ المناخ السياسى -المصرى السوفييتى - بالدسائس والمؤامرات والتشهير والكراهية وقامت مراكز القوى بأجهزتها -التى لا تحصى ولا تعد- بدورها الماكر الشرس فى الحياة المصرية، وسارت البلاد فى طريق وعر منذ ذلك الحين وناء كاهلها بوقائع ضخمة تمت فى حيز ضيق من

الزمان : بناء السد ، حرب ٥٦، الانفصال ، حرب اليمن ، حرب ٦٧ .. فإذا كانت مصر المناضلة فى تلك الحقبة - تفتك بها الصراعات من الداخل ومؤامرات الامبريالية من الخارج ، فإن عام ٦٧ وبما حفل به من مآس يصبح نتيجة طبيعية للأوضاع التى كانت سائدة فى مصر آن ذاك ... وإذا كان المشير قد كرهه الروس فإنه من الطبيعى أن يكرهه السوفيت .

إن اسوأ انواع الكراهية هى تلك التى لا ينبغى أن تظهر علانية للناس فتتحول فى الخفاء الى مواد عطنة لزجة مليئة بالجراثيم والطفيليات والسموم وعلى هذه القبيحة ان تظهر بوجه مستعار يسر الناظرين ... وكنت بحكم زواجى من عبد الحكيم عامر قد أدركت وجود هذه الكراهية التى أقدمها هنا من خلال عدة مواقف وحوارات ، بعضها دار بينى وبين المشير وبعضها بين المشير و القادة السوفييت .. فى ذات يوم دار حوار بينى وبينهم وكان من عادته عندما يسمعنى أجادله واملأ فمى بكلمات ضخمة مثل " التقدمية " و" السلام العالمى " .. " كفاح الشعوب الى آخر هذه الألفاظ التى يعرفها المثقفون كان يرد على ساخرا " أنت شيوعية " .. وفى هذا الحوار الذى نحن بصدده الآن قلت له : لماذا تكره السوفييت .؟ إن الماركسية نظرية جديدة ... قال : نعم هى نظرية جيدة .ولكنها غير واقعية .. وبدا لى هذا التعبير غريبا فلأول مرة أسمع من يصف الماركسية بأنها غير واقعية، بينما أصحابها يباهون الدنيا " بواقعيتها " ويبدو أن المشير قرأ تعجبى فقال : إن جمال النظرية ليس دليلاً على واقعيتها، ويكفى أنها عاملت البشر على أنهم نوع من الآلات المتشابهة وتجاهلت الطبائع البشرية التى هى من صميم الواقع، ويكفى أن الروس أنفسهم لم يطبقوها فى بلادهم بشكل كامل .. قلت : هم على الأقل نافعون لنا . ويبدو أن هذا لم يعجبه منى فرد باقتضاب :" هم ينفعون أنفسهم أولا " .. ولم اتراجع فواصلت مناقشتى : أكنت تفضل أن نكون أصدقاء للإمبريالية وهل تفضلها على الماركسية .. قال: ليس هناك شئ اسمة الإمبريالة .. أو الماركسية .. هناك شئ واحد اسمه "المصلحة الخاصة " إنهم جميعا .. وإن اختلفوا ..على عقيدة واحدة اسمها "المصلحة الخاصة "، والعاقل من يتجاوز هذه الأسماء ويدخل فى لب الموضوع .. كان لب الموضوع بالنسبة له هو "مصلحة مصر" ولم يقبل أن يقايضه بأى مصلحة أخرى، لذا أصبح عدوا للشرق وعدوا للغرب ، وعدوا لمراكز القوى فى مصر . كان إذن يرى مصلحة مصر فوق كل مصلحة وكان هذا سر معاناته الحقيقية وكان يتألم للوضع الذى وجدت مصر نفسها فيه وعبر عن ذلك بقوله : احنا عاملين زى الشحات اللى لابس جلباب مرقعه. حتة من روسيا وحتة من يوغوسلافيا وحتة من الهند. وكان يؤمن بقدرات الشعب المصرى إيمانا كبيراً، وقد روى لى أخى الأصغر هشام.. كنا جالسين نشاهد التليفزيون الذى كان يعرض فيلما عن إحدى

الدول الأفريقية الفقيرة جدا -ولا يذكر أخى اسمها - وأظهر الفيلم حالة الفاقة والتخلف فى هذه الدولة ، فقال معلقا: " هذه الدولة تشبه مصر !! وضحكت .. غضب منى المشير غضبا حقيقيا وقال. لاتشبّهى مصر بهذه الدولة - مصر دولة عظيمة والمصريون شعب عظيم .. نحن نستطيع ان نصنع حضارة تفوق حضارة الفراعنة ...

وأعود إلى أحاديث عبد الحكيم معى، والتى عرفت منها ذلك الجدل الدائر بين القيادة المصرية والقيادة السوفييتية، والذى رأيت فيها أن الصداقة بيننا وبينهم صداقة مشبعة بالخصومة. فالروس لم يكونوا قوما سذجا أو عاطفيين تأسرهم كلمة الصداقة، وإنما كان همهم الحقيقى هو الهيمنة الكاملة على مصر، أى أن نزعتهم كانت" استعمارية" وليست نزعة تعاونية من أجل رخاء البشرية - كما يدعون- لذا ما كانوا يعطوننا شيئا إلا وأخذوا منا مقابلا يفوق هذا الشئ ، فإذا كان المقابل المطلوب ضخما ويصعب على القيادة المصرية تقديمه، فإن الروس من ناحيتهم كانوا يمسكون أيديهم عنا ولا يعطوننا ما نريد ، حتى ولو كان ذلك لإنقاذ حياتنا "قمحا ". وقصة قطع الغيار والمعدات الحربية التى طلبتها مصر بإلحاح من روسيا ، والتى تلكأت روسيا فى تقديمها حتى وقعت حرب ١٩٦٧ ودخلها الجيش المصرى وهو يعانى نقصا شديدا فى المعدات والذخائر. هذه الواقعة خير دليل على صدق ما أقول فقد كان الروس يريدون من مصر أن توافق على قواعد وتسهيلات لهم وكان يقود المعارضه لرفض مثل هذه الطلبات المشير عبد الحكيم عامر ... وعندما زار المشير روسيا على رأس وفد عام ١٩٦٦ عومل الوفد معاملة سيئة فى البداية قالوا أن وزير الدفاع بالوفيسكى مشغول ولن يستطيع مقابلتهم ولذلك رأى المشير - حسب البروتوكول المعروف- أن يقابلهم شمس بدران وزير الحربية المصرى حين ذاك وبقية أعضاء الوفد ... وعقد الاجتماع على هذه الصورة بدون عبد الحكيم وبالوفيسكى وحين شرع واحد من الوفد المصرى فى الحديث رفض الجانب الروسى الاستماع وقال: هناك موضوع هام قبل عرض طلباتكم وهو الموافقه على تسهيلات للأسطول السوفييتى ، وإقامة قاعدة للاستطلاع داخل الأراضى المصرية ... وقد رد الفريق صدقى محمود قائلا : كيف تنسون أننا منذ بداية الثورة ونحن نرفض مبدأ القواعد الأجنبية .. وليس من المعقول ونحن نقود حركة تحرير فى المنطقة أن يطلب منا قبول هذا وعلى كل حال هذا موضوع كبير ولا نستطيع نحن ابداء الرأى فيه . وعندما عادوا الى عبد الحكيم وابلغوه بما دار قال لهم :" تصرفكم مضبوط ، وفعلتم الصواب ... ". طلب عامر التعجيل بالسفر بعد ذلك اللقاء بين الوفدين المصرى والروسى - ورفض تنفيذ البرنامج الذى أعد للزيارة ، ولكن كوسيجين رجاه أن يؤجل سفره يوما حتى لايظهر الخلاف امام العالم ولما كان البرنامج قد

الغى والمحادثات الغيت فإن الروس أخذوا المشير ومن معه فى زيارة منطقة تربى فيها الخنازير البرية للتفرج عليها وقضوا هناك وقتا وتم تصوير الرحلة سينمائيا .. والحوار الذى دار بين عبد الحكيم وخروشوف ، إبان زيارة هذا الأخير لمصر ليشارك فى احتفالات تحويل مجرى النيل كبداية لبناء السد العالى ، يلخص ايضا حقيقة الموقف .. جرى هذا الحوار فيما كان خروشوف وعبد الحكيم فى السفينة النيلية ، وقد سمعت القصة فى حوار دار بين عامر وصلاح نصر فى بيتنا بالهرم، سمعت صلاح نصر يقول : سيادتك كنت موفقا مع خروشوف واستطعت ان تأخذ الموافقة على مطالب كثيرة كنت تأخذ وكلما طلب هو ، رفضت وراوغت .. ابتسم عامر : اتدرى ماذا قال ؟ قال يا عزيزى ان أفعالك تذكرنى بالمرأة الجميلة العفيفة ، التى تريد أن تأخذ كل شئ دون أن تعطى شيئا وهذا غير معقول !! وكان خروشوف يحب عامر ولذلك كان جمال " يزق عامر على خروشوف لأنه يلبى طلبات عامر أغلب الأوقات " .. وكان خروشوف أكثر الزعماء الروس التزاما بتعهداتهم لمصر، وفى النزهة النيليه التى نحن بصددها كان قد تعهد بامدادنا بوسائل "ميكنة زراعية " . ومساعدة مصر فى أرسال المعدات للأراضى الزراعية التى ستقوم مصر باستصلاحها بعد السد العالى ، وقد عاد خروشوف الى بلاده بعد هذه الرحلة الناجحة، وقد صدم عامر وناصر عند عزل خروشوف بعد هذه الزيارة بعدة أشهر .

سحر بريوني

أخذ جمال عبد الناصر بسحر بريوني منذ أول زيارة قام بها إلى يوغوسلافيا، واستضافه تيتو له في قصره بجزيرة بريوني، ولم يكن جمال الطبيعة الزاهرة بالورد والزهور هو سر أعجاب عبد الناصر بالجزيرة، وإنما القصر المقام هناك، المنشآت التي أقامها تيتو ووسائل الرفاهية والمتعة، فعاد جمال وحلم جزيرة بريوني لا يفارق خياله ... وقال لعبد الحكيم عامر بعد عودته إنه لم يستطع النوم لشدة إعجابه بجمال حجرة النوم التي بات فيها، فقد أخذته بفخامتها، وزخارفها.

وعقب على ذلك بقوله لعبد الحكيم عامر: إن تيتو قد نجح في ترسيخ أركان حكمه ومن حقه أن يحيا حياة مرفهة تعوضه عما لقيه من متاعب في أول حياته . .... وكانت جزيرة بريوني في خيال جمال عبد الناصر عندما كان يتجول في حدائق المعمورة عام ١٩٥٧ ووقعت عيناه على الأرض الفسيحة حول القصر ورأى فيها مكانا مناسبا للتريض ومقابلة زعماء العالم، فكان أن أمر المهندس على السيد أحد مهندسي القوات المسلحة، بإقامة استراحة واختار لنفسه بقعة مساحتها سبعون فدانا لإقامة فيلا أطلق عليها الاستراحة (١) وعلى بعد حوالى كيلو متر أقيمت فيلا أخرى وأطلق عليها استراحة رقم (٢) وخص بها عبد الحكيم عامر .. ثم طلب من نفس المهندس إقامة كبائن على جزيرة الشاى بقصر المنتزه، وكان على نفس الجزيرة استراحة الملك فاروق فأخذها جمال لنفسه وتم إنشاء بيوت وفيلات صغيرة لإقامة حرسه وموظفيه .. واستولى جمال عبد الناصر على جزيرة تقع امام قصره هناك في المعمورة وحشد فيها كل وسائل الحياة الناعمة من طائرات هليوكوبتر ولنشات على أحدث طراز كما جهزت الشواطئ بمعدات الصيد .. واقتداءا بتيتو - أيضا-بنى في قصر الحكمة قصرا فاخرا، وكان للملك فاروق هناك استراحة خشبية صغيرة ولكن جمال حولها استراحة لخدمة

(بعد توضيبها) .. وفى منشية البكرى كان له بيت صغير داخل قشلاق الجيش اقام فيه منذ بداية الثورة ثم هدمه واستولى على المكان كله وحوله الى حدائق واسعة وأقام فيها دورا للسينما وحمام للسباحة وملاعب للتنس ومختلف الألعاب، وأقام لنفسه بيتاً من طابقين وبه أسانسير وفى غرفة الطعام بالبيت توجد مائدة تسير بالكهرباء وتفتح جوانبها آليا وهى تطوف على الجالسين ليختاروا منها ما يشاءون من أطايب الطعام .. وقد حدث يوما أن قال عبد الحكيم لجمال مازحا (بيقولوا عليك بقيت ديكتاتور زى تيتو) فرد عليه جمال عبد الناصر وقال : ياريتنى سعيد زى تيتو . ... كان الرئيس والمشير ومعظم زملائهما يقضون أغلب أوقاتهم فى الجزيرة التى بالمعمورة . كما كانت لهم رحلات صيد يقومون بها فى البحر الأحمر على متن السفينة "فخر البحار"، أما المرافقون فإنهم يكونون على سفينة أخرى وراءهم اسمها "انتصار" ... وفى هذه الرحلات كانوا يحيون بحرية كاملة لابسين المايوهات والبرانيط التى تحميهم من لفحة الشمس. وفى ذات يوم جلست أراقب متولى وهو يعد لوازم الرحلة البحرية فسألته : ماهى الأشياء التى تتطلبها الرحلة ؟ فأجاب ضاحكا : من الإبرة للصاروخ يا فندم ... كان ناصر لا يأمن لأحد فكان يطلب من رجال المشير إعداد مستلزمات الرحلة حرصا منه على عدم تدخل أحد من سكرتاريته فى شئونه الخاصة، أو حتى بمرافقته فى هذه الرحلات واضعا بذلك حاجزا بينه وبين موظفى مكتبه ، كما أن جمال كان يعلم مدى حسن أختيار عبد الحكيم لرجاله، وفوق ذلك كان يتحمل عامر مسئولية المحافظة على حياة الرئيس، وقد ترك ناصر هذه المهمة لعامر منذ أمد طويل لأنه لم يأمن على حياته لأحد غيره .. كان المشرفون على رحلات الصيد هذه يزودون الرحلة باللحوم على مختلف أنواعها، وكذلك البقالة المستورد منها والمحلى وبالذات الجبن الأبيض المستورد من هولندا وسويسرا وأحيانا فرنسا بأنواعها المختلفة " وليس الجبن القريش كما يقول أحد الصحفيين المعروفين "، كما يزودونها بالكافيار والأسماك المدخنة والفواجرا والتونة والأنشوجة . أما الحلويات فيؤتى بانواعها المختلفة من المحلات فوق ما يصنعه الطباخون فى الباخرة ويحضرون ايضا جميع انواع الفاكهة المحلى منها والمستورد ، التفاح والكريز اللذين كان يحبهما عبد الناصر وكان يستمتع بأن يضع الكريز *فى الشمبانيا ، أما الأناناس فكان يؤتى به من الخارج بالطائرات* ويتوج كل هذا بأنواع المشروبات العادية وغير العادية من الكازوزة والمياه المقطره الى الويسكى والكونياك والشمبانيا العادية والروزيه "البمبى" .. كل ما أذكره هنا عن المعمورة عرفته بالسماع من المشير أو متولى أو على شفيق أو ابو المعاطى .. وغيرهم فلم يحدث قط ان ذهبت إلى هذا المكان المشهور .. الباذخ الغامض .. ولا أنكر ان نفسى تاقت لزيارة المعمورة ، وان الفضول استبد بى مرارا لمعرفة كل ما

يدور هناك خاصة وانها فى نظرى مكان يأخذ منى المشير أياما كثيرة، فهل كان عبد الحكيم عامر غارقا فى الملذات أيضا .؟ ... كان من الضرورى أن أعرف الجواب فأنا امرأة والغيرة تأكل قلوب النساء إذا بدا لهن أن شيئا ما يأخذ منهن ازواجهن . .. قلت له يوما : لم لا تأخذنى معك المعمورة .؟ فأجاب بفتور: لامكان لنا هناك .. فماذا عساك تفعلين هناك ..انها مكان ملئ بالجنود والحراس وكل ما لايخطر على بالك .مملكة." .. قلت بصوت متباك : ولكنك تذهب الى هناك .. وتتركنى هنا لوحدى .. ضحك المشير :" أذهب الى هناك لأن الرئيس هناك ولأنى نائب الرئيس وتأكدى أن ذهابى الى المعمورة بالنسبة لى عمل وليس لهوا "... وفى مرة أخرى قال لىَ وكنا مقبلين على أحد الأعياد سأذهب لمقابلة الرئيس فى المعمورة لأنى أفضل ان أطلب منه شئ للناس وهو فى المعمورة .. لأنه يكون عادة فى حالة مزاجية طيبة ... وبالفعل ذهب اليه واستطاع أن يقنع جمال بتقديم منحة للعمال والموظفين بمناسبة العيد .... قلت متخابثة : ولكنه عمل ظريف .. أليس كذلك ؟!! .. ضحك عبد الحكيم مرة أخرى وكأنما أراد ان يضع حدا لإلحاحى ومحاوراتى فقال : لا تتعبى نفسك فلا يمكن أن آخذك إلى المعمورة .وثقى أن الأمر لو بيدى لما ذهبت إلى هناك قط .

ولم أكن أشك فى كلامه عن نفسه فإن الأيام التى عشتها معه كزوجة لم يكن فيها ترف ولا بذخ، ومكنتنى معاشرته من معرفة شخصيته الميالة الى البساطة ، والبعد عن التكلف واغتراف الملذات ... والقصة التى أسوقها هنا ، قد تعطى القارئ صورة واضحة عن شخصية عبد الحكيم عامر. وفى المرة الوحيدة التى زارنا فيها عبد الناصر ببيتنا فى الهرم حدث أثناء جلوسه أن تعطل جهاز التكييف وكان قديما ماركة كولدير وبذلت محاولات لإصلاحه دون جدوى فبدا الضيق على جمال ، وأصبح عصبيا وأبدى اهتماما زائدا بإصلاح الجهاز ورغم ذلك لم يعمل ..!! وقال له عبد الحكيم معلقا :" أرأيت يا جمال .. لقد تعودنا على الترف ولم نعد نطيق الجلوس بلا جهاز تكييف .ليتنا نستمع الى حديث رسول الله الذى يقول فيه (اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم) " وابتسم جمال ولم يرد !!

المشير والأجهزة

فى عام ١٩٦٦ شكلت " اللجنة العليا لتصفية الإقطاع " بناء على القرار الجمهورى، وتولى رئاستها المشير عبد الحكيم عامر النائب الأول لرئيس الجهورية .. وقد كتب علىّ أن أتعرض لآلام نفسية بعد موت المشير ، وانا أرى أنيابا تنهش لحمه ميتا دون ان أقدر على دفعها عنه، وكانت رئاسته لهذه اللجنة من المواضيع التى أوغلت فيها السنة كثيرة تتحدث بالسوء والتشهير به لما ادعته من ممارسات ظالمة، ومع أن أمور الدولة لم تكن من اختصاصاتى كربة بيت، إلا أن الرجل الثانى فيها كان من اختصاصى بحكم أنه زوجى ... ومن حقى أن أدافع عن زوجى - عن الرجل الذى كان كل دنياى فى تلك الفترة وقد سكت لسانه وتكلمت ألسنة السوء ...

وأبدأ أقدم للقارئ ما قاله شاهد كان مطلعا على الكثير بحكم عمله، فوق أنه كان واحدا من أعضاء لجنة تصفية الإقطاع ، وأعنى به صلاح نصر الذى كتب فى مذكراته يقول : بالرغم من المجهود الذى بذلته اللجنة ، وبالرغم مما حققته من رفع الظلم عن كثير من الناس - كما هو مثبت فى محاضرها - فإن السلطة بعد مصرع المشير ، نقضت كل قرارات اللجنة الثورية التى كان يباركها جمال عبد الناصر بعد النكسة ، وأوكل إلى لجنة جديدة كان أعضاؤها فى اللجنة القديمة !!! مهمة إعادة النظر فى قرارات اللجنة القديمة ... لقد وجدت السلطة بعد فتنة سنة ١٩٦٧ إنها فى مأزق وأرادت أن ترضى الإقطاع ، فنصح أهل المشورة أن يمسحوا أخطاء اللجنة القديمة فى المرحوم المشير عبد الحكيم عامر . والواقع أنها كانت تمثيلية من تمثيليات الحكم لإيهام الرأى العام الداخلى بأن لجنة تصفية الإقطاع -التى كان يرأسها

المشير عامر – هى أم البلاء فى إصدار القرارات الظالمة على حد قولهم .. لا أريد أن أتوسع فى هذا الموضوع، فحسبى أننى أعطيت صورة لما كان يحدث داخل اللجنة .. على أن ثمة نقطة هامة لا بد أن أذكرها .. لقد كان عبد الناصر يهدف إلى شئ ماكر من إسناد رئاسة هذه اللجنة الى المشير عامر .. لقد أراد أن ينال المشير عامر نصيبا من كراهية الناس مثلما كرهوا من قبل جمال سالم فى محكمة الثورة، وكما كرهوا كل من صور لهم على أنه عدوّ الشعب. هذا كلام صلاح نصر ، وإنى لأرى صدق ما يقول على ضوء أحوال المشير وبعض العبارات التى سمعتها منه ، وبعض الحوار الذى دار أمامى فى جلسات أصدقائه بمنزلنا عندما يكون فى زيارتى ... فى مرة من هذه المرات سمعته يقول : أعمل إيه ؟ .. كل ده من تحت الأجهزة .. أصله بيحب السرية .. نظامه بقى كده .. وتفصيل هذا الكلام أن الأجهزة التى كونها عبد الناصر –وهى كثيرة – كانت تقوم بأعمال غاشمة ضد ملاك الأراضى ، متذرعة بقرارات " لجنة تصفية الإقطاع " .. وهذه الأجهزة المشار إليها كانت من أجهزة الأمن العديدة مثل أمن الدولة ، المخابرات العسكرية ، المباحث العامة ، المباحث الجنائية العسكرية ، مخابرات رئاسة الجمهورية ، وأجهزة كثيرة تتبع عبد الناصر مباشرة ، يقوم عملها على التجسس والتنصت ومن وسائلها التعذيب ، والقهر ، والتلفيق ، والتشهير ، والقتل عن طريق الأجهزة التابعة للرئاسة مثل الأتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى وموظفى رئاسة الجمهورية بمالهم من سلطة . أما عبارة "أصله بيحب السرية "، فقد كانت إشارة الى جمال عبد الناصر، فمن الغريب أنه ظل يمارس أسلوب التنظيم السرى الذى اتبعه قبل الثورة ظل يمارسه بعد الثورة ايضا. وعلى سبيل المثال أذكر التنظيم داخل الجيش الذى كلف سامى شرف بتكوينه، وقد كان هذا التنظيم سببا فى غضب عبد الحكيم عامر الذى خاف أن يؤدى ذلك الى تشتت ولاء الضباط، ثم ما ضرورة التنظيم والسلطة كلها فى يديه، وأصر وقتها عبد الحكيم على حل هذا التنظيم، وقد حل فعلا بعد مشادة بينه وبين جمال ، وإن اتضح بعد ذلك أن الحل كان ظاهريا ! والواقع أن مكتب الشئون العامة فى القيادة العامة للقوات المسلحة كان مسئولا عن تأمين الجيش، إلا إن جمال عبد الناصر لم يكتف بذلك ، فقام بتشكيل خلايا اخرى عن طريق سكرتيره سامى شرف، وعلم عامر أن عبد الناصر كان يلتقى سرا مع أعضاء هذه الخلايا – وهو رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة !!! ... وقد أدى هذا إلى خلق توتر فى العلاقة بين ناصر وعامر ، وظل التوتر يزداد حتى تحول الى مجابهة صريحة ذلك لأن جمال عبد الناصر كان يريد أن يضمن ولاء جيل من طلبة الكلية الحربية فيضمن بذلك ولاءه له بعد التخرج، واختار لهذه المهمة أحد الضباط الأحرار(إبراهيم الطحاوى) وعهد الى شخص يدعى دنيا

تكون مهمته توجيه هذه الجماعة ايديولوجيا، وكان الشيخ دنيا يزعم انه ايضا يتنبأ بالغيب وقد تنبأ لجمال بحرب ١٩٥٦ حينما أحضره سامى شرف فنال بذلك ثقته ... وقد ظل هذا التنظيم فى الخفاء الى أن اكتشفه عبد الحكيم عامر سنة ١٩٥٦ فوقعت مواجهه بين عامر و ناصر وانتهت بموافقة ناصر على حل هذا التنظيم .

ونعود الى لجنة تصفية الأقطاع ومراعة عبد الحكيم مبادئ اساسية للعمل بها فى هذه اللجنة وهى مراعاة الظروف الأجتماعية لمن تفرض عليهم الحراسة ومراعاة الجوانب الانسانية عند التعامل معهم، ومراعاة المواقف الوطنية لمن كانت لهم مواقف وطنية كما حدث مع أولاد لأحد أجداده مثل هذا الموقف ... وكان أشد ما يضايق المشير هو خروج الأجهزة عن هذه المبادئ الإنسانية وهى تتعامل مع الاقطاعيين، واستشهد هنا بأقوال صلاح نصر : حقا لقد وقعت بعض الأخطاء فى التنفيذ، شأن ما يحدث فى أى موقع من مواقع العمل، ولكن حين اكتشفت اللجنة هذه الخطأ قام المشير بتصحيحها. ... ويكمل صلاح نصر قوله : أذكر أننى علمت أن الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية قد قامتا بأعمال عنف أثناء قيامهم بمهمتهم، فأبلغت المشير عامر الذى أسرع فطلب بوقف مثل هذه الأعمال ولأنقل من محاضر جلسات اللجنة ما قاله المشير عامر فى جلسة السادس من يوليو ١٩٦٦:" قبل ان أبدأ العمل لدى ملاحظة أود أن ابديها بشأن الأجهزة التى تعمل فى موضوع الاقطاع فى الريف فقد بلغنا من أكثرمن مصدر للمعلومات ان هذه الأجهزة تتصرف تصرفات عنيفه مع الناس وهذا غير مقبول مطلقا ورؤساء الأجهزة مسئولون شخصيا عن هذا وعليهم المرور على أجهزتهم للنظر وتحرى الحقيقة فإذا كانت هناك تصرفات بهذا الشكل فعليهم ان يحدوا منها لأننا لا نريد تصرفات عنيفة مطلقا كالضغط على الناس وضربهم وما الى ذلك .. ان الأمور كلها ستتضح ونحن لا نريد العنف ولسنا فى حاجة إليها ولا ينبغى أن تظهر الأجهزة الحكومية بمظهر العنف، وأريد خلال الأسبوع القادم ان يمر رؤساء الأجهزة بأنفسهم عليها وأن يقوموا بالتنبيه بعدم القيام بمثل هذا العمل مرة أخرى أو تكرار حدوثه وإذا لم تكن هذه الأمور قد حدثت وكانت هناك مبالغة فيجرى التأكيد بعدم حدوثها وأخص بالذكر فى هذا الموضوع الشرطة العسكرية والمباحث الجنائية العسكرية .. وقد يكون مناسبا - ونحن بصدد الحديث عن لجنة تصفية الإقطاع - ان أذكر حقيقة عرفتها من المشير وأصدقائه ، وهى أن جمال عبد الناصر عندما قرر تحديد الملكية ، كان قد رأى ان يكون الحد الأقصى خمسة أفدنة ولكن عامر قال له : إذن أنت لا تعرف كيف يعيش الفلاحون ؟! .. ان المائة فدان التى يملكها واحد إنما يعيش منها فى الحقيقة هذا الواحد وأبناؤه العشرة ، وأبناء أبنائه وزوجاتهم ، وأن

يكون الحد الأقصى خمسة أفدنة معناه خراب بيوت هؤلاء الناس الذين جئنا من أجلهم ونحن نسعى إلى العدل ، لا إلى خراب البيوت !!.. ويذكر لى عامر أنه فى إحدى الرحلات التى أغرى عامر الرئيس على القيام بها ليشعره بالفلاح فى الصعيد استقبلهما الناس بالحفاوة البالغة والهتاف يذكر لى أنه قال لجمال : انظر كيف يحبك أهل القرى .. فلماذا تستجلب كراهيتهم بتحديد الملكية .. وهم جمهورك أن جمال عبد الناصر مُصِرّ تماما على ذلك جاهد حتى يجعله يغير رأيه ويجعل الحد الأقصى للملكية الزراعية خمسين فدانا بدلا من خمسة أفدنة ... لقد حورب عبد الحكيم عامر حيا، وافترى عليه ميتا ، حورب من التنظيمات السرية التى كونها جمال ، وحورب من مراكز القوى وحورب من عملاء الروس وحورب من الأقلام المرتزقة التى تعمل بإيعاذ من سامى شرف وأجهزته والتى لفقت له تاريخا مزيفا لقاء دراهم معدودة وسرقت ادواره فى الثورة ووزعتها على آخرين فصنعوا بها لأنفسهم بطولات زائفة .. ولا أجد أفضل مما قاله صلاح نصر فى مذكراته رداً على هؤلاء : أين كان هؤلاء الذين يهاجمون اليوم ما كان بالأمس .؟ .. إما أنهم كانوا منافقين يسيرون فى الزفة، وإما كانوا إمعات فى الحكم لا حول لهم ولا قوة، وإما كانوا موتورين نتيجة ما أصابهم على يد الثورة حينما قامت بتصفية أعداء الثورة. ... ومن العبارات التى سمعتها بأذنى من المشير فى كثير من المكالمات التليفونية عبارة : هو المعفن مش ناوى يبطل تقارير ؟ ما يسيب الجيش فى حاله وكفاية عليه اللى عامله فى المدنيين. ... وذات مرة بعد محادثة ترددت فيها عبارات من هذا القبيل، التفت إليّ المشير بعد ان وضع السماعة قائلا : تصورى إن الواد المعفن قدم تقريرا للريس بيقول أنى قلت راح أنفى الريس وأوديه يوغوسلافيا، والغريب لما زعلت من الدس والكلام الفارغ ده قال لى :" يا حكيم ده حتة موظف من ضمن موظفين عندى ، ويعلق عامر :" ماهو شوية الموظفين دول هما اللى حا يودوه ويودوا البلد فى داهية. كان عامر يشكو مر الشكوى من تآمر هذا "المعفن" ضده وضد قادة الجيش الوطنيين، وينشر الإشاعات والقصص الملفقة، ويسيطر على الأجهزة ويوظفها لأفكاره المغرضة، ويقدم تقارير ملفقة عن ضباط الجيش الذى رسموه فيما بينهم هو شلته (جيش عبد الحكيم عامر) لإيغار صدر جمال عبد الناصر ضد المشير ، وبالطبع فإن (المعفن) هو الاسم الذى كان يطلقه عامر على أحد الموظفين مع جمال فى مكتبه ووراءه أجهزته البوليسية المتعددة وكان من عادة جمال التهوين من شأن هؤلاء الأشخاص وتعمد إهانتهم أمام عامر وآخرين، ثم ينظر لعامر قائلا: إحنا ثوار يا حكيم، وده مجرد موظف عندى. وما كان يدرى أن حتة الموظف هذا سيكون سبب رئيسيا فى الخلاف بين ناصر وعامر، ومازال يلعب نفس الدور حتى بعد قتل عبد الحكيم عامر وموت(أو قتل)جمال عبد الناصر.

مصايد لعبد الحكيم فى الجو والبر !!

فى أواخر عام ١٩٦٦ وربما فى أوائل عام ١٩٦٧ - لا أذكر التاريخ بالضبط - كان عامر فى طريقه الى منزلنا بكنج مريوط ، وبصحبته صلاح نصر ، عباس رضوان، وعصام خليل وفى الطريق الضيق الموصل لمنزلنا وقع حادث تصادم بين عربة المشير وعربة كانت تعبر هذا الطريق .. وعندما دخلوا علىّ وحكوا تفاصيل ذلك الحادث على مسامعى بدا علىّ الانزعاج فقال لى المشير ضاحكا : ما تخافيش .. عمر الشقى بقى ضحكوا جميعا وذكرهم هذا القول بحادثة طيران كادت تودى بحياة المشير عامر عام ١٩٦٦ .

وقد روى عصام خليل وكان مرافقا للمشير فى ذات الطائرة ومعهما معظم القادة العسكريين .روى قصة هذا الحادث الذى وقع فى روسيا أواخر عام ١٩٦٦ عندما ذهب وفد بقيادة المشير للتفاوض مع الروس حول الأسلحة التى يحتاجها الجيش المصرى وأشياء أخرى "كالقمح"، وكانت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى فاترة فى تلك المرحلة بسبب رغبة السوفييت فى إقامة قواعد بحرية ، ومراكز استطلاع بعيدة المدى فى مصر، ولكن عامر والقادة رفضوا ولذا فقد كان الروس يبذلون غاية جهدهم لإبعاد المشير والقادة عن السلطة !!...... كانت الطائرة التى تحمله ومعه صلاح نصر ، والفريق أول صدقى محمود وعصام خليل ، والفريق عزت قائد البحرية ، تقترب من موسكو حين تلقى قائد الطائرة إشارة من مطار موسكو تفيد بأنهم لايستطيعون استقباله فى المطار بحجة سوء الأحوال الجوية ونصحوه بالهبوط فى مطار لينتجراد والغريب أن مطار لينتجراد طلب من الطيار المصرى وكان يدعى "دغيم" الهبوط قبل الممر المعد للنزول !! أطاع الطيار التعليمات ففوجئ بأنه أمام مصنع ضخم !! ولولا مهارة الطيار غير العادية وقدراته على السيطرة لما استطاع أن يرتفع فى الوقت المناسب وحول مسار الطائرة بسرعة أفقدتهم التوازن داخل الطائرة!وقد علق صلاح نصر على رواية عصام خليل : أنا قدمت لجمال عبد الناصر وللروس الأدلة العملية على أن هناك

سوء نية من برج المراقبة .. ولم يستطيعوا تبرير هذا الحادث !! وقال عامر : يعنى هية أول مرة .؟ .. أنا عارف إن الروس عايزين يخلصوا منى بأى شكل عشان يقدروا يسيطرون على الجيش لأنى طول ما أنا عايش لن أقبل احتلالهم لبلدى. .. واستطرد المشير: ناصحين قوى نطلب منهم قمح يطلبوا قصاده قاعدة بحرية داخل البلاد ويطلبوا تسهيلات للأسطول بتاعهم !! إن ما لفت نظرى هو مآزق الطائرات ، التى كان من قدر عبد الحكيم أن يتعرض لها .. ففى عام ١٩٥٦ وبالتحديد فى أواخر أكتوبر ، كان المشير فى زيارة لسوريا حين وقوع العدوان الثلاثى على مصر فقطع المشير زيارته -وكان ذلك فى الحادى والثلاثين من الشهر ذاته- وقرر العودة الى مصربعد أن تم الاتفاق على تشكيل قيادة القوات المسلحة على أن يكون مقرها القاهرة .. وترصد قوى الأعداء تحركات عبد الحكيم يحدوها الأمل فى التخلص منه بإسقاط طائرته، ولكن القدر تدخل فحدث أن تأخرت طائرة المشير، وكانت هناك طائرة أخرى تحمل مرافقيه فأقلعت قبل طائرة المشير فظن الأعداء انها طائرة المشير فأسقطوها ولا يعرف حتى الآن مصير هذه الطائرة المنكوبة ولا مصير من فيها ! .. أما الحادث الثالث المتعلق بالطائرات، فقد وقع عام ١٩٦٧ حينما بدأ هجوم الطيران الإسرائيلى بينما طائرة المشير معلقة فى الجو - وكان الطيران بأمر عبد الناصر - ومرة ثالثة نجت طائرته من السقوط .. وإنه لمن الغريب أن كانت الفخاخ كلها منصوبة فى الجو لعبد الحكيم .. ولكنها سوء نية مبيتة ظلت تتعقبه بسبب ولائه الكامل لمصر دون أن يفضل عليه ولاء للشرق أو ولاء للغرب، ظلت تتعقبه إلى أن تمكنت منه نهاية المطاف فحرمت مصر ابنا بارا من أبنائها .. والدليل على ما أقول هو ذلك الحديث الذى دار بينهم فى تلك الليلة كعادتهم حين يجتمعون فإن السياسة تكون هى الموضوع الرئيسى الذى يشغلهم وكان مما قاله المشير فى تلك الليلة :" يا جماعة .. اللى حاقوله ده مش معناه أنى ضد مساعدة أى حركة تريد الاستقلال عن أى نوع من أنواع الاستعمار لكن فاقد الشئ لايعطيه - ابتدينا أنا والريس نحس انها أوامر فى صيغة طلبات (قفوا الى جانب البلد الفلانية- ابعتوا فرق للبلد العلانية لأنها قريبة من حكمكم ولازم تساعدوها !!) الله ومصر ما يحبوش لها أنها تقوى وتستطيع الدفاع عن نفسها .. لما نطلب أسلحة نحارب بيها فى اليمن يدونا نساعد بيها أى بلد .. يدونا .. واحنا عمالين نبعت أسلحة وذخيرة وولادنا بيحاربوا فى كل حتة بينما بلدى محتاجة للأجهزة اللى تحميها !! والأدهى من ذلك .. إن إحنا مع أمريكا ومش معاها .. ومع روسيا ومش معاها !!... لازم كلنا نفهم إن احنا مش أذكى منهم لنستمر فى اللعب على الحبلين، طيب دول الغرب بيعتبرونا عنصر قلق لهم، ونظامنا يؤثر على مصالحهم فى المنطقة وبيكلموا جمال بعجرفة لأنه بيشتمهم ، فلما نيجى نطلب منهم حاجة - حتى ولو كانت مواد تموينية - بيرفضوا طبعا .وروسيا ما هياش الصاحب ولا حاجة وانتو عارفين ان ده رأى الريس كمان .. لما أسأله إيه اللى زانقنا على البهدلة دية ، يقول لى :" هو فيه حد قدامنا غيرهم ما احنا محتاجينهم " .. الخلاصة إن كلهم دول استعمارية .. دى حقيقة وما نضحكش على بعض، لا أحد يعطى دون أن يأخذ الثمن ونحن لن نقبل أن نعطى أحدا شبرا من أرض مصر .. وهم لن يعطونا الأجهزة التى تحمينا من أى غارة فى العمق .. المسألة محسوبة ....

وكان من رأى عامر أننا - والدول العربية - لعبة فى أيدى روسيا ووراءها المعسكر الشرقى، ولعبة فى يد أمريكا ووراءها المعسكر الغربى، وكان يقول : عندما يجدون أن الدول متسلحة بالإصرار و بالمطالبة المستمرة والضغط فماذا يفعلون ؟ إنهم يدفعونهم للحرب ليهلكوا السلاح الذى لديهم ويحتاجوا لشراء سلاح آخر وهكذا. روسيا فى البداية كانت تسلح اليهود، وتغيرت الأدوار الغرب يسلح إسرائيل وبعض الدول العربية بشكل محسوب، وروسيا تسلحنا بالقطارة ومعنا بعض الدول العربية، وبهذا الشكل يظلون مسيطرين على المنطقة. الآن روسيا تنصحنا بعمل اتفاقية مع سوريا وأمريكا تسلح إسرائيل وتحرضها على القيام بأعمال استفزازية، والدول العربية التابعة للغرب تدفع للقيام بحملات ضد النظام المصرى، ونتهم بأننا لا نحمى بعضنا ولا أنفسنا وأننا نتمسح فى قوات الطوارئ الدولية لتوفر لنا الحماية ونحن نتسول السلاح من روسيا !!

وكلام المشير هنا يدل على أنه لم يكن يرتاح للقوى الكبرى وبالذات روسيا التى كان يشك فى صدق مواقفها بالنسبة للقضايا العربية المصيرية وكذلك كان جمال عبد الناصر لايثق ولا يستريح للشيوعيين لذلك قبل دعوة رجال الأعمال الأمريكيين والذين أقاموا فى فندق سميراميس وكلف ناصر عامر لمقابلتهم و فتح الحوار معهم، وكان ذلك للضغط على الروس للحصول على السلاح .. وقد قابلهم عامر وألقى كلمة بينهم كان مضمونها أننا لم نغلق باب التفاهم مع أمريكا، وأنه - وفقا للميثاق - لن تكون هناك قرارات اشتراكية أخرى، كما أبدى المشير بناءً على اتفاق مع ناصر استعداد مصر للتفاهم على نوع من التعاون الاقتصادى ... وخرج رجال الأعمال بانطباع جيد بعد مقابلتهم لعبد الحكيم عامر الذى وصفوه بالاعتدال .. وقد انتهز شمس بدران فرصة نجاح هذه المقابلة واقترح على جمال عبد الناصر مقابلتهم وقد تمت المقابله فعلا !! ووجهت خلالها الدعوة للمشير لزيارة أمريكا ومقابلة الرئيس جونسون (ولكن جمال ارسل بدلا منه أنور السادات) .. لهذا كله كانت القيادة عاجزة عن تحديد تعاون النظام المصرى مع أى من روسيا أو أمريكا ولقد حاولت بكل الجهد ولكنها لم تصل الى حل لتلك المشكلة !!.

كل من أعطى كان يريد أن يأخذ، ولكن الوطنيه منعت القيادة المصرية من التفريط فيما تعهدت به وقامت من أجله ثورة ٢٣يوليو ١٩٥٢، ومن الطريف أنه فى نفس السنة التى نحن بصددها (١٩٦٦) كان المشير يرأس وفدا لزيارة باكستان ليحسن العلاقة بيننا وبينهم ... وطلب عبد الناصر من عبد الحكيم أن يقترح سحب قوات الطوارئ الدولية التى كان وجودها يسبب إذلالا لناصر، إذ اتهم بأنه " يحتمى فيها " ويجعجع بالتصريحات .. وكان تصور ناصر انه عندما يرسل عامر هذه الإشارة من باكستان عن طريق اللاسلكى فإن أجهزة الغرب ستلتقطها . كان هذا التصرف من ناصر للضغط على الغرب وفعلا أرسل عامر هذه الإشارة ولكن هذه المناورة لم تخدع دول الغرب .. وإذا كان المشير قد تعرض لمحاولات قتله بنصب هذه المصايد الجوية ، فإنه أيضا تعرض لنوع آخر من المصايد الأرضية .. وإنى إذ أستعيد ذكرياتى فى وحدتى الآن أرى الفخاخ التى كانت منصوبة موضوعة أمام أعيننا بصورة تسر الناظرين !!

- بل كنا نراها مصدر فخر ورضى ، ولا أدعى هنا الإحاطة الكاملة بكل ما حيك من مؤامرات ضد المشير ولكنى أذكر كل ما أعرفه ولا شك أن ما خفى كان أعظم .. ذكرت لكم إن خروشوف كان يردد فى معرض المديح لعبد الحكيم قوله : إن ناصر إذا أراد من روسيا شيئا ، فإنه يرسل لنا عبد الحكيم عامر لأنه يعرف أننا نستجيب لمطالبة كما أن الروس كانوا إذا تحدثوا عن المشير فأنهم لا يقولون ابدا (الرجل الثانى بل يحرصون على القول بلغته الأول مكرر) كان الروس بلا شك يهدفون من وراء ذلك إلى ايغار صدر جمال عبد الناصر ضد المشير فهم يعلمون غرام ناصر بالسلطة ، كما يعلمون شكوكه القوية وعدم ثقته بأى انسان وهم يعلمون فوق ذلك السياسة بلا قلب .. فانظر الى هذه العبارات : يلبون المطالب إذا جاءت عن طريق عبد الحكيم ، فماذا يكون شعور جمال وهو الزعيم العربى ورئيس الجمهورية حين يرسخ عنده هذا الظن ؟ .. وانظر إلى عبارة "الأول مكرر" إنها تعمد منهم لإفهام عبد الناصر بأنه ند له .. وهو رجل لا يقبل ندا إلى جانبه ... ألم يكن كل هذا تحريضا لعبد الناصر على التخلص من " الأول مكرر" والمفضل لدى الروس. هذه الأفعال هى أحد معالم الطريق التى أدت الى نهاية المشير عبد الحكيم عامر نهاية مأساوية .. ولم يكن فقط هم الذين ينصبون له الفخاخ على الأرض وإن كنت عاجزة حتى الآن عن فهم مراميه من وراء ذلك .. وعلى سبيل المثال أذكر هذه الواقعة : بعد الانقلاب الذى أطاح بأحمد بن بيلا - فى الجزائر - واستيلاء هوارى بومدين على السلطة ، بعد هذا الانقلاب شاب العلاقات المصرية الجزائرية بعض التوتر والشكوك . وبعد تبادل الخطابات بين جمال عبد الناصر وهوارى بومدين تقرر سفر المشير إلى الجزائر لمحاولة تصفية الأجواء وقبل اتخاذ هذا القرار دار الحوار التالى بين عامر وناصر وقد سأل ناصر المشير : ما رأيك ؟ .. فأجاب المشير : الانقلاب وقع وقضى الأمر ... وأرى أن نكون واقعيين ، فإنها بلادهم وهم أحرار فيها ... ووافق عبد الناصرعلى هذا الرأى واتفقنا على خطة المباحثات التى سيجريها المشير فى الجزائر على إعلام الجزائريين عدم اعتراض مصر على الهوارى بومدين مع إبداء رغبة مصر للاطمئنان على سلامة بن بيلا . . وفى الجزائر استقبل هوارى بومدين عبد الحكيم عامر وبدأ اجراء المباحثات، وفى أثنائها جاء من يهمس فى أذن هوارى بومدين بكلمات نهض على إثرها واستأذن عبد الحكيم فى الغياب لحظات وغاب بومدين قليلا ثم عاد وبيده " راديو ترانزستور " ووضعه أمام المشير ليسمع !!! .. كانت إذاعة صوت العرب المصرية تذيع مقالات هيكل وهو يهاجم فيها الانقلاب الذى قام به بومدين ويعدد محاسن بن بيلا وما يتمتع به من شعبية كبيرة ويتنبأ بفشل الانقلاب . . ثم بدأ البرنامج يذيع الأناشيد العسكرية قبل أن يعود مرة أخرى إلى كلام هيكل، وأخذ البرنامج يذيع فقرات تتخللها أناشيد عسكرية بين كل فقرة وأخرى .وقد وضع هذا التصرف عامر فى موقف لا يحسد عليه وأظهره بصورة من جاء ليخدعهم !! وهذا قد يعرض عامر لأذى حكومة بومدين الثورية بما فى ذلك سوء المعاملة أو على الأقل الفتور والنفور تجاه عبد الحكيم عامر الذى جاءهم بنية صادقة ورغبة حارة فى إعادة حبال الود بين الدولتين العربيتين . ولم يجد عامر تبريرا يسوقه لبومدين سوى القول بأن هذا مجرد تصرف شخصى من هيكل، وانه ترك عبد الناصر مريضا فى القاهرة .. ولما عاد عامر قال لجمال : ألم نكن متفقين على كل شئ

قبل سفرى ؟ فكيف حدث هذا ؟ قال عبد الناصر وماذا أفعل .. الإذاعة معتادة على إذاعة مقالات هيكل والصحافة حرة والإذاعة حرة "!! .... صرخ المشير: يا خبر اسود .. أتقول لى هذا الكلام ؟ ...... قال عبد الناصر :"يعنى .. أعطيك تبريرا كالذى أعطيته أنت لبومدين .....وقد تجنب بومدين مصر بعد ذلك وشك فى حسن نيتها وقد عاتب عامر هيكل أيضا بعد حديثه مع عبد الناصر فما كان من هيكل إلا أن قال : سيادتك عارف .. أنا مغلوب على أمرى وسيادتك عارف كل حاجة! وقد تعرض عامر لنفس التصرف - أو لنفس الفخاخ - عندما سافر الى الأردن لمقابلة الملك حسين، ففيما هو هناك يعمل على تحسين العلاقات فوجئ بمقال لهيكل يشتم فيه الملك حسين !! ولا أستطيع بالطبع أن أحيط بكل التصرفات المتشابهة ، وإنما ذكرت ما ظهر لى منها وما عرفته من المشير نفسه رحمه الله رحمة واسعة وتلقاها كما يتلقيها كل شهيد مظلوم ... كانت السياسة الخارجية لمصر فى تلك الفترة .. تعانى ذبذبة قاتلة لذا كانت رغبة عبد الناصر قوية فى أن تلقى سفينة السياسة الخارجية مراسيها فى أى مياه .. لقد أبحر فى المياة السوفيتية ، فلم يصل إلى مرفأ ، وحاول الإبحار فى المياه الأمريكية ولكن جونسون قال لأنور السادات فى الزيارة التى قام بها الى أمريكا ، بدلا من عبد الحكيم عامر ، قال له: نحن لا نثق فى جمال عبد الناصر .. فهو مندفع ويشتمنا بألفاظ بذيئة. وكان هذا الرد كافيا لإغلاق باب المحاولات لإعادة الثقة بين مصر وأمريكا .. وفى نفس العام أيضا حاولت مصر إزالة أسباب الخلاف بينها وبين فرنسا فأرسلت وفدا إلى فرنسا، برئاسة المشير عامر لمقابلة ديجول .. وأذكر هنا حوارا دار بينى وبين المشير قبل سفره فى هذه الرحلة ، وكان عبد الناصر يعلق آمالا كبيرة على هذه الرحلة وقال للمشير: هذه مهمة صعبة. وبالمناسبة كان جمال يطلق على عامر " رجل المهام الصعبة " قال لى عامر : أعدوا لى أوراقا بها بيانات عن فرنسا ولكنى غير مقتنع بها .. فأنا لا أحب الخطب الإنشائية .. أحب أن أقول ما أحسه وما أنا مقتنع به أما هذا الورق فلن آخذه معى ... سألته لماذا أنت ذاهب إلى فرنسا قال : لمحاولة كسر الجمود بيننا .. وإيجاد صلات ثقافية وعلمية، فإن فرنسا هى بلد العلم والثقافة ... قلت له : بالضبط .. هذه هى الحقيقة .. إن الثقافة والأدب والعلم هم الذين يبقون انظر إلى غزو نابليون لمصر ، لقد استطاع أن يحتلها بجيشه ثم أرغم على مغادرتها .. فما الذى بقى من هذا الغزو ؟ .. لقد جاء ومعه مع الرصاص بعثة علمية .. ولم يبق من هذا الغزو سوى الثقافة .. حجر رشيد .. المطبعة .. كتاب وصف مصر .. هذا هو ما بقى بعد نابليون وجيشه ... وأعددت للمشير بعد ذلك ملخصا عن تاريخ حياة ديجول وكفاحه وحكومته التى كونها فى المنفى .. سافر الوفد المصرى وكان لقاء عامر وديجول لقاء طيبا حتى أن ديجول وصفه بقوله : لقاء بين فرنسا الجديدة ، ومصر الجديدة. وكان اللقاء حديث وكالات الأنباء الشرقية والغربية ووصفوه بأنه لقاء تمت فيه المحادثات الهامة والصريحة والدقيقة التى أذابت تلال الجليد التى تراكمت فى طريق العلاقات العربية والفرنسية منذ عام ١٩٥٦ ..

نبات خبيث في بستان وحدتي

بعد أشهر من الزواج، اكتشفت إنى أعيش فى فراغ، فلا أنيس ولاجليس سوى "متولي" وآخرين عند البوابة وهما اللذان عهد إليهما أحيانا بالحراسة وأحيانا أخرى لتلبية طلبات المنزل .. كانت تسليتى الوحيدة أن أخرج بالعربة لأتجول بها قليلا فى الشوارع المحيطة بالفيلا، وفى إحدى الجولات وجدت نفسى فى الشارع الذى يسكن فيه "محمد كامل حسن المحامى" وبهذا الاسم الطويل اعتادت أن تقدمه الإذاعة عند إذاعة تمثيلية من تأليفه ...

ولما كانت لى به معرفة سابقة وإن كانت غير عميقة إذ سبق لى التردد على منزله بنية الحصول على قصة سينمائية من تأليفه فلم أجد بدا وأنا فى حالتى تلك من الرغبة فى العثور على شخص أتحدث اليه ، لأسرى عن نفسى ، لم أجد بدا من أن أقوم بزيارته، وفاجأت متولى الذى كان معى بزيارته .. قابلنى محمد كامل حسن بحفاوة فى فيلته المزدحمة بزوجتيه وبناته، وعلا زياطهم وهم يرحبون بى ويتساءلون عن سر انقطاعى الطويل عن زيارتهم ... كان محمد حسن يعيش فى بيت واحد مع زوجتيه الأولى أم أولاده وهى سيدة فى مثل سنه .. والثانية زوجته الجديدة وكانت صغيرة السن شديدة الجمال .. وفى هذا اليوم انتحى بى كامل حسن المحامى جانبا ، وأخذ يشكو سوء الحال مدللا على ذلك بسؤالى : هل تسمعين لى شيئا فى الإذاعة هذه الأيام ؟ وبالفعل لم أكن أسمع له شيئا فى الإذاعة بعد أن كان اسمه من الأسماء التى تسمع يوميا كمؤلف المسلسلات البوليسية إذاعية . وبكى الرجل أمامى وهو يسألنى : كيف يطعم زوجتيه وبناته ؟. مع أن رائحة غريبة كانت تفوح من فمه وهو يحدثنى ، وأثرها يبدو واضحا على حركاته إلا أن قلبى امتلأ شفقة عليه وحزنا من أجله، فما كاد يسألنى إن كان معى شئ من المال سلفة -كما قال- حتى وجدتنى أعطيه كل ما معى .. كانت الشفقة

بداية لعلاقة أسرية ، سببت لى آلاما نفسية لا تطاق لكثرة ما رأيت من مواقف محزنة بينه وبين إحدى زوجتيه أو بينه وبين نفسه فكثيرا ما كانت تنتابه نوبات بكاء ينهار على إثرها .. وتساعد الحالة التى هو فيها على زيادة البكاء والانهيار .. أصبح مألوفا أن أراه غارقا فى مشاكله وعلته ، فأخذتنى النخوة وظننت أنى قادرة على شفائه من هذه العلة التى تدمره وتدمر أسرته ، وتسئ إلى العلاقة التى بينه زوجتيه، وكان هذا القرار من أحمق القرارات التى اتخذها فى حياتى، فقد أدت إلى زيادة الروابط بينى وبين هذه الأسرة الحزينة .. والحق لم يكن محمد كامل الذى وجدته هو نفسه الرجل الذى كنت أعرفه من قبل كان مثقفا فنانا وشخصية لامعة ، بدأت تشق طريقها بنجاح فى عالم التأليف الإذاعى وكان لبقا وذكيا ، محبا لقصص المغامرات ذات الطابع البوليسى ، وكانت جعبته لا تنفد من الحكايات والطرائف المسلية ، أما هذا الذى أراه أمامى الآن فقد كان شيئا مختلفا ، وبالطبع رددت كل هذا الى العلة التى وجدته واقعا فى براثنها .. هذه العلة التى قررت محاربتها فتحولت - دون أن أدرى - الى دون كيشوت- أحارب طواحين الهواء . . ففى كل مرة يزورنى كنت أحضه على ترك عادته والالتفات الى أعماله ولا أتركه إلا عندما أصبح على يقين من أنه تأثر بقولى واستجاب لنصائحى. كان اليقين يأتينى من إظهاره للاقتناع والندم وبذل الوعد وبالإقلاع عن ما يغضبنى ، فأتركه وأنصرف وأنا فى سعادة غامرة بعد أن أزوده بقدر من المال يعينه على مواجهة ظروفه الصعبة ... وفى الزيارة التالية كنت أجد دائما أن ريمة عادت الى عادتها القديمة .. ولم يكن هو وحده " ريمة " فأنا أيضا كنت " ريمة " التى تعود الى نصيحته ومحاولة إقناعه بأنه يدمر نفسه وبيته بإصراره على التمادى فى ذلك والتوقف عن الكتابة. ثم وقعت فى الخطأ الثانى عندما أخبرتهم بأننى قد تزوجت وبالطبع جاء ذلك التصريح بعد ما رأيت من رغبتهم الدائمة فى أن أزورهم ، ويتساءلون عن سبب الغياب أحيانا، وكنت بدورى أشعر بحرج من غموض موقفى حيالهم فلم أعد قادرة على قطع صلتى بهم ، تلك الصلة التى ربطتنى بروابط الشفقة والمسئولية ، الحب لأسرته ، والتسرية عن نفسى بزيارتهم ... لم أجد بدا من ارضاء فضولهم بإبلاغهم انى تزوجت من " دكتور" وأصبح الاسم الذى يتردد بينى وبينهم عن زوجى المجهول هو " الدكتور" .. .. وأدى هذا الخطأ الأكبر .. دعوتهم لزيارتى فى الفيلا التى أقيم بها أنا والمشير وبالطبع . لم أكن أجرؤ على ذلك لولا أن المشير كان قد أصبح على علم بهذه العلاقة وقد ناقشنى فى الأمر قائلا : إن هذا خطأ، فأنت تقولين إنهم من الوسط الفنى وتعلمين أن الوسط الفنى كثير الفضول والثرثرة، ولكن ذريعة الوحدة التى أعيش فيها والتى كنت أبرر بها زيارتى لأسرة كامل حسن جعلته يقبل الأمر على مضض، فقد كان يشفق علىَ فى

قرارة نفسه من هذه العزلة التى وضعنى فيها ولكن لم يكن باليد حيلة .. ثم أقنعت المشير برغبتى فى دعوتهم الى بيتى وكعادته راح يناقشنى بهدوء .. قال : أنت تعرفين أنى آتى الى هنا بلا حرس ودخول غرباء الى البيت قد يكون فيه خطر على، وأنت تعلمين أنى مسئول عن أمن الرئيس وأمن البلد كله .. ثم إنه متزوج من أمرأتين، هذا فى منتهى الخطورة، قلت لاخطر -هم قوم بسطاء - فى ظروف صعبة وأنا أجد تسلية فى صحبتهم فسكت ولم يعقب بشئ ... سمح لى عبد الحكيم باستقبال الرجل واتفقنا على أن تكون هذه الزيارات فى أوقات لا يكون هو موجودا فيها .. وكان من الطبيعى أن أتحدث مع عبد الحكيم - بين وقت وآخر - عن هذا الصديق الذى يزورنى ، وأطلب منه مساعدته خاصة انه فى ظروف سيئة ومتوقف عن الكتابة وليس له إيراد من أملاك أو أى شئ آخر، ورغم ذلك بدأ القلق يساورنى من تصرفات كامل حسن ، فإصراره على التمادى فى عادته ، كان يجعله دائما فى حالة غير سوية ، فهو إما يشتبك فى مشاجرة مع زوجتيه ، وإما يبكى وينهار شاكيا غدر الزمان وأنهما السبب فى لجوئه إلى الهروب وإما يتجول فى الحديقة ... وفى زيارة له لاحظت كثرة تردده على المطبخ كل بضع دقائق وبعد نصف ساعة رأيته مقبلا وهو يسير بصعوبة فقلت له : ألم نتفق على ألا تفعل بنفسك ما يضرها؟ قال بلسان متلعثم : أنا تعبان، فقلت له : بل أنت أهملت فى حق نفسك - ولا تستطيع ان تقف كما انت الآن .. وإذا كنت ستبقى على هذه الحال فلن أستطيع الاستمرار فى مقابلتكم.... أخذته من يده وشرعت أطوف به فى أرجاء المطبخ بحثا عن الزجاجه التى يشرب منها، وبالفعل وجدت الزجاجة وراء بعض أكياس الخزين أمسكت الزجاجة ورفعتها الى أعلى فوقعت من يدى وتهشمت فى الحوض ، ونظرت اليه ، فرأيت الكراهية فى عينيه كأنى قتلت ولدا من أبنائه .... وصرخ فى وجهى قائلا : حرام عليكى !! .... وحاولت أن أناقشه ، قلت له إنه يخسر كل شئ حتى عمره ودينه، ولم يكن يبدو عليه أنه يصغى الىّ، وانخرط فى البكاء الشديد وهو ينظر الى " الحوض " ... واحترت ماذا أفعل إنه مرهق ولا يرى شيئا فى الدنيا الا رغباته ... وفى تلك الليلة بات هو وزوجته عندى على كنبة فى الصالون فلم يكن يستطيع الوقوف من شدة الإرهاق .

أما أنا فقد أمضيت ليلة قلقة ، لم يغمض لى جفن ، وأنا أفكر بأنى وضعت حياة عامر وحياتى فى يد رجل يضر بنفسه فما بالك بغيره، ولم أجد له عذرا يبرر ما هو فيه على هذه الصورة ، فأنا أقوم بتلبية كل طلبات أسرته ولأول مرة أخفى شيئا عن عامر فلم أشك له معاناتى مع كامل حسن ، و لا شرحت شيئا عما يكون عليه حين تعاوده النوبة ... وفى الصباح وجدته مشغولا بوضع باقة من الزهور - جمعها من الحديقة - على المائدة ثم اعد لى ولزوجته

طعام الافطار ، واعتذر عما حدث بالأمس ، ووعدنى بعدم العودة الى المضايقة وانه سيحاول الاقلاع عن هذه العادة . وبعد أيام اتصلت بى زوجته وأخبرتنى انه خفف كثيرا من عاداته وأنه مقتنع بنصيحتى .. فدعوتهما على الغداء ... جاءوا .. وبينما نحن جالسون فوجئت بعامر متنكراً أمامى .. كان عامر يرتدى كوفيه وبيريه ويضع نظارة كبيرة ... قدم عامر نفسه على أنه " الدكتور "، وبعد أن جلس قال لى : إيه رأيك فى المفاجأه دى ؟ ثم بدأ يتجاذب أطراف الحديث مع ضيوفى ، وأثناء الحديث تكلم عنى كامل حسن حديثا كله مدح وإطراء بشكل مبالغ فيه .. وقال له عامر : بيلا – يقصدنى – حدثنى عنكم كثيرا حتى انى أردت رؤيتكما بنفسى ، وارجو ان تكونا على مستوى تقديرها .. ثم انصرف عامر متعللا ببعض المشاغل والطريف انه بعد انصرافه قال كامل حسن: هو دكتور ايه ؟ شكله مش غريب على.

وفى يوم من الأيام اثناء زيارة كامل وزوجته لى فوجئت بزوجته تقف فى الحديقة تثرثر مع عبد المنعم ابو زيد – حارس البوابة – كانت تضحك معه بصورة أثارت غضبى فناديتها و أفهمتها أن الكل يعرفون إنك معرفتى . فينبغى ان تكون كل تصرفاتك على مستوى مكانتك معى وقلت لها : إن هذا يحط من قدرك وقدرى أيضا، وقد بررت لى الموقف بقولها إنها كانت تطلب أكلة كباب لأن كان نفسها فيها ، فحذرتها من معاودة الحديث معه ، وإذا كانت تريد شيئا تطلبه منى أو من عبد المنعم ابو زيد أو ابو المعاطى ، لأنه ليس مسموحا لهم بالتواجد داخل الفيلا .. وعندما دخلت المنزل وجدت كامل حسن منتهزا فرصة غيابى وغياب زوجته ليفعل ما هو ممنوع، أحسست بالغضب وحزنت عليه وعلى نفسى التى وضعتها فى موقف حرج فأخذت من يده الزجاجة وهشمتها على الأرض . . . لم يبك هذه المرة وإنما نظر الى الدواء المراق على الأرض وشظايا الزجاج المتناثرة وأحسست أنه صار يكرهنى ، ورغم ذلك فقد كنت حريصة على مصلحته ومصلحة زوجته ، فأردت مصالحته قائلة : سأصنع لك كوبا من الليمون .. يروق دمك فقال على الفور : لا .. انا الذى سأصنع الليمون .لأكفر عن تصرفى. قلت له : إننى لا أريد منك شيئا سوى ان تكون يقظا ، وكنت فى قرارة نفسى أشعر بالقلق لرؤيتى زوجته الصغيره منصرفة عنه.. وواصلت برغبة صادقة نصحه : حرام عليك ما تفعله بنفسك .. تخسر كل شئ .. انتبه الى اسرتك. ثم ذهب لصنع الليمون وانشغلت أنا بالقراءة وبعد فترة طويلة رأيته قادما بخطى ثقيلة حاملا كوبا من الليمون ، ومد يده المرتعشة بالكوب نحوى فسقط منه ، فصرخت فى وجهه " تانى .. يا نهارك اسود " وقمت مهرولة افتش عن الزجاجة وبالفعل وجدت ما أبحث عنه مخبأة فى الحديقة وسط الزرع . وأحسست أننى فى كارثة حقيقية ولا أدرى كيف أتخلص منها . كنا فى النصف الأول من عام ١٩٦٦ وفى هذا

العام كان عامر مشغولا للغاية وكان غيابة عن بيتى يطول عدة ايام وأحيانا عدة اسابيع مثلما حدث فى رحلته الى اليمن ، فقد استغرقت خمسة وأربعين يوما وكان من المعتاد عند زيارته لى أن يعلم جمال بهذه الزيارة حتى لا يقع خطأ فيطلبه بمنزله فى الجيزة " بيت الأولاد " .. وفى يوم جاءنى المشير مبتسما وقال لى : سأحقق لك رغبتك .. استعدى للسفر إلى لندن. ... لم يسافر معى المشير فى تلك الرحلة ولم يتركنى " بالطبع " أسافر وحدى بل صحبنى أخوه مصطفى عامر، وفى المطار بلندن استقبلنا رجل مصرى ومعه زوجته الألمانية، وكان المشير قد أخبرنى بأنهما سينتظرانى ، ويصحبانى لمشاهدة معالم البلد . وفى لندن تصورت أننى سأخرج لمشاهدة لندن ، والسير فى شوارعها . لكن مصطفى عامر اعترض قائلا: الأوامر أنك تنامى فى الساعة العاشرة مساء .. لأن سيادة المشير قد يتصل بك ليلا. ... ثم تركنى مصطفى قائلا : أنا خارج أشوف أصحابى والعيال تنام بدرى، ثم ضحك وانصرف .. ووجدت نفسى وحيدة فى حجرة ضيقة ، فى أحد الفنادق العادية ولم أجد ما أفعله سوى مشاهدة التليفزيون ، أو تصفح الجرائد التى وجدتها بالحجرة، وبعد فترة دق جرس التليفون ، ووجدت على الطرف الآخر عبد الحكيم عامر ، كان يريد الاطمئنان على سلامة وصولى .. وأثناء الحديث سألنى عن الجو فى لندن ، فأجبته بأننى لم أر شيئا .. وفى اليوم التالى ، جاء الرجل وزوجته الألمانية ، وصحبانى الى المتاحف ، ثم عادا بى الى الفندق ثانية، أما مصطفى عامر فقد اختفى عن ناظرى ، وانغمر فى زحام المدينة ...... ثم جاءت مكالمة أخرى من عامر ، وفاجأنى فيها يطلب العودة فورا من لندن لأحضراحتفالات عيد الثورة .. ولم أدر لماذا قال لى ذلك ، فأنا لا أحضر معه أى احتفالات رسمية .. ولكنه أصر على طلبه ، فرجوته إرجاء سفرى إلى ما بعد باكر ليعطينى الفرصة -ولو ليوم واحد- لأشترى بعض ما يلزمنى فوافق على ذلك بصعوبة ...... عدت الى مصر وجاء عامر الى المنزل أزالت ابتسامته غضبى لضياع رحلتى الى لندن سدى ثم برر إصراره على رجوعى بأنه يرغب فى وجودى قريبة منه أثناء احتفالات الثورة وانه يمكنه البقاء معى عدة ايام ، فلم يشأ أن تضيع هذه الفرصة .... رن جرس التليفون ، فرفع عامر السماعة ، وبعد أن سمع صوت المتكلم أعطانى السماعة وجدت المتكلم كامل حسن وزوجته ، وابديا الرغبة فى زيارتى الآن ولكنى اعتذرت لهم بأن الدكتور موجود فقررا الحضور صباحا ،وقبل أن أضع السماعة طلب منى كامل حسن إرسال السيارة لإحضاره لأنه لايملك ثمن بنزين سيارته .... وبعد أن وضعت السماعة قال لى عامر : أمازلت تثقين فى هؤلاء الناس .. إن أوضاعى وظروفى ليست عادية، ولم أجد ما أرد به فقد سبق السيف العزل .. وفى الصباح كنت أجهز نفسى للسفر الى كنج مريوط عندما حضرا لزيارتى ،

وعندما علما بسفرى ، استعدا هما أيضا للسفر معى ولم تفلح محاولاتى فى إرجاعهما عن عزمهما، فقد غلبنى كامل حسن ببكائه فقد كان سريع التأثر ، مضطرب الأعصاب ، وقال لى من بين دموعه : ليس لنا غيرك أنا فى حاجة الى التغيير وقد أصابنى الضعف فلم أجد بدا من اصطحابهما معى ، وسافرنا فى عربتين، فى الأولى أنا وأختى الصغيرة زهرة ويقودها متولى ...وفى الثانية محمد كامل حسن وزوجته سهير فخرى ، ويقودها عبد المنعم ابو زيد .. وفى نهاية الطريق الصحراوى ، لم ينحرف متولى فى الطريق الجانبى المؤدى الى كنج مريوط ، بل واصل سيرة الى الاسكندرية مباشرة فسألته : أين ؟ فأجاب ان المشير استأجر فيلا "بسان لوران" لتكونى سيادتك فى مكان قريب من المعمورة ، لأنه لا يحتمل مشقة الذهاب من المعمورة الى كنج .. وعندما وصلنا الى الفيلا ، أخذنى جمالها وفخامة طرازها ... كان القصر واسعا ، دهاليز وأبهاء ، حتى لقد أحسست اننا نتوه فيه وعثرنا على سرداب يقود الى البحر، ولأول مرة أرى حديقة فوق السطوح !! كان مزروعا بالنجيل - تراس كبير على البحر - وبه موائد للعب البنج بونج، ولا أنكر أنى وجدت فى غرابة تفاصيلها الداخلية ملهاه . فوق ان القصر كان يبدو مهملا وبدات زوجته فى اعداد الأماكن التى سنبيت فيها وتنظيفها ، بينما انصرف كامل حسن لأعداد العشاء واضطررت الى إرسال متولى لشراء عدد من المصابيح الكهربائية ، اذ كانت الفيلا خاليه منها تماما .. وقضينا يومنا فى الثرثرة والضحك ومشاهدة التليفزيون وكان متولى هو المسئول عن راحتنا وتلبية مطالبنا أما ابو المعاطى وعبد المنعم أبو زيد فقد اقاما عند البوابة للحراسة . وفى اليوم التالى كانت تنتظرنى مفاجأة ظريفة ، هى زيارة المشير ومعه شقيقة حسن عامر ووالداه أمين وطارق ، لقد سعدت معهما وسعدا معى ونشأت الألفة بينى وبينهما حتى انهما رفضا العودة مع والدهما ، ولولا أنه وعدهما بالرجوع بعد احضار البيجامات من المنزل ، ثم انصرفوا جميعا وفى اليوم التالى جاء عامر ومعه صلاح نصر وعباس رضوان ، وأثناء السهرة همس صلاح نصر فى أذنى بانه غير مطمئن لوجود هذا الرجل -يقصد محمد كامل حسن المحامى وزوجته - وكرر إعلانه هذا الرأى مرة أخرى أمام عامر ... وقد تحقق ظن وفراسة صلاح نصر أو بالأصح سوء ظنه ، فان ما طرا على كامل حسن من تغير ، فيما تلا ذلك من ايام وضعنا جميعا امام تجربة مزعجة للغاية حين تنتابه العلة ويفقد وعيه تماما وبدات حالته النفسية تنهار ، فأعلن انه يرى اشباحا وان هناك من يتجسس عليه من وراء النوافذ .. وذات يوم فيما نحن نيام صحوت مذعورة أنا وأختى التى كانت تشاركنى حجرتى على صراخ صادر من حجرة كامل حسن ، فأسرعنا إليها وهناك وجدنا كامل حسن جاثما على زوجته ويداه مطبقتان على عنقها بينما هو يصرخ قائلا : سوف

أقتلك سوف اقتلك، صرخت فيه: هل جننت .. ماذا تفعل ؟ ، فاستدار نحوى فرأيت عينيه زائغتين لا تركزان على شئ . اما زوجته كانت راقدة مذعورة ، وآثار أظافره على عنقها وكتفيها .. ظل كامل حسن ينظر الينا نظرات مذهولة ، وهو لا يقوى على الوقوف، جذبته من ذراعه فسار معى كالطفل ، حتى أجلسته على الأريكة فجلس يحكى متلعثما عن أناس يطاردونه وأناس ينظرون اليه من خلف الشبابيك فأخذت بيده الى التراس وقلت له : انظر بنفسك .. لا يوجد أحد غيرنا، ليس أمامك أحد وليس هناك غير البحر، ثم إننا فى الدور الثانى، قال مؤكدا: هم ينظرون من وراء النوافذ، قلت: وأين يقفون، هل يقفون على الماء ؟ ام فى الهواء كنت فى الواقع اشعر بالخوف منه فى تلك اللحظة على انه فجأة انفجر فى بكاء عنيف فاضطررت الى نهره : ايه الفضيحة اللى انت عملها لنا دى . قال مشيرا الى زوجته : هى التى تضايقنى، هى التى تغضبنى.. أعطنى الزجاجة لكى أرتاح وأنام " .... وفى الصباح جاء متولى ومعه طعام الإفطار وعندما سألنى اين سيضع ما معه قلت له على الفور :" دع كل هذا من يدك واتصل فورا بالمشير .. فالأمر بلغ حدا لا يمكن السكوت عليه . فسألنى عما حدث ؟ فأخبرته بما وقع وتدخلت زوجته فى الحديث قائلة انها لن تعيش معه بعد اليوم خوفا على حياتها واستشهدت بنا على اننا رأيناه يخنقها وهددت بالهرب والاختفاء فى مكان لا يعرفه أحد ...... وبالفعل حضر عامر ومعه صلاح نصر وفور وصوله طلب من متولى استدعاء طبيب ذكر اسمه له .. وانتظارا للطبيب لم يوجه لى عامر اى تأنيب فقط نظراته كانت تحمل عتابا مما جعلنى لا أقوى على مواجهتها .. وعندما حضر الطبيب وقام بفحص كامل حسن المحامى اكد انه ليس مصابا بهذه العلة فقط بل ايضا بمرض " البارانويا " وشرح لنا ان اعراض المرض ان المريض يتوهم رؤية اشخاص لا وجود لهم وسماع أصوات، وان المريض لا يدرك ذلك ولا بد من علاجه بالمستشفى، وكان عامر كريما كعادته فطلب من الدكتور أن يقوم بالاجراءات المناسبة مهما كانت التكلفة وحاول الطبيب إعطاءه بعض الحبوب ولكن كامل رفضها، وقال لنا الطبيب إن المريض بمثل هذا المرض لا يقتنع بالعلاج وتكون بداية الشفاء عندما يبدأ فى ادراك حالته المرضية ... أمر عامر متولى بأن يرسلهما مع عبد المنعم أبو زيد الى منزله بالقاهرة حتى تعلم أسرته بحالته ولا بد من موافقتهما قبل ادخاله المستشفى وقد وافقت الأسرة على علاجه .. ثم ذهب به عبد المنعم الى مستشفى بهمان ومعه تقرير الطبيب وتولى علاجه الدكتور "فتحى لوزة" ... ولم أر كامل وزوجته بعد ذلك وإن كان متولى يأتينى بأخباره، وذات يوم أبلغنى أن كامل حسن احتال عليهم فى المستشفى للخروج بحجة أنه يريد أن يرى أولاده، وفى الطريق ادعى انه يريد شراء علبة سجاير ، فأذن له الممرض الذى يرافقه

ثم فوجئ به عائدا بعد فترة وهو يسير ببطء وتثاقل ويتلعثم فى الكلام فقال له الممرض غاضبا : يا أستاذ .. خربت بيتى. هذه هى القصة التى باعها محمد كامل حسن المحامى لبعض الصحف العربية بعد مقتل المشير .. ولم يكن صادقا مع "الشارى " فقد أعطاه بضاعة المشترى مغشوشة... قصة ملفقة لم يراع فيها حرمة ميت ولا حرمة بيت رحب به وآواه وقبض ثمن بضاعته .. وإنى لأشعر بالحزن لأن بعض الصحف قبلت نشر هذه الأكاذيب .

قضيـــة الصيـرفى

جاءت والدتى يوما لزيارتى فى بيتنا بالهرم ، وعلى غير عادتها كانت متجهمة ، ولم تفلح محاولات المشير ، الذى كان يحبها ويحترمها ، من إخراجها من حالة العبوس التى هى فيها ، وأدهشنى أنا أيضا ما لاحظته عليها من خجل وتردد . .

وفى النهاية نظرت إلى عامر قائلة : تعرف أنى أحبك كواحد من أبنائى .. من أجل هذا أريد ان أحدثك فى موضوع محرج ..... رد عامر : ليس بيننا إحراج يا ماما .. قولى ما تشائين، قالت : لشدة غيرتى على سمعتك سأقول لك .. بشرط ألا تغضب .. فكل ما أريده هو مصلحتك، ......قال المشير : أعرف هذا يا ماما اعرفه .. ولكن أخبرينى بما يقلقك ، وسأعمل على راحتك، .... قالت والدتى بحزن : لم أكن اعرف يا ولدى انك تشارك الصيرفى فى تجارته ، إلا عندما أخبرتنى جارتى .. .. وهنا أطلق المشير العنان الى ضحكاته .. لطرافة القصة بالنسبة له ، ثم طلب منها ان تحكى له حكاية من أولها دون ان تتحرج من أى شئ .... قالت والدتى : ذهبت لزيارة إحدى جاراتى القدامى بحى السيدة زينب .. وهى الآن تعيش فى الدرب الأحمر وفى بيت له مشربية فجلسنا خلفها ننظر الى الطريق ، فرأينا عربة :" كاميون " كبيرة ، ملأى بالبضائع والصناديق ، وحولها عدد كبير من الناس ينقلون ما عليها الى داخل مخزن يقع امام بيت " أم نعناعة " جارتى .. وقالت لى – وهى لا تعرف انك زوج ابنتى – هذا مخزن المشير عبد الحكيم عامر .. يهربون البضاعة ويحضرونها هنا لتخزينها ، ثم يبيعوها .. فسألتها : هل جاءوا قبل ذلك ايضا ؟ ... قالت جارتى : منذ عدة شهور وهم على هذه الحال .. المشير بيتاجر ويستغل مركزة .. من يستطيع أن يقول له: تلت التلاتة كام !! ..... اعتدل عامر فى جلسته وسألها باهتمام :" هل معك العنوان..؟ ... قالت :" طبعا " .... وفى الحال امسك عامر بسماعة التليفون ، وطلب رقما ثم روى حكاية والدتى فى التليفون .. سمعته يقول : أريد مراقبة دقيقة .. وأن يضبط الجميع فى حالة تلبس .. كما أريد ان اعرف من يشارك الصيرفى ، وعليك بالتحرى و أريد النتيجة غدا . (وهذه الكلمة أخذت ووضعت كذباً فى موفق

آخر) أنهى عامر المكالمة ثم التفت إلىّ قائلا وهو يبتسم: ماما .. تأتى بأخبار لم تأت بها المباحث العامة .. وغدا سوف نعرف النتيجة ، وفى هذه الحالة سوف تكون لك المكافأة القانونية .... قالت والدتى : مكافأتى أن أكون سعيدة .. عندما يعلم أهل الدرب الأحمر انك برئ من هذا الموضوع ...... ضحك عامر قائلا : لا تصدقى أى سوء عنى يا ماما .. فأنا أخاف الله ... هذه القصة بدأت أمام عينى فى بيتى بالهرم، وبالفعل علمت بعمل كمين ، وضبط المتهمين وكانا الصيرفى وعبد المنعم أبو زيد ، ودهشت لهذا الذى ظننته معدما .. وكنت أمده بالعون بين حين وآخر ، يمكن أن يكون شريكا للصيرفى !! .... وبعد القبض عليهما بأسابيع ، جاءتنى سهير فخرى -زوجة حسن كامل - مذعورة وأخبرتنى أن عبد المنعم أبو زيد قبض عليه .... لم أكن أعرف ما بينهما من معرفة ، لذا حكيت لها ما حدث ، بداية من كلام والدتى حتى القبض عليهم متلبسين ، وقلت لها ان عبد المنعم أبو زيد كان يسرق الأوراق من مكتب المشير ، ويدون فيها طلبات على إنها من مكتب المشير ، باعتبارها من مستلزمات الاستراحات ، ثم يضعها بين الأوراق المقدمة لعلى شفيق فيوقع عليها وهو لا يدرى، وأنهيت كلامى لها بقول ...: نحن نعيش هنا كمصريين شرفاء .. بينما هو يسئ الى طهارة المشير وإلى سمعته، وانصرفت سهير ولم أرها بعد ذلك قط ..

وبـاءرغـم السيـاسـة

رأى الناس عبد الحكيم عامر، فى إطار السياسة والعسكرية، ولا أدرى القدر الذى أتيح لهم رؤيته فى إطار إنسانى، وهو من وجهة نظرى كان الاطار الحقيقى المتوافق مع طبيعته. ففى هذا الاطار يصبح الظاهر معبرا عن الباطن فى شخصية عبد الحكيم عامر ان الانسانية والوفاء للأصدقاء، والوقوف الى جانب الحق، كلها صفات كان عامر يقدمها على العمل السياسى اذا صادف فيه قسوة أو غدرا او ظلما ... ولم يكن القهر مقصورا على عامة الناس، بل انه اصاب حتى اعضاء مجلس قيادة الثورة .. وقد وقف عبد الحكيم عامر الى جانب الحق والصداقة بالنسبة الى زملائه الذين وقع بينهم وبين جمال عبد الناصر خلاف. واليكم عدد من المواقف الانسانية ..

صلاح سالم

عندما توفى المرحوم صلاح سالم رفض عبد الناصر ان يذهب ليعزى اسرته .. ورفض ايضا السير فى جنازته، لانه على حد قوله لا يمثل السلطة الآن .. فهو رجل مدنى عادى .. ثار المشير عامر على عبد الناصر وقال: إن هذا الرأى فى منتهى القسوة على زميل لنا فى الثورة .. وشريك لنا فى الكفاح، وقال له: إوعى ماتروحش الجنازة .. دى تبقى مصيبة .. والناس تلعنا .. الراجل مات .. عايز منه إيه تانى.

ورد عبد الناصر على عامر: أنا عاوزك انت كمان ما تروحش تمشى فى الجنازة !!! .... ولكن المشير رد: سأذهب .. وليس هذا فقط بل ساقف مع اسرته .. اتلقى العزاء طوال الليل حتى ولو على رقبتى، وهذه الكلمة أخذت ووضعت فى موقف آخر خطأ ..... وتركه

وذهب الى منزله بالحلمية ليغير ملابسه .. وهو غاضب على ما وصل إليه الرئيس .. دق جرس التليفون ، وكان المتحدث عبد الناصر وقال :" استنانى يا حكيم أنا جاى معاك. .... وفعلا ذهبا معا للعزاء وفى المأتم همس المشير فى أذن الرئيس : ايه رأيك بقى ؟ شوف فرحة ولاد صلاح بينا ، خففت من مصيبة موته ، وشوف وجودنا أسعد الأسرة قد أيه .؟! .... وقال عبد الناصر : عندك حق كنت ساندم لو ماجيتش .....ورفض الرئيس الذهاب الى الجنازة يعتبر تصرفا بسيطا بالنسبة لما كان يفعله مع أولاد صلاح سالم، فقد أراد ناصر ان ينكل باولاده فسحب منهم العربات ليرغمهم على ركوب الأتوبيس. وأوقف مخصصاتهم ، حتى يلهثوا وراء لقمة العيش .ولكن المشير وقف أمام جميع هذه الأوامر وأعاد اليهم جميع حقوقهم .. وكان يطمئن عليهم بنفسه ويشرف على تنفيذ مطالبهم .... وليس هذا أمرا عارضا من المشير عامر، ولكنها أخلاقياته مع الجميع فحين يغضب عبد الناصر على احد كان معنى ذلك ان الدنيا قد غضبت على هذا الشخص .. وكما قال لى عامر : ان هذه التصرفات قد تسبب كثيرا من الخلاف بينهما. وكان مما حكاه عامر لى .. فى أوائل الثورة عندما أحس ناصر أن جمال سالم يعارضه كثيرا .تخلص منه ولم يكفه ذلك بل اراد ان ينكل به ليكون عبرة لغيره من اعضاء مجلس الثورة، ولمن يريد أن يقف أمامه. فبعد أن جرده من كل مناصبه سحب كل مخصصاته ليكون بلا أجنحة فى الحياة ، حتى العربة التى كان يركبها سحبها منه .... وشكا جمال سالم للمشير الذى تدخل وأعاد له بعضاً منها، وبعد محاولات مع الرئيس ناصر وصلت الى حد المشاحنة ... وكان المشير عامر يزوره دائما ، خاصة أنه لازم الفراش مدة طويلة .. وكان يرسل له الأطباء ويعالجه فى المستشفيات العسكرية ، نظرا لظروفه المادية السيئة التى وضعه فيها عبد الناصر، وظل المشير يزوره حتى بعد الهزيمة وبعد التنحى عام ١٩٦٧ ...

على نجيب

ولم تلهه ظروف الهزيمة المشير عامر عن القيام بواجبه نحو صديقه وزميله عضو مجلس قيادة الثورة أيضا اللواء على نجيب .. وهو شقيق الرئيس السابق محمد نجيب .. فقد وقف المشير إلى جانبه حينما مرض ودخل المستشفى ، فى الوقت الذى كان محمد نجيب محدده إقامته والعداوة بينه وبين عبد الناصر ضارية ... والأمثلة كثيرة على أصالة المصرى عامر وإنسانيته ، وإحساسه بالغير .. فالناس لم تكن عنده أسماء على ورق - كما قالها عامر فى استقالته - كما كان يفعل عبد الناصر . فى بداية الثورة أقدم عبد الناصر على التخلص من عبد المنعم أمين لأنه اقدم منه ورغم دوره البارز فى الثورة فلم يشفع له ذلك .. وسلط

أجهزته للتشهير بزوجته الفاضلة وبه .ووجد عبد المنعم أمين نفسه قد جرد من كل مناصبه وسحبت منه العربة التى يركبها هو وعائلته .. وعلم المشير بذلك فأرسل له عربته المخصصة له من رئاسة الجمهورية .. ولم يكن لديه غيرها .. واعتبر عبد الناصر هذا التصرف تحديا له من المشير ولكن الأخير قال له : أرجوك اقبلنى كما انا فلن أتغير. ... وظل الاتصال بين اللواء عبد المنعم امين والمشير ولم تتغير علاقتهما .بل ان المشير أقنع عبد الناصر بزيارة عبد المنعم وكان هذا داعيا لباقى اعضاء مجلس قيادة الثورة لزيارته اقتداء بالرئيس وكان المشير يخبرنى احيانا بأنه سيتاخر فى العودة لأنه سيزور صديقه عبد المنعم، فاذا عاد بدا يحكى لى عن الزيارة وكيف ان صديقه إنسان مثقف ذكى وزوجته سيدة فاضلة ، وهما على مستوى عالٍ من الخلق وانه استمتع بالسهر عنده هو رجال وبعض الزملاء.

يوسف صديق

وعندما نكل جمال عبد الناصر بالمرحوم يوسف صديق ، وكان عضوا بارزا من أعضاء مجلس الثورة .. الأمر الذى أثر عليه – رحمه الله – فمرض وطلب أن يدخل مستشفى لعلاجه على نفقة الدولة .. ولكن عبد الناصر رفض .. رغم ان هذا متاح لأى ضابط صغير .

واتصل المرحوم يوسف صديق بعبد الحكيم عامر وشكا له، فأمر المشير على الفور بإدخاله المستشفى وعمل كل الترتيبات اللازمة بما يليق بعضو مجلس قيادة الثورة .. ووقف المشير إلى جواره رغم ضغط ناصر واتهامه لعامر بأنه يتحداه بهذه الأعمال .

أنور السادات

كانت بين عبد الحكيم عامر ، وأنور السادات مودة حميمة ، لم تفلح أعاصير السياسة فى اقتلاع جذورها .. ولم يفتر اهتمام المشير بصديقه أنور قط طوال فترة الجفاء بينه وبين عبد الناصر – وكانت كثيرة – وهناك مواقف لم يجد أنور من يجرؤ على مناصرته سوى عبد الحكيم عامر .. نذكر منها الآتى :

فى عام ١٩٦٣ أراد أنور السادات أن يقدم استقالته ، فذهب الى المشير ليطلب منه أن يقنع جمال عبد الناصر بقبول الاستقالة ، لأنه – أى السادات – يريد أن يعيش فى "ميت أبو الكوم" ... وطبعا لم تكن المشكلة فى تقديم الاستقالة ، وانما كانت خوف أنور السادات ، من أن يبطش به جمال عبد الناصر !! .... وقد قام المشير بهذه الوساطة فعلا ، بل ورشح أنور السادات لرئاسة مجلس الشعب فى العام التالى " على ما أذكر " ...... ومن الطريف أن أنور

السادات ، كان يملك فى أوائل الثورة ، عربة كاديلاك مستهلكة ، تقف به أحيانا فى الطريق وهو ذاهب لمجلس الشعب !! و لاتسير إلا " بالزق " ولم يرض عبد الحكيم عامر ، للصديق ورفيق الكفاح أنور السادات ذلك فأرسل له عربة " فيات ١٨٠٠- فرحمته من التعطيل و"الزق" ...... وإنى لأتذكر مرات عديدة ، كان عبد الحكيم عامر يتأخر خلالها ساعة او ساعتين عن موعد مجيئه ، وفى ذات يوم سألته عن سبب التأخير فقال لى : إن هذه الساعة قد أسعدت أسرة كاملة .. لقد كنت فى زيارة انور السادات ، وأنا إحرص على ذلك بين الحين والحين ، فأنت تعرفين انه فى ظروف صعبة .. .. وكان المشير فى هذه الظروف يكثر من زيارة صديقه ويداعب أطفاله ويحملهم على كتفيه، بل إنه كثيرا ما كان يصطحب معه انور السادات فى سفرياته خارج البلاد ، رغم اعتراض عبد الناصر على ذلك .. وكان عامر هو الذى رفع الروح المعنوية لأنور السادات وإشعاره بأنه يشارك فى الحكم ، كما شارك فى الثورة .... وهناك واقعة تجمع بين الطرافة والأسى ، وقد حدثت هذه الواقعة فى برج العرب ، تعهد فيها المشير عامر وأنور السادات – كل منهما الآخر – بأنه اذا مات أحدهما أو اغتيل فإن على الآخر أن يراعى اولاده ، وقرآ الفاتحة على ذلك ...

الفصل الخامس

حرب ٦٧ من وجهة النظر السياسية

حرب ٦٧ من وجهة النظر السياسية

لاشك أن هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ قد عصفت بنا جميعا ، وأثارت في نفوسنا الكثير من التساؤلات والمخاوف . ولاشك أيضا أن الهزيمة كانت نتيجة منطقية لمقدمات عديدة ، هي التي أدت في النهاية إلى هذه الهزيمة الدراماتيكية .

كان الجيش المصري يعانى من نقص واضح في الأسلحة والجنود على حد سواء ، إذ كانت ثلاث فرق ، تمثل ثلث الجيش تشارك في اليمن ، بالإضافة إلى تخفيض ميزانية الدفاع لعام ١٩٦٧/٦٦ .

لقد بدأت حرب اليمن كعملية محدودة النطاق للقوات المسلحة المصرية ، وكما قال الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لأحد الوفود الأجنبية "لم يكن في نيتنا أن نتدخل في اليمن. لقد أرسلنا سرية مشاة فقط ، ولكننا أجبرنا على تقوية هذه السرية بثلاث أو أربع فرق.

وكان نجاح المعارك في اليمن والنتائج العسكرية والسياسية الكبيرة التي حققتها القوات المسلحة المصرية وهى بعيدة عن قواعدها بما يزيد عن ثلاثة آلاف كيلومتر ، من العوامل التي أدت إلى زيادة الثقة بالنفس بالنسبة للأفراد والقيادات على كافة المستويات . أضف إلى ذلك تلكؤ السوفييت في إرسال احتياجات مصر من قطع الغيار والأسلحة جديدة ، وبالذات أجهزة الرادار الخاصة بالطيران المنخفض ، علاوة على الخبراء لتدريب الجيش على الأسلحة التي وصل بعضها .

وكلما ألحت مصر في طلب هذه المعدات ، والتي كان متفقا عليها بالفعل ، ألحّ السوفييت في طلب امتيازات ، خاصة إقامة قاعدة بحرية وتسهيلات لخدمة الأسطول الروسي ، وإقامة محطة للإنذار المبكر يديرها الروس على الأراضي المصرية.

وكان عبد الحكيم عامر والقادة الوطنيون يعارضون هذه المحاولات الروسية ، وقد

سمعت المشير يقول : لقد كافحنا طويلا للتخلص من الاستعمار البريطاني . فهل نقبل الآن استعمارا روسيا يأتي على أيدينا ؟!

ويجدر بي أن أشير إلى أن مصر كانت قد وضعت مشروعا في أوائل الستينيات يهدف إلى تصنيع السلاح محليا ، وقد بدأت في تنفيذه فعلا ، وأسندت مهمة الإشراف عليه إلى اللواء عصام خليل الذي نجح باتصالاته في استقطاب العلماء الألمان . وكان المشروع على وشك النجاح ، لولا أن الروس غضبوا وهددوا بأن الاستمرار في هذا المشروع يعنى الامتناع نهائيا عن تزويد مصر بالأسلحة . وخيرت مصر بين تسليح الجيش تسليحا روسيا كاملا ، أو الاستمرار في صناعة الأسلحة محليا . وهكذا وجدت مصر نفسها مضطرة للتخلى عن المشروع .

كذلك لقي برنامج الصواريخ المصرية "القاهر والظافر" نفس المصير ، ولكن بصورة أخرى . فقد تعقبت المخابرات الإسرائيلية العلماء الألمان الذين يعملون في هذا البرنامج ، وقتلت بعضهم ، وهددت الآخرين . لكن الروس مع ذلك أصروا على إلغاء المشروع .

ولقد جاء عام ١٩٦٧ حاملا معه الظروف والأحداث التي ساعدت على الإعداد لمؤامرة كبرى ، بدأت بوادرها في الشهور الأولى ، ثم أخذت تتطور وتتفاقم في المنطقة ناصبة الفخ لجمال عبد الناصر لكي يتورط في حرب شاملة مع إسرائيل .

كان الفدائيون الفلسطينيون يشددون هجماتهم من الجبهة السورية على إسرائيل ، بدعم وتشجيع من الحكومة السورية . ولم تقف إسرائيل مكتوفة الأيدي، بل شنت عددا من الغارات الانتقامية على مواقع الفدائيين . ولم يستطع عبد الناصر أن يفعل شيئا أكثر من التنديد بإسرائيل . وانتهز خصومه العرب الفرصة ليهاجموه هجوما عنيفا ، حيث إنه- على حد قولهم - يحارب إخوانه العرب في اليمن ، بينما لا يحرك ساكنا إزاء العدوان الإسرائيلي على الفلسطينيين ، محتميا وراء قوات الطوارئ الدولية .لايناصر إخوانة العرب إزاء العدوان الإسرائيلى. أما في إسرائيل ، فكانت حكومة ليفي أشكول تواجه متاعب وأزمات تثيرها الأجنحة المتطرفة التي كانت تطالب الحكومة الإسرائيلية بالقيام بعمل انتقامي موجه ضد سوريا ، ردا على هجمات حركة فتح ، مما دفع حكومة أشكول في إبريل ١٩٦٧ إلى الدفع بالطيران الإسرائيلي في معركة مع الطيران السوري ، أسفرت عن سقوط سبع طائرات سورية ، وعودة باقي الطائرات إلى دمشق تطاردها الطائرات الإسرائيلية .

ويبدو أن أشكول أراد أن يرد على العسكريين الإسرائيليين الذين كانوا يتهمونه باتباع

أسلوب الدبلوماسية ، بدلا من أسلوب الردع الذي كان يتبعه بن جوريون . وفى الوقت نفسه أراد أشكول أن يستعرض قوة إسرائيل أمام العرب ، وأن يبين لهم أن إسرائيل يمكنها أن تعتمد على حليفتها الولايات المتحدة وذلك بتحرك الأسطول السادس بالقرب من شواطئها على البحر المتوسط . وزاد من توتر الموقف قيام انقلاب عسكري في اليونان وإعلان حكومة يمينية دكتاتورية .

كان التغيير الذي وقع في اليونان يعتبر تطورا خطيرا في الموقف ، حيث سيترتب عليه انضمام اليونان إلى تركيا ليكونا بمثابة القاعدة الخلفية للمخطط الغربي في الشرق الأوسط ، بينما تقوم إسرائيل بالعمل كجبهة أمامية لخدمة هذا المخطط الذي يهدف إلى الضغط على سوريا وتحويلها نحو الغرب . وقد حصلت المخابرات العامة المصرية بعد ذلك بفترة وجيزة على وثيقة عن سياسة الولايات المتحدة في المنطقة ، وهى تهدف أساسا إلى عزل عبد الناصر والقضاء على النظم التقدمية الباقية ، وبصفة خاصة سوريا بحكم موقعها الإستراتيجي كمدخل من الشمال الى المشرق العربي والجزيرة العربية . هذا بالإضافة إلى وقف نفوذ عبد الناصر في اليمن الشمالي والجنوبي ومنطقة الخليج ، وتدعيم إيران لتكون بمثابة قوة تهدد العراق ، ودولة مانعة أمام أي زحف شيوعي محتمل (*).

هل كانت إسرائيل تهدف فعلا إلى غزو سوريا غزوا شاملا يحقق هدف الولايات المتحدة بضمها إلى فلكها ؟ أم كان هدفها هو القيام بعمليات ردع محدودة لقوات فتح؟ أم أنها كانت تريد شن حرب وقائية كما تدعى ؟ الواقع أن القيادة الإسرائيلية كانت مشغولة بهدف أكبر وأبعد من هذا كله ، ألا وهو ضرب مصر !

كان مايشغل حكام إسرائيل هو مدى تأثير ضرباتهم ضد سوريا على عبد الناصر ، وماهو رد فعله المحتمل إزاء هذه الضربات . وحتى يقع جمال عبد الناصر في الفخ ، كان مطلوبا أن يلقى إليه بطعم ما . . وجاء هذا الطعم عن طريق تسريب معلومات زائفة إلى السفارة السوفييتية في تل أبيب عن وجود حشود إسرائيلية على حدود سوريا ، على أمل أن

(*) - كان الرئيس عبد الناصر قد أعلن أمام الاتحاد الاشتراكي في ١٩٦٧/٥/٢٩ أن الغرب لايحترم الحقوق الإنسانية للشعب العربى كما أن الغرب ينكر حقوق الشعب الفلسطينى التى اغتصبها الصهاينة، كما انه علينا ان نحدد من هم أعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا. ان امريكا وبريطانيا هم اعداؤنا كما ن دول عدم الانحياز هم اصدقاؤنا وعلي رأسهم الأتحاد السوفييتي الذى يساندنا وفى ٣٠ مايو ١٩٦٧ عقدت اتفاقية دفاع مشترك بين مصر والأردن وان الشعوب العربية تقف موقفا موحداً ضد اسرائيل ومن ورائها أمريكا وبريطانيا، ومهما حدث من خلاف بين الدول العربية إلا انها معا يدً واحدة. منشورة بالملحق الوثائقى بالكتاب تحت رقم (١١) صفحة ٦٣٩

تصل إلى عبد الناصر بشكل غير مباشر لتوحي إليه بأن إسرائيل في سبيلها للقيام بعملية غزو شاملة لسوريا للقضاء على النظام القائم في دمشق . كما عمدت إسرائيل إلى إرسال إشارات بالشفرة كي تلتقطها وحدات الأسطول السوفييتي في البحر المتوسط .

كان هذا هو الطعم الذي ألقته إسرائيل ، وقد قام الروس بإرسال هذه المعلومات إلى عبدالناصر بالفعل . والسؤال الذي يطرح نفسه بالضرورة هو : هل وقع الروس أيضا في هذا الفخ وصدقوا هذه المعلومات؟ أم أن أجهزة المخابرات الروسية لم تكن بهذه السذاجة فقامت بتحليل هذه المعلومات واكتشفت لعبة إسرائيل ، ولكنها أخفت الحقيقة وشاركت في المؤامرة الدولية الكبرى لتحقيق أهداف خاصة ؟ الواقع أن موقف الروس خلال حرب يونيو يؤكد أنهم كانوا متواطئين في هذه المؤامرة ، أو على الأقل شاركوا فيها من بعيد .

وحينما أرسل الروس هذه المعلومات إلى جمال عبد الناصر لم يتردد في إعلان حالة الطوارئ العامة ، وتحريك بعض القوات إلى سيناء . وقام بتكليف الفريق محمد فوزي رئيس أركان القوات المسلحة بإرسال طلب إلى الجنرال "ريكى" قائد قوات الطوارئ الدولية لكي يطلب منه سحب "بعض" قوات الطوارئ الدولية كي تتمكن "بعض" القوات المصرية من احتلال مواقع معينة على حدود سيناء مع إسرائيل ، حتى تتجنب القوات الدولية أي خطر نتيجة للمواجهة بين القوات المصرية والإسرائيلية .

كان عبد الناصر لايزال متأثرا بالموقف الدولي أثناء حرب السويس ، وكان يعلن أن إسرائيل لايمكنها شن حرب على جبهتين بدون الاعتماد على قوة الغرب في تقديم غطاء جوى، كما حدث سنة ١٩٥٦ . وكان يعتقد أيضا أن الغرب لايمكن أن يفعل ذلك ، تحسبا لموقف الاتحاد السوفييتي الذي سيكون رد فعله مؤثرا على الموقف .

ولذلك أراد عبد الناصر أن يبين لإسرائيل أنه قادر على إحباط خططها ، وأن يظهر أن مصر مصممة على القتال إذا ما هوجمت سوريا ، وكان يأمل في حالة اشتراك الغرب والاتحاد السوفييتي في الموقف العسكري أن تنشأ أزمة دولية يحرص كلا الطرفين على تجنبها .

كما كان عبد الناصر يرى أن تحريك القوات المصرية إلى سيناء من شأنه أن ينهى الأزمة وتمر في سلام . وقد أعلن ذلك في اجتماع حضره في القيادة العامة بتاريخ الجمعة ٢ يونيو بعد إصدار الأمر بإغلاق المضايق حيث قال : "لو مرت الأيام الثلاثة التالية دون حرب . فإن الأزمة سوف تمر بسلام " .

ومن المهم في هذا السياق أن أذكر أن الفريق محمد فوزي قام برحلة إلى سوريا بتاريخ ١٥ مايو للوقوف على حقيقة الموقف ، واجتمع مع القادة العسكريين السوريين ، ولكنه لم يجد لديهم معلومات مؤكدة عن الحشود الإسرائيلية ، ولذلك طلب طائرة خاصة للقيام بجولة استطلاعية على الحدود السورية في هضبة الجولان ، لكنه لم يجد دليلا على وجود الحشود المزعومة . وكانت تقارير الاستطلاع للطيران السوري تؤكد عدم صحة هذه المعلومات ، بل إن المسئولين السوريين تساءلوا عن حقيقة الحشود الإسرائيلية ، ومن أين جاءت القاهرة بهذه التفاصيل التي تنشرها الصحف المصرية ، وكان جواب فوزي أن السوفييت يؤكدون وجود هذه الحشود ، وقد حذروا من وقوع غزو إسرائيلي على سوريا .

ومعنى ذلك أن الاتحاد السوفييتي هو الذي أسهم في توريط عبد الناصر في اتخاذ القرار بسحب قوات الطوارئ الدولية ، وماتبع ذلك من إغلاق مضايق تيران ، وتدهور الموقف في المنطقة ، واندلاع الحرب يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وقد مضت مصر في سبيلها إلى الحرب دون أن تستفيد من نتائج زيارة محمد فوزي لسوريا حيث تثبت بنفسه ومن السوريين أيضا من عدم وجود أية حشود ، ولكن إجراءات إعلان الطوارئ لم تنتظر عودة رئيس الأركان المصرى من سوريا ، ولكنها أعلنت وهو هناك(*) .

(*) - ٢٢ مايو - المصدر خطاب عبد الناصر في سلاح الطيران قال فيه ، إسرائيل تهدد بالهجوم بشكل مستفز ومن الصعب السكوت علي هذا الاستفزاز ، القاده الاسرائيليون اعلنوا عن اعمال عسكرية ضد سوريا واحتلال دمشق، وطرد الحكومة السورية، وفي نفس اليوم اعلن مكتب رئيس وزراء اسرائيل شكوك ان مصر لن تستطيع الدفاع عن سوريا لتورطها فى اليمن. وقد استطرد عبد الناصر فى خطابه ان مصر فعلا عندها مشاكل مع اليمن، ونحن موجودين في اليمن، والإسرائيليون يبدوا انهم يصدقون الاكاذيب التى تقال على مدي السنين وبالغوا في الاسباب التى نسبت في وجود مصر في اليمن، احنا عندنا الامكانيات لتحمل جميع مسئولياتنا في اليمن وواجبنا في اليمن، وفي نفس الوقت نحن قادرون علي الدفاع عن حدودنا ومهاجمة اسرائيل فى حالة اعتدائها علي اى بلد عربى، وتاكيد علي ذلك ارسل محمد فوزى الى سوريا ليطمئن السوريون في حالة اعتداء علي سوريا فمصر سوف تقود المعركة من اول دقيقة واى اعتداد بلد عرب اخر سوف يكون نفس الشيء (المصادر - ملفات وزارة الخارجية الامريكية بالاضافة إلى جريدة النيويورك تايمز فى مايو /٦٧ ٢٦ وايضا مصدر ثالث في مايو ٦٧/١٣ نيويورك تايمز.

وفى مايو ٦٧/١٦ طلبنا انسحاب قوات الطوارئ الدولية وكان هذا بموجب خطاب من الجنرال محمود فوزى وطلبنا الانسحاب الكامل لقوات الطوارئ الدولية، وبلدان كثيرة عاوضت هذا الانسحاب بما فيهم امريكا وانجلترا وكندا، وشعرنا بأن هذه المحاولات لاتخدم إلا الامبريالية، وقد دخلت هذه القوات بموافقتنا، واستمرارهم سوف لن يكون الا بموافقتنا الاعلام الغربي يتكلمون عن السلام، ولم يتكلم احد طموح شاريت (رئيس وزراد اسرائيل) باحتلال دمشق وطرد حكومتها. الوثيقة رقم (١٢) بالكتاب صفحة ٦٤١

المؤامرة الدوليـة

كان هناك بعد خفي في المؤامرة الدوليـة ضد مصر. ذلك أن رسالة الفريق فوزي إلى الجنرال "ريكي" نصت على الانسحاب الجزئي من مواقع معينة، ليس من بينها المناطق الحساسة مثل قطاع غزّة ومنطقة شرم الشيخ. وكانت القيادتان السياسية والعسكرية تدرك تماما خطورة إغلاق مضايق تيران، وهو الإجراء الذي من شأنه يؤدى إلى رد فعل انتقامي من جانب إسرائيل. لكن مايدعو حقيقة إلى الريبة هو موقف "يوثانت" سكرتير عام الأمم المتحدة في ذلك الوقت الذي أبلغ مندوب مصر في المنظمة الدولية بأن سحب "بعض" قوات الطوارئ الدولية أمر غير عملي، ويتناقض مع قرارات الجمعية العامة التي أنشئت قوات الطوارئ بموجبها، وأنه بالتالي يعتبر طلب الفريق فوزي بمثابة طلب لانسحاب كلي لقوات الطوارئ من غزّة وسيناء.

كان أمام عبد الناصر أحد خيارين : إما أن يتراجع عن طلب سحب قوات الطوارئ، ومن ثم يناقض نفسه ويتعرض لهجوم أكثر شراسة من القوى المضادة، وإما أن يخاطر بسحب هذه القوات، ويضع مكانها قواتا مصرية، ومن ثم يزيد من احتمالات الصدام المسلح مع إسرائيل. وقد قرر عبد الناصر اختيار الحل الثاني.

في هذه الأثناء كان موقف الولايات المتحدة متناقضا. فبينما كانت تلوّح باستخدام القوة، كانت تطالب الأطراف المتنازعة بضبط النفس. وقد لخص "ليندون جونسون" الموقف في رسالة موجهة إلى الرئيس جمال عبد الناصر جاء فيها أن "هناك ثلاثة وجوه تسبب قلقا خاصا للولايات المتحدة هي بالتحديد : أعمال الإرهاب المستمرة التي تواجه إسرائيل بموافقة سوريا، وأن الانسحاب السريع لقوات الطوارئ الدولية من شأنه جعل مشكلة المحافظة على

السلام على طول الحدود المصرية الإسرائيلية أكثر صعوبة ، وأن حكومة الولايات المتحدة تعتقد أنه من الضروري بصفة خاصة أن يتوقف الاتجاه لتعبئة القوات على الجانبين . وبناء عليه فان حكومة الجمهورية العربية المتحدة والحكومات العربية الأخرى تستطيع أن تتأكد عن يقين ، وأن تعتمد على أن حكومة الولايات المتحدة تعارض معارضة صادقة أي عدوان في المنطقة من أي نوع سواء كان سافرا أو خفيا ، وسواء قامت به القوات المسلحة النظامية أو قوات غير نظامية .

وقد رد الرئيس جمال عبد الناصر برسالة مطولة شرح فيها الموقف المصري ، وخلص إلى أن مصر سوف ترحب بالاستماع إلى مستر هربرت همفرى نائب الرئيس الأمريكي في أي وقت يرى فيه زيارة الجمهورية العربية المتحدة لإعطائه صورة الموقف وسط الأحداث المصيرية التي تعيشها الأمة العربية ، كما أن مصر على استعداد لإيفاد السيد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة في الحال إلى واشنطن للاجتماع بالرئيس الأمريكي وشرح وجهة النظر المصرية .

هذا من ناحية واشنطن . ولكن ماهو موقف السوفييت ؟ وهل استشارهم الرئيس عبد الناصر قبل إغلاق خليج العقبة ؟ . من المؤكد أن عبد الناصر لم يستشر السوفييت وأن موسكو فوجئت بقرار عبد الناصر ، بينما هي لاتريد الصدام مع الولايات المتحدة . وفى يوم ٢٧ مايو قرر عبد الناصر إيفاد شمس بدران وزير الحربية في ذلك الحين حاملا رسالة خاصة إلى الزعماء السوفييت يبلغهم بالتحركات العسكرية المصرية ، وكان مضمون الرسالة مفاجأة للزعماء السوفييت . وقد علق "كوسيجين" بأن "هذه مسألة خطيرة وسوف تؤدى إلى الحرب ، ونحن هنا في الاتحاد السوفييتي نسعى نحو السلام ، وعلى مصر أن تتريث فيما تتخذه من إجراءات" . ولم يتضمن محضر المباحثات المصرية السوفييتية أي وعد بالانضمام إلى جانب مصر في حالة نشوب الحرب .

وهناك واقعة أخرى ذات دلالة ، وهى أن "سيمنوف" نائب وزير الخارجية السوفييتي دعا أحمد حسن الفقي نائب وزير الخارجية المصري على العشاء بمنزله، وقال له أثناء الحديث : " إنني مكلف من مجلس السوفييت الأعلى أن أبلغك أن تنصح الرئيس عبد الناصر بعدم إغلاق خليج العقبة لما ينطوي عليه هذا الإجراء من مخاطر " . وقد أرسل الفقي تقريرا عن هذا اللقاء من موسكو إلى كل من الرئيس عبد الناصر والى محمود رياض وزير الخارجية ، وهو يحذر من التورط في الحرب ، ولاينوه من قريب أو بعيد عن أية وعود من جانب السوفييت.

من أين إذن جاءت الأخبار التي قالت أن السوفييت سيقفون معنا في الحرب ؟! لقد قال شمس بدران أن "جريتشكو" وزير الدفاع السوفييتي انتحى به جانبا أثناء توديعه بالمطار وأبلغه أنهم سيقفون إلى جانب مصر في حالة نشوب حرب شاملة مع إسرائيل . كان ذلك في الواقع ترجمة غير صحيحة لما قاله الزعماء السوفييت من أن موسكو لن تقف مكتوفة الأيدي إذا ما تورطت الولايات المتحدة في الحرب ، بالإضافة إلى أن عبد الناصر ، كما أوضحت ، كان لايزال يعيش في مناخ ١٩٥٦ ، وهو أن إسرائيل لايمكن أن تحارب وحدها ، وأنه باستطاعته السيطرة على الموقف دون الدخول في حرب فعلية . كان عبد الناصر يظن أن إغلاق خليج العقبة سوف يكسبه الجولة السياسية التي تمكنه من خلق موقف دولي لمناقشة كل المسائل المتعلقة بالصراع العربي الإسرائيلي(*) .

❂ ❂ ❂

(*) - ١٩ مايو سنة ١٩٦٧ تقرير سكرتير عام الأمم المتحدة (خطورة الموقف فى الشرق الأوسط) جنرال (تانت) ٧٨٩٦ س ...
التقرير يتحدث عن خطورة الموقف فى الشرق الأوسط مع اسرائيل واسبابها من وجهة النظر الاميريكية ثم يسترسل الي البند رقم ٩ ويقول قرانا تقرير ان اسرائيل دخلت بأعداد كبيرة من الجيش علي حدود سوريا لكن نحن وشهودنا المتمركزين هناك لم يروا اى حشود اكثر من العادى. ثم فى بند ١٨ يتكلم عن ان الجمهورية العربية طلبت سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء وقد علمنا انه يوجد عدد كبير من الجيش المصرى وايضا من الجيش الاسرائيلى علي حدود مصر واسرائيل .
الوثيقة رقم (١٣) بالكتاب صفحة ٦٤٥

تعديلات الخطط

بعد حرب٥٦ شكلت لجنة عسكرية على مستوى عالٍ لدراسة النتائج العسكرية للحرب ، والخروج بالدروس المستفاده منها ؛ وبدأت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية تعمل وتخطط حتى تكون القوات المسلحة قوة لا تؤخذ على غرة ولاتفاجأ ، وفى عام ١٩٦٦ اعدت خطة اخرى وبدأ في دراستها والتدريب عليها ؛

كانت الخطة الاخيرة لاتختلف عن الخطط السابقة اختلافا جوهريا وانحصر الاختلاف في ان تكلف الفرقة السادسة باعمال تعرضية هجومية محدودة كى تمكن القيادة الشرقية من القيام بضربة مفاجئة للعدو بغرض عزل منطقة النقب الجنوبى وإيلات وكان لهذه الفرقة واجب في الخطة السابقة ، ولذا حلت مكانها الفرقة الثالثة ، فالخطة الجديدة إذن مفاجئة الى الخطط السابقة فرقة للقيام بقطع النقب الجنوبى ، اما باقى التشكيلات والوحدات فلم يتغير واجبها ، كما لم يتغير واجب الوحدات التي كانت مرابطة في مواقعها الأصلية والتى كانت تحتلها منذ اكثر من عام، ولكن كل هذه الخطط عدلت وظهرت خطة جديدة في مايو ١٩٦٧ ،وقبل بدء المعركة بحوالى عشرة ايام ، ومن البديهى أن توزيع مثل هذه الخطة في هذا الوقت لايهيئ فرصة لاستيعابها ، مع أنه يمكننا أن نقول أن جميع الخطط السابقة تتشابه في الاطار العام ، وتختلف في حجم القوات.

ففى يوم٢٤مايو، أصدر الفريق صلاح محسن قائد المنطقة الشرقية أوامره في مركز رئاسته بأن تكون القوات مستعدة لتنفيذ أية تعليمات تصدر اليها من يوم ٢٥ الى يوم ٢٨ ، وهى المهلة التي تركت للقوات المسلحة كى تأخذ أوضاعها العسكري ، وأن تعبر الوحدات المصرية الحدود المصرية-الإسرائيلية في الساعة السادسة صباح يوم ٢٩مايو وكان على هذه الوحدات ان تستمر خلال ٢٠مايو في تصفية المستعمرات الإسرائيلية.

كان مجمل هذه الخطة يتلخص فيمايلى :

اولا: تقوم قيادة المنطقة الشرقية بتوجيه ضربة مفاجئة للعدو بغرض عزل منطقة النقب الجنوبى وايلات في اتجاه الكونتيلا- رأس النقب-مضيق إيلات بواسطة الفرقة السادسة الميكانيكية .

ثانيا: يتم تثبيت العدو فى منطقة العوجة بدوريات تجاه أهدافه الجنوبية بواسطة الفرقة الثانية .

ثالثا: تقوم القوات الخاصة بقطع خطوط المواصلات للعدو الذى يحاول مهاجمة غزة، كما تقوم قوات الصاعقة بتأمين مضيق ايلات وجبل كريكر، ثم تدمير الأهداف الحيوية بالمنطقة.

رابعا: تخصص القوات الجوية المجهود الجوى لهذه العملية بواسطة تسع طلعات سرب قاذف مقاتل ، وطلعة سرب قاذف خفيف، وطلعة سرب قاذف ثقيل ، اما الاحتياطى يتضمن طلعة سرب مقاتل وسرب ثقيل هذا فضلا عن عمل مظلة جوية أثناء المعركة .

وقد تم التصديق على هذه الخطة من القيادة العامة للقوات المسلحة ، ولكن هذه تغيرت يوم ٢١ مايو بخطة أخرى اوقفت العمليات التعرضية تماما، وكان على التشكيلات ان تتخذ اوضاعا دفاعيا فقط : وتطلب هذا التشكيل الدفاعى الجديد زيادة حجم القوات عما في الخطط السابقة ، ونتج عن ذلك دفع بعض القوات في بعض المناطق، وترك مناطق اخرى بلاقوات، كما نقص احتياطى المنطقة الشرقية، وقد ادى هذا الى تعبئة لواءات من الاحتياط لتكملة مناطق دفاعية اساسية كان هناك عامل سياسى وراء تعديل هذه الخطة ، ذلك ان عبد الناصر وجد ان قطاع غزة لوسقط ، فان لذلك تأثيراً دعائياً سيئاً للغاية لدى الأوساط الدولية والعربية ، ولذا اصدر توجيهاته بتعزيز، رفح بالفرقة السابعة ولواء مدرع ، علما بأن لواءات الفرقة السابقة كانت تعد افضل تشكيلات الوحدات البرية إعدادا وتدريبا .

كانت توجيهات عبد الناصر تتلخص في الآتى :

اولا :- أنه بصفته القائد الأعلى للقوات المسلحة يتوقع الاتزيد نوايا العدو عن قطع قطاع غزة- القطاع الفلسطينى - كى تساوم عليه بعد قيامها بالدعاية لدى الهيئات الدولية .

ثانيا :- ينبغي الاهتمام بقطاع غزة والدفاع عن رفح بالذات .

ثالثا:- اتخاذ موقف الدفاع ووقف العمليات التعرضية .

وعدلت الخطة نتيجة لهذه التوجيهات لتصبح كالآتى :

١- تقوم الفرقة السادسة ولواء مدرع بالدفاع عن منطقة الكونتلا- نخل.

٢- تقوم الفرقة بالدفاع عن منطقة القسيمة-أم قطف- العريش .

٣- يوكل إلى الفرقة الثالثة مهمة الدفاع عن النطاق الثانى .

٤- تدافع الفرقة السابعة مضافا إليها لواء مدرع عن رفح .

٥- تقوم القوات الفلسطينية للدفاع عن القطاع الفلسطيني مع تدعيمها بأسلحة وأطقم.

٦- تقوم القوات الخاصة بعمل ستارة أمام الجيش الأول بين الكونتلا والقسيمة .

٧- تعمل الفرقة الرابعة المدرعة كاحتياطي للقيادة العليا بمنطقة بيرتمادة .

تحليلات حول قرار الضربة الأولى:

ثار جدل عنيف في مسألة من يقوم بالضربة الأولى ، فمن النظرة الموضوعية وبعيدا عن استدراج ناصر الى الفخ، نلاحظ ان إسرائيل لم يكن امامها الا ان توجه ضربتها الأولى الى الأراضى العربية فبحكم موقعها في قلب الامة العربية لاتحتمل حرباً دفاعية والدعاية العربية كانت تردد الإصرار على تدمير إسرائيل والقائها في البحر واغلاق المضائق كان يمثل خنقاً لإسرائيل، وفى نفس الوقت لاتستطيع ان تشن حرباً على ثلاث دول عربية تملك قوات برية كبيرة ومواقع استراتيجية مهمة، فكان لابد على إسرائيل ان توجه الضربة الأولى لتحصل على السيطرة الجوية في منطقة العمليات، والسؤال: هل الضربة الأولى قرار عسكرى ام سياسى ومن المسئول عن اصدار القرار؟وهل ادخل في حسابه الخسائر التي قد تتعرض لها القوات المسلحة نتيجة عنصر المفاجأة وتلقيها الضربة الأولى، وكما يقول العسكريون ويتفقون جميعا ان اى قوة جوية في العالم معرضة لهجوم جوى مدمر وبخاصة اذا كانت الاطراف قريبة من بعضها مثل الدول العربية وإسرائيل، ويتفق العسكريون في بلاد العالم ان من يقوم بالضربة الناجحة في مثل هذا الموقف يسبب لخصمه خسائر كبيرة قد تعجز قدرته على توجيه قوة الردع في الضربة الثانية إلا إذا تدخلت في المعركة عوامل طبيعية أو مادية .

كان قرار الانتظار لتلقى الضربة الأولى قرارًا سياسيًا بحتًا اتخذته القيادة السياسية في حدود صلاحيتها ومسئوليتها : والمعروف لأكثر العسكريين والسياسيين أن عبد الناصر لم يكن

جاداً في دخول الحرب رغم الدعاية الإعلامية الصاخبة وقد أحس أنه تورط في موقف صعب وكان أمله ان تمر الأزمة بسلام فضلا، عن أنه كان يؤمن بأن الاتحاد السوفيتى سوف يتدخل فورا في حالة تدخل الولايات المتحدة وانه سيعوضه عن أى خسائر في الأسلحة .

كان عبد الناصر يخشى من تدخل الغرب بجانب إسرائيل لو بدأ بالضربة الأولى، وقد أخفق عبد الناصر في تقديره لمدى استجابة إسرائيل لقراراته الخاصة بإعلان إغلاق خليج العقبة بالرغم من تحذير المخابرات لهم مرارا، ذلك لأن عبد الناصر كان غير جاد في دخول الحرب. وعلى الرغم من أن الصورة كانت واضحة أمامه منذ نشوب الأزمة بسحب قوات الطوارئ الدولية وحشد القوات في سيناء، فقد كان لايزال يعيش في مناخ ١٩٥٦، وأيضا يرسخ في ذهنه سلوك إسرائيل في العشر سنوات السابقة لحرب يونيو ١٩٦٧ .

ففى المؤتمر الذى عقده عبد الناصر مع ضباط القوات الجوية في قاعدة ابوصوير في٢٢مايو سنة ١٩٦٧، والذى حضره كل من المشير عبد الحكيم عامر والفريق صدقى محمود قائد القوات الجوية ، أبدى عبد الناصر تخوفه من الولايات المتحدة قائلا":

"إننا لو بدأنا الحرب فان هذا سيكون مبررا للولايات المتحدة كى تقف بجانب إسرائيل ، ونحن لسنا مستعدين لمحاربة الولايات المتحدة " .

وشرح عبد الناصر مسلك إسرائيل فقال: إن إسرائيل لن تجرؤ على الدخول في حرب شاملة دون ان تعتمد على قوى كبرى أخرى كما حدث فى حرب السويس١٩٥٦، وانه ليس أمامها الآن مبرر كى توجه لنا ضربتها الأولى وذكر للضباط قائلا " ان مصر حركت قواتها١٩٦٠ الى سيناء بعد الاشتباكات السورية- الإسرائيلية ولم تدخل إسرائيل حربا شاملة، وقام الفدائيون الفلسطينيون بتصعيد هجماتهم على إسرائيل ولم تحارب إسرائيل : ولقد حشدنا قواتنا الآن في سيناء، ولم تجرؤ إسرائيل على الحرب" .

لقد نسى عبد الناصر أن الموقف قد تغير في إسرائيل وان إسرائيل كانت تستعد لهذه الحرب منذ عشر سنوات: ودارت مناقشات بين عبد الناصر وبعض ضباط الطيران الذين كانوا يحبذون مبدأ قيام مصر بالمبادرة بالضربة الأولى ، وقالوا إن انتظار مصر لمبادرة إسرائيل سوف يجعل قوة الطيران المصرى تحت رحمة قوة الطيران الإسرائيلى الذى تتيح له الظروف القائمة بتوجيه ضربة مفاجئة مدمرة . طالت المناقشة وحسمها عبد الناصر بقوله :-

"لو بدت بوادر الحرب فان القوات الجوية المصرية ستتاح لها فرصة توجيه الضربة الأولى إلى السلاح الجوى الاسرئيلى" .. وقد تم تسجيل مناقشات هذا المؤتمر على شريط

تسجيل من عدة نسخ ، ولكن عبد الناصر أمر سامى شرف بعد الهزيمة بإعدامها .وتطورت الأحداث وتأكد نشوب الحرب بعد قرار عبد الناصر الخطير " بإغلاق الخليج "، وتشكيل الوزارة القومية في إسرائيل، وفى يوم ٢يونيو كان أمام عبد الناصر والقيادة السياسية صورة واضحة عن قيام إسرائيل بهجوم مفاجئ في مدى اثنتين وسبعين ساعة. عقد عبد الناصر مؤتمرافى القيادة العامة ، حضره كل من المشير عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، والفريق اول محمد صدقى محمود قائد القوات الجوية، والفريق محمد فوزى رئيس اركان القوات المسلحة، والفريق انور القاضى رئيس هيئة العمليات ،واللواء محمد صادق مدير المخابرات الحربية ، وأعضاء مكتب المشير عامر : وفى هذا المؤتمر دارت مناقشات حول الموقف العام ، وعن الضربة الأولى ، وتضمن النقاش عنصرين أساسيين:

العنصر الأول : هل ستقوم إسرائيل بالضربة الأولى ؟ واذا قامت فما التدابير التي ينبغي اتخاذها لتفادى هذه الضربة ؟ هل من الأفضل ان تقوم مصر ببدء العمليات ؟ ام تنتظر بدء إسرائيل بالعمليات .

العنصر الثانى : في حالة قيام إسرائيل بالضربة الأولى هل ستكون وحدها ؟ ام ستساندها الولايات المتحدة بأشكال مختلفة ؟ وما موقف الاتحاد السوفيتى في هذه الحالة ؟

وناقش الطيارون مدى الأضرار الفادحة التي تصيب قواتنا لو تركت المبادرة لإسرائيل.وعارض صدقى محمود قائد الطيران ترك مبادرة الضربة الأولى لإسرائيل، وبين أنها ستشل قواتها، وبخاصة ان الطائرات المصرية اصبحت مكدسة بعد إعلان التعبئة لقلة المطارات،بما يتطلب اتخاذ احتياطات تكفل على الاقل اعادة توزيع الطائرات حتى لايصاب سلاح الطيران بالشلل . وكان رأى عبد الناصر لو جرى اى تعديل لأوضاع الطائرات، فإن إسرائيل ستتبين أن مصر ليست جادة في التعبئة، وقد تستغل الفرصة للمبادرة في الهجوم.

كان عبد الناصر مقتنعاً ان إسرائيل لن تجرؤ وحدها على البدء بالضربة الأولى دون مساندة قوى كبرى فإذا ما شاركت احدى هذه القوى في الحرب فإن الاتحاد السوفيتى سوف يتدخل بجانب مصر . وعلى ضوء هذا التبرير قرر عبد الناصر الترتيب في انتظار الضربة الأولى مع ابقاء حالة الاستعداد في أقصى درجاتها، كان ناصر يؤمن ان الضربة الأولى التي ستقوم بها إسرائيل سوف تحرك الرأى العام الدولى ، ولكن دعاية إسرائيل المضاده جعلت إسرائيل تقنع الرأى العام بأننا المعتدون .

على أنه وقع قبل الضربة الأولى حدثان مؤثران يتعلقان بالإنذار المبكر عن هذه الضربة :

كانت الفرصة سانحة للاستفادة منهما، ولكن ذلك لم يحدث ولو وصل الانذار في وقت مبكر لأمكن تفادى كثيرا من الكارثة التي حلت بالطيران ... كانت شبكة الرادار الأردنية ترصد الطائرات الإسرائيلية بعد قيامها من قواعدها .. وفى صباح ٥يونيو ابلغت هذه الشبكة اللواء المصرى عبد المنعم رياض في مركز قيادته بالأردن عن تحليق أعداد كبيرة من الطائرات الإسرائيلية في اتجاه سيناء والبحر المتوسط، وامر عبد المنعم رياض بارسال اشارة لاسلكية عن طريق جهاز لاسلكى مصرى كان انشئ في قرية عجلون الاردنية للاتصال بكل من القيادة العامة للقوات المسلحة بالقاهرة وبغرفة عمليات الدفاع الجوى.. وقد تم إرسال هذه الاشارة حوالى الساعة الثامنة صباحا. واهمل عامل اللاسلكى المصرى الإشارة ، ولم تصل للقيادة ولاغرفة العمليات الاظهر هذا اليوم.. هذا فضلا عن ان شفرة الاتصال بين القيادة العامة وقيادة عبد المنعم رياض تم تغييرها ليلة ٥يونيو، ولم تخطر غرفة عمليات الدفاع الجوى بذلك، أما الحدث الثانى فيتعلق بإشارة لاسلكية قامت بارسالها مخابرات الميدان الى قيادة الجبهة المصرية تنذرها في الساعة السادسة صباحا- اى قبل هجوم الطيران الإسرائيلى بثلاث ساعات - ان المدرعات الإسرائيلية قد اقتحمت عند ام بسيس الأراضى المصرية، واخترقت خط الهدنة فعلا وتوغلت ما يقرب من اثنى عشر كيلو متراً في الأراضى المصرية .

كيف دارت العمليات ؟

كان يوم ٥يونيو يوماً حزيناً ففى صباحه وفى الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة تماماً وجهت إسرائيل ضربتها القاضية الى الطيران المصرى، والواقع ان إسرائيل لم تحدد هذا الموعد بناءً على عامل فنى او دراسات استراتيجية فالدافع وراء الاختيار كان أعمق من ذلك بكثير. لقد ثبت لدى إسرائيل علم تام بموعد سفر المشير عامر الى الجبهه صباح٥يونيو، كان الاسرائيليون يهدفون من ذلك ضرب الطائرات التي تقل القائد العام للقوات المسلحة مع طاقم اركان حرب، وليس غريباً ان يعرفوا ذلك ، فالضباط في القيادات العسكرية كانوا يتخاطبون تليفونيا في اليوم السابق دون قصد او عن جهل ، وكان من السهل على إسرائيل أن تعرف الموعد بواسطة أجهزة الالتقاط والاستماع. وكان انعدام سرية الاتصالات بين القيادات المختلفة له اثرعلى سير الحرب بعد ذلك. فقد استطاع العدو أن يلتقط الاشارات التي كانت تصدر من التشكيلات، ويقوم بتحوير خطته بما يتمشى مع الموقف من حيث ان اى شفرة مهما كانت يمكن حلها وفقط تحتاج الى وقت.

وفي موجات متلاحقة وعلى امتداد ثلاث ساعات كان الطيران الاسرئيلي قد ترك قواتنا الجوية مدمرة، ورغم ذلك لايستطيع أحد أن ينكر ما قامت به القوات الجوية من جهود فقد جمعت أشلاءها، واستطاعت بخمسين طائرة وبحماس شديد من الطيارين المصريين ان تقوم بهجمات على أهداف العدو في سيناء .ولكن العدو كان يتمتع بالسيادة الجوية - كما توقع الطيارون المصريون في لقائهم٢يونيو مع ناصر- لذلك ضاعت فعالية الجهودالمضنية التي قام بها الطيارون المصريون... هذا بالنسبة للقوات الجوية، لم يختلف الموقف للقوات البرية كثيرا فقد بدأ هجوم القوات البريه المصرية في نفس الوقت"حسب تقرير المخابرات العامة" ورغم وصول اشارة من المخابرات الميدانية الى الجبهه تنذرها بان العدو فتح تشكيلاته من"بيرين" حتى "ام بسيس " في الأراضي المصرية، فلم تتخذ قيادة الجبهة من إجراءات ما يكفل سلامة قواتها، فاستطاعت القوات البرية الإسرائيلية أن توجه ضربتها تجاه الغرب، وتقدمت على ثلاث محاور وواجهتهاالقوات المصرية بعزم واصرار رغم انعدام الغطاء الجوى لها، أو توفر موانع طبيعية. في الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تملك السيادة الجوية، تقدمت إحدى الفرق الإسرائيلية بقيادة الجنرال "تال" على المحور الثاني ثم انشطرت الى قسمين: اذا قام لواء من هذه الفرقة بتطويق الفرقة السابعة المصرية ثم هاجمها، بينما قام لواء آخر بسد مخارج قطاع غزة ثم تحرك شرقا لتدمير جيش التحرير الفلسطيني. ولم يأت المساء حتى كانت قوات الجنرال "تال" قد تقدمت على الطريق الساحلي حتى وصلت الى مشارف مطار العريش ثم استولت على المطار ،وبذلك استطاعت هذه القوات ان تحصل على قاعدة امداد جوية قيمة، وأخذت طائرات الامداد الاسرائيلية تهبط على ممرات مطار العريش.اما في الجنوب فقد تحركت فرقة إسرائيلية اخرى بقيادة الجنرال "شارون" ووجهت ضربتها في اتجاه بير ابوعويقلة.وفي مساء الليلة الأولى دارت أقصى المعارك بين القوات الاسرائيلية والقوات المصرية التي قاتلت بعزم وإصرار،بالرغم من انعدام الغطاء الجوى او توافر موانع طبيعية، في الوقت التي كانت إسرائيل تمتلك فيه السيادة الجوية: وانتهت المعركة في هذا اليوم بشل القوات المصرية وتدمير عتادها .وفي اليوم التالي استطاعت احدى الفرق الإسرائيلية تطويق مؤخرة القوات المصرية،وتقدمت القوات الإسرائيلية على اربعة محاور. وقعت الكارثة ولم يكن امام القيادة العسكرية إلا الإنسحاب الى خط دفاعي متوسط، ولكن الضربات المتلاحقة التي وجهت الى قواتنا البرية زادت الموقف سوءا .في خضم هذه الفوضى أصدرت القيادة السياسية أوامرها الى القيادة العسكرية بالانسحاب التام .

في هذا اليوم حدثت مشادة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر حول الانسحاب، كان

من رأى عامر الاستمرار في القتال، وطلب معونة جوية من السوفييت، ولكن عبد الناصر رفض هذا الاقتراح ،بل أنكر حدوث ذلك فيما بعد، فتحول انسحاب القوات المصرية ومطاردة إسرائيل لها أشبه بسباق غير منظم نحو قناة السويس.واستطاعت القوات الإسرائيلية ان تسبق القوات المصرية وتحتل ممر"متلا" الذى كانت مئات السيارات والعربات المصرية قد سدته. وحينما انتهت المعركة كانت مصر قد فقدت أغلب معدتها العسكرية أو تركتها في يد العدو، الذى استمر في تحركه بلا مقاومة حتى أصبح على خط يمتد موازياً لقناة السويس، من بور سعيد شمالا حتى السويس جنوبا.

سير العمليات في الأردن وسوريا :

هكذا لحقت الهزيمة العسكرية بمصر ولكن ماذا حدث على الجبهه الأردنية والجبهه السورية؟ وما موقف كل من الأردن وسوريا؟ كان على إسرائيل ان تقاتل على جبهتين، وبينما بدأت إسرائيل عدوانها على مصر صباح ٥ يونيو أرسل ليفى اشكول رئيس حكومة إسرائيل رسالتين في صباح هذا اليوم الى الملك حسين يحثه على الكف عن القيام بأعمال عدوانية ضد إسرائيل. لكن القوات الأردنية قامت بإطلاق نيران متفرقة على المواقع الإسرائيلية، بينما دار قتال برى حول القدس، اشتركت فيه بعض وحدات قوات الصاعقة المصرية.

وتتابعت الأحداث بسرعة فائقة. فقد قام السلاح الجوى الاسرئيلى بالرد على نيران المدفعية الأردنية بشن هجوم خاطف على القوات الجوية الأردنية ومعظم القوات الجوية السورية والعراقية ، اما بالنسبة للمعارك البرية، فقد أبدت القوات الأردنية مقاومة باسلة وبخاصة حول القدس. ومع ذلك تطور الموقف لصالح إسرائيل ، وانتهى القتال قبل دخول القوات البرية العراقية الى أرض المعركة كى تؤثر في الموقف. وفى يوم ٧ يونيو كانت القوات الإسرائيلية تقف على نهر الأردن، وقد سيطرت على كل الضفة الغربية لنهر الاردن التي تضم ما يقرب من مليون عربى، كما أضافت الى ذلك ما يقرب من مليون فلسطينى آخرين حوصروا في قطاع غزة، يتبين لنا المصاعب الجمة التي واجهت إسرائيل من مشكلة اللاجئين العرب أثناء ذروة انتصارتها .وهكذا استطاعت إسرائيل في مدى أربعة أيام ان تمنى كلاً من مصر والأردن بهزيمة عسكرية ساحقة، ولم يعد امامها سوى سوريا بمواقعها الدفاعية التي كانت لاتزال تسيطر على الأرض الإسرائيلية من مرتفعات الجولان.. كما أنها كانت لاتزال تسيطر على نهر "بانياس" وهو مصدر مياه رئيسى للاردن .وتم الضغط على الزناد واشتعل البارود وذلك حينما قامت سوريا بضرب المواقع الإسرائيلية بنيران مدفعيتها، وكان رد إسرائيل سريعا

وحاسما، اذ قامت قواتها البرية بشق طريقها شمالا،ثم قامت قواتها الجوية بدك الدفاعات السورية المحكمة وفى يوم الجمعة التاسع من يونيو، بدأت المدرعات والمشاة الاسرائيلية هجومها على الاستحكامات السورية.وفيما لايقل عن أربعة وعشرين ساعة كان الإسرائيليون قد احتلوا الاستحكامات السورية على مرتفعات الجولان بعد أن انسحبت القوات السورية نحو دمشق.. وبذلك استطاعت إسرائيل أن تحقق نصرا عسكريا حاسما على القوات العربية في كل من مصر وسوريا والأردن .

لقد قص على المشير رحمة الله عليه أنه بعد أن هبط بطائرته وأخذ طريقه الى القيادة،كان اول ما فعله هو مطالبة الروس بسرعة إرسال طائرات لتعويض السلاح الجوى المصرى عما فقدة بالضربة الأولى، وأبدى الروس موافقتهم ووعدوا بإرسالها بأسرع وقت ولكن الطائرات لم تصل،وعندما سألت مصر اجاب الروس بأن الطائرات كانت في الطريق لولا ان يوغوسلافيا رفضت عبورها للمجال الجوى ليوغوسلافيا، وقد اتضح كذب هذا الادعاء. وفى ٧ يونيو، استدعى عبد الحكيم عامر السفير الروسى الى مكتبه بالقيادة، فلما جاء سأله عبد الحكيم: "لماذا لم تصل الطائرات انتي قلتم إنها في الطريق؟" أجاب السفير: "لقد شرحنا ذلك وقلنا ان تيتومنع الطائرات من التحليق.."، وقاطعه المشير غاضبا:"أنت كاذب" ثم استطرد- وقد استبد به الغضب تماما :"قلتم إن هناك حشودا.ثم اتضح انه لا يوجد حشود.وقلتم ان إسرائيل لن تبدأ بالحرب.ثم بدات إسرائيل بالحرب.وقلتم ان تيتو منع الطائرات من عبور اجواء يوغسلافيا،ثم اتضح انه لم يمنعها.." قال السفير:" أنتم ترفضون إجابة طلباتنا.. لابد من موافقتكم على مطالب روسيا، حتى نستطيع ان نقنع اللجنة المركزية بالموافقة على منحكم ما يحتاجه جيشكم"الصرخ فيه المشير:" ماذا تعنى.أتأتى الآن لتعرض علينا قبول طلباتكم،هل تظن أننا قد غرقنا.. إننا لن نفرط في شبر من أرض مصر.." ولم يتمالك عبد الحكيم أعصابه، فطرد السفير، وطارده حتى باب مكتبه امام أعين الجميع،وشوهد السفير وهو يجرى مهرولا الى آخر القاعة،وقد شهد هذه الواقعة على سبيل المثال لا الحصر: اللواء بحرى محمود عبد الرحمن،مدير مكتب المشير للشئون البحرية، وقائد القوات البحرية في حرب اكتوبر١٩٧٣ ، واتصل المشير بعد ذلك بجمال عبد الناصر وقال له:"جالك كلامى، مش قلت لك ان الروس حيغرقونا..اتفضل ياريس،السفير الروسى كان عندى بيقول مش حانبعت طيارات إلا لما نوافق له طلباته.هوه احنا طلعنا الإنجليز علشان ندخل الروس؟!"

وعن الجانب الآخر، كان هناك شعب يغلي في الخفاء انحصر في منزل عبد الحكيم عامر .لقد أحس الضباط بالغضب وشعروا بالمهانة أن جمال عبد الناصر- وهو قائدهم الأعلى- لم يقل عنهم كلمة في خطابه رغم أنهم الفئة التي تلقت الضربة كانوا يعرفون أنهم أبرياء وأنهم لم يحاربوا ، بل أرغموا على الوقوف مستسلمين لموتهم . ذهب الضباط الى منزل المشير بالجيزة ، بعد أن سمعوا بعودة ناصر الى الحكم منفردا وطالبوا بعودة المشير عامر الى منصبه . كان المشير لحظتها في منزل اللواء عصام خليل ، إشفاقا وخوفا على أن يدفعهم حبهم له الى التجمهر حول منزله ، فيبطش بهم جمال عبد الناصر.

وقد حاول صلاح نصر وشمس بدران ، وحسن عامر شقيق المشير، اقناعه بالذهاب الى الجيزة لمقابلتهم ، ولكنه أرسل إليهم يعتذر. ورفض الضباط قائلين:"لن ننصرف الا اذا أعطانا وعدا بعودته الى القيادة" .

لم يجد عبد الحكيم بداً من الذهاب بنفسه لتهدئتهم وصرفهم ، ولكنه ما كاد يصل حتى تجمع حوله الضباط وقد غلبهم الحماس وحاول بعضهم هاتفين باسمه، وطلب منهم المشير أن يختاروا عشرة من الضباط ليعرضوا عليه مطالبهم ودخل الى حجرة مكتبه ، فجاءه ممثلون عن الضباط قائلين :" هؤلاء يمثلون جميع اسلحة الجيش، وقد جاءوا يطالبونك بالعودة الى القيادة فهم يرفضون اى قائد سواك .وقد رد عليهم المشير بقوله :" أنا استقلت خلاص ولاأريد العودة" فأجابه الضباط :" لازم تخرج يا فندم تكلمهم بنفسك لأنهم لن يقتنعوا بما نقول" .

فخرج الى الشرفة وطلب منهم الرجوع الى قيادتهم ، لأن الظروف لاتسمح بغيابهم عن وحداتهم والعدو على حافة القناة ، فرفضوا مغادرة المكان... اضطر المشير الى النزول لهم بنفسه، ولكن ماكاد يصل الى أرض الحديقة ، حتى أحاط به الضباط وأرادوا حمله على الأكتاف، فدفعهم بعيدا عنه خوفا عليهم وعاد الى الشرفة. كان الضباط الغاضبون يملأون الحديقة ، ويجلسون في طرقاتها ودخل عامر حجرته وأجرى اتصالا تليفونيا بجمال عبد الناصر، فقال له جمال سأرسل لك هيكل .وجاء هيكل فلما رأى هذه المظاهرة العسكرية في منزل المشير اتصل بعبد الناصر وشرح له الموقف وتكلم عبد الحكيم مع عبد الناصر فقال له جمال :"أوعدهم بلقائهم في القيادة الساعة ١٢ باكر، لأن باكر سنتقابل ونخلص المواضيع" وبعد هذه المكالمة نظر هيكل الى المشير ثم الى هذه الجموع وقال للمشير: عبد الناصركان عنده يوم٩و ١٠وادى٩و١٠ ابتاعتك،الجيش كله مجمع على التمسك بك.

وتحدث المشير الى الضباط الموجودين قائلا بما معناه: إن الموقف خطير ولا يحتاج الى مظاهرات احنا بنحاول نصلح الى نقدر عليه فأرجوكم-من اجل مصر- كل واحد يذهب الى موقعه وبكره حاكون معاكم في القيادة الساعة١٢ظهرا صفق الضباط وهتفوا باسمه، وقد عرفوا بمكالمة عبد الناصر للمشير فظنوا أن الاتفاق قد تم على عودته... شهد هذه الواقعة عشرات الضباط والقادة ومنهم محمد فوزى ورواها لى كل من صلاح نصر وامين عامر وعباس رضوان وحسن عامر . وفى وقت متأخر من ليلة هذا اليوم تكلم عبد الناصر مع المشير تلفونيا وأعرب له عن مخاوفه وقلقه بسبب اضطراب الأوضاع وتواجد العدو على حافة القناة، ورد المشير بكلمات التطمين والتشجيع ، وفى نهاية المكالمة تمنى كل منهما للآخر ليلة سعيدة .

خدعة أبو موسى الأشعرى

في الصباح- يوم ١١ يونيو- سمع المشير في الاذاعة قرار تعيين محمد فوزى قائداً عاما للقوات المسلحة. ولما سمع الضباط بالقرار، ثاروا في القيادة رافضين محمد فوزى ودخلوا عليه في مكتبه وقالوا له: إن جميع الضباط مستعدون للتوقيع على عدم الاعتراف الا بالمشير عبد الحيكم عامر قائدا للقوات المسلحة، وابلاغ عبد الناصر بذلك بل إن بعضهم حاول طرد فوزى من القيادة.

وذهب الضباط الى المشير ولما لم يجدوه في منزله بالجيزة ذهبوا الى منزل جمال عبد الناصر لإبلاغة بذلك فقابلهم الليثى ناصف-رئيس الحرس الجمهورى-قائلا :"ممنوع حد يقترب الآن من هذا المكان"فانصرفوا وفى تمام الخامسة من نفس اليوم خرج منشور بإحالتهم الى الاستيداع.

وقد أراد الضباط أن يعيدوا عبد الحكيم الى القيادة بالقوة لأنهم رأوا في رجوع عبد الناصر بدون المشير عامر خدعة لايقبلونها فقالوا:"نحن معنا دبابات ونستطيع ان نحاصر الرئيس ونجبره على قبول عودة المشير والضباط المحالين الى الاستيداع" .

في قلب هذه العواصف والغليان كان الناس جميعا حيارى غاضبين ، تكتنف عقولهم سحابات من الابهام والغموض الا نفرا قليلا ظل في كامل وعيه وثباته ، ذاك هم المتآمرون انفسهم!! الذين خططوا .. ونفذوا.. ومازالوا يتابعون بقية خططهم حتى تتحقق ويتحقق لهم مايريدون . ولقد عرضت صورتين ، الأولى للناس في الشوارع والميادين تلك الاحداث الظاهره امام اعين الجميع .

والصورة الثانية للضباط الثائرين الرافضين بعودة جمال بغير المشير. والمتمسكين بقائدهم الذى يحبونه ويقدرونه ، وقد جرت هذه الاحداث امام بعض الأعين بعد ان جرت الأحداث الأولى امام اعين الجميع .

أما الصورة الثالثة فهى التي جرت بعيدا عن الأعين .وتمثلت في أوامر ، وترتيبات واحتيالات.

ولنبدأ من البداية مرة اخرى :

بعد أن غادر المشير مبنى القيادة، وبعد لقائه العاصف بالسفير الروسى ذهب الى منزله بالحلمية فوجد حشدا من القادة منهم شمس بدران، ومحمد فوزى، وعصام خليل ، وكانت دماء المشير تغلى في عروقه والثورة تحتدم في صدره فأخذ يردد أمام القادة :"خدعونا..غرقونا"، وأعلن عن عزمه على إلقاء بيان يشرح فيه الخيانه للشعب وحاولوا تهدئته وقد اكتظ بهم البيت وأراد شمس بدران ان يأخذه الى منزله ليفكرا معا.وفى منزل شمس بدران ذى الحجرتين، لم يجدوا فيه اتساعا لهذا الزحام، فذهبوا جميعا الى ذلك المنزل الذى دعيت اليه عن طريق متولي شماشرجى المشير، وتم لقائى بعبد الحكيم على الصورة التي شرحتها من قبل. وفى هذا المنزل، تلقى المشير مكالمة من جمال،الذى طلب منه عدم التوجه الى الاذاعة وعدم إذاعة اى بيان، ووعده بانه-أى جمال- سيقوم بنفسه بإصدار البيان. وجاء التاسع من يونيو موعد اذاعة البيان والذى اسموه بيان التنحى لقد تبين أثناء إلقائه بان عبد الناصر لم يف بتعهداته للمشير وشمس بدران بان يكون البيان متضمناً تنحى جمال وعامر- فقد خلا من ذكر استقالة عبد الحكيم . وبعد اذاعة البيان-التنحى-تكلم ناصر تليفونيا مع سامى شرف وطلب منه -وجميع موظفى رئاسة الجمهورية- بألايغادروا مكاتبهم حتى تعليمات اخرى ويروى الجيار- الشاهد على هذه المكالمة- ان عددًا من الاوامر تلقاها سامى شرف بعدد مرات "حاضر يافندم" التي رددها سامى شرف كثيرا وقد كانت هذه الأوامر هى : عدم إذاعة بيان التنحى مرة أخرى!! . يذاع بيان ذكريا محيى الدين -بعد مراجعته مع هيكل-.لاتذاع أية بيانات أخرى لشخص سواه.مجموعة من الضباط المسلحين تذهب لمحاصرة الإذاعة والتلفزيون.

ويعلق محمود الجيار بقوله: لحظتها عرفت -وكنت أنا أول من يعرف-أن جمال عبد الناصر باق في الرئاسة. ويواصل الجيار حديثه قائلا: بعد هذه المكالمة تغير حال سامى شرف فقد استعاد ثقته بنفسه ، بعد أن أمسك جمال بكل الخيوط، وشرع سامى شرف يلقى الاوامر، وهو الذى كان منذ قليل يبكى ويولول حتى سمع صراخه وتشنجه من كانوا خارج حجرته لأن الرئيس سوف يتنحى."انتهت رواية الجيار" ونواصل حديثنا .

بعد أن تبين للمشير أن عبد الناصر أخل بالتعهد وأغفل اذاعة استقالته، وأن رجال

جمال من المنظمات السرية، وكوادر الاتحاد الاشتراكى قد بدأوا في تحريض واثارة الجماهير لتطالب بعودة جمال،بعد ان تبين للمشير كل ذلك صمم على أن يذاع بيانه، فكتب بياناً وأعطاه لبعض الضباط وطلب منهم التوجه لمبنى الإذاعة والتلفزيون واذاعته ولكن الرجال فوجئوا بفرقة مسلحة-من الحرس الجمهورى تمنع إذاعة أى بيان.

سبقت الإشارة الى مفاجأة تعيين محمد فوزى قائدا عاما، وقد ترتب على ذلك ان قرر عبد الحكيم السفر الى بلدته"اسطال" احدى قرى صعيد مصر، قبل سفره ذهب لوداع جمال عبد الناصر، وفى هذا اللقاء دار حوار بين جمال وعامر على النحو التالى:عامر: جيت أودعك قبل ماروح اسطال.وانشاء الله ناوى أعيش فيها على طول، ناصر: "إوعى تكون زعلت من قرار محمد فوزى، ده قرار من اجل الامن ولظروف سياسية خارجة عن إرادتي، عامر:الله. هما الروس كمان بيتدخلوا في سياستنا الداخلية، ناصر: ده قرار مؤقت.وقرارك انت حايطلع بعد أيام، عامر: ومين قالك انى حا اقبل الرجوع..المسأله انتهت يوم ما خطبت من غير ماتجيب سيرة لي ولاالشمس .كان معناها ايه ؟ولم يرد ناصر وواصل عامر: فيه نقطه ثانية أهم من كل ده،وهى ان عودتك تعنى اننا ارتمينا في أحضان الروس! أو بمعنى آخر بقينا محتلين من الروس واليهود، ناصر: بصراحة الروس أبلغونى رسميا إنهم لن يتعاملوا معنا،وانت ترأس الجيش انت أصلك عاملت السفير الروسى معاملة وحشة جدا، ده انت وجعت بطنهم لما بعت لهم الرسالة الى بتتهمهم فيها بالخيانة وهتفضحهم امام العالم .

لم يأت عامر ليودعنى قبل سفره الى اسطال، ولم أكن رأيته منذ تلك الليلة التي ذهبت فيها إليه في بيت عصام خليل. ما ابشع الاوقات التي ترغم الإنسان على الرحيل دون أن يقول الوداع لابنه وزوجته .

وبقيت في بيتنا بالهرم تعصف بعقلى الهواجس، أتمنى أن يكلمنى أحد.. ان يشرح لى أحد.. ان يفهمنى أحد.. لا أحد .

بقيت وحيده لا يؤنس وحدتى سوى خالتى "الحاجة فتحية" وولدى الرضيع ، عمرو هو لمسة الدفء الوحيدة في هذا الصقيع الذى جمد حياتى، كان عمرو يرضع بنهم في "الأول" وقد اثار هذا خوف خالتى فالحكمة البلدى تمنع ارضاع الاطفال من لبن الام الحزينة المضطربة حتى لايصيبه الأذى . وشرعت خالتى فتحية في تقديم وجبات من اللبن الصناعى لعمرو لتصرفه عن الرضاعة منى، وأحمد الله كثيرا لأن هذا قد افاد عمرو عندما اعتقلونى في مبنى المخابرات العامة بعد ذلك .

سافر عامر الى اسطال يرافقه أخوه حسن عامر، وفى حوار جرى بينهما سأل حسن عامر : ليه تسرعت وسافرت البلد ؟" اجاب عامر في اقتضاب: انا خايف على حياتى . وأثناء الرحلة أبدى عامر قلقه: انا خايف على الأولاد، وفهم حسن أن الأولاد هم "ضباط الجيش وأفراده" .كان المشير قلقا لما سوف يحدث لهم من بعده.

لم يقدر لعبد الحكيم ان يصل الى اسطال في ذلك اليوم، ففى الطريق تلقى مكالمة من عبد الناصر يدعوه فيها للعودة الى القاهرة حتى لايسبب سفرة بلبلة لرجال الجيش خاصة انهم الآن في حالة هياج، وذكر له ان وجوده في القاهرة سيدعو الى تهدئتهم واطمئنانهم، وعاد عامر الى القاهرة وفوجئ بأن عبد الناصر شكل لجنة من زكريا محيى الدين سامى شرف ومحمد فوزى. وكلفت هذه اللجنة بعزل كل انصار المشير عبد الحكيم عامر من الضباط فأكد أن عبد الناصر طلب عودته ليكون حاضرا عملية التنكيل برجاله من الضباط دون أن يستطيع إنقاذهم فيسقط في اعين رجال الجيش. رفض البقاء في القاهرة وعاد مرة اخرى الى قريته "اسطال". وفى هذه المرة أقام هناك ضيفاً على أخيه المزارع "مصطفى عامر" فلم يكن المشير يمتلك بيتا هناك أما بيت والده "العمدة" فقدأهمل منذ بداية الثورة .وقد أقام معه هذه المرة شمس بدران . وفيما كانت عملية التصفية والتنكيل بالضباط تجرى، قامت الأجهزة السرية باطلاق شائعات حول عامر وسر إقامته في أسطال، وقالت:" إن ما يجرى للضباط قد تم الاتفاق عليه بين عامر وناصر، وأن المشير سيبقى في اسطال بعيدا عن ما يجرى حتى تتم التصفية ويعود فيتسلم القيادة. كانت الضربات تتوالى وهذه الأخيرة وضعته في أسوأ الأوضاع، كمن حوصر بين نارين ولما كان من المستحيل عليه التوصل الى قرار-هل سيبقى ام يعود الى القاهرة- وزاد من بلبلته ان عبد الناصر كان دائم الاتصال به عبر التليفون ويدور بينهما حديث عادى في الغالب . تتخلله شكاوى عبد الناصر من شعوره بالوحدة وعامر بعيدا عنه ومن خوفه على الجيش وعلى البلاد. وقد حاول عبد الناصر إرجاعه الى القاهرة ولكن عامر كان يرفض بإصرار -رغم كثرة مكالماته اليومية- وتعدد من بعثهم إليه ليقنعوه بسلامة الفكرة ولكنه كان يرفض ويقول لكل من يحدثه:" كيف أعود الى القاهرة واولادى في الجيش يعذبون ؟"

خدعه الامريكان والسوفييت، كان هناك خلاف في الرأى بين ناصر وعامر إزاء موقف السوفييت، فقد كان في تقدير عامر أنهم متواطئون مع الأمريكيين ويشتركون معا بأشكال مختلفة ، أمريكا بمساعدات غير معلنة لإسرائيل، والسوفييت بالمراوغة والسلبية من المواقف

والأحداث ولكن رأى ناصر كان ان السوفييت لن يتخلوا عنا اذا ماتدخلت الولايات المتحدة، ولكن حينما تكشف موقف الروس اثناء الحرب برر ناصر ان الروس إتخموا وصدقوا الامريكان بحسن نية . ولكن اثبتت الاحداث والمواقف انهم مخادعون بعد ان رفضوا تسليح الجيش حتى بالاسلحه الخفيفة والصغيرة. وعلق عامر على سلبيتهم وقال لناصر " إنهم يريدون وضعنا في موقف ضعيف ويكشفوننا أمام العالم حتى نجبر على الارتماء في احضانهم والسيطرة علينا ودخولنا ضمن الدول الشيوعية، وقال لناصر لاتنس ماقالوه لنا في اجتماعاتنا معهم وما قالوه للوفد البرلماني بسخرية " سوف نرى وندرك من سيثبت وجوده الشيوعية ام القومية العربية"، وكان اقتناع عامر بانهم كلهم الشرق والغرب استعماريون ... إن ما يثبت تواطؤ الروس مع الأمريكان هو ما حدث أثناء حرب ٦٧، كان هناك تعاقد مع السوفييت قبل الحرب بسنوات على أسلحة وطائرات وكان من المفروض تسليمها الى الجيش، وقد كلف المشير مرارا صلاح نصر لتذكيرهم بتقديم الأسلحة المطلوبة والمتعاقد عليها، وكان ردهم أن هناك الأسلحة وأكثر مما تعاقدنا عليه جاهزة، ولكن يوغوسلافيا ترفض طيران هذه الطائرات فوق أراضيها فاتضح أن كل هذا كذب وافتراء. فاتصل ناصر بتيتو فقال له لقد أعطيت التصديق بالطيران منذ أيام، ومع ذلك لم تغادر الطائرات من موسكو ولم يشحنوا الأسلحة الينا إلى ان مات ناصر وبدأوا نفس اللعبة مع السادات .

إن الشيوعية ممكن أن تهادن الأنظمة وتتعاون معها الى أن يحين الوقت المناسب لتقضى على هذه الأنظمة قبل ان تقضى الأنظمة عليها يعنى "اتغدى بيه قبل ما يتعشى بك"، لقد أيقن عامر من فترة أن هناك صراعاً بين المذهبين الرأسمالى والشيوعى، سواء في فيتنام أو داخل المعسكر الشيوعى بين موسكو وبكين، الحرب الباردة بين العرب كذلك الخلاف داخل الدول العربيه المتحررة كما أن من مصلحة الغرب والشرق القضاء على اى حركات قومية او تحررية للمحافظة على مصالحها الاحتكاريه. وكان عامر يذكر ناصر دائما ان سواء الاتحاد السوفيتى او الولايات المتحدة فإن هدفهم القضاء على النظام الثورى في مصر وهدم النظام من داخله عن طريق ضغط اقتصادى ومناورات سياسية يمكن أن يحققا هدفهم بالقضاء على النظام وتوصيله للانفجار، وكان عامر يؤمن بأنه لايمكن وجود صداقة مع السوفييت، فهم يعملون دائما على تعريتنا امام العالم واذلالنا كلما طلبنا اسلحة واننا عاجزون عن السير بدونهم ثم محاصرتنا لإملاء شروطهم والدليل على ذلك موقف موسكو وواشنطون بالابقاء على إسرائيل. والواقع أن ما تنبأ به عامرتحقق.. فقد أحكم السوفييت قبضته على الأمور في مصر واستقطاع جزء من الأراضى المصرية لعمل قواعد بحرية وجوية بعد هزيمتنا في حرب يونيو

وتحقق هدف المستعمر. نصب الغرب لعبد الناصر فخا وقع فيه، وشارك الاتحاد السوفيتى في هذا الفخ ففى عام ١٩٦٦ بينما كان الغرب كله متكتلاً ضد عبد الناصر والعلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى باردة بعد عدم تلبية طلبهم بإقامة منطقة للاستطلاع الجوى أثناء رحلة عامر لموسكو ورفضه لهذه الشروط، وقوله "احنا لم نطلع الانجليز علشان ندخل الروس" ودخلنا الحرب ولم يوفوا بأى تعهدات خاصة بالأسلحة واستمروا في المراوغه والوعود الكاذبة، لذلك كان عام ١٩٦٧ هو أنسب الأوقات لاستدراجنا نحو الفخ فعلاقتنا مع الغرب سيئة جدا، ومع السوفييت باردة ومع بريطانيا مقطوعة ومشكلة الجنوب العربى المحتل وحربنا ضد مصالح بريطانيا في الخليج والولايات المتحدة تحاصرنا سياسيا واقتصاديا من أجل مصالحها في المنطقة التي تتعارض مع مصر في مساندة التحركات التحررية أما المانيا فعلاقتنا معها مقطوعة منذ صفقة الأسلحة السرية التي عقدتها مع إسرائيل، وكان رأى عبد الناصر حينما وضع القرار أن الظروف الدولية والعربية لاتسمح بمغامرة أخرى في السويس وإسرائيل وحدها لن تجرؤ على البدء بالقتال وأن إغلاق الخليج سوف يحقق له نصرا سياسيا.

أسباب الهزيمة من وجهة النظر العسكرية المتخصصة

عرض فيما سبق تحليل سياسى لموضوع هزيمة ٦٧، وكان أهم شهودها صلاح نصر مدير المخابرات العامة، ولقد ذكرت بعض الموضوعات العسكرية عرضا سريعا لمواكبتها للأحداث السياسية حتى يكون الحديث متصلاً وموصولاً بما يحدث على أرض الواقع.. وحتى لايتوه القارئ بين السياسة والعسكرية آثرت أن أعرض الموضوعات العسكرية المقرونة بالتحليل العلمى العسكرى والذى تفتقده المكتبة العربية لشخصية من أبرز القيادات ٦٧ العسكرية وهو الفريق انور القاضى "رئيس هيئة العمليات بالقوات المسلحة" إبان هذه الفترة الحاسمة ..

ومنصب رئيس العمليات يعنى الرجل الثالث فى التسلسل الهرمى للقيادة ، الذى يبدأ بنائب القائد الأعلى المشير عبد الحكيم عامر ، يليه الفريق أول محمد فوزى رئيس هيئة اركان حرب. ثم رئيس العمليات الذى يعتبر فى نفس الوقت الذراع الأيمن لرئيس هيئة أركان حرب . وهو الرجل المسؤول عن تحويل أوامر القائد العام الى توجيهات عمليات تصدر الى التشكيلات، محددة لهم مهامهم بالتفصيل، وأسلوب تنفيذها مقرونة بأهم التوقيتات الحاكمة وأهمها بالقطع والضرورة تمام الاستعداد لتنفيذ المهام . وقد ظهرت شهادته القيمة فى كتاب الطريق الى النكسة للدكتور محمد الجوادى ولقد آثرت أن أعرض أهم جزء فيها بالكامل.. إذ يلقى الضوء العلمى والتحليلات السليمة بدون التحيز لأى أسماء فى شجاعة بالغة، فلم يخش سطوة عبد الناصر ولاتنظيمات السلطة، وأدلى بهذه الأحاديث الى مجلة آخر ساعة ثم نقحها وبلورها فى حديثه الرائع مع الدكتور الجوادى حيث مساحة النشر اكبر .. وقال الرجل كل ما عنده ومعظمه مفاجآت..ولعل حديثه يرد على أدعياء العلم الذين يظهرون فى التلفزيون، ويقومون بسلخ القوات المسلحة وقائدها العام بدون دراية بالعلم العسكرى، فلم يتيسر لهم سوى قراءة بعض الصحف التى كان لها اتجاه واضح بتأثير وتوجيه من رئاسة الجمهورية،

لتقديم كبش الفداء للهزيمة للشعب المصرى ممثلا فى شخصية عبد الحكيم عامر، ولقد استلزم ذلك التضحية بالقوات المسلحة فذبحوها بدون رفق وحاكموا قادتها بدون أى ذنب جنوه، وكان الأجدر أن يحاكم الشخص الذى أمر بمحاكمتهم فهو المسئول الأول والأخير عن هذه الهزيمة النكراء بتدخلاته المتكررة -بتعديل الخطط العسكرية- رغم تحذيرات القادة المتخصصين ولكن القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس القوات المسلحة ورئيس الجمهورية (ناصر) فرض آراءه التى تجافى العلم العسكرى ويكثر مرتدو عباءة عبد الناصر والمدافعون عنه حتى الآن من ترديد مقولة ساذجة إن عبد الحكيم عامر لم يكن مؤهلا للقيادة العسكرية.وهنا أسئلة شديدة القوى تطرح نفسها..

- هل كان عبد الناصر مؤهلا لرئاسة الوزارة ثم رئاسة الجمهورية بعد ذلك وأين تلقى هذا التأهيل ؟
- هل كان رشاد مهنى مؤهلا لأن يكون عضوا فى لجنة الوصاية على الملك أحمد فؤاد الطفل ؟
- هل كان زكريا محى الدين مؤهلا لتولى وزارة الداخلية ومؤهلا لرئاسة المخابرات العامة ؟
- هل كان عبد اللطيف البغدادى مؤهلا.. ومهندسا ليتولى وزارة الشئون البلدية والقروية؟
- هل كان صلاح سالم مؤهلا لتولى وزارة الإرشاد ؟
- هل كان كمال الدين حسين مؤهلا لتولى وزارة التربية والتعليم؟
- هل كان السادات مؤهلا لتولى قيادة مجلس الأمة ثم رئاسة الجمهورية فيما بعد؟

وغيرهم من أعضاء مجلس الثورة الذين تولوا وزارات مدنية، وهل كلية أركان حرب التى تخرجوا منها ومعظمهم دفعة واحدة دفعة ١٩٤٨- جمال عبد الناصر- عبد الحكيم عامر- زكريا محيى الدين - صلاح سالم- ثروت عكاشة- صدقى سليمان -الفريق مرتجى-احمد عاطف ناصر. أهلتهم لتولى هذه المناصب.. ؟ ولكنها ثورة وكان لابد لهم أن يقودوها، ولايستطيعون تسليمها الى أحد غيرهم حتى تستتب الأوضاع... وعبد الحكيم عامر بنفس المقياس . فهذا الرجل أشرف على تطوير الجيش بعد أن كان جيشاً للاحتفالات، يطلقون عليه جيش المحمل الى قوة عسكرية منظمة ومتطورة وتأخذ بالأساليب العلمية .. وحتى لو لم

يكن مؤهلا فإن احتكاكه ومناقشاته مع القادة المصرين والقادة السوفييت حول مواضيع إعادة التطوير والتنظيم والتسليح و اختيار الأسلحة وأساليب التدريب عليها كل هذه المناقشات صقلت خبراته وتجاربه بالإضافة الى حضوره المناورات والبيانات العملية العسكرية فى كل قطاعات القوات المسلحة برية وجوية وبحرية ودفاع جوى، وإن كان فى هذه الفترة كان يتبع القوات الجوية .. زياراته المتعدده الناجحه "والتى سبق عرضها" للدول العربية والآسيوية والأفريقية أكسبته خبرات سياسية وعسكرية لأن هذه الزيارات كانت تتناول الموضوعات العسكرية والسياسية وكل هذا ميزه عن زملائه العسكريين.

ولاغرو فى أن الرئيس عبد الناصر كان يثق بعامر ثقة بالغة وأطلق عليه لقب "رجل المهام الصعبة" تولى قيادة القوات المصرية والسورية، ثم تولى مهام رئيس الجمهورية فى سوريا وكم طالب بإبعاد السراج لأنه كان يسئ الى الوحدة .. وتولى قيادة القوات فى اليمن وطهرها من الملكيين ودق ابواب السعودية التى اصيبت بذعر وحليفتيها أمريكا وانجلترا بالإضافة الى الأردن ولبنان.. أحداث كثيرة أثبت فيها عبد الحكيم عامر صلابته وقوته، ويكفى وقفته الشهيرة مع الاتحاد السوفيتى ورفضة رفضا باتا منحه اى امتيازات لمصر الأمر الذى جعلهم ينقمون عليه ويخططون للتخلص منه. مقولات جائرة ولكن الحقيقة لابد وان تظهر يوما مهما أهالوا عليها التراب .. وعجيب ان يذاع برنامج تلفزيونى عن النكسة بدون ان يتكلم فيه قائد عسكرى واحد من قادة الجيش فى حرب ٦٧ . الأمر الذى يعنى أن مرتدى عباءة عبد الناصر مازالوا يسيطرون على أجهزة الإعلام ويوجهونها وهو أمر شديد المرارة .. أعرض مقولات الفريق أنور القاضى حتى تطلع عليها الاجيال الشابة التى لم تعاصر أحداث٦٧ حتى تعرف الحقائق ولاتتأثر بالأراجيف المذاعة والكذب المقرون بدعايات خبيثة مخططة، وإننا نعرف هذه الشخصية القميئة التى تدير هذه الحوارات من خلف الستار.. ولاعجب ان يطلق عليه عبد الحكيم عامر لقب "المعفن ".

فى ابريل ١٩٦٤ اختير الفريق أنور القاضى ليكون رئيس هيئة الأركان والتدريب. وفى ١٩٦٦ اختير ليكون رئيس هيئة العمليات للقوات المسلحة . وبذلك أصبح وضعه فيما بين القادة الذين يتولون القيادة تاليا مباشرة لفوزى رئيس الاركان، وان كان هناك ثلاثة فرقاء أول يرأسون القوات البرية"مرتجى" والبحرية"سليمان عزت" والجوية"محمد صدقى محمود" وفريقان أولان بمثابة مساعدين للمشير عامر خارج إطار المناصب الثمانية وهما هلال عبدالله هلال واحمد حليم امام " . كما كان هناك رئيس اركان القوات الجوية بدرجة فريق أول ويسبق

فى الرتبة انور القاضى " وهو الفريق أول جمال عفيفى"، وفى القيادة العربية الموحدة كان هناك الفريق أول على عامر،كما كانت هذه القيادة الموحدة تضم الفريق عبد المنعم رياض نفسه الذى اصبح بعد خروج المشير عامر والقادة الثمانية هؤلاء بمثابة الرجل الثانى بعد الفريق أول محمد فوزى . تنفرد شهادته بالقاء الضوء على كثير من الحقائق التى لم تتناولها كثير من الشهادات الأخرى والكتابات التاريخية والوثائقية بنفس القدر من الوضوح -وربما الذكر - عن حرب وهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ .

لعل أهم ما فى هذه الشهادة، هو حديث الفريق القاضى بأسف مكبوت وتفصيل معقول عن إلغاء الضربة الجوية التى كان من المفروض توجيهها للعدو الإسرائيلى فى فجر ٢٧مايو١٩٦٧ وذلك من اجل اصابة القوات الإسرائيلية بالشلل المؤقت قبل أن تتم استعداداتها، وهو يذكر أن هذه الضربة كانت ستتم فى الفجر فإذا الأوامر تصدر بإلغائها فى الساعة الثالثة صباحا أى قبيل تنفيذها أى حين كان كل المشاركين فيها قد تأهبوا لها تماما، ولعلنا جميعا نقدر مدى الإحباط الذى تولد عند هؤلاء الجنود من جراء هذا القرار المفاجئ، ويذكر بوضوح أن قرار إلغاء الضربة تم بعد مقابلة عاجلة جرت بين الرئيس عبد الناصر والسفير السوفيتى، وإذا صح ما يرويه الفريق أنور القاضى عن هذه الضربة وإلغائها على هذا النحو المفاجئ وبناء على هذا الاجتماع فإنه يدلنا على أكثر من حقيقة منها أن السوفييت كانوا يعلمون بخططنا أو بنوايانا على الأقل أو يتحسبون لها "اى للخطط والنوايا" قبيل وقوعها، ومنها ان خططنا لم تكن مستترة تماما عن أعين غيرنا، ومنها أن السوفييت تواطأوا بالفعل على مصلحتنا إذ حرمونا من خطوة كانت كفيلة بحمايتنا من كثير من الفشل والمصاعب والخسائر التى حدثت بعد ذلك. ومنها كذلك ان قادة القوات المسلحة كانوا يعانون أشد المعاناة من التردد فى القرار على أعلى المستويات. ويستمر الفريق القاضى قائلا: "وكان المفروض أن يوجه الطيران المصرى ضربة جوية مفاجئة ضد مطارات إسرائيل ودفاعاتها الجوية وحشودها مع أول ضوء فى فجر ٢٧مايو، وكان الهدف ان نصيب الحشود الإسرائيلية التى أخذت تتدفق نحو الجنود بالشلل المؤقت ثم نقوم بالعمليات التعرضية لها، وصدرت الأوامر بالفعل بهذه العمليات الجوية ولكن فجأة -فى الساعة الثالثة صباحا- صدرت أوامر اخرى من القيادة العليا بإلغائها- وكما عرفنا فيما بعد كان ذلك على إثر المقابلة العاجلة التى جرت بين الرئيس عبد الناصر وبين السفير السوفيتى فى بيته بمنشية البكرى وأبلغه رسالة من القادة السوفييت لمنع مصر من البدء باية عمليات عسكرية ضد إسرائيل وجرى اتصال بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر لالغاء الضربة الجوية وإيقاف جميع العمليات التعرضية، وهكذا تغيرت الأوضاع خلال ساعات وكان

لابد من اعادة النظر فى الخطط مرة اخرى" ومن اهم ما يرويه أن المشير عبد الحكيم عامر نفسه أنه كان معترضا تماما على ان يخوض الجيش المصرى الحرب بالأسلوب الذى خضناها به وفى ذلك التوقيت وبالإمكانات التى كانت موجودة، ويؤكد الفريق القاضى على هذا المعنى بصورة صريحة ويقول :" للحق والتاريخ -فى حدود معلوماتى - كان المشير رافضا لمبدأ الحرب على هذا النحو لأن الجيش مشتت بين سيناء واليمن، ولايمكن دخول مواجهة عسكرية مع إسرائيل بدون استعدادت كافية كما كان " اى المشير غير راض عن بعثرة القوات المصرية فى العراء لمجرد "المظاهره العسكرية" . وكانت هناك أقوال كثيرة تتردد بيننا عن وجود الخلاف بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر الذى وصل ذروته خلال الأيام الخمسة الأخيرة أثناء العمليات. وهناك واقعة محددة عندما دخلت على المشير عامر فى مكتبه بالقيادة العليا - قبل ٥يونيو بأيام - وكان معه شمس بدران وزير الحربية - وقتها - ولاحظت ان المشير عامر كان ثائراً وسمعته يقول لشمس بلهجة حادة :" روح قل له المسألة مش مقامرة إذا كان عاوز يحارب لازم يدفع كذا مليون فى اليوم وكذا مليون ميزانية حرب مش يخفض ميزانية الجيش وبعدين يقول لى حارب". وفهمت بعد ذلك أن شمس بدران كان يحاول التوسط بينهما " أى بين الرئيس والمشير " وانه كان مكلفا بإبلاغ هذه الرسالة الى الرئيس عبد الناصر، ولعلها تلقى بعض الضوء على حالة التمزق التى كانت موجودة فى القيادة العليا وكانت تنعكس بالتالى على جميع القيادات .

⊙ ⊙ ⊙

تنظيم القيادة العسكرية

وفى موضع آخر يشير الفريق القاضى إلى أن القيادة العليا نفسها لم تكن تتوقع حدوث المواجهه مع إسرائيل، وهو يستشهد على صحة هذا الرأى بمجموعة من تصرفات القيادة العليا فى تنظيمها لأمور القوات المسلحة فى الفترة السابقة مباشرة على الحرب، وهو يشير الى أن هذا التنظيم نفسه قد ادى الى الارتباك والتضارب بين قرارات القيادة العليا والقيادة العامة، وهو يعطى لهذا الموضوع أهمية كبرى وله كل الحق فى ذلك بل ويصل الفريق القاضى فى إيمانه بأهميته الى ان يندفع كما سنرى الى ان يقدم استقالته ..

"الشئ المؤكد ان القيادة العليا كانت تتوقع اى شئ الا المواجهه مع إسرائيل فى هذا التوقيت، كانت تخطط وترسم لأشياء أخرى أبعد ماتكون عن الاستعداد للحرب، والدليل على ذلك هذه الامور الغريبة التى حدثت بلا معنى وبلا تفسير-قبل الحشد فى ١٥مايو ١٩٦٧- وكان أبرزها : قرار فصل القيادات وتشكيل القيادة العليا -من نائب القائد الأعلى ورئيس الأركان ووزير الحربية وكانوا هم : المشير عبد الحكيم عامر والفريق أول محمد فوزى وشمس بدران -بينما القيادة العامة تضم رئيس العمليات وقادة القوات البرية والجوية والبحرية وقادة الأسلحة والجيش الميدانى وبدأت عدة قرارات متضاربة تصدر فى وقت واحد مع القيادة العليا وتسبب ارتباكا فى القيادة العامة ".

استقالة الفريق القاضى

وعند هذا الحد يصرح الفريق القاضى بأنه كان قد قدم استقالته بالفعل من منصبه قبل قرار الحشد ورفع درجة الاستعداد بأسبوع واحد "قدم الاستقالة فى ٧ مايو ورفع الاستعداد فى ١٥مايو " . وسنرى مما يرويه الفريق القاضى عن استقالته وتعليق المشير عامر عليها وتطمينه للفريق القاضى واستنامه الفريق القاضى لهذه الوعود ان الأمور لم تكن الا صورة

أخرى من صور الازدواجية التى كانت الثورة تؤثر الأخذ بها منذ قيامها، ولنتذكر ما كان يحدث من تعارض بين قرارات مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء فيكون الحل الفريد هو عقد مؤتمر مشترك يظهر اختلاف أعضاء مجلس القيادة مع بعضهم فيكون الحل ان يجتمعوا للتشاور فيما بينهم قبل المؤتمر المشترك، ولقد رفض عامر استقالة القاضى .

الحشود الإسرائيلية امام سوريا

وبحكم كونه رئيسا لهيئة العمليات للقوات المسلحة فقد كانت معلومات الفريق القاضى أكثر إحاطة بقصة الحشود وسنرى الفريق القاضى يفاجئنا بما لم يرد فى مصادر أخرى كثيرة، ومن ذلك أن بلغاريا بالإضافة الى الاتحاد السوفيتي- كانت قد أشارت الى حدوث الحشود، على حين أن سوريا نفسها لم تكن عندها معلومات محددة عن هذه الحشود، بل يصل الفريق القاضى الى مالا يتوقعه أى إنسان فى سياق مثل هذه الرواية "فهو يصرح بأن السوريين أنفسهم سألوا رئيس الأركان المصرى فى نهاية زياراته عن حقيقة مسألة الحشود الإسرائيلية؟ ومن أين جاءت "القاهرة" بهذه التفاصيل التى تنشرها الصحف المصرية؟ كأنما يصفعنا الفريق القاضى بهذه المعلومات التى رواها بعد واحد وعشرين عاما من الهزيمة: " كانت هناك معلومات فى ١٤مايو تقول: إن إسرائيل قد حشدت ثلاثة عشر لواء من المشاة والمدرعات على الحدود السورية.

ويقول الفريق القاضى" عندما سألت المشير عامر عن مصدر المعلومات أخبرنى: ان الرئيس عبد الناصر تلقى أنباء الحشود الإسرائيلية من مصدرين أحدهما سوفيتى والآخر بلغارى، والغريب فى الأمر ان سوريا ذاتها لم تكن عندها معلومات محددة عن هذه الحشود. لذلك اتفق الرئيس عبد الناصر والمشير عامر على أن يطير الفريق محمد فوزى الى دمشق فورا حتى يتحقق من صحة هذه المعلومات ".

وبالفعل اجتمع الفريق أول فوزى مع القادة العسكريين السوريين لكنه لم يجد عندهم معلومات مؤكدة عن الحشود الإسرائيلية، لذلك طلب طائرة خاصة وركبها وقام بجولة استطلاعية على الحدود السورية فى هضبة الجولان، لكنه لم يجد دليلا على وجود الحشود

الضخمة وكانت تقارير الاستطلاع للطيران السورى -بدورها- تؤكد عدم صحة هذه المعلومات. وعندما اجتمع الفريق فوزى بالمسئولين السوريين قبل عودته كان سؤالهم له عماهى حقيقة مسألة الحشود الإسرائيلية؟ ومن أين جاءت القاهرة بهذه التفاصيل التى تنشرها الصحف المصرية ؟ وكان جوابه عليهم : إن السوفييت يؤكدون وجود هذه الحشود وقد حذروا من وقوع غزو إسرائيلى على سوريا . ويتحدث الفريق القاضى بأسى شديد عن أن مصر مضت فى سبيلها الى الحرب دون ان تستفيد من نتائج أو نتيجة زيارة محمد فوزى لسوريا حيث تثبت بنفسه ومن السوريين أيضا من عدم وجود أية حشود ولكن اجراءات اعلان الطوارئ لم تنتظر عودة رئيس الأركان من سوريا وإنما أعلنت وهو هناك .

حقيقة الحشود والتهديدات الإسرائيلية

صدرت تقارير المخابرات الحربية فى ٦٧/٥/١٣ تتحدث عن موقف جديد فى المنطقة معادى للجمهورية العربية المتحدة .. أو تم فى الفترة الأخيرة رصد بعض الشواهد والمظاهر التى تشير الى احتمال حدوث بعض التطورات العسكرية والسياسية المناوئة للجمهورية العربية المتحدة بصفة خاصة، والقوى المضاده بصفة عامة وذلك فى منطقة الشرق الأوسط .

١- بلاغ الملك حسين للسيد رئيس اركان القيادة العربية الموحدة بخصوص توفر المعلومات المؤكدة عن قيام هجوم إسرائيلى على سوريا أو الأردن خلال الشهر الحالى.

٢- وصول معلومات عن طريق قيادة الجيش اللبنانى الى القيادة العربية الموحدة تشير بوجود حشود إسرائيلية فى الشمال وتهديد إسرائيل رفضته لبنان لمنع تسلل الفدائيين الى أرضها.

٣- وصول برقية من رئاسة الأركان السورية الى رئاسة الأركان فى ج.ع.م تشير الى حشد قوات فى المنطقة الشمالية من إسرائيل بغرض القيام بهجوم شامل على سوريا .

٤- إخطار من سفارتنا فى موسكو بأن الخارجية الروسية ابلغتها بوجود حشود إسرائيلية بنية الهجوم على سوريا فى المدة من ١٧-٦٧/٥/٢١ وتنصح بالحذر والهدوء عند تطور الأمور وعرض الموضوع على مجلس الأمن بالإضافة الى إخطار من السفير الروسى بالقاهرة لوكيل وزارة الخارجية.

٥- قيام إسرائيل بتجميع بعض قواتها توطئة للعرض العسكرى فى ١٥ مايو ٦٧ .

٦- تصريح ليفى اشكول فى ٦٧/٥/١٢ بأن إسرائيل ستواصل إحباط مشاريع تحويل روافد نهر الأردن واذا تعدت الدول العربية على نصيبها من المياه طبقا لمشروع جونسون وستدافع عن حرية الملاحة لسفنها فى البحر الأحمر.

٧- إجراء بعض الزيارات العسكرية والسياسية لبعض القادة البريطانيين والأمريكيين لإسرائيل وبعض الدول الرجعية "السعوديةوالأردن".

لقد استمر سيل المعلومات فقد تاكدنا من دول اخرى مثل الهند وبلغاريا. بالإضافة الى اشارة من السيد محمد انور السادات رئيس مجلس الأمة والذى تزامن وجوده فى موسكو فى زيارة رسمية ، بأن المسئولين أبلغوه بوجود حشود إسرائيلية أمام الجبهة السورية .. ويرون سرعة إبلاغ الرئيس عبد الناصر وتحذيره .. وتواصل وصول التحذيرات من المانيا الغربية بريطانيا بولندا، وايضا تزامن مع ذلك تكثيف لذاعى من الدول الرجعية "السعودية والأردن" بأن عبد الناصر يختفى وراء قوات الطوارئ الدولية ويسمح بالملاحة الإسرائيلية فى البحر الاحمر ... ولقد عرضت هذه المعلومات فورا على الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر، وعلى ضوئها أمر رئيس الجمهورية "ناصر" المشير عبد الحكيم عامر بالحشد فى سيناء بدون التشاور مع القيادة العامة للقوات المسلحة .

" وكان المفروض – بعد أن تأكد رئيس الأركان المصرى وقتها من عدم وجود الثلاثة عشر لواء اسرئيليا على الحدود السورية–أن يعاد النظر فى قرار الحشد، لكن الذى حدث فى غياب " الفريق فوزى" –وقبل عودته من مهمته– أن حالة الطوارئ قد اعلنت فى القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة واصبحت فى حالة الاستعداد القصوى اعتبارا من الساعة السادسة صباح يوم ١٦مايو ١٩٦٧ ويتواصل حديث الفريق القاضى فى صورة بالغة القسوة يروى فيها ببساطة أن القيادة العامة لم تكن تعلم شيئا عن أوامر التحرك التى بدأت تصدر مباشرة من القيادة العليا للقوات المسلحة بدون علم القيادة العامة ، وأن هذه الأوامر اقتضت أن تتحرك وحدات القوات المسلحة المصرية طوال يوم ١٥مايو مخترقة شوارع القاهرة لتتجه الى الاسماعيلية نهارا وجهارا للفت النظر للتحرك "وبدأت وحدات القوات المصرية تتحرك طوال يوم ١٥مايو مخترقة شوارع القاهرة فى "مظاهرة عسكرية ضخمة فى اتجاه الاسماعلية". كان الموقف غريبا فى القيادة العامة فقد كانت أوامر التحركات تصدر مباشرة من القيادة العليا ولاندرى عنها شيئا"، ومن المعروف أن مثل هذه التحركات كانت تجرى ليلا وفى سرية كاملة... ويعترف الفريق القاضى ان القيادة المصرية كانت حريصة على تصعيد الموقف وان هذا وصل

وصل الى تكليف الجيش الميدانى بالتخطيط للاستيلاء على ميناء "ايلات" الإسرائيلى . وكان الإصرار على تصعيد الموقف يبدو واضحا من جانب القيادة السياسية -وأيضا لم نكن نفهم ما وراء ذلك- وكانت الأوامر المتلاحقة والمتناقضة تتتابع بتحركات الفرق والوحدات المختلفة الى سيناء ،لكن بلا خطة موضوعة وبلا هدف استراتيجى " واستمرت الحشود والتحركات برغم تقرير رئيس الأركان -الفريق محمد فوزى الذى ينفى وجود اية حشود إسرائيلية فى الشمال على حدود سوريا، وفى يوم ١٨مايو عقدت القيادة العليا اجتماعا عسكريا هاما واتخذت قرارا بتكليف الجيش الميدانى بالتخطيط للاستيلاء على ميناء ايلات الإسرائيلى" ويجيد الفريق انور القاضى تصوير الموقف العسكرى المصرى فى منتصف مايو١٩٦٧ بطريقة علمية ورقمية وهو يلخص الموقف تلخيصاً جيداً يلفت فيه النظر إلى عدة حقائق تكاد تكون غامضة فى كتابات الآخرين -على سبيل المثال- يصف الخطة " قاهر" انها كانت مستحيلة التنفيذ وهو يشير الى الخطة الهجومية الوحيدة التى كانت متاحة فى قواتنا المسلحة وهو يحسم الأمر فيما يتعلق بوجود قواتنا فى اليمن، ويرتب على هذا الوجود ان قواتنا المسلحة لم تكن قادرة على المواجهة مع إسرائيل اى انه يصل بحد التأثير السلبى (لغياب قواتنا فى اليمن بعيدا عن أرض الوطن) الى هذه الدرجة، ولايتوقف كثيرا عن الحديث عن أن وجود بعض القوات المسلحة المصرية فى اليمن قد أثر على كفاءة المواجهة دون شك، لكنه هنا كما سنقرأ -يصور الأمر بطريقة أكثر خطورة وابلغ اثرا ، فضلا عن هذا وذاك فإن الفريق القاضى ينبه الى عجز الموازنة وهو يستعمل تعبير (ميزانية حرب) ويشير الى انها لم تكن موجودة. وسنرى فيما بعد بأنه يعول على هذه الجزئية كما أنه أشار فيما نقلناه عنه فى فقرة سابقة الى ما لمسه من انفعال المشير عامر نفسة بسببها (لم يكن احد منا يتوقع ماحدث فى يونيو٦٧ ولم يكن احد يدور بخلده أو يطوف فى خياله احتمال الانهيار المفاجئ على النحو الذى جرى، بحق لم يكن احد من القادة العسكريين المصريين تتصور شكل الهزيمة مجسما وماثلا أمام أعيننا فى حرب الايام الستة) . كان هناك قصور وأخطاء ما فى ذلك شك، وكان هناك سوء تقدير وسوء تخطيط وأوضاع عسكرية غير مناسبة. ولكن بداية لم يكن هناك ما يوحى بتصاعد المواجهة على النحو المفاجئ بين مصر وإسرائيل . وكانت كل المؤشرات تؤكد أن جولة أخرى مع إسرائيل أبعد ماتكون عن تفكير القيادة السياسية والعسكرية المصرية للاسباب الآتية :

اولا : لم تكن هناك قوات ضاربة كافية للمواجهة العسكرية مع إسرائيل فقد كانت القوات الرئيسية للجيش المصرى على بعد ألفى كيلومتر فى اليمن.

ثانيا: لم تكن هناك ميزانية حرب مخصصة للمواجهة مع العدو، بل على العكس فقد جرى تخفيض ميزانية القوات المسلحة قبل صدور أمر الحشد العسكرى بشهر واحد .

ثالثا : لم تكن هناك خطة استراتيجية موضوعة للعمليات الهجومية - باستثناء خطه (قاهر) المستحيلة التنفيذ كما لم تكن هناك واجبات محددة فى القيادة العامة تتم على أساسها تحركات القوات المصرية فى سيناء. حتى مايو ٦٧لم يكن هناك دليل على الحرب، لا على استعدادا لها ولا على احتمال وقوعها ....

ويلقى الفريق القاضى بالضوء على طبيعة التهديدات الإسرائيلية وهو يذكر انها لم تكن أول مرة تهدد فيها إسرائيل سوريا، ولكنها- أى التهديدات- كانت بمثابة عادة سنوية تتم عند الاحتفال بقيام دولة إسرائيل ، وفى الحقيقة فإن الفريق القاضى ينفرد بهذه الملاحظة الذكية، كذلك فانه ينبهنا الى جانب آخر من الموضوع تغافل عنه من يروون وقائع تلك الفترة وهو يشير الى تصاعد الأعمال الفدائية من داخل سوريا وهو ما يحسب لسوريا من قطع وإن كان -فى ذات الوقت- يفسر حرص إسرائيل على تهديد سوريا بالذات ومع هذا فان الفريق القاضى يضيف الى معلوماتنا حقيقة مهمة وهى ان هذه التهديدات والتصريحات لم تكن لتأخذ هذه الأهمية اخرى تجمعت عند الرئيس عبد الناصر من عدة مصادر على رأسها الاتحاد السوفيتى .

وكان الرد على اى سؤال من العسكريين غامضا : أن هناك معلومات مؤكدة تجمعت لدى القيادة السياسية أن إسرائيل تستعد لغزو سوريا وأن هناك حشوداً إسرائيلية مكثفة على الحدود السورية، وكان رد ناصر شخصيا على أسئلة عامر العسكرية (ان الأمر لن يتعدى مظاهرة للرد على (التهديدات)!! . كانت هناك تهديدات إسرائيلية متكررة فى مثل هذا التوقيت كل سنة عند الاحتفال بقيام إسرائيل، وكان ليفى اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى قد صدرت عنه التصريحات الصاخبة على إثر تصاعد عمليات الفدائيين على الحدود الإسرائيلية وكان الجنرال اسحاق رابين- فى ذلك الوقت رئيساً لأركان إسرائيل - واطلق عدة تهديدات مماثلة وقال: ان إسرائيل تعلم ان سوريا تقف وراء جميع أعمال التخريب داخل إسرائيل . وان رد الفعل سيكون مختلفًا عن الأعمال الانتقامية التى قامت بها ضد الأردن ولبنان. ولكن كل هذه التهديدات لم تخرج عن انها تصريحات إسرائيلية عادية ومتكررة وليس فيها مايبعث على احتمالات الغزو أو الهجوم على سوريا، ولكن الرئيس جمال عبد الناصر

وجد فيها تهديدات مباشرة على ضوء المعلومات التى تجمعت عنده من عدة مصادر وأهمها الاتحاد السوفيتى ...وفى مساء نفس اليوم ١٤مايو طار الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان الى دمشق فى طائرة عسكرية خاصة لكى يبحث الموقف على الطبيعة مع القادة السوريين ، وبالدرجة الأولى لكى يستكشف حقيقة الحشود الإسرائيلية على الجبهه السورية بنفسه لأن أبعاد الصورة لم تكن واضحة تماماً امام القيادة السياسية والعسكرية فى القاهرة.

الخطة الدفاعية عن سيناء

ويشير الفريق القاضى الى تفصيلات الخطة الدفاعية التى كانت القوات المسلحة قد وضعتها من قبل، وهو يعطينا تفصيلات دقيقة لهذه الخطة وتنبئ هذه التفصيلات بوضوح عن أننا لم نكن نتوقع أن نكون مسيطرين تماما على سيناء فى حالة أى هجوم .

كانت الاستراتيجية العسكرية العامة "دفاعية" بحتة بمعنى الدفاع عن سيناء فى حالة وقوع اى هجوم إسرائيلى على أرضها، وكانت هذه الاستراتيجية قائمة على أساس منع القوات الإسرائيلية من اختراق خط الدفاع الاول -على الحدود- والذى يمتد من الشمال بخط من البحر ويمر شرق العريش بحوالى ١٢كيلومترا وغرب رفح بمسافة ٢٨ كيلومترا ثم يمضى الى موقع "أم قطف" على المحور الأوسط ثم موقع "التمد" على المحور الجنوبى، ومعنى ذلك ان مدينة رفح كانت خارج النطاق الدفاعى الأمامى لصعوبة موقعها وتقرر الاكتفاء ببعض وحدات استطلاع فيها، نفس الموقف بالنسبة لمنطقة شرم الشيخ فقد تقرر عدم الدفاع عنها .. ويشير الفريق القاضى الى فلسفة القوات المسلحة فى وضع الاستراتيجية الدفاعية على هذا النحو الذى اشار اليه فإذا بنا نفاجأ -مرة أخرى- أننا كنا قد أهملنا تأهيل سيناء للدفاع عن نفسها، بل وأهملنا تأهيل قواتنا المتمركزة فيها للقيام بأى دفاع نشط مكتفين بنوع قاصر من انواع الدفاع السلبى الحذر المؤقت وغير القابل للاستمرار، وهو يعبر عن هذا المعنى بصراحة - ولكن على استحياء- ويقول: كانت جميع الخطط الدفاعية القائمة على هذه الاستراتيجية موجهة الى منع القوات الإسرائيلية من الوصول الى قناة السويس وتدمير القوات التى تخترق النطاق الدفاعى الأمامى. وكان الحجم الكلى للقوات المسلحة -بما فيها القوات الضارية الموجودة فى اليمن- يكاد يكفى لتحقيق هذه المهمه الدفاعية المحدودة، ويصل الفريق القاضى الى تحديد قاطع لمدى قدرة القوات المسلحة فى ذلك الوقت ونحن نلاحظ أنه يحدد هذا التحديد ومازلنا فى البدايات التى كانت بكل المقاييس أفضل من الأيام اللاحقة، فقد كنا فى

البدايات لانزال ملتزمين بخط واضح، لم نعدل الخطط، ولم نخترق الاستراتيجية، ولم نرهق القوات فى تحركات عشوائية، وهو يعترف بكل صراحة ووضوح أن قواتنا كانت عاجزة حتى عن تنفيذ الخطة الدفاعية، ومع هذا فإن القرار السياسى كان يستدعى الى الذهن أو يعنى فى الواقع القدرة على توجيه الضربة الأولى للقوات الإسرائيلية ."وكان هذا القرار السياسى برفع درجة الاستعداد يعنى "التدخل " وحشد القوات المناسبة واللازمة فى جبهة سيناء على ان تكون قادرة على توجيه الضربة الأولى للقوات الإسرائيلية فى حالة الحرب، ولكن ذلك الأمر كان يتنافى مع الوضع القائم للقوات المسلحة -وقتها- وعدم قدرتها على تنفيذ الاستراتيجية الدفاعية الموضوعة" .

نقد القرار السياسى

وفى ضوء هذه المفارقة فإن الفريق القاضى كرئيس للعمليات يحدثنا عما كان ينبغى عمله فى مثل هذه الظروف، وهو كما نراه فى كل ما يرويه محدد تماما وواضح جدا فيما كان يتوقعه من اجراءات تنفيذية، وهو يعترف بنفس الدرجة من الوضوح والتحديد بأن هيئة العمليات فى القوات المسلحة (التى كان يرأسها هو) لم تكن راضية عن الخطة وأنها (اى هيئة العمليات) وضعت عنها تقريرا صريحا فى ١٦ديسمبر١٩٦٦ مشيرة الى غياب ثلثى القوات العسكرية المصرية فى اليمن، وضعف مستوى الإمكانات المتاحة، فضلا عن تهالك الأسلحة والمعدات بسبب حرب اليمن وهو يلخص مطالبه التى كان يطالب بها فى ذلك الوقت ويرى حتميتها: كان لابد أولا من سحب جميع القوات المصرية الموجودة فى اليمن حتى تنضم الى الاحتياطى الاستراتيجي للقوات المسلحة . كان لابد ثانيا من اعتماد ميزانية حرب لإعلان حالة التعبئة وحشد القوات المسلحة بهذه الصورة، ولكن الأهم من ذلك كله هو انه بعد استكمال عناصر الخطة "قاهر" فى أوائل ديسمبر١٩٦٦ والتى استغرق إعدادها شهر يونيو ١٩٦٦-اى عام قبل يونيو٦٧- والتصديق على خطة القيادة العسكرية الشرقية بخصوص أوضاع القوات المصرية الموجودة تحت قيادتها، بعدها بدأت هيئة العمليات بالقوات المسلحة فى وضع تقرير عام عن هذه الخطة لما كان يحيطها وقتئذ من ظروف متداخلة فى ١٦ديسمبر١٩٦٦ بالتحديد، وأهمها وجود القدر الاكبر من قواتنا فى اليمن -كانت تقدر بحوالى ثلثى القوات المسلحة المصرية- وكذا ضعف القدرة القتالية للتشكيلات والوحدات وكذا نقص الافراد والمعدات والتجهيزات عن المستوى المطلوب وكذا تهالك جانب من الأسلحة والمعدات نتيجة استهلاكها فى حرب اليمن.

تحذيرات هيئة العمليات

ثم يشير الفريق القاضى الى أن هيئة العمليات حذرت -كتابة- من الاندفاع الى مواجهة عسكرية مع إسرائيل فى ذلك الوقت، وان هذا التحذير قد تضمن تقريرا عرضه هو على رئيس الأركان (اى الفريق فوزى) الذى صدق عليه وأمر بعرضه على الفور على القيادات الاعلى . ويستطرد الفريق القاضى موضحا انه لم يحذر من مواجهة كبيرة فحسب، لكنه - للأسف الشديد- حذر حتى من اية عمليات تعرضية صغيرة: أقول وضعت هيئة العمليات تقريرا حذرت فيه من القيام بمواجهة عسكرية مع إسرائيل -ولفترة زمنية طويلة قادمة - حتى يمكن تلافى ما سبق ذكره من عيوب ونقائص. ولقد عرضت هيئة العمليات هذا التقرير على الفريق محمد فوزى رئيس الأركان الذى وافق عليه فورا وأمر بعرضه على القيادة العليا - والاعلى - ولم تكتف هيئة العمليات بذلك التحذير المكتوب بل كانت تضيف التحذير من اية عمليات تعرضية حتى لو كانت صغيرة وبحيث لايتم ذلك الا بعد عودة القوات المصرية الاساسية من اليمن.

تخفيض موازنة القوات المسلحة

وينفرد الفريق القاضى بتقديم أكثر المعلومات تفصيلا عن تخفيض موازنة القوات المسلحة فى نفس عام الحرب، وهو يشير الى مؤتمرين عقدا من اجل هذا الفرض. وسنقرأ ما يرويه الفريق القاضى ولكننا لابد ان نشير الى ما لا يزال بعض الكتاب يتحدثون فيه من أن الحرب قد فرضت علينا حين كنا قد أصبحنا فى وضع اقتصادى متميز نتيجة نجاح خطط التمية (الخمسية وما الى ذلك) ولكننا هنا نجد نصوصا صريحه لرئيس هيئة العمليات فى القوات المسلحة تقول بأن الدولة نقلت رسالة محددة الى القوات المسلحة تحمل بكل صراحة الإحساس بالوضع الاقتصادى السيئ للدولة، ونحن نرى الفريق القاضى يصرح كما ذكرنا - بما لم يصرح به غيره فى هذا الشأن - وهو أن جميع الاعتمادات المخصصة للتدريب والإنشاءات والتسليح قد وفرت (أى ألغيت) وهكذا كان على القوات المسلحة أن تبقى فى الوضع الذى كنا نراه فى مصالحنا مدينة كبيرة فى السنوات السابقة وقد اقتصرت اعتماداتها المالية على ما يكفى لمرتبات الموظفين فحسب !! .. "والشئ الغريب انه قد تم تخفيض ميزانية (يقصد موازنة) القوات المسلحة مرتين فى فبراير وابريل من عام ١٩٦٧ وألغيت جميع الاعتمادات المخصصة للتدريب ولانشاء الدشم والمطارات السرية ولتجهيز الخط الاول والخط

الثانى فى سيناء وكادت الميزانية تقتصر على المرتبات والمصروفات العادية " ..."ومازلت اذكر هذين المؤتمرين اللذين عقدا فى القيادة العامة على اعلى المستويات وحضرهما جميع قادة الأسلحة والتشكيلات وكان القرار موضع المناقشة هو كيفية ضغط مصروفات القوات المسلحة بسبب الوضع الاقتصادى السيئ للدولة" .." كان المؤتمر الأول فى فبراير١٩٦٧ وجرت خلاله مناقشة الموقف الصعب للاقتصاد المصرى بسبب نزيف حرب اليمن وكان المطلوب توفير كل ما يمكن من ميزانية القوات المسلحة وقيل لنا بصراحة ان الاعتمادات لا تكفى سوى لمرتبات الجنود والضباط فقط " . "وكان المؤتمر الثانى فى ابريل ١٩٦٧ قبل قرار الحشد بشهر واحد وكان بخصوص وضع ميزانية القوات المسلحة للسنة المالية الجديدة التى تبدأ فى يوليو وحضر الفريق محمد فوزى هذا المؤتمر واخبرنا ان المطلوب ضغط الميزانية الى ادنى حد ممكن وتوفير جميع الاعتمادات المخصصة للتدريب والانشاءات والتسليح برغم ان معظم المعدات والأسلحة والمدرعات قد استهلكت فى اليمن وحينما حاول بعض القادة مناقشة الموضوع قال لهم الفريق فوزى ان ذلك قرار نهائى من القيادة العليا وان المطلوب منهم فقط هو كيفية وضع جدول ميزانية القوات المسلحة على اساس قرار التوفير ويعقب الفريق القاضى بعد هذا كله بقوله:" وهكذا بعد هذين المؤتمرين كان واضحا اننا لن ندخل اية مواجهة مع إسرائيل تحت تلك الظروف الصعبة " .. ويتحدث الفريق القاضى عن تفصيلات مهمة فيما يتعلق بالوضع العسكرى العام لقواتنا المسلحة فيعترف بمدى حجم التدهور الذى أصاب سياسات التدريب والتسليح وإنشاء المطارات السرية واصلاح السفن والمدمرات والغواصات وهو يتحدث عن هذه الجوانب بدقة بالغة كما يتحدث عن الخطين الدفاعيين الأول والثانى بحسم أكثر مما تحدث به الفريق صلاح الحديدى فى كتابه عن حرب يونيو ١٩٦٧ . ويتوج الفريق القاضى هذا كله بما ينسبه الى الفريق أول محمد فوزى من قوله باستبعاد وقوع الحرب مع إسرائيل بسبب حالتنا الاقتصادية !!.. الوضع العام كان متدهوراً بشكل خطير من قبل قرار تخفيض الميزانية وكانت القوات المسلحة تعانى من سوء التدريب ومن نقص التسليح لبعض الوحدات وكانت السنوات الخمس لحرب اليمن كافية للهبوط بالوضع العسكرى العام وخلقت نوعا من التشتت للضباط والجنود الذين كانوا موزعين فى دورة لا تنتهى بين اليمن والهاكستب والعريش .وكانت الوحدات لا تجد الوقت الكافى للتدريب .. وزاد الموقف سوءا بعد ذلك عندما بدا التوفير فى اعتمادات انشاء المطارات السرية وتوقف اقامة الدشم والملاجئ للطائرات .. والغيت اعتمادات اصلاح السفن الحربية والمدمرات والغواصات وصيانتها .. وكانت ملامح الكارثة تاخذ شكلها المحدد عندما اوقف الاعتماد المخصص لتجهيز مسرح العمليات فى

سيناء، وألغيت جميع مشروعات الطرق والمواصلات والملاجئ اللازمة لخط الدفاع الثانى وكذلك الاعتماد المرصود لخط الدفاع الاول الامامى وتوقف استكماله وكان هذا الوضع يدعو للانزعاج .. وعندما ناقشت الموضوع مع الفريق أول محمد فوزى رئيس الأركان قال لى "مافيش حرب مع إسرائيل لان حالتنا الاقتصادية لا تسمح بذلك.

أبعاد الفخ المنصوب للجيش المصرى

وكأنما يجد الفريق القاضى نفسه بعد هذا كله فى موقف الدفاع عن النفس وعن روح المسئولية الوطنية التى كانت على عاتقه فى ذلك الوقت، وهو لهذا يشير الى انه كتب فى ذلك الوقت تقارير للمشير عامر يحذره من الوضع السيئ، ويقفز الفريق القاضى من هذه النقطة الى الماضى القريب مشيرا الى أنه كان قد كتب ايضا الى المشير عامر أكثر من عشرين تقريرا ينبهه فيه الى "مصيدة" اليمن على حد تعبيره وكأنما يشير الفريق القاضى الى تقارير اليمن كى يبعث فى نفوسنا القابلية لتصديقه فيما يرويه عن تقارير التحذير ونحن لانكذبه وإن كنا نشير الى هذا الطراز من الديموقراطية فى القوات المسلحة التى تسمح بان تصل الامور الى كتابة مثل هذه التقارير لكننا هنا فيما قبل ١٩٦٧ نجد رئيس هيئة العمليات وقد وصل الى حالة متقدمة من اليأس تدفعه الى أن يكتب تقارير بما يرى ليرفعها للمشير عامر. وإذا هو يتذكر فى اثناء روايته ان هذه لم تكن المرة الاولى التى لجأ فيها الى هذا الاسلوب وانه فعل هذا فى اثناء حرب اليمن أكثر من عشرين مرة !! ولنقرأ هذا النص الموحى بكل هذا :"وكتبت عدة تقارير الى المشير عبد الحكيم عامر احذر من الوضع السيئ ولم تكن المرة الاولى فقد كنت ارى ابعاد الفخ المنصوب للجيش المصرى منذ كنت قائدا للقوات فى اليمن من اكتوبر ١٩٦٢ الى نوفمبر ١٩٦٣، وكتبت أكثر من عشرين تقريرا الى نائب القائد الاعلى عن هذه المصيدة وضرورة الخروج منها باسرع ما يمكن، وكان التقرير الموضوع فى الخطة العسكرية ان تنهى مهمة القوات المصرية فى اليمن عند هذا الحد بعد ان ادت مهمتها وقامت بتامين الثورة وتثبيت حكومة السلال فى صنعاء، ولكن كل التقارير كانت بلا جدوى فقد كان المشير عامر مشغولا بمهام اخرى فى تلك الفترة وكانت تمضى شهور دون ان يتمكن قادة الجيش من الاتصال به أو العثور عليه. هكذا يعترف الفريق القاضى بكل بساطة- وبكل مرارة ايضا ان الشهور كانت تمضى دون ان يتمكن قادة الجيش من الاتصال بالمشير عامر أو العثور عليه نظرا لكثرة الأعمال الملقاة عليه والمهام الصعبة والثقيلة التى كان يكلفه بها عبد الناصر والتى سبق الإشارة اليها فى موضوع عامر رجل المهام الصعبة.

رأى الفريق القاضى عن اليمن

ويتحدث الفريق القاضى عن لقاء له مع الرئيس عبد الناصر فى نهاية الاحتفالات بعودة بعض قواتنا من اليمن فى مايو ١٩٦٣ ونحن نرى الفريق القاضى حريصا على أن يثبت أنه ألح على الرئيس عبد الناصر فى هذا اللقاء الذى تم فى بيت الرئيس وكرر الإلحاح من أجل عودة قواتنا فى اليمن، وأن عبد الناصر لم يعارضه فيما يتعلق بوجهة نظره العسكرية لكنه لفت نظره الى الجانب السياسى فى العملية وأنه صرح له بأن عملية اليمن كانت بمثابة ضربة مضادة للضربة التى تلقاها بانفصال سوريا، ومع هذا فإن الفريق القاضى فيما يروى يثبت لنا أن عبد النصر كان واعيا للحقائق الاستراتيجية ولهذا كان مقتنعا بأهمية التفاهم مع السعودية .. عندما حضرت الى القاهرة مع القوات الرمزية القادمة من اليمن فى مايو ١٩٦٣ كنت قد حددت فى ذهنى صورة متكاملة للفخ المرسوم بمهارة للجيش المصرى وذلك من خلال الشهور التى أمضيتها بين جبال اليمن وعلى ضوء الموقف العسكرى والسياسى الذى لمسته عن قرب مع القبائل اليمنية .. وبعد انتهاء الاحتفالات فوجئت بأن الرئيس جمال قد حدد لى موعدا لمقابلته قبل عودتى الى مركز القيادة فى صنعاء. وذهبت الى بيته فى منشية البكرى وقررت بينى وبين نفسى مصارحته بكل ابعاد المؤامرة التى رأيتها تنسج خيوطها على الجيش المصرى فى اليمن .. وفى غرفة مكتبه تكلمت كثيرا وشرحت كثيرا الصورة بكل زواياها للرئيس عبد الناصر .. احنا عملنا اللى علينا وأكثر ولابد أن ننسحب بأسرع ما يمكن من هذا الفخ .. وظل الرئيس عبد الناصر يستمع طويلا ثم قال لى: لكن الانسحاب بقواتنا مش ممكن معنى كده انهيار ثورة اليمن والعملية سياسية أكثر منها عسكرية وأحسست بخطورة الإصرار على هذا الرأى وقلت له: كل ما أخشاه على القوات المصرية الموجودة هناك أن يتسع نطاق العمليات شيئا فشيئا وتتبعثر بين جبال الجوف ولم يقتنع الرئيس عبد الناصر وقال لى انا باعتبر ان احنا وجهنا ضربة مضادة لضربة الانفصال فى سوريا ولايمكن أن نترك اليمن، وحاولت مرة اخرى التحذير من الفخ وقلت له لابد اذن من التفاهم مع السعودية لأن استمرار الوضع بهذا الشكل لن ينتهى أبدا خصوصا ان معظم قبائل الجوف وصعدة تدين بالولاء للسعودية من سنين، واخير فهمت من سياق الحديث ان عبد الناصر مقتنع بضرورة التفاهم مع السعودية لانهاء الحرب فى اليمن على اساس بقاء النظام الجمهورى ووعدنى بانه سوف يقوم بعمل هذه التسوية مع الملك سعود قبل نهاية ١٩٦٣ حتى يمكن تنفيذ عودة الجيش من اليمن فى موعده المحدد .. وعند هذا الحد يتوقف الفريق انور القاضى ليعقب فى اسف ويقول: ولكن هذا التفاهم تاخر كثيرا ولم يتم إلا مع الملك فيصل وعلى ظهر سفينة حربية

فى البحر الأحمر وكانت معظم الأسلحة الجديدة قد استهلكت فى معارك الجبال الواعرة وفقدنا جزءا من الدبابات والمصفحات فى العمليات الواسعة فى مناطق الجوف أو "المقبرة الصخرية" كما كان يسميها رجال القبائل- كما دخل رجالنا فى نوع غريب من حرب العصابات التى تستنزف الجيوش النظامية ".

الموقف من ١٥مايو-٥يونيو١٩٦٧

ويصف الفريق القاضى مشاعر القادة العسكريين المصريين على مدى العشرين يوما"١٥مايو-٥يونيو" بالقلق والحيرة والتوتر ويشير الفريق القاضى الى بعض الأسباب وراء قلق القادة العسكريين فقد تمت التحركات دون التجهيز أو الاعداد أو التخطيط وبشكل متعجل فضلا عن نقص الطرق والكبارى وعن ان التحركات كانت مكشوفة فى العراء وهو يشير الى سقوط الامطار فى يومين متتالين مما زاد من مشكلات تعويق الحركة :" وهو ما يعتبره اللواء الدغيدى بمثابة كرامة من الله أنذر بها المصريين دون أن يستجيبوا": ... وعلى مدى العشرين يوما الخطرة-من ١٥مايو الى ٥يونيو-كان الموقف يزداد غموض وتوترا وكان القادة العسكريون يزدادون قلقا وحيرة ."وكانت تحركات القوات المصرية قد تمت بشكل متعجل كى تأخذ أوضاعها فى سيناء تنفيذا للخطة الدفاعية الموضوعة من قبل -ولايمكن تصور مدى ما عانته قوات المنطقة المركزية من مشاكل الإمداد والتموين فى تحركاتها نظرا لعدم خبرتها فى القيام بمثل هذا التحرك الطويل من غرب القاهرة الى سيناء ومرة واحدة وبدون تجهيز واعداد مسبق" .. وكان فى مقدمة المشاكل عدم وجود الطرق الكافية للتحركات وكانت كل تلك الحشود تتم على الطريقين الصحراويين الموصلين الى سيناء: طريق القاهرة-السويس، وطريق القاهرة- الاسماعلية ، ثم عبركوبرى الفردان الضيق على قناة السويس لذلك كانت عملية نقل القوات الى الخطوط الأمامية للجبهة مليئة بالمشاكل وخالية من النظام.

وكانت النتيجة أن تعطلت عربات ودبابات عديدة على طول الطريقين وكان السبب عدم وجود الوقود اللازم اوعدم الصيانة. وقد حدثت مصادفة قاسية عندما هطلت الأمطار بكثافة فى يومين متتالين أثناء التحركات وزاد الارتباك فى طوابير الدبابات والمدافع والمركبات التى كانت تزحف بالآلاف مكشوفة فى العراء ... ويقدم الفريق انور القاضى وصف تفصيليا دقيقا لما يمكن ان يطلق عليه تحركات أو "عمليات" القوات المسلحة على مدى الايام التى انقضت منذ إعلان الحشود العسكرية وحتى اندلاع الحرب فى ٥يونيو ١٩٦٧ . ويحرص الفريق القاضى فى

روايته على ان يظهر تذمره (وتذمر القيادة العامة وقيادة الجبهة) من الأوامر التى كانت تصدرها القيادة العليا وعلى التنبيه على أن هذه الأوامر لم تكن لتتناسب مع الامكانات المتاحة للجيش الميدانى أو القوات المسلحة. ومن ناحية ثانية يشير الفريق القاضى فى الملخص الذى يقدمه لهذه التحركات الى تعدد وتعارض اتجاهات التفكير وما ترتب على هذا التعارض من الأمر بتحركات متعارضة :" وما كادت القوات المصرية تنتقل الى خطوط الجبهة وتأخذ اوضاعها المحددة فى الخطة الدفاعية حتى بدأت التغيرات والتعديلات فى المهام القتالية بشكل عشوائى، وكان القادة يجدون انفسهم - سواء فى القيادة العامة أو فى قيادة الجبهة- امام قرارات متغيرة من القيادة العليا. وعلى سبيل المثال:.. فى يوم ١٨ مايو صدرت أوامر الى الجيش الميدانى -وكان قائده الفريق صلاح محسن- بوضع خطة للهجوم على (إيلات) والاستيلاء عليها علما بأن أوضاع الجيش الميدانى وامكانياته لم تكن تسمح بتنفيذ مثل هذه الخطة ... فى يوم ٢٠مايو اتجه تفكير القيادة العليا الى ايجاد قوات أخرى فى المحور الشمالى للقيام بعمليات هجومية محدودة، وتدرجت الأوامر الى درجة أنه فرض علينا تعديل الحد الأمامى للخط الدفاعى ومد نطاقة الى رفح - بدلا من الكيلو٢٨ على طريق العريش- علما بصعوبة الدفاع عنها واحتياجها الى قوات كبيرة غير متوفرة .

ويرى الفريق القاضى فى مذكراته أن الرئيس عبد الناصر قد اتخذ ما يعتبر أخطر قرار له (وهو مايصفه القاضى بأنه بمثابة قرار إعلان الحرب) دون أن يرجع فيه الى القيادة العسكرية وهو يقصد قرار اغلاق خليج العقبة امام الملاحة الإسرائيلية.

ففى يوم ٢٢مايو اتخذ الرئيس عبد الناصر- بصفته القائد الأعلى-أخطر قرار بدون الرجوع الى القيادة العسكرية، وبدون ترتيب الاستعدادات اللازمة لذلك عندما أعلن إغلاق خليج العقبة امام الملاحة الإسرائيلية -خلال زيارته للطيارين فى قاعدة المليز- وكان المفروض ان يتم الاعداد لهذا القرار وما يستتبعه من تجهيزات وتحركات عسكرية صعبة.. فقد كان معنى إغلاق الخليج عند إسرائيل هو الحرب وكانت هذه الاستراتيجية معروفة لدينا من قبل وجرت مناقشتها فى اجتماعات عسكرية سابقة فى القيادة وهكذا كان مؤكدا أن إسرائيل سوف تشن الحرب بعد حصار مضايق تيران وخلال فترة محدودة، مع العلم بانه لم يكن موجودا فى شرم الشيخ اية تجهيزات دفاعية للقوات المصرية لأن قوات الطوارئ الدولية كانت توجد فيها منذ حرب ١٩٥٦حتى قامت بإخلائها فى ٢١مايو ١٩٦٧، لذلك اضطرت القيادة العليا الى إرسال بعض القوات الخفيفة بالطائرات حتى تأخذ مواقعها على مدخل الخليج

لتغطية قرار الرئيس عبد الناصر بإغلاق المضايق وينتقل القاضى بعد حديثة عن قرار اغلاق خليج العقبة الى الحديث عن قرار سحب قوات الطوارئ من سيناء وهو يذكر ايضا ان هذا القرار كان مفاجئاً لجميع القادة وتم بدون بحث عسكرى أو تقدير موقف :"واتوقف ايضا امام قرار سحب قوات الطوارئ من سيناء وهو يذكر ايضا ان هذا القرار كان مفاجئا لجميع القادة ولم يتم بحثه من الناحية العسكرية على ضوء احتياجات الموقف وامكانيات القوات المصرية، ويرى الفريق القاضى -بعد فوات الاوان بالطبع - انه كان من الممكن تاجيل هذين القرارين حتى تقوم القوات المسلحة بالاستعداد الكامل لمواجهة الموقف ولو اقتضى الأمر شهورا ما دام رأى القيادة السياسية قد استقر على الدخول فى الحرب فعلا لكن الذى حدث كان مفاجأة غير متوقعة للقيادات العسكرية ... وعلى الرغم من ان القادة العسكريين من طراز وطبقة الفريق انور القاضى قد باتوا يتوقعون الحرب الا انهم لسبب لم يذكره الفريق القاضى انساقوا الى الاقتناع بآراء المشير عامر المهدئة لقلقهم وظنوا ان هذا أدعى الى الاطمئنان وهكذا أخذ هؤلاء القادة بمن فيهم أنور القاضى نفسه يعدلون الخطط ويضعون الخطط البديلة على اساس عمليات تعرضية هجومية تهدف اساسا الى تخفيف الضغط على الجبهة السورية فى الشمال ... المهم كان هذان القراران -سحب قوات الطوارئ وإغلاق خليج العقبة - سببا فى تصعيد الموقف مع إسرائيل ودفع العملية بسرعة نحو هاوية الحرب وكان شعورنا فى القيادة العامة وفى هيئة العمليات ان الحرب واقعة لامحالة مع إسرائيل، ولكن المشير عامر حاول تهدئة الجو المتوتر وفهمنا ان التعاون مع القوات السورية سيكون على شكل عمليات تعرضية - هجومية- تقوم بها القوات المصرية على الجبهة فى الجنوب حتى يخفف الضغط على الجبهه السورية فى الشمال، وبالتالى يتوزع مجهود القوات الإسرائيلية على الجبهتين . وأخذنا فى تعديل الخطط ووضع الخطط البديلة على هذا الأساس.

على هذا النحو يدعم الفريق القاضى استنتاجاته بما رآه رأى العين وسمعه بأذنيه ثم هو يؤكد على هذا المعنى بما لاحظه من ظهور الخلاف على السطح تماما، وهو يؤكد أن المشير عامر عارض عبد الناصر فى مؤتمر- اى اجتماع٢يونيو- لكن عبد الناصر تمسك برأيه وصمم على أن يحصل على موافقة القادة على قراريه قبل الخروج من قاعة الاجتماع ..." وكان الخلاف قد بدأ يأخذ شكله الواضح فى المؤتمر العسكرى الخطير يوم ٢ يونيو عندما حضر الرئيس عبد الناصر الى القيادة واتخذ قرارين على جانب كبير من الخطورة ورفض الرئيس عبد الناصر ان يغادر قاعة الاجتماع قبل الموافقة عليهما، وكان القراران استراتيجيين وصادرين من القيادة السياسية ويمسان الخطة العسكرية مباشرة ،وبرغم معارضة المشير

عامر وامام إصرار عبد الناصر فقد وافق القادة. ولو ألقينا نظرة فاحصة على سير العمليات منذ يوم ٥يونيو فاننا نجد ان القرارات السياسية كان لها الأثر المباشر على جميع العمليات التى دارت فى سيناء.

(ملاحظة) أعترض على كلمة المؤتمر الخطير يوم ٢يونيو من حيث إنه لم يكن مؤتمر مخطط وأعلن عنه، ولم يكن له أجندة ولم يدع إليه القادة رسميا.. ولكنه تصادف ان حضر الرئيس للقيادة ووجد بعض القادة فى مكتب المشير عامر وأدلى بتقديره للموقف السياسى وكانت خلاصته أن إسرائيل لو كانت تنوى الحرب فسيتم ذلك خلال يومين أو ثلاثة أو لن تكون هناك حرب على الإطلاق.

قرار الإنسحاب

ويولى الفريق القاضى اهمية قصوى لتحديد المسئولية عن قرار الانسحاب وهو يعرض على نحو دقيق تسلسل الحوادث المصاحبة لصدور قرار الانسحاب، وهو يرى -اويكاد ينفرد برواية- انه كان هناك قراران للانسحاب وليس قراراً واحداً وهو يفصل القول فى هذه النقطة المهمة :" لقد كان هناك قراران بالانسحاب وليس قراراً واحداً ، القرار الأول فى الساعة الخامسة مساء ٦يونيو، والقرار الثانى فى الساعة الخامسة فى مساء٨يونيو .. ولابد اولا من العودة الى سير العمليات منذ وجهت إسرائيل ضربتها الجوية فى الساعة التاسعة صباح٥يونيو وليس صحيحا ان القتال بدأ فى السابعة والنصف صباحا بالهجوم على موقع(ام بسيس)واحتلاله -بعد الضربة الجوية اشتعل القتال على طول الخط الدفاعى الاول واستمر طوال الليل وصمدت القوات المصرية امام الهجوم الإسرائيلى على المحاور الثلاثة فى سيناء وبدون غطاء جوى .

(وفى صباح ٦يونيو كان الإسرائيليون يضغطون بكل قواهم -وبمساندة طيرانهم- على النطاق الأول ويحاولون اختراقه فى نقاط كثيرة وكان هدفهم تطويق قوات (رفح وام قطف) ... وفى الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا اصدر المشير عامر أمراً بتجهيز خط الدفاع الثانى حتى يكون ركيزة للصمود فى وجه الهجوم الإسرائيلى ثم الهجوم المضاد.

لكن تغير الموقف، وفى الساعة الخامسة مساء (اى فى يوم ٦يونيو) أصدر المشير عامر قراراً بالانسحاب الى غرب القناه على أن يتم ذلك فى ليلتين، وجرت بعدها مناقشات داخل

القيادة وحول القرار وأسبابه مع ان الوضع العسكرى لقواتنا ليس سيئا الى هذا الحد ، وجاءنا جواب المشير عامر:(إنه قرار سياسى) وكان يعنى انه صادر من الرئيس عبد الناصر.

ولم يكن أمامنا غير تنفيذ القرار- بعد ٣٠ساعة من بدء العمليات - وحدثت مناقشات أخرى بين هيئة العمليات وبين الفريق أول فوزى حول المدة المحددة للإنسحاب وقلت له: - (إن ليلتين لاتكفيان ابدا لانسحاب جميع قواتنا، وتم تعديل القرار الى ثلاث ليال على أن تقوم الفرقة الرابعة المدرعة بحماية الانسحاب وتأمين خط الممرات الثلاث حتى تصل الفرقة السادسة من خط الدفاع الأول وتقوم بالاستناد على المضايق وبعدها تنسحب الفرقة الرابعة غرب القناة .

خطـة الإنسحـاب

ثم يروى الفريق القاضى تفاصيل تنفيذ خطة الانسحاب، وستعجب لتصرفات الفريق صلاح محسن قائد الجيش الميدانى، وستعجب أيضا كيف أقره المشير عامر عليها: وواجهنا مشكلة خطيرة: لقد كان لابد من إبلاغ التعديل فى خطة الانسحاب الى القيادة المتقدمة ولم يكن هناك اتصال مباشر بين القيادة العامة وبين الجيش الميدانى لان الفريق صلاح محسن بعد ان صدر له قرار الانسحاب من المشير عامر مباشرة استأذن فى قطع الاتصال بالقاهرة حتى يتفرغ لتنفيذ القرار ووافق المشير على ذلك. وهكذا كان الاتصال مقطوعا بين القاهرة والجبهة فى اليوم الثانى للقتال وفى أخطر ساعات الحرب، ولم يكن امامنا غير ان نبعث بضابط كبير هو اللواء ممدوح التهامى- الى القيادة الميدانية لكى يبلغها تعديل أوامر الانسحاب وقام بالفعل بتسليم الرسالة الى الفريق صلاح محسن قبل منتصف الليل ، وكانت الخطة فيها واضحة والواجبات محددة وكان مضمونها : ضرورة استمرار تمسك الفرقة الرابعة المدرعة بخط الممرات أو المضايق.. حتى تصدر لها أوامر جديدة بالانسحاب) وفى نفس الوقت كانت معالم الصورة على الجبهة قد اتضحت فى نهاية يوم٦ يونيو : كان اختراق القوات الإسرائيلية للخط الاول وتطويقه قد تم فى نقاط عديدة ، ووصل الاسرائيليون الى العريش واخترقوا دفاعاتها واتجهوا الى الساحل الشمالى وأخذوا يتقدمون على الطريق نحو القنطرة واخترقوا كذلك مواقع(ام قطف) (ابوعجيلة) وتقدموا نحو الكيلو ١٥٦ .

وجاء اليوم الثالث-٧يونيو- لكنه كان يوما غامضاً بالنسبة للقيادة العامة وأصبحنا لانعرف شيئا عن ما يجرى لقواتنا فى الجبهة.

فقد انقطع الاتصال نهائيا مع قيادة الجيش الميدانية، وكانت البلاغات تجئ الى القيادة وهيئة العمليات من منطقة اتصال بالاسماعلية بأوامر غير مفهومة وتحركات غير واضحة، وكان القادة يدورون حول أنفسهم فى القاهرة واخذنا نتساءل ماذا جرى لقوات الخط الاول ؟ وماذا حدث لخطة الانسحاب؟.

ثم يتحدث الفريق القاضى عن القرار الذى صدر فى ثالث ايام الحرب بإلغاء قرار الانسحاب-الاول- وهو يذكر الدوافع التى دفعت الرئيس عبد الناصر والمشير عامر الى اتخاذ قرار إلغاء الانسحاب: وفجأة ايضا فى الساعة الحادية عشرة ونصف مساء يوم ٧ يونيو صدر قرار آخر بالغاء قرار الانسحاب الأول وإيقاف عبور جميع القوات من شرق القناة الى غربها ، واعادة وحدات الفرقة الرابعة المدرعة الى مواقعها فى خط الدفاع -فى الممرات- وقد صدر هذا القرار من القيادة العليا عندما وصلت بعض وحدات هذه الفرقة إلى مشارف القاهرة من جهة الهاكستب، وقد انزعج الرئيس عبد الناصر والمشير عامر عندما وصلتهما هذه المعلومات وتقرر عودة الفرقة مرة أخرى الى سيناء ووقف الانسحاب . ويعلق الفريق القاضى على هذه الوقائع فى مرارة واضحة ويقول : كانت هذه الأوامر المتناقضة والقرارات المتضاربة نموذجاً للارتباك الذى اصاب جهاز القيادة العليا وادى الى الفوضى والشلل بين قوات الجبهة.

ويرى الفريق القاضى ان اليوم الرابع من ايام الحرب كان بمثابة بداية الانهيار الشامل،وهو يذكر الاسباب التى تجعله يتخذ هذا الراى ويسجل الفريق القاضى للقراء ما دار بالضبط فى هذا اليوم من قرارات كانت بمثابة انهاء للحرب على ما انتهت اليه: وقد تجلى ذلك تماما فى اليوم الرابع -٨يونيو- وكان الموقف أكثر غموضا وارتباكا من اليوم السابق وكان بداية الانهيار الشامل فقد كان الاتصال مقطوعاً مع الجبهة، وكانت الوحدات تتحرك على غير هدى بين شرق القناة وغربها : انسحاب، أو لا انسحاب، وكانت القوات الإسرائيلية تقترب بسرعة على المحور الشمالى من الضفة الشرقية . لذلك قرر المشير عامر إرسال الفريق أول فوزى إلى الاسماعلية للاتصال بالقيادة الميدانية ومعرفة الموقف على حقيقته : ولم تكد تجئ الساعة الرابعة والثلث مساءحتى كان الارتباك ظاهرا فى القيادة ولم يستطع المشير عامر الانتظار أكثر من ذلك لإنقاذ الموقف المنهار وعقد مؤتمرا عسكريا فى القيادة العليا وقرر اجراء اتصال مباشر مع قادة الجبهة بالتليفون، وأخذ المشير يتصل بهم واحداً بعد الاخر لاستيضاح الموقف واستطلاع آراء القادة .

ثم يروى الفريق أنور القاضى عدة تفصيلات دقيقة ومهمة للاتصالات التى تمت فى

ذلك الوقت ما بين القيادة من جهة والقادة الميدانيين من جهة اخرى وهى الاتصالات التى تناولتها مذكرات كثيرة وكتابات تاريخية متعددة وسنرى القاضى حريصاً على التبيه بانه سجلها بالحرف الواحد وهويقول:(وقد سجلت بالحرف الواحد ماجرى فى هذا المؤتمر الخطير الذى تم تليفونيا بين القيادة العليا وقيادة الجبهة : اتصال تليفونى بين المشير والفريق صلاح محسن قائد الجيش الميدانى "المشير عامر: لابد ان يوقف تقدم العدو ومنع العدو من الوصول للضفة الشرقية للقناة تسد منطقة القنطرة بقوة كاملة).

اتصال تليفونى مع اللواء صدقى الغول قائد الفرقة الرابعة المدرعة (اللواء صدقى: الموقع كان متماسك فى ممر الجدى الساعة ٩٠٠ اوقفنا تقدم الدبابات الإسرائيلية ودمرنا ١٢ دبابة، طائرات العدو تضرب بحوالى ٣٦طائرة على موجات متوالية حرقوا مدفعية الدبابات المضادة للطائرات الاتصال مقطوع مع مركز القيادة الخلفى الاتصال باللواء المدرع مفقود الاتصال مفقود مع قوات سدر الحيطان فيه ضرب على قواتنا الان) .

اتصال تليفونى مع الفريق أول عبد المحسن كامل مرتجى قائد الجبهه: الفريق مرتجى : رايى ضرورة نسف المعابر الان بعد انسحاب جميع القوات الى غرب القناة .

اتصال تليفونى آخر مع الفريق صلاح محسن بعد اتصالات مع قائد موقع القنطرة وقائد الدفاع الجوى فى الجبهة وقائد الفردان (الفريق صلاح محسن: ندافع عن المعابر من الغرب وننسف جميع المعابر الموجودة على القناة وندافع فى الفردان وشمال البحيرات وجنوب البحيرات " المشير عامر : رايك يكون كل دفاعنا غرب القناة).(الفريق صلاح محسن : نعم، بالضبط).

"المشير عامر للفريق أول فوزى:ايه رايك؟" . (الفريق أول فوزى: الدفاع غرب القناة احسن من الناحية العسكرية)

المشير عامر: هل ممكن نشد المدرعات اللى فى متلا . (الفريق أول فوزى: شرق القناة ٤٠دبابة مش جوه الممر نقدر نسحب الدبابات من متلا الأسبقية على المحور الأوسط والشمالى والجنوبى ليس عليه ضغط).

ثم يعلق الفريق القاضى راويا ما حدث فيقول: (وعلى ضوء هذا الواقع الأليم والتمزق الذى حدث لقوات االجبهه اتصل المشير عامر بالرئيس عبد الناصر وابلغه بحقيقة الموقف وسط "الوجوم والذهول") . ثم اصدر بصفته نائب القائد الاعلى القرار التالى -قرار

الانسحاب الثانى- الى رئيس هيئة الأركان لإبلاغه لقائد الجبهة ..(تصدق على قرارك وتدافع القوات عن القناة من الغرب وتنسف جميع المعابر على القناة وعدم نسف القناة الا بتعليمات اخرى تنسحب جميع القوات من الشرق الى الغرب، تستر القوات الجوية عملية الانسحاب ليلة ٨و٩ يونيو) وهكذا انهار كل شيئ فى ٨٠ ساعة وهكذا تداعى البناء العسكرى فى اقل من اربعة ايام.

ويردف الفريق القاضى -بكل المرارة- واصفا صدمة الهزيمة فيقول : " وكانت الهزيمة عاتية ومثيرة للالم وكانت الصدمة اقسى من أى طاقة احتمال فقد كان لاذنب للرجال الذين قاتلوا بشجاعة فيما حدث وما اتخذ من قرارات متخبطة "

وذهب المشير عامر الى بيته بعد أن اتفق مع الرئيس عبد الناصر على التنحى ، وكذلك قدم شمس بدران استقالته. إذن ما هو موقفنا باعتبارنا القادة العسكريين ؟

ويروى الفريق القاضى قصة تقديمه لاستقالته مع مجموعة من القادة الذين قرروا فيما بينهم مشاركة المشير فى المسئولية بعد الهزيمة، وينفرد القاضى فى هذه الرواية بان يذكر ان كل قائد من القادة الكبار كان حريصا على أن يذكر فى استقالته رؤيته الشخصية للأحداث وللمستقبل : " فى صباح ١٠ يونيو ذهب الى القيادة العليا، القادة الثمانية الذين قرروا مشاركة المشير فى المسئولية بعد الهزيمة -كنت واحداً منهم- والتقينا فى مكتب رئيس الأركان واتفقنا على أن نضع استقالاتنا تحت تصرف القائد الاعلى حتى نترك له حرية الحركة وكتب كل واحد منا استقالته على حده ولأسبابه الخاصة التى يراها " ويتحدث الفريق القاضى عما كتبه هو شخصيا فى استقالته فيقول: "قلت فيها للرئيس عبد الناصر : لقد حدث شرخ فى البناء ونحن متضامنون معك فى المسئولية " وكانت كل استقاله تعبر عن ضمير صاحبها وعن أبعاد إحساسه بالمسئولية.

ويذكر الفريق القاضى أنه لاحظ ما بات معروفا بعد ذلك من أن الفريق فوزى دوناً عن الآخرين لم يقدم استقالته، وأن شخصا ما كان يتصل من حين لآخر ليحصل من الفريق أول على التمام بالحصول على هذه الاستقالات :" ولاحظت ان هناك من يتصل بين الحين والآخر خلال اجتماعنا ومناقشاتنا – وعرفت فيما بعد أنه سامى شرف- وكان يسأل بالتليفون عن هذه الاستقالات، وكان واضحا انهم يريدون الحصول عليها قبل اذاعة التنظيمات الجديدة للجيش فى نشرة الأخبار (الساعة الثانية والنصف مساء) وأخذ الفريق فوزى يجمع

الاستقالات منا ويحصيها مع اللواء عمر جوهر، ولاحظت ايضا انه الوحيد من القادة الثمانية الذى لم يكتب استقالته!!" .

ويروى الفريق القاضى أنه حاول ان يقوم بعد استقالته بدور الوساطة بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر، ويبدو الفريق القاضى فيما يروى متعاطفاً مع المشير عبد الحكيم عامر فهو ينفى أن يكون شاهد تجمعات غير عادية فى بيت المشير أو حوله كما انه ينقل عن المشير قوله إن الأمر قد قضى ولكننا نرى واقعة مقابلة لزكريا محيى الدين ذات اهمية خاصة ، فهذا هو زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية نفسه يبدو وكأنه لايعرف لنفسه أو لغيره صفة فى رأب الصدع!:

"بعد استقالتى بيومين- وبعد تغيرات قيادة القوات المسلحة- شعرت ان النظام يهتز بعنف وبفعل الضغط النفسى والتمزق الذى اصاب الجميع وكذلك بسبب الصدع الذى حدث بين عبد الناصر والمشير عامر ووجدت ان القيادة السياسية توشك على الانهيار لو استمرت الامور بهذا التردى" .. ومن جانبى رأيت القيام بالوساطة بين عبد الناصر وعامر لتهدئة الخواطر وذهبت اولا وقابلت زكريا محيى الدين وقلت له : " لقد خرجت من الجيش ولا اريد اى شئ لنفسى وليس لى مطلب، ولكن لايمكن السكوت على هذا التمزق بين الرئيس والمشير، لابد من تدارك الموقف وإلا سقط النظام واوضحت له اننا قدمنا استقالتنا حفاظا على التماسك بين عبد الناصر وعامر ومنعا لتطور الخلاف بينهما وواجبكم جميعا رأب هذا الصدع " .. وسألنى زكريا محى الدين : تقصد من ؟.. وقلت له : اقصد جميع أعضاء مجلس الثورة ولمصلحة البلد والجيش .

"وعندما ذهبت بعد ذلك الى بيت المشير عامر فى الجيزة - وللحق وللتاريخ - لم اجد هذه المشاهد أو التجمعات غير العادية التى جرت التحقيقات حولها فيما بعد والتقيت مع المشير - وكان وحده- واستمع لى طويلا ثم قال: ما فيش فايدة والموضوع فات أوانه خلاص وانتهى الأمر" وبالفعل كان قد انتهى كل شئ بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وانقطعت شعرة معاوية ولم يعد هناك سبيل لإصلاح الشرخ فى العلاقة بينهما.

قالوا عن هزيمة حرب ٦٧

يقول هيكل فى كتابه الانفجار "الحاصل انه بعد نجاح ضربة الطيران الأولى يقصد "لإسرائيل "أصبح دور كل هذه القوات ثانوية يقصد "القوات المصرية "ولم يعد هدفا عسكريا وانما اصبح مطلبها سياسيا وقد حدد الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلى كالآتي :-

١- تدمير أكبر حجم ممكن من السلاح السوفييتى فى المنطقة " لأن ذلك يرضى الولايات المتحدة" الى جانب تأمينه لإسرائيل

٢- تحطيم معنويات الجيش المصرى وإذلاله حتى لا يقبل مرة أخرى أن يقاد الى معركة ضد إسرائيل مهما كانت الظروف

٣- الوصول بالهزيمة العسكرية الى حد الإهانة حتى لا تعود مصر مهما كانت دواعيها الى مكان الصدارة فى العالم العربى (الآن وإلى المستقبل المنظور) .

٤- الجمع بين هذه العوامل كلها بحيث تؤدى الى اسقاط النظام وجمال عبد الناصر على رأسه ، بحدوث ردة فعل غاضبة لدى الجماهير المصرية والعربية .

٥- بتحقيق ذلك - فإن اسرائيل تستطيع ان تفلت بهدفها الاكبر فى العملية كلها وهو الضفة الغربية للأردن بما فيها القدس دون ان تتعرض لأى ضغط من جانب الولايات المتحدة . ذلك لأنها سوف تعطى لـ" جونسون " كل ما أراده وبالتالى فهو لا يستطيع ان يحرمها فى المقابل من كل ما تريده !

كان التخطيط الدولى لخطة " اصطياد الديك الرومى " دقيقا . كان التنفيذ الاسرائيلى للدور المقرر لها فيه على درجة عالية من الكفاءة بصرف النظر عن احكام التاريخ التى فرضت نفسها فيما بعد، وأكدت للكل أن ما حققته اسرائيل ليس هو النصر الذى ينتهى معه

كل الحروب وفى كل الأحوال فإنه ليس هو النصر الذى يستطيع ان يحقق لها السلام الاسرائيلى الدائم الذى كانت تتصوره فى متناول يدها فى تلك الأيام سنة ١٩٦٧ .

ومقابل ذلك كان التخطيط المصرى معرضا ومكشوفا، ومن المحقق أن مصر سواء قدرت ذلك قيادتها السياسية او لم تقدر كانت فى وضع لا يسمح لها مهما فعلت بالانتصار فى معركة الستينات وهنا تجئ المسؤولية التى يتحملها " جمال عبد الناصر " .

ولقد يقال إن المؤامرة كانت أكبر من طاقته وأكبر من طاقة مصر وانها كان يجب ان تطاله وتطالها مهما فعل او فعلت ولكن مثل هذا القول لا يعفيه وان كان من الحق ان توضع احداث سنة ١٩٦٧ فى سياقها التاريخى بالنسبة للعصر وظروفه واحكامه داخل المنطقة الشرق الاوسط وخارجها ومع ذلك ليس هناك شك فى ان " جمال عبد الناصر " مشى الى الفخ الذى نصب " لاصطياد الديك الرومى " ووقع فيه وربما كان مما يحسب له بعد الوقوع فى الفخ انه تمالك نفسه بسرعة وعاد يضع نفسه والأمة وراءه فى مرحلة الصمود وإزالة اثار العدوان .

ولم يهرب " جمال عبد الناصر " من المسئوليه . ففى خطابه الى الأمة يوم ٩يونيو قال، بالنص انه " برغم اية عوامل قد اكون بنيت عليها موقفى فى الازمة فاننى على استعداد لتحمل المسؤولية كلها " .... ومن الغريب انه فى ادارته للأزمة وقع فى خطأ كان هو دائم التحذير منه، فكثيرا ما كان يستشهد بمقولة شهيرة لـ"ونستون تشرشل " (الذى قاد بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية) يحذر فيها :" من خوض اى حرب جديدة بنفس اسلوب الحرب السابقة" .

والحاصل ان جمال عبد الناصر وقع فى هذا الخطأ ذاته، فقد قاد أزمة سنة ١٩٦٧ متاثرا بالمناخ الذى قاد به أزمة سنة ١٩٥٦ قبلها باحد عشر عاما وكانت كل الظروف مختلفة !

ويقول دكتور عبد العظيم رمضان :" قال محمود الجيار الذى كان قريبا من عبد الناصر ومقيما معه واعتبره مصدرا من المصادر المؤكدة أن عبد الناصر كان مبتسما بعد الهزيمة وانا فسرت انه بيبتسم مع فجيعة الهزيمة ... لأن الجيش لم يكن له اى سيطرة عليه .

ويقول الدكتور مصطفى محمود :" اختار عبد الناصر المبدأ الخطأ .. اختار المبدأ الاشتراكى وكانت النتيجة انهيار اقتصادى كامل .. قفلت بمشهد ختامى درامى وهزيمة

ساحقة .. ومع ذلك استمر الخطأ والتستر عليه ".

ويقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى :" المفروض أولا احنا كان عندنا خطة بايظة لا مؤاخذة يعنى الخطة الدفاعية غير سليمة .. بسبب تدخل رئيس الجمهورية فى بعض الحتت وبسبب تدخل عبد المنعم رياض.. الرئيس تصور ان اليهود ممكن يجوا من بعض الوديان الجنوبية ويلفوا حول قوتنا وده اللى خلى عبد الحكيم عامر يغير فى الخطة حسب أوامر عبد الناصر.. اتغيرت الخطة خالص مافيش تدريب على واجب العمليات .. ومناطق فى الجنوب كنا بنبعت لها المياه بالطيران .

يقول شمس بدران عن قرار الانسحاب :"عن قرار الانسحاب اللى صدر هل صدر من المشير ولا من الرئيس عبد الناصر، قال بعد ما حصل الهجوم على العريش وحصلت معركة مدرعات بعد كده عبد الحكيم طلب عبد الناصر فى التليفون وكان موجودا أغلب أعضاء مجلس الثورة .. وقادة الجيش ورئيس الأركان " الفريق محمد فوزى " .. وحتى على عامر كان موجودا -اللى كان رئيس القيادة المشتركة او القيادة الموحدة - وقالوا له تشوف ايه .. قال ننسحب طبعا .. وانت يامحمد فوزي رأيك ايه .. قال الانسحاب .. البغدادى رأيك ايه .. سأل الناس الموجودة كلها ثم قال لعبد الناصر ردا على سؤاله عن رأى القادة المجتمعين فقال له عبد الحكيم كلهم بيقولوا الانسحاب، رد عبد الناصر وقال OK ننسحب .ويكمل شمس بدران .. الفريق صدقى محمود حاول يأخذ اعتماد لإقامة دشم طبعا علشان نتلافى ضربها على الارض ..الدولة ما كنش فيها فلوس او ما كنش احد مهتم بهذا فما اخدش الاعتماد كان بيطلب الاعتماد ده كل سنة ما كنش بياخد اعتماد للدشم او للطيران مدلوش اعتماد لغاية ١٩٦٧ لما اتعينت وزيراً للحربية سنة ١٩٦٦ بعد اعتماد الميزانية .. أصبح أهم اختصاص ليه الشئون المالية ميزانية القوات المسلحة فتعملت ميزانية للقوات المسلحة فى مارس والمفروض بتتصدق فى ابريل .. وراح رئيس أركان القوات المسلحة اللى هو الفريق محمد فوزى بيلف على قادة القوات المسلحة بيروح القوات الجوية يقعد معاها يومين ثلاثة يشوف الميزانية بتاعتها .. وبعدين يروح القوات البحرية يقعد معاها يشوف الميزانية بتاعتها .. ويروح القوات البرية يشوف الميزانية .. وهكذا بيشوف مطالبهم لأن فى هذا العام كانت ميزانية القوات المسلحة وميزانية الدولة عموما متوقفة على الرقم بتاع السنة اللى قبلها .. يعنى احنا كان مخصصا لنا فى الميزانية كذا مليون فى السنة اللى قبلها سنة ٦٦ .. سنة ٦٧ أخذنا نفس المبلغ رغم ان احنا عندنا انشاءات جديدة تتطلب ان المبلغ يكون اكبر .. فنتيجة كده جينا لبند الإنشاءات الجديدة

اللى هو البند الرابع فى الميزانية .. وشطبناه لأن مالوش فلوس ... ولما سئل شمس بدران ومن الذى شطب بند انشاءات الدشم قال " فوزى " محمد فوزى اللى هو رئيس اركان حرب اللى هو بينسق الميزانية وبيقول ايه اللى يتعمل وايه اللى ما يتعملش وعلى قد الفلوس الموجودة .. وانا بتخيل ان جايز اليهود يكون وصلهم ان لأول مرة الميزانية يتحط فيها فلوس علشان إنشاء دشم للطيران فعجلوا بالعملية دى قبل ما الدشم تتعمل" .

ويقول الفريق مدكور ابو العز :" ردا على سؤاله هل أخذنا درسا من حرب ١٩٥٦ يقول :" للأسف لأ .. الطائرة اذا تركت فى العراء وعلى الارض لا تساوى شيئا .. انما إذا طارت بقت سلاحا رهيبا فيجب ان *احميها .. احميها بيناء دشم وعدد من المطارات* كبير بحيث يصعب على العدو انه يضربها كلها مرة واحدة ممكن قوى المطار بينضرب وممكن قوى المطار الثانى يدافع او يروح يضرب اسرائيل وقفت الاعتمادات المالية ضد القوات الجوية بطريقة غير مسئولة .. يعنى المسئولين ما كانوش بيقدروا أبدا وما يعرفوش قيمة القوات الجوية .. لكن للأسف الشديد ما أخذناش الدرس .. وانا لى تجربة كبيرة لازم .(الكلام ده قبل ٦٧ كان سنة ٦٢و٦٣ المرة الاولى) انا كنت اول واحد يناقش هذه العملية مع القوات المسلحة ولكن للأسف الشديد ما كانوش يعطوا أهمية كبيرة للطيران .. فالطيران بمجرد ان هو ينضرب وهو على الارض .. تبقى الحرب انتهت على طول ..

ويسؤال الفريق أول عبد المحسن مرتجى .من المسئول عن الطيران الذى دمر فى ساعات قليلة ؟ فيجيب الفريق مرتجى:" أنا بأعتبر ان الريس عبد الناصر مسئول مسئولية كبيرة جداً مسئول فى هذا الموضوع تماما -ليه - أولا:" احنا مكنش عندنا فى هذا الوقت مطارات كفاية احنا اتعلمنا فى روسيا ان بين المطار والمطار ٢٥كيلو احنا عندنا٤ مطارات اثنان فى سيناء وواحد فى الاقصر وواحد فى قلب القاهرة كلها مطارات لا تكفى الطائرات اللى عندنا ومافيش ملاجئ علشان الطائرات تختبئ فيها وما فيش دفاع جوى كويس.. الرادارات التى كانت تكتشف الطائرات كانت اى طائرة تنزل عن ٥٠٠مترا منقدرش نكشفها.. اسرائيل كانت بتعرف كل نقط الضعف اللى عندنا لذلك هم لما جم تحت ٥٠٠ متر وعارفين فين المطارات بتاعتنا وينضربوا ازاى يهجمونا ويضربونا .. ده علاوة على ان اسرائيل عملت مفاجأة لنا وهما قدروا يطوروا الطيارة بحيث عملوا مستودع بترول فى الاجنحة أصبحت تصل لجميع المطارات الموجوده فى الجمهورية العربية بالبنزين اللى فيها .. علاوة على ده عملوا قنبلة الممر بحيث ان اجهزة الاصلاح الموجودة ماكانتش تقدر تصلح الممرات الضروية

بالسرعة المطلوبة اذا احنا من ناحية الطيران كنا اضعف وناحية الدفاع الجوى فى حالة ضعيفة وكان فيه طيار عراقى خائن اخذ الطيارة الميج ٢١ونزل عندهم هناك اذا كانوا عارفين كل خصائص ونقط ضعف ونقط القوة فى الطيارة الميج يعنى عارفين كل حاجة عن الطيران ثم يقول: لذلك انا باعفى صدقى محمود من المسئولية آه لأنه ما كنش يقدر يعمل اكتر من كده مع الظروف دى ..الريس قال ماليش دعوه شوفوا انتم واعملوا اللى انتم تعملوه طيب حنعمل ايه .. انما الجماعة الروس حبوا انهم يبينوا ان الطيران بتاعهم كويس عملوا الفبركة بتاعت صدقى محمود واتحاكم صدقى محمود.

ويقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى :" الرئيس عبد الناصر قال اننا مش حنضرب الضربة الاولى.. فصدقى محمود قال :" ياريس لو مضربناش الضربة الاولى حنخسر خساير كتير وموقفنا يبقى شكل تانى .. الرئيس قال :" ده قرار سياسي وانا مش عاوز احارب الامريكان واوقف الطيران .. انت متوقع ايه اما يبدأ اليهود يقوموا بضربتهم وطيراننا كله مرمى على الأرض ومحصلش إن درجة الاستعداد ارتفعت فى ذلك اليوم وبعدين هو قال فى يوم ٥ هيحصل هجوم للأسف ولم يقل هو لينا بصفته القائد الاعلى ولا طلع من القيادة ان يا قوات استعدوا وارفعوا درجات الاستعداد .... ويقول الفريق مدكور ابو العز:" هو كمان عبد الناصر غلط غلطة كبيرة جدا وهو انه اعطى المبادرة الاولى للعدو وقال مش هضرب الضربة الاولى ونحن لا نحتمل الضربة الجوية الاولى .. اولا الطائرات على الارض مرصوصة زى البط طيب هنودى الطيارات فين نخبيها تحت شجر المطار فى الصحراء ؟ هنحطها فين ما هو لازم انتشار.

ويقول أحمد أبو نار :" كان فى حوار انا حضرته معاهم كضابط اتصال .. كان فيه رأى ان المشير طلب ان احنا نقوم بالهجوم الأول مبدئيا .. ولكن الرئيس جمال عبد الناصر لم يوافق على اننا نبدأ بالخطوة الاولى على اعتبار ان ده حيوقعنا فى مشاكل مع امريكا، ويفضل ان احنا نأخذ الضربة الأولى فكان الاجتماع ده على مستوى كبير من القادة .. فسأل الفريق طيار قائد القوات الجوية الفريق صدقى محمود قالوا ايه رأيك يا صدقى ؟" ده الرئيس ".. مش احسن ان احنا ناخد الضربة الاولى .؟ قال صدقى ." والله يا فندم احنا لو اخدنا الضربة الأولى تبقى " كريلينج " فقال له لأ لااعتقد كده .. وغضب عبد الناصر ومشى .. تانى يوم لقيت المشير بيكلمه ويقول له انت غضبان وما تعشتش فى القيادة .. تعالى علشان احنا قررنا نأخذ الضربة الأولى .

ويجيب الفريق أول عبد المحسن مرتجى قائد الجبهة فى ٦٧: " من كان يدير العمليات فى الجبهة .؟. يقول قائد الجيش اللى هوه صلاح محسن ،انا ما أدرتش العمليات خالص ويسأل تعليماتك للمنطقة العسكرية الشرقية كانت ايه ؟ .. " لا تعليمات " .. انا لم اشترك فى وضع الخطة ما كنش فيه دور اطلاقا ولم اشترك فى تمزيق الخطة اللى غيرت فى آخر لحظة .. وعن سؤاله عن دور الفريق فوزى فى هذا الوقت ؟: " دور الفريق فوزى هو اركان حرب القوات المسلحة فى ذلك الوقت هو اللى بيلخص كل التعليمات والعمليات ويعرضها على عبد الحكيم عامر نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة يعنى هو أساس عمله العمليات الحربية عشان كده معاه أجهزة هيئة العمليات والأجهزة دى كلها علشان هو فوزى وهم بتاخذوا القرارات .. او على الاقل بيوضعوا عبد الحكيم عامر فى الصورة بالنسبة للموقف .. سواء موقف الجانب الآخر او موقف القوات بتاعتنا، وحين سئل مدى مسئولية محمد فوزى قال الفريق مرتجى :" محمد فوزى انا بعتبره المسئول رقم واحد عن الحرب .. محمد فوزى عمره ما تولى قيادة ميدانية .. ولم يكن يفهم فى ادارة المعركة ولا فى ادارة الحرب ولا الفن العسكرى .. إنما أنا باعتبر ان هو ضمن الناس اللى يسألوا عن الذى حصل فى الحرب" .

ويقول الفريق أول محمد فوزى :" حرب ٦٧ معركة مدبرة من قبل اسرائيل تهدف لمساعدة الولايات المتحدة الامريكية لكى تقضى على النظام فى مصر .. وكلمة "تدبير" أعنيها بحق إذ أنها بقيت عشر سنوات تدبر وتسعى وتنظم لهذه المعركة بعد العدوان الثلاثى مباشرة سنة ٥٧ ركزت القوات المسلحة الإسرائيلية على عملية ضرب مصر بهدف الاطاحة بالنظام وموقف التنمية من الشعب المصرى الضربة الجوية المفاجأة خطط لها منذ عشر سنوات وتم تدريب الطيارين الإسرائيليين على الطيران المنخفض وهذا لم يكن مألوفا فى هذا الوقت يعنى الطيار يطير على ٢٠متراً فوق سطح الماء لا يجعله يدرك قيمته لان لو بص فوق يجد السماء لو بص لأسفل يجد البحر والاثنان لون واحد .. يعنى المسألة قاصرة على العدادات .. مثل هذا الطيران لمسافات طويلة يجيب اخطاء من ناحية الاتجاه .. وعلشان يوزنوا هذا الخطأ ويمنعوه حطوا مساعد .. مركب مساعدة اسمها "ليبرتى" فى وسط ما بين تل ابيب وبور سعيد .. المركب دى كانت مركب تجسس وظيفتها انها تنظم اتجاهات افواج الطائرات المقبلة من اتجاه تل ابيب الى بور سعيد .. يقدر يخاطبه فى الوسط ويقول له انت منحرف يمين او شمال .. ولذلك هى مساعدة لهم فى ضبط الاتجاه بالضبط " .

ويقول عبد اللطيف بغدادى :" علاقتى بعبد الناصر كانت مقطوعة من ٦٤ الى ٦٧ فى

فترة ما قبل الحرب اعتبرنا دى برضو بلدنا ولازم يبقى لنا دور فبعتنا له مذكرة حذرناه من الحل باللجوء لمعركة .. و ما ندخلش إلا اذا اعتدوا على سوريا .. وبعدين هو قفل شرم الشيخ .. ومنع مرور السفن .. اعتبرنا إن الحرب قائمة فاسرائيل حتقاتل فى سبيل حياتها كشريان لها .. فبعتنا له مذكرة ثانية بنقول فيها ان الحرب واقعة لا محالة واحنا لنا خبراتنا كمواطنين يهمنا انه يبقى لنا دور .. وحددوا لنا دورنا من هنا قدمنا واتكلمنا وناقشنا .. انما هو كان تقدير الموقف خطأ" .

ويسأل شمس بدران .. هل المشير قال برقبتى ياريس .؟ : " لاأعتقد لأن ده مش كلام المشير مش إسلوبه فى الكلام وانا كنت ملازمه ولم أسمعه يقول ذلك .

ويضيف الفريق أول عبد المحسن مرتجى : " قرار الحرب مين اللى بيأخذه .. الرجل السياسى مش الرجل العسكرى ولا الرجل الاقتصادى هو اللى يتخذ قرار الحرب ويسأل " رئيس الجمهورية " هو رئيس الجمهورية اللى بيتخذ قرار الحرب وبعدين انت بتدخلنى حربا وعارف حالة قواتنا ايه .. صفوة القوات العسكرية بتاعتنا موجودة فى اليمن " ..

ويسأل الفريق أول عبد المحسن مرتجى كنت بتقول الرئيس عبد الناصر هو المسئول الاول : " ايوه هو المسئول الاول هم بيقولوا خيانة ومش خيانة .. وانا باعتبر انك انت بتدخل البلد فى حرب وهى مش مستعدة لها دى مش خيانة ...."

ويقول الفريق مدكور ابو العز عن سؤاله القيادة العسكرية كان مسئوليتها ايه الى جانب القيادة السياسية ؟ .. يجيب : " الرئيس عبد الناصر كان ديكتاتور .. وليس بعد رأيه أى رأى تانى .. صحيح هو كان فى علاقة قوية بينه بين المشير عبد الحكيم عامر انما مش ممكن المشير عامر يقدر يعمل حاجة من غير ما عبد الناصر يقول " .

ويقول مصطفى كامل مراد : " القيادة السياسية والعسكرية مسئولة عن هذه الهزيمة " .

ويقول توفيق عبده اسماعيل عن السبب فى هزيمتنا ١٩٦٧ : " الصراع على السلطة بين رجال جمال عبد الناصر ورجال عبد الحكيم مش بين الاثنين

ويضيف محسن عبد الخالق : " عبد الناصر أُخطر كنت أيامها فى لندن مبعدا واستدعانى السفير الأردنى قال لى استدعتنى الخارجية البريطانية اليوم - وكان يوم ٢٦مايو- لتبلغنى ان الحرب ستقوم يوم ٥ يونيو فنرجو أن تبلغ الملك حسين علشان يبلغ جمال عبد الناصر وقال لى السفير ارجوك ابعت لجمال عبد الناصر بطريقتك لتقول له ذلك لانى خائف

ان الملك حسين ميبلغش عبد الناصر .. فقلت له ماطلبتش الخارجية البريطانية ليه تبلغها ؟ طبعا مش حبا فينا قال سألت هذا السؤال قالوا انكم حتقولوا ان الغرب هو المسئول .. واحنا لنا مصالح ويادوب احنا صلحنا الاوضاع .. فنرجو ان احنا ما نخليش المنطقة تعود الى حالة الغليان والصراع وابلغت ذلك لعبد الناصر بعث له .. وعبد الناصر هو القائد الاعلى للقوات المسلحة وقرار الحرب والسلم لا للوزير الحربى ولا لقائد الجيش .. دائما لرئيس الجمهورية " ويكمل محسن عبد الخالق "نحن نعيش فى ظل نظام شمولى وله عيون داخل الجيش وشمس بدران بتاعه .. جمال عبد الناصر هو المسئول الأول" .... وبسؤال الفريق أول عبد المحسن مرتجى عن من المسئول فى النهاية عن الهزيمة المشير ام عبد الناصر ؟ يجيب :"صاحب القرارات السياسية .. رئيس الجمهورية" .

ويقول شمس بدران :" الطيران الاسرائيلى قائم على أساس طائرة هجومية دفاعية طيارة بتمشى مسافات طويلة فيها صواريخ وفى نفس الوقت لو تعرضت لها طائرات مقاتلة تقدر تدافع عن نفسها، لكن احنا الطيران بتعنا كان عباره عن طائرات ميج طائرات ما هياش هجومية وطائرات مش مقاتلة يعنى دفاعية" .. مخصصة اصلا لحماية المطارات .. وكان عندنا قاذفات قنابل لكن قاذفات القنابل متقدرش تدافع عن نفسها .. وكان عندنا طائرات سوخوى .. طيارة قاذفة مقاتلة بس كان مداها صغيرا وحمولتها صغيرة بالنسبة لطائرات اسرائيل ، واسرائيل كان عندها ٥٠طائرة ميراج وصلتها حديثا من فرنسا" .

ويقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى :" فكرة الحرب ما كنتش موجودة فى دماغ أحد ولا فى أذهان الريس بدليل .. لما حتحصل حرب مش مفروض القادة دول يستدعوا ونقول لهم والله منتظرين يحصل حرب او حنصعد عمليات علشان تحصل حرب او حاجة زى كده لم يستدعى المجلس الأعلى للقوات المسلحة .. ولم ياخذ رأى أى أحد فى القوات المسلحة .. الرأى الوحيد اللى أخذه مرة لما هيئة العمليات طلبت بعث القوات الى شرم الشيخ خوفا من ان اليهود يسبقونا وينزلوا شرم الشيخ .. المشير الله يرحمه بقى جمعنا وقال تعالوا ندرس هذا الموقف نبعت او ما نبعتش .. فكان فى دراستنا لهذا الموقف طلعنا بقرار ان احنا مانبعتش .. ليه .. لانه لو بعتنا معناها حرب .. واحنا غير مستعدين للحرب .. يعنى واضحة .. يعنى القائد العسكرى عليه ان يبين وجهة نظره .. ومين اللى يتخذه .. القرار العسكرى ده مخطط و..و.. الخ لكن السياسة هى اللى بتدى أوامر علشان أنفذها .. انا القائد العسكرى .. ورئيس الجمهورية يعرف كل الحاجات دى عن القوات المسلحة" .

ويقول امين شاكر : " قرار إرسال الجيش المصرى الى سيناء ٦٧ .. ده قرار الاتحاد السوفييتى انا قلت لعبد الناصر ده .. دلوقتى حلف الاطلنطى، نقل من باريس الى بروكسل حيث كنت انا سفير .. وطلب منى أتابع أعمال حلف الاطلنطى، الحلف كان مقدر كفاءة الجيش المصرى ٣٤٪ فقط وكفاءة الجيش الاسرائيلى ٦٦٪ وابلغت ذلك للرئيس عبد الناصر .. هو مقدرش يعمل حاجة .. لانه مكنش عنده فى هذه الأيام حق اخذ اى قرار على عكس ما يريده الاتحاد السوفييتى ؟".

ويقول المؤرخ جمال حماد : " امريكا هى التى أطلقت على عبد الناصر اسم الديك الرومى ".

ويعقب الفريق أول عبد المحسن مرتجى : " الدعاية كانت ضد جمال عبد الناصر قوية جدا بحيث كانت بتأرقه طول الليل .. وان احنا مش قادرين نمنع الملاحة فى خليج العقبة .. فين الكلام اللى اتقال ان احنا اكبر دولة وان احنا اعظم دولة عسكرية دى كانت عاملة فى ذهن عبد الناصر لخبطة جامدة خالص علشان كده خلانا نمر على الوحدات والقادة نجمعهم ونقول لهم .. يا جماعة شرم الشيخ مش مهمة فى الوقت الحاضر .. لأن اسرائيل بستخدمها فعلا متهمناش .. لكن هم عاوزينا ان احنا ندخل الحرب واحنا غير مستعدين لها ولكن احنا مش هاندخل .. احنا هاندخل فى الوقت والمكان المناسب له" .

يعلق الفريق مدكور ابو العز على كيف أعلنا الحرب برغم كل هذه الظروف ؟ : " يقول .. هم طبعا دفعوا القيادة السياسية وهم يعلموا ان من صفتها التهور واتخاذ القرارات الغير مسئولة .. عارفين ودرسوا كل حاجة فمن ناحية فيه اثارة من امريكا وايضا فيه اثارة من اسرائيل نفسها .. هما عارفين القيادة السياسية بتاعتنا متهورة وبتدى قرارات غير مسئولة .. فحطوه فى مصيده وشدوه سنة ٦٧ ليقف ما بين الاثنين بالضبط زى البندقة. وكسارة البندق .. فكانت النتيجة ان احنا لازم ندخل الحرب وكان لازم نعرف بأن امريكا هاتكون على طول بجانب اسرائيل بشكل صريح ، القيادة السياسية تعلم أن امريكا هى اسرائيل واسرائيل هى امريكا .. فما نجيش بقى كمان نصعد الموقف .. وبعدين نعمل تجاوزات فى الحديث .." والله اللى يزعل يشرب من البحر الأبيض واذا معجبوش البحر الأبيض يشرب من البحر الاحمر " فرد عليه جونسون وقال له:" ده انا حشريك من مجارى القاهرة " فمن الذى شرب من مجارى القاهرة ؟الذى شرب من مجارى القاهرة هو الشعب المصرى .!!

ويقول عباس رضوان : " كانوا بيتكلموا عن ناصر عن انه محمى بالبوليس الدولى

الموجود فى سيناء وبيجعجع على ايه .. الجزيرة العربية دى برضو اثرت عليه بصرف البوليس الدولى اللى كان فى سيناء علشان لا يقولوا العرب انت محمى بالبوليس الدولى الموجود فى سيناء ..... ويقول شمس بدران : " امريكا كانت عاوزه توقف نفوذ عبد الناصر وتخلص منه .. فى نفس الوقت اسرائيل كانت بتجهز نفسها لمعركة مع مصر علشان تخلص على قوة مصر العسكرية وبالتالى تنتهى المشكلة الإسرائيلية وبالتالى يحصل صلح مع مصر أكبر دولة وبالتالى بقية الدول العربية .. وهذان العاملان اجتمعا " .

ويقول الدكتور الجوهرى: " لم يستمع الرئيس عبد الناصر الى رأى القادة العسكريين واستمع الى رأى صحفى ويسأل من هو فيقول "هيكل" .

ويقول الفريق أول عبد المحسن مرتجى : " لما كنا فى ابو صوير وكان حصل اجتماع مع بتوع الطيران كانوا عاوزين انهم يبتدوا بالهجوم الاول ، بعد الحديث وبعد الاجتماع وبعد المجادلة عبد الناصر وقف وقال .. "مش هيحصل حاجة .. بس هذا الشريط أول ماالحرب انتهت وأول ما مسكوا عبد الحكيم عامر وأول ما ابتدوا تحقيق مع بتوع الطيران قالوا طيب ما كلام الريس متسجل فى شريط راح باعت سامى شرف وجابوا الشريط وسأل من هو الذى أرسل سامى شرف قال ده عبد الناصر .. وقال ده لو هذا الشريط سمع نروح فى داهيه ده تسأل عليه مثلا اسماعيل لبيب لأن هو اللى كان ماسك المخابرات بتاعت الطيران .

ويقول شمس بدران : " بعد ما خلصت الخطبة وخرجنا .. عبد الحكيم عامر أحس بالهجوم ده .. أخذ بعضه ورجع قال لهم ما تخافوش يا اولاد احنا حنحارب .. وركبنا ومشينا .. واحنا فى العربية بقى انا بقول لعبد الحكيم الكلمة اللى قالها الريس كلمة سيئة جدا وماكانش يجب ان تقال فى مؤتمر زى ده .. دى خلت الناس تشعر بضيق .. دى كلمة غير موفقة وهبطت الروح المعنوية فى القوات الجوية كلها .. مش بس فى القاعدة .. وبعدين روحنا البيت .. اول ما روحت البيت لقيته بيطلبنى .. عبد الحكيم عامر .. وقال انت عارف الكلام اللى انت قلته فى العربية ده لسه الريس طلبنى وقال لى ان هيكل كان معاه وقال له .. نفس الكلام ده .. فكلمه دلوقت علشان هو عاوز يسمع منك الكلمتين دول .. فكلمته قال لى ايه الانطباع اللى انت اخذته .. قلت له مفيش حرب والناس روحها المعنوية هبطت . فقال لى ده اللى قاله هيكل بالضبط .. بعد كده اللى حصل بقى اللى عرفناه بعدين .. ان عبد الناصر طلب من سامى شرف وقال له التسجيل بتاع خطبة القاعدة الجوية فيه كام تسجيل ليه من الجهات اللى كانت موجودة وبتسجل الخطبة .. فقال له الإذاعة والشئون المعنوية بتاعة القوات

المسلحة (أربع جهات) .. فقال له ابعت هات الشرائط من الأربع جهات دول واعدمهم .. فسامى شرف بعت جاب الشرائط .. بيقول بقى لواحد صاحبه وهو فى السجن .. انا لما بعت جبت الاربع شرائط أعدمت ثلاثة وخليت واحد .. قال له ليه بقى خليت واحد .. قال له علشان امسكه عليه لو حصل اى حاجة أبقى ماسك عليه الشريط ده .

ينفرد صاحب هذه المذكرات اللواء عبد الحميد الدغيدى (قائد المعركة الجوية " القوات الجوية والدفاع المدنى عن منطقة القناة وشبه جزيرة سيناء") : "بين كل من كتبوا مذكراتهم من العسكريين وقادة الحرب أو النصر على حد سواء بأقصى قدرة على التحديد ، ويكفيك - على سبيل المثال - أن تعرف أنه يحدد المسئولين عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ بخمسة هم : الرئيس عبد الناصر والمشير عامر وثلاثة آخرين من القادة الكبار هم رئيس الأركان (الفريق فوزى) وقائد الجيش الميدانى (الفريق صلاح محسن) وقائد المخابرات الحربية (الفريق محمد أحمد صادق) ..ويقول :" ولندخل فى موضوع الهزيمة العسكرية الذى أنا أهل له (أى للحديث عنه) بحكم المهنة والمنصب والظروف ، وأخالنى أكثر العارفين لعضويتى اللصيقة بما دار حيث كنت قائدا للمعركة الجوية عن منطقة القنال وشبه جزيرة سيناء، ففى تلك الحقبة من الزمان الأسود ، مما يؤهلنى لمعرفة واقع ما حدث إلى جانب أننى قدمت للمحاكمة أمام محكمتين عسكريتين مرتين، حكمت المحكمة الأولى ببراءتى لانتفاء التهمة من أساسها وليس لعدم كفاية الأدلة أو لأى سبب آخر ....ومما يؤهلنى أيضا أننى ساعة الضربة الجوية إلى ما بعدها بوقت حسمت المعركة فيه وتأكدت النهاية أثناءه ، كنت القائد الأوحد الذى يتواجد على رأس طاقم عمليات كامل بمركز عملياتى ، وباقى القواد الكبار غياب عن مراكز عملياتهم، وهى الأمكنة الوحيدة التى تمكنهم من القيادة والسيطرة على قواتهم ومن إدارة المعركة ، ومن أى مكان غيرها ومن الأمكنة التى كانوا يتواجدون فعلا بها يتعذر عليهم القيادة والسيطرة وتستحيل عليهم إدارة المعركة ، وكان هذا الأمر على وجه القطع أقوى أسباب الانهيار السريع الشاذ وانتهاء المعركة منذ بدايتها حيث ضرب غياب القادة عن مراكز عملياتهم جميع الأرقام القياسية السابقة مرات ومرات منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا ، وأكيد سيظل هذا الرقم قياسيا إلى أن تقوم الساعة .... ومن أغرب الأمور وأعجبها ومما تبرز منه الشكوك والريبة، وتفوح رائحتها الكريهة أن هؤلاء الفرسان الثلاثة (أى فوزى وصلاح محسن وصادق) هم الذين استبقاهم الرئيس جمال عبد الناصر على رأس القوات المسلحة يتحكمون فى أمورها ويقبضون بيد من حديد على ناصيتها ، أما باقى القواد الكبار جميعا فإما أحيلوا إلى التقاعد أو حوكموا عن تهم من صنع المسئولين عن الهزيمة بكل أبعادها .. فقواد القوات البرية

والبحرية والجوية ورؤساء أركانهم وجمع كبير من القادة كلهم أطيح بهم وراء الغيوب أو خلف قضبان السجون" ... ويردف الدغيدى حديثه هذا باستطراد يتبنى فيه نظرية اصطفاء الرئيس عبد الناصر لذوى الزلات واعتماده عليهم لأنه يسهل قيادهم ... أختار جمال عبد الناصر وهو المسئول الأكبر - وقد أسند تلك المسئولية بنفسه لنفسه فى خطاب التنحية - الثلاثة ليكونوا آلة فى يده يحركها كما تشاء إرادته لإخلاء مسئوليته ، ومن ثم مسئوليتهم عن الهزيمة بتزوير التاريخ وبتزوير الحق وتعمية الشعب عما حدث .. فى يده أطراف المشانق .. وعلى رقاب الثلاثة تلتف خيانتها (أى عقدها) يشد حبل المشنقة إن حاد أحدهم عن هدفه ، ويشد الأطراف الثلاثة إن شذوا عن إدارته ، فزوروا ما حدث وقلبوا الأوضاع رأسا على عقب فأصبحوا كالعرائس والدمى ، وتحركهم خيوط البغى والهوى ... وفى مذكراته يتهم المخابرات الحربية بالتقصير فى أداء واجبها قبل الحرب وأثناءها ، وهو يستند إلى حيثيات حكم المحكمة التى تولت محاكمته والتى أثبتت وسجلت على المخابرات الحربية التقصير فى أداء وظيفتها فيما يتعلق بجزئيتى مدى الطائرات الميراج وقنبلة الممرات وهو يقول :" وللأمانة والعدالة وللإقناع والحقيقة ، أترك للمحكمة الكلمة الحكم حيث وردت فى الثالثة والتسعين بند (د) تحت عنوان " المعلومات التى قدمتها المخابرات الحربية " الآتى :

١- ثبت للمحكمة أن إدارة المخابرات الحربية لم تقدم إلى القوات الجوية أية معلومات عن قنبلة الممرات التى استخدمها العدو ، و التى كان لها بلا جدال تأثير كبير على سير المعركة وعدم إمكان صعود الطائرات ..

٢- كما ثبت للمحكمة أن المعلومات التى أرسلتها (أى المخابرات الحربية) بخصوص مدى عمل الطائرات الميراج على الارتفاع المنخفض (٣٠٠كم) كان لها تأثير عند وضع خطة الدفاع الجوى فاستبعد إمكان وصول هذه الطائرات إلى قواعدنا فى القناة والمنطقة المركزية مع أنها استطاعت ذلك فعلا يوم ٦/٥ " ....

ويعقب اللواء الدغيدى على هذا الاقتباس بأسى شديد ويقول :" فالموضوع كله أنهم كانوا يريدون لصق التهمة بالطيران ، لأنه هو الذى قتل وهم الذين هربوا .. وكم قاسى هذا الطيران " .... وقد استبقى مدير المخابرات العسكرية آنذاك فى الخدمة رغم خروج كل القادة الكبار وإحالتهم إلى التقاعد إلا هو ، حيث رقى ووصل إلى وزير للحربية وقائد عام القوات المسلحة ومن قبله وصل إلى نفس المنصب رئيس أركان القوات المسلحة الذى سبق ذكره بمناسبة إشارة عجلون وإغلاق مركز العمليات العام ، وكذا قائد جيش الميدان رقى كمساعد للثانى ومحافظا

من بعد ذلك ....ويعبر الدغيدى عن اندهاشه غير المحدود من التصرفات غير المسئولة للفريق أول محمد فوزى وللفريق صلاح محسن ، وهو يتحدث عن جنايتهم فى سلب عدد كبير من القادة كل قدرة وفاعلية على الحركة واتخاذ القرار : " هل حدثت منذ فجر التاريخ الى يومنا هذا وقائع تدعو إلى الريبة وأحداث تقطر بالشك مثل ما حدث من إغلاق مركز القيادة العام وغياب كل القادة عن مراكز العمليات ، فكانوا بذلك أصفارا تحت الأصفار مهما بلغت كفاءة بعضهم حيث يتعذر عليهم جميعا القيادة والسيطرة وإدارة الحركة .. القائد الأعلى فى منزله لا حول له ولا قوة " الرئيس عبد الناصر "، ونائب القائد الأعلى " المشير عامر " وطاقم قيادته بالكامل فى الجو أصفارا تحت أصفار بأمر من رئيس الجمهورية، و رئيس الأركان "الفريق فوزى " الذى كان عليه أن يحتل مركز عملياته عند غياب المشير فى الجو ، صفرا تحت الصفر . والقادة الكبار المتبقون بعد توديع المشير بالقاهرة فى مكانهم فى السلم أصفار تحت أصفار . وقيادة الجبهة وقيادة الجيش بالأطقم فى مطار بير تمادا لاستقبال المشير عامر كلهم أصفار تحت الصفر .. قطعوا بغيابهم رأس الجيش ودمروا عقله وقطعوا أعصابه و أوصاله وكانوا بغيابهم سبب العار والخزى العظيم !!! وإنى أتحدى أن يذكر أحدهم أو أحد غيرهم قائمة غياب تعادل عُشر تلك القائمة فى كل الحالات من معارك فيما مضى من كل الأزمان " ...

ويقول : " إن تلك الجريمة وحدها وهذه الجناية دون غيرها التى اقترفها الفريق أول فوزى والفريق صلاح محسن هي أعتى جريمة وأكبر ريبة فى طول عمر الأمم ، وسواء ارتكبها الاثنان عن ريبة ناطقة أو عمد وسوء نية أو على أخف الأوزان عن أخطاء جسيمة ضربت أرقامها كل الأرقام القياسية .. فعقوبتها فى كل الأمكنة والأزمنة (هي الإعدام) لذلك ما من شك كانت هذه المشنقة الكبري تلتف حول رقاب الاثنين ويمسك بطرفها الرئيس جمال عبد الناصر إن استسلم أرخى وإن تلوى (يقصد لم يسيرا كما يشتهى) شد فأنها ومن هنا كان دمى يحركها فتزور (أى تتحرك فى الاتجاه المراد) ، وشياطين لإبليس تطمس الحق وتعلى الباطل وتحطم وتدمر " .. ويلخص الدغيدى موقفه من هؤلاء القادة قائلا : " رأيت للضرورة القصوى والعدالة المطلقة أن أحدد التهم والجنايات التى كان لابد أن تقام وتسند الى الفريق فوزى والفريق صلاح محسن واللواء صادق ، الفرسان الثلاثة الذين استبقاهم عبد الناصر دون سواهم فزوروا ونكلوا وقلبوا الأوضاع رءوسا على أعقاب ، مسترشدا فى ذلك بقائمة اتهام قادة القوات الجوية .

التهمة الأولى : " وهى عدم تجهيز مسرح العمليات ، تقام على الفريق أول محمد فوزى والفريق صلاح محسن "

التهمة الثانية : " وهى عدم شغل مركز العمليات ، تقام على الفريق فوزى بشكل أضخم لأن مركز عملياته لم يكن مشغولا بالأطقم الكاملة بل كان مغلقا، كما تقام على الفريق صلاح محسن الذى كان الغالبية العظمى لطاقم قيادته وهو على رأسهم وكذلك قواد الفرق ورؤساء أركانها ومديرى عملياتها ....إلخ (قائمة الغياب المريبة لا يتواجدون بمراكز عملياتهم) .

التهمة الثالثة : " وهى عدم إقامة قائد الطيران لنظام للمراقبة ، بالنظر لابد أن تقام على الفريق أول فوزى والفريق صلاح محسن ، لأن منطقة الأمان كانت صفرا ولم تبلغ لا عن اختراق الطائرات المعادية بالمئات ، ولا عن الهجوم البرى الذى بدأ بساعات قبل ضربة الطيران ، ويشاركهم فى الاتهام اللواء محمد صادق حيث لم يبلغ أتباعه وعملائه " .

التهمة الرابعة : " وهى تقديم قائد الطيران تقارير غير سليمة مما أدى الى الهزيمة ، تقام هي الأخرى على الفريق فوزى والفريق صلاح محسن و اللواء صادق ، حيث إن الأول والثانى هما المسئولان عن الخطة الدفاعية قاهر التى ثبت بالقطع أن كل التقديرات فيها خاطئة ومخالفة للواقع، كما أن اللواء صادق هو أول من يصدر قراره ويقدر قوة العدو وعدد رجاله وكل أنواع أسلحته وأسلوب تدريبه وخلافه وكانت التقديرات خاطئة وبما أن قرارهم الأول وهو خطأ فكل ما بنى على الخطأ يكون خطأ، فكان قرار الدفاع كله خاطئا لا يمت بأية صلة الى الواقع ، كما أنه بتحديده مدى الطائرات الميراج بـ٢٠٠كم كان سبب تدمير الطائرات المصرية فى كل منطقة القناة والمنطقة المركزية والجنوبية "

التهمة الخامسة : " وهى عدم إيقاف الاختراقات الجوية هي تهمة كاذبة ولا بد أن تقام على الفريق فوزى والفريق صلاح محسن واللواء صادق ، حيث إن مناطق الأمان لم تبلغ وعملاء المخابرات الحربية لم يخطروا "

التهمتان السادسة والسابعة : " تقامان على رئيس أركان القوات الجوية وهى عدم "تأكد من تنفيذ أمر القتال وشغل مركز العمليات بضابط عظيم ، لابد أن تقاما

على الفريق فوزى والفريق صلاح محسن "

التهمة الثامنة :" المقامة علىّ لابد أن تقام على الفريق فوزى والفريق صلاح محسن "

التهمة التاسعة :" المقامة على اللواء طيار إسماعيل لبيب لابد أن تقام على الفرسان الثلاثة فوزى وصلاح وصادق . ومعنى هذا أن ٩تهم تقام على الفريق فوزى وصلاح محسن و٨ تهم على الفريق صادق ".

ويستشهد اللواء الدغيدى بما كتبه اللواء على منير مراد وهو قاض مؤهل أطلع ومحص كل التفاصيل التى كشفتها محاكمة الطيران وما خفى عليه كان أعظم ، وهو يقول فى الصفحة السادسة :" .. فيجئ أحدهم وكان فى قمة المسئولية ورئيسا لأركان القوات المسلحة الفريق أول فوزى أمام اللجنة أن أفراد الاحتياط كانوا يذهبون الى ميدان القتال ومعهم جلاليب بسبب استدعاء قوات كبيرة الحجم بلا داعى وغاب عن المستمعين إليه أنه المسئول الأول عن تدريب أفراد الاحتياط وإعدادهم للقتال وتعبئتهم وتجهيزهم بكل ما يلزم المقاتل من سلاح ومهمات ، وهو الذى يصدر الأمر باستدعاء أفراد الاحتياط بما يتفق مع حاجة مسرح العمليات طبقا للخطط الموضوعة مسبقا ، فإذا تحدث عن الارتجال الكامل فى التخطيط أو أن هذا التخطيط كان بلا دراسة فلا شك أنه المسئول الأول عن كل هذه الأمور !!

وهنا يعقب الدغيدى بقوله :" وهذه جناية عاشرة تسند الى الفريق أول فوزى "

ويكمل اللواء على منير مراد عضو اليمين الثانى للمحكمة العسكرية العليا الأولى التى حاكمت قادة الطيران :" وهو رجل قانون قضى حياته بين جنباته ومارس حياته العلمية بين طياته وصفحاته . وقد محص الأمور تمحيصا دقيقا واطلع على جوانب الأحداث اطلاعا وثيقا ، حيث قال فى أول صفحة من كتابه بعنوان (من الهزيمة عام ١٩٦٧ إلى العبور العظيم عام ١٩٧٣) ما هو بالحرف الواحد ..

" لا أظن أحدا قد كره الحياة كما كرهها غالبية المصريين فى تلك الفترة حين شعروا بالهزيمة من الخارج والداخل على السواء ، وفرض عليهم السكوت والإبلاس لأن الجهر فى ذلك الوقت لا رجاء منه ، بل فيه كل البلاء ، ونتيجة لذلك ظل المسئولون عن النكسة وما أصاب الوطن هم القائمين على أمره ، يعيبون زمانهم والعيب فيهم. يفتدون أنفسهم بمحاكمة بعض قادة القوات الجوية والمدرعات ، وهم أحق بالمحاكمة من هؤلاء القادة ينصبون لهم موازين مغشوشة ويقيمون عليها ضمائر مدخولة ، ثم يصور ذلك على أنه سبيل الرشاد" .

ويقول القاضى عن عبد الناصر (صفحة ٥٥،٥٦) :" ولكن كأس الذل والقهر والعار لم تكن قد فرغت بالهزيمة العسكرية ، فقد أعقبها ما يستعصى على الضمير البشرى أن يقبله " إلى أن قال :" ونهض أذناب عبد الناصر فى القوات المسلحة فنصبوا محاكم لكبار قادة القوات الجوية والمدرعات تصورهم أسبابا لهزيمة هو بطلها ومبدعها، يقال للشعب إن الهزيمة ليست شيئا طالما بقى نظامه الاشتراكى قائما لأن هذا النظام كان هو لا غيره هدف العدو زعم لا يطيب إلا لمن يجعلون الاشتراكية فوق الوطنية والناصرية أهم من مصر " .

ويستطرد القاضى فيقول :" لقد كانت كل حسناته سيئات ، وكل سيئاته بشعة" ..... ثم تغلى الدماء فى عروق القاضى من هول الهزيمة والعار والظلم الذى تيقنه فى محاكمة قادة الطيران فيقول :" إذا كان التاريخ لا يعرف إلا بطلا يقهر ظروفه المناوئة ، فها هو ذا رجل يقهر ظروفه المواتية وبدلا من أن يرتفع بقوته إلى الذروة ، هو ذا قد حطهم إلى هاوية " .

التنحــى

يخطئ من يظن ان المؤامرة على مصر انتهت "بهزيمة الجيش" فمازالت منها فقرات لم تتم وقد تمت في غمرة الذهول الذى أصاب الناس جميعا، وأضاف اليه جمال مزيدا من القلق عندما أعلن على الناس عـزمــه على التنحي.وفى خـضم الهـيــاج، والاضطراب،تم حياكة باقى خيوط المؤامرة .

كانت المؤامرة لا تهدف فقط الى تدمير الجيش،بل تهدف الى احتواء مصر كلها،ووضعها تحت الهيمنة السوفيتية.لذا اتجهت المساعى- تؤازرها مراكز القوى-لامتلاك الحاكم نفسه. ويؤكد هذا الاتجاه تصرفات السوفييت في هذه الفترة،على النحو الذى سوف أذكره في حينه.ولعل هذه الواقعة التي وقعت في٧يونية تشير الى استمرار المؤامرة التي لم تنته بنهاية ٥ يونية في هذا اليوم، أفلح اللواء صدقى الغول،في العبور سالما بالفرقة الرابعة مدرعات،والتى كان يطلق عليها "جوهرة الجيش المصرى " ووقف اللواء صدقى الغول أمام قائد جيش الميدان- صلاح محسن- ليعطى التمام،برجوع الفرقة المدرعة سالمة تماما. وفيما هو واقف، رن جرس التليفون على مكتب صلاح محسن،وفهم اللواءصدقى الغول ان المتكلم هو المشير عبد الحكيم عامر،وسمع صلاح محسن يقول: ان الفرقة الرابعة مدرعات-لم تصل!! وبعد وضع السماعة قال له اللواء صدقى الغول:"كيف تقول انى لم اصل..وانا واقف امامك وبديك التمام؟" فرد عليه صلاح محسن بقوله:"صدرت أوامر جديدة بعودة الفرقة الى سيناء مرة اخرى"،وعادت الفرقة فأبيدت عن آخرها!.

وبهذه المناسبة تحضرنى كلمات قالهالى عبد الحكيم بعد الهزيمة،وتركه مناصبه،قال:"انا كنت بادى أوامر، واحد تانى يلغيها .. ويدى أوامر أخرى عكسية" والتجربة التي سبق ذكرها عن الفرقه الرابعة،والتى أذيع امرها فيما بعد، اكدت لى صدق ومعنى ما قاله المشير في ذلك،وهو اقوال كثيرة،سمعتها منه وهو في محنته وأحزانه،وسأذكرها في حينها. ومن المفيد ان نستعيد تفاصيل ما وقع بين جمال عبدالناصر والمشير عبد الحكيم عامر،في ليلة الثامن من

يونية ١٩٦٧،فبعد صدور قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار، حدث اجتماع ضم الرئيس جمال عبد الناصر،والمشير عبد الحكيم عامر،والوزير شمس بدران،وفى هذا الاجتماع اتفق الثلاثة على :"ضرورة ترك مناصبهم،والإتيان بوجه جديد يتولى رئاسة البلاد ويستطيع التفاهم مع الغرب" وقال عبد الحكيم عامر:"انتى اقترح ان يرأس البلاد الزميل زكريا محيى الدين"، ظهر على وجه عبد الناصر الامتعاض وعدم الرضا، فقال له المشير: "انت عارف يا ريس ان مافيش بينى وبين زكريا محى الدين اى ود او صداقة واننا كنا دائما نصطدم ونختلف،فى الرأى، ولكننا الان امام مصلحة مصر، واسم مصر،ومستقبل مصر" وردعبد الناصر:"زكريا وجه غير مقبول.وانا لا اوافق عليه،وارشح بدلا منه شمس بدران" قال عامر:" اذا كان اعتراضك على زكريا،انه وجه غير مقبول،فإن شمس بدران وجه غير معروف،وغير مقبول،ثم كيف ترشح من كان وزير حرب، وخسرها؟!" قال عبد الناصر "نبحث عن اسماء اخرى". فقال المشير:"احنا اخدنا بمبدأ ان اللي ييجى هايكون واحد من اعضاء مجلس قيادة الثورة المشتركين حاليا في الحكم، وليس أمامنا سوى زكريا، وانور،وحسين.." وواصل المشير دفاعه عن زكريا-الذى اعلم انه يقدره فعلا- قائلا: "زكريا عمل في وزارة الداخلية منذ جاء للحكم.. ويستطيع ادارة السلطة التنفيذية".

قال عبد الناصر"طب يا سيدى خلاص.نزلت على رأيكم" وكان المشير يعلق بمرارة على ما حدث :"نزل على رأيى.قال يعنى خلاص راجل ديمقراطى، هوه طبعا كان عايز شمس لأنه وجه مكروه وغير معروف.." وفى الاجتماع أيضا أمر آخر ، لم يحظ بالاهتمام كسابقه، فقد طلب عبد الحكيم عامر ، الإفراج عن الرجال المسجونين بالسجن الحربى ، وضمنهم ضباط وعساكر مدرسة المشاة هوعبد المنعم ابو زيد " صاحب القضية المعروفة ". كما اتفقوا على أن يذاع مع خطاب التنحى استقالة عبد الحكيم وشمس. وخرجوا من الاجتماع ، ولم يخامر المشير الشك في ان هذا الاتفاق سيوضع موضع التنفيذ او ان ما حدث ممكن ان يكون خدعة ، في هذا الوقت الذى تترنح فيه مصر تحت وطأة الضربة المباغتة التي أطاحت بالآلاف من شباب ورجال مصر، لازالت جثثهم ملقاه على رمال سيناء . تم هذا الاجتماع في ٨يونيو وحتى ذلك التاريخ ومنذ حوالى الثانى من يونيو لم أكن قد شاهدت عبد الحكيم الا دقائق معدودة، كان فيها يطمئن على أحوالى ويشاهد ولده عمرو، وكأنه يودعه ثم ينصرف بصحبة من جاءوا معه، فقد كان يأتى دائما ومعه رفقاء من زملائه كصلاح نصر،او عصام خليل ، او عباس رضوان، أو انور السادات ، أو إخوته عبدالمنعم وحسن ومصطفى عامر .

ثم انقطعت عنى أخباره إلا من الصحف والتلفزيون حتى الثامن من يونيو . فقد جاءنى الشماشرجى وحارسه محمد متولي وقال"عايزين سيادتك ضرورى علشان نروح للمشير" .

واصطحبنى الى منزل اللواء عصام خليل، وأدخلونى حجرة نوم معتمة، وتبينت فيها المشير، جالسا على طرف السرير،مسنود الى ظهره، وقد أسند رأسه الى الوراء وكان يدخن بشراهة.

كنا وحدنا بالحجرة وبابها مفتوح وبالخارج كان عصام خليل صاحب البيت، وعباس رضوان ،وشقيقا عبدالحكيم حسن ومصطفى عامر ،وقفت امام عبد الحكيم، وهممت ان اقول:" ازيك ":"ازيك ايه؟" ،وهو زى مانا شايفة ،كان وجهه حزيناً مكتئبا، وبدنه مهدلاً على السرير، وبجواره فنجان من القهوه فارغ ، لقد حدثت نفسى بانه لابد ان يكون الفنجان المائة: لما اعرفه من عادات المشير حين يغضب او يحزن، فانه يعكف على القهوه والشاى ، ويعاف الطعام. لم اجسر امام هذه الصورة على قول اى شئ، بينما القلق يلعب بى ، سمعت صوته يقول:" انا عايز اقعد لوحدى" وشعرت ان على واجبا نحو الرجل الذى أحببته قائدا شامخا، وأراه الآن مهزوما منكسرا، واجبى ان افعل شئ ، او اقول شئ رغم علمى بانه لا يكاد يشعر بوجودى. حزمت امرى وقلت له :"الحزن ده مفيش منه فايده دلوقت مهو التاريخ ملئ بالحروب وقواد انهزموا ورجعوا انتصروا" قال بصوت خفيض:"وهل حاربت حتى أهزم؟ فاجأنى الرد، وان كان قد شجعنى على الاسترسال في الحديث فقلت: مهما كان اللى حصل فأنت اقوى منه " ثار عبدالحكيم وهاج ونظر نحوى بعينين ملتهبتين :"انتى متعرفيش حاجة اللي حصل مش نتيجة حرب.دا نتيجة خيانة.." وأشاح عنى بوجهه ، وقد أمسك عن الكلام. وبعد فترة سمعته يتكلم :" ولادى ماتوا متكتفين مقدروش حتى يدافعوا عن نفسهم " . وصدق عامر ولقد احترق كثير من جنود الدفاع الجوى وهم جالسون على مدافعهم خلال اشتباكاتهم بطائرات العدو . ولاادرى اكان يحدثنى ام يحدث نفسه في تلك اللحظة، فلزمت الصمت فقد غمرنى حزن وذهول . تلفت المشير حوله فجأة:"فين الشنطة.." فدخل خادمه متولي وقال له متلجلجا:"الشنطة .كنا عايزنها.." وصاح به عبد الحكيم :"بلاش كلام فارغ، هاتوا الشنطة انتوا صدقتوا كلام المعفن وشوية العيال بتوعوه؟ بتصدقوا الاشاعات؟ هاتوا الشنطة.." واسرع متولي فاحضرحقيبه " سامسونايت" وقدمها لعامر. وكنت اراقب ما يجرى وانا صامته . اخذ المشير الحقيبة وفتحها ، فاذا فيها مسدس وبعض الاوراق والادوية واخرج عامر زجاجة دواء-لعله مهدئ -وتناول منها حبه كان يشكو صداعا،ولذا طلب الحقيبة لان بها الدواء . لم اكن

اعرف شيئا عن الاشاعة التي تحدث عنها لا لكننى اعرف المعفن الذى ذكره . وقد عرفت ان الاشاعة قالت ان المشير ينوى الانتحار اطلقها احد الموظفين برئاسة الجمهورية لذلك رأى رجال عامر المخلصون أن يبعدوا المسدس عن يده ، فاخفوا حقيبته .

وتنفيذا لما اتفقوا عليه في اجتماعهم الثلاثى ، القى عبد الناصر خطاب التنحى في مساء ٩يونيو ١٩٦٧ وقد لاحظت كما لاحظ الكثيرون ، ان خطاب التنحى يتضمن وعوداً ومشاريع اى ما يكذب فكرة التنحى . والخطوات التي صاحبت واعقبت التنحى ، توضح مكر عبد الناصر بعبد الحكيم وشمس بدران ، وانه استغل الاستقاله لصالحه، فدفع بهما الى الظلام وصعد وحده الى القمة بناءً على طلب الجماهير!!!

وأولى الملاحظات، هى وقف جميع المواصلات داخل القاهرة ، قبل القاء خطاب التنحى فتكاثر الناس في الشوارع واقفين او سائرين، اما السكك الحديدية فقد عملت على تزويد المدن بمزيد من الجماهير التابعين للدولة .وهكذا أصبح الناس جميعا وقوفا يستمعون الى الخطاب .

الملاحظة الثانية: ان أعضاء الاتحاد الاشتراكى والمنظمات التابعة لسامى شرف- وهى كثيرة - وعبد المجيد فريد وغيرهما صدرت إليهم الأوامر بالبقاء في مكاتبهم منذ صباح اليوم وقبل القاء الخطاب بساعات .

الملاحظة الثالثة : الشائعات التي أطلقها جهاز سامى شرف ، ومراكز القوى ضد الجيش وعبد الحكيم عامر، واليكم بعض ما شاع:" الجيش جرى وخاف يحارب " ، "كان عبد الحكيم عامر بيحشش ساعة اليهود مدخلوا" ، "عبد الحكيم اخد سبائك دهب من اليهود علشان يسبهم يدخلوا" ، " الطيارين كانوا عاملين حفلة بيرقصوا مع واحده راقصة ". إلى آخر هذه الشائعات التي حمل بعضها بذاءات، وصورا فاضحة لايليق بى ذكرها .

هكذا كان المسرح معداً تماما للخطاب التاريخى للتنحى.. وفور انتهائه قام الجميع بأدوارهم ، وتحركت المواصلات كلها بالمجان وتحرك أعضاء الاتحاد الاشتراكى المرابطون في مكاتبهم، وحرضوا الجماهير ورددوا الهتافات وذهبت جماعة من البوليس الحربى في ثياب مدنية جاذبين معهم حشداً من الناس السذج لمهاجمة منزل زكريا محى الدين-الذى شارك في وضع خطة الثورة والذى لم يعلم بتوليه الرئاسة إلا من الخطاب-ورددوا هتافات ضده ورجموا بيته بالحجارة-وركب الناس المواصلات وقد تحركت بعد توقف-فأخذتهم جميعا الى مكان واحد الى منزل جمال عبد الناصر وسخرت المواصلات كلها الحديدية وغيرها من اتوبيسات

الاصلاح الزراعى وهيئة المواصلات وعربات القطاع العام بكل شركاته وهيئاته لحمل الناس من الاقاليم مجانا الى القاهرة ، ومنها الى منزل جمال عبد الناصر ويؤكد ذلك في مذكراته اذ روى القصة التالية وليس ادل على الامر كان مخططاً له من تلك المظاهرات المنظمة التي تحركت الى بيت زكريا محيى الدين، فور القاء بيان عبد الناصر ، تهتف بسقوط زكريا محى الدين والامبريالية الامريكية . والواقع ان هناك جموعاً غفيرة من الناس خرجت من تلقاء نفسها بعد سماع بيان تنحى عبد الناصر ولان الامر الذى لاجدال فيه أن التنظيم السياسى كان لديه في اليوم التالى تعليمات من رئاسته بالخروج والمنادة بعودة عبد الناصر ....ومن الأمور المضحكة المبكية، أن بعض وحدات الاتحاد الاشتراكى التابعة للأقاليم أخطأت التقدير فوصلت الى مشارف القاهرة قبل اعلان التنحى مساء التاسع من يونيو بساعة اواقل، فتجمعت بعرباتها ولافتاتها في مداخل القاهرة . وكان اول من وصل الى القاهرة فوج الاتحاد الاشتراكى التابع لبنى سويف الذى وصل قبل اعلان بيان التنحى بما يقرب من الساعة فانتظر في الجيزة حتى سمع البيان في الاذاعة وتحرك الى منشية البكرى . أما أمانة القاهرة فكانت لديها التعليمات بالتحرك قبل اذاعة البيان ، وسرعان ما كانت وحداتها متراصة حول منزل عبد الناصر ، مع الجموع التي خرجت من تلقاء نفسها . واخذت الوفود تاتى من خارج القاهرة تطالب بعودة الزعيم.. ونجحت اللعبة وحققت التمثيلية هدفها .

ولم ينس المتظاهرون ان يمزقوا اى "يافطة" عليها اسم عبد الحكيم عامر او صورته بل يضربوا كل من يخرج عن النص ويهتف باسم عامر، ونشير ان الهتاف المعتاد الذى ألفته ألسنة الجماهير المصرية والتنظيمات هو"ناصر .. عامر" . وفوجئ أصحاب المحال والاكشاك بمن ينتزع من محالهم صور عبد الحكيم عامر ويتركون صور جمال عبد الناصر التي بجانبه وقامت فرق " الشحن" باثارة مشاعر الجماهير الوطنية والهاب النعرة القومية وظهرت فوق رءوس الجماهير آلاف "اليفط" الخشبية والقطنية-القماش-وعليها مكتوب شعارات متشابهة تعلن عن تمسك الجماهير بالرئيس ومطالبته بالعودة بعد التنحى !!

الفصل السادس

رحلة صيد

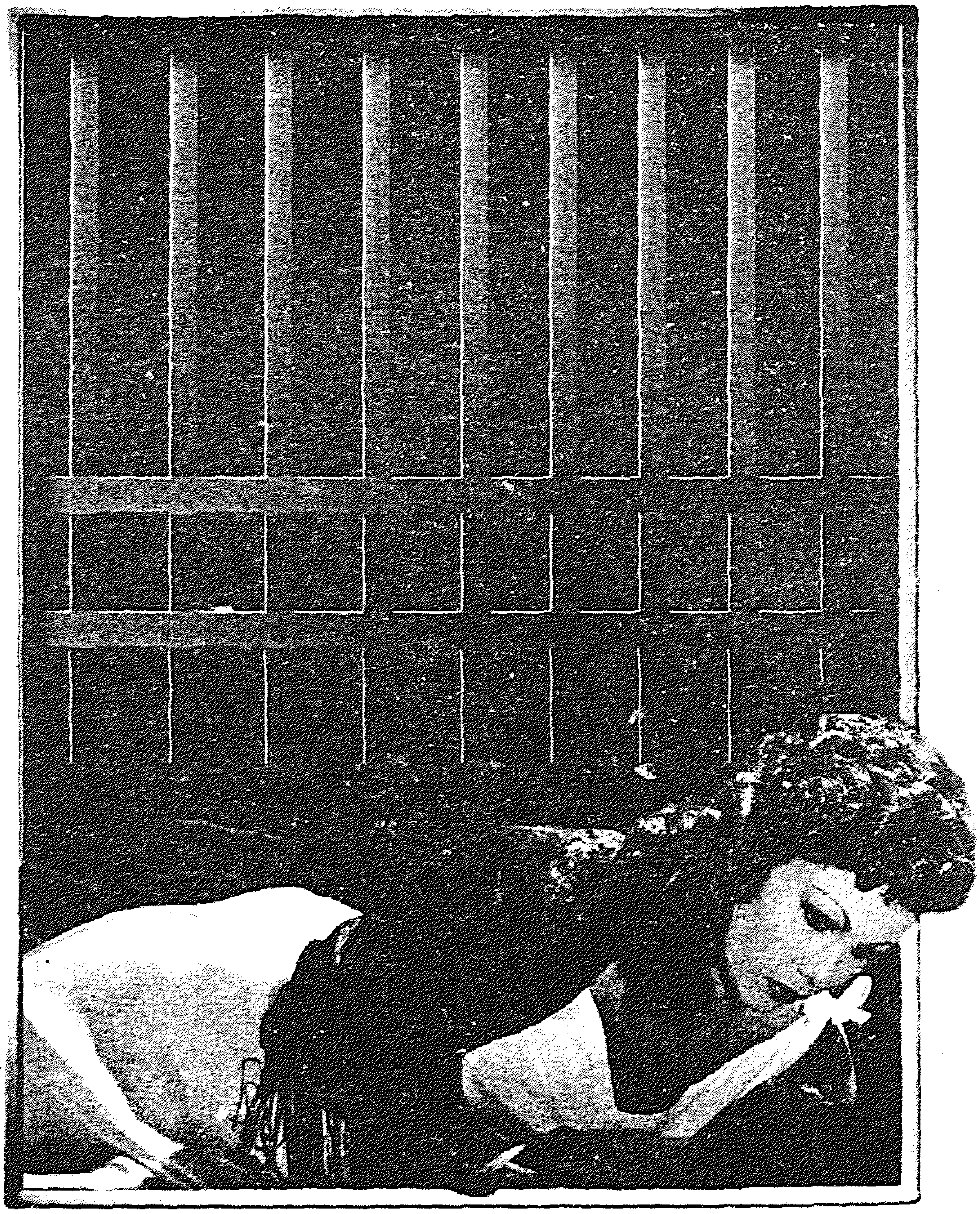

رحلة صيد

هذه الرحلة لم يرتحل فيها الصياد، فقد أقام خطته على استدراج صيده.. والصيد - عبد الحكيم عامر - لزم قريته، ويحيط به أهله وأقاربه، رفض الخروج من مكمنه، رغم كل الإغراءات والمحاولات.

كان عبد الحكيم عامر قد زهد فى السياسة زهدا حقيقيا، وصارت كل أمنيته أن يبقى فى قريته، مواطنا لايشغله سوى حقله أو قراءاته، أو أى عمل من المحتمل أن يمارسه .

وفى قرارة نفسه، كان يعلم أن حكما بالموت قد صدر ضده، فهو رجل السياسة الذى يجيد قراءة العلامات الدالة على نوايا الأجهزة السرية. وأذكر القارىء بأن هذه الأجهزة كانت قد أشاعت - كذبا أن المشير حاول الانتحار ولكن تم إنقاذه، ومعنى ذلك - لدى الناس - أن من أراد الانتحار مرة، قد يعود إلى محاولته فينتحر، وإذن فنيتهم مبيتة أن يقتلوه.

بهذا الزهد، وهذا اليقين ، مكث فى اسطال، متخذا كل الترتيبات لتحقيق أمله المتواضع، فاستدعى زوجته الأولى، وأبناءها ، وأقاموا فى منزل خاله.

أما أنا فقد أراد إسكانى وعمرو فى اسطال، ولكن لم يجد سكنا ، فبحث عن شقة فى سمالوط (وجه قبلى).

وفى ساحة الصيد، كان بدل الكلاب ذئاب وثعالب، وقد نشطت أجهزة محمد فوزى، وسامى شرف، بتنظيماتها السرية، والذى بدأ أحدهم فى الكلية الحربية، ثم انتقل إلى الجيش، بدأوا فى توسيع رقعة الشقاق بين جمال وعامر، وترسيخ نية جمال على التخلص من المشير بأن نقلوا إلى جمال عبد الناصر، صورة للضباط القاصدين إلى اسطال، لمقابلة قائدهم المستقيل. بل ونقلوا أقوالاً على لسانه يتحدى فيها جمال، ويهدد بنفيه.

إن المؤامرة ماكانت لتتم فصولها، إلا بالخلاص من أحد الرجلين جمال عبد الناصر، أو المشير عبد الحكيم عامر.. توطئة للخلاص من الآخر.. لصالح من ؟ لصالح مراكز القوى وأسيادهم.

كان على عبد الناصر أن يستعيد صيده الشارد عبد الحكيم عامر، أن يرده إلى القاهرة،

بعيداً عن قريته وأهله، فكان يخاطبه يومياً بالتليفون، يثرثر معه، ويأخذ رأيه فى ماهو مزمع عليه من تغييرات، ويشكو له وحدته وقلقه:

- أنا وحيد ياحكيم .. ولازم تكون جنبى، احنا اتعودنا نناقش المشاكل مع بعض ونفكر فى مصلحة البلد مع بعض .

وهكذا يسير الحوار التليفونى اليومى بينهما. ثم انتقل جمال إلى مرحلة أخرى هى إرسال من يحاول إقناعه بالعدول عن نية البقاء فى اسطال، والحضور إلى القاهرة ، أرسل أولاً عباس رضوان، وهو واحد من الشلة التى وصفت بأنها « شلة المشير وعبد الناصر » . وهم صلاح نصر، وشمس بدران .

ذهب عباس رضوان إلى اسطال، واجتمع بالمشير لمدة ثلاث ساعات فى محاولة إقناعه، والعودة إلى القاهرة، وكان العرض الذى جاء به من عبد الناصر، هو أن يقبل المشير منصب نائب الرئيس ونائب القائد الأعلى ولكن بدون أختصاصات، وكان مما قاله المشير فى هذا اللقاء : « أنت ناسى ياعباس أسلوب عبد الناصر.. يدى نياشين ماتكلفهوش حاجة.. ويعدين يركنا زى بغدادى فى الثلاجة.. وإذا كان بغدادى رفض أن يكون يافطة » فهل يقبل عبد الحكيم فى آخر أيامه أن يكون « يافطة» .. وعلشان إيه ؟! علشان المرتب.. طب أنا معاشى يكفينى ».. وأرضنا موجودة . ومن الوسائل التى حاول عباس أن يقنعه بها، هى حديثه عن أولاد المشير - يقصد ضباط الجيش - الذى يجرى اعتقالهم ويفصلون كل يوم ويحالون إلى المعاش وهم فى أوج شبابهم.

ورد المشير بقوله : « سأتحدث مع جمال بخصوص الضباط .. ولكن المبدأ أن الجيش والسياسة تضحية.. فكل من يدخل الجيش يعرف أنه من المحتمل أن يموت.. كذلك من يدخل ميدان السياسة، معرض للخروج منها..» ولم ير عباس فائدة ، فعاد إلى القاهرة ولما فشل عباس رضوان ، أرسل جمال صلاح نصر فى طائرة خاصة إلى اسطال، وقال للمشير فور وصوله : « إن الرئيس أوفده فى طائرة خاصة، وطلب منه أن يعود هو والمشير فى نفس الطائرة ».

وقد عرض صلاح نصر نفس العروض التى عرضها عباس رضوان، فلما رفض المشير، قال له صلاح نصر : « هناك عرض آخر ، وهو ان تتولى أنت - أى المشير - رئاسة الجمهورية ، بينما يتولى جمال عبد الناصر رئاسة الاتحاد الاشتراكى ....».

قال المشير: « طبعاً هو يريد أن يحرقنى بطريقة قانونية - مثلما فعل مع محمد نجيب - أنا أصدر قراراً كرئيس للجمهورية، وهو يجمع الاتحاد الاشتراكى ويزايد على القرار .. مثلا : إذا فرضنا ضريبة ما، طالب الاتحاد الاشتراكى بإلغائها.. وإذا حددت الحكومة سعر أحد المحاصيل، طالب الاتحاد الاشتراكى برفع السعر، وعن طريق هذه المزايدات لايبقى أمام الشعب، إلا أن يخرج فى مظاهرات - زى بتاعة ٩و١٠ - ويطالب بإقالة رئيس الجمهورية، وبهذا يرتاح منى سياسياً وعسكرياً».

وعند وداع المشير لصلاح نصر قال له عامر: « استحلفك بالله ياصلاح، بلغ الرئيس ألا يعطى أذنه « للعيال» الشيوعيين الذين حوله - الذين عودوه على أن يستمع إلى الأشرطة قبل النوم.. هؤلاء مستمرون فى الوشاية ، والكذب، وتلفيق التسجيلات.. وأنت تعلم أن جمال « ودَنى» وهؤلاء العيال « راح يودوه فى داهية » وأنا أخاف عليه منهم . لأن جمال جعل لهم قيمة، وتَرك أيديهم تمتد فى كل مكان مثل الأخطبوط حتى التفت عليه هو نفسه. الله يكون فى عونه.

❖ ❖ ❖

وبالنسبة لى، كنت قد علمت بإقامة المشير فى اسطال، من متولى، ولقد أشعرنى هذا النبأ ببعض الطمأنينة ، فإنه قد بعد عن مسرح الأحداث، واستقال، وانتوى أن يعيش - كبقية خلق الله - يرعى بيته وأولاده وعمله.

وكانت الإقامة فى أسطال، موضوعاً للحديث بينى وبينه أحياناً فيما خلا من الأيام، وله إرهاصات تأتى من قبيل المداعبة أحياناً. لذا فقد هفت نفسى إلى أسطال.

منيت نفسى بالآمال، وقلت أخيراً سأجد بيتاً مستقراً، وزوجاً مقيماً، وابنا ينشأ بيننا فى حياة هادئة ، فكان أن سافرت إلى اسطال . وذهبت حاملة له أخباراً عما يجرى فى القاهرة .

كان الشعب فى تلك الأيام التى أعقبت الهزيمة، قد وجه سخطه للجيش، ولم يراع العملاء ربهم فى جيش مصر وشعبه، فراحوا يغذون هذا السخط بالأكاذيب.. والشائعات المضللة، واشتركت أكثر من جهة فى ذلك، كأجهزة الدعاية، والتنظيمات السياسية . وأجهزة الأمن، وكلها كانت فى قبضة الرئاسات العميلة، التى صنعتها مراكز القوى.

هذه الأجهزة كانت تقدم لعبد الناصر الكبريت، ويشعل هو النار.. تقدم له التقارير الملفقة، عن مؤامرة يدبرها عبد الحكيم لقلب نظام الحكم، واعتقاله، وعن ضباط يتوافدون على أسطال لوضع الخطط وتلقى التعليمات.

وكان عبد الناصر يشعل النار بمواصلة القبض على ضباط الجيش وإرسالهم إلى السجون ، حتى أنهم قبضوا ذات مرة على دفعة كاملة من الضباط هى دفعة شمس بدران !!

كانت مصر كمن أصيبت بالحمى، واستغلت الأجهزة هذه الحال، لايقاع مزيد من الهزيمة بالجيش المصرى.. فبعد الهزيمة فى ميدان القتال، وجد الجنود أنفسهم يواجهون هزيمة فى ميدان المجتمع.. وأفلح المغرضون فى أن يجعلوا العسكريين يخجلون من زيهم العسكرى، ولَكَمْ تحمل الضباط والجنود- من أشرف أبنائنا - السخريات، والتلميحات الخبيثة، تحملوها صامتين - فأضافوا إلى شجاعتهم ، صبراً تنوء بحمله الجبال، فإذا الخبثاء - من حيث لايعلمون - يبرزون الصفات الحقيقية للجندى المصرى عبر التاريخ وهما صفتا الشجاعة والصبر.

بل إن الأمر بلغ بهذه الأجهزة ، إلى حد بث رجالهم بين الجماهير، لمشاكسة من

يصادفونه من جنود أو ضباط، وأحياناً كانوا يمزقون ملابسهم.

كانت هذه الشائعات وهذه الصور، هى التى تملأ مشاعر الجمهور المصرى.. ولم احتمل سماع الأكاذيب، التى تقول عامر خان بلاده، وانه يدبر عملية انقلاب ضد جمال عبد الناصر.

أخذنى أحد أفراد مكتب المشير لأنى لا أعرف الطريق- وهناك دخلت أول بيت صادفتى، من بيوت أقاربه، وكان يقع وحيداً بين الحقول بعيداً عن القرية فى هذا البيت - وهو بيت أحد أشقاء المشير - أرسلت من ينبئه بوجودى.

جاء المشير وابتدرنى بقوله : « ايه اللى جابك ؟ »

قلت : « جئت لأراك .. وأطمئنك على عمرو ..»

ثم سردت عليه كل مايتردد فى القاهرة من شائعات يطلقونها ضده، وضد الجيش، وأعربت له عن قلقى وخوفى بسبب ذلك ، لما قد يكون مدبراً له فى الخفاء ، فقال لى : « عبد الناصر يريد إعادتى إلى الحكم بدون حكم.. وأن يضعنى موضع المسئولية دون أن يكون لى يد فيما يجرى.. وإذا كنت لم أستطع - وأنا فى قوتى - أن أصلح من شأنه .. فماذا أفعل وأنا مجرد لافتة تدل على مناصب وهمية ؟ .. وأنا لا أقبل ، ولن أقبل أن أكون هذا الرجل الذى يريده .. أما الآن وأنا بعيد عن الحكم، فأنا قنبلة موقوتة تزعجه.. ولابد أن يستجيب لطلباتى.. ليس من أجلى، ولكن لتبرئة الجيش قبل كل شئ.

قلت له : لم لاتسافر وتجلس معه.. فربما تصلان إلى نتيجة، وربما تجدان حلولاً تفيد البلد.

قال : عبد الناصر لايجرى جراحة لشفاء المريض، بل يقدم له مهدئات.. وهذه هى عادته.. ولو كنت أعرف أنه سيتغير، لما انتظرت حتى يقول لى أحد سافر .. ولكن هو يريد أن يغير من الشكل دون أن يتغير هو.. وأنا أحبه شخصياً، ولكن أحب مصر أكثر .. ومصر ليست لى وحدى، وليست له وحده..

صمت طويلاً ثم قال : « بطريقته دى .. يبقى الروس همه اللى حايحكموا مش هو ». أحسست بهمّ شديد، كان وجه عبد الحكيم يبدو مرهقاً، يعصف به القلق والحزن. ولم أجد قدرة على قبول دعوة العشاء التى أعدها لى أصحاب البيت.. رغم إصرارهم وكرمهم، المأثورين عن أهل الصعيد.

طلبت من عبد الحكيم أن أمكث هذه الليلة، وأعود فى الصباح، ولكنه قال لى : «ما يصحش أسيب الناس اللى معايا وأقعد معاكى .. ومايصحش أسيبك لوحدك » وعدت إلى القاهرة بقلب مثقل بالأحزان.

❖ ❖ ❖

طوال هذه الأيام ، كان المشير يقاوم الإغراءات، ويقفز فوق الفخاخ المنصوبة له ببراعة، وفشلت كل محاولات إقناعه بالعودة إلى القاهرة.. وفى النهاية أرسل له جمال محمد حسنين هيكل . فعاد به إلى القاهرة.. فكيف حدث هذا ؟

لقد أصابوا عبد الحكيم فى نقطة ضعفه .. حاصره عبد الناصر أولاً بالمودة العائلية ، فارسل لزيارته ، زوجته وأبناءه، وكلمه فى التليفون، معاتباً وقائلاً انه أرسل أبناءه، « ولو كنت تريد أن آتى بنفسى لترجع معى فإنى آت إليك».

من سجايا عبد الحكيم ، التأثر بالكلام الرقيق، وقد يصل به التأثر إلى حد الخجل.. وكان عبد الناصر يعلم عنه هذه الصفات، فواصل حديثه التليفونى قائلاً : «حا ابعت لك هيكل يمثلنى.. وأرجو انك ماتكسفنيش المرة دى ».

وجاء هيكل فشكا له المشير من أن جمال يريد أن يحول كل من حوله إلى «طراطير» وسرد على مسامعه كلاماً يشابه ماقاله من قبل لعباس رضوان وصلاح نصر.

ولكن هيكل جاء هذه المرة ومعه عرض جديد، مشفوع بدفء الصداقة، والعلاقات الأسرية، كان عرض هيكل هو أن الرئيس على استعداد لقبول شروط عبد الحكيم ، بالإفراج عن الضباط المسجونين، وإعادة من أحيل إلى المعاش. بدت هذه الفكرة طيبة فى نظر عبد الحكيم، فعاد إلى القاهرة، يراوده أمل فى وقف مذبحة الضباط. وإبراء الجيش من كل مانسب إليه، بسبب الهزيمة.. أدى هيكل دوره بنجاح، فقد أفلح فى الظهور بصورة الصديق للاثنين، والولاء للاثنين، وبعد عودته مباشرة اتصل بجمال عبدالناصر ليخبره بوصول المشير، أو بالأحرى وصول الصيد إلى الصياد.

ولم يمض وقت طويل حتى كان عبد الناصر فى منزل عبد الحكيم، جاء مرتدياً قميصاً وبنطلوناً، وخلفه سيارة حرس.

استقبله عامر بحفاوة دافئة ، فيها عبق الصداقة القديم، ودخلا إلى الصالون فى منزل عامر وأغلقا الباب خلفهما، ومكثا هناك ساعات .

وفى هذا اللقاء قال له عبد الحكيم : « أؤكد لك أنى ممكن ارجع مجرد جندى فى الجيش.. وأحارب زى أى جندى.. بس لازم أقولك احنا ماعملناش ثورة علشان تنتهى بنهاية حياتنا، لابد من وضع نظام حكم ياجمال.. نظام حكم ياجمال يقوم على الديموقراطية، والحرية.. والمبدأ السادس للثورة.

إما أن نعمل نظاماً رئاسياً، تكون انت فيه رئيس دولة ورئيس الوزارة، فى وجود برلمان منتخب انتخاباً حراً، وبدستور حديث يعطى البرلمان حق محاسبة رئيس الدولة، وكذلك الوزراء وسحب الثقة منهم .

وإما نظام برلمانى، تكون أنت فيه رئيس الدولة، ويكون رئيس الوزراء مسئولاً أمام البرلمان، الذى يملك حق سحب الثقة منه ومن الوزراء، وتكون هناك معارضة تتفق فيها على

التفاصيل، على الأقل يكون هناك حزبان فى البداية، وإن كنت افضل ثلاثة أحزاب، وإن زادوا فلايزيدون عن خمسة أو ستة على الأكثر.

أرى أن يكون لكل حزب معارض صحيفة، على أن تكون الصحافة حرة، بهذا يستقر الحكم فى مصر، ولايكون حكم جمال عبد الناصر، ولا عبدالحكيم عامر .. وإنما حكم الشعب للشعب. وبهذا نكون قد قمنا بثورة فعلاً.. ثورة أدت دورها وسلمت الشعب مقاليد أموره".

وقال جمال عبد الناصر : « حا أفكر ياحكيم .. وأديلك خبر ».

وخرج الاثنان من الصالون، ورآهما الجميع وعبد الناصر يحيط كتف عامر بيده والسرور ظاهر عليهما بما يوحى أن المياه عادت إلى مجاريها.. وسار معه عامر مودعاً حتى السيارة .

الرضا .. والغضب

طار نبأ اللقاء الذى انتهى بالأحضان بين الرئيس والمشير - إلى كل رجال الجيش. فسارت موجة من التفاؤل والسرور بين ضباط الجيش وجنوده، وبدأ عشرات من الضباط يتوافدون على منزل المشير مهنئين بالعودة، ومؤكدين لقائدهم الحب والولاء.

هذا الرضا بين الجيش، بعث الغضب فى نفوس تعمل فى الخفاء، أصحابها من رجال الأجهزة السرية، والعملاء، من هذه الطغمة التى أحاطت بجمال عبد الناصر، وأرادت للبلاد أن تسير فى ركب المعسكر الشرقى.

أما جمال عبد الناصر، فقد بدأ فعلاً الإفراج عن بعض الضباط، وإعادة بعضهم إلى عملهم، والبعض الآخر وعد المشير بتعيينهم فى وظائف مدنية، أو فى السفارات المصرية بالخارج.

وقد أدى هذا المسلك إلى طمأنة عبد الحكيم عامر، وازدهار موجة التفاؤل فى نفوس رجال الجيش.

وكان على الأجهزة أن تباشر نشاطها، فوجود المشير أثار المخاوف لدى السوفييت وأنصارهم، فعداوته لهم معروفة، وميوله للغرب أيضاً معروفة.

وبدأت التقارير تأخذ طريقها إلى جمال عبد الناصر، تحوى أسماء الضباط المترددين على منزله، بوصفهم أعضاء فى مؤامرة تهدف إلى إعادة المشير للسلطة بالقوة.

بدأت تصل المشير أنباء أخرى عن ضباط لايترددون عليه وليس لهم صلة به. وكان المشير عندما يبلغه نبأ اعتقال بعضهم يتصل بجمال عبدالناصر ويسأله عن سبب الاعتقالات لهذا ولذاك، وكان عبد الناصر يجيبه «لا أعرف» . فيتصل بفوزى فيقول له : إنها اعتبارات أمنية .

ولم تكتف الأجهزة باعتقالات رجال الجيش، بل إنها تحولت فجأة إلى اعتقال عدد من رجال السياسة القدامى، ومن رؤساء الأحزاب السابقة، ممن ليس لهم علاقة بالهزيمة !!

وأدرك عبد الحكيم عامر أن هذه الأعمال ، هى استمرار للجنة الثلاثية التى شكلها جمال عبد الناصر لتصفية أنصار عبد الحكيم من الجيش، هذه اللجنة التى كانت مكونة من : زكريا محيى الدين، محمد فوزى، وسامى شرف.

ولم يشك لحظة، فى أن هذه التصرفات، انما جاءت لصرف نظره عن مطالبه الوطنية، التى تتلخص فى إقامة حياة ديموقراطية فى مصر ، والا فما معنى القبض على رجال الأحزاب القديمة ، أولئك الذين يملكون الخبرة والممارسة الحزبية ، والقادرون على إقامتها إذا اتجهت النية لذلك.

إلى أن جاء يوم فوجىء فيه المشير بسحب حرسه الخاص، مخالفين بذلك تقاليد الدولة، التى تضع حرساً خاصاً على أعضاء مجلس قيادة الثورة، بل وبعض الوزراء حتى وهم خارج الخدمة، فمثله يتربص به الأعداء لقتله، ولم يجد المشير بداً من أن يكوّن لنفسه حرساً من أهالى قريته، وكان فى البيت بعض الأسلحة الصغيرة فوزعها عليهم.

وزاد الأمر سوءاً، أن بعض الضباط المفصولين ذهبوا، وأقاموا فى بيت المشير. مما مكّن رجال الأجهزة السرية، من إيغار صدر جمال عبدالناصر، أكثر من ذى قبل ، حتى انه أراد أن يتأكد بنفسه. ففى ذات يوم فوجىء الحرس الخاص بعبد الحكيم عامر بزيارة عبد الناصر دون سابق إخطار.

فى هذه الزيارة اجتمع الاثنان فى حجرة مكتب المشير. وقد عاتب المشير جمال على سحب الحرس، ولكن جمال رد عليه كالمعتاد، بأنه لم يكن يعرف، وبأنه سيحقق فى الأمر .

وأظهر له عبد الحكيم عدم الاقتناع بهذا الكلام، لأنه يستحيل على محمد فوزى أن يتصرف بدون علم جمال، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بعامر.

ولما كان عامر رجلاً من رجال الحكم فى مصر، فهو بحكم موقعه كان مُلماً، بالأساليب التى تتبعها أجهزة الدولة بل هو يعلم جيداً أن ماهو فيه الآن نتيجة مقاومته لعمليات الاختراق السوفيتى للكيان المصرى. لذا لم تنطل عليه أساليب عبدالناصر عند ادعائه الجهل أو وعده « بإجراء تحقيق ».

ويؤكد هذا القول ماقاله صلاح نصر فى مذكراته، إذ قال بالحرف الواحد:

« الواقع أن الهجوم على القوات المسلحة، والمخابرات العامة، بدأ منذ أواخر عام ١٩٦٦. بخطة محكمة من الشيوعية الدولية، التى كانت تصف هاتين المؤسستين، بالرجعية، وحاولت أن تبث كثيراً من الشائعات الهدامة على القوات المسلحة والمخابرات العامة، ويرجع السبب فى هذا الهجوم إلى عدة عوامل :

أولاً : هجوم المشير عبد الحكيم عامر على الشيوعيين المحليين فى خطابين ألقاهما فى القوات البحرية، والقوات المسلحة عام ١٩٧٦.

ثانياً : القضاء على الأجهزة الوطنية التى كانت تحمى الثورة، حتى تستطيع الشيوعية أن تزحف وأن تتحرك بحرية.

ثالثاً: كانت المسئوليات الضخمة، التى أسندها عبد الناصر إلى المشير عامر- فى السنتين الأخيرتين - محل حقد زملائه من أعضاء مجلس الثورة .

رابعاً: محاربة المخابرات العامة للشيوعية بحكم مسئولياتها ، فى مراقبة أى نشاط أجنبى مضاد.. وقد استطاعت المخابرات العامة أن تضع يدها على ثلاث قضايا شيوعية ، إحداها القضية المعروفة باسم « الحزب الشيوعى العربى» وأخرى كان مجالها مدينة الاسكندرية، وثالثة كان رئيس شبكتها أحد ضباط المخابرات الروسية فى السفارة السوفيتية بالقاهرة، وقد أصدر عبد الناصر تعليماته بوقف أى إجراء فى هذه القضية ، للمحافظة على العلاقات مع السوفييت.

خامساً : كان لابد من القضاء على القوات المسلحة، والمخابرات العامة، تمهيداً للاعتماد على الحزب، ومنظمات الشباب ، كما هو متبع فى الأنظمة الشيوعية.

سادساً : ظهور تكتلات فى الحكم هدفها تقويض دور القوات المسلحة والمخابرات.

هذه التكتلات كانت تكمن فى الآتى : تكتل برئاسة على صبرى فى الاتحاد الاشتراكى، تكتل برئاسة سامى شرف فى الخارجية والأجهزة الإدارية، تكتل برئاسة زكريا محيى الدين، ويضم بعض الأجهزة التنفيذية" .

أنقل إلى القارىء كلمات صلاح نصر، لتساعده على تصور الإطار الذى كان يحيط بمأساة عبد الحكيم عامر.. وإنها مأساة ذات أبعاد سياسية، ولكنها لاتحمل الجنسية المصرية. فإن البعد الإنسانى فيها ليبدو - لعينى أنا على الأقل - شديد الأهمية بعيد الغور، فقد اختارت لى الأقدار القاسية، موقعاً يتيح لى كل العذابات الممكنة من هذا الجانب الإنسانى.

والآن فلنواصل معاً ذكريات الأيام الأخيرة من حياة عبد الحكيم عامر، والتى كان مسرحها منزل عبد الحكيم فى الجيزة .

قلت إن عبد الناصر فاجأ عبد الحكيم بالزيارة ، بعد أن سحب الحرس، وأقام عامر حرساً من أهالى قريته، ولم يدر المحيطون بعامر هل جاء ناصر ليتأكد من صحة التقارير والوشايات.. أم جاء ترضية لعبد الحكيم عن سحب الحرس؟

على كل حال - وكما هى العادة - فقد دار بينهما حديث طويل، بدأ أولا بعتاب عن سحب الحرس ، واعتذار بالجهل من قبل عبد الناصر! كالعادة !!.

وكان موضوع الحوار هو أفكار عبد الحكيم، التى بسببها كان هذا الخلاف الطويل، المرير، منذ بداية الستينيات أفكاره عن المطالب الوطنية، وكان رد جمال: ان الوقت لايسمح بغير التركيز على إعادة بناء الجيش، واستكمال الأسلحة الناقصة.. والشىء الذى يجب أن

يحدث الآن هو عودتك لمنصب النائب الأول ، ونائب القائد الأعلى.

فسأله عبد الحكيم : « والاختصاصات » .

فأجاب جمال: هذه المسألة تحتاج وقتاً .. وتحتاج إلى تكوين لجنة لوضع الاختصاصات الخاصة بالقائد العام للقوات المسلحة : محمد فوزى.

وجد المشير نفسه يواجه التسويف والمماطلة مرة أخرى، وأدرك أنه يواجه أسلوب فتح الباب ثم غلقه فى وجهه كلما هَمَّ بالدخول .. سياسة إحياء الأمل ثم قتله أمام عينيه .. والخطر يحيط به .

قال المشير « مارأيك ياجمال .. أعرض عليك فكرة ستريحك جداً .. مادمت لاترتاح لى وأنا داخل الحكم ، ولاترتاح وأنا خارج الحكم.. إذن دعنى أسافر إلى الخارج لأقيم هناك، بشرط أن تصدر عفواً عاماً عن جميع الضباط الموجودين بمنزلى، وإعادة الضباط المفصولين".

قال جمال : « أوافق على اقتراحك وعلى شروطك، إلى أين تريد السفر؟ »

قال عامر : « إلى إيطاليا » .

فرد جمال : « لا .. أوافق على يوغوسلافيا ».

قال عامر بغضب : « هل أسافر لكى تعتقلنى عند تيتو بتاعك؟ » ؟ ... أتظن ياجمال أنى لم أعد أفهم وجهة نظرك.. هل تريد أن تعتقلنى وتحدد إقامتى.. إذن فأنا لن أسافر .. لقد سحبت اقتراحى".

وانتهت الزيارة إلى لاشيء. وكانت قد تمت فى الدور الثانى من بيت المشير، حيث تقيم زوجته وأبناؤه، وقد صعد به المشير إلى حيث يقيمون، كعادته فى معاملة جمال أيام الصفاء، وفى أثنائها قطع عليهما الحوار نقر الباب، فخرج المشير ليرى من الطارق، فرأى جلال هريدى قائد الصاعقة الذى فصله جمال – وهو من الضباط المعتصمين ببيت المشير .. انتحى به عامر بعيداً عن الحجرة وسأله : «ماذا تريد؟» . قال جلال هريدى: « يا افندم .. الحمد لله.. لقد جاء بقدميه.. وهذه آخر فرصة.. أستطيع أن آخذه فى حقيبة العربة.. والنيل بجوارنا .. وأتاويه ».

غضب المشير غضباً شديداً من جلال وقال بصوت خفيض : ألا تعرف أنه فى بيتى.. ماتقوله عيب وعار.. ولولا أن الظروف لاتسمح لكنت حاكمتك ياجلال.

كان من أثر هذه الظروف على عامر، ان زادت يقظته وتحفزه، وقد نقل إليه المحيطون به، أنهم رأوا إحدى سيارات المخابرات العامة تقف أمام المنزل.

وقام أحد الضباط المقيمين بمنزل المشير، بإمساك طاقم المراقبة، وأخذهم إلى داخل المنزل ليراهما المشير، وقد استشاط عامر غضباً، وطلب صلاح نصر – مدير المخابرات العام

- وقال له بصوت زاعق « انت بتراقبنى ياصلاح؟" وأنكر صلاح نصر أن هناك مراقبة، ثم أسرع إلى بيت المشير، لإقناعه بأن هذا الطاقم لم يكن يراقبه، وأن المتبع ألا تقف السيارة المراقبة بجوار البيت المراقب، وإنما تقف بعيداً عنه، وان هذا الطاقم ربما كان مكلفاً بمهمة لاتتعلق بالمشير، ولكن المشير لم يقتنع .

ولاشك أن ماجرى كان فى سياق الاستفزازات المتعمدة التى دأب سامى شرف، على تعريض عبد الحكيم عامر لسلسلة من الأعمال المثيرة للأعصاب الداعية إلى الغضب والسباب، ثم نقل كل هذه مع الإضافات فى تقارير إلى جمال عبدالناصر.

فقد استمرت أعمال المراقبة، وظهرت عربات المخابرات العامة، والمباحث الجنائية حول منزل المشير ، وعلى أول الطريق المؤدى إلى بيته، بل وامتد انتشارها فى المنطقة كلها، حتى أن عربات المراقبة والعربات المصفحة كانت ترى فى ميدان الجيزة، وميدان الجامعة، وفى اوقات أخرى من البوليس الحربى، والمباحث العامة، كل هذه القوات لمحاصرة رجل واحد شبه أعزل، يحيط به بضعة ضباط معزولين، هذا الرجل الوحيد، ظلوا يضيقون عليه الخناق، بينما يحدثونه عن المناصب العليا، والعودة إلى السلطة.

وحدث أن وقع حادث، زاد النار اشتعالاً، وأسقط الأقنعة، وكان بطله «جلال هريدى» .

كان المشير قد أصدر أمراً بألا يغادر جلال هريدى المنزل بأى حال من الأحوال، فقد دأب جلال على معاكسة رجال المراقبة المرابطين خارج المنزل، بأساليب تثيرهم. وفوق ذلك كان عامر على علم بأن جلال مطلوب القبض عليه خارج منزل المشير، وليس بداخله كما نصّت أوامر الاعتقال.

وقد أطاع جلال ولزم البيت لايغادره بتاتاً. وذات يوم، جاءت مكالمة تليفونية من زوجة جلال تطلب فيها رؤيته، فحدد لها جلال مكان المقابلة، عند أول سور حديقة المشير، من جهة النيل.

وقبل أن أكمل القصة، أقف بالقارىء عند جلال هريدى نفسه، ضابط الصاعقة المصرى الشجاع، وقبل المضى فى الحديث، أعتذر مقدماً عما قد أسببه للقراء من ألم ، لمحنة هذا البطل المصرى.

فى حرب سنة ١٩٦٧ استطاعت فرقة من رجال الصاعقة، يقودهم جلال هريدى، من اقتحام الحدود الإسرائيلية ، والتوغل داخل أرض العدو، والقتال ببسالة، للدفاع عن كرامة الوطن، وقاموا بعدة أعمال تخريب فى منشآت الجيش الاسرائيلى ، وكان هذا الفعل مثالاً لشجاعة الجندى المصري، إذا أتيح له أن يقاتل، وهى الصفات التى أراد لها المتآمرون فى حرب سنة ١٩٦٧، أن تمحى من سجل الجندية المصرية ولعل المواطنين جميعاً - الذين عاشوا هذه الحقبة - يذكرون نداءات الإذاعة المصرية المتكررة، والتى أثارت دهشة المواطنين وتساؤلهم، تلك النداءات كانت : «عدياجلال .. انت وأحمد حلمى .. عدياجلال.. أنت وأحمد

حلمى...».

كان « جلال » المقصود هو جلال هريدى الذى يقود فرقته للقتال داخل أرض العدو.

هو نفسه « جلال هريدى» الضابط المفصول، الملتجىء إلى بيت قائده عبدالحكيم عامر، هو نفسه العائد من مهمته القتالية، والتى أداها بنجاح، فوجد ، أبواب السجن ترحب به. ونشير هنا إلى أحمد حلمى لقى نفس المصير !!!

ونعود إلى القصة.. ذهب جلال لمقابلة زوجته، وفيما هو يتحدث معها، جاءت سيارة بها ضابطان وسائق، هبط الضابطان من العربة واقتربا من جلال يريدان القبض عليه، فما كان من ضابط الصاعقة جلال إلا أن شهر مسدسه وتراجع بخفة إلى الوراء ثم أطلق النار فأصاب أحد الضابطين، كما أصاب عجلة أمامية من عجلات السيارة، وتمكن من القفز فوق سور حديقة المشير، وجرى إلى الداخل.

كان المشير نائماً، فصحا على صوت طلقات الرصاص، وظن انها معركة لاقتحام الفيلا، فخرج إلى الشرفة ومعه مسدسه، وبعض القنابل اليدوية، وكان حراس البيت من أهالى قرية المشير، قد حملوا هم أيضاً أسلحتهم ، وتأهبوا لإطلاق النار. ولكن عودة جلال هريدى سالماً هدأت الجميع.

وكان بيت هيكل يقع على مقربة من بيت عامر، فلما سمع صوت طلقات الرصاص جاء ليستطلع الخبر، فقابل المشير، وهدأ من غضبه ، ثم استأذن منه لأداء مهمة عاجلة، ويعود بعدها.

وكانت المهمة أن يذهب إلى بيت جمال عبد الناصر، يروى له مارأى ، وبالطبع وجد جمال على علم بما حدث، وقال لهيكل: « خلاص بقى فيه حكومة ثانية فى بيت عبد الحكيم ، ويتضرب فى حكومتنا، أنا اللى اديت أوامر باعتقال جلال هريدى.. وقال هيكل للرئيس ، ان هذا الموضوع ثانوى، قد يفسد المفاوضات الدائرة مع المشير.. ثم عاد هيكل إلى بيت عبد الحكيم ، ليبلغه أن الرئيس جمال يشعر بالأسف لما جرى، وأنه أمر بإعادة الحرس.

وأنبه هنا أنه كان من عادة جمال أن يتصل بعامر ويخبره بما دار بينه وبين الوسيط. وفعلاً عاد الحرس .. ولكن بأشخاص غير الذين كان قد عينهم المشير.. أى بأشخاص يتلقون تعليماتهم من محمد فوزى.

وكانت المراقبة التليفونية، من الأمور الاعتيادية اليومية فى منزل جمال عبد الناصر بمنشية البكرى، حيث أنشأ جهاز مراقبة تليفونية، على أحدث طراز ، ويستطيع بواسطته أن يتجسس على الحياة الخاصة لمعظم زملائه، بطريقة بالغة البساطة، فهذا الجهاز يستطيع التجسس على أى تليفون فى أنحاء الجمهورية، بمجرد إدارة قرص التليفون بالأرقام الثلاثة اليمنى من الرقم، فيقوم الجهاز بتسجيل مكالمات هذا التليفون .

وأنتهز هذه الفرصة ، لأروى واقعة تسجيل حديث تليفونى جرى بينى وبين المشير، بعد

زواجى فى أواخر عام ١٩٦٤، سجلت الأجهزة السرية هذا الحديث، وعلم المشير بذلك عن طريق بعض مصادره، ولكن لم يكن يعلم الجهة التى قامت بالتسجيل، فذهب إلى عبد الناصر غاضباً، شاكياً له ماحدث، ولكن عبد الناصر راح يهون الأمر فى نظر المشير وأنبأه بأن السجل حديث عادى لايعنى شيئاً، ولكن عبد الحكيم قال غاضباً: « ليس هذا هو المهم .. أريد أن أعرف من سجله، وأين هذا الشريط الآن .. فى يد من ؟ » قال عبد الناصر بهدوء : « أنه عندى هنا» وأشار بيده إلى خزنة حديدية فى مكتبه ، ثم قام وفتحها أمام المشير، وأشار باصبعه قائلا : «هاهو.. انه فى أمان ». ثم أغلق باب الخزنة، ولما رأى عبد الحكيم أن جمال لم يعطه الشريط - كما كان يتوقع - انصرف، وقد سألت المشير : « لماذا لم تطلبه منه؟» أجابنى: « لأنه يحب أن يجد فى كل إنسان نقطة ضعف ، ولم أشأ أن تكون هذه نقطة ضعفى عنده.. فلم أبد اهتماماً ».

وأذكر هنا بمزيد من الألم ، بقية هذه القصة التى لم يشهدها المشير، فقد وقعت بعد موته. لم يكن الشريط « فى أمان » كما زعم عبد الناصر لعبد الحكيم، لاهو، ولاشريط آخر، سجلوا عليه ماجرى فى غرفة النوم ذات مساء. بين زوج وزوجته.

وقع هذان الشريطان فى يد محمد فوزى، فماذا تظنون أن يفعل بهما؟

إنها قصة مخجلة ، ويغلبنى الحياء كلما تذكرتها .. ولكن الواجب، يفرض على تجاهل خجلى وألمى وأحكيها للناس. علها تكون صرخة امرأة مظلومة، استبيحت حرمة حياتها المشروعة لتصبح أداة للتسلية ، والتشفى ، لدى صغار النفوس، كبار السلطة ، ولعلها تحرك الضمير الإنسانى، فيمنع أى جهاز من أجهزة الدولة قادر على ملاحقة الناس، من أن يمارس هذه الصغائر، التى لاعلاقة لها « بالأمن » فى الواقع، وإنما لها علاقة بشهوات النفس وضغائنها، وبكل قلب مريض.

يقول الله تعالى : ﴿ ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا ﴾

ولكنهم تجسسوا واغتابوا، فقد حكى بعض الضباط جانباً مما شاهدوه فى معسكرات الجيش.. وتقع هذه المشاهد، عندما يزورهم محمد فوزى ويدير الشريط.

ويذيع على مسامعهم ، نص الحديث العاطفى، الذى جرى بينى وبين زوجى، عبد الحكيم عامر فى يوم من الأيام. وتتردد على ألسنة بعض الكبار من أنصار مراكز القوى التعليقات البذيئة ، التى يأباها إحساس أى مواطن، وترفضها رجولة أى رجل، كما يرفضها الدين، والعرف، والأخلاق.

تلميحات خبيثة، تفوح برائحة الجنس، وتكشف عن حال من التدنى يثير الغثيان- كان الغثيان ينتاب بعض الضباط - فعلاً - ممن تصادف وسمعوا .. فإذا خرجوا من الخيمة بصقوا على الأرض معربين عن عميق اشمئزازهم.

وإذا كانت إذاعة هذه الأشرطة، بين الجنود مثيرة للاشمئزاز، فما عساها تثير إذا أذيعت

على مسامع فتاة بريئة، لم تتخط الخامسة عشرة من عمرها، وأرغموها على الإنصات .. هذه الفتاة هى اختى زهرة، ولها قصة سأذكرها فى حينها.

ونعود إلى منزل عبد الحكيم عامر، المحاصر بالعيون والآذان، وقد ذكرنا أن تليفونات المنزل وضعت تحت المراقبة.. والواقع أن المشير وكل المقيمين بالبيت كانوا يعلمون هذه الحقيقة، فكانوا يسلون أنفسهم بإعطاء معلومات مضللة من خلال التليفون.

وإذا كان البعض راح يلهو بالرقابة التليفونية على هذا النحو، فإن جلال هريدى، رأى أن يسخر منهم على نحو آخر.. فخرج بملابسه المدنية، ومشى إلى آخر سور الحديقة، حيث كانت سيارة مرابطة وبها ضابطان، وقف جلال يتحدث إلى أحدهما، ثم انقض عليه فجأة وأخذ منه مسدسه، وصوبه اليهما. فاستسلما. وأخذهما إلى المنزل وصعد بهما إلى عبد الحكيم عامر.

كان المشير يعلم أن الضابطين لاذنب لهما، فهما يطيعان الأوامر، فلم يوجه لهما لوماً، وإنما اتصل بشعراوى جمعة، وأسمعه كلاماً فيه تعنيف وسخط، وطلب منه إبلاغ ذلك لجمال عبد الناصر. ثم أفرج عن الضابطين.

وظل الضباط الذين كفت أيديهم عن القتال، يقاتلون فى سبيل النجاة بأنفسهم، وهن يرون الحصار يضيق عليهم، وان الصياد قد أصبح قريباً جداً من فريسته.

وقد لاحظ هؤلاء الضباط يوماً، أن الرقابة الملتفة حول منزل المشير هى من رجال الجيش هذه المرة، وكانوا يعرفون هؤلاء الأفراد، فاستأذنوا المشير فى وضع كمين لهم.

وقد استطاع جلال هريدى، وحسين مختار، وآخرون، أن يقبضوا على ضابطين وجنديين، وقد أفرجوا عن الجنديين بعد أن قدموا لهما الشاى والسجائر. وعندما أخذوهما لمقابلة المشير عرف منهما أنهما من المخابرات العامة، فقام المشير بمحادثة تليفونية، مع كل من صلاح نصر، وحسن عليش وكيل المخابرات، وسأل كلا منهما إن كانت الأوامر قد صدرت له بمراقبته، أم أنه أرسل هذه المجموعة من تلقاء نفسه.. وكانت مفاجأة للمشير حين أبلغاه أنهما لم يكلفا أحداً بمراقبته.. .الحق انها أيضاً كانت مفاجأة لصلاح نصر، وحسن عليش، إذ أدركا أن تنظيمات سامى شرف لم تكن قد تغلغلت فقط فى الجيش، إنما فى المخابرات أيضاً !!!

وتكلم عامر مع هيكل عبر التليفون، وطلب منه إبلاغ جمال عبد الناصر، بالكف عن اعمال الصغار، فعنده - أى ناصر - مهام أخرى كثيرة، وكان مما قاله لهيكل « هو مفيش فى مخه غير عبد الحكيم وجلال هريدى؟ ».

وظلت المحاورة، والمداورة، على أشدها، بين الفئة الصغيرة المعتصمة، والمخابرات الحربية، والجيش ، والأجهزة السرية، والشرطة العسكرية.

إلى أن جاء يوم ٢٣ يوليو، وبدأ الاحتفال بأعياد الثورة، وتقرر أن يلقى جمال عبد الناصر خطابه فى القاعة الكبرى بجامعة القاهرة. وخطر ببال جلال هريدى أن يذهب إلى

القاعة الكبرى بجامعة القاهرة. ويترقب خطبة جمال، وكلما قال كلاماً قاطعه مصححاً ومنتقداً.

كانت عملية فدائية غير معقولة وغير مقبولة، ولكنها من وحى ظروف غير معقولة، وغير مقبولة أيضاً، من وحى القهر الذى يمنعهم من الخروج، ومن إيصال صوتهم للناس، عن طريق الإذاعة أو التليفزيون أو الصحف وكلها تابعة لعبد الناصر.. فبلغ بهم الضيق منتهاه، حتى فكروا فى عمل كهذا .

ولكن عبد الحكيم رفض الفكرة، بل وأنّب جلال هريدى على التفكير فى أعمال فدائية لاتقدم ولاتؤخر.

وفى ذلك اليوم - ٢٢ يوليو - وضعت قوات كبيرة - وحشرت أسلحة ثقيلة، على كل الطرق المؤدية إلى منزل المشير، كما أن جمال عبد الناصر غير طريقه، فلم يمر -كالعادة - بشارع مروان بالجيزة ، إنما مر عن طريق كوبرى الجلاء إلى الجامعة.

وقد فوجىء الجميع، بحضور هيكل فى ذلك اليوم، ليبقى مع المشير أثناء إلقاء الخطاب، ولم يذهب مع عبد الناصر للمرة الأولى والأخيرة.. فهل جاء لمراقبة مايحدث، ومنع القيام بأعمال كالتى فكر فيها جلال هريدى؟

وكان مثيراً للدهشة ، أن يسمعوا هيكل يعلق منتقداً بعض ماجاء فى الخطاب.. الذى كتبه هو ..

وأعرب هيكل للمشير عن عدم رضائه، عن بعض تصرفات جمال، ولم يتجاوب معه المشير، فقد كان يشك فى أن جمال يستغل هيكل.

وتوالت الضغوط على عبد الحكيم عامر، وتعددت أشكالها ووسائلها، فإلى جانب الحشود المسلحة حول بيت المشير، كانت الإشاعات بمحاولة انتحار المشير تتردد من جديد، بل إنهم نظموا مسيرات من بعض الشباب التابعين للأجهزة ، سارت أمام بيت المشير وهم يرددون الهتافات ضده.. وقد وقع هذا فى فترة من فترات سحب الحرس، فأوشك أن يؤدى إلى مأساة، لأن الضباط المحاصرين داخل الفيلا، تأهبوا لإطلاق الرصاص على المتظاهرين . ولكن المشير منعهم، مذكراً إياهم أن هؤلاء اطفال أبرياء ، وأن اللوم يقع على عاتق من حركوهم ، وحشدوهم.

❖ ❖ ❖

ومرت الأيام ... إلى أن جاء هيكل ذات يوم ، حاملاً البشرى بموافقة جمال عبدالناصر ، على سفر المشير إلى إيطاليا.. أو أى بلد يختاره !!

وافق عبد الحكيم ، وطلب تنفيذ شروطه، بإنهاء مسألة الضباط الموجودين فى منزله،

إما بإعادتهم إلى الجيش ، وإما بإحالتهم إلى المعاش، وتم اتصال تليفونى بجمال، فوافق على شروط عامر.

وفى اليوم التالى، بدأ المشير استعدادات السفر، والتفكير فيمن يأخذه معه إلى إيطاليا، وبعد يومين جاءه من يخبره برفض جمال عبد الناصر لفكرة السفر إلى إيطاليا، وأنه يقبل إذا كان السفر إلى يوغوسلافيا.

ولأول مرة يتحدث عامر إلى جمال فى لهجة عنيفة، إذ طلبه فى التليفون، وقال له : « دى مش بلد أبوك.. أنا لا رايح ايطاليا .. ولارايح يوغوسلافيا ، ولامنقول من هنا .. واللى عايز تعمله اعمله ».

أزمة أخرى !!

لم تكن الأزمة السياسية هى الأزمة الوحيدة التى يعانى منها عبد الحكيم ، بل كانت هناك أزمة أخرى، تلك المزيد من القلاقل فى حياة المشير، تلك هى أزمته المالية!!

وبغض النظر عن الشائعة التى أطلقتها الأجهزة، من أن المشير باع البلد لاسرائيل! وقبض ثمنها سبائك ذهبية، فإن من المؤكد أن عامر كان يبحث عن مشتر لأرضه للإقامة فى أسطال، والإنفاق على أسرته، والمقيمين معه، قدرها بمبلغ ستة آلاف جنيه، ولما لم يعرض أحد عليه أن يقرضه هذا المبلغ، فكر فى بيع الأرض، إلا أن إخوته وأبناء عمومته، أخبروه بأن الوقت غير مناسب للبيع، لعدم وجود محاصيل زراعية .

وامتلأت نفس عبد الحكيم بالمرارة، حين تبين له عجزه عن معالجة أزمته المالية، ولو حتى عن طريق الاقتراض.. فلم يجد من يقرضه.

وانتقل المشير إلى منزله بالجيزة، فزادت حاجته إلى المال، للإنفاق على أسرته، وعلى من يعيشون معه فى الفيلا من الضباط ، وأهل قريته.

وقد علمت من بعض موظفيه الذين كانوا فى الجيزة، بضائقته المالية، وان أهل بيته يعيشون طوال الأسبوع على الفول، والطعمية ، والعدس. فبادرت إلى بيع بعض ما أملك من حلى بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه، فلما جاء لزيارتى فى بيتنا بشارع الهرم، قدمت له المبلغ، ولكنه رفض تماماً أن يأخذه، رغم إلحاحى واستعطافى، ولما أصر قلت له اعتبرهم قرضاً - وكله من خيرك - ولكنه رفض رفضاً باتاً، ولم أجد وسيلة سوى اعطاء المبلغ لأحد حراسه - متولى - فأعطاه له بعد عودته.

وبالطبع استنفدت النفقات الألف والخمسمائة جنيه، كما استنفدت من قبل الستة آلاف جنيه، ثمن الأرض التى كان قد وجد لها مشتريا فيمابعد.

كانت النفقات باهظة بالنسبة للعدد الكبير الموجود معه، فكان أن طلب من صديقه فى الدراسة، وعضو مجلس الأمة « محمود عبد الله» : الذى كان فى زيارة له ان يتصل بالدكتور محمود عبد الرازق ليبحث له عن مشتر لقطعة أرض يملكها فى الجيزة وقد وجد الدكتور محمود من يشتريها، وكان المشترى هو الطبيب ابراهيم بدران وزير الصحة الأسبق- الذى

وافق على شرائها بمبلغ ثمانية آلاف جنيه كثمن لنصف قطعة الأرض، وأراد الدكتور بدران أن يؤجل الدفع حتى يتم التسجيل، ولكن الدكتور محمود عبد الرازق، قال له إن المشير فى حاجة إلى عربون لينفق منه حتى يتم التسجيل فكتب الدكتور بدران شيكات بالمبلغ كله، ولازالت الأدلة، وتواريخ الشيكات موجودة .

أنا وهو وعمرو

كيف أصف حالى خلال تلك الأشهر التى أعقبت الهزيمة، كلما عدت بالذاكرة، أرانى امرأة أعطاها الله كل شىء وسلب منها كل شىء، كان مع العطاء حرمان، أعطانى زوجاً بارزاً وبطلاً قومياً، وسلبنى حق الزهو بهذا الزوج، أعطانى بيتاً محوطاً بالحراس، وسلبنى الإحساس بالأمان، أعطانى ملكاً، وسلبنى مملكة !!

كيف أصف لكم حالى خلال تلك الأشهر، أنا برلنتى عبد الحميد نجمة السينما وزهرة المجتمع، وزوجة عبد الحكيم عامر، المحارب الثائر، والنائب الأول لرئيس الجمهورية . كيف أصف لكم حالى؟

إنه ليكون من عبر الدهر، أن أقول لكم : كان حالى جال، العوز ، والفزع، والحيرة.

لم أجمع بزواجى ثروة، فالمشير لم يكن ثرياً، ولم أحقق شهرة فهى كانت لهى من قبل أن أتزوج، ولعلها خبت قليلاً بالزواج.

ولم أتمرغ فى ترف، فقد كان بيتى صغيراً من حجرتين وصالة ومازال موجوداً- بشارع حدائق الأهرام - بالجيزة، عار تقريباً من الرياش والأثاث، وقد أخذ منى - وكان إيجاراً- بعد موت المشير.

ولم أنعم بقرب حبيب، فقد كانت مهام الدولة، وشواغل الجيش، تأخذ منى زوجى أياماً، وأسابيع ، وشهوراً أحياناً.

هذا هو الحال، الذى لم أنل عليه سوى التشهير بى بكل الوسائل التى تملكها الأجهزة والعملاء ، بإطلاق الشائعات التى صورت حياتى مع المشير ، وكأننا اثنان يغترفان من الملذات ماطاب لهما، كأمير وأميرة فى إحدى حكايات ألف ليلة وليلة.

وانطلقت أقلام مسمومة ، تدّعى لنفسها الإحاطة بما يجرى فى دخيلة بيت المشير. ويدعى صاحبها لنفسه مناقشات دارت معه حول زواجه بى، وهل أنا زوجته حقاً أم لا ؟ وأن المشير قال له كذا وكذا !!.. وانه اعترض على قول المشير بكذا وكذا، وماكان هذا المدعى ليجرؤ على الاقتراب حتى من بوابة المشير، وماكان له من علم أكثر مما قدمه له حارس

البوابة، فى مجالس خارج البيت، ذلك العسكرى المنحرف الذى دخل السجن. وبهذه الترهات التى أخذها من الحارس، مضيفاً إليها أكاذيب الأجهزة السرية، التابعة للعملاء، أصبحت عنده بضاعة ، أخذ يروج لها، ويروى عنها الحكايات ، وكأنه « جبرتى » الثورة، الذى يسرد تاريخها.

وليس أدل على الجبروت، أن مروجى الشائعات ضد المشير - رحمه الله - لم يجدوا شيئاً يذكرونه ، فهو من القلائل فى جهاز الدولة ، الذين ليست لهم أملاك فى أى مكان . هؤلاء لم يجدوا شيئاً يذكرونه ضده، سوى قصة زواجى به!!!

كان زواجى طى الكتمان، وقد تم فى مارس عام ١٩٦٣، ولم يعلم به أحد من العامة، إلا بعد الهزيمة، عن طريق الأجهزة التى سربت النبأ فى سياق حملة التشهير مع علم كل الأجهزة بهذا الزواج .

ويجول بخاطرى الآن أن التشهير بالزواج أمر بالغ الغرابة، فإذا كان زواج «برلنتى وعبد الحكيم » نبأ مثيراً، إلا أنه ليس نبأ معيبا.. فالزواج ليس عيباً. حتى ولو كان من زوجة ثانية، وأن الدهشة لتستبد بى، أن نكون فى بلد يبيح فيه الشرع والقانون، والعرف، الزواج بزوجة ثانية ثم نعتبر هذا مادة للتشهير!!

لم يسرق المشير، ولم يغرق نفسه فى الملذات، ولم يجرب ترف العيش، وماكان لديه المال أو الوقت لذلك .

قالوا : مجلس الحشيش والأنس، قالوا مجالس اللهو والمجون، قالوا.. وقالوا.. وقالوا.. ولو كان كل ماقالوه حقاً لقدموا تسجيلات فيديو، وتسجيلات فيها صخب هذه المجالس المزعومة، وهم القادرون على التصنت، والتجسس، والتسجيل، ولكان أولى بمحمد فوزى وسامى أن يذيعا أشرطة الفيديو والتسجيلات، بدلاً من الحديث التليفونى والمناجاة الزوجية فى حجرة نومى، فهاتان لاعيب فيهما، ولا يدلان على فساد طبع فى صاحبهما، أما مجالس اللهو ، فإنها تكون دليلاً حقيقياً على فساد المشير.

لو كان ماقالوه حقاً وصدقاً لفعلوا ذلك وعرضوا على ضباط المعسكرات شيئاً آخر- غير التسجيل الذى أثار اشمئزازهم - من قائدهم يمارس حقوقه الشرعيه مع زوجته.

وحين ازداد ضخ الشائعات، وبلغ مسامع المشير بعض منها، سمعت حديثاً تليفونياً بين عامر وناصر فى تلك الآونة ، كان عامر يقول غاضباً: « قول للعيال» الشيوعيين اللى عندك يبطلوا التشهير بالجيش.. علشان أنت منه.. واللانسيت؟ .. ويعدين أنا مش فاهم .. انتوا فاضيين للدرجة دى.. مافيش حاجة فى البلد شاغلاكم غير عبد الحكيم عامر؟ .

وقد بلغت درجة التشهيرحداً جعل الأجهزة الواقعة تحت سلطان مراكز القوى، القيام بطبع منشور وتعليقه فى بعض مقار الاتحاد الاشتراكى، ووضع نسخ منه تحت أعقاب الأبواب ليقرأها الناس، يتضمن المنشور كلاما فحواه أن المشير باع البلد لليهود ، وأنه تزوج برلنتى عبد الحميد ، وأنجب منها ولداً، وأن قواد الجيش تركوا مواقعهم وهربوا ، وفر وراءهم الضباط والجنود، وأن عبد الحكيم عامر منع عبد الناصر من دخول مقر القيادة بالقوة،

ومنعه من ادارة المعركة، ومنشورات أخرى قريبة من هذه المعانى لا أذكرها، فإن فحواها قد نقلت إلىَّ عن طريق بعض أصدقاء المشير.

وأحمد الله أن الأجهزة لم تجد فى تاريخى منذ طفولتى ، شائبة تديننى فى مسلك، أو موقف ما. وإلا كانوا ذكروها فى منشوراتهم.

كيف أصف حالى فى تلك الفترة ، وأنا امرأة صغيرة وطفلها، تجد نفسها فجأة تائهة فى غابة من رجال المخابرات والمباحث بأنواعها، والشائعات، وتمضى بها الأيام مبلبلة الخاطر لاتستطيع أن تستوعب أحداث اليوم، ولاتعرف كيف يأتى الغد!

جاء المشير فجأة، وهو دائماً يأتى فجأة، فأسرعت للقائه فرحة بمقدمه، وكان أول ما سأل عنه : « أين عمرو» قلت : « هو مع خالتى فتحية». وذهبت لإحضاره.

حمل المشير عمرو فرحاً به، وأخذ يلاعبه، ويقبله، ثم شرع يلقى به لأعلى ويتلقفه بين يديه، فأصابنى الجزع خوفاً عليه من السقوط ، فسخر من خوفى، وجلس محتضناً عمرو إلى صدره. ونظر إلى قائلاً « خلى بالك منه .. معاكى عبد الحكيم اهه ».

سألته: « هل تناولت طعاماً؟ » فأجابنى بالنفى، وكنت أعرف عنه العزوف عن الطعام إذا كان مهموماً، أو غاضباً.

وعدت إلى المشير، ونظرت إلى وجهه الشاحب، الشارد، وسألته عن أحواله المالية، فقال لى أنه باع نصف الأرض للدكتور ابراهيم بدران (المستشفى الحالية).

قلت : « لماذا إذن أنت مهموم ؟ ».

لم يرد المشير، فقلت له : « لم لانترك القاهرة ، ونعيش فى سمالوط».

أجاب : « سيان .. فهو لن يتركنى هنا أو هناك.. إنى أعرف جمال، إذا جريت جرى ورائى حتى يعقرنى ».

كان الحوار متقطعاً، ثقيلاً.. فهو غارق فى أفكاره، يضم عمرو - بين الحين والحين- فى صمت.

كنت أنتظر منه مواصلة الحديث، وتعلقت عيناى بشفتيه، فأنا التى تعيش أيامها مترقبة متسائلة ، أتشبث بحديثه حين يجىء ، لعلى أفهم منه شيئاً، أو أتيقن من خبر، أو أسمع أنباء جديدة .

وتكلم المشير متسائلاً : "عايز منى ايه ؟ .. انا سبت له كل حاجة.. أروح اسطال يجبنى .. أقوله أسافر يقول روح يوغوسلافيا .. جاب ناس مكانى ويقول عايزنى.. طب ادينى اختصاصاتى يقول لما اعمل لجنة" .)

وراح منى عامر فى صمت مرة أخرى. كنت أصغى بكل جوارحى مسخرة عقلى لفهم

معنى كل جملة يقولها.. ولما طال صمته، قلت مترددة ! (جايز خايف من حاجة)!!

ارتفع صوته فجأة وكأن صوتى أرعبه: "من إيه؟.. خايف من إيه؟.. من واحد ساب له كل حاجه.. نائب رئيس مش عايز، ولا نائب القائد الأعلى "..

انا رفضت أكون رئيس جمهورية، كما عرض على الروس.

تنبهت حواسى كلها، وكأن شيئا وخزنى، رئيس جمهورية.. روس.. بدا لى هذا القول غريبا، وأنا التى كنت أصغى لأفهم، فإذا به يردنى إلى عدم الفهم المطبق.

ولا أنكر أن الإثارة هيجت مشاعرى وزادت فضولى، وما كان من الممكن أن أصمت مهما ملأتنى الرهبة. فقلت : هل .. هل تصبح رئيس جمهورية ؟

ابتسم عبد الحكيم ابتسامة واهنة، ونظر إلى برفق وعيناه تدوران على وجهى، وقرأت فى عينيه عبارته المعتادة « والله انتى ولا فاهمة حاجة » !!

قال المشير بسرعة ، وكأنه ينهى موقفاً تورط فيه:

« أصلهم جولى .. السفير يعنى .. وقال لى إن الروس مستعدين يساعدونى عشان أبقى رئيس الجمهورية.. وأنا رفضت.. بيتآمروا علينا. وأنا بلغت جمال باللى حصل.. وقلت له الروس دول زى الثعابين، خللى بالك منهم.. دول عايزين يفرقوا البلد ويسيطروا عليها.. عايزينا نبقى زى دول حلف وارسو».

لم يعد فى رأسى سوى الحيرة، ولعل عامر لاحظ حيرتى فاستطرد: «طب ماهو جمال نفسه عرض على رئاسة الجمهورية.. أنا مش عايز.. بس نفسى أعرف هو عايز منى إيه ؟ ».

ثم أعطانى عمرو، ونهض استعداداً للإنصراف .

❖ ❖ ❖

كانت الأحداث تتابع ، ونحن فى بيتنا الصغير، نتلقف الأنباء ، ونستمع إلى الأخبار وأصبحنا فريسة للقلق والتوتر، ولانملك سوى انتظار مجىء عبد الحكيم لنطمئن.

ولم أكن قد رأيته منذ الزيارة الأخيرة والتى كان يبدو فيها مهموماً مشغول البال.

لذا كان مجيئه باعثاً على السرور فى نفسى، وزاد سرورى وثقتى ان رأيته منشرح الصدر . منصرفاً إلى مداعبة عمرو، مطلقاً ضحكات مرحة .

سألته عن صحة صلاح نصر - وكان قد أصيب بأزمة قلبية - فقال : « أحسن من الأول.. كنت عنده وبعدها زرت جمال ».

بدت لى زيارة الرئيس مفاجأة ، فرحت استفسره عن هذه الزيارة، وهو يجيب، وقد عرفت منه أنه بينما كان فى زيارة صلاح نصر، مع عباس رضوان ، اقترح على عبد الحكيم زيارة عبد الناصر فى منزله، خاصة أنهما قريبان منه، ولقى اقتراحه قبولا لدى صلاح نصر

وشجع عبد الحكيم على قبوله .

فقاما بزيارته، وتناولا العشاء معه، بل وأمضيا وقتاً للفرجة على أحد الأفلام فى قاعة السينما بمنزل جمال، وطوال السهرة كان جمال مصمماً على أن يجلس عامر بجانبه، وقبل الانصراف كانا قد تصافيا، وسار معه جمال عبر الحديقة حتى ركب عبد الحكيم العربة.

فصل الخطاب

جاءت رسالة من مكتب « الرئيس » للمشير، تفيد بأن جمال عبد الناصر يدعو عبد الحكيم عامر إلى العشاء ، في يوم ٢٤ أغسطس . وسرى النبأ بين أنصار عبد الحكيم عامر، فانقسموا بشأنه قسمين، قسم كان يغلب عليه التفاؤل، ويتنبأ بأن يسافر جمال مصطحباً عامر، إلى مؤتمر القمة العربي، الذي سيعقد يوم ٢٨ أغسطس بمدينة الخرطوم وقد أشاع هذا الظن، أن هذه الدعوة جاءت بعد اللقاء الأخير بين جمال وعامر بحضور عباس رضوان ، وما أعلنه عبد الناصر بعد ذلك عن الصلح بينه وبين عامر.

أما المتشائمون، فقد داخلتهم الريب والشكوك بخصوص هذه الدعوة. فهم يرون ازدياد الاعتقالات بين ضباط الجيش، وازدياد الشائعات عن انتحار المشير، بالإضافة إلى أن جمال كان إذا أراد دعوة المشير، فإنه يكلمه شخصياً بنفسه، ولم يسبق قط أن جعل بينهما وسيطا، فجمال يطلب عامر ويسأله من منا يحضر لزيارة الآخر، وأحياناً يترك للمشير الاختيار. فيقول له عامر أنا في البيت تحب تيجي امتى، وهكذا يتفاهمان ببساطة ، ويحضر جمال إلى عامر بمنزله بالجيزة. ولكن هذه الدعوة قد جاءت - لأو ل مرة - عن طريق مكتب الرئيس .

أما عبد الحكيم نفسه، فقد أبدى تفاؤلاً، واستبشاراً بهذه الدعوة.

وفي عصر ذلك اليوم - الرابع والعشرين - كنت في حديقة منزل الزوجية أمارس هوايتي في العناية بالزرع.

فجأة سمعت صوت كلاكس سيارة المشير. فتركت مابيدى ، وجريت كالطفلة إلى السيارة أفتح بابها وأفتش كالعادة في تابلوه العربية أبحث عن الحلوى والشيكولاته. نظر إلى المشير

مبتسماً: والله إنتى رايقة قوى.. ولادريانه بحاجة.

وتنبهت إلى أن نظراته وحركاته يشوبها القلق.. فنظرت إلى متولى الذى نظر إلى الأرض أدباً منه، وصامتاً كالعادة، ولاحظت وجود عباس رضوان أيضاً فصافحته، ثم انصرفت.

سبقنى المشير إلى داخل المنزل. سألته : « تحب أعمل لك ليمون؟».

قال باهتمام : « لا.. فين عمرو؟ ».

كان عمرو مازال رضيعاً فى حوالى الشهر الرابع من عمره ترعاه خالتى المقيمة معنا فى حجرة صغيرة معدة فى الناحية الأخرى من الشاليه .

حاولت أن أسأله ماذا به ولكنه قال بحسم : « أرجوكى قولى للحاجة تجيب عمرو عايز أشوفه ».

وذهبت إلى خالتى وأخذته منها. وكان يستعد للنوم، وتلقفه من يدى ودخل إلى حجرة النوم وأخذ يداعبه ويقبله، ويهدهده- وهو فرح ولما رآنى خائفة. قال: «لاتخافى.. إن يدى لاتؤذى من أحب .. فما بالك بابنى؟ » ووضعه على السرير ووقف بجانبه قائلاً:

- لا أعرف لماذا يذكرنى بأبى كلما نظرت إليه .

قلت معلقة : « إن شكل الأطفال لايظهر بوضوح فى هذه السن». فرد على : «تعالى انظرى إلى هذه الأذن، أنها ماركة مسجلة فى عائلتنا، والعينان، حتى الوحمة على الفخذ الشمال - سبحانك يارب فى نفس المكان.

وقلت ضاحكة: « ولماذا نسيت الأنف الكبير أيضاً؟ ».

قال باعتزاز: « طبعاً.. صعايدة .. لازم تدافعوا عن بعض، واستمر المشير يداعب عمرو إلى أن نام. فأخذته ولكنه أخذه منى وضمه إلى صدره ضمة قوية طويلة، أشعرتنى بالخوف.. ثم تركه لى وهو يقول : « بشرط أن أراه قبل مغادرة المنزل».

ذهبت بعمرو، وحين عدت وجدت عامر قد تخفف من ملابسه، ونام مستلقياً على ظهره، وقد بدا على وجهه الشرود والتفكير، فجلست صامتة إلى جواره، ولما لم يحدثنى سألته : « ماذا بك ؟ » فنظر إلى قليلاً ثم قال : « كان مالك ومال الهم اللى أنا فيه ده ؟ .. واحدة زيك صغيرة وحلوة، كان زمانها دلوقت بتتفسح وتخرج وتهيص.. إنتى اتظلمتى معايا ».

قلت : « الحمد الله الذى أنعم علينا بعمرو.. ماذا أريد أكثر من ذلك؟ ».

ثم عاد إلى الصمت ، وكان متولى قد نقل إلى بعض المخاوف من هذه الزيارة المرتقبة، لذا قلت له لمجرد الرغبة فى الحديث: « أنا مش مستريحة للمقابلة دى».

فإذا به يعتدل قائلاً: « دى المرة المائة التى أسمع فيها هذه الجملة التهاردة!!

رحت أجادله: « لماذا لم يحضر إليك كما كنتما متفقين، حسب المكالمة التى دارت أمامى؟».

قال المشير : قال لى تعبان .. وعنده أنفلونزا».

كان هذا القول استنتاجاً، حيث أن المكالمات التى تجرت بينهما فى الأيام السابقة، كان عبد الناصر يشكو أثناءها من إصابته بالانفلونزا، وكان المشير يعلق على ذلك بقوله : « ده صوته باين عليه ».

وساد الصمت.. قطعه بسؤالى فجأة : « مم تخافين ؟ .. تكلمى بصراحة».

قلت : « قد يغضبك كلامى.. قال مشجعاً « متصورة أيه .. قولى ».

قلت بسرعة : « يقتلك ».

ضحك المشير .. فقلت : « يقبض عليك.. ويفتعل أدلة اتهام.. ويعمل محاكمة أى كلام تصدر حكما بإعدامك ».

رجع إلى الوراء وهو يتنهد: « يعمل لى محاكمة ؟ ياريت .. ده اللى بتمناه.. محاكمة عسكرية .. عشان أقدر أرد فيها على الإشاعات اللى محفظينها لبتوع الاتحاد الاشتراكى .

ثم نظر إلى قائلاً : فكرك راح لبعيد.. شوفى، أنا أقول لك يقدر يعمل ايه.. يحدد إقامتى ».

ثم وصف لى وضع القوات التى تحاصر منزله، واستطرد: « مش راح يسكت بعد رفضى العمل معاه.. فلو اشتركت معاه فى الحكم حايشمر بالأمان.. ولذلك هو لابد يصفى خلافاتنا قبل سفره إلى الخرطوم، المهم بلاش تقلقى .. أنا كلفت قرايبى فى الصعيد كى يختاروا بيتاً صغيراً نعيش فيه هناك.

◆ ◆ ◆

لم يكن متولى وأنا فقط اللذان يشعران بالقلق، من هذا اللقاء المنتظر، فإن حسن عامر شقيق المشير. قال بوضوح « إن عامر إذا ذهب فسوف يعتقله جمال.. من يوم تمثيلية التنحى وكل اللى بيحصل خدعة - وأنا غير مقتنع بيه، لأن اللى بيقوله بيعمل غيره ».

وكان هذا أيضا رأى صلاح نصر، وشمس بدران، وقد أبدى صلاح نصر تشككاً فى نوايا جمال عبد الناصر.

❖ ❖ ❖

قلت للمشير : « لماذا لاتقبل مايعرضه عليك جمال.. وتشاركه العمل لمصلحة البلد.. كما كنتما دائماً ؟ ».

قال بحزن : « الكلام ده كان ينفع قبل الحرب.. لكن دلوقتى .. بعد أولادى ماماتوا من غير حرب ، ومن غير مايملكوا حتى الدفاع عن نفسهم ؟.

قلت له : « فلتكن الحلول مرحلية .. »

رد على بغضب: انتى فاكرانى إيه .. موظف أقبض مرتبى ومخصصاتى، وأتفسح فى أوروبا، أنا راجل ثورى. ولن أقبل هذا.

تساءلت فى يأس: « وإيه الحل ؟ ».

قال: « هو بيطلب المستحيل. إنى اقعد جنبه طرطور».

قلت : « انت قلت إنك تريد أن تبتعد عن السياسة ونحن فى أسطال».

قال : « ماسابش لى فرصة الابتعاد.. هو غرق فى أحضان الروس، وصفى قادة الجيش والتشكيلات المؤهلين- أحسن الرجال دلوقت فى السجون أو على المعاش، طلبات الروس كده.. لأنهم لو برة السجون، مش هايقبلوا وجود عساكر ، وضباط روس يصدروا الأوامر - ولا الاحتلال البريطانى- دايما كنت أقول إن الروس دول حايغرقونا .. ودايماً رده : هو احنا قدامنا غيرهم ؟

واستمر عامر فى الحديث قائلاً: « لابد من التفكير فى نظام حكم يحترمه العالم.. ولن يحترم حكومات العالم نظاما دكتاتوريا من غير أحزاب، ولاحرية صحافة، .. ولا حرية إصدار صحف، شكلنا غريب. لاهو نظام رئاسى.. ولابرلمانى، حاجة كده متفصلة على شخص واحد، إزاى يأمن أى نظام يتعامل معانا على مصالحه.

مضى الوقت ونحن فى حوار، إلى أن سمعت طرقاً على شباك حجرة النوم من الحديقة، وصوت متولى يقول : الساعة اتناشر يا افندم.

قام عامر يستعد للخروج، وخرجت إلى القاعة، فوجدت متولى يجهز الحقيبة للمشير، جلست صامتة انظر إليه، وهو يعد حاجيات المشير، كان القلق يبدو عليه، ولما كنت أعرف رأيه فى هذا اللقاء، فقد رغبت فى الثرثرة معه وسألته: «لماذا هو قلق» فأجاب: « أنا لست مرتاحاً لهذا التصرف، فلم يتعود الرئيس إعطاء مواعيد لسيادة المشير عن طريق أحد» .

قلت له : « وليه ماقلتش لسيادة المشير كده ؟».

بدا الخجل على وجـه متـولى وقال : « قلت له .. وكان حايضربنى بالنـــار..»

استغربت وسألته : « إزاى ؟ ».

قال متولى : « واحنا فى الطريق لسيادتك، قلت له.. يعنى لو سيادتك تعتذر وبلاش تروح بحجة أنك مريض.. أنا غير مطمئن يا افندم» ؟

فسألنى : « وضح كلامك .. حاتكلمنى بالألغاز؟ ».

قلت: « خايف يعمل مع سيادتك زى ماعمل مع كمال الدين حسين » (*).

وواصل متولى حديثه : « أول ماسمع الكلام ده.. راح فاتح تابلوه العربية، وطلع المسدس، وزعق لى .. إزاى تسمح لنفسك تتكلم عن الريس بالشكل ده.. لو كلمتنى تانى فى الموضوع ده راح أضربك بالرصاص » وبالطبع اعتذرت له.. فقال: «إزاى تفكر إن الريس يعمل معايا كده»؟.

دا عشرة ثلاثين سنة وأكثر .. ومش ممكن يفكر فى حاجة زى دى أبداً.

– وانى لأعتقد الآن، أن المشير تحدث إلى متولى بهذه الصورة، خوفاً على متولى نفسه، لئلا يكون الحديث قد سجل بصورة ما.

وقطع علينا الحوار نداء المشير « ياعمرو » وكان يقصدنى ، فأسرعت إليه، فسألنى: « انت حاطة الفيارات فين ؟ ».

(*) كان جمال عبد الناصر، قد حدد إقامة كمال الدين حسين ليلة زفاف ابن ناصر، فبينما ام كلثوم تصدح بالغناء فى بيت جمال، جاءت قوة برئاسة مقدم من الشرطة العسكرية، وأبلغوا كمال الدين ان الرئيس يريد مقابلته وأنهم سيرافقونه إلى مكان الرئيس ، وقد تبين لكمال بعد أن ذهب معهم ، أنهم خدعوه وقبضوا عليه .

قلت ضاحكة: « انت مش ناوى تحفظ مكان الحاجة.. بعد السنين دى كلها.. البدل هنا و « قاطعنى »: « مش ح تعود.. الست عندنا تعمل لجوزها كل حاجة.. ساييانى وقاعدة تتسايرى»، عايزة تعرفى ايه ؟».

ناولته الثياب وأنا أسأل : « يعنى ضرورى المشوار ده ؟».

قال وهو يرتدى ملابسه فى عجلة « ماتقلقيش .. جايز لأن الريس مسافر الخرطوم يوم الثلاثاء. وعايز ياخدنى معاه.. وأول مانبعد عن المنافقين اللى حواليه ونقعد مع بعض بنتفاهم، وكل شىء بيتحل ».

أتم المشير ارتداء ثيابه، وطلب رؤية عمرو، ولم يتنازل عن رغبته برغم قولى إنه نائم.

أحضرت « عمرو » فأخذه بين يديه ، وضمه إلى صدره وقبله، « فتقلقص عمرو وزام وحاول أن يخربش وجه المشير .. فضحك وقال : « ده وحش مش عيل.. العيال تعيط وده يزوم».

ثم بدا على وجه المشير الجد، ونظر إلى المرآة قائلاً : « إذا لقيتى المرآة مكسورة أو أى شىء مكسور، اعرفى على طول انهم استعملوا معايا العنف، وإذا لقيتى بقعة دم، تعرفى إن الموضوع فيه دم ، يعنى قتلونى ، دى إشارة ، تتبعى أخبارى فيها إشارات ورموز تعرفى منها كل حاجة» .

وفكر قليلا ثم قال «لو اعتقلونى فى البيت حاتعرفى أخبارى، أما لو خدونى حتة تانية واعتقلوني بعيد، راح أبعت إشارات معناها عايز أعيش ... أطلب كتابا، ماكينة حلاقة دى إشارات تفهمى منها إنى لسة حى ».

دارت بى الأرض .. فإن كلامه دفعنى بعنف – وعلى غفلة – من مناخ التفاؤل ، إلي مناخ الظنون، وانكشف الغطاء عن المجهول المتوعد بالويل والثبور.

قلت له : « إيه ده ... المسألة مخيفة بالشكل ده ؟».

كان الذعر يملؤنى وأنا أتحدث ، فقال لى : « عايزك تتصرفى كزوجة للمشير – عايزك تبقى هادية وأعصابك قوية .. احتمال كبير يكون فيه نية لقتلى .. خصوصاً أن التنظيمات مطلّعة إشاعات بين الجيش، والأهالى ، بأنى حاولت الإنتحار .. دى طريقتهم يطلّعوا الإشاعة، ويشوفوا رد الفعل .. ويمدين ينفذوها ».

سألته : « ومين اللى عايز يقتلك ؟».

لم يرد على سؤالى، وإنما قال : «اوعى تصدقى إنى انتحر .. لو كنت عايز أنتحر كنت انتحرت يوم ستة ولا سبعة يونيو .. أنا راجل مؤمن، ومش عايز أموت كافر».

سألته وأنا مذهولة : « لكن ليه كل ده ؟».

قال : «لأنهم عارفين .. لو حاكموا أصغر عسكرى في الجيش، حا أروح المحكمة فى عربية مصفحة واتكلم، وساعتها يعرفوا مين اللى يتحط فى القفص.. عشان كده لازم يقتلونى، وينفدوا من المأزق ده».

خرجت منى صرخة : « ياخبر اسود». فاستيقظ عمرو وأخذ يبكى، نظر إلى المشير معاتباً : لامش دى برلنتى .. لازم تبقى أقوى من كده .. وعلي كل حال دى كلها احتمالات، وممكن تزول بزوال الخلافات ».

وجاء متولى ليبلغ المشير بوصول عباس رضوان. فقال المشير : «لازم امشى دلوقت».

وأعطانى عمرو، فأخذته وأنا شبه غائبة عن الوعى ، وعندما رأيت المشير يتحرك مبتعداً ، فناديت خالتى ، وأعطيتها عمرو، ثم عدوت خلفه، ووضعت رأسى علي صدره، ولكنه ربت على رأسى، ثم مضى صامتاً.

كانت دموعى تنهال وأنا أمشى معه إلى بوابة الحديقة، وقلت له : «عندما تعود غداً من عند الريس، لازم أشوفك علي طول .. فلن أنام حتى أراك ولو لدقيقة واحدة» قال : «بسيطة».

أوصلته إلى السيارة، ولم يكن بها سوى عباس رضوان، الذى أدار موتور العربة فور رؤيته للمشير قادماً .. وانتظرت حتي صعد المشير، واستقر بجانب عباس رضوان، فأمسكت بيده، وقبلتها لأول مرة وأنا أقول : « ربنا معاك» فأشاح بوجهه ليخفى تأثره قائلاً : « ربنا معانا كلنا».

وقال لى عباس رضوان والعربة تتحرك « تصبحى على خير يا بيلا .. خلي بالك من عمرو ».

وتحركت العربة، وتابعتها حتي اختفت عن عينىّ.

❖❖❖

مضى الليل وطلع الصباح ، ولا أدرى كيف انقضى هذا اليوم، فأنا أنتقل داخل البيت، وأؤدى أعمالاً لاقيمة لها، مجرد تحريك لأشياء صغيرة من أماكنها إلى أماكن أخرى، أو أنظف كوباً من الشاى ، أو أقوم على رعاية عمرو، وكأن عقلى فى ذلك اليوم قد توقف عن التفكير، ولم يعد يريد أن يستشعر الزمن ، كان عقلى فى ذلك اليوم قد توقف عن التفكير، ولم يعد يريد أن يستشعر الزمن، كان أملى فى ذلك الصباح أن يلغى الزمن، وأجد نفسى فجأة فى لحظة عودة المشير من لقائه مع جمال عبد الناصر.

ومن لطف الأقدار أنى ظفرت فى ذلك اليوم، بسماع صوته ، فقرب العصر، جاءنى منه تليفون، ودار بينى وبينه حوار قصير. سألته : « بتتكلم منين؟».

قال : «من البيت».

قلت : « وميعادك مع صاحبك ؟».

قال : « الساعة تمانية بالليل ».

قلت : « وحاتعمل ايه لغاية تمانية».

قال : « عبد الحليم حافظ جاى عندى ».

قالت : « ولماذا لا أراك ساعة قبل أو بعد عبد الحليم».

قال : « عبد الحليم اتكلم كتير عشان ياخد ميعاد، وما اقدرش أخلى بيه».

وإنتهت المكالمة، بعد أن وعدنى بزيارتى فى الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.

وضعت السماعة وأنا فى دهشة من ردوده القصيرة المقتضبة ورغبته فى إنهاء المكالمة بسرعة ، وتذكرت أنه حذرنى من قبل من أن التليفونات مراقبة.

وانتظرت زحف المساء، ومنذ بداية الليل، وأن أتلهى لتسكين قلقى .. أتفرج على التليفزيون، أو أقرأ كتاباً، أو أستمع إلى الراديو... وفى كل الأحوال لم اتفرج، ولم اقرأ، ولم أسمع.

جاءت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، ولم يأت المشير ... لم يأت.

قضيت الليل ساهرة، لم يغمض لى جفن، ولم يهدأ لى بال، وكى أطيب نفسى، خاطره، رحت ألتمس الأسباب وأقول - لعل الرئيس دعاه إلى مشاهدة فيلم، وبدأوا متأخرين .. فإن

كانوا قد بدأوا في الثانية عشرة، أو الواحدة، فلن يعود عبد الحكيم قبل الثالثة، أو الرابعة صباحاً.. وقد جاءت الرابعة صباحاً ولم يأت المشير.

طلبته في بيته، وظل الجرس يدق ولا من مجيب، وأدهشني هذا، فإن التليفون يدق في غرفة الحرس، وهم دائمون هناك ليلاً ونهاراً . ولم يعد أمامي سوى الانتظار.. وانتظرت.

وما كاد يظهر ضوء النهار ، حتى خرجت ومعي أختي زهرة، وركبنا العربة، وانطلقت ومعي زهرة إلى بيت المشير لأستطلع الأخبار.

وفي أول شارع الطحاوي بالجيزة - حيث بيت المشير - لاحظت أعدادا كبيرة من رجال البوليس الحربي، فهدأت من سرعة العربة، وسرت ببطء حتى اقتربت من سور الحديقة، فرأيت الجنود متربصين حول البيت، وبعضهم الآخر كان منتشراً في الحديقة.

أبطأت في سيري بطئا شديداً، وجاءني خاطر أن أدعي أني قريبة متولي، وأطلب من أحد العساكر أن يناديه.

وتوقفت العربة أمام بعضهم، وقبل أن أفتح فمي بالكلام رأيته يشير بيده لأبتعد ... ويقول بصوت خافت يفيض خطورة، «روحي ... روحي ... إمشي من هنا ».

عدت إلى البيت، وقد أطبقت على وحدة قاتلة .. هل رأى أحدكم « كابوس» وهو يقظان، يخنقني الآن كابوس يقظتي، أتخبط بين جدران بيتي، وشعور بالعجز يفتك بي، وفي لحظة غضب أامسكت، بسماعة التليفون، لأنقل عبره للناس، الذين لا أعرفهم ولا يعرفونني ، لأقول لكل من يرد على ندائي ان « المشير اعتقلوه».

ولا أنسى ما تلقيت من ردود في ذلك اليوم، لا أنساها لتناقضها أحياناً، ولجفوتها أحياناً أخرى. ولكني لم أكف، كأني في حالة هوس يرغمني إرغاماً على إذاعة نبأ اعتقال المشير، بالطريقة الوحيدة التي أملكها ... التليفون.

كانت الأصوات المجهولة - وغير المجهولة - تأتيني عبر التليفون معقبة على النبأ الرهيب : « يا ساتر يا رب » ثم يغلق التليفون .. أو يقول « مين .. إيه ده » ثم يغلق بسرعة ، أو يقول وإحنا مالنا .. أو « إيه يعني » ثم يغلق التليفون.

كان واجبي أن أفعل شيئاً، وأشد العذاب أن يجب عليك الفعل دون أن تدري ماذا تفعل ؟

فبعد توزيع المنشورات التليفونية على النحو الذي ذكرته، زاد عندي الشعور بالوحدة

والعجز، وانتظرت أن يأتينى أى شخص من رجال عبد الحكيم ، ليقول شيئاً عما يجرى أو جرى، ولكن أحداً لم يأت، ولا حتى متولى السائق لعبد الحكيم.

ومع الوقت، أخذت مشاعر الخوف تتكاثر، وإحساسى بعزلتى يتزايد، فأنا لا أجد من أطلبه ، ولا أجد أحداً يطلبنى، وكأن جميع الروابط التى تربطنى بالوجود قد تقطعت.

وفجأة رن جرس التليفون، فجريت إليه، ورفعت السماعة، فإذا بى أسمع على الطرف الآخر صوت عبد الحكيم يتحدث فى رتابة، وبلغة تلغرافية : « أنا كويس .. أنا كويس خللى بالك من عمرو».

سألته أين أنت ، كيف حالك، ولكن لم يبد عليه أن سمعنى، فهو لم يرد على أى سؤال من أسئلتى، وإنما ظل يردد عبارته السابقة : « أنا كويس .. أنا كويس .. خللى بالك من عمرو» ثم وضع السماعة. وتركنى فى حيرة من أمر هذه المكالمة .. لماذا لم يرد، هل هو لم يسمع صوتى .. وأعتقد الآن أنه كان يحدثنى من جهاز يرسل ولا يستقبل .. فصدق المثل القائل : « أعمى ينادى على أطرش لا ده شايف ولا ده سامع».

وضعت السماعة وجلست وحيدة . وخيل إلى أن الدنيا تتباعد عنى، أين الأصدقاء، أين الحراس ورجال المشير ؟!

ولما كان من المستحيل أن أبقى هذه الحال ، فقد قررت الخروج إلى الشارع، وطلبت من خالتى « فتحية » أن تأخذ عمرو إلى منزلى بالعجوزة؛ وأوصيت أختى «زهرة» بالأ تبرح البيت ولا تأتى بأى عمل فى المنزل، بعيدا عن التليفون.

وفيما أنا منطلقة بالعربية فى الطريق، عاودنى هوس إذاعة النبأ، فكنت أقف بالعربه أمام أى جماعة أصادفها وأقول لها « المشير عامر حددوا إقامته : المشير عامر راح يقتلوه».

وتجاهلنى الناس، وفروا من أمامي ... لم يهتم احد بمناقشتى ، ولم يدفعهم الفضول للسؤال عن أى شىء !! كانوا ينظرون الى واجمين، فإن انتهيت من كلامى تباعدوا، وكأنهم رأوا شبحا لا إنسانا يتمزق ألما وغضبا.

رحت أدور بعربيتى كالتائهة فى الشوارع، أنظر الى الحشود من رجال الشرطة العسكرية، والمباحث الجنائية، وهيئات أخرى لا أعلمها، .. والعربات المصفحة التى تقف في ميدان الجيزة والجامعة، وكل الشوارع المحيطة بسكن عبد الحكيم عامر .. الجنود بملابس الميدان في كل مكان، ينشرون على المنطقة جوا من الجهامة والرهبة.

دخلت بالعربة شارع النيل، ولم أكد أمضى فيه، حتى تذكرت صديقة لى تسكن فى نفس الشارع على مقربة من بين المشير.

تلقفت مشاعرى هذا التذكر باهتمام تشوبه الراحة .. ها أنا أجد من أتحدث إليه، فأسرعت إلى بيتها.

كانت تلك الصديقة ، هى « مدام ظافر» زوجة الكاتب السياسى السورى « ظافر الصابونى ».

لم تكن مدام ظافر على علم بما بينى وبين عامر - أو هكذا كان يبدو لى - وقد اعتدت زيارتها لمعرفة قديمة تربطنى بهذه الأسرة، بل وزارنى عندها حسن عامر، ومصطفى عامر عدة مرات، وكان المشير نفسه يصلنى هناك أحياناً باسم « الدكتور» ولعلها شعرت بهذه العلاقة على نحو ما، وإن لم تصارحنى ما دمت لم أصارحها.

استقبلتنى « مدام ظافر» بحفاوتها وودها المعهودين، بل ولاحظت هذه المرة زيادة فى الحنو والرقة، وأخذتنى إلي شرفة منزلها، المطل على النيل، فجلست هناك شاردة أنظر إلى مياه النهر، وأفكر في الفيلا القريبة منى حيث بيت المشير .

وأفقت من شرودى على صورت الطباخ، وهو يقدم فنجان الشاى، وبعد أن وضعه أمامى، وقف يقول : « امبارح كان فيه دوشة ياست هانم فى بيت المشير »!

سألته : « ليه »

أجاب : « كان فيه ضرب نار ... وضباط وعساكر كتير، والحتة كلها كانت مقلوبة».

أظهرت للطباخ فضولاً، وميلاً إلى الإنصات فاسترسل قائلاً : « تصورى حضرتك الميدان بتاعنا ده - يقصد ميدان الجيزة - مليان دبابات وضباط وعساكر .. وعربيات جيش على الكوبرى .. أنا يا ست هانم شفت كده جريت على فوق وقلت للست .. وبصينا من البلكونة، شفنا مراكب شكلها غريب - يقصد اللنشات العسكرية - وبعد شوية سمعنا ضرب رصاص».

أصابنى ذعر، فسألته بتلقائية : « حدّ مات ؟».

رد بقوله : « ما حدش عارف حاجة .. كل الناس كانت خايفة تقرّب من بيت المشير !» لم أكن أرغب فى أن ينهى حديثه .. فتساءلت : « كل ده حصل فى بيت المشير؟».

قال الطباخ : « آه .. والجيران قعدوا يسألوا بعض، ولا حد عرف يجاوب».

قالت مدام ظافر : « كل الناس كانوا مذعورين، وغير مصدقين لما يحدث .. وسمعت بعض الناس يقولون « لعله انقلاب فى الجيش .. وكنا نسمع طلقات الرصاص، بين الحين والحين».

❖❖❖

وأنقل للقارىء حكاية هذا اليوم، كما عرفتها بعد من أمين عامر، وعباس رضوان، وأقارب المشير، وأصدقائه.

بعد أن أصبحت المنطقة كلها محاصرة بالدبابات، والجنود، وبقوات يقودها محمد فوزى، واللواء محمد صادق رئيس المخابرات الحربية، والليثى ناصف قائد حرس رئيس الجمهورية، وسعد عبدالكريم مدير الشرطة العسكرية.

عندما أحاطت القوات بمنزل المشير، أغلق محمد أبو نار البوابة الحديدية، ليمنع دخول أحد إلى القوات المحاصرة.

وكانت الخطة تقضى بالقبض على كل الموجودين بمنزل المشير من الضباط، والأهالى حتي لو اقتضى الأمر تدمير المنطقة كلها ..

وطلب محمد فوزى من شمس بدران - عبر الباب الحديدى - أن يسلم نفسه هو ومن معه. ولكن شمس رد عليه بأنه لن يفتح الأبواب إلى عند مجىء المشير والاطمئنان عليه.

وكرر فوزى طلبه بتسليم أنفسهم، وأصر شمس على عدم فتح الباب لهم. إذ كانت تعليمات المشير له ، بألا يسلم نفسه هو ومن معه، مهما كانت الظروف.

كان فوزى مرعوساً لشمس بدران، وأصبح الآن قائداً للجيش، وأصبح الموقف مليئاً بين الاثنين بالكراهية، وجرت بينهما استفزازات كلامية بدأها محمد فوزى قائلاً لشمس : « أيام الأنزحة راحت خلاص .. وما عدش ليك قيمة .. » ورد شمس : «انت ولا حاجة .. وحا تفضل طول عمرك ولا حاجة» وتبادلا ألفاظاً أخرى كلها شتائم وإهانات.

وأثناء هذه المهزلة حضر عباس رضوان - بناء علي أوامر جمال عبد الناصر - وجاء عباس رضوان، وطلب من محمد فوزى الابتعاد عن البوابة، وترك الأمر له، فقال له محمد فوزى : « الريس كلمنى دلوقت .. وقال انك جاى » وابتعد محمد فوزى إلى الرصيف المقابل.

ثم فتح الضابط باب الفيلا لعباس رضوان، فدخل، وفور دخوله سمع صراخاً فى

الداخل، وبكاء أبناء المشير وبناته، وكان هذا طبيعياً للتوتر الشديد الذى تعرض له هؤلاء الصغار، وهم يرون جيشاً كاملاً يحاصر فيلا والدهم.

واستطاع عباس رضوان أن يقنع الضباط بتسليم أنفسهم، مستغلاً صراخ أولاد المشير للتأثير على الضباط المعتصمين .. وأنه لا ينبغى لهم أن يقوموا بتعريض أبناء المشير لمثل هذا الموقف.

وقد تم الاتفاق على ذلك بين عباس وشمس، أثناء اجتماعهما فى غرفة نوم المشير ولم يجد شمس بدران بداً من الموافقة على التسليم، حرصاً على حياة المشير- بعد أن أفهمه عباس أن المشير رهينة - وحفاظاً على أهله، وكذلك حفاظاً على المنطقة كلها، فلو وقع اشتباك لدمرتها قوات محمد فوزى، حسب الأوامر !!!

وبعد أن توصلا إلى هذا القرار، اتفقا أيضاً - فيما بينهما - على حرق كل أوراق المشير، خاصة أنها كانت مؤلفة من عدد من نسخة الاستقالة ٦٢، والبوسطة الدورية، وكان عبد الناصر قد أمر الجهات المختصة بقطعها عن المشير، لكن هذه الجهات كانت ترسلها بطرق خفية، وكان المشير قد طلب مراراً من المقيمين معه التخلص من هذه الأوراق، خوفاً من وقوعها فى أيدى الأجهزة، فيضار القادة المسئولون عن إرسال هذه «البوسطة».

واستغرقت عملية حرق هذه الأوراق أربع ساعات، ومن المضحكات - إن كان فى المآسى مضحكات - أن يقال فى أثناء محاكمة شمس بدران، أن هذه كانت أوراق المؤامرة التى أحرقوها، فهل يكتب الناس مؤامراتهم فى تلال من هذه الأوراق، فى حين أن خطة الثورة نفسها، لم تكن مكتوبة سوى فى ورقة بحجم الكف.

ومن قبيل هذا التلفيق، ما وقع عند لقاء عامر وجمال فى منزل الأخير بمنشية البكرى، وكان ذلك عقب عودة جمال بعد « تمثيلية التنحى»، وتصادف وقت اللقاء .. أن كانت هناك سرية صغيرة من الجيش، فأراد أفرادها التعبير عن مشاعرهم قبل عبد الناصر وعبد الحكيم، فخرجوا يقودهم أبو نار يهتفون «ناصر. عامر» .. وكان هذا هو هتافهم الوحيد - عند بيت عبد الناصر، وهذا هو أيضاً كان هتاف الجماهير فى الشوارع . وهذا أيضاً شائع فى الأغانى - وكان هدفهم إظهار الولاء لرئيس الجمهورية، ولقائد الجيش.

وقد تم القبض على جميع أفراد هذه السرية، وصورتها أجهزة الإعلام أنها كانت مؤامرة، دبرها عبد الحكيم عامر ضد جمال عبد الناصر.

ونعود إلى شمس بدران وعباس رضوان، فقد خرج الأخير، وطلب من محمد فوزى المجيء لاستلام الضباط الذين أخرجهم عباس رضوان مستغلاً صراخ بنات المشير وإنى لأرى أن عبد الناصر، قد استغل عباس رضوان - صديق المشير - ضد مصلحة المشير نفسه دون أن يدري، وسلم الضباط لقمة سائغة لأجهزة عبد الناصر.

وكان تعليق المشير عندما علم أن شمس سلم نفسه قوله : « أنا قلت له ماتسلمش وما يهمكش حياتى ، مصر أهم، دى ثورة تانية .. قاوم مهما حدث، واضرب، لازم الناس تصحى ، وتعرف ايه اللى بيحصل فى بلدها».

❖❖❖

زاد ما سمعته من مخاوفى وقلقى .. وخفت أن يكون قد أصابه مكروه .. وكنت أعلم أن فى منزله المحاصر الآن، عددا كبيراً من ضباط الصاعقة المفصولين، وعدداً من أقارب وبلديات المشير جاءوا من أسطال لحراسته، وان الفيلا مليئة بالأسلحة الخفيفة.

وتداعى إلى خيالى فى تلك اللحظة، حوار دار بينى وبين عبد الحكيم عامر حول هؤلاء الضباط، قلت له ساعتها : «وجودهم عندك حا يوسع الخلاف بينك وبين الريس ..»

أجابنى عامر : « بالعكس .. أنا عملت كده علشان أحمى الريس من تهورهم .. لأنهم معروفون ومحبوبون بين أفراد الجيش .. ووجودهم عندى ضمان لعدم تورطهم في أى عمل عسكرى ضد الريس .. أنا قصدى أحميه منهم فى الحقيقة .. لأنهم شاعرون بالمهانة من الإشاعات اللى طلعتها الأجهزة بتاعة سامى شرف وشعراوى جمعة عن الجيش ».

وأفقت على صوت مدام ظافر تقول : « السياسة شيء فظيع .. عندنا فى سوريا السياسة تفرق بين الأخ وأخوه .. والأب وابنه ، .. السياسة تفسد أى إنسانية، ولا تستغربى من حدوث أى شيء، ما دام الأمر قد وصل إلى حد اعتقال المشير وتحديد إقامته».

كانت تتكلم وهى تتفرس فى وجهى، وكأنها تقدم لى الحديث شخصياً، بدأت الدموع تنهال رغماً عنى .. وأظهرت مدام ظافر عطفاً وتفهما، وقالت بصوتها الناصح العطوف:

« لا .. لا ينبغى هذا الآن - لا تضيعى الوقت فى البكاء .. يجب أن تظلى قوية .. حتى تكوني مستعدة لما قد يفعلون».

نظرت إليها فى فزع : «يفعلون ؟ .. يفعلون ماذا؟».

ابتسمت فى رفق قائلة : «يفعلون الكثير .. لن يتركوا ثقباً فى بيتك دون أن يفتشوا فيه، ولن يدعوا ورقة دون أن يقرأوها .. وسيراقبون تليفونك، ويتبعون خطواتك، لا تبك الآن .. ورتبى أمورك».

نبهتنى مدام ظافر لما لم أكن منتبهة له. فقد كان لديها خبرة بالأساليب البوليسية، والصراعات السياسية .. ولم تضيع وقتاً، فأخذت تستحثنى - وقد انكشف المستور - على الإسراع إلى بيتى، وعمل اللازم تحسبا لما قد .. يفعلون.

قدمت لى « مدام ظافر » كثيراً من النصح، ونصحتنى بأن أدع عمرو فى أيد أمينة، ولا أرضعه فى تلك الظروف .. وأن أتأهب لمرحلة مريرة مقبلة.

خرجت من عندها إلى بيتى مباشرة، وقد استقر قرارى على ترك هذا البيت والإقامة فى شقتى المطلة على النيل، ولمت ثيابى، وبعض الأشياء التى أعتز بها، وكان أكثر الأشياء استيلاء على اهتمامى، هى ثياب المشير، فقد جمعتها فى الحقيبة، كما وضعت كتبه فى صناديق، وأشرطة أم كلثوم التى كان يحبها.

وطلبت أخى هشام عن طريق التليفون، ودعوته ليساعدنى فى حمل الحقائب والصناديق، وأعطيت أختى هذه الحقائب لتضعها فى منزلها عند والدتى حتى لا تتعرض للتفتيش والمصادرة، وغادرت بيت الزوجية.

عدت إلى منزلى فى شارع النيل، وفور عودتى اكتشفت أنه لم يبق معى سوى عشرين جنيهاً، وكان هذا هماً جديداً، فمن أين أنفق ؟.. كان المشير يعطينى مصروفاً شهرياً مائة وخمسين جنيهاً، ثم زاده إلى مائتين.

شغلنى التفكير فى هذا بعض الوقت، وتذكرت لحظتها يوم جاء المشير وبصحبته أخوه الأكبر « عبد المنعم عامر » وأعطانى المشير حقيبة «سامسونايت» وقال لى: «ضعى كل ما معك من مصاغ فى هذه الحقيبة ». فوضعت كل مصاغى وحليى دون مناقشة، فوضع المشير فيها ألف جنيه، ثم أغلق الحقيبة، وأعطاها لأخيه قائلاً: « دى بتاعة بيلا .. شيلها معاك أمانة». فأخذها الحاج عبد المنعم عامر.

فى قلب حيرتى في هذه اللحظة، لحظة اكتشاف الحاجة إلى مال، أدركت مدى بعد نظر المشير ..

ولم أكد ألتقط أنفاسى، حتى استفزتنى فكرة أن يتصل بى المشير فى بيتنا بالهرم

فقررت العودة إليه مرة أخرى، ولم أصغ إلى اعتراضات خالتى «الحاجة فتحية» وشقيقى لخوفهما علىَّ من الذهاب وحدى ليلاً فى مثل هذه الظروف.

عدت إلى بيت الزوجية بالهرم، وجلست أنتظر. دق جرس التليفون، فانتزعت السماعة بسرعة قال : « مازلت حياً أرزق .. كونى مؤمنة بالله وإرادته، عمرو معك كعبد الحكيم تماماً .. احرصى عليه .. النية لقتلى أصبحت مؤكدة .. الروس يلعبون دوراً في منتهى القذارة .. ينفذون مخططهم ، والراجل - يقصد الريس - غارق معهم لأذنيه .. سيأكلوننا واحداً واحداً .. ثم اختنق صوته - الأمر لله -».

وقطع الصوت، كان صوت عبد الحكيم عامر، وتشنجت يدى على سماعة التليفون، لا أريد أن أبعدها عن أذنى، أشعر بقبضة باردة تعتصر قلبى .. وتدوى فى رأسى عبارته : « النية لقتلى أصبحت مؤكدة».

ولأول مرة أشعر كيف يكون الإنسان محاصراً وهو طليق .. لا أحد أذهب إليه، لا مغيث استغيث به سوى الله، لا شيء أستطيع أن أفعله من أجل عبد الحكيم، ليس أمامى سوى التليفون.

عاودت فعلتى، أكلم الناس، لأقول لهم : « المشير متحددة إقامته .. المشير راح يقتلوه .. مش عايزين يحاكموه عشان الناس ما تعرفش الحقيقة ..».

وكان الجواب علي صرخاتى هو ذاته كل مرة : يا ساتر يارب .. إزاى ده .. ياستى انتى مين ؟ وفى كل الأحوال كان الخط يغلق في وجهى.

وفى الطريق فعلت نفس الشيء، لم أكن أملك سوى هذا الفعل، وكما كان الناس يغلقون التليفون فى وجهى، كان يفرون من أمامى فى الطريق !!

ولما أصابنى الإرهاق، قصدت إلى منزل صديقتى « مدام ظافر ». وجلست في شرفة بيتها ، أنظر إلى النيل وإلى بيت المشير، وسألت « مدام ظافر» التى كانت بجوارى : « ماذا سيحدث الآن ؟» قالت لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يمكن أن يحدث».

سألتها : «ماذا سيفعلون به ؟».

قالت « لا أحد يدرى .. فقد يحاكمونه» قاطعتها : يا ريت - قد يضعونه في المعتقل .. المهم ألا تشغلى بالك الآن بهذه التساؤلات ، وانتبهى لنفسك، وولدك عمرو..

وقطع حديثنا صوت جرس الباب، فترقبنا القادم، فإذا القادم أمين عامر- ابن شقيق المشير حسن عامر...

استقبلته فى لهفة، فهو يعيش فى منزل عمه - المشير - ولديه كل أخباره، وكان محبوباً من عبد الحكيم ويثق به.

كان أمين شاباً فى الثامنة عشرة تقريباً ، وقال حين دخل : « سألت عنك في الشقة قالوا فى الهرم أو عند مدام ظافر .. ولقيتك هنا » .

ثم أخرج من جيبه مائتى جنيه .. - مصروف الشهر - وقدمها لى .

سألته عن أحوال عمه، فأكد لى أنه فى حال طيبة، وأنه يقضى وقته إما في قراءة كتاب، وإما في لعب الشطرنج أو مع احد أولاده.

سألته : « ألم تعرف منه ماذا جرى عند لقائه بجمال عبد الناصر فى منزله ».

سكت أمين عامر برهة ثم قال : « أشعر أن عمى فى محنة كبيرة ... زى ما يكون منتظر موته».

أفزعنى هذا القول ، وقلت له : « ما الذى دعاك إلى هذا القول؟».

قال : « عمى أظهر لى معصمه صباح اليوم، فإذا به بقعة زرقاء، ودهشت لذلك فسألته عن السبب فقال : « ده حصل لما زقيت زكريا .. أصلى لما رحت عند الريس، لقيته لامم الشوية « بتوع آمين» كان هناك زكريا وحسين الشافعى وأنور السادات، وأنا وكنت عارف أنه محضر التسجيلات زى عوايده .. وعايز يسجل لى ، وابتدأ يكلمنى عن جلال هريدى، ولكنى كلمته فى أحوال البلد، والحريات، وطبعاً ما كانش قادر يواجهنى.. فكان يدخل يقول كلمة ويخرج، وطلبت منه يعمل لى محاكمة عسكرية علنية، عشان الناس تعرف مسئوليتى ومسئوليته عن الهزيمة، وحا اقول اللى جرى ».

ولكن الريس قال لى : « مش ممكن لأن اسمك مرتبط بأسمى».

وخرج ثم عاد بعد برهة وقال : «احنا قدرنا نتحفظ عليك ونحدد إقامتك». فقلت له : «اخرس قطع لسانك .. انت حا تتحفظ عليه ؟» وهجمت عليه، وقلت له : «الرجولة انك تواجهنى راجل لراجل، مش لامم الشوية بتوعك ؟»... ولولا حاشنى زكريا .. كنت حا اضربه على الخدعة القذرة دى - يقصد عزومة العشاء -

كان أمين عامر يتحدث وأنا أصغى إليه باهتمام شديد، وكنت أستدرجه لمواصلة الكلام كلما أبدى فتوراً فى الحديث، كنت أريد أن أعرف كل شىء عن عبد الحكيم فى هذه اللحظة، ووجدت فى أمين الذى يقيم معه بصفة دائمة، فرصة لا أريد أن أضيعها، فطلبت منه سرد كل التفاصيل عن لقائه الأخير بجمال.

استمر أمين يروى على لسان عمه : « أنا قلت لزكريا ... يا زكريا انت مصيرك مرتبط بمصيرى .. وزعقت لحسين الشافعى وقلت له : « انت بقالك خمستاشر سنة ماقلتش رأى .. ودلوقتى جاى تقول رأيك فى اللى ما تعرفوش .. وبعدين خرجت من الباب لقيت ضابط ماسك مدفع رشاش، صرخت فيه : « إذا كنت راجل اضرب بالرصاص .. عبد الحكيم عامر واقف قدامك أهوه ».

وختم أمين حديثه بقوله : « هذا ما رواه عمى عن اعتقاله فى منزل الرئيس..».

قلت لأمين : « وكيف حاله هو » . قال : « قلق .. وطلب مني أن أذهب إلى المنزل لاستفسر عن صحة عمرو، وأديكى المصروف».

ولما سكت قلت له : « هيه .. وبعدين .. قول كل اللى تعرفه. فقال : « بالأمس قلت لعمى - يقصد المشير - ان هناك اشاعة قوية عن جلال هريدى بتقول إنه إنتحر فقال لى : «يبقى ناويين يقتلوه .. زى ماطلعوا الإشاعات عنى وقالوا انى انتحرت ... وأدينى عايش أهوه». اسمع يا أمين تعالى معى.

وأخذنى وسار بى إلى حجرته وكتب ورقة بها : « إذا مت أو حدث لى شىء فسيكون عبد الناصر هو الذى قتلنى، وكتب مثلها عدة نسخ ووقع بإمضائه وطلب منى أن احتفظ بها».

وأطرق أمين عامر برهة ثم قال : « ان عمى يتوقع نقله » فسألته، لماذا ؟ .. وما هو الفارق بين هنا أو أى مكان آخر، مادمت لاتستطيع الدخول أو الخروج، وحول البيت حرس رئاسة الجمهورية، ورجال المخابرات اللى تابعين لرئاسة الجمهورية، والمنزل ليس به سوى أولاد عمى ومرات عمى .. ولا اعتقد أن هناك داعيا للنقل، فما الفرق ؟!

قال عمى : « لا .. فيه فرق .. البيت هنا فيه شهود، حتى لو كانوا من رجالته - فهو لا يستطيع أن يفعل شيئاً أمام كل هؤلاء الشهود» ..

وسألت عمى : « شهود على ايه ؟» .. إذا كان عايز يقدمك للمحاكمة يقدمك!

قال عمى : « مين اللى يحاكمنى ؟ .. ويحاكمنى على إيه ؟ .. ما انا كان في ايدى كل حاجة وسيبتها له .. وبرضه مش عايز يسيبنى .. هو مش راح يستريح إلا لما يخلص منى ».

وأظهر أمين عامر رغبة فى الانصراف، فقلت له : « بلغ المشير بأنى سأوزع صورة استقالته . . ومنشورات عن الوضع الحالى، وحقائق ما جرى فى الحرب ».

وانصرف أمين على أن يأتى لزيارتى غداً، لتظل الصلة بينى وبين عبد الحكيم قائمة من خلال ابن أخيه، وليبلغنى رد المشير.

وفى اليوم التالى – عندما جاء أمين – سألته عما قاله المشير بخصوص المنشورات.

قال أمين : « عندما ذكرت ذلك .. قال إنها جريئة .. وممكن أن تفعل أى شىء».

وكان عبد الحكيم عامر لين الجانب بالنسبة لأبنائه ولأبناء اخوته، وبالذات أمين عامر ابن أخيه حسن عامر، وعودهم عبد الحكيم على المناقشة معه في جلساتهم العائلية وقد نقل لى رد عبد الحكيم ثم أطرق قليلاً قبل أن يعود إلى الكلام، وأنا أترقب.. قال :

« كنت أتحدث مع عمى عنك .. » فابتسمت مشجعة له على مواصلة الحديث، خاصة أن علامات الخجل ظهرت عليه مما أثار حيرتى، واستطرد أمين : « كنت أقول له إنك – يقصدنى – شجاعة جميلة ومثقفة .. فقال لى ... مش دى اللى أبوك كان مش موافق عليها ؟».

واستطرد أمين وهو يقاوم خجله : « قال لى عمى: « إننى لم أتزوج لمجرد اننى أريد امرأة جميلة .. ولكنى وجدت فيها صفات جذبتنى إليها كالذكاء .. والثقافة .. والشخصية الجذابة .. يا أمين بيلا إنسانة ممتازة ».

كان عبد الحكيم معتاداً على مثل هذا القول، إذا جاء ذكرى في حديث بينه وبين إخوته، وأبناء عمومته، لأن موجة المعارضة لزواجه منى، كانت قوية داخل الأسرة، خصوصاً أن زوجته الأولى قريبته، فكان يحرص على أن يفهمهم – كلما سنحت الفرصة – أن زواجه بى ليس نزوة منه .. وليس لهواً .. وانه وجد فىّ الصفات، ما عبرّ عنه ذات مرة لجمال عبد الناصر، أثناء فترة خطوبتى .. إذ قال له جمال : «يقولون إن برلنتى جميلة جداً » فرد عليه عبدالحكيم عامر بقوله : « ليست مسألة الجمال .. ولكنها امرأة اغنتنى عن صداقة الرجال ».

وإنى لأشهد هنا، ان عبد الحكيم لم يكن من الرجال طالبى المتعة، محبي الطعام والنساء والحشيش، لم يكن عامر فيه شىء من هذا .. كان ثائراً، عاشقاً لوطنه، رافضاً للهيمنة

الأجنبية، والعجيب أننا نسينا تماماً، مغزى أن يحبه رجال الجيش هذا الحب.

استطاعت الأجهزة - الموالية للسوفييت - تشويه صور عبد الحكيم، عامدة متعمدة، تمهيداً لخطة التخلص منه .. وقدمت للناس « حكايات» لا دليل على صحتها، والعجيب أنهم صدقوا الحكايات التى أطلقتها الأجهزة، أى أنهم صدقوا مالم يروا .. وكذبوا ما رأوا، وأعنى به « حب الجيش لعبد الحكيم عامر » تلك الحقيقة التى لم يكن يجهلها أى أحد، ألم يكن لهذا مغزى ؟ !!

إن حب الجيش لعبد الحكيم عامر، حمى حياة عبد الناصر، وحمى الثورة من أى قلاقل أو اغتيالات.

نظرت إلى أمين عامر الجالس أمامى مطرقاً فى صمت ولم يكن هناك مايسيطر على تفكيرنا سوى عبد الحكيم عامر . وسألته : « ألم يأت أحد قط لزيارة عمك في هذه الفترة؟».

هز رأسه نفياً، ثم قال : « الوحيد الذى كان مسموحاً له بزيارة عمى هو هيكل .. ولكن حتى هذا لم يأت للزيارة .. ومع أن عمى أرسل له عدة مرات - بعد تحديد الإقامة طبعاً ».

- إلا أن كل من ذهب إليه، لم يفلح في العثور عليه .. ».

وبقدر ما آلمنى هذا الكلام، بقدر ما أثار دهشتى، فأنا كنت أعلم أن هيكل صديق للمشير. وأفصحت عن تفكيرى لأمين، الذى قال لى : « عمى قال لى إن هيكل جاء لزيارته يوماً - وطلب منه مستعطفاً أن يتعهد له برعاية أولاده - أى أولاد هيكل - إذا حدث له شىء وأن هيكل - فى بداية الخلاف بينه وبين جمال - قال لعمى .. إذا لم يصطلحا فلا بقاء له فى البلد، وأنه سيجد نفسه مضطراً إلى حمل حقائبه ومغادرة مصر .

وصمتنا ... كان الحزن مخيماً علينا.

لا شىء فى القلب سوى المخاوف، ولا شىء فى العقل سوى عبد الحكيم عامر. قطع أمين الصمت بقوله « وقعت قصة غريبة في بيت المشير ..» وابتسم ابتسامة واهنة وقبل أن أقول شيئاً استطرد : « وجدنا شخصاً مختبئاً داخل المنزل .. زاغ من القوة التى أخذت الخبراء. واختبأ تحت السرير فى إحدى الغرف .. وظل هناك حتى عثرنا عليه.. كان فى حالة إعياء شديدة .. وقد علمت السلطات بوجوده، وطلب العميد الماحى تسليمه، وفعلاً سلم العميد أيوب نفسه ...».

سألت أمين : « وماذا قال عمك عبد الحكيم ؟».

أجاب : « قال لى إن العميد أيوب ◆ كان يرافق شمس بدران، فى رحلاته إلى موسكو، حتى آخر زيارة له قبل ٥ يونيو مباشرة، وحضر جميع المقابلات التى تمت مع القادة الروس، وبالطبع فإنه استمع إلي التأكيدات التى أبداها الروس بخصوص موقفهم معنا. إذا نشبت الحرب بيننا وبين اسرائيل، وبالذات ما دار بين جريتشكو وشمس ».

واستطرد أمين وقد عاودته المخاوف : « يبدو أن عمى كمن ينتظر مصيره .. وأن حياته قد أصبحت فى خطر .. لذلك فهو يتحدث معى عن أشياء كثيرة، ويكلمنى فى أمور ما كان يخوض فيها معى من قبل.

سألت أمين : « وكيف يقضى وقته ؟».

قال : « إنه غالباً ما يجلس فى حجرة الصالون يقرأ .. ورأيت معه مؤخراً كتاب «المتمرد» « لألبير كامى ». وأحياناً نلعب الشطرنج معاً، وإذا أخطأت في اللعب يصحح لى اللعبة .. وأحياناً يتسلى بتعليم أولاده لعبة « البريدج» وأحياناً يكون منبسطاً فيلعب معهم لعبة « المونوبولى».

سألت أمين :« وما هى أخبار العائلة »

قال : « الاعتقالات مستمرة .. اعتقلوا والدى حسن وعمى مصطفى ووضعوا أملاكهما تحت الحراسة ».

ثم قال وهو يطوح يديه : « إذا كان جمال عبد الناصر يعتقل أقاربه .. أفلا يعتقل أقارب عبد الحكيم عامر ؟».

سألته : « من تقصد ؟»

قال الاستاذ حسن حسين .. ابن خالة زوجة عبد الناصر – زوج أخت المشير !!

ثم سألنى أمين عامر : « هل تعرفين شقيق عبد الناصر.. الطيار حسين عبد الناصر..»

قالت : « أعرفه» قال أمين : « جمال طرده من الطيران وهو مازال برتبة رائد !!»

قلت لأمين : « ذلك لأنه زوج ابنة عبد الحكيم الكبرى، وكان يناصر عمك دائماً فى المناقشات بينه وبين جمال، ويؤيد وجهة نظر عبد الحكيم فى نظام الديموقراطى ... بل ويقول لأخيه عبد الناصر إن عمى عبد الحكيم على حق فى تصوره لعلاج المشاكل ».

وكان آخر مواقفه .. وقد قالها لجمال عبد الناصر - بأنه يرى أن عبد الحكيم لا يطلب لنفسه شيئاً، وأن كل مطالبه، بعد التجارب التى خضناها، وأوصلتنا لما نحن فيه، لاتزيد على المطالبة بنظام حكم ديموقراطى .. وأن المشير يريد أن يعرف الناس، حقيقة ما جرى وقت الحرب، وقبلها، وبعدها، .. وهذا حق بديهى، وكان حسين معترضاً أيضاً على تصفية الجيش، مع أن حسين عبد الناصر هو أقرب الإخوة إلى قلب جمال ».

رد أمين : « ومع هذا طرده ».

وانصرف أمين عامر، وبقيت لحظة غارقة فى أفكارى، وحاولت « مدام ظافر» أن تجعلنى أتناول بعض الطعام، ولكنى اعتذرت لها، فلم تكن بى أى رغبة فى الأكل.

خرجت من بيتها وركبت عربتى، وفى طريقى سرت ببطء متلكئة أمام بيت المشير .. وعيناى تجوبان حوله وخلال الحديقة، والشبابيك، لعلى أرى عبد الحكيم .. ورفعت عينى إلى حجرة نومه بالدور الأول، والتى كان يقيم بها « أخيراً عامر» .. وهى في جناح بآخر المنزل، مكونة من حجرة نوم ، وحجرة بجانبها وبها حمام كبير، أما فى بداية الدور، فتوجد حجرة الحرس ثم الصالونات على يمين الداخل.

كنت قد عشت فى هذا المنزل فترات قصيرة: حين كانت السيدة حرم المشير «أم الأولاد» تصطاف بالاسكندرية، نظرت إلى هذا الدور راجية أن أرى المشير فى أى مكان منه، ولكنى لم أفلح ..

واصلت سيرى كسيرة الخاطر إلى منزلى بشارع النيل، واستقبلتنى خالتى «الحاجة فتحية» فرحة بمقدمى، وأعربت عن قلقها لغيابى، وسألتنى أين كنت؟».

سألتها عن أخبار، أو مكالمات تليفونية، فأجابت : « لم يرن الجرس ولو مرة واحدة غلط».

قلت لها : « هذا طبيعى .. فلا أحد يعرف أنى هنا .. والشقة مهجورة منذ وقت طويل ».

ثم اقبلت على عمرو .. والغريب أنى لم أحس ميلاً إلى ملاطفته وكأن مشاعرى قد حددت إقامتها بداخلى.

كان الخاطر المسيطر على تفكيرى في تلك اللحظة، هو محاولة طرق أى باب لإنقاذ عبد الحكيم .. ولكن الأبواب كلها كانت مغلقة، استعرضتها في خيالى واحداً واحداً .. ووجدت

استحالة أن أدخل واحدا منها .. هل أشكو إلى رئيس الجمهورية .. هل أذهب للإذاعة ... هل ألجأ إلى الصحافة .. هل أذهب إلى النيابة .. لا فكلها جمال عبد الناصر !!

هذا هو النظام الذى كان يرفضه عبد الحكيم ، ويشاء القدر الساخر، أن يجسد لى معنى الديكتاتورية، ويذيقنى هذا المعنى قسرا ، ويحرقنى به حرقاً .. فأعيش التجربة كاملة تجربة القهر .. وحكم الفرد.

كل وسائل الغوث المشروعة، كل أطواق النجاة، كل منصّات المحاكم.. كلها تكاد تكون ملكية فردية، لحاكم فرد.

رددت عمرو إلى خالتى ، وهرعت كالمحمومة إلى الطريق مرة أخرى .. ولكن أخذت عند نزولى كمية من الأوراق، على كل منها نص استقالة عبد الحكيم عامر ، التى قدمها لجمال عبد الناصر عام ٦٢ . - وهي غير التى أراد إذاعتها - . كان المشير قد طبع منها ألف نسخة، لتوزيعها حين عجز عن إذاعة استقالته وبيانه عن الحرب، وتمثل وجهة نظره فى الحكم ، وقمت بتوزيع أكثرها فى مختلف المحافظات. ولكن عبد الناصر اعتبر هذه الاستقالة منشوراً سياسياً يستوجبه اعتقال صاحبه، بل واعتقال من تضبط معه نسخة منها، كما فعل مع بعض أعضاء مجلس الشعب فى ذلك الوقت.

وفى الطريق، وزعت كل ما معى من صور الاستقالة فى أماكن متفرقة، ولم يحدث - ولدهشتى - أن سألنى أحد عن مضمونها، ولم يناقشنى أحد فيما جاء فيها، ولم يسألنى أحد عن « الموضوع ».

خيل إلى أننى انقلبت شبحاً لا يراه الناس ، ولا يسمعونه .. أنا لم يعد لى وجود.

الاعتقال

عدت إلي المنزل مرهقة، خلعت ملابسى، واستلقيت علي السرير، فأخذنى نعاس متقطع، ولا أدرى كم من الوقت مضى علي غفوتى، ولكني صحوت فزعة علي صوت طرق شديد علي الباب، قالت خالتى وفى صوتها رنة خوف: « ياساتر يارب من يأتى في هذه الساعة ».

قلت لها : « افتحى الباب، وانظرى ريثما ألبس شيئاً فوق القميص..» وقبل أن أتم ارتداء الروب ، فوجئت برجال أمام حجرة نومى !!

غضبت خالتى ، وثارت : « عيب كده .. اتفضلوا علي الصالون لغاية ماتغير ملابسها..»

ردوا عليها ببرود عجيب « حاندور وشنا وهى بتلبس.. بس ماتقفلش الباب».

أشرت لخالتى أدعوها للهدوء، فلا داعى لرفع الصوت في هذا الوقت المتأخر من الليل ظلت خالتى واقفة معى إلي أن أتممت ارتداء ملابسى .

خرجت إلي الصالة، فوجدت عدداً كبيراً من الرجال منتشرين في كل مكان بالشقة.. يفتشون كل شيء ، يرفعون الأثاث، ويمزقون المراتب.. ويفتحون الدواليب.. يفعلون ذلك بسرعة ونشاط، وكأنهم فى هجوم ساحق على موقع عسكرى.. وأنه لم يكن يوجد سواى، وعمرو الرضيع، وخالتى .

جلست علي الكنبة في الصالون، وتركتهم يفتشون ، فلا حول لى ولاقوة.. اللهم إلا التسليم بمشيئته، وبين الحين والحين يأتى واحد يقول لرئيسه: « مفيش حاجة هنا يافندم».

كان علي رأس القوة، ضابط مباحث ، دمث الاخلاق، يميل لونه إلي السمرة، ويميل بدنه إلى السمنة، وعلي ما أذكر كان اسمه « محمد أو أحمد صالح» .. كان صوته يشوبه بعض الحياء.. وقد شجعنى هذا علي مخاطبته .. فقلت له :

- كنت انتظركم.. ولكنكم تأخرتم كثيراً..

اقترب منى وقال بهدوء:

- كنا مشغولين شوية..

- ربنا يقويكم .. إن شاء الله تكونوا قبضتم علي مصريين كتير ، لأنهم في الحقيقة أخطر من اليهود!!

خرج في تلك اللحظة آخرهم وأعلن : « مافيش حاجة هنا يافندم » عندئذ استدار نحوى قائلاً: « أرجو إعطائى مفاتيح المنزل هنا ومنزل الهرم .. واتفضلى معانا هناك»

قلت : « اسمح لى أمر علي والدتى ».

فقاطعنى : « بلاش الوالدة دلوقت.. فيه فرقة راحت عندها ».

ملأنى الفزع فقلت : « والدتى — هذه السيدة الحاجة.. يدخل شقتها عساكر وهى في هذه السن .. ماذا تستطيع أن تفعل امرأة لاتعرف الطريق إلي شارع فؤاد؟.. ماذا تريدون منها؟ ».

تذكرت والدتى ، وأختى الصغيرة البكر الطالبة بكلية الطب، وأخوتى من الشباب.. وخفت عليهم من التحرش بالبوليس،

ثرت قائلة : « والدتى لن تتحمل مشاهدة هذا كله ».

أكد ضابط المباحث سمو أخلاقه ، إذ قال بصوت خافت « لاتعتقدى إنى راض عن ذلك .. ولكن هذه .. وأشار إلي البدلة الرسمى .. ترغمنى على التصرف بهذه الصورة».

أخجلنى رده فلزمت الصمت.

ذهبوا بى إلي منزلى بالهرم، وفتشوا فى كل شىء، ووجدوا صوراً فوتوغرافية، التقطت لي في حفلات بعض السفارات، وبعض لقطات من المسرحيات والأفلام التى مثلتها، وبعض خطابات المعجبين ، أيام اشتغالى بالفن، شاهدوا كل شىء، وقرأوا كل ورقة، وأخذوا كل عنوان حتى إذا كان العنوان لجزار، أو بقال !!

أخذوا يسألونى عن أسماء من معى في الصور، وعن وظائفهم.. وشملنى برود عجيب وأنا أرد علي أسئلتهم، وذات مرة أجبت علي السؤال بقولي : « دول سفراء دول العالم.. روحوا

اقبضوا عليهم. واقفلوا السفارات لأنني التقطت لهم صوراً..»

ثم طلب الضابط منى مفاتيح الخزنة، فأعطيتها له، وفتحها وأخذ يفتش كل شيء فيها، ثم أخرج سلسلتي مفاتيح وسألني : « لمن هاتان السلسلتان؟ » قلت : « هما لجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر.. سادهم الوجوم برهة، وفحصها الضابط وأنا ألاحظ حيرته، ثم قال لى: « ولكنهما برجان مختلفان». كانت السلسلتان بكل منهما ميدالية ، في قلبها رسم برج صاحبه علي « مينا سوداء » وكان عبد الناصر برج الجدي ، أما عبد الحكيم فقد كان برج القوس.

قلت لأرد علي ملاحظة الضابط: « هذان البرجان هديتا عيد ميلاد ».

قال : « أتعرفين جمال عبد الناصر ؟ ».

قلت «غير صادقه» : « لا.. ولكن مصطفى عامر هو الذى طلبهما ليقدمها بنفسه، واصلوا التفتيش ثم اقترب منى رئيسهم قائلاً: « خذى كل احتياجاتك.. فسنغلق الشاليه بالشمع الأحمر، ولن تستطيعى المجيء إلي هنا لفترة طويلة ».

شكرت الضابط علي حسن معاملته ، وأدبه (١).

أعادونى ثانية إلى شقتى بشارع النيل، فوجدت أنهم خصصوا رجلين للبقاء معى في الشقة طوال الليل.. وعلي الباب وقف اثنان آخران ، وانتشر عدد منهم علي السلم .

أما منزل والدتى- وهو في شارع قريب منى - فقد أرسلوا أربع عربات «جيب» تحمل جنوداً مسلحين بالمدافع الرشاشة، وما كادت العربات تقف حتى هبط منها الرجال وصعدوا مسرعين إلي الشقة.. وقال لوالدتى التى أصابها الفزع : « عايزين نفتش الشقة .. مباحث » وكان الآخرون قد بدأوا في تمزيق المراتب، وقلب الأشياء، وعاثوا في جميع الحجرات فسادا، وقد حدث أن اثنين أرادا أن ينقلا كرسيا من مكانه، فما كاد يهمان برفعه، حتى سقطت رجل الكرسى المتهالك، وجم الرجلان، ونظرا لبعضهما البعض ثم التفتا إلي والدتى وابتسما.. قالت لهما : « معلهش أصلى ما احبش اسيب بيتى القديم» ثم حشدوا والدتى واخوتى جميعاً في عربة ، وجاءوا بهم إلي منزلى، بينما واصلوا هم تفتيش شقة والدتى بدون وجودها. وفي هذه المرة أخذوا معهم كل ماجئت به من شقتى بالهرم.

حبسنا جميعا داخل الشقة، يملؤنا الإحساس بالقهر، والعجز.. تحيط بنا، رشاشات تصوب نحونا، والأيدي تمزق وتقلب، ويبعثر كل مانملك داخل بيوتنا.. ولا اعتراض .. ولاحق في الاعتراض، هم أصحاب الحق كله، والجبروت كله.

لم يكن قد مضى علي عودتى من منزل الهرم أكثر من نصف ساعة، حين أخذونى أنا ووالدتى إلي مبنى المخابرات العامة - بعد عودتى من الهرم.

وفي هذا المبنى، صعدوا بى إلى الدور الأول، عبر سلم ضيق ، وضعونى بحجرة علي اليسار، تقع في أول الدهليز الطويل ، أما والدتى فقد وضعوها في حجرة أخرى.

كانت الحجرة التى أنا بها، تحتوي علي مكتب حديدى وكرسى وراءه، وكرسيين علي جانبي المكتب، وإلي جانب الجدار ، كان يوجد سرير حديدى .

أظهروا لطفاً وليناً في معاملتى، وقدموا إليَّ السجائر والقهوة، بعد عشاء مؤلف من دجاج مشوى وبعض أنواع السلطة، قدموها وهم يقولون بلطف « حاجة كده علي قد الحال».

سعدت بهذه المعاملة ، واستراحت نفسى ... ثم جاءوا لاستجوابي.

كنت جالسة إلي المكتب الحديدي، وبعد أن قدموا الاعتذار عن اضطرارهم لإحضارى، بدأوا استجوابهم بقول أحدهم : « نحن نعرف أنك زوجة المشير عبد الحكيم عامر».

أجبت علي الفور « أنا لست زوجة المشير عبد الحكيم عامر ».

بدا أن إجابتى فاجأتهم ، وتبادلوا النظرات ، ثم قال أحدهم « لقد جئنا بك إلي هنا باعتبارك زوجة المشير » قلت : « ومن قال لكم إننى زوجته ...».

قال : « ولكنك تقيمين في بيته ».

قلت : « ليس هذا بيت عبد الحكيم ، ولكنه بيت مصطفي عامر ».

تركونى وهم في حيرة من الأمر ، وأغلقوا علي الباب بالمفتاح. جلست في وحدتى ، داخل الحجرة، وكان أول ماطفا علي سطح ذاكرتى قول عبد الحكيم لي: «ليس في حياتى شيء يأخذونه علي - أنت نقطة ضعفي الوحيدة ».

عادوا إلي بعد قليل ، وقال أحدهم « أمك بتقول إنك زوجة المشير عبد الحكيم عامر ».

قلت بإصرار : « أمي لاتعرف زوجة من أنا ».

قال : « وابنك .. ابن مصطفى أم ابن عبد الحكيم ».

قلت : « ابن مصطفى !!».

تركونى مرة أخرى ، وأغلقوا علي الباب. ذهبوا إلي والدتى - كما أخبرتنى فيما بعد-

وقالوا لها : « ابنتك تقول ان الولد ابن مصطفي عامر ».

ثارت أمي وقالت لهم : كيف تقولون هذا .. ده لو ابن مصطفى لكنت مزقته بيدي.. هو ابن المشير عبد الحكيم عامر.

عادوا إلي مرة أخري، وكنت قد ازددت تمسكاً بقولي ، بعدما وضح لي مدي الحيرة والارتباك اللذيناً وقعهما فيها إنكارى أنى زوجة عبد الحكيم عامر.

إن اهتمامهم الزائد بأن أكون زوجة عبد الحكيم؛ جعلنى عي ثقة ، من أننى فعلت الصواب.

لا أدرى لماذا اتبعت هذه الخطة معهم.. وليس لي من تعليق سوى أن أقول ، إن الله ألهمنى هذه الإجابة، وكانت هى سبب نجاتى من الأهوال ، ونجاة كل من أعرفهم من زملاء وأصدقاء وأقارب وأولاد عامر – أقصد الضباط – التى رأيتها علي أيديهم بعد ذلك .

قضيت تلك الليلة في الحجرة: وفي اليوم التالي عادوا إلي استجوابى، وأنفقنا النهار والليل في قول : « أنت زوجة من إذن » « أنا زوجة مصطفى عامر » « أنا لست زوجة عبد الحكيم عامر ».

كنت أنتظر حلول المساء، يراودنى أمل في أن يفتحوا باب زنزانتى، ويقول لي أحدهم اتفضلى روحى بيتك » .. وسبب الأمل أن أحدهم قال لي بعد استجوابي ، رداً علي سؤالى « متى أخرج » قال « في المساء أخبرك ...».

كلمة – قيلت عرضا – وربما هزراً – فتعلقت بها، فإن الحنين إلي بيتى وولدي، فاض بقلبي، بينما يمسكون بخناقى في هذه الحجرة الضيقة المقبضة.

وفي الليل سمعت صوت الباب يفتح ، فخفق قلبي، وقلت لعلهم جاءوا ليفرجوا عنى.

دخل رجلان وقالا لي: « تفضلى معانا ..» وسارا بي في الممر الطويل الضيق، وفي نهايته انحرفنا يمينا، ودخلنا حجرة واسعة.. تتوه فيها العين.

كان المكتب أول ماوقع عليه بصري.. ورأيت رجلاً حنون النظرات والملامح ، والصوت. كان يجلس خلف المكتب.

وقريباً منه ، علي مقعد ضخم ، رأيت كومة لحم هائلة ، خليطاً من الأذرع والسيقان يعلوها رأس ضخم، له وجه شديد العبوس ، والاشمئناط ، ونظرة شديدة العداء.

هذا - كما علمت فيما بعد - كانا حلمى السعيد ذو الوجه العطوف، وأمين هويدي ذو الوجه العبوس.

فور دخولي نهض حلمى السعيد ، واستقبلنى برقة ولطف ، ودعانى للجلوس.

أما أمين هويدي، فقد ظل مضطجعاً في كرسيه، واضعاً ساقاً علي ساق، وطرف حذائه ، يعترض الفراغ الكائن أمام المكتب.

جلست، وشغلنى الرجل الضخم بنظراته التى تسكب عليَّ بغضاً مما يفيض به قلبه.. وعجبت، فأنا لم أكن قد رأيته من قبل، ولا أذكر أن قد وقع بينى وبينه مايستوجب منه كل هذه الكراهية .

دارت عيناى في المكان، ورأيت في مواجهتى نافذة عريضة، تتدلي من حافتها أسلاك كثيرة وتذكرت أن علي نافذتى بعض الأسلاك، أيضاً.. إذن هم يسألوننى هناك، ويسجلون لي هنا !!

مد حلمى السعيد يده، ولمس زراراً في رقعة ذات أزرار كثيرة موضوعة في درج مفتوح من أدراج مكتبه.. وبالطبع كان معنى هذا أنه بدأ التسجيل.. قال حلمى السعيد:

- كيف حالك ؟

- بخير..

- وعمرو ؟

- بخير ..

إذ ذاك مال قليلاً إلي الأمام وهو يقول :

- لاتعتقدى أننا ضدك .. فنحن نحب المشير.. وكلنا نكن له الحب والتقدير.. ولكنها الظروف هى التى دعت إلي ذلك .. وإن شاء الله تخرجين من هنا بسرعة.. بس عندنا شوية أسئلة وعاوزينك تجاوبي عليها..

قلت : « خير »

قال: « نحن نعرف أنك مصرية جدعة بنت بلد.. ولاتحبين الكذب.. وأنت بالطبع زوجة سيادة المشير ؟».

علي الفور قلت : « لا .. أنا زوجة مصطفى عامر ».

قال بصوته الحنون المخملي « لماذا تتخذين موقفاً .. إننا من أصدقاء المشير، وبيننا عشرة طويلة ».

- وتمرت فيك العشرة ؟.

صمت برهة ثم استأنف :

- نحن نعرف أنك زوجة المشير عبد الحكيم عامر.. ولهذا جاءوا بك إلي هنا .. الأوامر صدرت بالقبض علي زوجة المشير عبد الحكيم عامر.. فذهبوا إلي منزلك بالهرم.. ومنزلك بشارع النيل.. لأنك زوجة المشير.. ومصطفى عامر متزوج، ولدينا ورقة منه يؤكد فيها إنك زوجة عبد الحكيم عامر، وورقة من حسن عامر بأنك زوجة أخيه المشير عبد الحكيم عامر. فلماذا ترفضين الاعتراف بهذه الحقيقة؟

قلت : « إذا أردت الحقيقة، فهى أنى زوجة مصطفي عامر..» وأريد أن أعرف ماهى جريمتى ؟.. هل الزواج أصبح جريمة.. ورغم أنى لست زوجة المشير.. ولكن افترض فهل هذه هى جريمة أن أكون زوجة المشير ؟

قال أمين هويدي بجفاء : « ليس هنا شيء اسمه افتراض ، نحن متأكدون.. فلماذا تنكرين ؟».

ثم قال بلهجة مستفزة تفيض اشمئزازاً « أم لأن المشير في مأزق فأنت تتخلين عنه.. كنا نظنك أكبر من هذا ..».

قلت : « عندما أخرج من هنا .. سوف تعرف أنى كنت أكبر مما تتخيل..»

قال حلمى السعيد : « إذن عمرو .. ابن من ؟

قلت : « ابن مصطفي عامر »

قال : « أخبرناك أن لدينا ورقة من مصطفى عامر يقول فيها أنك زوجة أخيه عبد الحكيم عامر وأن عمراً ابن أخيه عبد الحكيم عامر وأيضاً أيده حسن عامر بأنك زوجه أخيه المشير عامر.

قلت: « هذا موضوع عائلى، ولا يهمكم أمره.. وحين أخرج سوف نتولي علاجه معاً».

قال حلمى السعيد : « ولكننا نريد لك ولعمرو أن تأخذوا حقوقكما، ومستحقاتكما الرسمية ».

قلت : « شكراً .. لا أريد منكم شيئاً».

ناقوس الخطر يدق بداخلي ، وأدركت أن بساط الحرير منزلق إلي الاعتراف، بأسماء من زاروه، أو كلموه، أو جاءت علي لسان أحدهم معلومة أمامي، وما يتبع ذلك من مواجهات، واتهامات بين رجال المشير المقربين. وتلطيخ صورتهم جميعاً .

قال أمين هويدي بلهجة مباغتة « هل تعرفين لغات أجنبية ؟»

ابتسمت : « أعرف انجليزى وفرنساوي.. وبعض الإيطالية ».

قال بعجالة « هل تذهبين إلي السفارات الأجنبية ؟»

وسؤال ثالث : « هل كنت تقابلين السفراء الغربيين ؟»

أجبته وقد أخذتني قسوته: « نعم .. ولكن جمال عبد الناصر يعرف الانجليزية ويقابل السفراء.. لم لاتحققون معه ؟ »

رد بصرامة: « جاوبي علي قد السؤال !!!»

داهمتنى ذكري الشائعات.. تلك التى أشاعوها .. عنى.. فقالوا أنى عميلة أمريكية!!

وقالوا -وبالسخف ماقالوا- إنى اختفيت قبل الحرب بأيام .. كنت خلالها في اسرائيل .. وان هذا سبب النكسة !!!

قلت في نفسى : « لقد لفقوا حكاياتهم عنى، وهاهم أولاء يريدون تلفيق الدليل.. وشعرت بخوف شديد.. ونظرات أمين هويدي تلاحقنى في انتظار الإجابة. قلت : « إن رئيس الدولة قدوة للناس.. فإذا أنا فعلت مايفعله، فلن أكون بعيدة عن الصواب وساد الصمت».. ثم مد حلمى السعيد يده ، وضغط علي الزرار الموضوع في درج من أدراج مكتبه.. انتهى التسجيل ، وانتهت المقابلة .

وفي نهاية الليل ، نفضوا أيديهم منى ، وأعادونى معصوبة العينين- كما أخذونى- إلي منزلي.

وفي البيت ، و جدت والدتى .. وأختى .. وعرفت منهم أن والدتى لم تمكث في مبنى المخابرات سوى ساعات .

كانوا جميعاً في منزلي علي النيل، وقالت والدتى انهم الآن يفتشون شقتها، وسألتى

والدتى : « ليه يابنتى بتنكرى جوازك من المشير ؟ ده راجل يشرّف ، قلت : أنا عملت كده لمصلحته، لو قلت إنى مراته مش حايبطلوا أسئلة، واعتقالات، وحاياخدوا ناس كتير، لكن لما أنكر معرفتى بيه، مش حايكون فيه سؤال تانى.

قالت والدتى : « سمعنا إشاعات تقول إنك عميلة أمريكية » قلت لها : « معلش ياماما دي سياسة ». ثم انتحيت بأختى زهرة ، وشرحت لها لماذا قلت أننى زوجة مصطفى عامر ، وأوصيتها إذا سئلت هذا السؤال ، أن تقول لا أعرف ، ورحت أشرح لها: «إذا قلتى أعرف لن تنتهى ، سيسألونك عن صلاح نصر، وعباس رضوان وعصام خليل وكل اللى بيجوا عندنا.

قاطعتنى زهرة : « ولا أونكل أنور السادات ؟ ».

قلت : « ولا أنور السادات .. قولي إنك لاتعرفين شيئاً وتمسكى بهذا »

علي مدي يومين لم تكف عمليات التفتيش والتنقيب في منزلي، ومنزل والدتى.. نقلوا كل شيء ، وحفروا كل شيء ومزقوا كل شيء، كانوا كمن أصابتهم الحمي، وقالت والدتى: « يأخذوننا خارج الشقة ليخلو لهم الجو، ليواصلوا البحث ثم يعيدونا ونظرت إلي شقتى ، حتى جدرانها التى كنت بطنتها بألواح الخشب كسروها، وكشفوا الحائط ، الذى خلفها، والصناديق الصينى التى كنت قد أحضرتها من منزلي بالهرم، أخدوها جميعاً، بحثوا .. بحثوا..وبحثوا .. وفي النهاية كفوا عن البحث.. وتفرغوا لي .

◆◆◆

يستطيع كثير من القراء أن يعودوا بالذاكرة معى إلي الوراء، إلي تلك الأيام من النصف الثانى لعام ١٩٦٧.

وقتها امتلأت الصحف - بإيعاز من سامى شرف، ومحمد فوزى، بتساؤلات خبيثة، عنى ، وعن المشير، وعن أخيه مصطفى. وطرحت القضية، عن طريق عملائهما من الكتاب المنتمين إلي أجهزتهم السرية .

■ هل برلنتى عبد الحميد زوجة عبد الحكيم عامر ؟

■ هل هى زوجة مصطفي عامر ؟

وانبرت الأقلام، المغرضة ، تناقش وتحلل، وتقول رأيها في مسألة كونى زوجة مصطفي ، وأخري تقدم البراهين الكلامية - المأخوذة من أجهزة المخابرات - أننى زوجة عبد الحكيم

عامر بل وكثرت الكتب عن هذا الموضوع وتكرار الشائعات التي تثيرها الأجهزة .

جري هذا العبث ، ليشغل الناس بمسألة « لغز برلنتى » في وقت هم فيه أحوج مايكون لمن يفسر لهم « لغز الهزيمة ».

ولم يستح رؤساء الأجهزة السرية، في أن يعرضوا حرمات الناس للهتك، وشرفهم للشبهات، وهم يعلمون أن عبد الحكيم عامر من أسرة « صعيدية» تتمسك بالتقاليد، وتحافظ علي الشرف .

لم يستحوا.. ولم يتقوا ربهم ، فألقوا بهذه الحكاية في ساحة الإعلام، لتصبح مادة من مواد « التلاهى » التى يلهون بها الناس، ويشغلون عقولهم، عن صميم القضية.

وأصبح معرفة « أنا زوجة من » أهم من معرفة من خان الجيش المصرى في حرب٦٧...!؟

أوغل الليل.. وساد السكون الحاني علي منزلي المهشم، وهاجمتنى الأفكار تكسر مشاعرى، كما كسر الرجال بيتى، تقتحم عقلي صور من أحداث هذه الأيام، يحيط بها الغموض، والإبهام ، رغم وضوحها للعين !!

أنا أخاف علي ابنى ، وأمي وأخوتى . أخاف علي عبد الحكيم ، أخاف علي أبنائه، وأهله وأخوته.

فجأة شق سكون الليل دقات عنيفة على بابى، فقمت مفزوعة لأفتحه، وماكدت أفعل حتى انهمر إلي الداخل سيل من العساكر والضباط المتعجلين.. تسوقهم رغبة عارمة محمومة إلى تفتيش كل شيء يصادفونه، ولم يقلل من اندفاعهم أنهم فتشوا من قبل مرات ومرات .. وكل مرة يأتون بنفس الحماس ، ونفس العجرفة، ونفس القسوة.. ويختتمون مرتهم بنفس الاعتقال .

أخذونى في هذه الليلة – أنا وأمى وشقيقتى زهرة– إلي مبنى المخابرات العامة ولم ينسوا أن يعصبوا أعيننا كما تعودوا .

ألقوا بى إلي قلب الحجرة ذاتها، التى كنت بها من قبل. ولكن المعاملة لم تكن هى ذاتها كما كانت من قبل.

هذه المرة تسود الجهامة والغلظة، علي طباع من أحاطوا بى. في المرة الأولي كانت «

فرقة الاستجواب » رجلين فقط. أما هذه المرة فقد أصبحوا أربعة.

وكان أولي علامات الحفاوة أن تركونى بلا طعام ولا سجائر طوال الليل. وفيما تلا من أيام أصبح الطعام والسجائر من أدوات التعذيب التى يعذبوننى بها.

أما الطعام .. فلم تكن بى شراهة له في يوم من الأيام.

وأما السجائر.. فقد ركبني بشأنها عناد أصم.. فلا أطلبها، ولا أقربها إن جاءوا بها، وبذا أعطيت لهم هاتين الأداتين.

وفي سجنى هذا، تذكرت المشير في سجنه. وقاسمته الشعور بالوحدة. وتساءلت: « ماذا تراهم يفعلون به . إنهم لايتورعون عن فعل أى شيئ، مادام لاشيء يردعهم .. وظللت أفكر ، ماذا يريدون منى .. لم أكن ضالعة في مؤامرة لقلب نظام الحكم.. لم أكن خطراً، ولم أكن عدواً، فما الذى يريدونه منى .. إننى حتى لم أعرف ماذا يريدون من المشير.. ولاح في خاطرى ، أنهم ربما أرادوا استغلالى كسلاح ضد المشير!!

فتح الباب.. ورأيت من خلاله رجلاً يهرول ذهاباً وإياباً وجيئة .. والمكان تسوده الرهبة .

دخل الحجرة فجأة أربعة أشخاص، ذوى وجوه متجهمة ، وعيون جامدة، يتحركون كأنهم آلات.

لم يبد عليهم أنهم رأونى، وتناثروا في الحجرة من حولي، ماعدا رجلاً سميناً أصلع، جاحظ العينين . جلس هذا « الجاحظ» إلي المكتب وأنفق وقتاً باسطاً ذراعيه علي حافة المكتب، ناظراً إليَّ نظرة طويلة بكماء.. ثم أشار بيده إليّ وإلي الكرسى الذى أمام المكتب، فجلست.

ورغبت في كسر حاجز الرهبة الذي أقاموه حولي علي هذه الصورة ، فقلت: «الساعة كام من فضلك ؟

أجاب بصرامة :

- الوقت مش مهم ..

- قلت : ولكنه مهم بالنسبة لي - فما السبب الذى جعلكم تقتحمون عليَّ الحجرة في هذا الوقت من الليل ؟

أجاب بغلظة : « إحنا هنا نعمل اللى احنا عاوزينه ».

عناد قام بداخلي، وتحفزت جوارحى كلها، وتأهبت للمواجهة .

فقلت : « يعنى حرب أعصاب ؟ ».

قال : « هذا يتوقف عليك » قلت : « كيف ؟ ».

وكأنهم كانوا ينتظرون« كيف » حين تخرج من فمى ، فقد بدا رد فعلها قوياً عليهم ، فالتفتوا حولي، ولانت أصواتهم، وقال واحد منهم : « احنا عايزين بس ندردش معاكى .. ونسأل شوية أسئلة.. وإذا تعاونتى معانا بشكل ايجابي.. راح تخرجى علي طول».

سألته : « أتعاون معاكم في ايه ؟».

قال آخر برقة ومداهنة : « بيقولوا عليك انك ست مثقفة، وبنت بلد .. والمفروض في مواقف زى دي إنك تبقي معانا .. لأن مصلحة البلد أهم من الأشخاص».

تساءلت : « وايه مصلحة البلد في وجودي هنا؟ وايه مصلحة الشعب المصرى في اعتقالى، وحرمانى من ابنى، وجرجرة أمى وبهدلتها .. والتفتيش.. والرجالة اللى داخلة خارجة علينا طول الليل؟ .. ايه مصلحة البلد في ده كله ؟ ».

ولما أنهيت كلامى ، تقدم منى شخص لم يكن قد تكلم من قبل، بل طوال الوقت، كان يقف متباعداً، متعالياً، مصطنعاً عدم الرضا والاستخفاف بسلوك زملائه.. كان أنيقاً، وديعاً، وسيماً « ابن ناس ».

قال « ابن الناس »: انتي طبعاً زوجة المشير، وتهمك مصلحته، ومن مصلحتك ومصلحته إنك تتكلمى ، عشان ترجعى بيتك علي طول.. وتشوفى ابنك.. ووالدتك ترجع بيتها، واحنا طالبين حاجات عادية ماتضرش المشير يعنى.. كان بيقابل مين، وبيزوره مين، وهوه بيزور مين، وكانوا بيتكلموا عن ايه ؟".

قلت له بقوة : « انتم ناسيين حاجة.. ناسيين إنى مش زوجة عبد الحكيم .. أنا زوجة مصطفي عامر !!

تلفتوا إلي بعضهم.. وظهرت فى عيونهم الحيرة والتساؤلات ، فبادر الجاحظ إلي التدخل نظر إلي طويلاً بعينيه الجاحظتين.. كعادته قبل أن يبدأ الحديث، ثم قال: « أنت حاتتكلمى وإلا نوسخ اسمك .. ونقول عنك حكايات قذرة.. واحنا نقدر نعمل الأدلة اللى تثبت إنك أى حاجة .. احنا عاوزينها ».

تدخل آخر في الكلام قائلاً : « نقول مثلاً.. إنك بتشتغلي في بيت دعارة.. انتى مش قدنا.. احنا نملك كل شيء.. وانتى ماتملكيش أى شيء .. المشير إقامته محددة.. لايقدر ينفعك ، ولاحتى يقدر ينفع نفسه» .

اقترب « ابن الناس » بكرسيه منى بعض الشيء وقال :

- شوفي يامدام .. إحنا مش ممكن نؤذى حد، إلا إذا أجبرنا علي كده.. وكلنا بنحب المشير، ومانرضاش نضره.. لكن انتى راح تضطرينا علي تصرفات إحنا مش عايزينها.. حاولى تتعاونى معانا.. وإحنا مستعدين لإرضائك .

ثم تلطف صوته، ومال ناحيتى كصديق إلى صديق : « بينى وبينك المشير خلاص.. انتهى .. ومافيش داعى تعرضى نفسك للخطر.. وإذا كنت خايفة حد يؤذيكى وكانت ليكى شروط انك تعيشى بره.. مثلاً.. إحنا مستعدين نتفاهم علي «الرقم» اللى يخليكى تعيشى بره أحسن عيشة.. وتربي ابنك في أحسن مدارس في أوربا.. شفتى إحنا ممكن نفيدك إزاى ؟

واستطرد متلطفاً:

- أما إذا مافيش تجاوب معانا.. حتخسرى كتير.. لأننا عارفين كويس إنك زوجة المشير، ولما رحنا نجيبك ، جبناكى بصفتك زوجة المشير، وقولك ان مصطفي زوجك يضرك،، لأن معناه إنك مرات مصطفي، وعشيقة المشير !!

غرس الرجل سيفاً محميا في لحمى بكلماته الأخيرة.. كانت تعريضاً واضحاً بشرفى.. وسمعتى .. وتهديداً بضياع أبوة ابنى ، وضياع كرامة أبيه.. استفزاز.. وقررت ألا أُستفز.

اتضحت لي نواياهم.. إنهم يريدون التشهير بعبد الحكيم عامر، ولأنهم لم يجدوا في حياته مايشين، فقد أرادوا استغلالى لمساعدتهم في تحقيق هذا المأرب لكن.. هيهات .

قلت للرجل : « أنا لايهمنى عبد الحكيم عامر .. أنا زوجة مصطفي عامر».

صعقتهم كلماتى ، كما كانت تصعقهم كلما قلت ، اننى زوجة مصطفي عامر، لأن هذا القول يوصد الباب أمام أى أسئلة أخرى كانوا قد أعدوها من قبل علي أساس إنى زوجة عبد الحكيم .

قال أحدهم : « وابنك ؟ ،، سنأتى به ونضعه في حجرة مجاورة لتسمعى صراخه طول الليل..

كانوا يتلمسون « نقطة ضعفي » فيضغطون علي بها إلي آخر مدي.

فتصنعت حالة كراهية ونفور وأنا أردد بانفعال : « أحضروه أمامى ، وقطعوه.. قطعة قطعة.. ولن أسألكم ماذا تفعلون به .. إننى أكرهه فهو نحس، ولا أريد أن أراه!!»

شملهم استنكار شديد ، وقال أحدهم :

- أعوذ بالله !!.. إنتى ماعندكيش قلب خالص !!

أحسست بالراحة لأول مرة ، فقد أفلحت في إثارة اشمئزازهم من أمومتى الجامدة، وتخلصت من « نقطة ضعف ».

وإلي هنا تركونى وانصرفوا .

◆◆◆

بعد انصرافهم ، مكثت وحدي في الحجرة، مهدودة العافية، لما بذلت من مجهود عصبى ، وفكرت في الحال الذى أنا فيه ، وفي هؤلاء القوم الذين يسعون إلي تدنيس سمعة واحد من رجال الثورة، وشريك وصديق لرئيس الجمهورية.. نعم هو «التدنيس» فلو كان كل غرضهم ، أن يعرفوا زوجة من أنا ؟ فليس هذا مجهولاً من جمال عبد الناصر ، ولا من أجهزته ، وكان يستطيع أن يخبرهم.. خاصة أنه كان صاحب فكرة كتمان خبر الزواج، حتى يتفقا - هو والمشير - علي إعلانه في وقت مناسب.. وفوق ذلك هو الذى أطلق اسم « عمرو » علي ابننا وبدأت أغفو..

انتبهت علي صوت الباب وهو يفتح .. واندفعت كتيبة الاستجواب، بأفرادها الأربعة إلي داخل الحجرة. تحركوا حولى بذات جمودهم وآليتهم ، وقال أحدهم بجفاء «قومى.. الموضوع أصبح خطيراً.. ومش حتقلتى المرة دى !!»

رجوتهم أن يتركونى بضع ساعات لأنام، ولكنهم رفضوا بشدة قائلين: إنتى مش فى بيتك .. إنتى هنا تبعنا.

كان أحدهم يحمل حقيبة سفر مغلقة ، وآخر بجواره ممسكاً بمفتاحها، وقدمه لحامل الحقيبة ليفتحها.

وراقبت عملية فتح الحقيبة، وأنا أتساءل عن الشيء الخطير الذى بداخلها، والذى خصص له رجلان كاملان من رجال الدولة !!

فتحت الحقيبة .. وأخرجوا منها بذلك، وقال أحدهم:

- وجدنا هذه في أحد الدواليب بمنزلك.

- ثم ماذا ؟

- انظرى .. وأشار باصبعه إلي الجيب الداخلي للجاكت.. حيث كان اسم عبد الحكيم مطرزاً علي حافة الجيب.

جلس « الجاحظ » وراء المكتب وقال : « تقدرى تفتكرى دلوقت ..».

قلت له : « ايه هيه جريمتى .. إذ كان فيه جريمة قدمونى للمحاكمة ».

قال : « إحنا هنا المحكمة ».

وكان علي أن أقدم تبريراً لهم ، فقلت :

- البدلة مكتوب عليها اسم عبد الحكيم عامر.. وهو أخو جوزى عبد الحكيم عامر.. فيه شيء يضر البلد من وجود البدلة في الدولاب عندي؟.. هو أخوه ومن حقه يزوره في أى وقت .

قالوا جميعاً في نفس واحد تقريباً:

- يعنى انتى شفتى المشير .

قلت : « شفته مرات قليلة .. لما كان بيجى مع أخوه حسن عشان يزوروا مصطفى».

رفع أحدهم أمام عينى سلسلتى المفاتيح وقال : « وجدنا السلسلتين دول في الخزينة الحديد، الموجودة في حجرة نومك.. واحدة عليها برج الجدي، والثانية بنفس الموديل - وعليها برج القوس.

قلت لهم : « مصطفى قاللى إعملي سلسلتين للمفاتيح، واحدة لجمال عبد الناصر، وواحدة لعبد الحكيم عامر، لأنهم شافوا الموديل ده معاه، فطلبوا زيها .

قال الجاحظ : « سألنا مصطفي وقال إنه ماشافش السلسلتين دول قبل كده.. يبقي الريس شافها مع عبد الحكيم.. وتبقي انتى زوجة عبد الحكيم .

وكأنى ذكرت إسماء سحرية - لابشرية - فاصابتهم بالبلاهة ، والجمود . وانتابتهم حيرة، فأخذوا ينظرون إلي بعضهم .

قلت خلال الصمت : « دى هدايا لهم ، وكان مصطفي ناوي يديها لهم بنفسه، لأنى ما أعرفش الرئيس جمال وماليش معرفة قوى بالمشير. الحكاية إن المشير شافها مع مصطفي ، وجمال شافها مع المشير فطلب واحدة زيها».

شملت الحجرة لحظات صمت، يتبادلون فيها النظرات واجمين.. ثم قطع الصمت «ابن الناس » بقوله :

- أنا بقول نسيب المدام تستريح شويه.. لأننا تقلنا عليها وكفاية كده دلوقت.

خرجوا .. وسمعت صوت الباب يقفل بالمفتاح، فاستلقيت علي السرير الحديدي الموجود بالحجرة.. وآلمتنى الوسادة ، كأنها محشوة بالرمل والزلط، وقد انتابنى الأرق من الملل رغم الإرهاق، وأنفقت ساعات استجدي النوم دون جدوي .

أردت الذهاب إلي الحمام ، فقمت إلي الباب أدق عليه كالمعتاد، ولكن لم يستجب لي أحد، واصلت الدق فترة ثم يئست ، فعدت لأستلقى علي السرير .

ورحت أفكر فيما أحاطونى به من سرية تامة، فليس مسموحاً لأى شخص في المبنى أن يرانى، أو يدخل الحجرة، وحين أطرق الباب طالبة الذهاب إلي دورة المياه، يأتى شخص ليسير أمامى، ومهمته إغلاق جميع الأبواب التى أمر بها. ورجل آخر يقوم بمنع ظهور أى شخص إلي أن أعود إلي حجرتى ، ويغلق علي الباب.

ثم خطر لي خاطر آخر رحت أقلبه في رأسى، وهو أن أطلب رؤية جمال عبدالناصر وأتكلم معه، فلعل صداقته القديمة للمشير، ومعرفته الشخصية بى، يكونان عوناً لي علي الفور بإزاحة الجدار الذى يفصل بينه وبين المشير، ذلك الجدار المؤلف من مراكز القوي المسيطرين علي عبد الناصر، وأصحاب مصلحة في هذا الشقاق.

وقلت لنفسي : « كيف يرضى لى أن أنام هنا، في هذا المبنى الملئ بالرجال، وهو يعرف أننى زوجة صديقه، وأن هذا التصرف يجرحه كواحد من أبناء الصعيد».

كنت أعرف أنى أهذى.. فالرجل الذى حدد إقامة أقرب الناس إليه، والذى كان يقول عنه : « لو فتحتم قلبى لوجدتم عبدالحكيم متربعاً فيه ».. هو - جمال عبدالناصر- الذي طرد شقيقه الطيار حسين عبد الناصر - وهو أقرب أشقائه إلي قلبه - من الخدمة .. هذا الرجل .. هل يهتم بمجاملتى وأنا الغريبة بالنسبة إليه ؟

غلبنى النوم في النهاية، فرحت في سبات عميق. ولا أدرى كم من الوقت نمت ، ولكنى صحوت علي صوت رجال بالحجرة، وقال لي أحدهم : « قومى ..» قلت الساعة كام رد أحدهم : « أربعة بعد الظهر ».

قلت : « أنا خبطت علي الباب كتير ، كنت عايزه أروح الحمام، لكن محدش رد علي..» إذا كانت دى زنزانة انفرادية، أرجوكم جهزوا لي جردل بجوار المكتب.

ضحك أحدهم وقال : « لا إحنا بس كنا مشغولين شوية».. كنت أنام بملابسى كاملة وكأنى في الشارع ، فلم أعد أعرف متى يفتحون علي الباب، ويدخلون، واعتدلت في جلستى ، ثم نهضت واقفة ، وأنا أشعر بإرهاق شديد.

كان الجاحظ قد أخذ مكانه وراء المكتب، وكان معهم شاب تبدو عليه الطيبة، أخرج هذا الشاب مجموعة صور من جيبه كلها لي قبل زواجي، التقطت في حفلات السفارات ، والاستقبالات. وأخذوا يعرضون على الصور ويسألون : « من هذا » « ومن الذى تسلمين عليه ». « ومن الذى يطبع قبلة علي يدك »...الخ

زاد يقينى بأنهم يبحثون عن وسيلة للتشهير بعبد الحكيم .

قلت : « للجاحظ » : الاستاذ أمين هويدي سألنى في المرة اللى فاتت وجاوبت .

تدخل « ابن الناس » قائلاً : « معلش .. ده موضوع تانى .. موضوعنا النهاردة عن الصور.. كلمينا بالتفصيل عنها، احنا عارفين إنك علي صلة بالدبلوماسيين، وإنك الوحيدة اللى بتقعد بعد انتهاء الحفلات الرسمية، وتجالسين أسرهم يعنى القعدات «الأنتيم» هل كانت لك علاقة بأحدهم ؟

قلت : « ليه تاعبين نفسكو معايا، وانتو تقدروا تبعتوا بالأكذوبة أو التشنيعة اللي أنتم عايزينها.. إلي مكان أنتم عارفينه.. وتبقي علي لسان كل المصريين في أربع وعشرين ساعة.»

قال « ابن الناس » إحنا عايزين نسمع منك أنت .

قلت لو كان لى علاقات ، ماكنتش حزت علي الثقة والاحترام داخل أسرهم، وأنت بنفسك قلت كده دلوقت .

سأل « الجاحظ » : انتي ليكى صداقة بالأمريكان ؟

قلت : « علاقتى بيهم مجرد حضور الحفلات الرسمية .. زيى زى غيري .

فجأة سألني : « امتي اتجوزتى المشير ؟ ».

ولم أرد .

قال بغضب : « أنا بأسألك ».

قلت : « وأنا جاوبت ميت مرة ».

قال : لكن عندنا اللى يثبت إنك مراته .

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة، وهم يتحدثون ، ويشربون القهوة والشاى.. ثم فجأة ، تركونى وانصرفوا ..

مواجهات

أيقظتنى من نومى هزة عنيفة ، ملأت قلبى ذعرا، وفتحت عينى، فإذا هم يدفعونها أمامهم دفعا، وتفرست فيها بعينين يغشاهما النعاس، فإذا هى الدكتورة إيزيس خليل، شقيقة اللواء عصام خليل.

جاءوا بها أمامى وأجلسوها ، وسألها أحدهم :

- هى دى اللي ولدتيها ؟

صحت قبل أن تجيب : « أنا ما اعرفهاش، ولاعمرى شفتها قبل كده».

كانت الدكتورة إيزيس ذكية، وفهمت مرادي فقالت :

- الحقيقة.. المدام اللى ولدتها كانت تشبه دي، لكن الثانية شعرها أفتح شوية... ولونها أبيض من دى .. وأسمن شوية .

وأسقط في أيديهم.. أما أنا فشعرت بالارتياح ، بنجاتى من هذا المأزق، وشكرت للدكتورة - في قرارة نفسى - حضور بديهتها ، خصوصا أنها هي التى كتبت شهادة ميلاد عمرو بيدها.

تقدم « الجاحظ » من الدكتورة أيزيس، ورمقها بنظرة صارمة وهو يقول :

- انتى مش قلتى انك تعرفيها ، وولدتيها ؟

قالت الدكتورة إيزيس:

- الموضوع ده كان من شهور .. وأنا دكتورة أولّد عشرات كل شهر.. وقلت لوشفتها احتمال إنى افتكرها.

قال « ابن الناس »: ماهى دي نفس المدام اللى انتى ولّدتيها.. بس ساعتها كانت صابغة شعرها أفتح شوية .. بصي لها كويس وانتى حتتعرفي عليها.

قلت بسرعة : « أنا قلت لحضرتك انى ما اعرفهاش .. وماشفتهاش خالص قبل كده». وأكدت إيزيس بشجاعة : « أنا كمان ما اعرفش الست دى ».

لأول مرة يأتى شخص من خارج هذا المبنى ، أرادوا أن يأتوا بها كشاهدة عليّ، ولكنها تحولت إلي شاهدة عليهم !!

اندفعت إلي الحديث مستغلة وجود هذه الشاهدة .

- انتم بتعملوا فينا إيه؟ .. إيه جريمتى دلوقت؟ .. إيه يهمكم ان كنت متجوزة مصطفي ولا عبد الحكيم .

وإيه اللى يفيدكم لو كانت الدكتورة اللي ولدتنى ولا لأ ؟.. هو الإنجاب جريمة؟

قال « ابن الناس » : لأ طبعا .. بس عايزين نعرف من مين ؟

أجبت : « قلت لك من مصطفي عامر ».

قال : « ومصطفى عامر قال انك مرات أخوه، وعمرو يبقي ابن أخوه ».

قلت : « وإيه هيه مشكلتكم ، إذا كنتم تقدروا تلزقوا أى تهمة لأى واحد ؟

ولما وجد « ابن الناس » ان الحوار أصبح غير مرغوب فيه، لوجود الدكتورة إيزيس أنهى المقابلة قائلا : « كفاية كده ».

ولكنى ثرت قائلة : « اتهمونى بأى حاجة.. ودونى السجن .. حاكمونى .. انتوا مبهدلينى ومبهدلين أمى واخواتى .. ليه.. وعاوزين منا إيه .. حرام عليكم»، وأخذت أصرخ وأبكى .

نظرت إليّ إيزيس متأثرة وقالت : « معلش يامدام.. ماتعمليش في نفسك كده ربنا موجود ».

وفي عجلة أخرجوها من أمامى، وخرجوا معها .. « وابن الناس » يبتسم فهو لم يكن راضياً عما يحدث بل يسعده من يقاومهم !!.

◆◆◆

الآلة الكاتبة

ذات يوم ، جاءوا بجليتهم كالمعتاد، وخرجوا بى من الحجرة، إلي الحجرة الواسعة، التى قابلت فيها حلمى السعيد وأمين هويدي من قبل .

وفور دخولي الحجرة، وجدت أمامى « فتوح » - خطيب أختى زهرة - يقف مرتبكا أصفر الوجه.

وكان حلمى السعيد جالسا وراء ذات المكتب ذى الأزرار، ولم يكن معه أمين هويدي هذه المرة ، وإنما رجل آخر كان طويلا أصلع . وعرفت أن اسمه نسيم .

قال حلمى السعيد موجها حديثه إلي فتوح :

- قل لنا بقي إيه حكاية الآلة الكاتبة

- مكنة إيه ؟ .. مش فاهم

وتدخلت في الحديث بسرعة :

الآلة دي جابها مصطفي وقال إنها بتاعة أخوه المشير.. وعايز يشيلها عندنا، علشان خايف لحسن الضباط يكتبوا عليها منشورات.. وأنا إديتها لفتوح يشيلها عنده ومالوش دعوة بحاجة .

تمالك فتوح أعصابه، وتصرف بذكاء قائلا :

- آه انا شيلتها.. بتاعتها وشالتها عندي

وكانت قصة هذه الآلة الكاتبة ، أن عبد الحكيم أراد أن يبعدها عن منزله، فأعطاها ليّ لأحفظها عندي، فأعطيتها لخطيب أختى زهرة ليضعها في منزله.

انتهت المقابلة فأعادونى إلي الزنزانة .

شاهد من السجن

مواجهة أخرى وضعونى فيها أمام « عبد المنعم أبو زيد » حارس استراحات المشير، الذى استغل اسم المشير عبد الحكيم عامر في ممارسة أعمال تجارية وحكم عليه بالسجن.

جاءوا به ليؤكد أننى زوجة المشير، وأمامى سألوه .

- تعرف المدام ؟

- طبعا دى حرم سيادة المشير ..

سألوه : « متأكد ؟ » .

قال : « مدام برلنتى عبد الحميد.. كنت دايما أروح الفيلا، واشتريلهم اللى محتاجينه . حتى البيت اللى في اسكندرية ، أنا اللى كنت باشرف عليه.

نظر إليّ أحدهم قائلا : « إيه رأيك بقي، تعرفي الراجل ده .

قلت : « اعرفه.. كان دايما بيجى عندنا.. وطبيعى ان المشير كان بيبعت حاجات لأخوه، وكان هو اللى بيجيبها ، إيه الغريبة في كدة ؟

قال عبد المنعم : « والله دي ست طيبة وكريمة، وعمرنا ماشفنا منها حاجة وحشة، هو فيه ايه ؟»

شاهد من الماضى

اتضح ليّ الآن ، أنهم مثلما نقبوا في أرجاء بيتى، نقبوا أيضا في أرجاء حياتى، ففى ليلة من ذات الليالي، أخرجونى من زنزانتى إلي المكتب ذى الأجهزة والأسلاك.

وفي هذه المرة ، أفلحوا في إثارة دهشتى ، إلي درجة الارتباك

وجدت أمامى « موريس » الشاب الفرنسي العاشق، الذى جاء يعرض علي نعيم الدنيا، ممثلا في الثراء والشباب والوسامة .

كان آخر ما أتوقعه ، أن يأتوا به من باريس.. وآخر ما أتوقعه أيضا ان يتكلم العربية !

ولكنه فاجأنى بآخر ما أتوقع .. كان لسانه عربيا خالصا، ويتحدث بالبلدي، حين أجاب على سؤالهم إن كان يعرفنى فأجاب :

- دى مدام برلنتى عبد الحميد..

كنت لا أزال أبحلق فيه مأخوذة ، بأن أراه ينطق بالعربية، وهو الذى أفهمنى أنه لايعرف منها حرفا واحدا.

- إيه حكايتك معها ؟

- انا رحت لها .. ومعايا واحدة كومبارس.. وعرضت عليها مصاغ وفلوس.. ولكنها رفضت وزعلت.. وطردتني.. فاعتذرت بأني لا أعرف التقاليد المصرية .

سألوه : وهل ذهبت معك إلي الفيلا ، اللي في مصر الجديدة .

قال : « ايوه .. راحت أختها معانا.. كده .. يعني حركة جدعنة ..

سألوه : « هية كانت مجندة في المخابرات ؟

قال : « لأ .. اللي أعرفه انه اتعرض عليها .. ورفضت ..

مواجهة غيابي

قد نعلم جميعا أن عذاب البدن، ليس هو أشد أنواع العذاب، ولكننا بالتأكيد لانعلم - جميعا - ماهو أشد أنواع العذاب؟

فإنزال الألم له زبانية متخصصون وحاذقون، وقادرون علي تجاهل أي صرخة ألم!!

كان السؤال الذي شغل أذهان الرجال، في مبنى المخابرات العامة، والذي حشدوا له المحققين من أرفع الرتب، والمستجوبين البارعين، والمعذبين الشرسين.

كان السؤال - كما تعرفون - هو « هل أنا زوجة عبد الحكيم عامر ؟ »

والمؤسف في الأمر - وربما المضحك أيضا - ان الجواب الصحيح علي هذا السؤال كان يعلمه جمال عبد الناصر ، وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل أنور السادات، وعدد من كبار رجال الدولة، والضباط الأحرار، مثل صلاح نصر، شمس بدران، عصام خليل، وعباس رضوان ، والأجهزة السرية المتعددة وعلي رأسها، سامي شرف، وشعراوي جمعة، وهذان أصحاب المنشورات التي وزعت في وسط المدينة، عامي ٦٤- ٦٥، عن علاقتي بعبد الحكيم عامر، ومنشور آخر، يذكر بأن برلنتي عبد الحميد حامل من زوجها عبد الحكيم عامر.

ويعلمه أيضا من قاموا بتسجيل مادار بغرفة النوم من خدم عبد الناصر، ناهيك عن قدرة جمال نفسه- بجهاز التسجيل في منزله - علي أن يسجل كل مايدور في منزل عبد الحكيم عامر.

ومع ذلك فإن الزبانية ، الذين أحاطوا بى، كى ينتزعوا منى الجواب، كانوا يفعلون ذلك بأمر جمال عبد الناصر !!

وليرغمونى علي الاعتراف- بما يعرفونه - ألقوا بي في مبنى المخابرات العامة ، مايزيد علي الشهر ونصف الشهر. وللوصول إلي غايتهم ، فقد اتخذوا من أسلوب المواجهة ، عامل ضغط عليّ، لأقول لهم إننى زوجة عبد الحكيم عامر، وقد سلف القول عن مواجهتى بالدكتورة إيزيس . ومواجهتى بموريس رجل المخابرات، الذي مثل عليّ دور الشاب الفرنسى.

وواجهونى بفتوح هزاّ، خطيب أختى زهرة.

ثم واجهونى بأختى زهرة، دون أن يأتوا بها إليّ وجها لوجه.

لم تكن زهرة تزيد علي الخامسة عشرة من عمرها، حين وقعت لها هذه القصة. كانت طفلة بريئة كل ذنبها، أنها أقامت معى لتؤنس وحدتي، في بيت الزوجية بالهرم،

وبالطبع لم أكن أعلم أن شقيقتى الصغيرة ، حبيسة الزنزانة التى بالقرب من زنزانتى. وأترك لكم زهرة لتروي قصتها . تقول زهرة:

« ذات يوم زارنا رجال من المخابرات العامة ، وكان تصرفهم هادئا وهم يقولون لىّ «سنأخذك لزيارة أختك - يقصد برلنتى - وسوف نعيدك علي الفور »

فرحت بهذا الكلام . ونهضت من فورى لأستعد للذهاب معهم، وعمت الفرحة جميع أفراد الأسرة ، وطلبوا منى إبلاغها السلام، وتطمينهم علي أحوال برلنتى.

ذهبت معهم، وأنا أكاد أطير شوقا لرؤيتى « لأبلة بيلا » ، التى أخذت من بيتنا ذات مساء.

وبعد أن ركبنا السيارة ، وضعوا عصابة فوق عينى، فأحدث هذا في نفسي أثرا سيئا.. وليته كان هو كل السوء في رحلتى، التى ذهبت فيها بكل فرح واطمئنان.

فكوا العصابة عندما وصلنا، وأخذونى إلي حجرة وأجلسونى بها، وعيناى تدوران بحثا عن « أبلة برلنتي » .. فقلت لعلهم سيأتون بها الآن .

وفجأة صلتوا ضوءا قويا علي وجهى، وبدأوا يسألوننى:

- مين اللي كان بيزور منزل المشير عند برلنتى ؟

- ما أعرفش .

- طب عمرو .. ابن المشير ولا لأ؟

- ما اعرفش

- ماتعرفيش ازاي .. انتي مش كنتي قاعدة معاها ؟

- طب بتسألوني ليه .. ماهي عندكم .. روحوا اسألوها

- هية مش برضه مرات المشير ؟

- ما اعرفش ومش حا اقول حاجة .. وما أعرفش حاجة .

كنت أسمع أصواتهم ولا أرى وجوههم، فالضوء الباهر مسلط على وجهي. وقد بدا أنهم يئسوا من هذه الطريقة، فقال أحدهم: «شكلك كده بيقول ان دماغك ناشفة .. طب إحنا حانوريكي حاجة ، عشان تعرفي حقيقة أختك اللي بتدافعي عنها».

وجاءوني بجهاز تسجيل، قالوا وهم يضعون السماعات حول أذني:

«الشريط ده فيه كلام مايصحش ان احنا نسمعه عشان كده راح نسيبك تسمعيه لوحدك».

وبعد أن رفعوا السماعات عن أذني، قالوا: «الشريط ده مسجلة أختك لعبد الحكيم .. شوفي بقى اختك شكلها إيه؟».

قالت: «اختي ماتعملش كده .. والصوت ده مش صوتها».

قال أحدهم: «انتي تاعبة نفسك ليه .. أمك جات هنا وقالت ان برلنتي مرات عبد الحكيم عامر .. وانتي مش عايزة تقولي ليه؟».

صرخت: «طب عايزين مني إيه بعد كده .. انتوا بتتكلموا وبتقولوا ايه مش فاهمة .. أنا أقدر أخلصكم منها .. أحطوني في فيشة الكهرباء وأموت».

وأخذت في الصراخ والعويل، ويبدو أنهم أخذوا تهديدي مأخذ الجد، ففتشوا حقيبتي خوفا من أن يكون بها ، أي شيء يساعد على تنفيذ وعيدي.

ثم أخذوا في تهدئتي ، قائلين: «خلاص يا ستي .. احنا آسفين .. مافيش أسئلة تاني، دلوقت تحبي تتعشى إيه ؟

وفي الواقع ، كان الجوع قد اشتد بى ، فطلبت « زبادي » بالسكر.

جاءوا بالزبادي ، وعلبة مليئة بالسكر ، ولاحظت أن السكر به شوائب صغيرة سوداء، فقلت لعله « سكر تموين » فقد اعتدنا أن يكون السكر - أحيانا - غامقا، وبه هذه الشوائب، وقد تكون بقايا شاى متناثرة فيه .

وضعوا الزبادي والسكر، وتركونى وحدي، وأغلقوا الباب، فأقبلت علي الطعام، ووضعت عدة ملاعق من السكر علي الزبادي وأكلت .

ولم يمض وقت طويل ، حتى بدأت أشعر بدوار. وبثقل فى يدي ورجلي، فقلت إنهم وضعوا لي المخدر في الطعام ، وخفت ان يفعلوا بى شيئا وأنا مخدرة.

كان علي السرير ملاءة ، فلففت نفسى بها جيدا، حتى أصبحت مثل الكرنبة، وكان معي « دبوس مشبك » كبير، شبكت به طرف الملاءة ، وقلت إن غبت عن الوعى، واستيقظت بعد ذلك، سأعرف ان كان حدث لى شيء ، أثناء غيبوبتى أم لا، من ملاحظة الدبوس .

دخلوا علي الحجرة وأنا في هذه الحال، وعاودوا أسئلتهم عن المشير، وبرلنتى، وعمرو.. وتمسكت بالإنكار.

قالوا : طب والماكينة .. كان فيه آلة كاتبة .. ياترى راحت فين.. رموها في الترعة.. واللا نقلوها عند حد ؟

قلت : « مكنة إيه ؟ .. ما اعرفش حاجة عنها ..».

في تلك اللحظة، كانت تقف علي خدي ذبابة، وشعور المخدر يتزايد فى يدي، وأشعر بعدم القدرة علي هشها قلت : « فيه دبانة واقفة علي وشى.. قد الضفدعة».

صاح أحدهم : « يانهار أسود دى مسطولة وبتفلسف !!».

زاد علي تأثير المخدر، فبدأت ألهث ، وأحسست بالاختناق ، فكفوا عن استجوابي وأحضروا طبيبا .

غادروا الحجرة جميعا ماعدا الطبيب ، الذي جلس علي طرف السرير، وبدأ في مداواتى قلت للدكتور : « عملوها ووقعوك فيها.. أنا حا أموت في إيديك ».

قال الرجل : « يانهار أسود.. دي عايزة تلبسنى تهمة ».

ولم يتركني الطبيب ، وظل ملازما لي طوال الأزمة التي استمرت حتى الصباح.

زالت الأزمة واستعدت قواي بفضل رعاية الطبيب، وتركت بمفردي قليلا . ثم فجأة فتح الباب، ورأيتهم يدخلون رجلا حافي القدمين يرتدي قميصا نصف كم، أوقفوه أمامي ، كان الرجل يبدو مرهقا، شاحبا، وعيناه تنظران إلي الأمام، وكأن لاحياة فيهما .. تفرست فيه، فتبينت أنه متولي .

سألوه : « تعرف دي ؟ ».

قال : « دي زهرة يا افندم أخت مدام برلنتي !

سألوه : « دي كانت مع أختها في بيت المشير ؟

قال : « أيوه يا افندم »

إذ ذاك التفتوا إلي : « ماقولك الآن فيما يقوله متولي ؟»

قلت : « أنا ما اعرفوش .. وإيه السجاير اللي مطفية في رجليه وايديه دي.. انتوا عذبتوه».

قالوا : « لا دي تقيحات في رجله بس »

كان أثر إطفاء السجائر في يدي متولي، وفي قدميه واضحا، وعلي ذراعيه المكشوفتين .. وكان يبدو في حالة يرثى لها، ولذا قلت صارخة : « دي سجاير مطفية في ايديه ورجليه».

قال أحدهم : « قلنا لك دي تقيحات »

ثم التفت الي متولي وسأله : « إيه اللي في رجلك يامتولي ؟»

فأجاب علي الفور : « دي تقيحات يا افندم !!»

بدأت أصرخ وأبكي وأردد : « ما اعرفش حاجة.. هية عندكم أسألوها.. أنا مش حا اقول حاجة .. ولاحاتعرفوا مني حاجة .. أنا عايزة أموت نفسي .. أنا حا أموت نفسي».

سحبوا متولي وخرجوا جميعا. وبقيت وحدي خلف الباب المغلق .

عجوز في سن الشباب

أصبحت الأفكار قاتمة ، والنفس معاندة ، وجلست أفكر فيما آل إليه حالي.. وكلما خلوت إلي نفسى - حين يتركونى - أروح أفكر في المشير ، وفي ولدي عمرو.

ثقيل علي القلب ان يتحمل حزنا، فكيف به إذا تحمل حزنا، وألما، وخوفا، لا أدري ماذا فعلوا بالمشير، ولابوالدتى ، ولا بإخوتى ، وفيما أنا في هواجس عادوا.

دخلوا علي قائلين : « ياللا يامدام.. تعالي معانا» نهضت معهم، وخرجنا وفي تصرفاتهم خشونة وجفاء.

أحسست بانقباض ، وهم يسيرون بى عبر الممر الطويل ، وفي النهاية وجدنا سلما نزلنا عليه، وفي نهايته رأيت بابا حديديا كبيرا، يفتح علي حارة ضيقة.

اتجهوا بى ناحية اليسار، وفتحوا بابا دخلوا منه ، فإذا بنا أمام بناء آخر.. ثم دخلوا ممرا طويلا مظلما.. وعند أول حجرة علي اليسار دخلنا.

كانت جدران الحجرة مليئة بالثقوب، وتوقعت ان يكون بها أجهزة تصوير وتسجيل، ثم وقعت عيناى علي شيخ مهدم جالس علي كرسى، يرتدي قميصا نظيفا، وحذاء بدون جورب.

نظر إلي الرجل، فلاحظت بقعة من الدم في قميصه ، وآثار حروق بادية في الجزء العاري من قدمه، صرخت فزعة :

- متولي .. !!

كان متولي شابا يفيض نشاطاً و صحة ، أما الآن فالوجه أصفر ميت، وعينان خابيتان منكسرتان .

واصلت صراخى.

- إيه اللى عملتوه فيه ياكفرة.. ازاى خلتوه كده ؟

كانت هذه أول مرة أفقد فيها أعصابى، فهذا الرجل المهدم أمامى ، أثار غضبي وحزنى

ويبدو أن صراخى وكلامى كان مفاجأة لهم، وهم الذين أرادوا أن يكون «متولي » مفاجأة لي، ولما كانت أجهزة التسجيل تدور، فلم يكن مستحبا أن تسجل ماقلت !!

وفيما أنا أفكر في أنهم قد يستغلون متولي ضد المشير، وفي كيفية منع هذا الاستغلال

نهض متولي ليصافحنى .

رأيته يحاول الوقوف بصعوبة، وخطا نحوي خطوة واحدة، فتبينت أنه يعرج.. واقترب منى الجاحظ مهددا: إذا صرخت مرة ثانية مش حاتخرجى من هنا إلا جثة هامدة .

قلت والغضب يعصف بى قهرا عنى :

– بعد اللى أنا شفته تهون الدنيا واللى فيها.. ولو موتونى تبقوا عملتم في معروف .. وصمتوا قليلا، وخلال صمتهم سألت متولي : « عملوا فيك إيه ؟ » نظر إلي متولي بعينين زائغتين .. ولم يرد .

صاح فيه أحدهم : « مش دي مرات المشير ؟ »

قال متولي بصوت ضعيف : « آه .. طبعا .. سيادتها مرات سيادة المشير

وسأله آخر متجوزين من امتي ؟

قال متولي : « من سنين طويلة يا افندم.. لا أذكر سنة ٦٢.. أو سنة ٦٣..

قال الجاحظ : « احكى لنا موضوع الماكينة »

قال متولي : « في يوم سيادة المشير قال لي خذ المكنة من البدروم، لاحسن حد من الضباط يكتب عليها حاجة ضد الريس.. ووديها عند المدام، وفعلا وديتها عندها في الهرم، وماعرفش عنها حاجة بعد كده»

قاطعة « الجاحظ » : « ومين كان بيكتب عليها المنشورات؟»

قال متولي : « مافيش حد كتب منشورات في البيت .. وإذا كان فيه منشورات ، تقدروا تتأكدوا ، إذا كانت حروف المكنة هي اللي في المنشورا ت والا لأ».

صاح به « الجاحظ » : مش عايز تحليل.. جاوب علي قد السؤال.

وإلي هنا تحوطوا بي، بينما تباعد الشاب الأنيق « ابن الناس » الذي كان يبدو لي أنه المتفرج الوحيد علي هذه اللعبة !!

أمطرونى بالأسئلة ، وكانت إجاباتى تساؤلات عما فعلوا بمتولي، وأردت أن أفسد التسجيل والتصوير الدائر طوال الوقت ، فأشرت إلي الدم الذى يلطخ قميص متولي: «شايفين الدم اللي علي قميصه .. شايفين التعذيب اللى علي جسمه.. ليه عملتم فيه كده ؟ »

إذ ذاك تصرفوا معى بقسوة وعنف.. سحبونى.. وجرونى إلي أعلي.. وفي الدهليز الطويل ظلوا يدفعوننى أمامهم إلي أن بلغت حجرتى.. ثم دفعونى داخلها دفعة قوية ألقت بى علي الأرض، وأغلقوا الباب.

بقيت مكانى لا أتحرك ، وأنا أقول في نفسي: « إذا كانوا عملوا كده مع أصغر رجال المشير.. أمال حايعملوا إيه في المشير ؟».

الحـــلم

نهضت متثاقلة ، وارتميت علي السرير الحديدي، والأفكار والهواجس تطن في دماغي وتذكرت قول عبد الحكيم لي : « انه مثل كلب الصيد إذا تركته، يجرى ورائي ليعقرني » .

وهاهو ذا يجري وراءنا الآن بكل قواه .. ولم يترك رجلا أو أمرأة ، قريبا أو نسيبا، فهو يطارد الجميع حتى يعقرنا جميعا.

ثم انتابنى الإعياء ، فاستغرقت في النوم ..

رأيت في منامى ، انى أنام علي سرير أبيض، ثم دخل علي عبد الحكيم في بدلة رمادية ، ويبدو عليه الحزن ،

فرحت بمقدمه ، وطلبت منه أن يجلس بجواري.. ولكنه رفض قائلا: «لأ خلينى بعيد » ومشى إلي كنبة منخفضة بجوار الحائط وجلس عليها، وقال لي : « أنا جاي من السفارة الروسية ..» قلت : « السفارة الروسية ». قال: « نعم ».

سألته : « كنت بتعمل إيه هناك ؟ » قال : « حاتعرفي كل شىء بكرة ».

وصحوت في الصباح، وأنا أشعر بحزن عميق لا أدرى سببه، وقضيت النهار قلقة، وعندما احضروا لي طعام الغداء لم أجد شهية للأكل.

وفي المساء جاءت فرقة الاستجواب، وعندما رأوني علي هذه الحال من الاكتئاب والفتور نظروا إلي بعضهم البعض ثم سألنى أحدهم : « مالك النهاردة ؟»

قلت : « مش عارفة .. بس حزينة وقلقانة ».

قال الجاحظ : « أحنا صبرنا عليكى كتير.. وآن الأوان علشان تتكلمى.. أحنا عرفنا انك مدربة علي أعمال المخابرات ، بس ده مش حايفيدك.

سألته : « مدرية ؟ .. فين ؟ »

لم يرد واسترسلت : « حا اتدرب علي إيه وليه؟.. هوه أنا كنت أتصور في يوم من الأيام انه يحصل لي كدة .. اللى بيحصل ليه دلوقت مايخطرش علي بال حد، ولو كافر ».

قال: « احنا عارفين انك زوجة المشير.. مش عايزة ليه تعترفي ؟»

أصبح الحديث معادا مملا.. ولم أعد أسمع شيئا سوى أفواه تفتح وتقفل، ولم تفلح تهديداتهم ، فقد كان الأمر بالنسبة لهم عملا، أما بالنسبة لي فهو حياة.

في هذا اليوم رفضوا صرف سجائري، وما سألتش ليه.. اما العشاء فقد أحضروالي نصف رغيف جاف وعليه قطعة جبن أكثر جفافا، ولكني تركته، فتركوني.

وكالمعتاد.. أمضيت وقتا مع الهواجس والظنون ، حتى غمرني النوم، وفي هذه الليلة أيضا رأيت عامر في المنام.

رأيتني مستلقية عي الأرض فوق مرتبة في حجرة ضيقة، ودخل علي عامر مرتديا قميصا أبيض وبنطلوناً بنياً.. ووقف عند الباب، وقال لي بصوت هامس:

« افهمي كويس اللي راح أقوله دلوقت.. فيه اتنين راح ييجوا ياخدوني، وحايكون باين عليهم انهم بيعاملوني بمنتهى الرقة.. ويطلبوا مني الخروج معاهم.. لكن ماتصدقيش تصرفاتهم .. ولما اخرج بصي ورايا وانتي حاتعرفي كل حاجة ».

وفعلا أقبل الرجلان علي المشير مرحبين به .. وتأبط كل منهما ذراعا وقالا بلطف : « اتفضل سيادتك معانا ».

نظر عامر الي بحزن، وكأنه يذكرني بما قال ، ثم خرج معهما وهما يتأبطان ذراعيه .

وقمت من مكاني لأنظر وراءه، فوجدتهم يعبرون صالة كبيرة تنتهي ببضع درجات من السلم ثم باب خارجي، وماكدت أصبح عند رأس السلم، حتى رأيتهما يجرانه جرا، ويسيئون معاملته.. نزلت السلالم عدوا، فرأيتهم يركبونه سيارة، بدأت تتحرك ، واستدارت ناحية اليسارثم اليمين .

ثم رأيت العربة تقف أمام فيلا قديمة، مكونة من دور واحد. وحولها سور .. ثم رأيت الرجلين يدفعانه إلي داخل المبنى ، وبعد أن غابوا أمام عيني وقفت أنظر.. وماهي الا لحظات حتى دوي صوت انفجار.. ورأيت دخانا، ونارا ينبعثان من هذا المبنى.

رائحة الموت

استيقظت في الصباح ، وأطياف الرؤيا عالقة بخيالى ، وحزنها يملأ قلبى ، عيناى تسكبان الدموع رغما عنى ، لم أكن أشعر أنى أبكى ، برغم الدموع المنهمرة بغزارة علي خدى .

ودخل الحجرة ، فريق الاستجواب ، وما كادت عيونهم تقع علي وأنا في هذه الحالة ، حتى وقفوا صامتين ، وعلامات الاستغراب علي وجوههم .

وكان أول من تكلم «ابن الناس» الذي سألنى : «بتعيطى ليه .. دى أول مرة نشوفك بتعيطى .. فيه إيه ؟».

قلت : «أنا مش بعيط .. لكن مش عارفة دموعى بتنزل .

نظروا إلي بعضهم صامتين . ثم التفت واحد منهم إلي جانب السرير ، حيث كان يوضع جهاز راديو ، ولكن واحد منهم كان انتزعه منذ يومين .

قال : «ابن الناس» : «فيه حد قالك حاجة؟» .

قلت : «الباب مقفول بالمفتاح .. ومش باشوف حد غيركم .. يبقى مين حا يقول لى ... وحا يقول لى إيه ؟ » .

قال الجاحظ : «عشان كده بنسأل .. أنت بتعيطى ليه ؟» .

قلت : «مش عارفة .. بس حاسة بحزن شديد .. مش عارفة ليه .. لم يبتسم هذه المرة علي غير عادته – ثم نظروا إلي بعضهم البعض في حيرة .. وغادروا الحجرة صامتين .

وبعد دقائق دخلت الحجرة امرأتان ، كل منهما ترتدى بنطلونا وبلوزة .. وجلسا معى في الحجرة .

طلبت الذهاب إلي الحمام ، فأخذانى إليها . وهناك عرضت علي إحداهما أن آخذ دشا

، فرحبت بالفكرة ، وما كدت أعطى الموافقة ، حتي امتدت أيديهما لتخلعا عني الثياب بطريقة مقززة ، .. وأصابعها تندس إلي أجزاء من جسمى ، تتحسس ، وتتلصص ، وتبحث ، فصرخت فيهما ، وهممت بالانصراف ، فصاحت إحداهن : «استنى» . وتقدمتنى الأخرى لتغلق الأبواب التي نمر بها في الممر الطويل .

وتغيرت معاملتهما معى ، ومالتا إلي العنف والقسوة ، فكرهت وجودها . سألت :

- أنتم جايبينكم معايا ليه ؟

قالت إحداهن : «علشان نونسك ونساعدك..»

قلت : «لكن أنا مش محتاجة مساعدة».

ردت الأخرى : «حانقعد معاكى .. عايزة وللامش عايزة ، حانقعد معاكى .

أدركت أنهما جاءتا لمراقبتى داخل الحجرة .. فلم يتركانى أغيب عن أعينهم ، وأن خرجت إحداهما بقيت الأخرى .. وأصرتا علي أن يظل مصباح النور مضاء حتى الصباح !!

وفى الصباح اختفت المرأتان .. وجاءنى الأربعة بكراسيهم ، وألقوا أمامى بنسختين من جريدتى الأهرام، والأخبار .. وأخذ عينى المانشيت الكبير «انتحار المشير» .

ولاشك أن رد فعلى ، لم يخطر لهم علي بال قط .. فإن نوبة من الضحك تملكتنى .. وتزايدت وأنا أرى رد فعلهم ، فانطلقت أضحك .. وأضحك .. وأضحك .

كان «ابن الناس» يبتسم .. وقد تعود أن يبتسم خلسة ، كلما فشلت هجمة من هجماتهم!!

قالوا مستغربين : «انتى بتضحكى لأنه مات؟».

ولم يعرفوا في الواقع سر ضحكى ، فقد ألقى الله فى روعى ، أن هذه الجريدة مزورة .. وأنهم صنعوها خصيصا لى ، لإقناعى بأن المشير مات ، فينتابنى اليأس ، وأعترف لهم بكل ما يريدون .

ولم يأتى هذا الخاطر من فراغ ، فقد حدث أن كان جلال هريدى - قائد الصاعقة - فى سوريا مقبوضا عليه بعد الانفصال ، فقد أرسل جمال عبد الناصر فرقة صاعقة بقيادة جلال هريدى ، للاستيلاء علي مدينة حلب ، وبعد وصول الفرقة ، أمره جمال عبد الناصر بتسليم نفسه ومن معه ، فقبضوا عليه ووضعوه في سجن «المزة» . وعذبوه تعذيبا شديداً ،

ولكنه لم يتكلم ، .. فطبعوا له جريدة بها أخبار عن وقوع انقلاب في مصر ، وعن مقتل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وإزاء هذه الأخبار ، تكلم جلال هريدى ، وسجلوا له شريطا أذيع بالتليفزيون السورى ، وفيه نقد مرير لجمال عبد الناصر ، ولما سألوه عن عبد الحكيم عامر ، شكره وقال : «كان رجل طيب وجدع .. الله يرحمه» ..

ولما عاد جلال هريدى – بعد حرب سنة ٦٧ وهو يظن انهم سيستقبلونه استقبال الأبطال في مصر ، وجد أمرا بالقبض عليه واعتقاله .

لذا فقد ظننت أنهم يلعبون معى نفس اللعبة الآن .. فكان هذا سر انخراطى في الضحك .

قال «الجاحظ» وهو ينظر إلي كمن ينظر إلي مخلوق عجيب : «انتى انسانة غريبة قوى .. ما عندكيش قلب !!» .

قلت : «إذا كان مات ... فهو مش أكثر من أخو جوزى .. وأحزن عليه طبعا باعتباره مصريا ، وكان بيشارك في حكم مصر» .

تقدم «ابن الناس» منى وقال : «احنا عايزين مصلحتك .. مش حاتقدرى تخدى معاش ليكى .. ولا معاش لابنك .. وراح يضيع حقك بالطريقة دى .. وهو مات وانتهى، والحى أبقى من الميت .. فكرى في مصلحة ابنك .. احنا نقدر نخليكى تخدى كل اللى يناسب زوجة المشير .. فيلا تعيشى فيها .. وعربية بالسواق .. وحرس .. كله علي حساب الدولة .. وده حقك الدستورى .

وكان جوابى مزيجا من الضحك .. وقد أحسست فعلا بذهولهم .. ثم تركونى ، وعقلى يرفض فكرة موت المشير .

نزهة حول مبنى المخابرات

في مساء هذا اليوم ، جاء «ابن الناس» وقد بدت عليه الطيبة والوداعة . وقال برفق : «اعتقد أنك محتاجة تغيير .. تعالى نطلع من الأوضة دى ونتمشى شوية برة .. وفعلا خرجنا».

وجدت الباب الحديدى مفتوحا عن آخره ، ووجدت المبنى محاطاً بسور كبير ، يطل علي حارة .

في هذه الحارة أخذنا نتريض ذهابا وجيئة .

بدأ الحديث معى بقوله : «احنا وحدنا دلوقت .. وأنا عايز مصلحتك علشان تخرجى من هنا بسرعة .. ودى آخر فرصة لية علشان أنقذك من الجو ده .. دول وحوش .. ويقدروا يعملوا أى حاجة ، وانتى دلوقت وحدك .. ولا حد عارف عنك حاجة ، .. ولا انتي فين .. وانتي عارفة ما فيش أسهل من تأليف حكاية عنك في خبر كان .. ونقدر نخلى الرأى يلعنك .. مثلا حكايات تمس شرفك .. عشان كده عايزك تتصرفى بذكاء المرة دى . ونتكلم بصراحة في كل شئ ، عشان أقدر أنقذك من الوحوش دول .

سألته : «عايز إيه؟» .

قال : «احنا عارفين كويس انك مرات المشير ، ومعنا ورق من حسن ومصطفى أخوة المشير انك مرات أخوهم ، وقالوا أن عمرو يبقى ابن أخوهم المشير ، ودلوقت بما انك مراته ، عايزين نعرف منك مين كان بيزوره ، أو يكلمه ، وتحركاته بعد الحرب ، وآراءه عن الحرب ، وأى كلام قاله عن الهزيمة .

قلت : «قلت لحضرتك أنى ما اعرفش المشير».

قال : «دى آخر مرة حاتشوفينى فيها .. ودورى انتهى لغاية كدة ...

استجواب بالكرباج

انتهت الفسحة .. عاد بى «ابن الناس» إلي زنزانتى . وتركنى فيها ، ويبدو أنهم كانوا في انتظار عودتى من مرحلة «الدحلبة» ، فما هى إلا دقائق ، حتى فتح الباب ، ودخل «الجاحظ» . وأخذنى إلي الدور الأرضى .. وجدت نفسي داخل الحجرة ، ذات الثقوب في حوائطها ، لتسجل الصوت والصورة .

لاحظت تغييراً في طباع الجاحظ ، فبدا قاسياً ، فظاً ، يتصرف معى بوقاحة !!

وقال بلهجة نابية : «مش راح تطلعى من هنا أبداً .. عندنا أوامر .. ياالحنا يا انتى .. تذكرت قول المشير : «السياسة لعبة قذرة .. وأنا لا أصلح لها» . فعلاً أنها لعبة قذرة .. وأحسست بالهوان ، فهان علي كل شئ ، وتمنيت الموت فراراً من هذا الأصلع تلميذ أجهزة عبد الناصر فقد كان صلاح نصر راقضا أثر ذبحه صدريه لا يستطيع الحركة .

أمسك «الجاحظ» كرباجاً بيده ، وأمسك بى اثنان .. وضعا يدى فوق رأسى .. وانهال الكرباج يمزق جسدى ، و... أفقت، فوجدت نفسى مرتمية على الأرض بنفس الحجرة، ونظرت بصعوبة فوقعت عيناى على وجه لم أره من قبل، كان يتكلم، وكنت اسمعه بصعوبة .. قال : «احنا عندنا أوامر ، ياالحنا يا انتى .. حاتفضلى تتضربى كل ساعتين ... يعنى يا تموتى .. يا تتكلمى مافيش ثالث».

وعاود ضربى بالكرباج، حتى فقدت الوعى مرة أخرى .. وعندما أفقت قال الجاحظ :

– « أكلك من النهاردة حا يكون عيش حاف وميّة، ومش حاتدوقى سيجارة، ومش حا تخرجى من هنا أبداً .. كل يوم حا يكون فيه نظام جديد .. وحا تتمنى في يوم من الأيام. إنهه يدوكى العيش الحاف .. ياالحنا يا انتى ...»

نفس عبارة « الجاحظ» .. لقد أعطوه الضوء الأخضر، وأصبحت أيامى معدودة .. وكم اتمنى الموت .

ومكثت في هذه الحجرة المفزعة، دون أن أدرى كم من الوقت قد مر على . وكلما أفقت بعد نوبة جلد، أجد طبيباً يضمد جراحى.

نظرت إلي « الجاحظ» وقلت : « عايزة أشوف الراجل اللى كان بيتمشى معايا .. »

سألنى : « عايزاه فى ايه ؟ »

قلت : « حا اتكلم معاه ... »

قال : « لما نشوف آخرتها معاكى ... يا احنا يا انتى ».

وبالفعل جاء « ابن الناس» واشترطت أن يكون الحديث بينى وبينه على حدة وقال أنا مش قلتلك، ونصحتك ...»

قلت له : « إذا كنت ما اتكلمتش ... فده مش بس عشان أحمى المشير، لكن عشان كمان أحمى عبد الناصر».

باغته قولى .. فسألنى بسرعة : « انتى تعرف الريس؟»

قلت : « ما أقدرش أجاوب .. لكن المفروض ان واحدة زيى، حصل لها كل ده، من غير ما تتكلم، يبقى مش حاتتكلم .. في أى ظرف حتى لو هددوا حياتى وحياة ابنى الرضيع ».

تساءل : « وليه ما تتكلميش».

كنت أشعر أنه يحمل ميكروفوناً فى جيبه، يرسل إلى أجهزة التسجيل في المبنى .. فقلت فى نفسى، لعل هذا التسجيل يرسل ما أريد قوله للرئيس عبد الناصر، فقلت :

– الحقيقة إن البكرة مكبلة جداً .. والخيوط داخلة فى بعضها، وإذا بدأت أفكها... حاتتفك كل الخيوط ... وعدم فك البكرة راح يفيد كل الأطراف.

نظر إلى مبتسماً وقال : « مصيبة لو كنتى تعرفي الريس ونطلع مش فاهمين حاجة »..

قلت : « مش لوحدك»

قال : « وازاى أفهم».

قلت : « من مصلحتك انك ما تفهمش .. وإلا راح تبقى مكانى .. وانتهت المقابلة.

ومكثت تشغلني آلام بدنى عن كل شيء. حتى صرت لا أدرى أأنا فى يقظة أم نعاس فما كان فى جسمى موضع أستطيع أن أميل عليه .. فكنت أنام ولا أنام، وبين الحين والحين يومض فى رأسى « ابن الناس» ورسالتى لجمال عبد الناصر، وأعيش بين الخوف والرجاء .. فلعلها تأتى بنتيجة، ويفرج عنى، ولعلها .. تدفعهم إلى قتلى . وما كان علّى سوى الانتظار المليء بمشاعر الألم.

وبعد يوم تقريباً، جاءوا قادمين فى عجالة واهتمام، ورفعونى من فوق الأرض بعناية .. وأجلسونى على كرسى، وبدأوا في تقديم أفخر الطعام والسجائر، ولم أعد قادرة على فهم ، لماذا فعلوا بى ما فعلوا؟ .. ولا لماذا يفعلون ما يفعلون الآن؟!!

❖❖❖

فجأة أصبحوا فى منتهى الرقة والدماثة .. فركبنى الخوف. إن الإنسان فى هذا المكان يخاف البسمة، كما يخاف العبوس، يخاف الرقة، كما يخاف القسوة، فهم يعودونك على أن تتوجس شراً من كل شيء.

وسألتهم : « انتوا عايزين ايه ؟».

فقال أحدهم : « إحنا مش عاوزين منك حاجة .. موضوعك عند الريس ..

إذن فقد جاءهم الأمر برفع أيديهم عنى ، وحملونى حملاً إلى حجرتى الضيقة بالدور الأول، فلم أكن أستطيع السير ... وأحضروا لى طبيباً قدم لى عقاقير لا أعرفها، وضمد جراحى .

ولم أدرِ أمرت أيام أم ساعات حتي تمكنت من السير، ولم تعد تطالعنى منهم سوى وجوه باشة ودودة !!

وعجبت .. كأنى فى وسط فريق تمثيل، يؤدى أفراده أدواراً مختلفة .. ولم أطمئن!!

وفى أحد الأيام، بعد أن زارونى زيارة ودية – خرجوا وتركوا الباب مفتوحاً.

ورأيت من فتحة الباب الشاب الصغير، الذى سبق وأعطانى اشارة بمعنى أن شخصية هامة ستأتى .. وأعطانى الشاب إشارات هذه المرة بهذا المعنى.

ولم يمض وقت طويل حتى ساد الهرج والمرج، في الممر الذى به حجرتى، ودبت في المبنى حركة نشطة، من كنس وتنظيف، ونقل موبيليا، وأبواب تقفل وتفتح .. ثم جاء من أغلق الحجرة بالمفتاح .

وفى حجرتى، كانت تصلنى أصوات الأقدام المهرولة ذهاباً وإياباً فى الممر الضيق.

بعد ساعات حضر « ابن الناس» ومعه شاب طويل أسمر اللون أصلع، ثم أخذانى إلى الحجرة الفسيحة ذات الأسلاك، ويبدو أنها حجرة رئيس هذا المبنى، ومنها إلى حجرة صغيرة ملحقة بالمكتب.

وجدت شخصاً يجلس إلي مائدة مستديرة .. وكان أمامه كرسي شاغر ، طلبوا منى الجلوس عليه .

جسلت أنظر إليه صامتة .. إلى أن عرفني بنفسه : «أنا سامى شرف !!».

وانتظرت - كان الرجل الأبيض السمين الجالس أمامى ، يتحرك فوق الكرسي كثيراً ، منتشيا بحالة من التيه ، والعجرفة ، والتحدي ، وأخذ يهز جذعه بحركة رتيبة وهو يقول : «أنا كنت ما أقدرش أدخل المبنى ده .. دلوقت خلاص المبنى رجع لنا .. وأبو رقبة طويلة - يقصد شمس بدران - بقى تحت أيدى .. والدم حا يبقى للركب .. حكاية ثورة بيضة دى خلاص انتهت ..».

وتذكرت قول المشير : «حيخربوا البلد ..» وخيل إلي أنى أشم رائحة عفنة . واسترسل سامي شرف ، وهو يتيه عجباً علي كرسيه : «أنا كنت عنده النهارده .. وقلت له يبطل فترحة .. خلاص عليه ... ورقبته الطويلة دى .. حا أكسرها .. لأ .. دأنا حا أمحيها خالص .. هاها هاها »...

وضحك سامي شرف بقوة ، وإن كنت لم أر أين النكتة فيما قال :

ثم أكمل حديثه : «وأنا حا أخلى رقبته الطويلة .. تبقى قد السمسمة ».

واهتز جذلانا وهو يضحك ثم قال : «ولا قدر يرد عليّ .. وأنا ماكنتش عارف أكلمه .. وكل ما أكلمه يقفل السكة في وشى .. أهو دلوقت ما عندوش تليفون في السجن يقفله في وشى ».

ثم أرسل ضحكات الشماتة، وهو يرمقنى بعينيه، ولعله كان يريد منى أن أشاركه الضحك علي مايظنه فكاهة.

ثم قال: « الريس مبسوط منك.. وبيقولك نجحت في الامتحان. وبيطمنك انت وابنك عمرو في حمايته، وأنا معايا جواب من الريس ».

وأخرج من شنطة « سامسونايت » خطاباً في حجم « الفولوسكاب» مكون من ورقتين

وأعطاهما لي، بينما هو مستمر في كلامه :

« دى أسئلة من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً علشان تجاوبي عليها».

من جمال عبد الناصر إلي السيدة برلنتي عبد الحميد..

كانت الورقة بخط جمال عبد الناصر..

بدأ ناصر خطابه بطمأنتى بأنى سأكون في أمان مهما قلت - أنا وابنى عمرو- ومهما كان فيه من جرائم، وأن الأمر سيكون سراً لايعلم به أحد، وأن مع سامى شرف ظرفاً به ورق وأستطيع أن أكتب في الورق ما أشاء، وأضعه في الظرف - يريد أن يتأكد من حسن نيتى تجاهه. وذلك بالإجابة الصريحة على أسئلته.

ومما جاء فيها أيضاً: « أنت لاتعلمين أن الجيش يغلي مثل البركان.. وأنت يهمك بلدك.. وهناك خطورة علي البلد.. لا أعرف الضربة من أين تأتى ؟ .. وأى معلومة عندك ستفيدنا، وتساعد علي تكملة الصورة لدينا، أو تكون خيطاً يوصلنا إلي مايفيدنا- وأنا أعرف أن حكيم بيتكلم معك في كل شيء، واعتبري هذا صكاً منى بالأمان لك ولعمرو الذى اعتبره كإبنى تماماً.

ثم أشار إلي استطاعتى العيش في الخارج، وأن يوضع لى في أى وقت اختاره مبلغ يكفينى، ويغنينى طول حياتى .

أسئلة عبد الناصر

وكانت الأسئلة تدور حول رأى عبد الحكيم عامر في علاج الهزيمة، لأنه قال له - أى « لجمال - أنه من الممكن علاج ذلك، ويريد هذا الرأى بشكل تفصيلى ، لأن عامر قال: « أنها مشكلة يمكن حلها ، وهو - أى ناصر - يتساءل كيف ؟

ثم ماذا يقول عامر عن ناصر أثناء حديثه معى، وهل كان عامر يسمى ناصر اسما وصفياً ؟

وماهو موقف صلاح نصر من بعد الهزيمة.. وآراؤه وأقواله بالنسبة لعبد الناصر؟ وكذلك موقف عباس رضوان بالنسبة لجمال عبد الناصر؟.. وعصام خليل وهل كان يزور حكيم كثيراً بعد الهزيمة ؟.. وماذا قالوا في جلساتهم معى في بيتى بالهرم؟

وأثناء استغراقى في القراءة ، كان سامي شرف قلقاً يتحرك في أرجاء الحجرة، ثم يجلس علي كرسيه، ثم ينهض مرة أخرى ليسير في الحجرة حولي. ثم فاجأنى بسؤال عجيب :

- سيادة المشير كان رأيه إيه فى الروس.. وهل تحدث عن شيء بالنسبة لهم؟

ولم ينتظر إجابتى فاستطرد: إحنا عارفين أن سيادة المشير بيكره الروس.. لكن كان بيقول إيه عنهم ؟

نظرت إليه وقلت : « المشير واضح .. وبيقول رأيه للريس بصراحة.. وضرورى إنك عارف خطبه في الجيش، اللى قال فيها «شيوعى عميل.. أمريكى عميل - إحنا مصريين». يعنى كان رأيه بيعلنه في كل مناسبة رسمية وغير رسمية.

قال : « آه .. احنا عارفين ده.. لكن سيادته مقالش كلام عن أحداث.. أو مقابلات- يعني أى تفاصيل - خاصة بالروس ؟.

وأطرقت برأسى ناظرة إلي خطاب الرئيس . أتابع قراءة الاسئلة، كان الخطاب يتضمن

أسئلة عن قواد الجيش الذين كلموا المشير وزاروه ، وعما كانوا يقولون، وماهى اسماؤهم ؟

وأين كان يذهب عبد الحكيم في الشهور الأخيرة.. ومع من كان يتقابل؟

ثم سؤال عن الآلة الكاتبة ، وأين خبئت ؟

وبعد أن انتهيت من قراءة الخطاب، سألت سامى شرف : « لم يرسل معك الرئيس ظرفاً؟»

قال : « هذا الظرف » وناولنى الظرف، الذى فتحته، فوجدت به ورقتين فارغتين بحجم الفلوسكاب .. وبدأت في الكتابة :

من برلنتى عبد الحميد إلي جمال عبد الناصر .

وأوضح هنا للقارىء، أنى بدأت الخطاب بهذا الاستهلال، ظناً منى أن هذا هو الشكل المناسب في المخاطبات الرسمية.. مثلما قرأت في خطاب عبد الناصر. وحتى لاأقع في خطأ لايتفق مع « البروتوكول» . وأدرك الآن كم كنت ساذجة!!

وقبل أن أمضى في الكتابة، فكرت أن موضوع « الآلة الكاتبة » لن يضر أحداً .. ورأيت أن أشغل به الصفحات ، ولأكسب وقتاً للتفكير - المهم شرحت قصة الآلة الكاتبة ، وكيف أن متولي أحضرها في صندوق من الكارتون، حتى لايستعملها الضباط المقيمون في منزل عبد الحكيم عامر بالجيزة لعمل نسخ من استقاله المشيرفى ٦٢، حتى يمكن تضييق الخلاف بينه وبين ناصر ، وعندما وصلتنى أعطيتها لخطيب أختي ليدفنها في إحدي القري، وأنا مستعدة لإحضارها بنفسى، لإثبات حسن نيتى، وليتأكد الرئيس من أنها لم تستعمل ضده، وكنت متأكدة من ذلك ، وظهر فعلاً صدق قولي في التحقيقات.

وقلت بشكل عام: « أن الجميع يحبون الرئيس، ويتناولون سيرته بالحسنى»

أما عن سؤاله عن رأي عامر في الهزيمة، وكيف تحل مشكلتها ، فأنا لا أعرفه.

أما الأشرطة التى سجل عليها أسباب الهزيمة، فإنى لم أسمع عنها قط .

وختمت خطابى بأن ناصر لن يجد شخصاً وفياً يثق فيه، ولايطعنه من الخلف مثل عامر، وأنه فعلاً يحبه ويحترمه. ويقف ضد أى إنسان يحاول مجرد الإساءة إلي ناصر . ورجوته ألا يسمح لأحد أن يتدخل بينهما .

طويت الورقتين ، ووضعتهما في الظرف ، وأغلقته .. وقلت لسامى شرف : « بلغ الرئيس أنى مش عايزة حاجة .. ولكن لي طلب واحد فقط.. هو أن أري عامر».

قتلوا عامر:

حين نطقت اسمه ، فاضت نفسى لوعة وحزناً، وغلب عليّ شعور بالاختناق، واسترسلت متوسلة إليه. « أرجوك .. عايزة أشوفه، مش عايزة أى حاجة، غير أنى أشوفه واطمئن عليه».

ويبدو أن سامى شرف تأثر بحالتى ، فتهدج صوته وهو يقول : « مانقدرش لأنه عيان ».

قلت : « أذهب معك إلي أى مكان يكون فيه ، وبعدها رجعونى تانى ».

قال : « الحقيقة هو حصلت له حادثة ».

فرت الدموع من عينى ، وأنا أقول « حادثة .. ازاى ».

قال متلجلجاً : « كنا بننقله .. من مكان لمكان .. وجت فيه رصاصة ».

هببت واقفة وأنا أبكى ، وقلت مستعطفة : « حصلت له حاجة ؟».

أرجوك كلمنى بصراحة.

قال : « لا .. الرصاصة جت في دراعه بس .. وهو بيتعالج ».

سألته : « فين ؟ ».

قال سامى شرف : « في مكان سرى .. مانقدريش تدخليه ..»

سألته : « وحالته خطرة ؟ ».

قال محاولاً أن يقربنى من الكارثة، ويعدنى للخبر الرهيب :

« هو حالته تعبانه قوي.. مش معروف حايعيش والا لأ ».

ركعت علي قدميه مستعطفة : « أبوس رجلك . ودينى له ..»

ولما ازداد ضغطى عليه قال : « أنا عايز أعصابك تكون جامدة.. وتتحملي اللى راح

أقوله».

قلت : « عايزة الحقيقة ».

بعد تردد أدار وجهه وقال : « هو انتحر !!».

وكأن انفجاراً وقع في دماغى ، فصرخت بلا وعى: « قتلوه، المشير ماينتحرش ، دا مؤمن بالله .. عامر مايموتش كافر .. »

وكأن صراخى شفرة سرية معناها: « زلزال !!».

في غمضة عين تبدلت الدنيا، وساد الظلام.

دارت بى الأرض، ودارت الغرفة، ووجدتنى اتخبط وسط أجسام بشرية تتزاحم حولي .. وكأنى نقلت - بلمسة شطيانية - إلي خلاط الأسمنت والزلط.. يدور بي ويدور، وأنا اتصادم مع حجارته واتقلفص وأتألم ، وصراخى ينطلق من داخلي فيدوي صداه برأسي ، وصدرى وكل جوارحى: « قتلوك ياعامر.. قتلوك ياعامر..» والبرق يخطف بصرى.. أين أنا، من هؤلاء الناس ، ومتى ينزلون بي ضربتهم القاتلة، أتكون طعنة في الظلام ، أم رصاصة معدة بيد أحدهم.. أم ترانى أموت خنقاً؟!!

أحاطت بي أذرع تشدنى إلي الخلف، فامتلأت خوفاً، وامتلأت قوة .. فرحت أتقافز بينهم، وأتملص من أيديهم الممسكة بي تسحبنى.. وصراخى يكاد يحطم الجدران الصماء، وهم يسحبونى.. ويسحبونى ، والبرق يومض في المكان ، وهم يسحبوننى ، وعلي وميضه تبينت أريكة بجوار الحائط، وأحسست وكأن صراخى أصابهم بالجنون، « قتلوك ياعامر.. قتلوك ياعامر ..»

كنت أصرخ ولا أستقر علي وضع، وأحسست انهم يريدون أن يفعلوا شيئاً، ولكن حركتى الدائبة، كانت تحول بينهم وبين مايريدون ، وعلي وميض البرق رأيت أجساماً في ثياب بيضاء.. وكأنى فى مشهد رعب، في بيت الأشباح ، وصراخي الملتاع يدوي، ويدوي « قتلوك ياعامر .. ».

والجنون من حولي يتزايد ، والظلام يغرق كل شيء، حتى السواعد التى تمسك بي، لا أرى وجوهاً، وكأنى في كابوس يملؤنى رعباً وحزناً وغضباً.

أصبحت في كرب شديد، ومن وسط الظلام، امتدت يد حانية، أعادتنى لمستها إلي

الصواب - وبارك الله في صاحب هذه اليد العطوف - يد أمسكت يدي وراحت تضغط عليها، بانتظام المرة تلو المرة، وكأن صاحبها يقول لي « خدي بالك.. خدي بالك».

أفقت .. وأدركت انى كنت متجهة إلي الموت، وهذه اللمسات المحذرة، نبهتنى .. فغيرت اتجاهي .

لم أكف عن الصراخ، فما كنت قادرة علي الصمت. وواصلت : « لازم حد قتله.. مش معقول الريس يكون عارف ؟ .. ده أكتر واحد بيحب الريس، واكتر واحد يخاف عليه.. وهو اللى كان حاميه، قولوا للريس من النهاردة ماينامش، إلا وتحت مخدته مسدس.. ده الوحيد اللى ماكنش يخون ..».

لا أدري كم عاماً أنفقتها خلال هذه الثوانى.. كل ثانية دهر من العذاب والفزع.

ويبدو أن عباراتى الأخيرة جاءتنى بالإفراج.. فإذا بكل شيء يسكن فجأة ويضاء النور، واختفي سامى شرف، وأدركت أن الخطر علي حياتي قد زال، وأخذنى «ابن الناس» إلي حجرتى ، وأنا أمشى معه بصعوبة شديدة.

وأغلق باب الحجرة عليَّ وعلي المرأتين الملازمتين لي، واللتين تلقيتانى فور دخولى الحجرة، وحملتانى إلي السرير الحديدى، حيث رقدت شبه ميتة، أو جثة لادليل علي الحياة فيها سوي أنفاس تصعد وتهبط.

وفي مرقدي الخشن، غمرتى الذكرى.. ورفض عقلى أن يصدق أن المشير انتحر.. وذاكرتى تعيد عليَّ بعض أقوال المشير وتلميحاته إلي احتمال قتله. والرؤيا التى رأيتها وقوله لي « انظرى خلفى.. وستعرفين كل شيء ».

لم أصدق أبداً، رغم الضرب، والإرهاب ، والإغراء، ان المشير انتحر !!

ولكن عقلي الرافض بدأ يتجه بى وجهة أخري، وتبنى فكرة أن المشير لم يمت، وإنما هو مسافر إلي « يوغوسلافيا» - كما عرض عليه عبد الناصر، وقرر البقاء هناك حتى تستقر الأمور.. وان اتفاقاً بينه وبين جمال قد تم علي ذلك، وأن إطلاقه إشاعة انتحاره، إنما هى للتمويه.. حتى يتم القضاء علي القلائل داخل الجيش، فيدعوه جمال للخروج من مخبئه.. وسيعود، فهو علي قيد الحياة.

وتمسك عقلي بهذه الفكرة، فرحت أقلبها، وأستحسنها، وأقتنع بها.. بل ورأيتها معقولة للغاية.. فعشت بها، وارتاحت نفسى رغم آلام البدن، وخشونة الفراش.

مكثت أياماً حتى تماثلت للشفاء، وكانوا خلالها يحسنون معاملتى، فقدموا لي الطعام والسجائر، مما أكد لي صدق ظنونى في بقاء المشير علي قيد الحياة.

ما أعجب الإنسان، هؤلاء الزبانية، تحولوا إلي مواطنين مجاملين.. والحديث بينى وبينهم يجري بلطف وسهولة، مادام قد توقف الاستجواب.

بل إن باب الزنزانة ترك مفتوحاً ، بلا أقفال، أو متاريس ، وأصبح في إمكان أختى زهرة أن تزورنى، وفي إمكانى أن أزورها في حجرتها.. ووجدنا- أنا وهى - في هذه الزيارات تسرية عن النفس، وفي أول مرة جاءت فيها إليَّ، حكت لى عن قصة المخدر الذى وضعوه لها في السكر مع الزبادي، وعما فعلته من لف نفسها بملاءة السرير لفاً محكماً.. وضحكنا كثيراً من هذه القصة. وسألتنى « زهرة »:

- صحيح أبيه مات ؟

كانت تقصد المشير.. فأجبتها وأنا أتخذ سمة العارفين ببواطن الأمور : «لا.. جمال سفره يوغوسلافيا.. وطلعوا إشاعة أنه مات لغاية الأحوال ماتهدأ في الجيش.. وراح يرجع تانى.

قالت بفرح : « يعني مامتش يا أبلة ؟ »

قلت : « لاياحبيبتى .. دي خطة عاملها هو وجمال.. وأنا كنت عارفة الحكاية دي من الأول ».

وهكذا عشنا أياماً في مبني المخابرات العامة، في هدوء بلا تعذيب ، ولا استجواب، بل وتلقينا فيها معاملة طيبة .

عبد الناصر علي التليفون :

وذات مساء قرب منتصف الليل، رأيت الجاحظ واقفاً أمامي باحترام شديد وهو يقول : « تليفون ياافندم» ورافقته إلي المكتب حتي جاءت المكالمة. وضعت السماعة علي أذني ، فإذا بي أسمع صوت جمال عبد الناصر :

- ازيك يابرلنتى .. عاملة إيه ؟

ودهشت من هذا السؤال، فهو يعلم أين أنا، وماذا حدث لي « حا أكون عاملة إيه؟».

رددت عليه بقولي : « الحمد لله ».

قال جمال : « مبروك .. نجحت في الامتحان.. انت حاتروحى خلاص. لكن حا أحدد إقامتك ». يعنى مافيش خروج ولادخول ، مافيش زيارات، أنا ماشى فوق رمال متحركة، ومش ناقص دوشة ، مش عايز أى مخالفة لتعليماتى ، وزى ماكتى ماشية بالضبط تمشى، مش عايز أسمع كلام عنك. مافيش شغل طبعاً».

قلت : « لكن ياريس حضرتك عارف.. انى مسئولة عن أمى واخواتى. ده غير عمرو وإذا ماشتغلتش حايعيشوا ازاى ؟».

قال : « أنا عارف.. وحا أعمل حساب انك ماتحتاجيش حاجة انت وعمرو، ده زى ابنى».

قلت : « اللى تشوفه حضرتك .. بس أنا لى رجاء ».

(صمت) ، فقلت : « عايزة أعرف.. عامر مات.. واللا سافر يوغوسلافيا؟».

قال : « انت شايفة ايه ؟».

قلت : « شايفة ان سيادتك سفرته يوغوسلافيا ، لغاية الحال مايهدأ وترجعه تانى».

قال: «كويس » ثم ضحك قائلا: «مش وقته.. بعدين حاتعرفي» وانتهت المكالمة.

بعد هذه المكالمة ، وفي الصباح ، أخذونى وأختى زهرة إلي « إدارة المباحث العامة» في لاظوغلي، ومكثنا هناك ساعتين لإتمام بعض الإجراءات ، ثم حملونا في سيارة إلي منزلي بالعجوزة، وخيرونى بين الإقامة في شقتى قبل الزواج أم في الهرم، فاخترت الإقامة في العجوزة، لأنها آهلة بالسكان.

من السجن إلي السجن !!

نزلنا من العربة علي بعد أمتار من العمارة التي أقطن فيها، وأكملنا الباقي سيرا علي الأقدام ، وكان أول مالاحظته هذا العدد الكبير من رجال الشرطة، والمخبرين المنتشرين أمام العمارة. وكأن المكان ينتظر زائرا كبيرا !!.

باب الاسانسير كان يحرسه اثنان، وصعد معى اثنان، وعلي باب الشقة اثنان، وفي قلب الشقة اثنان يقيما معى.. أما السلم فقد تناثروا عليه، يراقبون الصاعد والهابط فأنا.. ممنوع الاقتراب منى !!

تحولت العمارة إلي سجن محاط بالحراس والمخبرين.. سجن ليس فيه سوي سجين واحد هو أنا .. أما باقي السكان فقد قرأوا المحذور فتباعدوا عنى تماما.

ولا أنكر فرحتى بالإفراج، ولم تنل من هذه الفرحة، صدمتى بتلف شقتى، فقد أخذتنى الفوضي الضاربة في أرجائها حال دخولي. كل شيء مبعثر، وكل شيء منكوش ولكن.. كل شيء ذاب وأصبح فرحة غامرة حين ألقوا بطفلى علي صدرى، قبلته، وضممته، وضغطته في أحضانى، واختفي عن نظرى كل شيء في الوجود ماعداه.. والتصق بى عمرو أحسسته كتلة دافئة لينة، تريد أن تتوغل داخل صدري بحثا عن الحنان، وبدافع غريزى اعطيته ثديى، الذى غاب عنه شهراً ونصف شهر.. وكم أفرحنى - وبالتأكيد أفرح عمرو ايضا أن وجدته يدر لبنا للطفل المحروم.. الذي نزل به عقاب دون ذنب جناه.

لم أستطع إبعاده عنى.. كلما حاولت .. التصق بي، وظل معى حتى غلبنى وغلبه النعاس.

وفي اليوم التالي، كانت قد ولت لحظة اللقاء السعيد، وواجهت الواقع العابس.. واقع العزلة من الحياة والناس، في شقة مشوشة كئيبة ، يشاركنى فيها رجلان غريبان ليلا ونهارا، حتى التليفون قطعوا عنه الحرارة .

جنيهاتى العشرون - كل ما أملك - أنفقتها سريعا ، فكوب الشاى يكلفنى - فوق ثمنه- ثمن الكوب، والبراد، والملعقة فكل أدوات منزلي وجدتها مفقودة.

وأصبحت خالية الوفاض، ولم يبر جمال بوعده، فلم أجد أحداً يقدم الطعام، أو المال، أو أى عون كان ، يساعدنى أنا وأختي وخالتي وطفلي الرضيع علي العيش.

ونضب المال، فأصبحنا مهددين بالجوع، بل إن الجوع قد مسنا فعلا، وأعلن الرضيع عن جوعه بالصراخ والبكاء، فقد كان لبن الثدي شحيحا، بسبب الاعتقال، وسوء صحتى .

كل السبل أصبحت مسدودة في وجهى، فلا جار يغنينى ، ولاصديق يمد يد العون، ولا أهل.. أمى حددت إقامتها في شقتها ، وأختي زهرة حددت إقامتها وهى في شقتى، وباقي اخوتى صغار في حاجة إلي من يعولهم ، وعائلهم- وهو أنا - محددة إقامته.

خرجت إلي أحد المجندين الواقفين علي باب الشقة، قلت له : « الفلوس اللى معايا خلصت.. وماعدتش عارفة أجيب فلوس منين.. أعمل إيه دلوقتي ؟».

قال الرجل : « بيعى أى حاجة ..».

نظرت حولي ، فوقعت عيناى علي راديو ترانزستور، فأمسكته وأديته له : « ده ينفع» ..

قال: « نعم » وأخذه منى وغاب وقتا ، ثم عاد وأعطانى عشرة جنيهات، ثمن الراديو، فشكرته.. طلبت منه شراء بضعة كيلو جرامات من البطاطس، وزجاجة زيت، وزجاجتى لبن.

وعشت علي البطاطس المسلوقة - أو المقلية - وأصبحت هي وجبتى الوحيدة، وأحيانا كنت أطلب من المخبر أن يشترى لنا « كتغيير » سندوتشات فول أو بذنجان مقلى.

في هذه المعيشة الضنك، هبت علي نفحة سرور، ومن عجب أنها أتت من حارسي- الضابط المقيم معى - إذا اقترب منى معرفا نفسه : « أنا فلان.. أبو الليل». دعت عينى إلي وجهه مستغربة، فأردف وهو يبتسم علي استحياء « أبو الليل » وأكد علي حروف الكلمة .. فأدركت مايريد قوله ، فإن عائلة « أبو الليل » هى عائلة والدة عبد الحكيم عامر. وواصل الضابط مواسيا: « معلهش.. أزمة وتزول بإذن الله.. وفرج ربنا قريب » أحيت كلماته بصيصا من الأمل في نفسى. واستمر الضابط يقول بأدب جم « عن نفسى » أنا قاعد في الصالة مش حتحرك منها، واعتبرينى مش موجود خالص» وحا أبقى أشوف حكاية الحراسة داخل الشقة».

نعمة هبطت علي من السماء ، فالطمأنينة ، وسكون النفس ، من نعم الله الكبرى علي الإنسان، وفي هذا الوقت كنت قد فقدتهما تماما.. فالخوف كان رائدي ليلا ونهارا، ورغم كثرة الحراس من حولي.. فأنا لم أكن خائفة سوي من حراسي.

وأنفقت من الجنيهات العشرة علي مدي أسابيع ثم نفدت، ولما ضاقت بى الحال، ولم يأتنى عون أو مدد، طلبت من الضابط المقيم معي أن يبلغ المأمور « بقسم العجوزة». أنى أطلب رؤيته لأمر هام ، فوعدنى بأنه سيفعل .. وقد بر بوعده، ففى اليوم التالي جاء مأمور قسم العجوزة .

شرحت للمأمور حالتى .. وقلت له أنا وعائلتى تحت مسئوليتكم، فلا يعقل أن تتركونا بلا طعام ، وطبعا الشقة ليست بها مزرعة حتى نقطف ونأكل منها. ولا أنتم تركتونى حتى أعمل وأخرج للبحث عن حل.. يعنى أنا لو خرجت من باب الشقة وقتلت أى أحد من الواقفين علي الباب، فإن وضعى سيتحسن، لأنه سيقبض علي وأحاكم وقد أبرأ وفي الوقت نفسه سيقدمون لي الطعام بالسجن. أرجو تبليغ المسئولين أني سأصرخ من البلكونة.. وأقول لكل من في الشارع والواقفين علي محطات الاوتوبيس مايحدث معي .. ومع أسرتى .

استمع إلي المأمور باهتمام، ثم وعدنى بأن يبلغ كلامى للمسئولين ، ثم انصرف.

لكن ضغط الحياة استمر، وضاقت بى الدنيا بما رحبت ، كنت قد استنفدت كل مايمكن بيعه من قطع صغيرة ، مثل الساعة ، سلسلة المفاتيح، أى شيئ معى أعطيه للمخبر فيذهب ويعود إلي بثمن بخس، نتقوت عليه أنا ومن معى.

وكان طبيعيا أن تطول أوقات الإفلاس، ويعضنا الجوع، وكان أقلنا تحملا للجوع هو ولدي الرضيع عمرو.. الذى أصبح صراخه وبكاؤه يدويان علي الدوام في الشقة .

ولما طال بكاؤه، سألنى أحد المخبرين عما به ، فقلت له جائع . وكأن الرجل أصيب بصدمة كهربائية ، فقد انطلق من أمامى إلي الخارج وهو يزعق « لا إله إلا الله .. لا إله إلا الله .. لاحول ولا قوة إلا بالله ..» وغاب المخبر لحظات، كان خلالها زميله يقرأ القرآن بصوت مرتفع علي باب شقتى، حالة انتابت هذين المخبرين الطيبين ، لما يريانه من تجويع طفل رضيع.

وأصبح هذا منوالا في حياتى ، يجوع عمرو ويبكى، ويجري المخبر ليشتري- علي حسابه - زجاجة لبن ، والثانى يقرأ القرآن بصوت مرتفع .

إلي أن جاء يوم ، ظل فيه قاريء القرآن يرفع صوته ويرفع صوته، حتى أصابته حالة من الهوس، فنهض واقفا وهو يصرخ : « لاحول ولا قوة إلا بالله .. لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله .. وارتمى علي الأرض وهو يرتعد ويردد عبارات التكبير والحوقلة.

خرجت على صراخه لاستطلع الخبر، وزملاؤه مجتمعون. ثم جاءت سيارة الإسعاف وحملوه إليها. ولم أره بعد ذلك .

ومرت الأيام .. ولم يف جمال عبد الناصر بوعده، وأصبحت البطاطس المسلوقة والملح، هما كل طعامى ، إذ لم يعد لدي زيت أقلي به البطاطس.

وذات يوم، كنت واقفة في شرفة منزلي، وقد ركبتنى الهموم والأحزان، أفكر في الحال الذى أصبحت فيه، وهو حال بدا لي أسوأ من المعتقل. فهناك كانوا يقدمون لي الطعام علي الأقل.. فهل تراهم حددوا إقامتى ، وضيقوا علي العيش ، كوسيلة من وسائل التعذيب، حتي ألين وأرضخ لمطالبهم ؟

وعادت إلي ذاكرتى، زيارة « للجاحظ » في زنزانتي بالمعتقل ، جاء ومعه ورقتا فلوسكاب، تتضمن الأولي منها وعدا بالإفراج عني، ووضع مليون دولار لي ونصف مليون دولار لابنى عمرو في أى بنك أختاره في الخارج، مع السماح لي بالسفر والإقامة حيث أشاء، ووعد بحمايتى من أى انتقام أو أذي حتى أغادر البلاد، وان تحقيق هذا كله مشروط بموافقتى وتوقيعى علي ماجاء بالورقة الأخري، وانه بمجرد وقوفي أمام شاشة التليفزيون والإدلاء بتصريح أردد فيه ماجاء بالورقة المذكورة .

وشرعت في قراءة الورقة الأخري، ولم أقرأ سوي بضعة أسطر، حتى أحسست بالغثيان والاشمئزاز لما جاء فيها، كانت تؤكد ماسبق كلامه من شائعات، ويزيد عليها أنواع من الرذائل يشيب لها الولدان، وقد مزقت هذه الورقة لحظتها في ثورة غضب، فقال لي : « حتدفعى ثمن عملتك دي». قلت علي الفور : « ياريت عشان أستريح من العيشة دي .. خلصونى بقي.. أنا كرهت الدنيا.. يمكن الموت أرحم ...».

وفيما أنا غارقة في خواطري ، أحسسن ربتة علي كتفي.. فنظرت ، فإذا جارتى المسيحية ، التى تلاصق شرفتها شرفتى، سألتنى السيدة الطيبة- الشجاعة- عن حالي فحكيت لها ما أعانية ، وما أبيعه من أشياء صغيرة، أعثر عليها داخل حقائبي.

شجعتنى السيدة بكلمات طيبة، ثم قالت لي : « حاولي تبيعى حاجة كبيرة تكفيكى عدة أشهر .

استحسنت الفكرة، وكانت عندي سجادة « شينواه » يربو ثمنها علي الألف جنيه، حملتها ودليتها من شرفتى ، وناديت علي المارة : « ياناس.. أنا هنا متحددة إقامتى، جعانين ومعاناش فلوس ، وعايزة أبيع السجادة دي ».

وقف المارة ، ونظروا إلي، وقال بعضهم : « دي مدام برلنتى، انها مدام برلنتى ».

قال بعض المارة : « لكن معناش فلوس تكفي ثمنها ».

قلت : « مايهمش .. معاكو كام.. أي حاجة هاتوها ..».

ورأيت بعض الناس يضرب كفا علي كف في حيرة، ورأيت آخرين، يجمعون ثمن السجادة . وقد اشتراها رجل وزوجته بخمسين جنيها هلي كل ماكان معهما. وانطلقا بها فرحين بحملهما الثمين .

وفي يوم من الأيام جاءت أختى ، لزيارتى ففرحت لرؤيتها، ورحت أسألها عن أحوال والدتى، فإذا بها تحكى صورة شبيهة بما أنا فيه، باعت أمي حاجات بيتها، لتأكل هى وإخوتى بثمنها، وقالت أختى : « سمعتها تقول إنها باعت كل ماقدم لها من هدايا في أعياد ميلادها ».

وحكت أختى حكاية غريبة أحزنتنا جميعا. فقد قرأت أمى في الجورنال نبأ انتحار المشير، فلم تتمالك نفسها، وراحت تصرخ وتولول ، فأسرع البوليس ، واستحضر لها عربة مستشفي الأمراض العقلية، وصعدوا إليها « بالقميص» ومعهم طبيب، قالوا للطبيب هذه السيدة مجنونة وتصرخ وتهذي، وقد سألها الطبيب : «لماذتصرخين؟» فقالت : « جوز بنتي مات .. ما اصرخش عليه.. ما اعيطش؟» وبدأ الطبيب يسألها عن اسمها، وعن أى يوم نحن فيه ، وعن الأيام .. ثم قال لمن حوله من رجال الشرطة: « دي أعقل منى ومنكم، وأنا لايمكن أمضي علي حاجة زي دي».

وكان قرار الطبيب الشريف ، سببا في نجاة والدتى من الحبس في مستشفي المجانين.

انصرفت أختى بعد أن عرفت أنهم في حالة من الإفلاس تشبه حالتى .

مرت الأيام بطيئة كئيبة ، شعرنا فيها ، بالجوع ، واليأس ، والملل . وفي ذات مساء جاء إلي الشقة كل من حلمى السعيد، وأمين هويدي، وفي يد أحدهما شنطة «سامسونايت».

قابلتهما في الصالون ، وفور جلوسهما فتحا الحقيبة ، وتركاها مفتوحة، فأدركت أن الحديث سيسجل.

بدأ حلمي السعيد الكلام بقوله :

– عاملة إيه .. ازيك .. وازي عمرو.

أكملت :

– وازي الهرم وأبو الهول.. والجو.. أنت جاى عشان تسألنى عن الجو.. خش في الموضوع من فضلك .

قال : « جئنا نسألك عن الآلة الكاتبة .

وكانت وقتها قد بدأت محاكمة عسكرية لبعض قادة الجيش، يرأسها حسين الشافعي ودار بخلدي أنهم يريدون الإيقاع بي، وتلفيق قضية ضدي.. والتسجيل دائر.

قلت: « موضوع الآلة الكاتبة اتكلمت فيه مع الريس.. وقلت كل حاجة للريس.. وممكن تسألوا الريس .

تعمدت إقحام اسم الرئيس في كل جملة لأفسد التسجيل فلا يصلح تقديمه للمحكمة .

قاطعني أمين هويدي بقوله : « ماالناش دعوة بكلامك مع الريس.. احنا جايين هنا نسألك بس ، عشان جايز ده يساعدنا وانتى قلتى انك سلمتيها لمتولي، ومتولي سلمها لفتوح.

قلت : « مالكوش دعوة ازاى بكلامى مع الريس ، إذا كنت أنا قلتله كل حاجة ، وهوه عارف كل حاجة. والريس رئيسكم كلكم، بعدين ما اقدرش أتكلم مع حد »

ولم يخرجا بطائل في هذه المرة أيضا ، ونجوت بعون الله من شراكهم .

أحمد الله أنهم لم يسدلوا ستائر سوداء علي نوافذ شقتي، ليمنعوا عني النور ورؤية السماء، والنيل المتهادي أمام منزلي، وكان الخروج إلى الشرفة هو بالنسبة لي «رحلة نزهة »أو حديقة الاورمان .

خرجت إلى الشرفة ، أسري عن نفسي بالمشاهدة. أو بمناجاة ربي أن يفك أسري. وكم بكيت ، وكم تألمت، وكم غفوت في هذه الشرفة .

وكان من لطف الله بي، أن أتاح لي– رغم الحراسة المشددة – زائرا مواسيا عبر الشرفة: جارتي المسيحية.

بعد يوم من أول حديث لها معى، قالت لي في اليوم التالي، إن المباحث هاجمت شقتها، وانهم راحوا يستجوبونها عما دار بينى وبينها من حديث، وماذا قلت لها.. وهل أعطيتها شيئا لتخفيه عندها في شقتها .

قلت لها : « وهمه خللوا عندي حاجة أديها لحد؟ .. دول أخذوا كل شيء ، حتي أقلام الحبر الذهبية ، أخذوها ».

واستطردت جارتى : « قلت لهم .. وفيها إيه.. واحدة جارتى واتكلمت معاها.. إيه اللي يمنع ؟».

ثم سألتنى بغتة : « إيه الشريط اللى بيتكلموا عنه ؟ ».

قلت : « مش عارفة شريط إيه ده ».

ولم يكن ممكنا أن أقول لها الحقيقة، ولعل القاريء يذكر سؤال سامى شرف لي- وأنا في المعتقل- عن هذا الشريط. والحقيقة أنه شريط مسجل عليه حديث تليفونى بين جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر عقب الهزيمة، وفيه اعترافات علي لسان عبد الناصر عن أخطائه التي أدت إلي الهزيمة، وقد أعود مرة أخرى إلي الحديث عنه، في هذا الكتاب.

قالت جارتي وقد رأتنى كاسفة البال : « انتي شايلة الهم كدة ليه.. انتى لسة صغيرة وجميلة، وممكن تشتغلي و « تكسبى» .. والحالة دي مش حاتستمر علي طول.. ومتهيألي أنهم همه اللى متضايقين دلوقت من الحاجات اللى بتعمليها دي». وكانت تقصد بيع السجادة من الشرفة ، وإلقاء بعض الأشياء علي المارة ، ليبعثوا لي بثمنها .

ذكرت قصة هذه السيدة الشجاعة المصرية، التى غلبت إنسانيتها علي خوفها من رجال المخابرات .

كما ذكرت قصة الدكتورة إيزيس شقيقة الطيار عصام خليل ، وموقفها في مبنى المخابرات العامة .

كما ذكرت قصة ضابط المباحث، الدمث ، المهذب الذى قتل في مكتبه بأربع رصاصات.

كما ذكرت قصة الطبيب « الشريف » الذى رفض الموافقة علي اتهام والدتى بالجنون.

وقصة المخبر الذي كان يقدم زجاجات اللبن لابني عمرو، وزميله الذي أصيب بحالة هوس وانهيار.

وقصة الضابط المقيم في شقتى، وأدبه ووقفته ، وحرصه علي حرمة البيت .

كما سأذكر قصة الدكتور « الظواهري» واريحيته ووطنيته .

أذكر هؤلاء الشرفاء، الذين تصرفوا وفق ماتمليه عليهم طبيعتهم المصرية المستقيمة، رغم الحديد والنار والإرهاب، ورغم أن بعضهم أصابه الأذي، لمجرد أن أظهر عطفا علي.. أذكرهم لأنهم كانوا بوارق أمل في ظلمة حياتي.. ولأقدم برهانا علي صلابة شعبنا، ونقائه ونبله، .. وانه مهما اشتدت عليه قبضة الظلم، يظل نبيلا، شامخا، معتصما بدينه، وتقاليده ، وأخلاقه .

وفي هذا السياق ، تأتي - أيضا - قصة مأمور قسم العجوزة، الذي أشرت إليه من قبل.

هذا المأمور، جاء لزيارتى يحمل « وردة» بيده ، قدمها لي وهو يقول بروح مفعم بالود والحنان : « مبروك - تحديد الإقامة انتهى ».

أخذت منه الوردة شاكرة فرحة بالنبأ السعيد، بينما استطرد: « من الآن انتهى كل شيء .. بإمكانك الدخول والخروج .. واحنا- وأشار إلي المخبرين- حنعزل من هنا».

قلت ضاحكة : « أو أعزل أنا زى بعضه .. بس أخرج . وضحك المأمور ، ثم أعاد تهنئتى ، وانصرف تاركا في نفسى أثرا طيبا، هو الأثر المصري الذى يتركه المصريون العظماء في أى مكان يوجدون به .

ⵙ ⵙ ⵙ

برلنتي مع ابنها الوحيد عمرو عبد الحكيم عامر بعد قتل والده المشير ورفع تحديد الاقامة عنها

الخروج إلي أين ؟

انقلب البيت الوادع الحزين ، إلي فرح صاخب ، وانطلقنا نهنىء بعضنا بعضاً بالأحضان والقبلات - أنا وأختى وخالتى وعمرو - ألا ما أجمل الحرية .

وكان علي أن أتأهب لأول مرة أخرج فيها إلي الطريق ، بعد عام ونصف من الحبس والتعذيب ، والجوع. رفعت « الإيشارب» من فوق رأسى لأمشطه. تذكرت ان شهرا مضى، دون أن أمشط شعري !!

وأمسكت بخصلة من شعرى في مؤخرة رأسي، وهالنى أن وجدتها تخرج من بين أصابعى ونظرت لها بهلع.. إن شعرى يتساقط !!

ربطت رأسى علي الفور، ولبست ثياب الخروج ، وغادرت المنزل قاصدة عيادة الدكتور محمد الظواهرى.

عندما أدخلتنى الممرضة عليه، كان منشغلا علي مكتبه بالكتابة في بعض الأوراق. وجلست صامته في انتظار أن يفرغ لي.

رفع الدكتور الظواهرى رأسه ونظر إلي برهة، ثم ضيق عينيه ومال ناحيتى، قائلا: « مين .. مدام برلنتى عبد الحميد ؟».

ثم اعتدل فجأة وهو يقول : « وكمان دفعت كشف ؟ » ثم فتح درج مكتبه، وأخرج قيمة الكشف ودسها في حقيبتى ، وهو يواصل حديثة : « كلنا حاسين بيكي .. كلنا عارفين اللى انتى فيه.. انت ست عظيمة . انتى مش عايزة حاجة.. من جنيه لألف لخمسة تحت أمرك » . ثم أعطانى أدوية « العلاج ».

ذهبت إليه لأعالج شعري، فعالج نفسي.. أعاد اليها بصيصا من الثقة، وبصيصا من الأمل، وأضاف إلي رصيدي من الطيبين، طيبا آخر، وتصوروا معى امرأة عاشت عاما ونصفا

وهي « منبوذة » ثم إذا خرجت قابلت الدكتور الظواهرى - أكرمه الله - كان هذا جرعة دواء أعدها القدر لعلاج آلام النفس.

خرجت إلي الطريق ، اتعقر في مشيتى ، فلم أكن أعرف أن المسجون قد يحتاج إلي التدريب حين يفك أسره.

وفي تجوالي كنت أشعر بهيبة من الناس والعربات، واحتجت إلي أيام حتى أعود إلي سابق عهدي، أمشى بخطى منتظمة، بلاهيبة.. حرة أغدو وأروح كما أشاء، لكن الحرية التى فرحت بها، في البداية، أسلمتنى لليأس مرة أخري، كما أسلمنى السجن للبيت ، وأسلمنى البيت للحرية، فمشكلتى لازالت قائمة .. الطعام .

وأحسست أن يدا شحيحة تمسك بمصيري، وتعطينى أسباب الحياة بالقطارة، العمل محرّم عليّ فكيف أكون حرة وأنا ممنوعة من العمل ؟

كيف أكون حرة ، وهناك من يسير خلفي في كل مكان .. ليراقبنى !!

وفي حالتى تلك يصبح البيت ملاذا للإنسان، حتى ولو كان بيتا خاويا.. وبيتى لم يكن خاويا. كان فيه طفلي الرضيع، فأصبحنا نلوذ - أنا وهو - بالجدران الصماء.

وكان ضعف صحتى، سببا في ظهور العلل، التي كانت أولاها سقوط خصل كاملة من شعري، ثم آلام الصدر، والظهر.. ومع تزايد هذه الآلام اضطررت إلي استحضار طبيب .

كان الطبيب الذى حضر إلي منزلى ، هو الدكتور إسماعيل السباعى. وكان رجلا جهير الصوت ، صريح الطبع ، فبعد أن كشف علي، ورأي آثار التعذيب علي ظهري، أشاح بوجهه قليلا، وقد بدا علي وجهه الغضب والتوتر، ثم استعاد توازنه قائلا:

- انتى فاكرة يعني انك بطلة .. إيه اللى عملاه في نفسك ده.. وإيه اللى ربطاه علي دماغك .. انتى ناوية تعيشي فوق في السما علي طول.. انزلي علي الأرض.. خليكى واقعية .. إيه البطولة والزيطة اللى انتى عايشة فيها دي.. انتي فاكرة ان بكدة بيقي عندك كرامة ؟ لازم تشتغلي وتجيبي فلوس علشان تحافظ علي كرامتك.

لو رحتي مثلا الشيراتون، واديتى للجرسون شلن، وجنب منك واحدة أى كلام وإدته عشرة جنيه، حايحترمها ومش حايعبرك. اخرجى واشتغلي، خليتى إيه للست الجاهلة ؟

ألقي علي الدكتور إسماعيل السباعى هذه الكلمات اللاذعة، فكانت سببا في إشعال

حميتى، ولاشك أنه أراد استنهاض همتى.. وقد كان له ما أراد- جزاه الله كل خير- فقد بدأت أفكر في الحلول، للخروج من أزمتى الطاحنة، وكان لكلامه لمسة السحر التى أعادت إلي عقلي صوابه.

وحتي هذه اللحظة، كنت أعيش علي أمل أن المشير، لايزال حيا.. ولم يكن عندي أنباء عما جري له قبل سفره، أو ماذا يجري الآن .

❖❖❖

إن الظن بأن المشير لازال علي قيد الحياة، كان يقينا وشكا في نفس الوقت، ولعل النفس المضطربة، والواقع المرتعش، ساعدا علي تقبل هذين النقيضين، وسمحا لهما بالعيش في بيت واحد، هو عقلي.

ولأن هذا العقل يعى كثيرا من المواقف، والأحاديث، التى تمت بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر، وكلها مواقف وأحاديث ، تنفي الظن بأن جمال يفتك بعامر.

هذا الأمل لم يكن وهما كله، فإن الذاكرة تعي كثيرا مما نقله إلي عبد الحكيم من مشاعر وأفكار، توحى بالمسئولية عن جمال عبد الناصر، والخوف عليه، وتوحى أيضا بأن مصير كل منهما يتبع الآخر ويزامنه، من ذلك قول عبد الحكيم لي ذات مرة : « هوه مايعرفش ان نهايته حتكون مع نهايتى.. لأن وجودي في الجيش حاميه، وحامى البلد من الروس وحاميه أيضا من عملائهم اللى حواليه ».

ولقد كان عبد الحكيم يمثل بالنسبة لجمال، العقل المتأنى الذى يحد من اندفاعه.. والاسم الذى أطلقه جمال على عبد الحكيم فيه خير دليل علي طبيعة هذه العلاقة القوية بين الاثنين ، في فترة الإعداد للثورة، ذلك الاسم هو «جينى» وكان الاسم المفضل لدي عبد الناصر عند مخاطبته ، وهو اختصار لاسم « جان جاك روسو» الفيلسوف الفرنسي، الذي أطلقوا عليه اسم فيلسوف الثورة الفرنسية، وصاحب كتاب العقد الاجتماعي، الذي كان له أكبر الأثر في صياغة القوانين الفرنسية، وقد جاءت هذه التسمية ، لما كان يبديه عبد الحكيم من ميل إلي الديموقراطية ، وتقبل الحوار، ومراعاة الجوانب الإنسانية والاجتماعية، عند التفكير في وضع قرار ما ، مثل « قانون تحديد الملكية » مثلا والذى أبدي فيه عامر رأيا كان سببا في انقاذ الآلاف من الأسر في قري مصر ، ونجوعها ، وأيضا دوره وإصراره في تعريف جناحى الحرية بالميثاق ، وهما العدالة الاجتماعية، وأيضا العدالة السياسية . وغيرها وهو ماسبق الإشارة إليه.

لذا لم يكن مايبديه عبد الناصر لعبد الحكيم، إلا انعكاسا لما يبديه المشير من الرأى الصواب والإخلاص، والميل إلي الرحمة والتراحم منذ صداقتهما المبكرة.

والإثنان يرويان قصة وقعت لهما في أحد الأيام - وكان ذلك عقب عودتهما من حرب ١٩٤٨ - إذ كانا في العربة معا ، وتوقفت العربة عند إشارة المرور ، كان اليوم من أيام الشتاء الباردة ، ونظر عبد الحكيم فوقعت عيناه علي صبي في ثياب ممزقة ينام علي الرصيف عاريا من أي غطاء يحميه من الصقيع ، فاغرورقت عينا عامر والتفت إلي جمال ، فإذا بعينيه مغرورقتان أيضاً.

هذا القلبان النابضان بحب الوطن ، وحب الناس ، وحب بعضهما البعض ، جمع القدر بينهما في الحياة الاجتماعية ، والعسكرية و السياسية .

وفي العلاقات الاجتماعية ، كانت الأواصر لا تربط الصديقين فقط ، بل وبين أسرتيهما برباط قوى .

ومن أمثلة ذلك علاقة عامر محمد عامر - عم المشير - بجمال عبد الناصر - صديق ابن اخيه - وكان رجلا طيبا عطوفا ، يرعى بروح الأبوة كلا من عامر وناصر ، فإذا تصادف وركب الحاج عامر مع عبد الناصر في عربته (الأوستن) - وكان ذلك قبل الثورة - فإن جمال يدخل بها محطة البنزين ، وبعد ملء الخزان يلتفت إلي الرجل قائلا : «اتنين جالون يا عامر بيه» فيدفع الرجل ثمن البنزين ، فالعلاقة بينهما علاقة شاب بعمه الطيب القلب .

وفي إحدى المرات ذهب الحاج عامر إلي منزل جمال عبد الناصر ، وكان قد سمع أن زوجته - أي جمال - تضع وليدا ، وفي البيت لم يجد جمال ، وانما وجد عبد الحكيم يحمل «خالد» ابن جمال عبد الناصر !.. إن الاندماج الأسرى بينهما كان حميما ونبيلا . حتى أن أبناء جمال كانوا يتعلقون بعم «عبد الحكيم» حين يزورهم ، بل يحمل بعضهم علي كتفه ، ولا يتردد أبناء جمال في طلب ما يشاءون من عبد الحكيم عامر .

إن ما كان بينهما هو الكفاح ، والأخوة ، والتراحم ، والتزاوج بين الأسرتين ، واحزناه .

لا .. لا يقبل العقل أن يكون جمال قد فتك بعامر ، وكيف يقبل .. وكيف يعقل وما عنده في مكنون الذاكرة كل هذا ويزيد .

كيف يقبل وفي مكنون الذاكرة ، موقف عبد الحكيم يوم ثورة سلاح الفرسان عام ١٩٥٤ ، يوم كتب مجلس الثورة بأجمعه ، وعلي رأسه جمال عبد الناصر استقالاتهم ، تحت ضغط

الحصـار الذي كـان يقـوده خـالد مـحـيي الدين . وبذلك تكون الثـورة قـد انتـهت فـي الواقع ، وسلمت السلطة للشيوعيين .

ويقول صلاح نصر : وفجأة وجدت عبد الحكيم عامر يسأل عن خالد محيى الدين الذي كان قد توجه إلي محمد نجيب في منزله ليبلغه بقرار الثورة – وما هى الا دقائق حتى كان قد حضر ودخل إلى مكتب عبد الحكيم . كانت مفاجأه غير سارة تنتظر خالد محيى الدين ، ففى حزم إصرار وجه عبد الحكيم إليه الحديث بقوله : إذهب يا خالد إلي سلاح الفرسان وابلغ الضباط انهم لو لم يسلموا أنفسهم فورا ، سوف اصدر أوامرى لهذه الطائرات «اننى كنت قد أمرت بطلعة جوية فوق سلاح الفرسان» والأسلحه الحاصرة لمبنى الفرسان بقصف المعسكر .

واسـقط في يد خالد مـحيى الدين وعند هبوط خالد من الدور الثانى لمبنى القيـادة متجها إلي مبنى سلاح الفرسان ، ولما وصل خالد إلى بوابة مبنى القيادة اعترضه البكباشى أحمد أنور قائد البوليس الحربى ، وحاول أن يعتقله ، ولكن عبد الحكيم عامر كان يطل حينئذ من الشرفة في الدور الثانى ، فصاح علي أحمد أنور ، وأمره أن يترك خالد محيى الدين في سبيله .

وهكذا كان عامر عاملا حاسماً في أكثر المواقف الحرجة ، ولذا كان ناصر يعتمد عليه كثيراً ، ولذلك كان يناديه «جين . أو چان» نسبه إلي جان جاك روسو (الفيلسوف والحكيم الفرنسى).

وبدأ عبد الحكيم عامر وسط ذهول الجميع - يلقى بأوامره إلي معاونيه ، حتي تم حصار سلاح الفرسان . واتصل عبد الحكيم بخالد محيى الدين قائلا : «إذا ما خرجتش يا خالد أنت واللى معاك ، وسلمتوا أنفسكم ، حا أهد السلاح عليكم».

ودخل شمس بدران ، وأحضر المعتصمين داخل السلاح ، وأصدر عبد الحكيم عامر قراراً بإعادة مجلس الثورة .

لم يسرق» عبد الحكيم الثورة ، وقد كان في إمكانه بصفته القائد الأعلى للجيش ، ولكنه أنقدها ، فلم يكن التآمر والانتهازية من سجايا عبد الحكيم عامر ، فاستلمها وسلمها لجمال عبد الناصر .

وقام جمال من فوق الكرسى ، ليصافح عبد الحكيم ويعانقه ، بعد أن انزاحت الغمة ، وهو يقول لعامر : «أنت كنت وأنت بتكلم الضباط يا حكيم ، وبتدى الأوامر ، عامل ذى نابليون..» واستطرد جمال يقول : «أنت عملت اللي كان نفسي أعمله .. وماكنتش قادر» .

كيف لعقل يعى كل هذا ، أن يصدق الوساوس التي تصور مقتله .

ما أثقل أحزان القلب .. وما أشد حيرة العقل ، فلا يسخرن أحد منى حين أقول له الآن، إننى - رغم كل هذه الأحداث - كنت أحيا بوهم ، يصور لى المشير علي قيد الحياة فكل شيئ جائز.

أفقت من شرودى علي بكاء عمرو ، فأسرعت إليه ، وأعددت وجبة طعام ، ونظرت إلي القماش الممزق الذي إلف به عمرو ، فتذكرت أن جميع ملابسه في بيتنا بالهرم ، فقلت أذهب لأري الفيلا ، وأحضر بعض ثياب عمرو .

وعلي باب الفيلا . خرج لي «سفرجى» لا أعرفه فسألته : «أنت مين؟» قال الرجل: «انتى اللى مين؟» . قلت له أنا صاحبة الفيلا . قال : «لا .. صاحبتها الست الكويتية» . أحسست بدوار ، وأسرع الرجل بإحضار مقعد لي عندما لاحظ أني علي وشك السقوط . جلست علي الكرسي لأستريح ، ثم قلت له: «ازاى خدت الفيلا وأنا مازلت ساكنة ولم أتنازل عن عقد الإيجار..» فحكى لى الرجل أن عددا من رجال الجيش جاءوا في عربة كبيرة ، وحملوا كل شئ وألقوا به في العربة ، دون عناية أو حرص ، يقول الرجل : «واللهصعبت علينا حاجتك يا ست واحنا شايفينهم ، بيخلعوها ويكسروها ، ويحطوها في العربية ، وبعدين العربية خدت العفش ومشيت».

عدت إلي بيتى . والغضب يفتك بى فتكا ، ولزمت دارى كسيرة القلب ، اجتر أحزانا لا

تنتهى ، والأيام تمضى بطيئة ، كئيبة ، خاوية .

ألم أقل منذ البداية ، أن للعذاب خبراء متخصصين ؟ إننى الآن في مختبر قسوتهم ووحشيتهم ، سجنهم تعذيب ، وإفراجهم ضياع .

بلغت حدا لا يطاق عنده العيش ، ماذا يريدون منى ، حيرتنى الإجابة علي هذا السؤال ، كل يوم ازداد سوءا ، فلا عمل ، ولا عون ، ولا معاش ، ولا سفر ، الأبواب كلها موصدة في وجهى .

وغلبنى الشعور بالقهر ، وأنا أتذكر ما نقله لي أحدهم عن لسان سامى شرف عقب الإفراج عني إذ قال له : «ستة أشهر بس .. وهاتيجى زاحفة علي ركبها لحد عندى، وتعمل اللى أنا عاوزه» . أكان مراد مسئول كبير في الدولة ، أن تأتى إليه امرأة زاحفة علي ركبها ؟ !

أم أن الأجهزة الظافرة تريد بي ما هو أسوأ من ذلك ، إذ ماذا تفعل امرأة شابة لا تجد ثمن اللبن لرضيعها ، ولا تجد ثمن القوت لأسرتها ، ولنفسها .. ماذا تفعل ؟ إذا كانوا يريدون ذلك ، فإن مطالب البدن تموت بموت البدن ، خرجت من البيت ، يخيم علي قلبى حزن ثقيل قاتم ، وركبت عربتى المتهالكة ، انطلقت بها علي غير هدى.

والغريب أنه لم يخطر على بالى أن أبيع العربة ، فإن بيع أى شئ لم يكن ليخطر لي علي بال ، ولولا أن المخبر قال لى : «بيعى حاجة» لما فكرت في بيع الأشياء الصغيرة، ولولا أن الجارة قالت لى : «بيعى حاجة كبيرة» لما بعت السجادة .

وفي الطريق في أول شارع الهرم، مررت بإحدى الصيدليات ، فاشتريت منها علبة اسبرين ، ومررت ببائع كازوزة ، فاشتريت منه زجاجة كوكاكولا . وانطلقت بعربتى إلى فيللتى المسلوبة بشارع الهرم ، وبالقرب منها أوقفت العربة ، وتطلعت إلي الفيلا ، اسرح الطرف في أرجائها . وهجمت علي خيالى ذكريات الماضى مع المشير في تلك الفيلا ، واسترجعت كل جزء منها ، وما فعلته من تحسينات وتجميل ، ورأيت الدنيا موحشة ، والبقاء أمر يفوق الاحتمال . وبلعت الاسبرين مستعينة بزجاجةالكوكاكولا .. وتركت نفسي للمصير المحتوم.

أفقت من غيبوبتى علي أصوات تتكلم ، كان حوارا بين طبيبين شابين الأول يقول : «ياه بص .. دى الظاهر مدام برلنتى عبد الحميد» والآخر : «مش معقول» . قال الصوت الأول : «الظاهر جابوها هنا غلط ..» وكنت قد تمكنت من فتح عينى ، ونظرت حولى فهالنى المنظر ، في عنبر أحد المستشفيات العامة – وأظنها كانت أم المصريين –رأيت حولي المرضى وصور

البؤس مرتسمة علي وجوههم ، ففزعت قائلة: «أين أنا؟».

قال لى أحد الطبيبين : «معلش يا مدام برلنتى .. حانتقلك من هنا».

كان الشاب الذى جاء بى إلي المستشفى ، ومعه والده ووالدته ، لا زالوا واقفين . فحملونى في عربتهم - وقد علموا أنى برلنتى عبد الحميد - وذهبوا بى إلي مستشفى الشبراويشى وأرجو أن يصلهم شكرى الآن ودعواتى الصالحة لهم .

وقضيت يوما في المستشفى .. وفى اليوم التالي لم أطلب الخروج خوفا من مطالبتى بثمن الإقامة ، والعلاج . ومر يوم .. ويومان .. وثلاثة .. وتوالت الأيام ، وتكاثر الدين ، وأصبحت حبيسة هذا الدين ، ولا أدرى ماذا أفعل ، أو كيف أتصرف وآتى بالمال اللازم لسداد الدين .

فوضت أمرى لله ، وانتظرت .

في اليوم العاشر ، اتصلت بى صديقة لتقول أن هناك من يسأل عنى ، وكان السائل رجلا جزائريا ، كان ورفاقه أصدقاء قدامى ، قد اعتادوا زيارتى ، عندما كنت في بداية حياتى الفنية ، وقد عرفتهم كمجموعة متلازمة ، وكان يبدو عليهم أن ثمة أمرا خطيراً يشغلهم ، وان قضية ما - أظنها قضية النضال - تستحوذ علي كل اهتمامهم ، كانوا يعانون من شظف العيش ، وكنت أمدهم بالعون بين الحين والحين ، وعندما قامت ثورة الجزائر ، سافروا إلي وطنهم ولى أسمع عنهم إلا الآن وأنا في المستشفى .

قالت صاحبتى : «هوه عايز يزورك .. ولا يعرف ظروفك ، يقدر يجى بدون إحراج ؟» .

قلت لها : «لا مانع ،، متى؟» .

قالت : «هو بجانبى .. هل يستطيع الحضور الآن؟».

قلت : «أهلا وسهلا».

وجاءنى الصديق الجزائري في المستشفى ، فوجدته في حال غير التي عرفته عليها ، إذ يبدو عليه اليسر والراحة .. وأخبرنى أنهم خيروه بعد الاستقلال ، بين تولي منصب أو العمل بالتجارة فاختار التجارة .

وأخبرنى الرجل بأنه علم بما جرى لى ، وأنه جاء ليطمئن علي ، ثم اسمعنى بعض كلمات التشجيع وانصرف .

وبقيت وحدي لأواجه مشكلتي ، وأفكر في طريقة لسداد ديني للمستشفى ، حتى أصابني الإرهاق ، وغلبني النعاس .

صحوت ، وكان أول ما شغل تفكيري ، أن الدين ازداد .. وجاءوا لي بالإفطار ، والفاكهة يقدمونها مشفوعة بالبسمات ، والتمنيات ، وما دروا أن قلبي يغوص كلما أكلت ، أو شربت ، أو نمت .

بعد الإفطار تناولت كتابا كنت أضعه علي مائدة قريبة ، وما كدت أفتحه ، حتى أوشك قلبي علي التوقف .. من يصدق إن بداخل الكتاب «ألف جنيه» !!

وتذكرت بالعرفان الصديق الجزائري ، الذي جاءني ، وغافلني، ووضع هذه الألف وانصرف ، ولم أره بعد ذلك قط .

وخرجت من المستشفى ، الذي دخلته مريضة مفلسة ، خرجت صحيحة البدن ، وأحمل في جيبي ثروة !!

فضل الله الغامر ، يهز القلب الغافل .. رزقني الله من حيث لا احتسب ، في لحظة قالت لي فيها الدنيا «مستحيل» .. إذ ذاك فتحت كتابا فوجدت به ألف جنيه.

ذهبت إلي داري محملة بالهدايا ، والأكياس الملأى بأطايب الطعام ، ومررت علي بيت والدتي محملة أيضا بالهدايا ، وكم كانت سعادتي ، وأنا أرى إخوتي يفضون اللفائف، ويفتحون الأكياس ، ويزيطون .

وفي البيت ، صليت شكرا لله ، واستغفرت لنفسي ، إذ أوشكت علي قتلها ، وأوشكت علي الموت كافرة فقيرة ، فمنحني الله مغفرة وأحياني !! حياة غنية ... سبحانك ربي .

ونال عمرو نصيبه من الرفاهية ، طعاما وثيابا جديدة ، ويخطئ من يظن أن الطفل لا يشارك أهله سعادتهم ، وأحزانهم ، فقد بدا عمرو مشاركا - كأنه يفهم - في تلك المسرات التي غمرت الأسرة علي حين بغتة ، وبعد أن كنت أداعبه أنا فقط ، أصبحت أتلقى منه المداعبات ، وكأنه يحاول إضحاكي بكل حصيلته اللغوية التي لا تزيد علي كلمة واحدة هي أجمل الكلمات «ماما»، ولا أستطيع أن أصف فرحة القلب ، وأنا أراه يحاول مداعبتي بنطقها ، مقطعة ، ومنغمة ، مهدهدة .

ومضى يوم أو يومان .. واكتشفت أن الطعام ، والشراب ، لا يصرفان عن القلب الهموم ،

أن شاغلى الأكبر هو عبد الحكيم عامر ، أين هو الآن ، وماذا جرى له ، وما هي أخباره؟

إلي أن جاء يوم رأيت فيه .. أمين عامر داخلا علي ، فكان لرؤيته فرحة تفوق رؤيتى للألف جنيه داخل الكتاب .

كان أمين – كما أسلفت – ابن شقيق عبد الحكيم عامر ، ولأنه كان مقربا من عمه عبد الحكيم ، ويعيش معه بصفة دائمة كواحد من ابنائه ، ولأنه كان أكبر من أولاده سناً فقد لازمه طوال فترة تحديد إقامته ، واستمع إلي أقواله ، وتعليقاته ، وراقب أفعاله ، وتصرفاته ، ولذا فقد كانت سعادتى كبيرة ، حين وجدت، أكثر الناس دراية بالمشير في الشهور الأخيرة.

وبدأ أمين الكلام معتذرا عن انقطاعه بسبب الحراسة ، التي كان يجدها حول العمارة كلما جاء إلى، فهو لم يكف عن التردد ، ومراقبة العمارة من الرصيف المقابل – حسب وصية عمه المشير أن يخللي باله من عمرو وأم عمرو – فكان يجئ ليطمئن علينا ، وحكي أنه ذات مرة ، جازف وصعد بالأسانسير ، فصعد معه أحد المخبرين ، وفوجئ بمخبرين آخرين على باب شقتى ، فتظاهر أنه يقصد الشقة المجاورة ، فوقف وضغط علي جرس الباب ، والمخبرون يراقبونه ، وحمد الله أحدا لم يكن بالمنزل ، فعاد إلي الاسانسير ، وهو يقول للمخبرين : «الظاهر محدش جوه» .

وضحكنا علي ذلك .. ولكن ماذا عن أخبار المشير ؟

صمت أمين عامر طويلا ، وهو ينظر إلي وقد أصابته حيرة مفاجئة ، وعلي وجهة انفعالات من لا يدرى ماذا يقول !؟

أثار صمته مخاوفى ، فسألته مباشرة «المشير كويس؟ .. هو حى واللا ميت؟».

نظر إلي صامتا مشككا فزاد الوسواس في صدرى فصرخت .

– ما تتكلم .. هو مات صحيح ؟

أفلت لسانه قائلا : «بعد ما خدوه بيومين» .

سألته : «خدوه علي فين؟»

قال : «خدوه .. شالوه من ايديه ورجليه .. وخدوه . وبعدين قتلوه !

صرخت : «قتلوه ؟!!» ، وافزعت صيحتى عمرو الرابض في أحضانى ، فبكى ، فاسرعت إلي خالتى الحاجة فتحية ، وأخذته من بين يدى .

لم ينطق لساني كلمة غير كلمة «قتلوه» . امتلأ بعدها دماغي بالطنين ، وأحسست بالدماء تركض في شراييني ، ودق قلبي بعنف ، وبدأت أترنح في جلستي ، فحملوني إلي الكنبة ، وأرقدوني عليها .

وبدأت أشعر كأن يدا لينة تشد خدي الأيمن ، وشعرت بأن خدي يشتد ويشتد ... ورحت في غيبوبة .

افقت علي إحساس بوخز إبر في وجهي ، وأصوات مختلطة تصل سمعي . وما كدت أفتح عيني ، حتى وقعتا علي وجه الدكتور «حسني عياد» «وعيادته فى باب اللوق» الذي رأى إفاقتي من الغيبوبة فقال : «ما انتي وشك زي القمر أهه .. وعال العال .. بس أنا عايز منك انك تبقى هادية .. مافيش نرفزة .. ما فيش زعل .. عشان تقدري تنتبهي لإبنك .. وللا عايزاه يبقى يتيم الأب والأم كمان .. وإن شاء الله تخفي قوام .. لأنه مهم إنك تخفي بسرعة ، والمرض لسه في أوله .. لأنه لو اتأخر حيبقى علاجه صعب » .

سألته : «أنا عندي إيه يا دكتور؟» .

وأحسست ثقل لساني ، وأنا اتكلم ، ورأيت الدهشة علي وجه الدكتور حسني فور سماعه كلامي ، ونظر إلي من حولي متحيرا ، ثم عاد ينظر إلي قائلاً «شوفي .. هو شئ بسيط .. ومش عايز أقول لك الأسم .. لحسن تفتكري أن الحكاية كبيرة .. كل المطلوب انك متفكريش في أي حاجة .. وتمشي على العلاج . وانتي حتخفي بسرعة من الشلل أن شاء الله » .

صفعني اللفظ ، فتماسكت ، ونهضت مسرعة إلي المرآة .. فصدمني ما رأيت علي وجهي ، كان النصف الأيمن من وجهي مشدودا إلي الوراء .. كأنها نصف وجهي يريد أن يفارق النصف الأخر .. ومددت يدي أتحسس فلم أجد حسا ولا شعورا في هذا الجانب . وعدت كالبلهاء .. لا كلام ، ولا تفكير ، ولا خواطر .. وهل يتحمل القلب؟

وقدم لي الدكتور حسني بعض الأدوية المجانية . وعندما أرادت أختي أن تعطيه «الكشف» رفض بشدة قائلا : «افرضي أن بنتي مكانها .. واحنا كلنا عارفين اللي جرى لها .. وحاسين بيها» ..

وقد واظب الدكتور حسني علي علاجي ، مقدما لي الدواء مجانا ، ومقدما لي النصيحة والتشجيع . فكان بارا من جملة الأبرار الذين تولوا علاجي ، وتقوية عزيمتي ، ومساندتي في محنة انعدم فيها الصديق والمعين .

واستمر معى المرض عدة أسابيع ، بعدها تماثلت للشفاء ، بفضل الله ثم عناية الدكتور حسنى عياد .

بعد الشفاء عدت إلي حياتى الطبيعية ، أو بالأحرى إلي حياتى غير الطبيعية، فكل شئ بدا لى غير طبيعى ، وغيرهم مفهوم ، وعافت نفسي الكلام ، والطعام ، والناس .

ولم يعد للوجود طعم ، فقدت مذاق الأشياء ، والطعام ألقيه في جوفى ، لا أبالى إن كان عاديا أو مالحا .. بل استكثر علي نفسي وضع الملح في الطعام إذا وجدته ناقصا ... بل إن الأكل ذاته بدا لى عملا منافيا للذوق بعد أن مات المشير .. وفسر لى عقلى الراكد أن الهنود يدفنون الزوجات مع زوجاتهم رحمة بهن.. فلماذا لم يقتلونى، ولم لم أمت كما مات المشير ؟

أصبحت أريد بعدا عن هذا الوجود ، أريد ملاذا ألوذ به حيث لا بشر ، ولا ضجة، ولا أحد .. أين أذهب ؟ . خطر ببالى الهروب إلى أحد المساجد ، ولكن هذا محال .. قلت : «اعتكف» فقال العارفون إن المرأة تعتكف في بيتها .

لقد تمت لي الإحاطة الكاملة ، بتفاصيل ما جرى لعبد الحكيم عامر ، من سجن في منزله ، وإهانات من مرؤسيه ، وسحب أمام أعين بناته وأبنائه الصغار ، وأطفال سبعة ، ينظرون بقلوب واجفة إلي أبيهم العظيم ، وهو يهان ويؤخذ عنوة من بيته ، وبعد يوم واحد .... يأتيهم نبأ انتحاره .

ياللهزل .. لماذا لم ينتحر – إن كان يبغى انتحارا – يوم الهزيمة الساحقة ، وأجساد جنوده ينهشها الطير في الصحراء ، أو يوم التنحى الذي تبين فيه خديعة جمال عبد الناصر . أو خلال الأسابيع التى قضاها حبيسا في بيته ، ويعلم أنهم يبيتون النية لقتله ؟ . ولماذا لم ينتحر يوم العشاء الأخير في منزل جمال بعد أن علم بتحديد إقامته، ولماذا لم ينتحر وهو يتعرض للإهانات علي يد سعد عبد الكريم، ومحمد فوزى ، وباقى شلة سامى شرف ، علي النحو الذي وصفه ابن أخيه ، من أنه رأى المشير جالسا في آخر الشرفة ، وسعد عبد الكريم رئيس الشرطة العسكرية يقول له : «أنت ما تتكلمش مع حد خالص .. تقعد ساكت .. وإياك أشوفك بتتكلم مع الحرس ، أو أى واحد »..

هذا ما يقوله سعد عبد الكريم لمن كان بالأمس قائده !!

أيصمد عبد الحكيم عامر لكل هذه الأزمات ، والفواجع ، ويعبرها بقلب مؤمن ، لا يقنط من رحمة الله .. ثم بعد هذا الصمود الطويل لا يقتل نفسه إلا بعد أن أصبح فى حيازتهم

بعيدا عن العيون ؟!

وكما أن أمين عامر ملازم للمشير ، كذلك كان أخوه حسن عامر . الذي أفضى إليه عبد الحكيم ، بمخاوفه من أن يقتل ، وإلا فما الذي دعا حسن عامر إلى التقدم بطلب إلي النيابة العامة ، يطلب فيه فتح باب التحقيق في موت المشير . فلم ينظر في الطلب حتي الآن؟!!

وقد كتب المشير رسالة في ٧ سبتمبر عام ١٩٦٧ ، أثناء تحديد إقامته بأنه قد طلب محاكمة عسكرية لتحديد المسئوليات ، وأسباب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ . وأنه- أى المشير - قد تلقى نتيجة لذلك تهديدات إسكاته إلي الأبد إذ جازف وتكلم وقال المشير في الرسالة :

«إنى فقدت الثقة ، ولم أعد أشعر بالأمان .. إنى أتلقى تهديدات لأنى طلبت محاكمة علنية ، فمنذ ساعتين زارنى ضابط من المخابرات - تحت قيادة سامي شرف - وهدد بإسكاتى إلي الأبد إذا جازفت وتكلمت ، وإني علي ثقة أن هناك مؤامرة تدبر ضدى ، لقد نشروا تقارير أنى أعانى من أزمة نفسية ، وأننى حاولت الانتحار مرارا - ومن منا لم يعانى من أزمة نفسية بعد الكارثة التي حلت بنا ؟ .. إن الإنتحار هو أبعد شئ عن تفكيرى لأنه هروب من المسئولية ، وقد أكدت ، لأصدقائى أن ما أسعى إليه هو كشف حقيقة المأساة ، ولا أخشى قول الحقيقة»..

ويقول المهندس حسن عامر بأنه صرح لي شخصياً بأنه خائف علي حياته . وكان المشير عبد الحكيم عامر أهم شهود حرب يونيو بحكم منصبه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة ، حيث كان علي علم بأدق أسرار تلك الأحداث السياسية ، والعسكرية ، والمؤامرة التي دبرت للقضاء علي القوات المسلحة المصرية ، وتحطيمها قبل أن تدخل المعركة .

وأن مصرع المشير مرتبط بمواقفه السياسية ، والتزامه بالحفاظ علي الجيش المصرى وطنيا بعيدا عن أي تدخلات أو محاولات للتغلغل والسيطرة عليه من أى قوى خارجية ، كان هدفها السيطرة علي البلاد ، والحكم من خلال سيطرتها علي القوات المسلحة ، وفرض نظام الحكم الذي يخدم مصالحها ويجعل من مصر بلدا يدور في فلكها ، وتفقد بذلك استقلالها وقوميتها .

وهل ننسى ما قاله صلاح نصر يوم خرج إلي شرفة المستشفى صارخا : «سيقتلوننى كما قتلوا المشير».

فما القول إذن في رجل قال لأهله أنه سيقتل ، وقال لأصحابه أنه سيقتل ، وقال للمسئولين أنه سيقتل ، بل وكتب ورقة بأنه سيقتل وحدد اسم القاتل .. ثم قتل !!!

ما القول في كل هذا القول ؟

وكيف يتحمل العقل هذا الكذب ، ويتحمل القلب كل هذا العذاب ، ويتحمل البدن كل هذا الهوان؟

إن الصورة التي نقلها إلي أمين عامر تملأني حزنا وزهدا علي النحو الذي ذكرته آنفا .

ولكن ما هي هذه الصورة ؟ أ مين الذي عاش مع المشير في منزله ، ورأي بعينيه ، وسمع بأذنيه مأساة يرويها للناس .

الانقضاض على الفريسة

في الثالث عشر من سبتمبر عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، انتهت رحلة الصيد، واقتربت الفريسة من أنياب الصياد، وما هى إلا لحظات، ويطبق فمه، ويتلمظ منتشيا بطعم دماء ضحيته.

وقعت حادثة الصيد بفيلا، بشارع « الطحاوية» بالجيزة ، إحدى محافظات جمهورية مصر العربية.

أما الضحية، فقد كان المشير عبد الحكيم عامر، نائب رئيس الجمهورية، ونائب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وبطل من أبطال ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، فهو بطل قومى، وقائد محبب للجنود.

كان حبيسا بمنزله، عندما حل صباح الثالث عشر، مكملا واحدا وعشرين يوما، كان فيها مقيد الإقامة، التى بدأت في السادس والعشرين من شهر سبتمبر من نفس العام.

كانت الفيلا محاصرة بالجنود المدججين بالسلاح من الشرطة العسكرية التابعة لمحمد فوزى، والعربات المصفحة وعربات الجيب التابعة للمخابرات الحربية، والمخابرات العامة ، تحت إشراف سامى شرف، وأعداد هائلة من الحرس الجمهورى وأسلحته المتعددة، والتابعة لجمال عبد الناصر. كانت الحشود تتزايد وتتكاثف حول الفيلا.

صعد المشير « الأعزل» إلى سطح منزله ليستطلع ما يجرى حول بيته، ثم هبط وجلس فى صالون منزله ينتظر.

كان جوا من التوقع يسود الأسرة كلها، فإن عبد الحكيم لم يخف عن بعض أبنائه، وأبناء اخوته، توقعه أن يؤخذ من بيته إلى مكان مجهول ، لقتله !!

وقد سأله الشاب « أمين حسن عامر» ابن شقيق المشير، عما يدعوه إلى توقع نقله من

الفيلا، بقوله « لماذا ينقلونك ياعمى .. وهنا الحرس الجمهورى، أى انه سجن حقيقى.

قال عبد الحكيم لإبن أخيه : « هؤلاء شهود ... وعبد الناصر لن يقتلنى أمام شهود !!».

قال أمين : « ولماذا لا يحاكمك ؟».

قال المشير : « انه لن يجرؤ حتى على إجراء أى محاكمة لأى ضابط أو حتى عسكرى، مادمت على قيد الحياة .. فهو يعرف ان الجيش برىء تماما من الهزيمة ».

سأله أمين : « ولماذا يقتلونك بعد ان تركت كل شىء؟.. لقد رفضت تسلم مناصبك ... وأردت ان تعيش فى اسطال .. فلماذا يقتلونك ؟».

قال عبد الحكيم لابن أخيه : « اما أن أكون معهم فى السلطة، وإما أن أقبل النفى إلى يوغوسلافيا ... اما بقائى هنا خارج السلطة، فهو بالنسبة له قنبلة موقوتة يحسبون حسابا لموعد انفجارها ».

كان أمين هو القائم على خدمة عمه، والمسامر له فى ليالى الحبس الطويلة، شاب في العشرين من عمره، يمتلىء حماسا، ونقاء ورومانسية، ويمتلىء قلبه بحب خاص وإكبار لعمه المشير عبد الحكيم عامر ، ولأنه أكبر من فى الأسرة من الشباب، فقد أصبح موضع سر عمه فى تلك الأيام الحرجة، اما أبناء عبد الحكيم « نصر» و«جمال» و«صلاح» فهم أطفال لا يزيد عمر أكبرهم على عشرة أعوام، هؤلاء كانوا يقيمون مع المشير، ومعهم أمهم، واختهم نجيبة، وآمال ، وسوسن ، ونوال ...

فى ذلك اليوم شكا أمين إلى عمه من الانفلونزا، فأعطاه علاجا، وأمره بالراحة، فذهب أمين إلى حجرته المجاورة ونام.

ولكن الشاب لم يطل به الرقاد، فقد صحا بعد قليل على جلبة فى الصالة التى تفصل بين حجرته وحجرة المشير، فغادر فراشه ليستطلع الأمر، ففوجىء بصفين من الضباط يحملون المدافع الرشاشة يقفان على جانبى الصالة.

فرك الفتى عينيه دهشة، وتطلع حوله بعينين مذعورتين، فوقعت عيناه على نجيبة ابنة عمه عبد الحكيم، فسألها عن أشقائها، فانبأته أنهم نزلوا إلى الحديقة.

الجنود صفوف والمدافع مصوبة، والهدف رجل فرد « أعزل» يحيط به أبناؤه الصغار، ثلاثة صبية وأربع بنات، ووجيب قلوبهم ابتهالات بأن ينجى الله والدهم من هذا الرصاص

المعبأ فى المدافع الرشاشة.

وكان ثمة مفقودان من أطفال عبد الحكيم، بحث عنهم إخوتهم دون جدوى، ثم تبين لهم أن العميد الماحى احتجز هذين الطفلين - جمال ونصر - وحبسهما في مبنى بالحديقة، اتخذه العميد الماحى مقرا له، وتم اعتقال كل من فى بيت المشير، وإذا تمكنوا وسيطروا على بيت قائدهم، تقدم عبد المنعم رياض، بخطى متعالية متمنطقا مسدسه، ومر بين صفى الضباط إلى حجرة المشير عبد الحكيم عامر.

والعيون المذعورة للأبناء تتابع هذا الاقتحام الساحق برعب يكاد يقتلها، وآذانهم مرهفة لأى صوت أو كلمة.

وتناهى إلى سمع أبناء المشير صوته وهو يقول : « أنا قلت لجمال عبد الناصر إنه لازم يواجه الناس بالحقائق ... ولازم الشعب يعرف كل حاجة، أنا طلبت محاكمة علنية ... هو خايف من إيه ؟».

ولم يبد على عبد المنعم رياض انه سمع كلمة مما قاله المشير، وتقدم من عبد الحكيم متهجما ، ولكن هذا دفعه بعيدا عنه وهو يصيح : « انتوا حتدفعوا ثمن الخيانة اللى حصلت للبلد ... ».

وأعقب ذلك صوت جلبة ، ودبيب أقدام وشتائم، فتقدم أمين من باب الصالون فرأى عبد المنعم رياض يحاول الهجوم على عبد الحكيم ليمسك بخناقه وهو يقول: «حتيجى معايا يا عبد الحكيم بالذوق أو بالعافية ».

كان عبد الحكيم يلوح بعصا فى يده، أمام وجه عبد المنعم رياض، ليمنعه من الاقتراب منه وهو يقول : « انتو عايزين تقتلونى من هنا عشان تقتلونى ؟».

واستطرد المشير وهو متحفز : « ما البيت ملغم برجالتكم من المخابرات، وحرس رئاسة الجمهورية ... والتليفونات مقطوعة ... والحرس حوالين البيت ، يبقى عايزين إيه ... عايزين تقتلونى ليه ؟».

قال لى أمين « لو كان عمى قَبِل ما عرضه عليه جمال عبد الناصر من مناصب، لكان كل هؤلاء الآن ينحنون له، ويؤدون التحية ...».

كان أمين قد اعتاد رؤية الضباط يقدمون الاحترام والطاعة لعمه، ولذا فإنه حين رأى

عبد المنعم رياض ممسكا بذراع عمه، لم يتمالك نفسه، واقتحم الصالون وأمسك بذراع عبد المنعم رياض قائلا : « ماتكلموهوش بالطريقة دى ..».

لا يعرف أحد إن كان المشير قد أصيب بصداع، أم إنه كان يحاول كسب الوقت، حين تشاغل بتناول حبتين من الأسبرين، حينئذ صاح عبد المنعم رياض فى الضباط القائمين فى جنبات الصالون : « تعالوا خدوه .. باين بلع حاجة .. حانوديه المستشفى »

قاومهم عبد الحكيم عامر، وتشبث بالكنبة الجالس عليها، لم يكن يريد الغياب عن أعين أهله، ليكونوا شهودا على جريمة قتله التى كان يتوقعها.

كان عبد الحكيم عامر يرتدى فى ذلك اليوم قميصا بنيا، وبنطلونا رماديا، وصندلا بنيا، .. وكان يصيح فيهم قائلا : « عايزين تقتلونى قبل ما أتكلم . لكن أنا اتكلمت والناس عرفت .... أنا عايز محاكمة ... ازاى ده يحصل معايا .. الراجل - يقصد عبد الناصر - اتجنن».

وتمكن الضباط من فصل يديه عن ظهر الكنبة ويدها ، نزعوها أصبعا أصبعا .. حتى أصبح فى قبضتهم.

ونظر الفتى إلي عين عمه ، فرآهما كما لم يرهما من قبل فى حياته ... عينان ذابلتان قانطتان، يظن صاحبهما أن الأجل قد دنا.

وظن الفتى أن عمه قد ابتلع شيئا حقا، كما قال عبد المنعم، وخوفا عليه راح يتوسل إليه باكيا : « أرجوك يا عمى ... عشان خاطرى ... روح معاهم» وإذا أصبح الفتى قريبا من عمه، همس عمه في أذنه قائلا : «الرسالة»، وعرف الشاب أن عمه يقصد تلك الورقة التى كتبها ويقول فيها : « إذا مت ، أو حدث لى شيئا ، فسيكون عبد الناصر هو الذى قتلنى ».

وشاهد أبناء عبد الحكيم عامر، أباهم وهو محمول من يديه وقدميه، والضباط يخرجون به من الصالون علي هذه الصورة ، بينما المشير يقاومهم، ويحاول التملص من بين أيديهم، وهبطوا به من سلم الخدم «الأوفيس» وعند الباب بذل مجهودا جبارا ليفلت من أيدي الممسكين به بالقوة ، وقد أفلح في التخلص منهم والوقوف منتصب القامة.. ومشى علي قدميه خارجا من الباب حتى ركب العربة المرسيدس التى أحضروها معهم، وركب عن يمينه محمد فوزى « نسيب سامي شرف» وعن شماله عبد المنعم رياض، وقد جرى نصر ابن المشير عامر، وكان ممسكا بيده عصا فألقى بها علي السيارة فحطمت الزجاج الخلفي، وخرجت زوجة المشير عامر من الفيلا حافية القدمين، وراحت تجرى خلف العربة وهى تبكي وتولول وراء

زوجها المساق إلي مكان مجهول، فداست علي قطعة من الزجاج مزقت قدميها، فدفعها سيد عبد الكريم بيده دفعة قوية، اسقطتها علي الأرض أمام عينيه الناظرتين بكراهية إلي الزوجة المكلومة. وفي ذات اللحظة التفت المشير إلي الخلف ليملأ عينيه - لآخر مرة - بمرأى أحبابه فلذات كبده الصغار.

وبعد رحيله مباشرة، دخل باقي أفراد القوة المكلفة بهذه المهمة ، إلي منزل المشير، وغاصت قلوب أبنائه، وهم يرون من يتجرأ لأول مرة علي اقتحام بيتهم وتفتيشه .

قلبوا المنزل رأسا علي عقب ، بحثوا ، ومزقوا ، وحطموا .. ونقلوا كل ماوجدوه في المنزل من أوراق، وبدا أنهم يبحثون عن أشياء معينة.

وقد عثروا علي مذكرات المشير عن « أسرار حرب يونيو سنة ١٩٦٧».

ولم يظهر لهذه المذكرات أثر بعد ذلك .

كما عثروا علي شريط مسجل عليه كل مادار قبل وأثناء حرب يونيو.

ويروى أمين ، أن هذا الشريط ، كان في حوزة عمى إلي أن لاحظ تزايد الحشود العسكرية حول البيت، فأخذ يبحث عن مكان يخفى فيه هذا الشريط ، فأخفاه وراء لوحة معلقة في غرفة الصالون.

تحديد إقامة جثة !!

سبعة أطفال وأمهم ومعهم شاب دون العشرين هم كل ماتبقي من عزوة النائب الأول لرئيس الجمهورية، وقائد الجيوش عبد الحكيم عامر.

سبعة أطفال ، والأم ، وابن العم ، كلهم دامعو الأعين يرون الدنيا من خلال الدموع، دنيا شوهاء خلت من الرحمة ، والعدل ، بل ومن العقل.

دنيا خلت من الصديق، والخليل، بل ومن الأقرباء أيضا. فقد زج بكل رجال عائلة المشير في السجون، بل ومن عائلة عبد الناصر، من كان مرتبطا بعائلة المشير عن طريق النسب.

هؤلاء جميعا لزموا مهيضى الجناح، لايملكون سوي الدموع ، والابتهال إلي الله أن ينجي أباهم من شر مبيت. فقد باغتتهم الدنيا ولا من نصير.

كانوا يعلمون أن لانصير، ولاصديق يلجأون إليه، فقد هشمت المطارق كل الأصدقاء، وأبعدت المخاوف كل المعارف والخلان، فقد رأوا عائلهم يبذل محاولات للاتصال بالاصدقاء ، لم يجد صديقا يجيب علي ندائه.

سأل عن جمال عبد الناصر، فقيل هو غير موجود، وفي مكان لايعلمه أحد. ففي هذا اليوم بالذات - كما قال أحد رجال الحرس الجمهوري- صدرت الأوامر فجأة، علي غير المعتاد في تقاليد الرئاسة، بالاستعداد للسفر فجأة إلي الاسكندرية. ولم يحدث أن أخطروا برحلة فجائية إلا هذه المرة. ذهب عبد الناصر إلى الإسكندرية ليثبت وجوده بعيداً عن مكان الجريمة وترك وحوشه تفتك بصديق عمره عامر.

وسأل المشير عن حسين الشافعي، فقيل إنه غير موجود، وفي مكان لايعلمه أحد.

وسأل عن محمد حسنين هيكل في جميع التليفونات الخاصة به ، فقيل إنه غير موجود، وفي مكان لايعلمه أحد. لقد اختفى الصديق الآخر خوفاً علي مكاسبه .

الجميع أصبحوا فجأة في أماكن لايعلمها إلا الله !!

حتى هيكل ذلك المتودد إلي المشير، المتظاهر بأنه يلوذ بحماه، فإن الأبناء الدامعين المذهولين، يذكرون كيف جاء محمد حسنين هيكل إلي عبد الحكيم عامر يوما، ليوصيه بأبنائه - أى أبناء هيكل - إذا حدث له شيء، فقد أصبح يعيش في عالم لاعدل فيه، ولا محاكم ، ولا أمان !!!

لم يجد الأبناء سوي الحرس ليسألوهم عن أنباء أبيهم، وكما يقول: «أمين عامر» شاهد العيان : « في الساعة الخامسة مساء من نفس اليوم ، سألنا الحراس عن عمي، فقالوا لنا أنه غادر المستشفى بصحة جيدة، وهو يقيم الآن بإحدي الاستراحات التابعة للدولة» .

وفي اليوم التالي الموافق أربعة عشر من سبتمبر سنة ألف وتسعمائه وسبع وستين جاء رسول يقول : « ان المشير يطلب كتبا وملابس نظيفة، فأعطيناه مصحفا وبعض الكتب، واعطيناه الملابس النظيفة التى طلبها، وكتبت نجيبة « ابنته» رسالة إلى أبيها .

وفي صباح يوم خمسة عشر سبتمبر ، وفي السادسة صباحا، سمعنا طرقا شديدا علي الباب، وأبلغنا الطارق أن قائد الحرس يطلب « جمال » ابن المشير، الطفل ذا السنوات العشر، فنزل لمقابلته، وعاد إلينا جمال ليقول إنهم أبلغوه ، أن أباه -المشير- مريض في أسطال وانه يريد أن يراهم !!

بالأمس يطلب كتبا وملابس نظيفة، واليوم مريضا في أسطال!!

خفقت قلوبهم ، وانبأهم حدسهم، ان أباهم قد مات ، فهم يعلمون أن موتاهم يدفنون فى اسطال. وانخرطوا جميعا في حالة من البكاء والنحيب. وركبت الأسرة السيارة الوحيدة الباقية « فيات ١٣٠٠» وانطلقوا إلي بلدتهم.

ويستطرد أمين : « انطلقنا بالسيارة في الطريق، وعند إحدي محطات البنزين، نزلت نجيبة ابنة عمى وأنا معها، وأخذنا ننادي في كل اتجاه « .. قتلوا عبد الحكيم عامر».. وتكرر هذا النداء المرة تلو المرة . وأثناء مرورنا فوق كوبرى الجامعة، طلبت من زوج نجيبة - وكان يقود السيارة - أن يمر علي الدكتور إبراهيم الوكيل، وأخذت من نجيبة الورقة التي كتب فيها عبد الحكيم بخطه وامضائه« لو مت أو حدث لى شيء فإن « ......» هو الذي قتلنى » وقلت للدكتور إبراهيم الوكيل: « انهم قتلوا المشير، ومعى ورقة بخط يده تثبت ذلك ، وأعطيته الورقة، قرأها ، فذعر الرجل وقال: « إن هذه الورقة تعرض حياة من يحملها للخطر، فأخذت

الورقة وعدت للسيارة، وهناك أخذت منى نجيبة الورقة ، وأخفتها في ملابسها، خوفا عليها من الضياع».

وفي الطريق إلي البلدة، كنا نشاهد عربات المخابرات في أماكن متفرقة، يتابعوننا، ويبلغون عنا إن مررنا بهم.

ولما وصلنا وجدنا أمام منزل جدي سيارة كبيرة محملة بالجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة، كما رأينا عربات المخابرات متناثرة هنا وهناك، أمام البيت.

كانت البلدة ذاهلة ساهمة، وجن جنوني، عندما دخلت البيت، فطالعتني صورة ضخمة لجمال عبد الناصر، فحملتها، وألقيت بها في الطريق، وأخذت ادوسها بقدمى، وأنا أسب وألعن أمام الضباط.

انكشف المستور وأطلت علينا النكبة بكل بشاعتها وفظاظتها، وظهر لنا أننا لم نأت لزيارة مريض، وانما لتشييع جنازة.

وفي هذه الأثناء دخلت سيارة سوداء صغيرة، مما تراها الأعين في كل مكان، ولأى انسان، شعارها « تحت الطلب » . وفي جوفها جثمان عمى العزيز المشير عبد الحكيم عامر !!!

كان ميتا بلا أهل، فنحن أهله، لاندري من الأمر شيئا ، ولايسمح لنا بالمشاركة في الاعداد للجنازة، ولم يسمح لنا ولو بإلقاء نظرة أخيرة عليه، وكأن المشير كان له أهل غيرنا لانعرفهم.. وشاء القدر القاسى أن يعرفنا بهم، ونحن في حال هو أقرب للذهول.. ولاأدرى ماداموا يلتفون حول جثمانه، ويستأثرون به دوننا نحن أبناؤه، وأبناء إخوته، وإخوته، لا أدري فيما كانت دعوتنا للذهاب إلي اسطال، فهم أصحاب كل شيء، ونحن .. ليس لنا شيء !!

وجاءت اللحظة الموجعة.. لحظة تشييع الجنازة، فعلي جانبي الطريق، الذى يمر شرق اسطال، والمؤدي إلي مدافن الأسرة، اصطف علي جانبي الطريق، طابوران من الجنود المسلحين بالمدافع الرشاشة، ولاعجب فوديعتهم غالية، تحفظ في جوفها سر الموت.. وهو سر يخشاه الكثيرون ..

ولم يكن مشيعو جثمان المشير سوى بضعة أطفال هم فلذات كبده المنسحقين، الباكين، الحياري... وأما باقي رجال الأسرة ، فقد اعتقلوهم ، ولم يسمحوا لأحد من إخوته بالسير في جنازته، سوي اثنين عجوزين لم يعتقلا، هما عمى الحاج سنوسي البالغ من العمرسبعين عاما، وعمى المستشار عبد الجواد الذى مر بتجربة تعرف علي ميت، هى أقرب للهزل، ولولا أن الميت

عزيز لأضحكتنا حين رواها لنا. استدعوه ليرى جثة أخيه في القاهرة، فلما ذهب أخذوه إلى الحجرة الواسعة التى سجن فيها جثمان المشير، فوجد هناك محمد فوزى وأنور السادات فسأل انور السادات: « هوه فين؟» فأشار السادات بيده وهو يقول : « أهو جوه.. خش شوفه ». دخل المستشار عبد الجواد عامر، ونظر إلي شيء ملفوف ممدد علي السرير ، فلم يتعرف علي صاحب هذه الجثة، قال لهم : « دعونى اقترب منه ». وكانوا قد أوقفوه عند الباب - قالوا : «لا» .

قال شقيق المشير: « طب أشوف وشه ؟ » ذهب أحدهم ليكشف عن جزء من الوجه بينما وقف الآخر أمام المستشار عبد الجواد يمنعه من الدخول أو الاقتراب من الجثة .

قال عبد الجواد : « شيلوا الملاية من فضلكم عشان أشوف جسم أخويا» قالوا: «لا.. كفايه كده .. اتفضل ».

وخرج عمى عبد الجواد الذى ذهب ليتعرف، فلم يعرف ، ومازال لايعرف وهو يشيع الآن جثمان أخيه إلي مثواه.

كان جوا من الخشية يظلل اسطال كلها، فالمدافع، والجنود، والعربات، ضمنت ان يلزم كل إنسان حده .. واحتجزوا أهل القرى المجاورة الذين جاءوا ليؤدوا الواجب، ومنعوهم من المشاركة في تشييع الجنازة .

وأمام فوهة القبر المفتوح، أخرجوا الجثمان الملفوف، المتخفي عن العيون، والجنود شاهرون السلاح يقظون ، متربصون ..

وجاءت لحظة الوداع الأخير.. وما بكته الصفوف المسلحة، مئات من الجنود لم يبكوا.. وتحمل عن مصر كلها واجب البكاء، بضعة أطفال صغار، طارت قلوبهم شعاعا، وانسحقت أرواحهم ، وغدر بهم - في أعز من لهم - غادر آثم .

أدخلت الجثة إلي القبر ، وأوصدوه بالطوب والأسمنت، وأقاموا الحراس فوقه، وحوله، وعلي مقربة منه، وعلي الكل جهامة هى ليست جهامة الحزن، وانما هى جهامة اليأس.. وكأنما جاءوا ليحددوا إقامة الجثة، ولعلهم أرادوا تأكيد سلطانه علي صاحبها إلي الأبد، ومادروا أنها قد أصبحت تحت سلطان الواحد القهار، المنتقم الجبار.

◆◆◆

الروس والمأمور الثوري

بعد عام ونصف صحوت علي الحقيقة المفجعة، فقد تلقيت نبأ موت المشير مؤكدا لا لبس فيه ولا أوهام من فم أمين عامر. وكان نزول النبأ ثقيلا ماحقا فأصابني بالشلل.. لم تسحقني ضائقة، أو أزمة مثلما سحقتني هذه النازلة، فأنا لم يسحقني تنحيته، ولاتحديد إقامته، ولا اعتقالي وتعذيبي، ولاتحديد إقامتي إلي أن جاءت هذه الطامة، فأمرضتني هذا المرض العضال، الذى شفيت منه علي يدي الطبيب البارع في إنسانيته مثلما كان بارعا في علمه ، الدكتور حسنى عياد.

بعد الشفاء واجهت معضلات الحياة، وكانت معضلتى لاتكمن فقط في الحاجة إلي المال، وإنما هى في الحقيقة منعى من سلوك طريق العمل والكسب ، فإلي جانب خوف المخرجين السينمائيين من التعامل معى، كان هناك أوامر شفهية للتليفزيون وقطاع السينما بعدم التعامل معى، كما كان ورائى في كل مكان من يتعقب خطواتى للمراقبة من قبل المخابرات ، والتى واصل رجالها التجسس عليّ بطرق مختلفة غير المراقبة .

ولا أدرى ماذا كانوا يريدون منى علي وجه التحديد، بعد أن مات المشير، وتم للصياد التهام فريسته، والظن عندي أنهم كانوا يبحثون عن أشرطة مسجلة بصوت المشير يكشف فيها أسباب الهزيمة والأسرار الخافية وراءها، وشريط آخر- كنت أعلم به- ولا أعرف أين ذهب، ولعلهم أخذوه حين فتشوا بيت عبد الحكيم، ذلك الشريط كان يسجل حديثا تليفونيا بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد الهزيمة مباشرة - وفيه كان عبد الناصر يبكى وينحى علي نفسه باللائمة، لما أصاب الجيش من تمزيق وتشتت، ولأنه لم يأخذ برأى المشير والقادة والطيارين، في عدم وجوب عدم الانتظار، والأخذ بالمبادأة ، وضرب منشآت اسرائيل العسكرية ومطاراتها، والتحام الجيش المصري بالجيش الاسرائيلي، لتضييع ميزة التفوق الجوي

الاسرائيلي، ويطلب من عبد الحكيم المشورة للخروج من هذه الورطة .

والشيء الآخر الذى كانوا يبحثون عنه - غير الأشرطة - هو مذكرات عبد الحكيم عامر عن « أسرار حرب ٥ يونيو ». ولا أدرى إن كانوا يعلمون بالورقة التى كتبها عبد الحكيم ووقعها، محذرا فيها من احتمال قتله مع ذكر اسم قاتله أم لا .

لا أذكر أسبابا لاستمرا المراقبة، والتجسس غير ذلك، فإن كان هناك أسباب لا أعرفها ، ولا أفهمها ، ويبقي « المعنى في بطن الشاعر ».

وذات يوم كنت جالسة في شرفة بيتى، أنظر إلي النيل الكريم المعطاء، وأحزن أنى على شاطئه وأحرم من الرزق والعطاء.

كانت هذه الشرفة متعتى، وخلوتى.. ففيها أفكر، وأدبر، وأبكى ، وكنت في هذه اللحظة أفكر في قسوة الإنسان علي الإنسان ، فيقف حائلا بينه وبين رحمة الله، قاطعا طريق الرزق الذى هو من عند الله.

وتداعى إلي الذاكرة ، بعض كلمات المشير عبد الحكيم عامر، كان قد قالها تعليقا علي محاولة عبد الناصر معرفة إن كان الله موجودا أم غير موجود؟!!

وفي سبيل الحصول علي الإجابة، راح يسأل المفكرين، والأدباء والعلماء والأصدقاء . وكانت كلمات عامر التى علق بها علي ذلك قوله :

- شوف الراجل!! عايز يتأكد إن الله مش موجود عشان يفترى أكثر !!

ترى هل تأكد عبد الناصر ؟ أم مات دون ان يتأكد ؟ !!

ياالله .. نجّنى مما أنا فيه ، ويسر لي أمرى الذى بات صعبا، وساعدنى علي الخروج من هذا المأزق ؟

جارتى الطيبة تلقي علي التحية من شرفة شقتها، وتسألنى عما بي، فشكوت لها ما أعانى، وقلت لها : « أنا حظى وحش..».

قالت لي الجارة : « لا انتى حظك حلو قوى.. اللى حظه وحش بصحيح هو عمرو.. بعدما كانت تنتظره حياة حلوة في حياة أبوه المشير.. بقي دلوقت يتيم مالوش حد».

سألتها : « طب أعمل إيه ؟ ».

قالت : « انتي شقتك علي النيل ، يعنى ممكن تأجريها مفروشة بإيجار كويس تعيشي منه» وعجبتني الفكرة، ووجدت فيها مخرجا مما أنا فيه ؟ يا الله .. كيف لم يخطر هذا ببالي من قبل ؟! ففى الكوارث أحيانا يقف العقل تماماً .

وأفلحت في إيجاد ساكن لها، بإيجار شهري مقداره مئتا جنيه، فكان فيه حل لأزمتي وأزمة أسرتي.

وذهبت لأقيم عند والدتي، ولكن شقتها لم تكن تزيد علي حجرتين، تقيم فيها مع إخوتي الخمسة، مما جعل الإقامة مرهقة، بل تكاد تكون غير ممكنة، فكان لابد من البحث عن سكن .

وقد وجدت سكنا في بنسيون « هورس هاوس» بالزمالك، بإيجار يومي جنيه واحد نظير الإقامة والطعام .

كانت صاحبة البنسيون سيدة روسية متقدمة في السن، وقد اكتشفت منذ اليوم الأول، ان كل المقيمين في هذا البنسيون من العسكريين الروس، الذين يعملون، كخبراء في الجيش المصري !!

كانوا حوالي العشرين من الرجال والنساء ولكن عدد الرجال كان أكبر بكثير من عدد النساء.

وكأنما القدر أراد لي أن أرى بعيني رأسي ، صورة للشيوعية لتشهد لعبد الحكيم عامر بأنه علي حق، حين كره أن تكون الشيوعية كائنة علي أرض مصر، بأي صورة من الصور، سواء في صورة قواعد، أو خبراء، أو صداقة، وكان من رأي المشير أن مصر بمعاهدة الصداقة المصرية السوفيتية التي أبرمها جمال عبد الناصر بعد الهزيمة، قد أصبحت إحدي دول حلف وارسو. وقد سمعت بأذني عبد الحكيم يقول في التليفون أثناء حديث له مع جمال عبد الناصر بعد توقيع المعاهدة « بكده بقينا دولة من دول حلف وارسو » وكان لحظتها يبدو عليه غضب شديد.

كان من عادة هؤلاء الروس، حين يعودون من أعمالهم ان ينفقوا الليل في شرب الخمر حتى يفقدوا الوعي.

وكنا نبدو جميعا- أنا وهم وصاحبة البنسيون - كمن يظله إرهاب خفي يمنعه من التبسط والتعارف ، والكلام الصريح. وعلي هذا فقد مرت الأيام الأولي « وكل واحد في حاله». ولأن الحال كان بؤسا وقهرا، ولأن الجوار كان مؤديا إلي التخاطب حتما، فقد صار

بيني وبينهم كلام وحوار.

وكان أول مادعى إلي ذلك ، حادثة وقعت ذات ليلة، أصابت البنسيون بالفزع والاضطراب، فقد فوجئت وأنا في حجرتي، بمن يحدث جلبة وصياحاً، ودقاً عنيفاً علي باب احدي الحجرات ، فخرجت لأري وأحداً من الروس شرب حتى ثمل، واصابته حالة هياج، فراح يدق بعنف حتى كاد يحطم الباب، لولا أن أسرع إليه زملاؤه، وأبعدوه عن باب الحجرة التى عرفت فيما بعد أنها لإحدي الروسيات المقيمات معنا في البنسيون. وتبين لي من الحديث ان المرأة التى كانت بالداخل هى «زوجته» ومعها واحد منهم، ولدهشتي وجدت الزوج في اليوم التالي يعتذر عن «حماقة» الأمس للرجل الروسي الذى كان بالداخل.. إذن في عرفهم أن الزوج هو المخطيء؟

ولايستطيع الإنسان أن يمنع فضوله في هذه المواقف ، فكان ان سألت أحدهم الذى بدوره كان مخمورا، ولكنه متمالك لوعيه، وكانت اللغة بيننا كلمات من العربية، والفرنسية مع اللغة العالمية: الإشارات.

وكان المعنى الذى استخلصته من هذا الحديث المكسر هى كالآتى : « اننا محرومون .. إذا عرفت امرأة .. فإلي سيبيريا، وإذا صادقت أسرة مصرية،، أنفي إلي سيبيريا... ومن يخالف الأوامر- ومرر يده علي رقبته - فإلي الموت.. ولانستطيع ان نخالط أحدا.. أو نذهب إلي مكان للترفيه ؟!

لقد كان هؤلاء الروس يبدون لي - في ظل القهر - كأنهم آلات تتحرك وفق أوامر وتعليمات، بلا شعور ولاتفكير. ورأيت فيهم تعاسة الإنسان حين يفقد إيمانه بالله ويفقد إرادته، ويفقد حريته ، وتملي عليه أشكال الحياة إملاء.

وتذكرت ماقاله المشير لي ذات يوم : « الماركسية نظرية كويسة قوي .. بس نسيت حاجة مهمة.. نسيت الإنسان نفسه ».

كان البنسيون مقفلا علي تعيسائه، فلا زائر، ولاضيف، ولاصديق لأي من سكانه، لا أحد يبث روح التفاؤل والمرح في هذا المكان. ولكني أنا كانت لي فرحة مع مطلع كل صباح، حين تأتى خالتى فتحية ومعها عمرو، فيقضي النهار معي، يلهو ويلعب، ويأكل، ويملأ علي فراغ حياتي ، فإذا جاء الليل عادت به خالتى إلي منزل والدتي ، لأن قانون البنسيون يمنع وجود أطفال ، وقد سنته صاحبة البنسيون الروسية البيضاء، حرصاً علي راحة من ينزلون عندها

من الروس، ومن الإنصاف أن أقول إنها لم تكن تقبل نزلاء غيرهم أصلا، لولا أنى أوضحت لها أنى نجمة سينمائية، وأريد الابتعاد عن الناس بعض الوقت، ولما جرى الحوار بينى وبينها أحبتنى وقبلت أعطائي حجرة في هذا البنسيون العجيب. وكما كنت أفرح في الصباح . كنت أتألم في المساء حين تأتى لحظة انصراف عمرو.. فأنظر إلي يده الممدودة نحوى باكيا، أثناء انصراف خالتي به. والألم يعتصر قلبى.

وسارت بنا الأيام علي هذه الوتيرة، إلي أن اقتحم البنسيون يوما ضيف جديد، لم يكن مقيما، وانما كان زائرا يأتى بين الحين والحين. ولقد جاء أول مرة في صورة من يسعى إلي خطب ود إحدي السيدات الروسيات .. ولكنه بعد أن أصبح بيننا، وأصبح تردده علينا معتادا نسيها، وأولاني اهتمامه..

كان هذا الزائر رجلا من رجال الشرطة، وبالتحديد كان مأمور أحد الأقسام، تقدم إلي بصورة وادعة متلطفة، وأراد أن يشعرنى بمشاركته لي في مأساتى فقال ذات مرة « احنا في الداخلية فيه ناس كثير مش راضية عن اللي حصل.. ولكنا جاسين بيكى .. ومتهيألي انهم عايزين يعملوا حاجة !!».

ومرة أخرى قال : « الناس ماعدتش طايقة.. واحنا مش راضيين عن اللى بيحصل ده .. ماحدش قادر يتكلم .. ماحدش قادر يتنفس.. أى حد يتكلم علي طول يودوه ورا الشمس.. كنا امبارح قاعدين قعدة مع زملائى وفكرنا يعني.. نشيل الجدع اللى موجود ».

وتساءلت : « يعنى إيه ؟ ».

قال المأمور : « الثوري» : نعمل اغتيال .. نعمل أى حاجة.. انقلاب.. لازم نتصرف الأوضاع بقيت لاتحتمل».

قلت له : « أيوه .. بس ازاى.. يعنى إيه ؟ ».

في تلك الأثناء زارنى صديق من رجال المشير ، كنت قد قابلته صدفة في الطريق منذ أيام، وأعطيته عنوانى، ودعوته لزيارتى وقتما يشاء.

جلس الصديق معنا، وماكاد يعرف منى ان الجالس معى من الداخلية حتى نهض واقفا وهو يقول : « لو سمحتي أنا عايز حضرتك في كلمتين » نهضت بدوري ، وانتحينا جانبا فتحدث .

قال الصديق: « وأنا طالع دلوقت لاحظت وجود عربية لاسلكى واقفة تحت ..».

أنقذنى أحد رجال المشير في الوقت المناسب، فقد اكتشفت ان « المأمور الثوري» لم يكن إلا فخا نصبوه لي، فيحادثنى والعربة أسفل البيت تسجل الحديث.

وفي اليوم التالي لزيارة الصديق، جاءنى المأمور كعادته ليحدثنى في مشاريعه الثورية!! .. ودار بيننا الحوار التالي الذى بدأه بقوله :

- بالنسبة للموضوع اللى كنت باكلمك فيه امبارح ..

قاطعته :

- موضوع إيه ؟

- موضع الانقلاب اللى راح نعمله ..

قاطعته :

- انقلاب إيه .. مالي ومال الكلام اللى بتقوله ده .

- الله ؟ مش كنا بنتكلم عن قرف الناس.. وعن الانقلاب.

- مالي أنا ومال الكلام ده.. انقلاب إيه .. هو أنا ضباط في الجيش.. أنا واحدة ست عايزة تعيش وتربي ابنها.

ولم يجد طائلا من استمرار الحوار فانصرف. كان صديق المشير الذى حذرنى من عربة اللاسلكى، قد قال لى يومها : « أوعى تخليه يفهم انك كشفتيه.. لأنه في الحالة دي راح يبعثوا حد تانى أنتى مش عارفاه .

لم يقطع المأمور زياراته بالطبع، ولم ييأس، وفي ذات مرة قاللى : « أنا خايف عليكى .. خللى بالك انتى متراقبة .. وعشان كده أنصحك إذا كان عندك حاجة غالية أو مهمة تخبيها في مكان مأمون، وإذا كان عندك فلوس أنا أقدر أحطها باسمك في بنك من البنوك.. انتى متأكدة ان حاجاتك في مكان أمين ؟».

واستطرد متلطفا: « أنا لي صاحب في المباحث.. وسمعنا عن اللى عملوه معاكى.. وكلنا مبسوطين من جدعنتك.. أنت ست جدعة تمام.. وتستاهلي كل خير..».

ثم رق صوته ولان : « وأنا حاسس باللى أنتى فيه.. وخايف عليكى قوي.. واحنا يعنى مش قد المشير.. انما يعنى لو قبلتى تتجوزينى ».

قلت له : مش وقته دلوقت .. أنا واحدة في ظروف صعبة .. ومش معقول وأنا باغرق تقوللي شوفي القمر ياليلى ؟»

كانت حياتي في هذا البنسيون تسير بهدوء، والمال يأتي بانتظام أول كل شهر من إيجار شقتي، والشيء الوحيد الذي نغص علي حياتي هو افتقاد عمرو طول الليل، حيث تظل صورته، وهو يبكى ماثلة فى ذهنى حتى الصباح.

وحدث في إحدى الليالي أن رفض عمرو بشدة أن يذهب مع خالتي، ورأيته يقاوم ويطوح بنفسه وهو على كتفها، حتى كاد يسقط، فبدأت فكرة البحث عن مكان آخر تشغل تفكيري.

وفي اليوم التالي ، عندما شعر عمرو بأن وقت الانصراف قد حل – وكان قد تعلم الكلام– بكى وقال لي مستعطفا، ظنا منه اننا نصرفه بسبب بكائه.. قال بلسان الطفولة الذي يدغدغ القلب : « أنا مش حاعيط .. ومش حا اكسر حاجة.. ومش حا العب في حاجة ..» وأحسست قلبي ينوب مشفقة عليه، فكان أن قررت البحث عن شقة مفروشة منذ الغد مهما كلفنى الأمر .

بعد بحث طويل، ذهبت إلي فيلا من دورين ، وحين سألت قال لىّ واحد من أهل الدار : « اننا نؤجر فقط للأجانب ».

قلت له : « اسمح لي بمقابلة ربة البيت ». فأخذنى اليها وماكاد بصرها يقع علي حتى صاحت : « ياخبر .. مدام برلنتى ؟!!! أهلا وسهلا .. لأ طبعا انتى مش زى أي حد ».

كانت هذه الفيللا من طابقين ، يسكن الطابق العلوى منها، أسرة مصرية طيبة– وما أكثر الطيبون في مصر – وتحيط بها حديقة جميلة ، وقد سألتنى السيدة صاحبة البيت عما يدعونى للسكن المفروش ، وأنا أسكن في شقة ، شرحت للسيدة الفاضلة قصتى، واضطرارى إلي تأجير شقتى لحاجتى إلي المال، فقبلت المرأة أن تؤجر لي الدور الأرضى الذى تحيط به حديقة جميلة، وكان الإيجار لايتعدي الثمانية جنيهات .

◆◆◆

بالانتقال إلي الشقة المفروشة، بدأت فترة جديدة في حياتى . فقد تجمع حولي الأهل، وزارنى الأصدقاء، وكان أهم الزوار هم أشقاء عبد الحكيم عامر، الذين لم أرهم منذ حوالي العامين، بسبب تحديد إقامتى ، وبسبب اقامة البنسيون الذى لم يعرف مكانه أحد .

فلما عرفوا عنوانى جاءونى . وكانت زيارة الحاج عبد المنعم عامر شقيق المشير- باعثا لروح جديدة بداخلي، بما رواه لى عن شقيقه المستشار عبد الجواد عامر حين استدعوه ليرى جثة شقيقة، والطريقة التى عومل بها من إيقافه علي باب الحجرة ورفضهم تسليمه الجثة ، وقال فى هذا الصدد : « إن المشير مات مقتولا، وإلا فلماذا رفضوا تسليم الجثة للأهل كما تقضى التقاليد المتبعة في مثل هذه الأحوال.

فقفز قلبى حين سمعت ماقاله، ودبت في بدنى روح جديدة ، تشعلها الرغبة في معرفة ماجري للمشير ، وظلت هذه الجذوة بداخلى لاتخبو ولاتنطفىء ، حتى مات جمال عبد الناصر.

رحلة البحث

بموت جمال عبد الناصر، انتهت عمليا فترة سجني. فلا مراقبة، ولاتهديد، ولاتعقب في مصادر الرزق، ولكن مراقبة من بعيد روتينية.

ورفع الحرج عن الضيوف والزوار، من أقاربي، أو أقارب المشير، ولأول مرة يزورني، «الحاج عبد المنعم عامر» الشقيق الأكبر لعبد الحكيم عامر.

كان الحاج عبد المنعم يعمل في سفارة مصر بألمانيا، ولكن السنوات التى قضاها في السلك الدبلوماسى، والتى عاشها في أوروبا، لم تؤثر مطلقا علي نقائه وفطرته، وسلامة طريقته، .. وهو في نظري« ملاك طاهر » وكنت أراه كثير العبادة شديد التقوي. حتى أيامه الأخيرة، قضي معظمها معتكفا بالمسجد.

وكان حين يزورنا أشعر في وجوده بسكينة النفس، والطمأنينة، وأشم في المكان عبق المسك وكان هو ذاته نفحة عطر مباركة.

وقد جاء لزيارتى هذه المرة، ليؤدي « الأمانة » التى ائتمنه عليها عبد الحكيم، حين أعطاه حقيبة بها مصاغى وألفا جنيه، ليحفظها لي، تحسبا لغدر الأيام.

يالرحمة الله... هل كان المشير يرى هذا اليوم، وكيف رآه وهو في أوج قوته، وسلطانه ؟

دخل علي الحاج عبد المنعم عامر، حاملا تلك الحقيبة، وماكدت أفتحها وتقع عيناى علي الثروة التى بداخلها، حتى غمرتني السعادة، وامتلأ قلبي شكرا لله.

وكان الحاج عبد المنعم يراقبني، وعلي وجهه ابتسامة عطوف، وانتظر حتى أفرغت دهشتى وفرحتى بعودة الحقيبة، ثم شرع يحكى لى حكاية أضحكتنى، والحكاية كانت عن هذه الحقيبة، وكيف نجت من أيدي رجال المخابرات الذين نقبوا كل ركن، في كل بيت، من بيوت آل عامر.

قال الرجل الطيب: « كنت أخفى الحقيبة فوق « السندرة» وعندما هاجموا بيتى لم يتركوا فيه مكانا دون أن يفتشوه ، بما في ذلك السندرة نفسها.. فقد صعدوا اليها ، وصعدت معهم، وأخذوا يفتشون ويفحصون الأشياء قطعة قطعة، فإذا انتهوا من واحد وضعوها في ركن بعيد، فأصبح هناك ركنان- أو كومتان- كومة تم تفتيشها، وكومة جاري فيها التفتيش وهى التى كانت بها الحقيبة.

وفجأة ظهر فأر فأشاع الارتباك والهرجلة بين الجميع، وتظاهرت بأنى أشاركهم تعقب الفأر، وانتهزت الفرصة فأخذت الحقيبة ، وألقيتها إلي الكومة التى تم تفتيشها.. وبهذا نجت من أيديهم .

وبعد يومين تقريبا، قلت لرجال المباحث إنى مسافر إلي الاسكندرية- وكنت بالطبع مراقب - فأخذت معى حقيبة كبيرة، وضعت بداخلها حقيبة النقود ، وخرجت من بيتى وأنا أحملها في الطريق العام، وفي وضح النهار. وأودعتها لدى صديق لي في الاسكندرية ، وعدت بذات الحقيبة التى ذهبت بها.

الآن وفي غمضة عين ، انقلبت حياتى من حال إلي حال .. لقد أصبحت ثرية!!

وكان أول عمل قمت به ، هو العودة إلي شقتى الحبيبة علي النيل. وفي هذه المرة كشفت لي صاحبة البيت، عن آخر شراك الأجهزة السرية، التى نصبت لي ، فقد جاءها من يطلب منها فسخ العقد الذى بينى وبينها، بحجة أنى امرأة مغضوب عليها، إلي هذا المدى بلغت بهم الرغبة في تشريدي وتعذيبى.

لكن صاحبة البيت أبلغتهم بأن عقد الإيجار ليس باسم برلنتى، وانما هو باسم «حسن عامر» ومتنازل لعمرو عامر، فطلبوا الاطلاع عليه، وإذ وجدوها صادقة، تركوها وانصرفوا.

وهنا أذكر المثل القائل : « رب ضارة نافعة » فإن وجود عقد باسم حسن عامر جاء نتيجة واقعة لم أحسب حسابها، ذلك حين تركت الشقة لأقيم في فيلا الهرم التى استأجرها لي عبد الحكيم عامر، ويبدو أن صاحبة البيت، قد لاحظت غيابي فطمعت في الشقة، فأقامت ضدي قضية طرد، وحصلت علي حكم بذلك، ولما تنبهت إلي ماحدث بادرت بطلب حراسة علي الشقة إلي حين فض النزاع بينى وبينها، وعينت المحكمة حارسا، وتقدم حسن عامر إلي الحارس طالبا إيجار الشقة، ووقع عقد ايجار باسمه، وبالطبع أنا التى أقمت بالشقة مع ابنى عمرو إلي ان تم اعتقالي، وأرادوا طردي، فلم يجدونى ساكنة !!

كلما استرجعت مراحل حياتى، وتذكرت مامر بى من أحداث، بعضها رفعنى إلي قمة السعادة، والآخر هبط بي إلي غور الأحزان والتعاسة، وكلما تأملت تفاصيل هذه الحياة ، لا أملك إلا الشكر لله، فإنى أري نفسي قد حظيت بقدر كبير من عنايته ورحمته، بل إن وقائع متعددة ، تحمل فى طياتها إشارات مؤكدة ، علي أن يد العناية الآلهية ، لاتنسى مظلوما، أو مبتهلا، أو سليم الطوية .

هذه الوقائع كانت بالنسبة لى مصيرية، وان الفرج جاء في لحظة توهمت فيها ألا خلاص ولا أمل للخروج من هذه الأزمة ، أو تلك الورطة، ومنها ما هدد حياتى ذاتها بالفناء.

ان الذاكرة حينما تقف بي عند حكايتى مع موريس الذى كان يملك شبابا، وجمالا ومالا، ويعرض علي الدنيا بمباهجها، ونجوميتها، وأجد من نفسي القدرة علي رفضه، وصده، وأنا بعد فتاة تفيض حيوية وطموحا وإقبالا علي الحياة.. كيف صددته فنجوت من مكر شديد، كان من الجائز ان يقضي علي حياتى كلها، كيف حدث ذلك لولا أنها عناية الله بى، وكم كنت امتلىء كبرياء واعتزازا حينما ظهر لي في مبنى المخابرات .. وإذا به رجل مخابرات مصري.

ولقد تداركتنى عناية الله وأنا أصرخ في الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة رئيس المخابرات، وأتهمهم بأنهم قتلوا المشير ، وكان من الجائز لو تماديت في الاتهام، ان أقتل في تلك اللحظة، وفي تلك الغرفة المظلمة المخيفة، وبلا شهود ، لولا أن سخرت لي رحمة الله يدا تضغط علي يدي، لتنبهنى إلي خطورة موقفي ، واتجهت بالصراخ وجهة أخري، أعقبها إضاءة النور، وكف أيديهم عنى.. والغريب ان هذه اليد كانت إحدي ايدى الجلادين!!

ولقد ألهمنى الله لأقول لرجل المخابرات ، أبلغ الرئيس جمال عبد الناصر« أن خيوط البكرة ملعبكة، وداخلة فى بعضها، ولو بدأت أفكها سأضطر لفك الخيوط كلها » وكان لهذه العبارة أثرها في إطلاق سراحى من المخابرات، واتصال جمال عبد الناصر بي قبل الخروج .

وعقد زواجى بالمشير، وكيف وصل إلي يدي، وقد كان في بيت عبد الحكيم عامر أثناء تحديد إقامته، وقد فتشوا البيت وقلبوه رأسا علي عقب، ولم يتركوا شيئا إلا ونقبوا فيه، ومع ذلك لم يقع في أيديهم هذا العقد ، الذى خبأه عبد الحكيم داخل راديو في حجرة نومه، وأوصى به ابن أخيه أمين « ان يوصله لي إذا اصابه – أى المشير – مكروه .

وقد وصلنى هذا العقد فعلا بفضل حرص أمين علي وصية عمه، رغم انه واجه الصعاب ، ليحصل عليه ، فإن حجرته قد أغلقت بعد وفاته، وكان لابد من الحصول علي

هـذا الراديو ، ولكن ابن المشير رفـض قائلا : « ده الراديو بتاع بابا ومش راح أديهولك» ولكـن أمين أفلح في إقناعه بحجة أنه سيستمع قليلا اليه ويعيدة . أليس هذا من فضل الله ، أن تصلني هذه الورقة ، في وقت بدا لي مستحيلا أن تصل؟

ولو كان القلب حجرا للان أمام فضل الله الغامر، وماكان قلبي حجرا في يوم من الأيام ، فكيف به لايمتليء حمـدا وشكرا، وتمتليء العين دمـوعـا، حين افـتح كتـابا - وأنا حـبيـسـة المستشفى لعجزى عن دفع ثمن إقامتي - فـأجد به ألف جنيه!! وكيف تداركتني رحمة الله فغيرت حالي في ثانية من الحزن الشديد إلي .. الفرج الشديد!!

ومن ذا الذى لايري العبرة في قصة الحقيبة ، التى حفظ فيها المشير مصاغى والألفى جنيه، كيف فكر في هذا الوقت البعيد ، وكيف نجت من أيدي المخابرات، وكيف ظهر الفأر ليجد الحاج عبد المنعم فرصة لنقلها .. وفي النهاية يأتى بها الرجل « الصـالح » وأنا في أمس الحاجة اليها .. أيكون مصادفة .. أم قدرا .. إنه قدر الله.

وعقد إيجار شقتى، الذى يصدق عليه قول الله تعالي « وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » فلقد كرهت يومها أن أطرد من شقتى، وكرهت ألا يكون عقد الايجار باسمى ، ولكن القدر أراد ان يكون باسم حسن عامر، وعمرو عبد الحكيم عامر. فإذا جاءت لحظة البطش، من طاغية مكير، كان مكر الله قد سبقه، لم يجد لي عقد إيجار فيرغم صاحبة البيت علي إلغائه وطردي من بيتى.. انها طردتنى مرة واحدة ، في وقت كنت فيه قوية وقادرة ، وعجزت عن طردي في وقت كنت فيه ضعيفة عاجزة .. أليس هذا من فضل الله ورعايته.. اللهم لك الشكر والحمد.. شكرا كثيرا طيبا مباركا فيه .

والحمد لله الذى يسر أمرى، وأعادنى إلى بيتى، ومعى من فضل الله مال وفير - فى ذلك الوقت - وإذ عاد الصفاء إلى عقلى، تذكرت صديقا للمشير كنت أعلم انه فى محنة، ذلك الصديق هو « صلاح نصر» رئيس المخابرات المصرية السابق وثقة عبد الناصر، ومن مهازل الزمن أن يصبح هذا الرجل الوطنى، سجينا سياسيا.

وعندما انتويت زيارته، كان يقيم فى القصر العينى للعلاج ، تحت الحراسة المشددة، وسعيت لدى السلطات للحصول علي تصريح بالزيارة، فلما تحقق ذلك ، ركبت عربتى ، واتجهت الى مستشفى القصر العينى.

وفى الطريق داهمتنى الأفكار الحزينة، تذكرنى بما أصاب صلاح نصر من سجن وتنكيل،

وكان ذنبه انه لم يوافق على نشر أكاذيب تدين الجيش المصرى ، وغيره ما كان ليجرؤ على الوقوف فى وجه جمال عبد الناصر ليدافع عن الحقيقة التى أرادوا إخفاءها فيما يتعلق بالجيش المصرى والمشير عامر وبما حدث قبل وبعد الهزيمة، ولذا حق عليه السخط، والانتقام والتشويه.

كان صلاح نصر مريضا بالقلب، وحينما وصلت إلى المستشفى، وجدت اناسا من الأمن يظهرون من كل مكان، ويسيرون معى ، حتى إذا مابلغت حجرة صلاح نصر كان قد أصبح ورائى جيش من العاملين فى أمن الدولة !!

وجدت صلاح نصر جالسا على سرير حديدى، ذى ملاءة قذرة، وأمامه مائدة عليها وابور كيروسين ، وحلة ، وابريق شاى، وبضعة أكواب ، ولما رآنى اعتدل فى جلسته، وقال مبتسما : « أنا عارف انك حاتيجى».

وكانت زوجته الفاضلة إلى جواره، واحتضنتنى باكية. وجلست أنظر إليه، وأنا لا أدرى كيف أبدأ حديثى، فأعرف ما يعانيه، وأسباب هذه المعاناة، بدأت حديثي بالسؤال عن صحته فقال : « أنا بتعرض لأزمات صحية ... لكن باتحملها والحمد لله».

ولما سألته عن الأحوال قال : « لا شيء ينقصنى .. كله تمام والحمد لله » .. وقبل أن أرد وجدت زوجته تنفجر باكية وهى تقول لى : « آخر سجادة بعناها ... ومش عارفين بعد كدة حانعمل إيه؟».

ظهر الغضب والكبرياء على وجه صلاح نصر، وقال لزوجته : « أنا قلت الحاجات دى ما تتقلش لحد ....».

سكتت زوجته فقد أحست بأنه جرح بما قالت واكتفت بقولها : « أصل أم عمرو مش غريبة ».

وحول صلاح نصر الحديث إلى موضوع آخر، بينما نهضت زوجته لإعداد الشاى، فبدأ يسألنى عن عمرو وعن والدتى، وقد أثار احترامى له أن وجدته متماسكا، حاضر البديهة رغم كل ما مربه من سنوات قاسية، بين السجن والمرض العضال ، والحاجة إلى المال.

ومن الإنصاف لذكرى هذا الرجل، أن أقف بالقارىء قليلا، لأذكر له بعض الحقائق عن صلاح نصر، إن أول ميزة له كانت عفة اليد، ويشهد موته فقيرا على صدق ما أقول.

كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر معتادين على زيارته، وذات مرة قال جمال لصلاح : « بيتك ضيق واحنا مش عارفين نقعد ولا نتكلم ... واقترح عليك تشترى قطعة أرض من بتوع الضباط فى مدينة نصر » وكانت مدينة نصر وقتها عبارة عن صحراء جرداء لا يقبل أحد على السكن بها، ولذا كان ثمن الأرض ضئيلا جدا، وفي إمكان صلاح أن يشترى منها كأى ضباط فى الجيش .

ولما جاء وقت البناء، لم يجد صلاح نصر مالاً يبنى به، فأراد جمال أن يساهم بمبلغ صغير يساعده على البدء فى البناء، ولكن صلاح نصر رفض بشدة، وأصر جمال على تقديم المبلغ، وكان عبد الحكيم حاضرا، فاقترح صلاح قبول المبلغ بصفة دين، يرده على أقساط. وبنى البيت من طابقين، واستغرق بناؤه وقتا طويلا، مما يدل على قلة المال في يد رجل يشغل منصبا من أخطر المناصب، وتحت يده ميزانيات ضخمة.

وسألت صلاح : « إلى متى يستمر هذا الحال ؟ ».

أجابنى بكبرياء : « أنا مش حا أقول غير الحق ... أنا رجل ثورى ... ».

ولما أشرت له بيدى أن يأخذ حذره، فقد يكون هناك ميكروفونات ، لم يتراجع، بل واصل قائلا : « أنا عارف انهم بيسجلولى ... وأنا لا أخشى غير الله ... ومش حاقول إلا اللى بمتقده ... ومش حايقدروا يقتلونى قبل أجلى ولو بدقيقة واحدة ... وأنا قلتها بأعلى صوتى لكل الناس اللى فى الشارع، وراح أقولها فى كل وقت إنهم قتلوا عامر .. ومستعد أتحاكم مرة ثانية .. وأنا قلت ده قبل كدة فى شرفة المستشفى ، وبأعلى صوتي قلت : «قتلوا عبد الحكيم عامر ... وراح يقتلونى عشان يدفنوا الحقيقة !! ».

وخرجت من عنده حزينة على ما أصاب رجالات مصر، أولئك الثوار المناضلين من أجل أوطانهم ... واأسفاه !!

وكانت هذه الزيارة سببا فى ازدياد يقينى بمقتل عبد الحكيم عامر، وأعطانى دفعة قوية للمثابرة، ومواصلة رحلة البحث. وتكررت زياراتى لصلاح نصر أكثر من مرة فى منزله بعد خروجه من المستشفى ، وكانت حصيلة هذه الزيارات مؤكدة للشكوك في الوسيلة التى مات بها عبد الحكيم. وكان مما قاله لى بالنص : « إن أمين هو يدى الذى خلفنى فى المخابرات، قد اقتحم الجهاز ولم أقم بتسليمه أى شئ، سوى حسابات المصاريف السرية، عن طريق مدير مكتبى وجيه عبد الله ».

وقد قدم صلاح نصر بلاغا عن طريق المحامى عبد الحليم حسن رمضان، يطالب فيه

بإعادة التحقيق في الموضوع. وقد أصر صلاح نصر على ان النائب العام قد اختصر من أقواله الكثير، ومنها أن صلاح نصر جزم بأن المشير لم يتسلم منه «سم» قط، وأكد أن المرحوم عبد الحكيم عامر لا ينتحر، فمعرفته به كصديق عمر وكفاح تؤكد أن عبد الحكيم رجل مؤمن وشجاع، وقادر على مواجهة الصعاب.

وقال صلاح نصر ان النائب العام، أهمل ما قاله صلاح نصر في التحقيق من أن تلاعبا قد حدث في سجلات السموم بالمخابرات العامة بعد استقالته. فقد نحوا المسئول عن السموم، وأتوا برجل آخر « لا يوثق به » ويستطيع . أن يفعل أى شيء ».

وأكد صلاح نصر أن المادة السامة كانت كاملة فى مكتبه حتى تقديم استقالته فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ .

والنائب العام لم يذكر ان صلاح نصر قد أرسل له صورة من الاستقالة التى رفعها إلى رئيس الجمهورية، والبرقيات التى وجهها إليه أثناء تحديد إقامته، وأضاف مخاطبا النائب العام :

« لقد أغفلتم شيئا هاما فى التحقيق، وهو أنى قلت ... هل من المعقول ان يتسلم المشير سما فى أوائل ابريل لينتحر به فى ١٤ سبتمبر ... أى بعد خمسة شهور !! ومن كان يستطيع فى هذاالتاريخ ان يتنبأ بأن الحرب ستنشب فى يونيو، وستؤدى إلى هزيمة ... ثم إلى خلاف بين عامر وناصر، ثم اعتقال المشير عامر، ثم انتحاره ؟.

وواصل صلاح نصر مخاطبته للنائب العام قائلا : « أين كنتم حين نشرت الصحف – فى اليوم التالى لوفاة المشير – فى « المانشيت» اننى صرحت بأننى سلمت سما للمشير خلافا لما جاء فى التحقيق . وقد أردت ان أعبر عن هذا الإفك من شرفة غرفتى بمستشفى الطيران، وخاطبت أهالى العباسية يوم ٨ أكتوبر ... وأردت ان يعرف أهالي حي العباسية ، أن المشير قتل ... وأننى سأقتل . ولذلك نقلت بالقوة إلى السجن الحربى – وأنا بين الحياة والموت – وكنت لا أزال أعالج من الأزمة القلبية التى انتابتنى فى مكتبى، فى اليوم الثالث عشر من يوليو عام ١٩٦٧ ، والتي أجبرتنى على الرقاد فى فراشى شهرا ونصفا .

وقد أرسل صلاح بلاغا للنائب العام من المستشفى اتهم فيه البعض بقتل عبد الحكيم عامر، ولم يعلم ماذا تم فيه حتى وفاته !!

وقد اعترض صلاح نصر فى بلاغه على العبارة القائلة • « وبهذا تحقق أن المشير

حصل على المــادة السامة التى انتحر بهــا من ادارة المخابرات العامة»، وعلــق على ما جاء فى التقـرير الطبى الشرعى، الذى قرر احتمال أن يكون المشـير قد تناول قبيل وفاته - فى استراحة المريوطية - قدرا آخر من مادة الإكوينتين مما عجل بوفاته.

واسـتطرد قـائلا : « ان هذا الاحـتمـال يفـتح البـاب لاحـتمـال آخـر لا يصل إلى حـد الاستحالة . وهو أن يكون أحد خدم الاستراحة قد دس له فى الشراب قدرا من الاكوينتين عجل بوفاته.

واختتم صلاح نصر رده على النائب العام بقوله : « إذن هناك حلقة ضائعة ... فإن لم أكن أنا قد سلمت عبد الحكيم عامر السم ... وإذا ثبت انه قد وجدت فى المخابرات الكمية التى تسلمتها فى أول ابرايل ١٩٦٧ فمن هو صاحب المصلحة إذن فى موت المشير عبد الحكيم عامر؟».

ومن الذى يستطيع ان يخرج السم من المخابرات العامة بعد استقالتى؟

وهل مات عامر منتحرا أم مات اغتيالا ؟

وهل مات بالسم أم مات بغيره ؟

وأضيف أنا إلى هذه الأسئلة سؤالا :

ومن يستطيع الإجابة على هذه التسـاؤلات، بصورة قاطعة، إلا بإعادة فتح ملف قضية المرحوم عبد الحكيم عامر ؟

إن الحـقـائق تتـضح لىّ رويدا، رويدا، والشكوك تتـزايد، فـهـا هو واحـد من العـارفين بالحقائق يدلى بشهادته، فى قضية انتحار المشير، ويصرخ ويؤكد أنه مات مقتولا ... ولا من مجيب.

ترى هل يوصلنى سـعيى ويحثى إلى المجيب .. الذى يسمع منى ويستجيب لرغبة الإنصـاف، بالنسبـة لرجل كافح من أجل وطنه، وقاوم التدخل الأجنبى، فكان له هذا المصير المحزن ؟

ويواصل صلاح نصر : وجدت نفسى في موقف عريب، فإننى كمسئول رأيت أمامى رجالا ضحّوا بالكثير من أجل وطنهم .. لقد استشهد زملاء لهم أثناء تأديتهم أعمالهم ... هؤلاء بدأت السلطة تنكل بهم.

لم يكن أمامى فى هذه الظروف الصعبة سوى خيارين:

إما أن أصمت فأرى هؤلاء يواجهون الظلم والجور وحدهم، وإما أن أقدم استقالتى حتى أكون حرا في الوقوف إلى جانبهم والدفاع عنهم، وبخاصة أننى علي يقين من أنهم ضحية مكيدة خبيثة.

لقد أيقنت أن المطلوب من هذه العملية هو شخصى كما أثبتت الأيام وسوف أتحدث فى الجزء الرابع من هذه الأوراق عن تمثيليات محكمة الثورة التى انعقدت سنة ١٩٦٧ .

لقد تذكرت المبدأ المشهور الذى يعمل به عبد الناصر .. « مبدأ استنفاد الأغراض».. لقد هدنى المرض وأصبحت لا أستطيع أن أعمل بالقدر الذى كنت أبذله قبل مرضى .. وكان لابد من ضحايا يقدمهم عبدالناصر للشعب لإخفاء إخفاقه السياسى، ومآسى الحرب التى هو بلاشك مسئول عنها المسئولية الأولي كما وضحت من قبل * .

كنت أدرك الأشواك التى ستواجهنى، والمخاطر التى سأتعرض لها، ومع ذلك لم أشعر إلا وأنا أمسك بالقلم وأكتب استقالة مسببة إلى عبد الناصر، وأرسلها إلي محمد أحمد عن طريق مدير مكتبي بعد أن نسخت منها عدة صور وزعتها علي الصحافة وبعض المسئولين.

وفيما يلى نص الاستقالة:

القاهرة في ١٩٦٧/٨/٢٦

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

« بسم الله الرحمن الرحيم .. يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي مافعلتم نادمين ». صدق الله العظيم.

الحمد لله التى جاءت منك وليست مني، فخلصتنى من وخز الضمير لما كنت أشاهده من صور أثناء مرضى، ولم أكن راضيا عنها، فأرحتنى من عبء كان يعذبنى .. والله يهدى النفوس، ويكشف الحق من الباطل إنه على كل شئ قدير.

أما بعد فقد كان في نيتى أن أمهد لك السبيل لتفعل ما تريد ولكن الله سبحانه وتعالي شاءت إرادته أن أرقد في مكتبى لمدة ستة أسابيع، وكان هذا يقلقنى بسبب ما اتخذته من قرارات منذ هذا اليوم..

---

* من كتاب مذكرات صلاح نصر الجزء الثالث- العام الحزين.

لقد كنت أعيش فى مرضى العضال مع الأحداث .. وياحسرتاه رأيت الشرفاء ذوى الرأى تخمد رءوسهم، ورأيت الانتهازية من الجبناء وأصحاب التطلعات تزحف بخصة بغية تحقيق أمور دنيوية مصيرها الزوال، وأنت تسمع لهذا ولذلك، فأرى قرارات ما كان لى عهدا بك أن تصدرها، فكنت أشفق عليك من هؤلاء الذى يريدون السلطان والجاه وحب السيطرة وأنت اعلم مني بهم، وخشيت على هذا البلد الأمين من هذه الفتنة الكبرى التى ذكرتني بتلك التى قامت فى صدر الإسلام، والتى لازال أثرها تعاني منه أمة المسلمين حتي اليوم.

وليس لى أن أقول لك شيئا الآن وأنا لا أزال علي فراش المرض إلا أن أدعو الله أن يحقق لهذا البلد ما يبتغيه أبناؤه، وأن أفسح لك الطريق لتختار من تشاء.

إلا أن ما تعجبت له أننى سمعت بأوامر القبض على أفراد الجهاز الذين خدموا بشرف وإخلاص، فإن كنت تريد القبض عليهم فاقبض على أولا لأننى المسئول الأول.

وأخيراً أقدم لك استقالتى ومستعد لأى محاسبة، فصاحب الحق لا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المواطن صلاح نصر

وبعد أن أرسلت استقالتى غادرت الاستراحة إلي منزلى فورا بصحبة الطبيب الدكتور إبراهيم شعراوى، فلم يعدلى الحق في أن أقيم فى استراحة حكومية .. وفي أثناء عودتى إلى منزلى، وأثناء مرور سيارتى بجوار كورنيش النيل، نظرت إلى الأفق، فاستهنت بالحياة، وسخرت من تكالب الناس عليها.

لقد تركنى عبد الحكيم عامر يوم ٢٤ من أغسطس بعد زيارته القصيرة لى، وكله أمل بأن دعوة الرئيس عبد الناصر له للعشاء ستصفى ما بينهما، متفائلات بأن عبد الناصر قد يصحبه معه إلى مؤتمر الخرطوم.

ولكن عبد الناصر يبدو أنه كان قد قرر شيئا ما ، إذ قام بدعوة عبد الحكيم عامر إلي العشاء واعتقله في منزله .. وأرسل أمين هويدى إلى المخابرات ليستكمل مخططه، وكان عبد الناصر قد قام قبل ذلك باجراء حركة تصفيات كبيرة فى القوات المسلحة كما بينت من قبل.

وشعرت أن الفتنة قد اشتعل أوارها، وأن الثورة ستأكل نفسها، كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.. كان عبد الحكيم أخلص الخلصاء لعبد الناصر، وكنت أقرب الناس إليه، ولكن فى ميدان السياسة ليس هنا أى اعتبار للمعايير الإنسانية والعاطفية، وليس هناك مكان

لصداقة أو وفاء .. وتذكرت ما قاله أهل العلم عن صحبة السلطان وخطورة القرب منه .. فقد قالوا :

«إن أموراً ثلاثة لا يجترىء عليهن إلا أهوج ولا يسلم منهن إلا قليل : صحبة السلطان وائتمان النساء على الأسرار وشرب السم للتجربة ».

إحساس آخر جاش فى صدرى وأنا فى طريقى إلى منزلى، إن الوفاء جزاؤه دائما الغدر وتذكرت قول الشاعر.

غاض الوفاء وفاض الغدر واتسعت   مسافة الخلف بين القول والعمل

وسرحت بخيالى فى شريط سينمائى طويل، أستعرض صورة موكب النفاق الذى سار شوطا بعيدا فى رحلة الحياة.

ووجدت نفسى أمام منزلى في شارع عبد العزيز فهمى بمصر الجديدة .. وتحاملت علي نفسى، وألقيت بنفسى على فراشى، كي أحصل على قسط من الراحة كنت في حاجة ماسة إليها، وأنا أمر فى دور النقاهة بعد أن سلمنى الله من مرضى الخطير.

وفي يوم ٢٧ ظهراً أبلغنى وجيه عبد الله قبول استقالتى وإحالتى إلى المعاش وأرسل لى صورة من قرار رئيس الجمهورية الصادر برقم ١٤٧٦ لسنة ١٩٦٧ بتاريخ ٢٧ من أغسطس سنة ١٩٦٧ الموافق ٢١ جماد أول سنة ١٣٨٧ .. والشئ العجيب الذى يدعو إلي التندر، ما قامت به رئاسة الجمهورية فيما بعد، فحينما ذكرت في تحقيقات القضية رقم ١ محكمة ثورة سنة ١٩٦٧ التى سميت « بقضية الاستيلاء على القيادة العامة للقوات المسلحة» بأننى قدمت استقالتى المسببة في ٢٦ أغسطس سنة ١٩٦٧، قامت رئاسة الجمهورية - وهي لا تعلم أن لدى صورة من قرار الاحالة إلى المعاش بتاريخ ٢٧/٨/٦٧ - بسحب قرار إحالتى إلى المعاش سالف الذكر وغيرت تاريخه ليكون ٢٥/٨/٦٧ أى اليوم السابق لتقديم استقالتى.

أى زيف أكثر من ذلك في أمر تافه لا يقدم ولا يؤخر، فرئيس الجمهورية له الحق فى إقالة أو قبول استقالة أى إنسان فى منصب سياسى، ولكن الأمر كان يتعلق بهيبة رئيس الجمهورية .. إذ كيف يجرؤ أى إنسان أن يقدم له استقالته.

كان أول ما فكرت فيه عقب قبول استقالتى أن أسلم كل ما يتعلق بوظيفتى وبخاصة الأمانات الحكومية والأموال. طلبت إلى وجيه عبد الله مدير مكتبى أن يتسلم أمين هويدى الذى عين مشرفا على المخابرات حساب المصروفات السرية ويوقع عليها، وأن يحضر لي

الدفاتر لأوقع إلى جوار توقيعه أيضا .

والحسابات السرية في المخابرات هي المصروفات غير العادية التى تخصص للانفاق على نشاط المخابرات السرى خارج البلاد.. وتسلم أمين هويدى الحسابات السرية، وأحسست أن عبئا ثقيلاً أزحته من فوق عاتقى.

محاصرة منزل المشير

ما أن انتهيت من تسطير استقالتى وتوقيعها حتي حضر لى فى استراحة الزمالك عباس رضوان، ليحدثنى عما حدث أثناء معركة الليل .. لقد اتصل به عبد الناصر هاتفيا فى منزله الذى يقع بالقرب من منزل المشير، وأبلغه أن المشير عامر لديه، وأنه أرسل قوة بقيادة الفريق أول محمد فوزى لإخراج الضباط المقيمين بالمنزل.

قال له عباس رضوان :

« ولا زمته إيه. إرسال قوات ؟»

رد عبد الناصر بقوله :

عبد الحكيم مش عاوز يسلمهم وبيقول يخرجوا واحد واحد.

اقترح عباس رضوان على عبد الناصر أن يعود عبد الحكيم عامر إلى منزله ويتولى بنفسه هذا الأمر .. ولكن عبد الناصر قال له إنهما لم ينتهيا بعد من مناقشة بعض الموضوعات، وطلب من عباس رضوان أن يذهب إلى منزل المشير فى الجيزة ويقنع الضباط بأن يسلموا أنفسهم.

ذهب عباس رضوان إلى منزل المشير القريب منه مترجلا، ووجد أن المنطقة الممتدة من كوبرى الجامعة حتي منزل المشير محاطة بقوات مجموعة لواء، وكأن هناك معركة حربية على وشك النشوب.. وحينما وصل عباس رضوان إلى منزل المشير عامر، وجد الفريق محمد فوزى ومعه قائد القوة اللواء سليمان مظهر - وهذا كان عضو اليسار فى محكمة الثورة التى حاكمت الضباط الذين كانوا يقيمون فى منزل المشير - ووجد الضباط المقيمين .. داخل منزل المشير ولم يكونوا يتعدون أصابع اليد يتحدثون مع محمد فوزى من داخل سور الحديقة، ويطلبون منه أن يدخل المنزل لمناقشته.

كان الضباط يرفضون التسليم، فدخل عباس رضوان منزل المشير، واتصل بعبد الناصر عن طريق الهاتف.. كانت الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة.

قال عباس رضوان لعبد الناصر :

« الموقف حرج والضباط يرفضون الخروج وعائلة المشير في حالة من الاضطراب وترفض الخروج، ومن المستحسن عودة المشير لحسم الأمر »

ولكن عبد الناصر قال له :

«إذا لم يخرج الضباط فإننى سأضرب المنزل بالمدافع، وقد أعطيت الأوامر بذلك لمحمد فوزى، وعليك أن تخرج عائلة المشير بأى وسيلة»

ورأى عباس رضوان أن الموقف يتطور سريعا، فأقنع الضباط بالخروج وقال لهم :

« لا يمكننا أن نسمح بأن يلحق أدنى ضرر بأسرة المشير .. إن فوزى سينفذ أوامر عبد الناصر، ولذا ليس هنا سبيلا سوى أن تخرجوا »

واقتنع الضباط وخرجوا وتم القبض عليهم.. وانتهت هذه المعركة غير المتكافئة في السادسة صباحا.. قائد عام القوات المسلحة، وضابطان برتبة لواء هما سليمان مظهر وصلاح محسن على رأس قوة تقدر بلواء لاعتقال ضباط لم يتعد عددهم أصابع اليد..

وتغير الحرس القديم على منزل المشير عامر بحرس جديد، وعاد المشير عامر إلي منزله فوجد كل شئ قد انتهى ..

لقد أصبح سجينا داخل منزله..

وفى العاشرة صباحا توجه عباس رضوان إلى منزل المشير عامر وقد ظن أنه يمكنه الدخول، فاعتذر له ضابط الحراسة، وقال له إن الأوامر التى لديه تنص على منع أى زيارة للمشير . وغادر عباس رضوان منزل المشير، واتجه إلى الاستراحة التى كنت أقيم فيها ليقص علي مغامرة الليل.

كان عبد الناصر متوجها إلى الخرطوم يوم ٢٨ لحضور مؤتمر القمة العربى بها .. وأشار عليه المحيطون به أن ينهي العملية قبل سفره خشية أن يحدث شئ فى غيابه .. وبينما كان عبد الحكيم يفكر فى الصلح مع عبد الناصر واحتمال مرافقته فى رحلة الخرطوم، كان عبد الناصر يدبر معركة الليل فيستدرج صديق عمره بدعوته لتناول العشاء معه، ثم يقبض عليه فى منزله .. ولكن هذه هى لعبة السياسة .. كلها غدر وخيانة ولا تنجح إلا بقتل القيم الأخلاقية ، والمشاعر الانسانية.

واستدعى عبد الناصر محمد أحمد وقال له :

«لقد تقرر تحديد إقامة المشير».

ثار محمد أحمد - علي حد قوله - وقال لعبد الناصر :

«إنني لا أحب ياريس أن يقال إنه حدث في تاريخك ما يشبه مذبحة المماليك»، وطلب محمد أحمد في ثورة غضبه أن يعفيه الرئيس من عمله .. وعاد محمد أحمد إلي مكتبه المواجه لمقر سكن عبد الناصر، فوجد به العقيد طنطاوى سكرتير المشير والنقيب محمد فتح الله من حرس المشير .. وما هى إلا لحظات حتى دخل صلاح شهيب ياور الرئيس وصوب نحوهما رشاشه وطلب منهما تسليم نفسيهما، وخرج الضابطان مع سجانهما .. وتم القبض على باقى الضباط المرافقين للمشير.

كان محمد أحمد حزينا وهو يروى ما حدث، وقال لى وأنا أودعه حينما هم بالخروج من منزلى :

«إن شاء الله كل الأمور تسوى بعد عودة الرئيس من الخرطوم»

ولكن الأمور تعقدت، وصعد الموقف، وجاءت الأيام التالية بمآس وآلام لا أدرى كيف سيسجلها التاريخ.

وما أن تركني محمد أحمد، حتي جاء لى نصر عبد الحكيم نجل المشير عامر يحمل لي رسالة مكتوبة يسرد لي فيها تفاصيل ما حدث في منزل عبد الناصر ليلة ٢٦ من يونيو..

قال عبد الحكيم فى رسالته

«ذهبت فى الموعد .. رأيت تحركات مريبة داخل المنزل .. أحسست بأن عملية غدر دبرت لى .. دخلت إلى غرفة الصالون وبعد دقائق دخل عبد الناصر ومعه أنور وزكريا وحسين الشافعي .

قال جمال إنه ثبت أننى أقوم بعمل تنظيم لعمل انقلاب.

قلت له اعمل تحقيق..

قال عبد الناصر لقد قررنا تحديد إقامتك..

قال السادات : أختر المكان الذى ترغب أن تحدد إقامتك به..

دخل الليثى وصلاح شهيب مسلحين ..

ثرث ووجهت سباباً للجالسين .. وقلت إننى لن أخرج إلا جثة هامدة..

لن يجرأوا علي محاكمتى ولكن سوف يقتلونى ...

المهم التفت لصحتك .. ومصلحة الوطن فوق كل شىء..

ومرة أخرى يحضر نصر نجل المشير لى بعد يومين وهو يحمل لى رسالة شفهية من عبد الحكيم يوصينى بأن أهدأ ولا أثير جمال عبد الناصر، وإلا فإنه قد يقتلنى..

ولكننى لم أستمع لنصيحة عبد الحكيم، فقد كان الموقف يتطلب منى أن أتخذ القرار الذى أثار عبد الناصر، وجعله يصب جام غضبه، ويسخر كل أجهزة السلطة للتنكيل بى كما سأتحدث في الجزء الرابع من هذه الأوراق.

تحديد إقامة وحرب شائعات

فى مساء السابع من سبتمبر اتصلت بى تليفونيا زوجة صديقى عباس رضوان وأبلغتنى أن حسن طلعت مدير المباحث العامة قد حضر إلي منزلهما ، واعتقل عباس رضوان .. ولم يكن الأمر مفاجأة لى ، فقد كان عباس يحس أنه سيتم القبض عليه بعد القبض علي الضباط الذين كانوا يقيمون في منزل المشير .. وذلك أنه أثناء توديع عباس رضوان يوم ٢٨ أغسطس لعبد الناصر عند رحيله للخرطوم لحضور مؤتمر القمة العربى ، قال عبد الناصر لعباس وهو يصافحه :

«العيال جابو سيرتك .. ولما أرجع هاشوف الموضوع ده»

وبعد القبض علي عباس رضوان يوم ٩/٧ ، وتحديد إقامة المشير في منزله في ٨/٢٦ أحسست أن الدور أصبح دورى ، وأن عبد الناصر قرر تصفية نهائية لرجال الثورة ، وأنه صمم علي تنفيذ ما قاله لي من أنه سيحولها إلي ستالينية .

وقد تحقق تنبؤى ففى صباح الثالث عشر من سبتمبر سنة ١٩٦٧ استيقظت مبكراً كعادتى منذ ألم بى المرض وتوجهت إلي الباب الخارجى للفيلا التي كنت أقيم فيها كى التقط صحف الصباح ، حيث تعود بائع الصحف أن يلقيها من تحت عقب الباب .. ولكننى لم أجدها ، فدخلت غرفة مكتبى التى كانت تطل علي الشارع ، كى أسأل الحراس عن الصحف، وكانت السلطة قد تركتهم بعد تقديم استقالتى .. فلم أجد أحداً منهم ، ووجدت وجوها جديدة تبلغ

عددها ما يقرب من خمسة عشر مخبرا من المباحث العامة ومنهم حسن طلعت مدير المباحث وضباط مباحث مصر الجديدة . وبالبديهة توقعت أنهم حضروا لاعتقالى ، فعدت لزوجتى وأيقظتها ، وطلبت منها أن توقظ الأولاد في هدوء حتي لا ينزعجوا .. رفعت سماعة الهاتف فوجدت الحرارة قد قطعت عنه ، وما هى إلا لحظات حتى دق جرس الباب ، وفتحت الباب فوجدت أمامى محمود كرارة ضابط مباحث مصر الجديدة وقال :

«سيادة الوزير شعرواى في الخارج ويستأذن في المقابلة» قلت لكرارة :

«فليتفضل فشعراوى صاحب البيت» .

وجاء شعراوى جمعة وحده ، وجلسنا في الصالون وشرب قهوته ، وأردت تسهيل مهمته فقد ظننت في بادئ الأمر أنه جاء ليعتقلنى .

قلت له :

«إننى علي استعداد لتنفيذ التعليمات التى جئت بها وسأرتدى ملابسى فوراً .

ولكن سرعان ما تحدث شعراوى وقال :

«ألم تقرأ صحف الصباح .. المسألة لا تتعدى تحديد إقامة» .

لم أكد أعرف أن هذا اليوم الذي حددت فيه إقامتى هى اليوم الذى نقل فيه المشير عبد الحكيم عامر إلي استراحة المريوطية بالهرم حيث انتهت حياته بها غدراً .

ثارت زوجتى من انتشار المخبرين داخل حديقة المنزل وتحت أسقف شرفات الدور الأول حيث تقع غرفه نومى .

قالت : زوجتى لشعراوى :

«ما هذا الذي يفعله جمال عبد الناصر ، أهذا أسلوب التعامل مع الأصدقاء ومع زملائه الاحرار» .

أجاب شعراوى :

«هذا اجراء مؤقت لن يتعدى يومين أو ثلاثة وستعود كل الأمور إلي مجاريها»

وأثناء جلوس شعراوى معى ، حضر الدكتور عبد المعطى القيمى ليعودنى ، فشاهد منظر المخبرين ، وكان قد قرأ الصباح ، ولم يتمالك نفسه فبكى .

قال شعراوى جمعة له :

احنا عاوزينك تشدأزره جاى تعيط !

كنت حريصا ألا أعقد شعراوى جمعة فالأمر بالنسبة له ليس سوى منفذ لتعليمات صاحب السلطة فسألته :

«ما تعليماتك الخاصة بتحديد الإقامة .

أجاب شعراوى :

«أبدا الأسرة لا قيود عليها تخرج وتدخل كيفما تشاء ، والمطلوب ألا تخرج من المنزل ولا يدخل المنزل سوى والدك واخوتك وأزواج أخواتك ! .

واستطرد شعراوى يقول :

سيركب تليفون في الحديقة عند الضابط المكلف ويمكنكم استخدامه تحت اشرافه وتركنى شعراوى جمعة فقلت له وأنا أودعه .

«قل لجمال عبد الناصر عيب اللى بيحصل ده ولنتصرف كرجال..»وما إن غادر شعراوى جمعة المنزل حتى أصبح منزلى كقلعة عسكرية ، ودخلت لأستريح في فراشى ، فسمعت ضجيجاً في الخارج فنهضت أستطلع الأمر، وإذا بى أجد أحد أعمامى خارج المنزل حضر من الزقازيق ويريد الدخول ، ولكن ضابط الحراسة منعه ، وحاول عمى أن يقنع الحراسة للدخول ، وأخرج بطاقته ليثبت له قرابته لي ، ولكن جهوده باءت بالإخفاق .

حسمت الموقف فحدثت عمى من النافذة ورجوته قائلا :

«معلهش ... الأمر ليس بيد الضباط .. اتفضل روح بيت والدى»

وخضع الرجل ، وانصرف وأنا أشاهده يتعجب مما يحدث .

وما أن تم تحديد إقامتى ، حتى أسرعت الأجهزة تبث الشائعات الناسفة ، فمن قائل أننى هربت إلي الخارج ومعى أربعين مليونا من الجنيهات ، ومن قائل أن السلطات ضبطتنى علي الحدود بعد أن حاولت الهروب .

وابتسمت ساخراً ، وأدركت أن المعركة قد نشبت ، وأن لعبة السياسة قد بدأت .. وفى صباح اليوم التالى ، سطرت خطابا إلي عبد الناصر ، جعله يثور ، ويقول : سأضع أنفه في الطين» .

وفيما يلي نص الخطاب :

القاهرة في ١٩٦٧/٩/١٤ .

من المواطن الحر صلاح نصر

إلي الرئيس جمال عبد الناصر

سلام علي من اتبع الهدى ورجع إلي الحق ، سلام علي من اتقى الله وخشي الرحمن .. أما بعد فإنني لا أكتب مستعطفا أو مستجديا ولكن أكتب لك ناصحا مرشداً .

أكتب لك كثائر وكزميل لك في الكفاح حافظ عليك بصفته .. وشبابه وعافيته فكان جزاؤه جزاء سنمار .

أرجو ألا تغضب حينما أقول لك «لا» كعادتك لمن يقول له هذه الكلمة - فإن موكب النفاق الذي نعيش فيه هو الذي أوصلنا إلي تلك الهاوية السحيقة .

كل ما أطلبه منك يا جمال - واسمح لي أن أناديك بهذا الأسم - فقد كان عندى أحب بكثير من كلمة رئيس - أن تتبين مايدور حواليك ..

لقد حاولت أن إتصل بك مراراً بعد أن قدمت لك استقالتي المسببة بتاريخ ٦٧/٨/٢٦ والتي تجاهلتها، وكان الحاحي في اللقاء بك لا لسبب إلا لأوضح لك أعداءك من أصدقائك . ولم يكن وراء هذا اللقاء غير مصلحتك ومصلحة هذا الوطن .

أنت تعلم جيدا يا سيادة الرئيس أنني لست بصاحب مصلحة، ولا بطالب سلطة أو جاه ، فتاريخى الوطني والحمد لله يشرفني ويشرف أبنائي من بعدي .

ولقد سكت بعد أن ألححت علي سكرتيرك محمد أحمد مراراً بضرورة هذا اللقاء ، وكان آخر هذه الاتصالات مساء الثلاثاء الماضى ، ثم فوجئت بما نشر عنى من افتراءات في صحيفة الأهرام أمس ، فتعجبت أن يصل التدهور الأخلاقى في هذا البلد إلي هذا الحد .

كل ما أطلبه منك أن تحاسب ضميرك - وأنت صاحب ضمير - عما يدور في هذا البلد، وبما يتخذ فيه من قرارات وإجراءات ستسجلها التاريخ سبة في جبين ثورة ٢٣ يوليو .

لقد تعجبت أن تحدد إقامتى وأنا الثائر الشريف المخلص لوطني والذي عمل في صمت وسكون طوال هذه الخمس عشرة سنة في الوقت الذي يرفع أولئك الذين يستحقون أن يوضعوا في السجون بدلا مني* بل هناك من يستحق الإعدام لما اقترفه نحو هذا الشعب

* يقصد مراكز القوى التي تحاصر جمال عبد الناصر.

المسكين .. أنا لا أدرى ما انتاب هذا البلد ، وماذنب هذا الشعب المسكين الذي يحكم بالحديد والنار بواسطة أجهزة الإرهاب .

أنا أخاطبك ومعك كل أسلحة السلطة ، وليس معي أي سلاح إلا إيماني بالله وبالحق .. هل وصل بك الحد يا سيادة الرئيس أن تسمح لأهل السوء والبغى أن يقوضوا هذه الثورة التي شاركناك فيها علي أساس من العلاقات الإنسانية والأخلاقية والوفاء .. الواقع أنني لا أكاد أصدق نفسي بما يجرى ولكن ليس بغريب ما قرأته في كتب التاريخ عن أمثال هؤلاء الذين لا يستهوون إلا الصيد في الماء العكر ، ولكن الحق سيظهر يوماً ما ، وستنتصر الفضيلة علي البغى والظلم .

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت

أتـــــاح لها لســـان حســـــود

لولا اشتعال النار فيما جــاورت

ما كان يعرف طيب عرف العـود

أنا لا أطلب منك شيئاً فافعل ماشئت ، ولكنني أكفر الآن عن إخلاصي ووفائي الذي ضربت به عرض الحائط في لحظة بصرح كل ما أطلبه منك أن تراعي الله في تصرفاتك نحو رعيتك ، وألا تسمع لأهل البغى والسوء ، واعمل بالقول المأثور : حكمت عدلت فأمنت يا عمر .

وأخيرا أعتب عليك - وأنت تعلم خطورة حالتى الصحية - تلك المعاملة التي يشهد بها الجميع أنها لا تهدف إلا لقتلى ، ولكن قضاء الله نؤمن به وهو خير حافظ .

وأخيرا أودعك وأسأل الله أن يحفظك من أهل السوء ويكشف بصيرتك وعينيك نحو الحق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صلاح نصر

لقد كانت هذه الرسالة بداية للمتاعب التي واجهتها في العشر سنوات التالية ، وبداية لحملة تشهير ضدى لم تحدث في تاريخ مصر الحديث ، اشتركت فيها كل أجهزة الدولة .

لقد تفجرت الفتنة ، وأخذت تتطور مع الأيام ، حتى جاءت علي الثورة فقوضتها ، وقضت علي رجالها ، واستغل الخونة والعملاء الفرصة في غفلة من الزمان ، لتشويه صورة ٢٣ يوليو وانجازاتها .

مازال الكلام لصلاح نصر:

التمهيد لحملة التشهير

ما أن قدمت استقالى المسببة يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ ، وصدر قرار عبد الناصر بإحالتى إلي المعاش فى ١٩٦٧/٨/٢٧ حتى بدأت حملة الإفك والتشهير .. لقد خرجت صحيفة الأهرام القاهرية بعددها الصادر في الخامس من سبتمبر بخبر في الصفحة الأولى يقول :

«علم مندوب الأهرام أنه قد جرت تحقيقات واسعة في إدارة جهاز المخابرات العامة لأنه قد خرج في عديد من الظروف عن حدود مهمته الأصلية .

وقد تقرر إحالة السيد صلاح نصر الذي كان مديراً للمخابرات العامة إلي المعاش .

وفى الثالث عشر من سبتمبر وهو اليوم حددت فيه إقامتى ، والذي نقل فيه المشير عامر من منزله بشارع الطحاوية بالجيزة إلي فيلا المريوطية بالهرم حيث لقى حتفه ، نشرت الأهرام الخبر التالى :

«كشف تشعب التحقيقات عن تفاصيل كثيرة في العملية الخاصة بالاستيلاء علي مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة .. كما استدعت تحديد إقامة السيد صلاح نصر مدير المخابرات العامة السابق الذي تبين أنه كان ضالعا في العملية إلي جانب مسئوليته عن بعض التصرفات التي خرج فيها جهاز المخابرات عن حدود وظيفته الأصلية».

وبالطبع لم يكن قد وجه لى سؤال واحد ، ولكن كان المطلوب التمهيد للرأى العام بما تدبره السلطة لي من اتهامات .

ويزداد الإفك والكذب حينما صدرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر في ١٩ من سبتمبر بخبر كله كذب .. ويبدو أن رسالتى التى أرسلتها لعبد الناصر في ١٤ من سبتمبر ، والتى كتبت نصها من قبل ، قد جعلته يفقد اتزانه ، فقرر أن يصب جام غضبه علي زميل الكفاح .

قالت صحيفة الأهرام في الصفحة الأولى :

«هناك شخص واحد حددت إقامته منذ ٥ يونيو وهو السيد صلاح نصر مدير المخابرات السابق ، وكان مرضه هو السبب الوحيد الذي حال دون اعتقاله للتحقيق معه فى أسباب انحراف جهاز المخابرات عن مهمته الأصلية ، كما أن هناك أربعة من العاملين في الجهاز قد يجرى التحقيق معهم في نفس هاذ الموضوع ولا يدخلون في عداد المعتقلين».

والواقع أنني أحسست بغثيان من هذا الإفك المبين ، وما وصلت إليه الأخلاق من تدهور .. وحاولت أن أرد علي هذه الافتراءات ، فاتصلت بحسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام تليفونيا - وكانت السلطة قد أعادت التليفون لي - وكنت حريصا أن أسجل الحديث بيننا للتاريخ ، وفيما يلي نص الحديث بين السيد حسنين هيكل وبيني :

- اللو الأستاذ هيكل موجود

- أيوه مين عاوزه .

- صلاح نصر

- ألو

- ايوه

- أهلا وسهلا سألت عليك الصبح ، قالوا لك ولا .. لأ

- أيوه قالوا لي .. وأنت ازيك وازاي صحتك دلوقتي ..

- الحمد لله بس أنا ليه عتاب عليك

- بس أنا عايز أقول لك حاجة .. أنا عارف إن يمكن يكون لك علي عتاب ..

- أنا عارف إنك رجل حر .. أسمع بس كلامي .. واحد بيكلمك من المعتقل.

- لا لا.. أنا عايز أقولك حاجة قبل الكلام.. أرجوك تفرق بين كتابة الخبر وصنع الخبر.. انت راجل عشت في الحكم فترة طويلة..

- طيب ما أنا عارف.

- طيب خلاص أهوده بعد هذه اللحظة أنا معنديش حاجة أقولها..

- أنها يهمني الحقيقة واخد بالك، وأنا عارف إنك رجل حر ولا يهمك إلا الحقيقة.. أنا - راجل دلوقتي محبوس ومش قادر أتكلم ولا أدافع عن نفسي - طيب يسبوني أتكلم .. وهل اللي نشر كلام رسمي ولا كلام صحافة.

- طيب حقولك حاجة .. إحنا لما نشرنا يعني .. أنا لما عرفت أنك سألت علي رحبت جدًا .. قلت علشان أحط قدامك الفرق بين أن خبر ينكتب وإن حد ينشر خبر.. أقصد فرق بين صنع الخبر ومصدر الخبر بغض النظر عن الحقيقة إيه وده فين وكل ده بس.. بالنسبة

للصحافة يعني محتاش.. مش من عندنا الكلام ده..

- خلاص حقول إيه مادام مش من عندك.. خلاص هل الحق في أن أرد عليه، ولا مليش حق.

- حقول لك حاجة، إن جيت ترد أنا مستعد آن أنشر الخبر، لكن إن وقفته الرقابة طبعًا حقولك وقفته..

- معلهش تسمحلي أبعت لك ردًا علي كل ما نشر عني في الأهرام..

- بالعكس بترجاك بالعكس .. ريحنى..

- خلاص حبعته لك ولو رفضوا نشره معلهش.

- خلاص.

- أشكرك.

- العفو.

- متشكر أوى.

وقمت علي الفور بتحرير خطاب إلي حسنين هيكل أرد فيه علي الأباطيل التي جاءت في صحيفة الأهرام، وأرسلته له مع على أحمد سكرتيري الخاص.

وفيما يلي نص الخطاب:

القاهرة في ١٩٦٧/٩/١٩

السيد محمد حسنين هيكل

رئيس تحرير جريدة الأهرام...

بعد التحية، فإنني أكتب لك كمواطن له الحق في حرية الكلام والنشر والدفاع عن نفسه، وأنا في موقف مكتوف اليدين مكمم الفم منذ أن حددت إقامتي يوم الأربعاء ١٢ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ بواسطة السيد وزير الداخلية شعراوى جمعة.

إن ما يهمني في الأمر أن أصحح إذا كان يسمح لي كمواطن في مجتمع ينادي بالديمقراطية والحرية،إن ما نشر عني كله افتراءات ظالمة لا يبغي من ورائها غير تلطيخ سمعة

رجل ثائر ضحي بشبابه في سبيل هذا الوطن.

لقد نشر في صحيفة الأهرام في عددها الصادر يوم ٦٨/٩/٥ ما يلي:

«علم مندوب الأهرام أنه جرت تحقيقات واسعة في جهاز إدارة المخابرات العامة لأنه قد خرج في عنيد من الظروف عن حدود مهمته الأصلية.. وقد تقرر إحالة السيد صلاح نصر الذي كان مديرًا للمخابرات العامة إلي المعاش».

وفي يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٧ نشرت الجريدة :

«كشف تشعب التحقيق عن تفاصيل كثيرة في العملية .. إلخ.. كما استدعت تحديد إقامة السيد صلاح نصر مدير المخابرات العامة السابق الذي تبين أنه كان ضالعًا في العملية إلي جانب مسئوليته عن بعض التصرفات التي خرج فيها جهاز المخابرات العامة عن حدود وظيفته الطبيعية».

وفي يوم الثلاثاء ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٧ نشرت الجريدة في الصفحة الأولي :

«هناك شخص واحد حددت إقامته منذ ٥ يونيو هو السيد صلاح نصر مدير المخابرات السابق، وكان مرضه هو السبب الوحيد الذي حال دون اعتقاله للتحقيق معه في أسباب انحراف جهاز المخابرات عن مهمته الأصلية، كما أن هناك أربعة من العاملين في الإدارة يجري التحقيق معهم في نفس هذا الموضوع ولا يدخلون في عداد المعتقلين».

ولما كان لا يمكنني السكوت أكثر من ذلك علي هذه الافتراءات الظالمة مهما كلفتني حياتي، لذا أناشدك باسم الحق، وباسم رسالة الصحافة الحية الضمير أن تنشر هذه الحقائق، وإنني مسئول عنها كلمة كلمة:

١- إن الخبر الذي نشر الخاص بإحالتي للمعاش يوم ٦٧/٩/٥ قد أذيع بعد عشرة أيام من تقديم استقالتي المسببة يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ لرئيس الجمهورية الذي أمر بإحالتي إلي المعاش بتاريخ ١٩٦٧/٨/٢٧، ومستعد لتقديم صورة من كل منها إذا سمح لي بنشر دفاعي مبينًا أسباب استقالتي.

٢- إن ما ذكر عن تجاوز جهاز المخابرات حدود اختصاصه فهذا ليس من الأمور السهل الإحاطة بها أو تحديدها حتي من السلطات التي تباشر التحقيق حاليًا والتي لا تعرف من رسالة المخابرات أكثر مما يعرفه رجل الشارع عن اصطلاح «قلم المخابرات» أو قلم البوليس السياسي.

٣- لا أدري لمصلحة من يخرب جهاز يحوي الأسرار العليا للدولة إلا لمصلحة العدو وأذنابه.. أنا لا أمانع في التحقيق، ولكن ككل الدول الديموقراطية الأصيلة، فإنه إذا ما حدث هناك انحراف في أجهزة المخابرات، فإن الذي يقوم بالتحقيق فيها لجان علي مستوي فني عال، تضم ممثلين مختلفين في البرلمان أو مجلس الدفاع، بل في كثير من الأحيان نظرًا لخطورة الجهاز يقوم وزير العدل بنفسه أو النائب العام بالتحقيق في هذه الأمور.

٤- أريد أن أوضح للرأي العام أن المهمة الأساسية للمخابرات الحصول علي المعلومات من الدول الأجنبية والمحافظة علي الأمن القومي للدولة، ولذا فهي ليست جهازًا بوليسيًا ، وهي في سبيل تحقيق أهدافها يكون أغلب عملها خارج البلاد. إن كل أجهزة المخابرات في العالم تستخدم كل السبل الميسرة وبموافقة حكومتها لتحقيق الأهداف السياسية التي ترسمها الدولة.. ولذا فإن عمل المخابرات ليس بالبساطة لكي يسمح لبعض الأشخاص أن يحددوا مهامه الأصلية.. ولي الفخر أنني الوحيد الذي أنشأت هذا الجهاز بعرقي ودمي منذ أحد عشر عامًا، وحافظ علي هذه الثورة، كما يؤيد ذلك الوثائق المحفوظة داخل الجهاز، كما أود أن أشير إلي كل التفاصيل التي جرت داخل الجهاز طوال مدة خدمتي يعلم بها رئيس الجمهورية الذي أعتبر مسئولاً أمامه كما جاء بقانون المخابرات.

٥- إن الخبر الذي نشر اليوم عن تحديد إقامتي منذ ٥ يونيو، وأن مرضي هو السبب في عدم اعتقالي والتحقيق معي أمر غير صحيح، فتقديرات المخابرات عن الحرب أكدت كل ما حدث، وصور هذه التقديرات موجودة ومحفوظة، كما أن أفراد الأمن القومي قاموا بواجبهم الوطني، وكان أفراد الجهاز وأنا علي رأسهم في حالة عمل مستمر لا يري النوم سبيلاً إلي جفوننا ، حتي سقطت في مكتبي يوم ١٣ يوليو سنة ١٩٦٧، وأنا أؤدي واجبي مصابًا بجلطة دموية شديدة.. ونتيجة لخطورة حالتي الصحية التي لم أكن أعرفها في ذاك الوقت، أجبرني الأطباء علي البقاء بالمكتب حتي خرجت يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٦٧ لاستكمال دور النقاهة ، وهؤلاء الأطباء هم السادة: رفاعي كامل، ومنصور فايز، زكي سويدان، ناصح أمين، عبد المعطي القيعي، وإبراهيم شعراوي، كما زارني في مرضي يوم ١٩٦٧/٧/١٤ رئيس الجمهورية حينما علم بخطورة مرضي.

أما الفترة حتي ١٢ يوليو سنة ١٩٦٧ فالدولة كلها جيشًا وشعبًا تشهد بما قمت به من عمل واتصالات، فكنت أحاول القيام بما كلفني به رئيس الجمهورية سواء في القاهرة أو في منطقة القنال، كما لا أخفي الدور الذي قمت به كحمامة سلام بين رئيس الجمهورية والمغفور

له المشير عبد الحكيم عامر رحمه الله منذ ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ حتي سقطت في مكتبي يوم ٧/١٣ بين الحياة والموت فاستطاع أهل السوء أن يدسوا للشرفاء وأصحاب المبادىء.

٦- ومنذ ما نشر عني من افتراءات وأنا أحاول أن أتصل برئيس الجمهورية لأوضح له أن هناك يدًا خفية تلعب في هذا البلد الأمين ليس إلا لمصلحتها الشخصية وشهوة السلطة والحكم، ولكن صوتي ذهب هباءً لأن مصلحتهم ألا تصل كلمة الحق إلي رئيس الدولة.

٧- كما أشهد الشعب أن كثيرًا من الوثائق في جهاز المخابرات التي إذا وقعت في يد العدو أو يد غير أمينة ستضر المصلحة العليا للدولة، ولذا فإنني غير مسئول عن العبث الذي حدث بالجهاز منذ يوم ١٩٦٧/٨/٢٦ نتيجة اقتحام الجهاز وأنا طريح الفراش بواسطة أفراد لا يقدرون المسئولية التاريخية.

وأخيرًا وليس آخرًا إذا لم يسمح لي بالنشر، فأرجو أن تحفظها لديك وثيقة للتاريخ الذي لا يمكن أن يزيفه بشر مهما نشر من افتراءات مضللة، والله يظهر الحق وينير القلوب.. إنه علي كل شيء قدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المواطن

صلاح نصر

والواقع أن الهجوم علي القوات المسلحة والمخابرات العامة بدأ منذ أواخر عام ١٩٦٦ بخطة محكمة من الشيوعية الدولية، التي كانت تصف هاتين المؤسستين بالرجعية، وحاولت أن تبث كثيرًا من الشائعات الهدامة علي القوات المسلحة والمخابرات العامة .. ويرجع السبب في هذا الهجوم إلي عدة عوامل:

أولاً- هجوم المشير عامر علي الشيوعيين المحليين في خطابين ألقاهما في القوات البحرية والقوات المسلحة عام ١٩٦٧.

ثانيًا- القضاء علي الأجهزة الوطنية التي كانت تحمي الثورة حتي تستطيع الشيوعية المحلية أن تزحف وتتحرك بحرية.

ثالثًا: كانت المسئوليات الضخمة .. التي أسندها عبد الناصر إلي المشير عامر في السنتين الأخيرتين محل حقد زملائه من أعضاء مجلس الثورة.

رابعًا - محاربة المخابرات العامة للشيوعية بحكم مسئولياتها، في مراقبة أي نشاط أجنبي مضاد.. وقد استطاعت المخابرات العامة أن تضع يدها علي ثلاث قضايا شيوعية إحداها القضية المعروفة باسم الحزب الشيوعي العربي، وأخرى كان مجالها مدينة الإسكندرية، وثالثة كان رئيس شبكتها أحد ضباط المخابرات الروس في السفارة السوفييتية بالقاهرة، وقد أصدر عبد الناصر تعليماته بوقف أي إجراء في هذه القضية محافظة علي العلاقات مع السوفييت.

خامسًا : كان لابد من القضاء علي القوات المسلحة والمخابرات العامة تمهيدًا للاعتماد علي الحزب ومنظمات الشباب كما هو متبع في الأنظمة الشيوعية.

سادسًا : ظهور تكتلات في الحكم كان هدفها تقويض القوات المسلحة والمخابرات العامة حتي تستطيع أن تزحف هذه التكتلات.. كانت تكمن في الآتى : تكتل برئاسة علي صبري في الاتحاد الاشتراكى، تكتل برئاسة سامي شرف في الخارجية والأجهزة الإدارية، تكتل برئاسة زكريا محيي الدين ويضم بعض الأجهزة التنفيذية.

كانت هذه التكتلات واضحة سواء في الأجهزة التنفيذية أو الإعلامية أو في لجان الرقابة العليا وتصفية الإقطاع التي تحدثت عنها.. والغريب أنني حينما تحدثت مع عبد الناصر عن الحرب النفسية التي كان يتعرض لها المشير عامر من الشيوعيين قبل النكسة بشهور، أجاب بأنه نصح المشير بألا يهاجم الشيوعيين لأنهم الوحيدون الذين وقفوا بجانبنا.

سابعًا: نمو سلطان الاتحاد الاشتراكي ومحاولة علي صبري تسخير منظمات الشباب لتحقيق أهداف سياسية لمصلحته، إذ قام بإصدار تعليمات بتدريب منظمات الشباب علي أعمال الانقلابات ومقاومتها لتصبح كقوة ميليشيا، ولما ناقش المشير عامر هذا الأمر الخطير مع عبد الناصر، قام عبد الناصر بسؤال على صبرى، فأنكر الأمر في بادىء الأمر، ولكن المشير عامر أيد حديثه بالوثائق، فما كان إلا أن ذهب علي صبري إلي المشير عامر واعتذر له.

هذه بعض الصور التي كانت تتحكم في الحكم قبل ٥ يونيو، أسطرها لأبين أن النية كانت مبيتة للتخلص من رجال الثورة من قبل المعركة، ولكن النكسة مهدت الطريق لعبد الناصر كي يلصق أخطاءه بغيره كما سأبين ذلك بالتفصيل في الجزء الرابع من هذه الأوراق.

قمة المأساة

في مساء الثالث عشر من سبتمبر بدأت أفكر في حياة جديدة بعد أن أزحت عن كاهلي حمل العمل السياسي الثقيل، وقررت أن أمارس هوايتي القديمة التي بدأتها في سن مبكرة وأنا لا أزل في السابعة والعشرين من عمرى.. هواية تأليف الكتب.

ما كدت أجلس علي المكتب أفتح أمامي الورق الأبيض والأقلام، وأعد تخطيطًا للكتب التي أريد استكمالها، بأيها أبدأ حتي دخل علي زوج أختي الكبرى حزينًا مكتئبًا.

نهضت من علي مكتبي لأجلس إلي جواره.. وبعد فترة من الصمت قال لى:

فيه خبر خايف أقوله لك علشان صحتك.

قلت له :

- لا أبدًا مفيش حاجة لازم تقول ..

قال لى:

- البقية في حياتك في عبد الحكيم.

أحسست بصدمة أفجعتنى، وكدت لا أصدق، فرحت أسأله كيف علم بالنبأ، فأبلغني أنه كان يزور أحد أصدقائه في عمارة مجاورة لمنزل المشير، فسمع عويلاً وصراخًا يخرج من منزل المشير.. وخرجت من المنزل سيارة بها أولاد المشير، ولم يتبادر إلي ذهن زوج أختي أن هذا الصراخ كان من أجل وفاة المشير، حتي عاد إلي منزله فاتصل به صديقه ليبلغه أن الذي توفي هو المشير نفسه.

كانت الصدمة عنيفة بالنسبة لى، ذلك أنني لم أفقد صديق العمر فحسب، بل أحسست أيضًا بقمة المأساة، وتجسدت أمامي كل صور علاقتي مع عبد الحكيم ومع عبد الناصر .. ومع الثورة.. ومع المخابرات .. ومع الناس.

صور عديدة اختلطت أمامى، وتحجرت الدموع في عينى فلم أقدر حتي علي البكاء.. لم أصدق أن عبد الحكيم قد انتهى، ذلك الإنسان الذي جمع بين الطيبة والوفاء والشهامة والرجولة.. قد راح هكذا فجأة.. لقد مات الإنسان.

أية مأساة هذه، ماذا أفعل وأنا مريض في منزلي محدد الإقامة لا أستطيع حتي أودع صديق عمرى، ورفيق رحلتي الطويلة بأيامها الحلوة والمرة، بما فيها من متاعب وآلام

وابتسامات، من انتصارات كثيرة وهزائم قليلة.. هذا الإنسان الذي كان توأم روحي قد نالت منه يد الغدر.. إنني أعيش حبيس جدران منزلي لا أكاد أتبين الصورة الحقيقة لما جري وسط ضباب كثيف يحيط بكل شيء.

لقد انتهت قصة عبد الحكيم عامر نهاية مأساوية مثل المآسي الإغريقية، أو القصص المثيرة المليئة بالشجاعة.. وفجأة يسدل الستار والقصة لم تكتمل فصولها بعد. ويعيش المتفرجون في حيرة.. ماذا حدث بالضبط؟ ولماذا كل ذلك؟ من المسئول؟

كل هذه الأسئلة سوف أضع بها إجابات موثقة في الجزء الرابع من أوراقي من وسط الدموع والمأساة التي عشتها في تلك الأيام وفي الأيام التي تلت ذلك، وكانت أكثر سوادًا وأشد ظلامًا بالنسبة لعلاقات الأخوة والصداقة.

كيف بدأت العلاقات الحميمة بين الأصدقاء؟ وكيف انتهت؟

إنها واحدة من ألاعيب الصراع علي السلطة، والتاريخ حافل بالمآسي والصراعات، ولكن تظل هذه المأساة من أكبر المآسي وأعنفها التي شهدها تاريخ مصر الحديث.

لقد كانت حدًا فاصلاً بين كثير من الأمور التي استطرد في الكتابة عنها في الجزء الرابع من هذه الأوراق.

كم كان عام ١٩٦٧ عامًا حزينًا حقًا.. وسوف يظل أبدًا عامًا حزينًا بالنسبة لمصر وللعرب، وبالنسبة أيضًا لعدد من الأشخاص الذين عاشوا المأساة عن قرب والذين ألموا بكل تفاصيلها الكاملة*.

صلاح نصر.

انتهي كلام صلاح نصر

وذات يوم زارني المهندس حسن عامر - شقيق المشير - وكان واحدا من الإخوة المقربين اليه، وموضع سره، لما كان يتميز به حسن عامر من ثقافة واتزان، والحقيقة فإن حسن عامر، كان أول من حذر أخاه عبد الحكيم من الغدر به، وقد أدرك ذلك يوم « تمثيلية التنحي » ولم يصدق أن جمال يترك السلطة وقال لأخيه عامر : « ده ناوى يغدر بيك !!».

* من كتاب مذكرات صلاح نصر - الجزء الثالث (العلم الحزينة).

وقال لى حسن عامر إنه طلب من المحامى العام طلبين هما :

- إعادة التحقيق وسؤال الشهود، لأن الظروف التى تم فيها التحقيق، كانت ظروف قمع وارهاب، أدت إلى إحجام الشهود عن الإدلاء بالحقيقة.

والثانى : عرض تقرير الطبيب الشرعى ، والتقارير الطبية المعملية، علي هيئة دولية لدراستها، وإبداء الرأى فيما ورد فيها.

وأضاف حسن عامر وفى صوته رنة ألم : « أخذوه من بين أولاده كويس، وصحته كويسة ... وبقى تحت مسئوليتهم ... وبعد أربع وعشرين ساعة أعلنوا موته للدنيا كان خصومه هم القضاة ... من غير ما يدوه حق الدفاع عن نفسه !!..

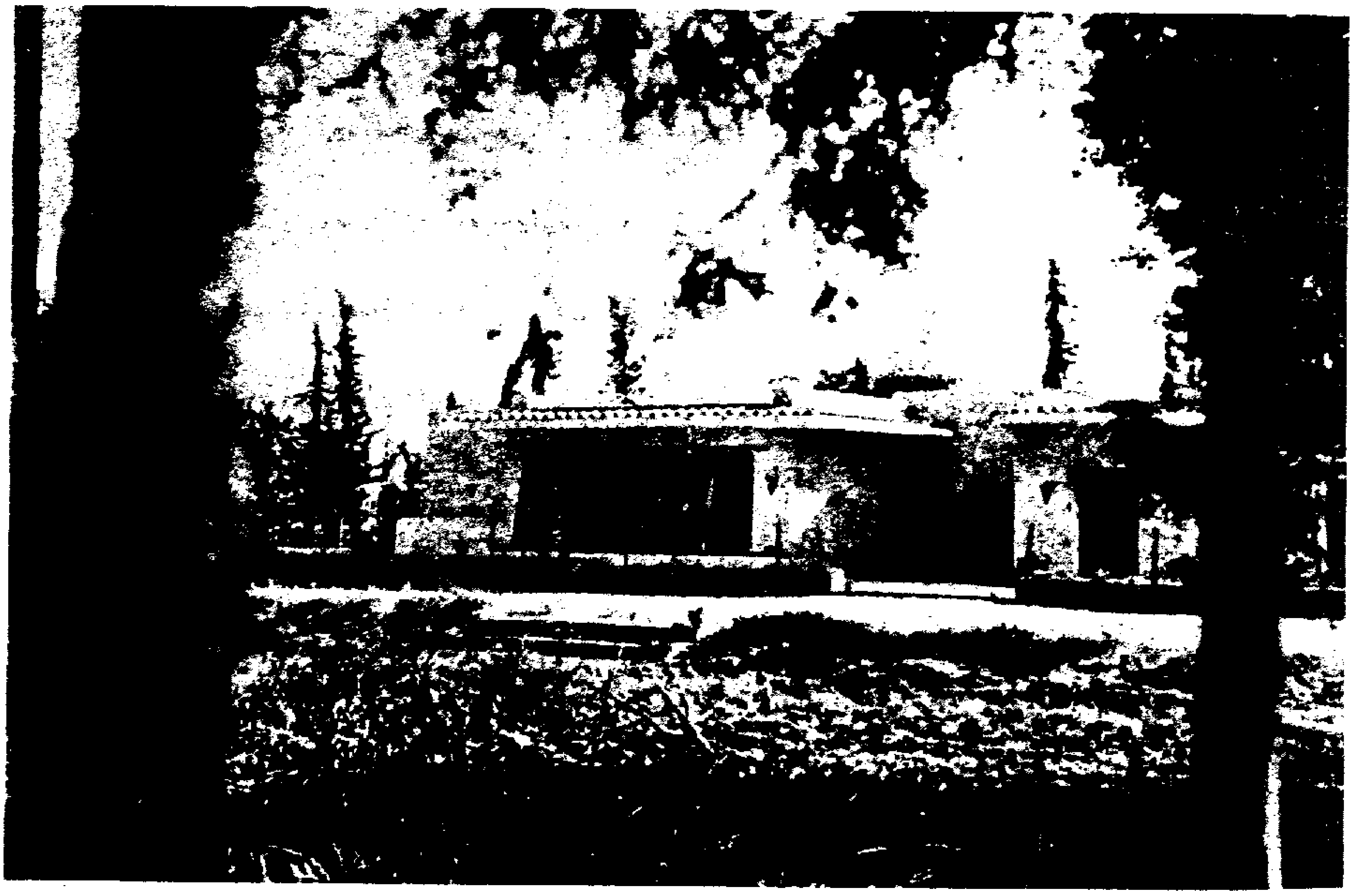

مبنى استراحة المريوطية التى نقل اليها المشير عامر بعد مستشفى المعادى .... وقتل بها في اليوم التالى

شهود العيان

شاءت إرادة الله أن يكون لكل واقعة شهود. فإن لم يكن هناك شهود فلا واقعة، ما دام لا علم بها عند البشر.

والواقعة التى نحن بصددها هى « موت المشير عبد الحكيم عامر».

ومع ان « الموت» حدث فى استراحة المريوطية، إلا أن مسرح هذه الواقعة يشمل أربعة أماكن.

المكان الأول : بيت عبد الحكيم عامر بالجيزة حيث ظل سجينا لعدة أسابيع، بفضل قرار « تحديد الإقامة».

المكان الثانى : المستشفى العسكري بالمعادى.

المكان الثالث : استراحة المريوطية.

المكان الرابع : اسطال ، مدافن الأسرة بالصعيد.

ولكل مسرح من هذه المسارح شهود محددون، أدلوا بأقوالهم وآرائهم وتحليلاتهم حول موت المشير، ومنهم من أكد ان الموت لم يكن انتحارا وانما كان قتلا.

وينقسم الشهود إلى ثلاث فصائل هم : أهل المشير، الأطباء الذين لازموا المشير وعالجوه سواء فى مستشفى المعادى ، واستراحة المريوطية، والفصيل الثالث هم رجال المخابرات، والحرس الجمهورى.

والعجيب ان الفصيل الأول والثانى . أعلنا ان المشير مات مقتولا، وقدموا اتهاماتهم مشفوعة بالبينة والبرهان.

أما الفصيل الثالث فقد أنكر بلا بينة وبلا برهان !!!

وسأقدم للقارىء شهود هذه الواقعة، وسأبدأ بأهل المشير الذين رافقوه طوال فترة تحديد إقامته فى منزله. ولقد سبق أن قدمنا كلا من : أمين عامر، عبد الجواد عامر ، عبد المنعم عامر ،حسن عامر، والآن نقدم شهادة «نجيبة» عبد الحكيم عامر الأبنة الكبرى.

تقول نجيبة عبد الحكيم : « كان أبى منذ اللحظة التى جاءوا فيها إلى لحظة إخراجه

بالقوة من بيته، كان جالسا طوال الوقت أمام عبد المنعم رياض، ولم يغادر الغرفة قط، وبالتالى لم يأخذ أى شىء معه من أدراج مكتبه، خلافا لما أشيع وتردد فى الجرائد، وخرج أبى معهم وهو فى حالة جيدة، ممتلكا لجميع قواه.

وتكمل نجيبة : « وفى اليوم التالى أرسل فى طلب كتب وملابس، وماكينة حلاقة، وقد أرسلنا له كل ماطلب، ومعه رسالة منى وهذا خير دليل على ارتفاع روحه المعنوية».

شهود مستشفى المعادى

أكدت تقارير السادة الأطباء بمستشفى المعادى على أن المشير كان فى صحة جيدة عندما جاءوا به إلى المستشفى . وأن الفحوص والتحاليل أثبتت انه لم يتناول أى شىء من « الإكوينتين» أو « الأفيون» حتى لحظة مغادرته المستشفى فى الخامسة والنصف مساء يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧، وأنه غادر المستشفى سائرا على قدميه بخطى ثابتة.

وقد قال الرائد طبيب حسن عبد الحى أحمد فتحى أنه لم تظهر على المشير أعراض وجود حالة تسمم، وكانت صحة المشير حين جاءوا به فى صحة جيدة.

أما الممرضة صفاء فإنها قالت : المشير حضر ماشيا على قدميه وكان يضحك وأنه غادر المستشفى يوم ١٩٦٧/٩/١٣ فى حالة جيدة وسائر على قدميه.

الرائد محمد عصمت مصطفى من الشرطة العسكرية، وكان يرافق المشير فى الطريق إلى المستشفى، وتلقى على يديه ما لفظه المشير من فمه شيئا كان يمضغه - على حد زعمه - وقد سلم الورقتين السلوفان إلى المستشفى، وفى اليوم التالى قدم ورقة ثالثة وهو ما زعموا أن المشير كان يمضغهم وهو فى الطريق إلى المستشفى.

هؤلاء الشهود كانوا شهود يوم ١٩٦٧/٩/١٣ عقب القبض على المشير مباشرة.

أما شهود يوم ١٩٦٧/٩/١٤ بمستشفى المعادى، فإن أولهم هو اللواء طبيب مرتجى، الذى قال : « ان الفريق فوزى اتصل به يوم ١٩٦٧/٩/١٤ فى الساعة السادسة مساء، وطلب منه إرسال طبيب إلى استراحة المريوطية على وجه السرعة، والملاحظ ان المشير لم يصب بالأزمة إلا بعد ذلك بثلث الساعة ... فكيف عرف محمد فوزى أنهم فى حاجة إلى طبيب ؟!

مقدم طبيب محمد عبد المنعم عثمان، والرائد طبيب ثروت عبد الرحمن الحرف.

هذان قررا أن ما سلم من قطعتين متماثلتين من ورق السلوفان لم يكن بهما أى آثار مضغ، وأن الورقة الصغيرة - الثالثة - لم يثبت التحليل وجود أى شىء بها.

الصيدلى أبو الدهب : أكد ان السيلوفان والورقة المفضضة لم يكن بهما أى شىء من آثار المضغ.

الكيميائى صلاح عبد الغنى : تحليل القىء أثبت خلو المعدة من أى آثار للأفيون أو المورفين وشريف عبد الفتاح : أخبره الدكتور بطاطا أن المشير كان متمالكا لقواه، ونام من الساعة ٤ حتى الساعة ٦، ثم ذهب إلى الحمام، مما يدل على انه كان قادرا على المشى.

شهود المريوطية

استراحة المريوطية هى المكان الذى حملوا المشير إليه بعد خروجه مباشرة من مستشفى القوات المسلحة بالمعادى، وهي المسرح الثالث من مسارح «الواقعة» وفيه بالذات حدث موت عبد الحكيم عامر، وفيها شهود من الأطباء :

الدكتور مصطفى بيومى حسنين الذى قال « حال المشير بعد وصوله إلى الاستراحة لم يطرأ عليها سوء، ولم يكن فيها ما يدعو إلى القلق».

الدكتور إبراهيم على بطاطا قال : « انه كان مع المشير حتى الساعة السادسة يوم ١٤ سبتمبر، وأنه تركه فى حالة جيدة، وفى السادسة وعشرين دقيقة استدعى ليرى المشير، وقد وجده يعانى ضيقا فى التنفس وإرهاقا.

عريف مجند أحمد مصطفى قال :« المشير لم يقبل أى شرب يوم ١٩٦٧/٩/١٤ حتى الوقت الذى انصرف فيه للنوم (من رئاسة الجمهورية).

الخادم منصور أحمد على قال : « المشير ظهر عليه الضعف جدا من الساعة ١٢، وحوالى الساعة ٥ طلب أن يذهب إلى دورة المياه وكان جسمه غير طبيعى.

ويلاحظ أن كلامه يتناقض مع أقوال الدكتور إبراهيم بطاطا والعريف مجند أحمد مصطفى .

هؤلاء الشهود كان هناك غيرهم من كبار المسئولين هم : الفريق محمد فوزى ، والليثى ناصف رئيس الحرس الجمهورى، وسعد عبد الكريم رئيس الشرطة العسكرية، وأنور السادات، والمقدم عبد الكريم «ومن خلف الستار سامى شرف».

شهود الدّفن

نقل جثمان المشير عبد الحكيم عامر بأمر من جمال عبد الناصر تحت حراسة مشددة، ودفن بمعرفتهم، وضربوا كل من حاول أن يقترب من الجثة من أهالى البلد، ووضع كل إخوته فى السجن إلى ما بعد دفنه !!

ولم يشهد جنازته سوى سبعة أطفال هم أبناء المشير، ورجلان من إخوته كانا هما الباقيان، ولم يقبض عليهما، المستشار عبد المجيد عامر، والحاج سنوسى (٧٠ سنة)، ولم يسمح لهما بالاقتراب من الجثة !!

نقل رفات المشير من مقبرة الشهيد – عن كتاب الانفجار ٦٧ لمحمد حسنين هيكل

تعليق : فى سبتمبر ١٩٦٧ حضرت إلي "أسطال" سيارة قيل إنها تحمل جثمان المشير لدفنه في مقابر العائلة – كانت السيارة بها صندوق خشبى وحوله جنود مدججون بالسلاح وبعد الدفن استمرت الحراسة المسلحة علي المقبرة لمدة ٣ شهور

هل كان الصندوق فارغاً ؟! بدليل الصورة المأخوذة من كتاب الانفجار.... أين الجثه ؟!!

الثغرات في تقرير النائب العام

إن تقرير النائب العام " أثناء حكم عبد الناصر وسيطرة مراكز القوة على الدولة ومؤسساتها " قد سمح للصحف أن تنشر هذا التقرير حين صدوره من النائب العام ولكن محمد فائق وزير الإعلام حذف منه فقرات بحالها .. وقد استدعى حينئذ ثلاثة من المسئولين في صحف " الأخبار " و " الأهرام " و " الجمهورية " .. وسلم كل منهم قلما أسود ، وطلب اليهم أن يجروا بالقلم الأسود أمامه على هذه الفقرات بحيث يطمس أصلها تماما ... وقيل حينئذ أن جمال عبد الناصر أمر بأن يعرض التقرير أولا على ، محمد حسنين هيكل ، وهو الذى حدد الفقرات التى تطمس ... وهذه هي أهم الفقرات المحذوفة .

١-السطر الأول من الصفحة الأولى من التقرير . الأصل : وبما أن وقائع الحادث تحصل فى أنه قبيل منتصف ليلة الجمعة ١٥ سبتمبر سنة ١٩٦٧ أخطرت النيابة العامة بوفاة المشير عبد الحكيم عامر .... التعديل : حذفت كلمتا :" قبيل منتصف " وأصبحت الجملة : بما أن وقائع الحادث تحصل فى أنه ليلة الجمعة ١٥ سبتمبر .

٢-السطر الخامس من الصفحة الثانية من التقرير .. حذفت عبارة أن رئيس الجمهورية هو الذى أصدر الأمر بنقل المشير من منزله الى المعتقل الانفرادي " تحت سيطرت رئاسة الجمهورية "

٣-حذفت أربعة أسطر من الصفحة الثالثة من التقرير ابتداء من السطر العاشر وهى أن المشير ضاق بالإجراءات التى اتخذت ضده وبالأخص الذى تقييد حريته وتحديد إقامته بعيدا عن أفراد أسرته تمهيدا للتحقيق معه وفى هذا الصدد قال المشير أن هذه الإجراءات ليست فى صالحة ولا فى صالح البلاد ولا فى صالح رئيس الجمهورية ، وأنه يطلب العدول عنها وإبلاغ طلبه للسيد الرئيس وأنه ينتظر إجابة هذا الطلب فى نفس الليلة وإلا اعتبره مرفوضا ..

٤-حذف السطر الثالث والرابع والخامس ، ثم السطران الأخيران من الصفحة الرابعة أن المشير لا يقبل تقيد حريته وطلب اليه أن يبلغ السيد رئيس الجمهورية اعتراضه على هذا الإجراء وأنه إجراء ضار به هو والبلاد والسيد الرئيس .

٥-حذفت أربعة أسطر ابتداء من السطر رقم ١٢ فى الصفحة السادسة .

٦-حذف السطر العاشر والسطران الأخيران من صفحة ٧ والستة أسطر الأولى من صفحة ٨ وهى :" غير أن المشير أصر على موقفه رفض الانتقال من المنزل طالبا إبلاغ رسالة الى السيد الرئيس " أن فى تنفيذ ذلك الأمر خطورة عظيمة " . و .. استطرد الشاهد العميد محمد سعيد الماحى يقول :" أن المشير كان قد استفسر منه فى الصباح ذاته عما إذا كانت رسالته الى السيد رئيس الجمهورية قد وصلته فرد عليه بأنه إبلاغها للجهات المختصة .. وحوالى الساعة التاسعة مساء إتصل به أحد الضباط وأخبره بأن المشير يطلب ردا على رسالته التى ابلغها للفريق أول فوزى وإذا لم يأتى ذلك الرد حتى الساعة التاسعة مساء فسيعتبر طلبه مرفوضا .

٧-النقيب عبد الرؤوف صفحة ١٠ شهد " أن المشير صرح بأنه لن يعتقل حيا "

٨-جملتان من شهادة اللواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجى قائد مستشفى القوات المسلحة بالمعادى " ص ١٢ " قال فيهما ." بينما أعلن الفريق أول فوزى بأنه لابد من مغادرة المشير المستشفى قبل الساعة الخامسة سواء اجريت عملية غسيل المعدة أم لا " :" وأخبرن الفريق أول فوزى بأن المشير تناول مادة سامة وأنها ليست أول مرة كما أبدى أعتقادة بأن الأمر لا يخرج عن كونه مسرحية لا حقيقة "

٩-جملة من شهادة الرائد طبيب حسنى عبد الحى أحمد " ص ١٣ " قال فيها أن حالة المشير كانت تستدعى المراقبة الطبية بعد ترك المستشفى .

١٠-جملة من شهادة الطبيب محمد عبد الرازق حسين " ص ١٤ " قال فيها :" أنه كان منطلقا فى طريقة للمشاركة فى إسعاف المشير ولكن الفريق أول فوزى استمهله قائلا أن هذه المسألة (أى تناول المشير لمادة سامة) قد حدثت ثلاث مرات من قبل وأن رأى الفريق أول فوزى غير مقتنع بجدية محاولة المشير للانتحار .

١١- وحذفت من " ص ٢٠" عبارة تفيد " أن الممرض والسفرجي الذين عينا فى معتقل المشير من موظفى الحرس الجمهورى !!! "

١٢-حذفت فقرة كاملة من شهادة السيدة نجية عبد الحكيم عامر " ص ٢٢ و ٢٣ " وهى التى اتهمت فيها بأن والدها مات مقتولا قالت :" أن المشير منع من الاتصال تليفونيا برئيس الجمهورية عند القبض عليه " ثم قال تقرير النائب العام :" وأبدت اعتقادها أخيرا أن والدها قد قتل عن طريق اعطائه المادة السامة ، وبنت اعتقادها هذا على أساس أنه لو كان ينوى الانتحار حقا لكان أولى به أن ينتحر فى بيته وبين أولاده وقد كانت لديه فسحة من الوقت فى الأيام السابقة " من ٥ يونيو ٦٧ إلى ١٤ سبتمبر ٦٧ " . وأن ما قيل عن احتفاظه بمادة سامة فى شريط لاصق بجسده ينافى منطق الواقع وهو أنه لم يكن متخوفا من أى إجراء قد يتخذ ضده " فقد كان مصرا على عمل محاكمات علنية لتبرئة الجيش من هذه الهزيمة " . هذا الى أنه لم يغادر حجرة الجلوس من وقت الحضور فى طلبه حتى اصطحابه ، حتى يقال بأنه تمكن من وضع ذالك الشريط حاملا المادة السامة ، وليس من مبرر إلى أن يحتفظ بباقى تلك المادة فى ذلك المكان مادام تناول مادة سامة بالفعل قبل مغادرة المنزل . ونفت السيدة نجيبه عامر بشدة أن والدها كان يتناول الأفيون مدللة على ذلك بأن المنزل فتش دون أن يعثر فيه على أفيون وأستطردت تقول أنهم _ أى أفراد أسرته لم يخطروا بوفاته وانما فهموا فى الساعة السادسة من صباح يوم الجمعة أنه مريض ، وأنه نقل الى بلدته أسطال . وأضافة الشاهدة أن من يقيد حرية انسان يعتبر مسئولا عن الحفاظ على حياته .

١٣- حذفت من التقرير أجزاء من شهادة محمد السيد أمين عزب زوج السيدة نجيه " ص ٢٣ " ، وهى قوله أن المشير طلب من الفريق رياض أن يمكنه من الاتصال تليفونيا بالسيد رئيس الجمهورية أو أحد نوابه غير أنه ذهب وعاد يعتذر عن عدم أمكان تلبية هذا الطلب ثم قوله : وقد طلب المشير أن يرى أولاده قبل الخروج من المنزل فرفض طلبه . وقد قال المشير للفريق رياض أنه على أستعداد للمحاكمة أمام أى محكمة تحددها الدولة وذكر أيضا أنه سبق أن طلب من العميد الماحى تمكينه من الاتصال بالسيد رئيس الجمهورية أو أحد نوابه وكان ذلك منذ أربعة أيام ، واستطرد الشاهد يقول أنه سمع المشير يقول أن هذا الذى يجرى ليس فى صالح البلاد ولا فى صالح السيد رئيس الجمهورية .

١٤- وحذف محمد فائق وزير الاعلام فقرتين من شهادة السيدة آمال عبد الحكيم " ص ٢٤ " قالت فيهما :" أنها اتصلت تليفونيا الساعة ٤ من مساء يوم الخميس ١٤ سبتمبر بالسيد رئيس الجمهورية فى الاسكندرية " ترك مراكز القوى ومعهم المخطط لتنفيذ قتل المشير وأثبت وجوده بعيدا عن الجريمة كما يفعل عتاه المجرمين ونفذت مراكز القوى الجريمة بالكامل حتى خدم المشير فى الاعتقال من رئاسة الجمهورية ومن مخابرات رئاسة الجمهورية " وقال لها الرئيس كان لابد من هذا الذى حدث نظرا للتحقيق الذى يجرى والذى نشر فى الصحف ولما اعترضت نجية بعدم تصديق ما نشر رد عليها الرئيس بأن عليها أن تصدقه هو وأيدت اعتقادها بأن والدها لم ينتحر ، مؤسسة اعتقادها هذا على ماتعلمه عنه من أنه مؤمن بالله وبأنه لم يكن يتهرب من المسئولية بل كان يرغب فى أن يحاكم ثم قولها وأنه يتعارض مع المنطق ان يطلب والدها كتبا وآلة حلاقة فى ذات الوقت الذى يدبر فيه للتخلص من حياته . وخلصت إلى أنه سواء قتل أو انتحر فإن المسئولية تقع على من كانوا يحرسونه وهو مقيد الحرية بينهم ، وبالنسبة للشريط اللاصق الذى وجد مخفيا للمادة السامة على جسدة فقد اعترضت بأن العثور عليه ينافى المنطق إذ كان يستحم يوميا و لايعقل أن يظل حاملا الشريط باستمرار فضلا عن أنه من غير الطبيعى أن يتناول جزءا من المادة التى يخفيها ثم يعيد لصق الشريط ثانية الى جسمه "

١٥-وحذفت من شهادة الرائد طيار حسين عبد الناصر حسين "شقيق الرئيس عبد الناصر"وزوج كريمة المشير (صفى ص ٢٥) قوله : أنه حاول الاتصال بالسيد رئيس الجمهورية تليفونيا بالاسكندرية عندما علم بنقل المشير من المنزل الى المستشفى فلم يتمكن . وقوله أنه بعد وفاة المشير اتصل تليفونيا بالسيد رئيس الجمهورية لابلاغه ما سمعه من السيدة حرمة من أن المشير كان يحاول عبثا بالسيد الرئيس وفهم من سيادته أن ذلك لم يبلغه قط - رئيس الجمهورية لا يعلم بما يحدث مع نائبه وزميل عمره وشريكة فى الثورة ونسيه أن كلابه اطلقت لقتل المشير - وأن لا أحد محمد فوزى والماحى وسامى شرف وأمين [illegible]

الشـــيء وينسبه لغيره ويقول الشيء ويقوله لغيره كما كتب في مذكراتهم وهكذا فشل عبد الحكيم بأوامر من ناصر أن ينفذ المخطط بلا هواده ولا ضعف ولا يوصلوا اليه صوت عبد الحكيم "

١٦- وحـــذف من التقرير ما أورده النائب العام وتقرير الطب الشرعي في " ص ٢٨ " من أنه " لدى الفحص الظاهري للجثة في السـاعة الواحدة والنصف يوم ١٩٦٧/٩/١٥ كانت في حالة ليس رمي منتشر مقدرا أن الوفاة حدثت من حوالى ست الى ثماني ساعات .

١٧- وعدلت أيضا كلمات النائب العام على تقرير الطب الشرعي في الفقرة " ب ص ٢٩ " وكانت في الأصل :-

ب- " تـبين مـن فحص عينات البول والدم والأحشاء التي أحتفظ لها منذ التشريح أن المعدة والأمعاء بنوعيها والأحشاء وجدت خاليه من أى أثر من السيانور أو الاكونتين "

ثم نشرت هكذا : ب- تبين من فحص عينات البول والدم والأحشاء التي احتفظ عدم وجود أي أثر من السيانور أو الاكونتين "

١٨- وحـــذف مـــن " ص ٣٢ " من التقرير الجملة الأتيه :" ٧- مضى على الوفاه حتى اتمام الفحص الطبي الشرعي حوالى أثنتا عشرة ساعة " .

هذه الفقرات حذفها وزير الاعلام الرقيب الاول على الصحف لكيلا يقرأها الرأى العام في الصحف هي أيضا تطالبنا بأن نتساءل: لماذا حذفت ؟ .. ومن أمر بحذفها ؟ .. وماذا يختفي وراء الحذف ؟ ويختتم الكاتب موسى صبرى في كتابه " وثائق ١٥ مايو " أننـى لا أدلل بذلك على أن المشير عبد الحكيم عامر مات مقتولا ولا أطعن أيضا في التحقيق الذى انتهى بأنه مات منتحرا ولكني أضع هذه الملابسات أمام الباحثين والمحققين .. لعل الحقيقة كاملة تجلو في يوم من الايام .. مما لا يثير أى شك وخاصة بالنسبة لمسئولية الفريق أول محمد فوزى كما جاءت على لسان الشهود من أطباء مستشفى المعادى .

السر الذى لم يذيعه السادات

والســؤال الــذى يطرح ؟؟ ما هو السر المتعلق بعبد الحكيم عامر – الذى قاله عبد الناصر للسادات وأتمنه عليه خصوصا من تطور الأحداث بدعوة عبد الحكيم الى العشاء الأخير في نفس الوقت الذى تمت فيه مهاجمة منزل عبد الحكيم عامر وتصفية كل من كان بالمنزل والقـبض علـيهم في نفس الوقت الذى كان يجرى فيه عملية تغير سيارة عبد الحكيم عامر والقبض على حرسه و البدء في عملية تحديد إقامـة عبد الحكيم عامر الأمر الذى يعنى لكل من لديه زوه من الذكاء أن هذا السر كان قرار من عبد الناصر لتصفية عبد الحكيم عامر جسديا .

صورة من تقرير النائب العام عن حادث وفاة المشير عبد الحكيم عامر وتري السطور التي حذفها وزير الإعلام محمد فائق عن النشر في الصحف والتى أمر الرئيس جمال عبد الناصر بعدم نشرها على الرأي العام إلا بعد مراجعة وتجديد الفقرات وتنشر ويختارها محمد حسنين هيكل.

(-٨-)

[illegible] وابدى السيد الماحى رأيه بأن المشير كان يقصد التخلص من حياته مستندا فى ذلك الى تناول تلك المادة التى شوهد وهو يمضغها والى انه قرر انه لا توجد قوة تستطيع اخراجه من المنزل وان الاصرار على اخراجه سيؤدى الى تطورات خطيرة .

وشهد المقدم ابراهيم محمود سلامه ــ الضابط بادارة المخابرات الحربية انه كلف بتفتيش منزل السيد المشير بعد نقله منه ــ وتوجه الى هناك الساعة ٣ م ٤٥ حيث تولى تفتيش المنزل فعثر على كمية من الاسلحة سلمها للجهات المختصة ــ واضاف انه لم يعاصر اى من الوقائع التى حدثت وليس لديه ثمة معلومات تفيد التحقيقات فى الحادث .

وشهد العميد محمد الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى أن الفريق اول محمد فوزى اتصل به يوم الاربعاء ١٣ من سبتمبر سنة ١٩٦٧ وابلغه بأنه قد صدرت تعليمات بنقل المشير من منزله بالجيزة الى استراحة اعدت له بناحية الهرم وأن ذلك سيتم الساعة ٢ من بعد ظهر اليوم ذاته فأرسل قوة الى منزل المشير ومكث فى مكتبه فلما كانت الساعة ٣ م اتصل به الفريق رياض وأخبره أن المشير قد تناول شيئا ما وأن حالته تستلزم نقله الى المستشفى وطلب اليه الاتصال بمستشفى المعادى للقوات المسلحة لاستقباله ففعل ــ وظل يتابع ما حصل حتى علم بخروج المشير من المستشفى فى حالة صحية جيدة ووصوله الى الاستراحة [illegible]

فقد شهد الفريق أول محمد فوزى ان تصرفات المشير واقواله فى يوم الاربعاء ١٣ من سبتمبر كانت تدل على انه قد انتوى التخلص من حياته [redacted] فكان يكرر النظر فى ساعته كمن يترقب حدوث امر بعد فترة ويقاوم المحاولات التى بذلت فى المستشفى لاسعافه [redacted] — وشهد الفريق عبد المنعم رياض ان المشير اعترض على امر نقله من منزله مؤكدا انه لن يغادره وان الامر كله سوف ينتهى فى مدى خمس دقائق وكان فى المستشفى يقاوم المحاولات المبذولة لاسعافه ويبدى استياءه مما قرره اللواء مرتجى من ان الخطر على حياته قد زال [redacted] — وشهد العميد سعد زغلول عبد الكريم ان المشير كان يكثر من النظر الى ساعته وانه كان يتحدث عن مفعول وخواص مادة الساناتور [redacted] — وشهد العميد محمد سعيد الماحى ان المشير كان يهدد يوم الاربعاء ١٣ بأنه لن يغادر منزله تحت اى ظرف من الظروف [redacted]

وشهد النقيبان محمد نبيل ابراهيم عقل وعبد الرؤوف حتاته ان المشير كان فى الطريق من المنزل الى المستشفى يصرح بأنه لا يمكن اعتقاله [redacted] وانه سبق ان حاول الانتحار [redacted] — وشهد الرائد محمد عصمت محمد صدقى ان المشير صرح فى منزله بالجيزة بأنه لن يبرحه [redacted] — وشهد اللواء طبيب محمد عبد الحميد مرتجى والعميد طبيب عبد المنعم القللى والرائد طبيب حسن عبد الحى احمد فتحى ان المشير كان يقاوم محاولات اسعافه بل انه ابدى استياءه مما يفوه به الطبيب من زوال الخطر على حياته بعد ان افرغ ما فى جوفه —

صفحة أخرى من تقرير النائب العام عن وفاة المشير عامر.. وبها السطور المشطوبة من محمد فائق وزير الاعلام السابق، وهي خاصة بشهادة الفريق أول محمد فوزي وشهادة العميد زغلول عبد الكريم .. والتي حدد فقراتها محمد حسنين هيكل.

وحدة تحليل حالات التسمم
بالأدوية والسموم والمخدرات

Dr.
ALY MOHAMED DIAB
Prof. of Clinical Analysis
National Research Centre

معمل التحاليل الطبية
LABOR PRAXIS - LAB. CLINIC

دكتور
علي محمد دياب
دكتوراه في التحاليل الطبية
أستاذ التحاليل والسموم
بالمركز القومي للبحوث

Sample : ……………………………………………………

……………………………………………………………………

Referred by : …………………………… Date : ……………………

TOXICOLOGICAL REPORT

تقرير خبير السموم

* بسم الله الرحمن الرحيم *

بناء على قرار : في حادث وفاة المرحوم المشير / عبد الحكيم عامر

السيد الاستاذ / المستشار المحامى العام بانتدابى أنا دكتور على محمد دياب مدرس التحليل والسموم بالمركز القومى للبحوث للاطلاع على الأوراق الطبية الخاصة بحادث وفاة المرحوم المشير عبد الحكيم عامر وكتابة تقرير استشارى بالنتيجة أفيد أننى قمت :

أولا : بالاطلاع على تقارير وأقوال السادة الأطباء المعالجين للمرحوم المشير فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى .. وتقريرى وأقوال الطبيبين الموكل اليهما رعاية سيادته باستراحة المريوطية والاجراءات التى تمت وماصاحبها من ظروف ابتداء من محاولة نقل المشير من منزله الى المستشفى بالمعادى ثم الى استراحة المريوطية حتى وقت الوفاة ثم الاجراءات الأخرى التى تمت حتى وقت الكشف الطبى الشرعى وأخذ العينات من الجثة بدار التشريح فى الساعة ٢٠ر٥ صباح يوم الجمعة ١٩٦٧/٩/١٥

ثانيا : بفحص ماجاء بكل التقارير من نتائج التحاليل التى أجريت بمستشفى القوات المسلحة بالمعادى وبالمعامل الطبية المركزية وبادارة المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعى وأقوال السادة القائمين بالتحاليل والظروف التى تمت فيها هذه التحاليل وقد قمت أيضا بالاطلاع وفحص التقرير الشامل رقم ١٢٤ طب شرعى سنة ١٩٦٧ المعنون " تقرير طبى شرعى فى حادث وفاة السيد المشير عبد الحكيم عامر .

وبناء على هذا فقد رأيت قبل مناقشة التقارير الطبية وطرق ونتائج التحاليل المختلفة أنه من المفيد بل ومن الضرورى ايراد بعض الحقائق العلمية الهامة والتى لم يرد لأى منها ذكر فيما جاء بالتقرير الطبى الشرعى السابق وذلك كأساس ومقدمة لما نقطع به من رأى بعد ذلك .

أولا : عن الاكونتين Aonitine

١) التأثير العلاجى أو السام (كما وكيفا) لأى عقار يعتمد اعتمادا كبيرا ليس فقط على تركيبه الكيميائى ولكن أيضا عن خواصه الطبيعية كالشكل البلورى وحجم الجسيمات ومعدل الذوبان فى الماء .. الخ فقد يوجد عقار على صورتين أحداهما مسحوق ناعم مثلا والآخر متبلورة بل أن الصورة المتبلورة قد تتخذ عدة اشكال ورغم أن التركيب الكيميائى لهذه المادة واحد وثابت الا أن التأثير العلاجى أو السام لهذه المادة قد يختلف من صورة الى أخرى .

٢) عقار الاكونتين قد يوجد على صورتين .. على صورة بللورية CRYSTALLINE متخذة شكل منشورات معينة .. أو على صورة مسحوق ناعم ليس له أى شكل معين AMORPHOUS وقد ورد تلميحا فى بعض المراجع أن الصورة المتبلورة للاكونتين أشد وأقوى فى تأثيرها السام من ١٠ - ١٥ مرة من الصورة غير المتبلورة .

(٢)

ولما كان هذا مخالفا للقاعدة الصيدلية العامة التى تقول أن أى عقار اذا وجد على صورتين احداهما مسحوق ناعم وأخرى متبلورة فان الصورة الناعمة تكون أقوى وأسرع مفعولا من الصورة المتبلورة فقد قمنا بعمل دراسات أكدت شذوذ الاكونتين عن هذه القاعدة فتحقق لدينا ما ذكرته المراجع بهذا الخصوص .

٣) الجرعة السامة والقاتلة من الصورة المتبلورة للاكونتين لاتتعدى ١ ـ ٢ مللى جرام .

٤) اذا لامست نقطة واحدة من محلول الاكونتين البالغ التخفيف (١ : ١٠٫٠٠٠) طرف اللسان فان ذلك يتسبب فى الشعور بحموة فى اللسان والفم والحلق يتبعها ارتجافات ورعشات مميزة وعديدة نوعا للشفتين والعضلات المحيطة بهما مع ازدياد أفراز اللعاب وقد يستمر ذلك فترة .

(النقطة من هذا المحلول تعادل تقريبا ٠٫٠٠٥ مللى جرام أى خمسة اجزاء من الألف من المللى جرام أو جزءا من أربعمائة من الجرعة القاتلة) .

٥) اذا أُعيد هذا الاختبار ولكن مع استعمال نقطة واحدة أيضا من محلول أكثر تركيزا من المحلول السابق وليكن ١ : ١٠٠٠ أى مايعادل ٠٫٠٥ مللى جرام من الاكونتين وهى تعادل نصف الجرعة التى كانت تستعمل فى العلاج قديما وتساوى ١/٤٠ من الجرعة القاتلة فان الشعور بالحموة أو الحرقان فى اللسان والشفتين والحلق والزور يشتد وتمتد الارتجافات والرعشات الى الأطراف وسائر الجسم يتبعها تنميل عام وشعور بالانهاك والضعف فى العضلات لايجد المريض معهما أى رغبة أو مقدرة على القيام أو القعود أو القبض بالاصابع على شئ .

٦) أهم مظاهر التسمم بالاكونتين غير هذه الارتجافات المميزة هو الشعور بالدوخة والضعف الشديد لعضلات الأطراف حيث يصبح المريض غير قادر على القيام أو المشى وبطء النبض ثم عدم انتظامه ، سرعة حركة التنفس أولا ولمدة ثوان يهبط بعدها بشكل ملحوظ ويضعف وتتغير حدقة العين وتتسع ولكنها فى المراحل الاخيرة تظل متسعة تماما . ومن المظاهر الهامة أيضا الشعور بضيق الصدر وصعوبة التنفس .

٧) تحدث الوفاة أما عن توقف عملية التنفس أو القلب نتيجة الاضطراب فى حركة البطينين بسبب التأثير المباشر للأكونتين فى عضلة القلب ومركز العصب المخى العاشر (العصب الحائر) ومراكز تنظيم الدورة الدموية بالمخ .

والوفاة قد تحدث سريعا فى ظروف بضع دقائق ولكن فى المتوسط فان المدة منذ بلع السم حتى الوفاة تتراوح مابين ١/٢ الى ٦ ساعات واذا عاش أكثر من ٨ الى ١٠ ساعات فيتوقع شفاؤه .

٨) يكثر النبات المحتوى على الاكونتين وهو نبات " خانق الذئب " فى شبه القارة الهندية حيث يستعمل بكثرة حتى الآن لتأثيره العلاجى ولتأثيره السام أيضا وتذكر المراجع الهندية التى هى أحدث المراجع فى حديثها عن هذا العقار عدة حقائق هامة :

(٢)

أ - الصفات التشريحية بعد الوفاة بسبب الاكونتين غير مميزة على الاطلاق .

ب - يستخدم الاكونتين بهدف القتل بعد خلطه بأوراق نبات ينمو لاخفاء طعمه الحارق .

ومن معرفة المواد الفعالة فى هذه الأوراق يمكن القول بأن هناك وجه شبه بين طعمهـــا ونكهتها وطعم ونكهة عصير الجوافة .

جـ - يذكر أحد المراجع الهندية أهم أوجه الاستعمال الاجرامى لهذا العقار كاستعمال الصيادين له لقتل النمور والأفيال والاغنياء وللقضاء على الاقارب المتميين والمشاغبين (Traubl- some relatives) والأزواج الغيورين لقتل الزوجات الخائنات ..

د - لوحظ استعمال الاكونتين أو مسحوق النبات لتسميم منابع الميـــاه .

هـ - يمتاز الاكونتين كسم قاتل برخص ثمنه .. وسهولة الحصول عليه وصغر الجرعة القاتلة وســـرعة التأثير وأمكان اخفاء طعمه باذابته فى بعض المشروبات وتكسره الى مواد يصعب التعرف اليهـــا بمجرد أن يبدأ الجسم الميت فى التحلل الرمى .

٩) فى دراسة علمية تحليلية لنا فى رسالة الدكتوراة ومنشورة فى احدى المجلات الامريكية المتخصصة A.O.A.C. عن مصير الاكونتين فى الجسم كان الهدف منها معرفة كيف وأين ومتى يمكـن الكشف عن هذا العقار فى أى حالة تسمم وجدنا الآتـى :

كيـف ؟

فمنا باستخدام طريقة لونية دقيقة وحساسة جدا تمكننا من التعرف الى وتقييم هذا العقـــار كيمائيا سواء فى مصادره الخام أو فى السوائل البيولوجية أو الانسجة الحيوانيـة .

أين ومـتى :

ثبت أنه لا يوجد أى أثر لهذا العقار بالمعدة بعد حوالى ساعة من تعاطية عن طريق الفــــم وفى خلال الثمانى الساعات التالية لتناول الجرعة يمكن الكشف عنه فى الدم والبول المتجمــــع خلال هذه الفترة وفى الكبد وفى القلب وما يحويه من دم .

أما بعد مرور ثمانى ساعات على بدء التسمم فقد باءت كل محاولات الكشف عن الاكونتـــين والعثور عليه بالفشل رغم دقة وحساسية الطريقة المستعملة علما بأن الجرعات المستعملة كانـت أقل من الجرعات السامة التى لا تعد وكما قلنا سابقا ٢ مجم من الصورة المتبلورة من الاكونتين . أما اذا كانت الوفاة قد تسببت بجرعات كبيرة أضعاف هذه الجرعة فان العثور على الاكونتين فى الاحشاء يصبح محتملا .. خاصة اذا استعمل فى الكشف الاختبارات المشار اليها .

وقد وجد أنه عند حدوث الوفاة بجرعة تزيد على الثلاثين مجم من الاكونتين فقد أمكـــن الكشف عنه فى الدم والكبد والكلى والبول بعد حوالى ١٢ ساعة من تاريخ الوفاة التى حدثت بعد عشرد قائق تماما من تعاطيه .

ثانيا : عن الافيون والمورفين :

١) يفرز المورفين فى البول غالبا على هيئة جلوكورونيد حيث يفرز أكثر من ٥٠٪ من الجرعة المعطاة خلال الثمانى الساعات الاولى من تعاطيه وبعد ٢٤ ساعة يتم افراز حوالى ٩٠٪ من الجرعة المبلوعة وتظل هناك آثار منه يمكن الكشف عنها حتى بعد انقضاء أكثر من ٤٨ ساعة ٠

٢) يمتص المورفين بسرعة بعد حقنه بالعضل أو تحت الجلد ويصل تركيزه فى الدم الى قمته بعد ساعة واحدة ٠ أما الامتصاص من القناة الهضمية بعد البلع فضعيف جدا ٠

٣) يترك المورفين الدم بسرعة ويتركز فى الرئتين والطحال والكلى والمخ ومع ذلك فهو لا يتراكم فى هذه الانسجة حيث يمكن أن يوجد كل من المورفين الحر والمتحد مع البروتين فى البلازما ٠

٤) ايجابية الكشف عن المورفين هى عينة من الدم ليست بالضرورة دليلا على أن صاحب هذا الدم قد تعاطى مورفينا أو أفيونا فمن الجائز أن يكون قد تعاطى مادة الكودايين (المستعملة فى علاج الكحة والتى تدخل فى تركيب معظم مستحضرات علاج البرد والانفلونزا ، والسعال أو مادة الهيروين فمن المعروف أن هاتين المادتين (الكودايين والهيروين) يتحول جزء كبير منهما فى الجسم بعد البلع الى مورفين ٠ لدرجة أن كمية المورفين فى بول مدمنى الهيروين الذين لم يتناولوا المورفين أعلى بكثير من كمية المورفين فى بول المصابين بالتسمم الحاد بالمورفين ٠

٥) يؤثر المورفين فى بعض المراكز العصبية بالجزء من المخ المسمى بالنخاع المستطيل وأكثر هذه المراكز تأثرا هى المراكز المتحكمة فى التنفس والكحة والقىء ٠٠ فهو بينما يثبط مركزى التنفس والكحة يثير مركز القىء وهذا يفسر تأثير المورفين المثبط والمضعف لعملية التنفس (خاصة اذا زادت الجرعة) وتأثيره المسكن للكحة ٠ وهذا التأثير فى عملية التنفس هام جدا بحيث لو حدثت وفاة نتيجة تعاطى جرعة زائدة من المورفين فلن يكون السبب الرئيسى للوفاة الا انهيار (COLLAPSE) الجهاز التنفسى ٠

٦) المورفين صعب الامتصاص من المعدة حيث لا يمتص فى هذا الجزء من الجهاز الهضمى الا القليل جدا أما عند وصوله للامعاء الدقيقة (بعد ٢-٤ ساعات منذ وقت البلع) فهو يمتص بسهولة وسرعة ٠

٧) أهم أعراض تشخيص تعاطى جرعة كبيرة من المورفين هو ضيق حدقة العين المميز ٠

ثالثا: عن الاسبرين :

١) عند بلع من ٠٫٣ جرام (قرص واحد) الى ٢ جرام (٦ أقراص) من الأسبرين فان افرازها عن طريق البول يستمر أكثر من ٢٠ ساعة حيث يمكن الكشف عنه كيميائيا ٠

٢) يمتص الاسبرين جزئيا من المعدة ويكتمل امتصاصه فى الامعاء الدقيقة ويلاحظ أن امتصاص الاسبرين من المعدة يستمر فى الزيادة (كما يشاهد من ارتفاع مستواه فى الدم ، بعد

(٥)

انقضاء عشر دقائق على البلع ولمدة تصل الى ٤ ساعات بعد ذلك أى أنه لا يمكن الكشف عن الاسبرين فى المعدة بعد أكثر من ساعة من تعاطية) •

رابعا : عن خواص الكشوف الكيماوية عن السموم فى السوائل البيولوجية والانسجة الحيوانية لا يصح الاعتماد على أى اختبار كيماوى فى مجال الطب الشرعى الا اذا توافرت فى الجوهر الكشاف المستعمل فى هذا الاختبار الشروط الآتيـة :

١ ـ تميزه باختباره للمادة المراد الكشف عنها للتفاعل معها دون ما عداها فى حالة وجودها غير نقية أو مخلوط مع مواد أخرى SELECTIVITY

٢ـ خصوصيته أو خاصية قابليته للتفاعل مع هذه المادة وبالذات حتى لو كانت فى مخلوط من مواد متقاربة فى التركيب أو متشابهة فى المفعول SPECIFICITY

٣ـ حساسيته الشديدة بحيث يعطى نتائج ايجابية مع أقل كمية ممكنة من المادة المراد الكشف عنها Sensilivin وتوافر واكتمال هذه الشروط بجميع ظروفها لعملية اختبار معين هو الاساس فى الاعتماد على هذا الاختبار كحجة قوية وعدم توافر هذه الشروط أو أى منها يقلل كثيرا من قيمة نتيجة هذا الاختبار مما يستدعى اللجوء الى الاختبارات البيلوجية والاعتماد عليها •

ـ مناقشة التقارير الطبيـة •

تقارير مستشفى القوات المسلحة بالمعادى • تعتبر فترة وجود السيد المشير فى مستشفى المعادى مكملة لفترة وجوده بمنزله ابتداء من وقت وصول القوة المكلفة باصطحابة •

من تقارير السادة الأطباء وأقوالهم التى نصت على سلامة وطبيعية النبض وضغط الدم والقلب والرئتين والانعكاسات العصبية وسلامة الجهاز الهضمى من حيث عدم وجود أعراض مغص أو قئ أو اسهال وكذلك سلامة القوة العضلية والاحساس وطبيعة الحدقتين وتفاعلهما مع الضوء ذكر جميع الشهود أن سيادة المشير لم يلحظ عليه أى تغيير يدل على حدوث تأثير مادة سامة وأنه غادر المستشفى سائرا على قدميه وبخطى ثابتة • • من كل ذلك يستطيع الفاحص بعد مراجعة الحقائق العلمية السابقة أن يقطع بعدم تناول السيد المشير أيا من الاكونتين أو الافيون حتى لحظة مغادرته المستشفى • ٢ر٥ مساء يوم ١٢ / ١٩٦٧/٥ أوضح التقرير رقم ١٩ من مستشفى المعادى والموقع من مقدم طبيب محمد عبد المنعم عثمان ورائد طبيب ثروت عبد الرحمن الحرف أن ما سلم للمستشفى من قطعتين متماثلتين من ورق السلوفان أحداهما طولها ½ ٢ سم أى ٢٥ مللى متر وهى التى أرسلت الى المعامل الطبية الرئيسية يوم ١٩٦٧/٩/١١ والاخرى طولها ١ سم (أى ١٠ مللى متر) وهى التى حفظت بالمستشفى وأجرى عليها تحليل يوم ١٤ /١٩٦٧/٩ •

ويلاحظ أن التقرير لم يذكر أن أيا من هاتين الورقتين كان بهما آثار مضغ كما أنه لم يمكن التوصل الى اثبات وجود أى شئ من تحليل الورقة الصغرى •

(٦)

– تقرير المعامل الطبية المركزية للقوات المسلحة :

١) يلاحظ وصول العينة التى هى قطعة ورق السلوفان المبرومة وداخلها قطعة صغيرة من الورق المفضض فى أنبوبة مغطاة بغلة عادية وليست مشمعة يعتبر اجراء خاطئا .

٢) جاء فى تقرير نقيب صيدلى أبو الدهب أن قطعة ورق السلوفان طولها لايتعدى نصـم (٥ مللى متر) فى حين أن الجهة المرسلة للعينة وهى مستشفى المعادى قررت أن هذة الورقة يبلغ طولها $\frac{1}{2}$ ٢سم (٢٥ مللى متر) ؟؟

٣) أكد الصيدلى أبوالدهب أن ورقة السلوفان والورقة المفضضة لم يكن بهما آثار مضغ .

٤) ماجاء عن ايجابية ورقة السلوفان لاختبار حمض الميكونيك الدال على وجود الأفيون لايمكن به لنقص هذا الاختبار وعدم توافر الشروط المشار اليه سابقا ذلك أن هذا الاختبار يعتمد على ظهور لون مابين الأحمر البنى الى الأحمر القرمزى عند تفاعل محلول كلوريد الحديديك مع ملح الميكونيك وهذا اللون يظهر أيضا عند تفاعل كلوريد الحديديك مع مواد أخرى غير حمض الميكونيك كأملاح حمض الخليك (الخل) والنمليك وأيون الثيوسيانات وتكملة هذا الاختبار والتى يمكن بها التفريق بين هذه المواد وبعضها لم يرد لها ذكر فى التقرير فلم يذكر مثلا تأثير التسخين ولا حمض الهيدروكلوريك على اللون الناتج (الذى يصبح بتأثيرهما فى حالة املاح حمض الخليك والنمليك) ولا كلوريد الزئبقيك أو كلوريد القصديروز وكلاهما يذهب اللون فى حالة الثيوسيانات .

٥) التعليل الذى قيل عن أن اللون الباهت قد يكون نتيجة لأن الكمية صغيرة جدا غير مقبـول . ذلك أن وجود حمض الميكونيك بتركزات صغيرة جدا يؤثر حتما فى شدة اللون INTENSITY ولكنه لايؤثر فى درجته أو نوعه GRADE

٦) تحليل عينتى القىء (اللتين وصلتا يومى ١٢ و ١٤/ ٩ /١٩٦٧) سواء بواسطة الصيدلى أبوالدهب أو الكيميائى صلاح عبدالغنى اثبت خلو المعدة من أى آثار للافيون أو المورفين وهذا يوضح بما لايقبل الشك أن المشير لم يبلع لا أفيونا ولا مورفينا ولا أكونتينا حتى وقت وصول القوة المكلفة باصطحابه الى منزله فى الساعة ٢٠ر٢ يوم ١٢ / ٩ /١٩٦٧ .

– تقارير المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعى :

١) جاء عن فحص عينات الدم والبول أنه قد وجد بهما آثار لحمض الساليسيليك (من نواتج تحلل وتمثيل الاسبرين) واثار ضئيلة للمورفين .

نلاحظ أن هذا التحليل أجرى بعد الساعة ٧ صباح يوم ١٥ / ٩ /١٩٦٧ أى بعد الوفاة بحوالى $\frac{1}{2}$ ١٦ ساعة وعلى هذا نستطيع القطع بأن ايجابية الكشف عن المورفين فى الدم بعد مرور هذا الوقت وسلبيته عند اجرائه على محتويات المعدة من القىء الذى أحدث فى المستشفى يدل على أن السيد المشير لم يتناول أفيونا أو مورفينا بعد محاولة القبض عليه بل المنطقى (لو كانت هذه الكشوف صحيحة) ان يكون سيادته قد تناولها فى وقت سابق

(٧)

لهذا وقد يكون عشية يوم ١٢ / ٩ حيث أن المورفين كما سبق أن أوضحنا يظل فى الدم بكميات يمكن الكشف عنها حتى بعد مرور ٤٨ ساعة على تعاطيه •

وهناك احتمال أخر قوى يبرز من ملاحظة حالة المشير الصحية قبل القبض عليه وما يفهم من حرصه على أخذ دواء الكحة فى حقيبته قبل خروجه من منزله وهو أن المشير كان يتعاطى أدوية للكحة (غير شراب البتلين الذى كان فى حقيبته) تحتوى على مادة الكوادايين التى تدخل فى تركيب معظم أدوية الكحة والبرد والزكام • وهذه المادة (أى الكودايين) يتحول جزء كبير منها فى جسم الانسان الى مورفين خاصة أن نتيجة التحليل بينت أن ما وجد فى الدم والبول كان اثرا ضئيلة •

٢) جاء فى التقرير رقم ٧٠٥ ك الوارد من المعامل الكيمائية بمصلحة الطب الشرعى والخاص بتحليل قطعة ورقة السلوفان وعينة القئ اللتين سبق تحليلهما بالمعامل المركزية للقوات المسلحة عن وصف ورقة السلوفان بأنها عديمة اللون مستطيلة الشكل مساحتها حوالى ٢ر١ : ٨ سم (١٢ × ٨ مللى متر) بها مساحات شفافة وأخرى معتمة مع نتوءات تقابل الاجزاء الشفافة مما يمكن حدوثه (كما يقول التقرير) نتيجة المضغ بالاسنان •

وتلاحظ تنافر هذا الوصف لورقة السلوفان مع وصف مقدم طبيب محمد عبد المنعم عثمان ورائد طبيب ثروت عبد الرحمن الجرف (فى الورقة رقم ١٩) من أن ورقة السلوفان التى أرسلت للمعامل المركزية وهى نفسها التى وردت لمصلحة الطب الشرعى كان طولها يبلغ ١/٢ ٢ سم (٢٥ مللى متر) وهذا يتناقض أيضا وصف الصيدلى يسرى أبو الدهب وهو أول من كشف عليها من أن هذه الورقة طولها ١/٢ سم (٥ مللى متر) وليس بها آثار مضغ ويمكن تفسير اختلاف وصف المحللين بمعامل القوات المسلحة باستهلاك جزء من الورقة فى التحليل وكثرة لمسها أثناء التحليل خاصة بالابرة الرفيعة التى جاء ذكرها فى كلام د • يسرى أبو الدهب والنطى يؤيد وصف المعامل المركزية ويرفض قبول وصف معامل الطب الشرعى خصوصا عن الشكل الظاهرى للورقة (مع ملاحظة أن وصف ورقة السلوفان اختلف فى الجهات الثلاث التى تداولتها وهى مستشفى المعادى والمعامل المركزية ومعامل الطب الشرعى مما يثير الشك لدى أى باحث •

٣) تحليل الحرز المحول من السيد / رئيس نيابة الجيزة الكلية (بتاريخ ١٦ / ٩ /٦٧ — أى بعد الوفاة بيومين) الى السيد / الدكتور كبير الأطباء الشرعيين الذى حوله بدوره الى المعامل الكيماوية بمصلحة الطب الشرعى صباح يوم ١٧ / ٩ /١٩٦٧ أى رابع يوم لوفاة المشير وهو عبارة عن ورقة • سلوفانية • عديمة اللون بداخلها ورقة سلوفانية أخرى عديمة اللون بها أجزاء شفافة وأخرى معتمة اثبت تحليل هذا الحرز أنه يحتوى على أفيون — واجراءات هذا الحرز هى أن الرائد محمد عصمت محمد مصطفى من الشرطة العسكرية عندما كان يرافق المشير فى الطريق الى المستشفى كان قد تلقى فى يديه وجمع ما لفظه

(٨)

المشير من فمه على دفعات مما قيل أنه كان يضغه وعند الوصول الى المستشفى سلمه لإدارة للتحليل .. وبعد اتخاذ اجراءات اسعاف ومغادرته المستشفى بعد ان عاد الرائد عصمت الى مكتبه اكتشف المشير أن فى أحد جيوبه جزء من المادة التى كان المشير يضغها فى السيارة وقد بقيت معه حتى سلمها للمحقق أثناء أدلائه بشهادته .

يتضح من هذا أن اجراءات وصول هذا الحرز غير قانونية وأن أى نتيجة تؤدى اليها لا يجب أن يعتد بها لأن ذلك يثير عدة تساؤلات .. حيث لم يرد ذكر ما يقنع علميا أو منطقيا عن كيفية جمع وحفظ ووصول هذه العينة والعينتين الآخريين اللائى لفظها المشير من فمه فى الطريق الى المستشفى .

أكان السيد / الشاهد قد تلى واحتفظ بهذه العينات الثلاث فى يديه لحين وصوله المستشفى ؟؟ ان كان الأمر كذلك فكيف سلم عينتين ولم يسلم الثالثة ؟

من غير المعقول ومن غير المقبول أيضا أن يكون الشاهد بعد أن جمع مالفظه المشير فى يديه قد نسى ووضع جزء مما جمعه فى جيبه ونسى أيضا أن يسلمه فى التو واللحظة وسلم الباقى مما ظل يحتفظ به فى يديه .

وان كان الشاهد بعد أن جمع هذه العينات قد وضعها فى جيبه فهل وضعها كما هى بحالتها اللزجة مختلطة باللعاب ؟ ورغم أن هذا مستبعد علميا ومنطقيا فانه حتى لو كان قد فعل ذلك لما كان هناك مبرر أو سبب لعدم استخراج كل مافى جيبه وتسليمه .

ان كان الشاهد قد جمع مالفظه المشير فى ورقة أو منديل فمن المنطقى ومن المعقول أن يسلم الورقة أو المنديل بمحتوياته .. وواضح أن الأمر لم يكن يحتاج لورقتين أو منديلين حتى نقول أنه سلم منديلا ونسى منديلا أخر فى جيبه .

من الواضح أنه لم يكن هناك فاروق زمنى يفصل بين جمع هذه العينات ليدعى على أساسه وضعها فى أكثر من جيب يتذكر الشاهد أحداها عند وصوله المستشفى وينسى الاخر فالمسألة من منزل المشير بالجيزة حتى المستشفى لاتستغرق العربة فى قطعها أكثر من بضع دقائق .

ومن الواضح أيضا أن هذه العينات ليست من الكثرة والضخامة بحيث لايتسع لها جيب واحد مما يستدعى حفظها فى جيبين وأن سيادة الشاهد عند وصوله الى المستشفى تذكر مافى أحد هذين الجيبين فسلمه ونسى الآخر .

وعلى هذا فاننى أرى استبعاد هذه العينات وكأنها لم تكن رغم عدم دلالتها على شىء اطلاقا بل أن ورودها على أنها مما لفظه السيد المشير يتعارض تماما مع نتائج تحليل عينة القىء ورقتى السلوفان الأخريين .. فلو أن المشير كان يضع هذه الورقة التى وجد أنها تحتوى على أفيون لكان وجد بالتأكيد اثار المورفين فى عينة القىء وخاصة أن الأفيون

(٩)

يظل بالمعدة لمدة تصل الى الساعتين أى أنه لم يكن قد امتص بعد من المعدة .

٤) يتضح من تصفح دفتر الرسومات .. الفوتوغرافية والطيافية (الالكترو فوتومترية مايأتى :

ا ـ في البحث عن اثار الاكونتين في البول والدم وسائر العينات البيولوجية الاخرى من كبد وكلى استعملت طريقة تقضى على أى أمل فى العثور عليه (ص ١٢ و ١٤ و ١٥) فى هذه العينات بالكلوروفورم بعد جعلها قلوية وهذا يتسبب فى تكسير التركيزات الضعيفة جدا من عقار الاكونتين لحساسيته الشديدة وتأثره بالقلويات وكان من الأفضل فى هذه الحالة استعمال طريقة الاستخلاص المباشر بالبنزين أو الكلوروفورم وبأنه كان قد تكون لدى الجميع فكرة عن نوع السم المستعمل .

ب ـ س٢ اخر صورة على اليمين وهى صورة الشريط اللصاق الذى قيل أنه شوهد على بطن الجثة ويستدل من عدم انتظام السطح الداخلى لهذا الشريط على كثرة استعماله . أرى أنه بالتجربة يستطيع الفاحص أن يلحظ أن مجرد فك الشريط اللصاق من على بكرته تمهيدا لاستعماله فإن ذلك يتسبب فى عدم انتظام الشريط. أما بعد اللصق فمهما كان حرص من يقوم بعملية اللصق فلابد أن يلاحظ عدم انتظام الشريط وبناء على ذلك فإن الاستنتاج القائل بأن عدم انتظام الشريط اللصاق دليل على كثرة الاستعمال بعيد وغير مقنع فى نظرى .

ج ـ جاء فى تقرير المعامل الكيماوية بالطب الشرعى مايثبت وجود اثار للمورفين بالدم والبول على أننا نلحظ أن الاطياف SPECTRA المأخوذة لخلاصة الدم والبول (ص ١٦ وص ١١) لاتشير الى وجود مادة المورفين فى أى منهما والشروح المكتوبة على رسوم الأطياف تنبه الى أنه لم يمكن ملاحظة مايشير الى وجود مادة الاكونتين أو الرتانين .. ولكن هذه الشروح تتجاهل تماما أى ذكر للمورفين حيث أنه كان من الممكن أن يظهر فى هذه الأطياف مايشير الى وجوده فى البول أو الدم لو كان موجودا .

واذا لم تكن هذه الطرق الطيافية قد استعملت للكشف عن المورفين فى البول والدم رغم اعتماد هم الرئيسى عليها .. فلماذا ؟ ولماذا أيضا لم توضح بالتفصيل الطرق الأخرى المستعملة حتى يتأكد الفاحص ويطمئن خصوصا أن الطرق الطيافية لم تكتشفه ؟؟

ـ فى استراحة المريوطية :

ا ـ جاء فى أقوال د . مصطفى بيومى حسنين أنه طول مدة نوبته من الساعة ٨٫٢٠ مساء يوم ٩/١٢ حتى الساعة ١٠ صباح يوم ٩/١٤ كان ضغط الدم للمشير ١٢٠ / ٩٠ ، والنبض ثابتا ومتلئا ومنتظما (٩٠ ـ ١٠٠ فى الدقيقة) مما يستبعد معه تعاطى سيادته للأفيون أو المورفين أو الاكونتين وكانت ملاحظته الوحيدة هى أن المشير كان يعمل بعدة سعالا يخفيه فى ..

(١٠)

أما السعال فقد كانت له سابقة قبل الاعتقال بدليل حرص سيادته على أخذ دواء للسعال قبل خروجه من منزله وهذا السعال اشتدت عليه وطأته لدرجة أنه كان يعقبه قيء وهـذا طبيعي ويفسر اشتداد وطأة السعال ما يشهد به الجميع من أن المشير كان يدخن بشراهة لفافات التبغ واحدة تلو أخرى ولا يفسر هذا القيء اطلاقا تناول سيادته لأي مادة سامة .

٢ _ في الوردية الثانية ابتداء من الساعة " ١٠ صباحا يوم ١٤ / ٩ حتى الساعة ٩ مساء نفس اليوم شهد رائد طبيب ابراهيم على البطاطا بما يأتي :

ا) أن صحة المشير في تحسن وأن الضغط طبيعي والنبض طبيعي مما يؤكد ما نقطع به من عدم تناوله حتى تلك الأكونتين .

ب) أن المشير كان يتناول قطرات من عصير الجوافة المحفوظ في علب وهنا تقفز الاسئلة الآتية والتي لاحظت تجاهلا تاما لمضمونها في كل الأوراق الطبية وفي التحقيقات التي جرت عند الوفاة اين كان كوب عصير الجوافة الذي كان يشرب منه المشير وأين كان يوضع بين فترات استعمالة ؟ وكم كان قد تبقى فيه ؟؟ ولماذا لم يحرز للتحليل اذا لم يكن قد أخفى علما بأن هذا الاجراء طبيعي وكان اتخاذه واجبا في مثل هذه الحالة ؟؟
علبة العصير المحفوظ أين كانت ؟ وماذا كان قد تبقى فيها ؟ ومن هو أول من فتح هذه العلبة وملأ منها الكوب ؟

٢) جاء في أقوال د . بطاطا أن سيادة المشير في الساعة ٤ كان يشكو من ألم في الأسنان وطلب نوفالجين وسا .
ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام أنه نفسيا وطبيا يستحيل على من بيت النية على الانتحار وانصرف عقله واحساسه الى هذه الفكرة أن يعي أو يحس أي ألم في الاسنان ناهيك عن طلب علاج لهذا الألم .

جاء أيضا أن السيد المشير نام بعد ذلك (أي من الساعة ٤ مساء) حتى الساعة ٦ مساء أي ساعتين كاملتين بدون ألم أو قيء .
ذكر د . بطاطا أنه عاد المشير في الساعة ٦ مساء وكان سيادته نائما نوما طبيعيا وأن التنفس والحرارة والضغط في المستوى الطبيعي ولا تدل على أيه أعراض مرضية .
وابتداء من هذه الساعة تبدأ اللحظات الحرجة .
اذ قال د . بطاطا أنه طلب الساعة ٦,٢٠ (أي بعد ثلث ساعة من كشفه على المشير واطمئنانه على حالته) فوجد المشير نائما مغشيا عليه ممتقع اللون والنبض غير محسوس والتنفس غير منتظم .
ومن هذه نخلص أن هذه الأعراض هي نتيجة التسمم بالاكونتين الذي أعطى له بعد الساعة ٦ مباشرة وجرعة لا تقل عن ٢ مجم .
ملاحظات على أقوال د . بطاطا والخادم والممرضة .
بعد أن شهد بأن كل مرة كشف فيها على المشير كانت حالة نبضه وتنفسه وضغطه سليمة

(١١)

الا أنه رجح وقال أن المشير كان غير فاقد وغير طبيعى ضعفان .

حديث د . بطاطا عن سؤال له عن نتيجة التحليل لا أساس لها من الصحة فالمشير يعلم تماما أنه لم يتعاط أى مادة سامة . قال أن القيء ثم الوفاة حدثا فى أقل من ساعة لأن السيد المشير كان لآخر لحظة يتحسن من ناحية النبض وقلة القيء ويتكلم وفى وعيه وذكر للدكتور شريف عبد الفتاح أن المشير كان متألما لقواه ينام من الساعة ٤ حتى الساعة ٦ ثم ذهب الى الحمام مما يدل على أنه كان قادرا على المشى .

قال الخادم منصور أحمد على (سفرجى من رئاسة الجمهورية) أن المشير كان يشرب من عصير الجوافة بالثلج نفلتين كل نصف ساعة . وقال عريف مجند أحمد محمد مصطفى لطفى البيومى (ممرض بمستشفى الحرس الجمهورى) أن السيد المشير لم يقبل أى شراب يوم ١٤ / ٩ حتى الوقت الذى انصرف فيه بعد ا لمرض للنوم .

قال السفرجى منصور أحمد على . . أن السيد المشير ظهر عليه " الضعف جدا اعتبارا من الساعة ١٢ بالتدريج وحوالى الساعة ٥ عصرا طلب أن يذهب الى دورة المياه وكان جسمه غير طبيعى ورجع وسندته حتى وصل للسرير وكان باين عليه التعب جدا . . الخ . وهذا يتناقض مع كلام الطبيب بطاطا .

مناقشة التقرير الطبى الشرعى (١٢٤ طبى شرعى سنة ١٩٦٧) ـ نمهد لذكر ما جاء فى هذا التقرير من مخالصات بتلخيص من أهم ما جاء فيه :

١ ـ حدثت الوفاة الساعة ٦,٢٠ مساء . . أبلغ بها المحامى العام الساعة ١٠,٤٥ بعد حوالى ٥ ساعات ووصلت النيابة وكبير الأطباء الشرعيين الى الفيلا الساعة ١٢,٥٠ أى بعد حوالى ٧ ساعات من الوفاة ثم وصل الجميع لدار التشريح الساعة ٥,٢٠ من صباح يوم ١٤ /١٩٦٧/٩ أى بعد حوالى ١١ ساعة من الوفاة .

٢ ـ تسلمت المعامل الكيماوية بالطب الشرعى عينات البول والدم وباقى العينات البيولوجية من كبير الأطباء الشرعيين صباح يوم الجمعة ١٥ / ٩ أى بعد حوالى ١٥ ساعة من الوفاة .

٣ ـ جاء فى ص٢ أن المشير قد ظلت حالته عادية حتى الساعة ٦ مساء يوم ١٤ / ٩ / ٦٧ حيث دخل الحمام وطلب بعض الماء فلما قدم له عامل الاستراحة لاحظ تغيرا فى حالته وأخذ ينهار .

٤ ـ جاء فى ص٦ أن السيد المشير بدأ فى غيبوبة خطرة الساعة ٦,١٠ مساء ومات الساعة ٦,١٠ وفى ص٦ أيضا جاء أن الفريق فوزى حضر الى الاستراحة الساعة ٧,٢٥ ومعه العميد محمد الليثى قائد الحرس الجمهورى .

٥ ـ جاء فى ص ١ سطر ٥ كان من الملاحظ أن سيادته يدخن بكثرة وأن هناك سعالا يعقبه القيء فورا .

(١٢)

٦ــ جاء في ص ١٠ أخر سطر . في الساعة ٦ مساء كان نائما نوما طبيعيا وكان نبضه وحرارته وضغط دمه كلها طبيعية ثم توجه سيادته الى دورة المياة الساعة ٦٫٣٠ .

٧ــ جاء في ص ١١ أن اللواء طبيب مرتجى قائد مستشفى المعادى قال أنه يوم ١٤ / ٩ الساعة ٦ مساء اتصل به الفريق أول محمد فوزى وطلب منه طبيبا على وجه السرعة .
من أبلغ الفريق أول فوزى قبل أن يتصل باللواء طبيب مرتجى الساعة ٦ مساء أن حالة المشير خطيرة ؟؟ وقد قال د . البطاطا أن المشير في الساعة ٦ مساء كان طبيعيا تماما من ناحية الضغط والحرارة والتنفس ؟؟

٨ــ جاء في أقوال السادة أطباء مستشفى المعادى مايلى :
رائد طبيب حسن عبد الحى أحمد فتحى لم يتبين من الاعراض الاكلينكية مايشير الى حصول حالة تسمم اذ أن حالة المشير العامة كانت جيدة من الناحية الطبية . وان قياس النبض وضغط الدم والكشف على المشير والقلب والجهاز الهضمى والعصبى أثبت أن الحالة العامه جيدة ولم يكن بالمشير وقت الكشف مايشير الى أنه تناول مادة سامة لم يجد أعراضا مرضية بالمشير وكل مالاحظه بعض توتر حيث كان يدخن بشراهة " سيجارة " تلو أخرى كما أنه لم يلحظ أى صمادات على جسم المشير وحدد أجزاء الجسم التى كشف عليها بأنها الصدر والقلب والبطن والرقبه والذراعين وكذلك الظهر فيما عدا الجزء العلوى .

وقال أنه لم يلحظ على المشير أيا من الأعراض التى تظهر على المريض عند تناولة مادة الأفيون وقال بل على العكس فان سيادته كان طبيعيا تماما .
عميد ط/ محمود عبد الرازق : قال أن الفريق فوزى أخبره أن هذه الامور أى محاولة المشير للانتحار تكررت ٢ مرات من قبل وأنه غير مقتنع بجدية محاولة المشير في الانتحار .
قال أن المشير لم تكن تظهر عليه أعراض حالة مرضية ولم يرأنه في حالة سيئة بل شاهدة يغادر الغرفة على قدمية حتى وصل الى المصعد وكانت حالته طبيعية وخطواته متزنة .

دكتور شريف عبد الفتاح : قال (ص ١٨) أنه لايعتقد أن المادة التى تناولها المشير يوم ١٤ / ٩ هى سبب الهبوط الذى انتهى لوفاته في اليوم التالى الممرضة صفاء عزت (ص ١٩) قالت أن سيادة المشير حضر ماشيا على قدمية وكان يضحك وغادر المستشفى ماشيا على قدميه .

د . مصطفى بيومى حسانين : قال ص ٢٢ أن حالة المشير بعد وصوله الى الاستراحه لم يطرأ عليها سوء ولم يكن فيها مايدعو الى القلق وأن سيادته كان منتبها ويتكلم ونبضه وضغط دمه عاديان وأنه لايمكنه أن يفسر حدوث الوفاة بعد ٨ ساعات من انتهاء نوبتـه وقال أيضا أى ص ٢٢) أن العميد سعد والمقدم عبد الكريم كانا يترددان على حجرة المشير ليسألان سيادته عما اذا كان يحتاج شيئا . قال أيضا أنه عند تسليم نوبته فان حالة المشير

(١٢)

كانت تحسنت وأنه شخص الحالة بأنها كحة خفيفة ويعقبها قئ ؟

د . البطاطا : قال ص٢٢ أن القئ كان أقل من البيان السابق " والنبض كويس " ــ قال أيضا ص ٢٢ أنه الساعة ٥ مساء عاد المشير فوجده نائما ونبضه عاديا . ٩ وتنفسه عاديا وحالته تسير سيرا عاديا ثم عاد وبعد الساعة ٦ مساء فوجده مازال نائما والحالة عاديـــة والتنفس عاديا .

قال أيضا ص ٢٢ أنه لم يكن يتوقع حصول الوفاة بهذه الصورة حيث أن الحالة كانت عادية تقريبا وأنه يفسر ما حدث لحصول الوفاة نتيجة سكتة قلبية مفاجئة أدت الى الوفاة فى دقائق .

وفى ص٢٤ أنهى د . البطاطا أقواله بأن الذى حصل كان أمرا غير متوقع . ص٢٦ قال د . يسرى أبوالده هب : أنه لايقطع بوجود أفيون فى العينات التى حللها وأن هنـــاك احتمالا لوجوده وأنه ذكر ذلك لامكان اسعاف المريض فقد كان رئيس القسم يتعجله لأن مستشفى المعادى تتعجل هى الاخرى النتيجة لانقاذ المريض وأعطائه مضادات للمادة السامة .

وقال ص٢٦ أن ورقة السلوفان لم يكن بها آثار مضغ وقد انهى أقواله ص٢٧ بها اثـــار مضغ وقد انهى أقواله ص٢٧ بأنه يشك فى وجود أفيون بورقة السلوفان ويجزم بعدم وجـــود أفيون بالسائل .

وقال فى ص١٠٤ ٢٢ أن كبير الأطباء الشرعيين لم يلحظ أى شاهد أى أثر لذرات مـــادة بيضاء على الشفتين أو تحت أظافر اليديـــن .

مغالطات فى التقرير الطبى الشرعى :

١ ــ جاء فى أقوال نقيب صيدلى يسرى أبوالده هب ص٢٦ سطر ١ أن عينة ورقة السلوفان والورقـة الصغيرة المفضضة بداخلها لم يكن بهما آثار مضـــغ .

ولكن التقرير فى البند الثانى عشر المعنون تلخيص ومناقشة الحالة والذى يبدأ ص٤٨ يشير ويدلل فى أقوال الصيدلى أبوالده هب الى النقض تماما فيذكر فى ص٥٢ سطر ٢ فى نفس التقريـــر ما يأتى بالنص وجاء بأقواله أى تقرير أبوالده هب أن ورقة السلوفان هذه كانت صغيرة وبداخلها ورقة مفضضة بهما آثار مضغ .

٢ــ جاء فى ص٤٢ أن الجرعة السامة من الاكونتين قليلة وتتراوح مابين ١ ـــ ٦ مجم أى أن توزيعها فى الجسم فى الشخص العادى الذى يزن ٧٠ كيلوجراما يكون ضئيلا جدا ونسبة (الــى ٦ فى كل ٠٠٠ ر٠٠٠ ر٧٠)

ووجه الخطأ فى هذا هو أن الأكونتين فى حالات التسمم الحاد الذى يعقبه الوفاة لاينتشر فى كل أنسجة الجسم كما يدعى فالثابت أن الاكونتين لايمكن اكتشافه فى الجسم بعد الوفاة الا فى القلب ومايحتويه من سم وفى الكبد وفى الكلى والبول والدم والتعرف الى وجـــود هذا السم فى الاحشاء ليس أمرا عسيرا بالشكل الذى يصوره التقرير . . وفى حادثة قتـــل مشهورة فى بريطانيا فى أواخر الثلاثينات استطاع صيدلى انجليزى يحمل لقب سر وأســـمه

(١٤)

السير توماس استيفنسون " استخلاص الاكونتين من أحشاء القتيل وكشف عنه بتجربة على نفسه بالاختبار المشار اليه سابقا تحت " حقائق علمية " .

جاء فى ص٤٢ عن سرعة حدوث الوفاة بالاكونتين الوفاة قد تحدث عادة بعد ٧و٨ دقائق وهناك حالات تأخر فيها حصول الوفاة الى ١٢ ـ ١٨ ساعة ثم أضاف أن الوفاة عرفت فى بعض الحالات الى أسباب أخرى غير التسمم بالاكونتين ولم يذكر التقرير أن كل أعراض التسمم بالاكونتين وتأثيره فى النبض والتنفس والجهاز العضلى يكون واضحا تماما فى هذه الفترة التى تسبق الوفاة .

ملاحظة .

جاء فى ص٢ سطرى ٢٤ ، ٢٥ .. قدرت الفترة التى انقضت على حصول الوفاة لحين هذا الفحص المبدئى الساعة ١٠ر١ صباح يوم ١٩٦٧/٩/١٩ بحوالى ست الى ثمانى ساعات وأعتقد أن المقصود هو يوم ١٥ /٩ وليس ١٩ /٩ .

- الملخص والنتيجة .

من الساعة ٦ بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٩/١٤ حتى الساعة ٢٠ر٥ من مساء نفس اليوم من الحقائق العلمية السابق ذكرها ومن تقارير وأقوال السادة الاطباء والممرضات والشهود بمستشفى المعادى ومن تقارير التحاليل الطبية لورقتى السلوفان اللتين لفظهما المشير ولعينة القىء التى جمعت بعد مضغه لهاتين الورقتين نقطع بأن المشير لم يتناول لا أفيونا ولا أكونتينا للأسباب الآتية :

١ ـ أولا : يؤثر الافيون وكذلك الاكونتين تأثيرا مهبطا فى عملية التنفس أى أن بلع هاتين المادتين مع بعضهما يكون من المنطقى أن تأثيرهما المثبط لعملية التنفس أقوى بكثير من تأثير أيهما بمفرده مما يسهل ملاحظته أثناء الكشف ... وهذا لم يثبت ولم يقل به أحد .

٢ـ كما سبق أن أوضحنا فأن الافيون أو المورفين صعب الامتصاص من المعدة حيث يمكث بها من ٥ر١ الى ٢ ساعات وقد ذكر أن القىء أستحدث بعد المضغ بفترة اقل من هذه .. فلو أن اللفافة التى قيل أن سيادته كان يمضغها كان بها أفيون لكان الكشف عن المورفين فى عينة القىء أدى الى نتيجة ايجابية وهو مالم يحدث .

٣ـ ما أبداه نجيب أبوالذهب من أنه يشك فى وجود الأفيون بورقة السلوفان ويجزم بعدم وجوده بالقىء يؤكد ماسبق أن قلناه أن الاختبار الذى أجراه على الورق اختبار ناقص ولا يعتد به علميا .

٤ـ والورقة الصغيرة التى حللت بالمستشفى ثبت أنه لم يتوصل من تحليلها الى شىء .

٥ـ افتراض أن المشير قد تناول جزءا من الاكونتين مختلطا ببعض الافيون وهو فى منزله وأثناء العشاء ينفيه بل ويقطع بعدم صحته لثلاثة عوامل :

(١٥)

الأول : ماذكر عن تأثيرها الضاغف في التنفس وهو مالم يلحظه أحد .

والثانى : أن أصغر كمية يمكن أن يبلعها خاصة أنه من النوع المتبلور كانت كفيلة باحداث الوفاه فى دقائق بعد تعاطيها حيث أن الجرعة القاتلة لاتزيد كثيرا على الملى جرام وماقيمة وحجم هذه الكمية ؟؟ أنها أصغر كمية يمكن أن يحس بها الميزان الحساس.. أى أنها لا تكاد ترى الا لمن يدقق النظر فيها وعلى ذلك فان تعاطى كمية أقل منها غير مقبول منطقيا لعدم استطاعة تحضير هذا لمن يريد . وحتى لو سلمنا جدلا بأن باستطاعة شخص ما أن يبتلع كمية تقل عن الملى جرام الواحد .. فان الاعراض التى سبق أن أوردناها لاتلبث أن تظهر ولايخفى على أحد ملاحظتها .

والثالث : وهو مايتضح من الاختبارات البيولوجية المشار اليها سابقا من صعوبة مضغ مادة الاكونتين بما تسببه من حرقان ورعشة وارتجافات وهو مالم يلحظه أحد من مرافقى المشير من منزله الى مستشفى المعادى أو من مستشفى المعادى الى استراحة المريوطية .

بل جاءت كل الأقوال بما ينفى تماما احتمال تناول سيادته للافيون أو الاكونتين .

٦ ـ اعتماد ايجابية ورقة السلوفان التى سلمها الضابط المحقق عند استجوابه وقرر أنها كانت مما لفظه المشير من أن بها آثار مضغ وأنها تحتوى على أفيون لايعتد به لبطلان أجراءات التحريز كما أوضحنا . ولتعارض ذلك مع الاختبارات الاخرى كما اثبتنا .

مما يقطع بأن هذا الحرز مدسوس على القضية :

من الساعة ٥,٢٠ مساء ١٢ /١٩٦٧/٩ حتى العاشرة صباح ١٤ /١٩٦٧/٩ قال النقيب طبيب مصطفى بيومى المكلف لهذه الفترة أن الشكوى الوحيدة للمشير كانت كحة عنيفة يتبعها قئ وأنه طوال فترة نوبته كانت صحة المشير عادية جدا من حيث النبض وضغط الدم والتنفس وكان منتبها ويتكلم وهذا يؤكد أنه حتى انتهاء نوبة هذا الطبيب كان سيادة المشير فى صحة جيدة باستثناء السعال الشديد وهو عادة مايعقبه قئ .. ومن غير المقبول طبيا أن يكون لهذا القئ سبب آخر بدليل أن سيادة المشير عندما توقف فى اليوم الثانى لاعتقاله يوم (١٤ /٩) عن التدخين تحسنت حالته وقل السعال والقئ .

من الساعة ١٠ صباح يوم ١٤ /٩ حتى الساعة ٦ مساء : قال د : البطاطا أن المشير كان فى تحسن وحتى الساعة السادسة عندما عاد وجده نائما والحالة هادئة والتنفس عادى والحالة العامة من حرارة وضغط طبيعية جدا مما يستبعد معه أن يكون سيادة المشير كان قد تناول أى مادة سامة قبل هذا الوقت .. فقد قرر الطبيب أنه لم يكن يتوقع حصول الوفاة بهذه الصورة حيث أن الحالة كانت عادية حتى الساعة ٦ مساء .

وحتى هذه اللحظة يقودنا التسلسل المنطقى للأمور الى أنه فى هذه اللحظة وضع المشير هذا السم أو شربه بطريقة ما سواء فى عصر الجوافة أو غيره .

أما القول بأن سيادته كان يحتفظ بهذا السم (الاكونتين) بوضعه تحت شريط لاصق فى

مكان ما أسفل البطن وأنه فور الانتحار فنزع الشريط اللصاق وأفرغ كمية من الاكونتين بطريقة ما ثم بعد أن بلعها بما يصاحب بلعها من ألم وماتكون عليه نفسيته فى مثل هذه الحالة من انهيار أعاد وضع شريط الريتالين المحتوى على السم تحت الشريط اللصاق ورفع ملابسه وأعيد لبس الشريط مرة أخرى على أسفل البطن .. ورغم تجافى هذا القول مع أى منطق ورغم صعوبة تصوره علميا فأننا لانعتمد على هذا فى دحر هذا القول . بل نعتمد على :

- أولا : كما قررنا سابقا أنه ثبت أن من يتعاطى جرعة من الاكونتين حتى لو كانت أقل من الجرعة القاتلة فان القوة العضلية له لاتلبث أن تنهار تماما مع مايصاحب ذلك من رغشة وارتجافات تملك الشفاة والأطراف وسائر أجزاء الجسم مما يصعب معه امكان القبض على شىء بالاصابع وهذا يدحض القول بأن المشير بعد أن بلع الأكونتين وطعمه الحارق الشديد مازال فى فمه وحلقه وزوره وما يصاحب هذه اللحظة من فقدان لكل شعور وأحساس وأخذ الحذر والانتباه ومايمكن أن يقال من أن المشير وهو فى هذه الحالة قد رفع معطف البنامة التى يرتديها وحرك ملابسه الداخلية ليعيد لصق هذا الشريط على أسفل بطنه غير مقبول على الاطلاق . ولايستطيع أى باحث خبير هذا السم فى تجاربه على نفسه وعلى الحيوانات أن يقر مثل هذا القول أو يستطيع أى احتمال أو يضعه فى الحسبان .

- ثانيا : ماجاء من أن مسحوق الاكونتين وجد معه فى فجوات شريط معدنى لامع يستعمل أصلا فى تعبئة أقراص الريتالين صنع ج م ع وماقيل من أنه أمكن تمييز قطعة صغيرة جدا من ورق معدنى لامع لاصقة بها يحتاج الى مناقشة حيث يريد نا هذا التقرير أن نفهم (أولا) أن المشير قد بلع كل محتوى أحدى الفجوات فى الشريط وابتلع معها هذه الورقة المفضضة والتى تغطى الفجوات المعدة أصلا لوضع الأقراص والملوثة بالاكونتين الذى جاء فى تقارير معامل الطب الشرعى أن وزنه فى كل فجوة كان ٥٠ مللى جراما وهذا معناه أن المشير قد ابتلع ٥٠ مللى جراما كاملة .. ومثل هذه الكمية من الاكونتين المهلور غنى لقتل خمسة وعشرين رجلا فى دقائق . ومثل هذه الكمية لو استعملت فى القتل أو الانتحار لاصبح الكشف عنها كيماويا وبيولوجيا فى منتهى السهولة ولو بعد مضى أكثر من عشر ساعات على الوفاة كما سبق أن أوضحنا .. وعليه فهو احتمال مرفوض علميا .

- ثانيا : أن يكون المشير قد حاول ابتلاع جزء من الكمية التى تحتويها أحدى الفجوات وهذا يستدعى أن يعثر على الباقى فى هذه الفجوة بعد تغطيتها بالشريط اللاصق وهو مالم يقل به أحد حيث وجدت الفجوات الثلاث فى الشريط محتوية على كميات متساوية من الاكونتين قيمة كل منها ٥٠ مللى جراما .

(١٧)

النتيجة :

مما سبق لا يستطيع الباحث المنصف المدقق الا أن يقرر أن وفاة السيد المشير لم تكن انتحارا وانما كانت قتلا باعطائه سم " الاكونتين " بطريقة أو بأخرى بعد الساعة ٦ مساء يوم ١٤ /١٩٦٧/٩ وأننى أقرر مطمئنا أن هذه الوفاة جنائية مكتملة الشروط الجنائية من التعمد الى سبق الاصرار والترصد •

والله أعلم وهو ولى التوفيق

• دكتور •
(على محمد دياب)
باحث وحدة بحوث التحليل والسموم
المركز القومى للبحوث

٦ لماذات..؟؟؟!

- لماذا أصر جمال عبد الناصر علي عودة عبد الحكيم عامر من قريته أسطال إلي القاهرة، بعد أن أعلن المشير عن عزمه علي البقاء هناك حتي نهاية العمر ؟
- لماذا - وقد عاد إلي القاهرة - لم تجر محاكمته طوال فترة حصاره في منزله، رغم طلب عبد الحكيم عدة مرات أن يحاكم محاكمة علنية؟
- لماذ نقل من داره إلي مكان بعيد عن الأهل والأعين، رغم أنه تحت حراسة رئاسة الجمهورية؟
- لماذا أصر محمد فوزي علي إخراج المشير من مستشفي المعادي قبل الساعة الخامسة، حتي أنه هدد مدير المستشفي -الفريق مرتجى - إذا لم يخرج المشير في ذلك الوقت فستكون هناك حجرة له في السجن الحربي ؟
- كيف وصل الشريط المزعوم إلي يد المشير، خاصة أن تقرير مستشفي المعادي، أفاد خلو المعدة من أي أثار مخدرة أو سامة، حتي وقت وصول القوة برئاسة محمد فوزي لاصطحابه إلي سجنه «المريوطية» يوم ٦٧/٩/١٣؟
- كيف تعاطي المشير سما وهو في المعتقل بعد أن وصل، خاصة أن شهادة الطبيب الملازم له أكدت أن صحة المشير ومعنوياته ونبضه وتنفسه كانت جيدة، حتي الساعة العاشرة من صباح يوم موته؟
- كيف تدهورت صحة المشير فجأة إلي حد الموت، خلال عشرين دقيقة، هي الفترة التي تركه فيها الطبيب المرافق له، والذي أكد أنه تركه في الساعة السادسة في أحسن حال؟
- لماذاطلب محمد فوزي من اللواء مرتجي الساعة السادسة إرسال طبيب علي وجه السرعة من المستشفي لعلاج المشير، بينما كان المشير في تلك اللحظة علي أحسن حال وفي صحة جيدة؟!
- كيف يهتم المشير بطلب علاج أسنانه وعمل مسّ، وطلب نوفالجين وهو مقدم علي الانتحار؟
- أين كان جمال عبد الناصر يوم مصرع عبد الحكيم عامر في ١٩٦٧/٩/١٤؟
- كيف عرف محمد فوزي في الساعة السادسة أن المشير ستسوء حالته ويموت بعد عشرين دقيقة؟

- لماذا لم يسمح لشقيق المشير - المستشار عبد الجواد - برؤية جثة أخيه عن قرب.. بل ورفضوا طلبه بنزع الملاءة من علي الرقبة والجثة حتي يراها ولو علي البعد الذي وضعوه فيه «علي باب الغرفة من الداخل»؟؟؟

- قال السفرجي - من رئاسة الجمهورية - أن المشير كان يشرب من عصير الجوافة نقطتين كل نصف ساعة ، وإن أعراض المرض ظهرت عليه في الساعة ١٢ ظهرًا.

بينما قال الممرض - من رئاسة الجمهورية - أن المشير لم يشرب أي شيء طوال يوم ١٤ سبتمبر.. فلماذا لم يلتفت المحققون إلي هذا التناقض بين أقوالهما؟

- لماذا لم يتم معرفة من الذي فتح علبة الجوافة ؟ ومن الذي كان يصب منها في الكوب الذي كان يقدم إلي المشير؟!

- ولماذا لم يحرّز الكوب بما تبقي فيه؟ ولماذا لم تحرز العلبة ؟!

- ولماذا منعت أسرته من استلام جثته؟؟

- ولماذا أهمل التحقيق مع الخادم الذي كان يحمل فناجين القهوة وأكواب عصير الجوافة؟

- لماذا نقل جثمانه من القاهرة إلي بلدته «أسطال» تحت حراسة مشددة من حرس رئاسة الجمهورية، والشرطة العسكرية، والمخابرات العامة، والمباحث العامة، علي طول الطريق من القاهرة إلي أسطال؟

- لماذا ضُرب الناس في «أسطال» ، لمنعهم من الاقتراب من النعش؟ ولم يسمح لأحد بالمشاركة في دفنه مع رجال الأمن ؟

- لماذا أقاموا علي قبره حراسة مسلحة، ومشددة لمدة شهور بعد الدفن؟ لم يسمح خلالها بزيارة قبره !!!

- لماذا وضع جميع أشقاء المشير في السجن، ولم يفرج عنهم إلا بعد وفاته؟

- لماذا .. ولماذا .. نقلت ملاءة سرير عبد العحيكم الملطخة بالدماء من فوق سريره، ووضعت بدلاً منها ملاءة نظيفة.. ولماذا أهمل البيان «بقع الدم» ووصفها بأنها «بقع تميل إلي الإحمرار»؟!

- لماذا .. ولماذا.. لا يتم إبلاغ المحامي بمصرع المشير إلا بعد خمس ساعات؟

- ولماذا لم تصل النيابة وكبير الأطباء الشرعيين إلابعد سبع ساعات؟

- ولماذا لم يصل الجميع إلي دار التشريح إلا بعد إحدي عشرة ساعة؟

- لماذا لم يحقق في بلاغ المهندس حسن عامر - شقيق المشير - الذي قال فيه أن أخاه مات مقتولاً ؟؟

- لماذا لم يحقق في البلاغ الذي أرسله صلاح نصر إلي المحامي العام، ينفي فيه عن نفسه تهمة تقديم السم لعبد الحكيم، ويؤكد في ذات الوقت، علي أن عبد الحكيم عامر مات مقتولاً ؟؟!!!!
- ولماذا نشروا أقوال صلاح نصر محرفة ؟ ولماذا تجاهل المحامي العام ما جاء في بلاغه؟ ولماذا حذفوا اتهام صلاح نصر؟؟

الخاتمة

سوف أموت وأنا أحبه

هذا الكتاب يحتوي علي تفصيل كامل لحياة المشير عبد الحكيم عامر منذ مولده وحتي قتله.. ولقد راعيت الأمانة الكاملة والصدق في ذكر الأحداث.. وتأكيدها من أقوال كبار القادة العسكريين الذين كانوا شركاء في هذه الأحداث والكتاب ليس دفاعًا عن عبد الحكيم عامر بقدر ما هو صادق عن أدوار المشير سواء السياسية أو العسكرية.. قبل الثورة، ويوم الثورة ، وفيما تلي ذلك من أحداث جسام مثل أزمة ١٩٥٤ المعروفة بحركة الفرسان، وأسلوب إبعاد أول رئيس لجمهورية مصر العربية اللواء محمد نجيب ثم الطريق إلي حرب السويس وأحداث الحرب نفسها، ثم الوحدة مع سوريا، وأزمة مجلس الرئاسة عام ٦١، ثم الحرب في اليمن وأثرها علي القوات المسلحة، وصولاً إلى هزيمة ١٩٦٧ والتي انتهت تلك النهاية الأليمة بقتل عامر بسبب وفائه لصديق عمره عبد الناصر واستعرضت قصة الانتحار الوهمية والأدلة والبراهين العلمية علي قتل عبد الحكيم عامر وأن مصرعه لم يكن انتحارًا.

ومن المخجل أن يلصق بالرجل ما ألصق به، ولكنها محنة النظام السياسي الذي ضحي يومًا بمؤسسته العسكرية وسمعتها وجهاز مخابراته وأبرز قادة النظام المدنيين والعسكريين من أجل الحفاظ علي سمعته وبقاء رئيس الجمهورية في منصبه وتولت المهارة الإعلامية ترويج ذلك بشدة وظل ما صنعته الآلة الإعلامية من تشويه وافتئات علي الحقائق قائمًا إلي الآن .. يساعدهم في ذلك من بقي علي قيد الحياة من الذين شاركوا في التخطيط والتنفيذ لقتل المشير عامر وإني أسألهم.. أين حمرة الخجل..؟ ولكنهم يتميزون بالكذب في صفاقة مثيرة. ولكن ستظهر الحقيقة ساطعة في يوم ما وسيلقون نفس المصير الذي سبقهم إليه بعض من اشتركوا في تنفيذ هذا المخطط الإجرامي للقضاء علي شخصية كانت أعظم وأنقي وأشرف ما أنتجته ثورة ٢٣ يوليو ألا وهو المغفور له شهيد الوفاء المشير عبد الحكيم عامر..

ولعلي بهذا الكتاب الجامع أكون قد وفيت المشير حقه وأديت دينًا في عنقي إلي الرجل الذي عشت أحبه وما زلت أحبه وسوف أموت وأنا أحبه.

برلنتي عبد الحميد

الملحق الوثائقي

وثيقة رقم (١)

Washington, June 21, 1955.

SUBJECT

Possible Egyptian Purchase of Arms from the USSR; Egyptian-USSR Relations in General

In response to your request, I am setting forth the information which we now have on the USSR "offer" of arms to Egypt, and on Russian activities in Egypt in general. I have requested our Embassy in Cairo to submit by telegram any additional information on the arms "offer" and by despatch on over-all survey of USSR and satellite activities.[2]

Embassy Cairo's previous report states Nasser said "that he had concluded he should accept Russia's offer of military equipment and plans to send a mission there next week."[3] A subsequent telegram reported that the dispatch of the mission had been delayed.[4] We have no other information from the Embassy regarding the current Russian offer. In view of the authorization we have given Ambassador Byroade to inform Nasser that we have no objection in principle to Egyptian purchases of arms in the US, Nasser may abandon his plan to buy in the USSR.[5]

In February 1954 the USSR offered, through an Egyptian economic mission then in Moscow, assistance in construction of the High Aswan Dam. Nasser, however, did not accept this offer because of fear of Russia's real intentions. . . . Soviet Ambassador Daniil S. Solod offered technical and economic assistance, including financing for the High Aswan Dam, on May 23, 1955 and added that if Egypt objected to the presence of Soviet personnel in Egypt, the USSR would work through the UN. Nasser declined the offer but inquired whether the USSR would barter heavy artillery for cotton. Solod replied affirmatively and indicated shipment might be made within six weeks. . . . Nasser has designated Major-General Hassan Raghib to head a mission to the Soviet Union to negotiate

---

[1] Source: Department of State, Central Files, 774.56/6–2155. Secret. Drafted by Burdett.

[2] The Department made this request in telegram 2229, June 21, to Cairo, not printed. (*Ibid.*, 474.618/6–2155)

[3] Reference is to Document 123.

[4] Reference is to Document 132.

[5] Byroade had received this authorization from the Department in telegram 2214 to Cairo, June 17. See footnote 2, Document 132.

the purchase of artillery items offered for barter against cotton. . . . According to DRS, the arrangement, if finalized, will be the first sale of arms by the USSR outside the Soviet bloc since World War II.

Czechoslovakia has offered immediate delivery of an unspecified number of military planes in exchange for cotton.

In May 1954 the Embassy in Cairo reported a noticeable increase in Russian overt activity on the commercial, diplomatic, cultural and propaganda fronts. The present Russian Ambassador arrived in Egypt in October 1953. In December 1954 the Soviet was reportedly attempting to increase its cultural influence in Egypt, and plans for opening a "Cultural House" in Cairo received Egyptian approval in April 1955. In that month Egypt announced approval of Soviet and Roumanian offers to supply petroleum products worth $8.4 million against Egyptian cotton. The agreement, similar to one signed last year, is causing concern to American and British oil companies operating in Egypt. You will recall that during the Bandung Conference, Egypt and Communist China were reported to be discussing a trade arrangement involving an exchange of cotton. Since March 1954, the Hungarians, East Germans and Czechs have conducted well-publicized trade fairs in Egypt. The fairs were apparently conducted mainly for propaganda reasons, since no appreciable increase in trade followed.

وثيقة رقم (٢)

138. Memorandum of a Conversation, San Francisco, June 24, 1955[1]

BSF MC–11

SUBJECT

United States-Egyptian Relations; Prospects for an Arab-Israel Settlement

PARTICIPANTS

Dr. Mahmud Fawzi, Minister of Foreign Affairs, Egypt
The Secretary
Assistant Secretary George V. Allen

The Secretary greeted Dr. Fawzi cordially and expressed pleasure at the opportunity of having a discussion with him. Commenting that relations between the United States and Egypt seemed to be slightly less cordial than they have been a few months ago, the Secretary said he regretted this development very genuinely since he had always felt that Prime Minister Nasser was the most promising of the Arab leaders and that Egypt was the logical leader of the Arab States. He asked Dr. Fawzi what he thought the reasons were for Nasser's reservations about the United States.

---

[1] Source: Department of State, Conference Files: Lot 63 D 123, CF450. Top Secret. Drafted by Allen. Secretary Dulles was in San Francisco, June 19–25, for the Tenth Anniversary of the signing of the U.N. Charter.

Dr. Fawzi said that relations between the United States and Egypt had reached their high point at the time of the signing of the Suez Canal Agreement, but that Egypt had been shocked by the signature of the Iraqi-Turkish Pact. Additional adherence to this pact by other Arab States would make matters worse. The Secretary pointed out that the United States had been given too much credit for bringing about this pact and that he himself had been quite surprised when it occurred. He said that as long ago as June 1953, he had originally used the term "northern tier" as a concept for a collective security arrangement to include the countries between Turkey and Pakistan and that we welcomed any proper step in this direction, but any idea that we were building up Iraq as a counterweight to Egypt among the Arab States had no justification whatever.

Dr. Fawzi said he was now satisfied that the United States was not "interfering in Syria", but any impression that we supported the adherence of other Arab States to the Turkish-Iraq Pact would create further uncertainties in Egypt with regard to American policy. The Secretary said that far from urging such adherences, we would be embarrassed if they did join since the effect would be bad not only in Egypt but also in Israel. In the latter connection, he asked Dr. Fawzi how Israeli-Egyptian relations stood. Dr. Fawzi said these fell into two categories, the immediate and the long range. As regards the immediate, the problem concerned the Gaza strip. Egypt had agreed to General Burns' proposals for discussions with Israel and Colonel Nasser had suggested a neutralized zone along the Gaza frontier and arrangements for joint Israeli-Egyptian patrols as possible means for improvement. He hoped these suggestions would bear fruit.

As regards the long-range question, Dr. Fawzi said Egypt's position was quite straight forward and clear. He did not wish to imply that this was a matter which had been thrashed out in the Egyptian cabinet, since only he and Colonel Nasser had discussed the matter, but he had let Ambassador Byroade know their basic attitude. He said Nasser had two requirements which must be fulfilled before any long-range settlement with Israel could be possible. The first requirement was full material compensation for the losses sustained by the refugees. He emphasized material compensation since, he said, no one could estimate the moral and psychological damage done to these uprooted people. Egypt did not insist that the compensation be paid by Israel, but full compensation was required from some source in order to enable these people to begin a new life, either in Israel for those permitted to return, or elsewhere for those who were not. The second requirement was the physical and geographical union of the Arab States. This meant the surrender

of the Negev, "including Beersheba", by Israel. Egypt did not demand an inch of this territory for herself. It could all be given to Jordan. Moreover, Israel could have Gaza. He said that one often heard reference to the partition of Palestine, but the creation of Israel had in fact partitioned the Arab States, by separating them physically. If he wished to go by car from Egypt to Damascus, he would have to obtain the permission of Mr. Sharett. This was an impossible situation for any Arab to accept. A mere corridor would in no way suffice.

The Secretary remarked that he had not made any basic statement regarding United States policy toward the Middle East since his return from that area two years ago.[2] Prior to the United States Congressional elections last year, he had been subjected to considerable pressure to make a further statement but he had refused to do so, promising a statement after the elections. Eight months had passed and he now felt that he should not wait much longer to do so.

Dr. Fawzi said he presumed that the reason the Secretary felt a statement necessary was the request he understood Israel had made for a security pact with the United States. He pointed out that a security pact must guarantee certain boundaries; he asked what we proposed to guarantee. Until boundaries were fixed, he did not see how any pact was possible. If the United States signed a security pact with Israel under present circumstances, before boundaries had been agreed upon by the Arab States, the pact would be illegal and he would protest it as such. Moreover, the United States would do irreparable harm to its relations with every Arab State, without exception, if we gave Israel a security pact prior to a permanent boundary settlement. The Secretary commented that, as a lawyer, he was not always impressed by legal arguments but he understood fully the political considerations Dr. Fawzi mentioned.

Dr. Fawzi said he thought efforts for a definitive settlement should be made during 1955 since the United States would find it difficult, "for obvious reasons", to do anything during 1956. Consequently, if progress was not made during 1955, we might have to wait until 1957. The Secretary commented that even 1957 might not be an easy year since positions might be taken by both sides during the 1956 political campaign which would be difficult to overcome.

Dr. Fawzi said that if the two basic conditions regarding refugees and boundaries were met, he saw no reason why the matter

[2] For documentation on the visit of Dulles and Harold Stassen to the Near and Middle East, May 9–29, 1953, see *Foreign Relations*, 1952–1954, vol. IX, Part 1, pp. 1 ff. For text of Dulles' speech of June 1, 1953, which summarized his trip, see Department of State *Bulletin*, June 15, 1953, p. 831.

should not go ahead in the near future. The Secretary expressed his appreciation for this encouraging news and repeated his pleasure at the opportunity to discuss the subject with Dr. Fawzi in San Francisco.

وثيقة رقم (٣)

132. Telegram From the Embassy in Egypt to the Department of State [1]

Cairo, June 17, 1955—6 p.m.

1928. Nasser asked me last night if I had received decision on principle of whether Egypt could purchase arms in U.S. I replied I had not and pointed out that he must realize his request had had to be put to Washington in most unfortunate light.

In long discussion which followed, Nasser made clear that he was still aware of long range disadvantages of Soviet arms aid. However, partly for morale effect in army and partly for security of Egypt, he still felt desperate need to obtain additional supplies of military equipment which would continue in event of trouble and therefore still seemed discount unfavorable impression acceptance Soviet arms would make.

He also tended discount effect Soviet aid would have within Egypt itself. For example, he insisted he could make deal whereby no Russians were allowed inside Egypt and under which no signed agreement would be necessary. I told him effects would come later and in form he would not like. In my opinion Egypt was important target for USSR. Soviets probably would ask nothing more initially than show of real neutrality and be content with effect that would have upon Middle East as a whole. Second phase would come later when he might find himself incapable of coping with it. He replied he felt communism in Egypt could be controlled and asked if I knew of his action a few hours earlier in jailing Communist leaders. I said I did not but history was full of examples of leaders who felt they could play only so far with Communist and then cut off relationships.

During discussion Nasser retreated somewhat from his previous categorical statement that he intended obtain arms from USSR. (We know that he has held up dispatch of mission to Moscow.)

He asked me several times what I thought answer from Washington would be. I told him I did not know but I thought he had presented his request in most difficult form possible by seeking decision in principle without giving ideas as to items or quantity. Department alone could not decide this question and military certainly would be unable consider such a vague request.

Hope Department will give most careful consideration to reply which I am to make to Nasser. Point at issue in my opinion is not whether Nasser can persuade West to supply arms failing which he

[1] Source: Department of State, Central Files, 674.84A/6–1755. Top Secret; Priority. Received at 1:26 a.m., June 18.

will turn to USSR—in fact believe decision should be based upon other factors pushing possible USSR deal aside. I believe Nasser feels he is posing test of U.S. good faith and intentions toward Egypt in its current concern regarding Israel. Therefore present issue is whether as matter of principle Egypt is or is not barred from purchasing military equipment in U.S. If at this time we give Nasser answer that as matter of principle Egypt is denied right of purchase of arms in U.S., believe we shall be very long time getting over effect that will be created. Regardless of facts of past history this matter, Egyptian officers (Nasser included) generally believe it has been impossible for Egypt purchase arms in U.S. If at this time of urgent need, as they see it, when we both know Egypt is far weaker than Israel, we turn Egypt down on question of principle, Nasser and his supporters will not soon forget our action which they will interpret as being totally partial to Israel.

I therefore recommend Department authorize me reply that U.S. has no policy which would bar Egypt from purchasing equipment. It seems to me unnecessary to go beyond this statement unless and until Nasser is prepared specify requirements in practical terms. As Egyptian financial resources are obviously limited, I would expect that in any event Egyptian purchases of equipment could not be large.

Nasser has said that he wishes me to inform him as soon as I receive Department's views.[2]

Byroade

[2] The Department, in telegram 2214 to Cairo, June 17, authorized Byroade to inform Nasser that Egypt was eligible to purchase arms in the United States under the terms of the Mutual Defense Assistance Understanding of December 1952, that the United States would consider any request solely on its merits and within the framework of the principles embodied in the Tripartite Declaration, and that it would consider sympathetically those requests that involved reasonable expenditures. (*Ibid.*, 474.008/6–1755)

وثيقة رقم (٤)

221. Letter From the Acting Director of Central Intelligence (Cabell) to the Secretary of State [1]

Washington, August 25, 1955.

DEAR MR. SECRETARY: In answer to your request to the Director of Central Intelligence, [2] we are submitting the following views and the attached analysis. [3]

On 23 May, . . . Soviet Ambassador Daniel Solod in Cairo offered technical and economic assistance to Egypt, including financing of the proposed Aswan high dam. . . .

In late July, D.T. Shepilov, editor of *Pravda*, and a secretary of the Communist Party, visited Egypt and . . . elaborated the Soviet offer. . . .

As reported to you by Ambassador Byroade, Ahmad Husain, Egypt's former ambassador in Washington, in discussing the alleged Shepilov offer, told Byroade in Cairo that it included a cotton barter deal to finance the high dam, 100 MIG's and 200 tanks. Jet bombers (probably IL-28's) were also said to be available for 37,000 Egyptian pounds (equivalent to $106,000). Soviet spokesmen reportedly also suggested in discussions with Egyptians that if direct negotiations with Moscow embarrassed Cairo, Warsaw or Prague could offer the same deal.

A report that Radio Moscow had broadcast in Arabic to the Near East an offer of free military assistance to Egypt appears to be in error. [4] The latest Egyptian claims are that Radio Israel made the statement on 10 August, that this statement was picked up by an Egyptian monitoring station, and, as a result of haste and carelessness, was passed to the press as having been broadcast by the Soviets in Arabic, and with the paragraph concerning military aid deleted. These reports and similar ones all apparently originate with Egyptians. They may be exaggerated in order to bring pressure on the United States to satisfy Egypt's military needs on favorable terms. The fact that no Western monitors intercepted any such broadcast, coupled with the lack of motivation for the USSR to broach an offer of such magnitude and portent in this manner, raises the possibility of deception, which we are still trying to confirm.

---

[1] Source: Department of State, Central Files, 774.56/8-2555. Secret. According to a note attached to the source text from Roger Kirk to Gordon, "The Secretary and Mr. Hoover have seen the attached letter."

[2] No record of such a request has been found in Department of State files.

[3] Not printed.

[4] See footnote 5, Document 194.

During the past weeks, the USSR . . . has offered Saudi Arabia economic aid and military equipment.[5] This approach was made by Soviet Ambassador Lavrentiev in Tehran, first to the Saudi ambassador[6] and then to King Saud, and Deputy Foreign Minister Yassin. In the spring of 1955, Soviet offers of military, economic, and diplomatic aid were also reported made to Syria.

In our opinion the USSR directly or through its Satellites is able to deliver the items specifically mentioned by the Egyptians; heavy artillery, tanks, jet fighter and bomber aircraft and destroyers, in the quantities that could conceivably be absorbed by Egypt or other nations in the Arab league without any perceptible effect on its own arms program. Only in the event the Soviets anticipated general war in the relatively near future would they have any compelling reason to hang onto all of their vast stockpile of this obsolescent matériel. For example, the early alternate fate of the MIG–15's is probably to be turned into scrap.

Moreover the Soviets are undoubtedly well aware of the . . . preoccupation of Arab leaders such as Nasr and King Saud with building their arms strength and would calculate that the surest way to achieve a real position of influence in those countries would be to become a substantial supplier of arms with the attendant requirements for Soviet technical and possibly tactical training in their use.

It is also quite consistent with what we know of current Soviet external trade programs for the USSR to be willing to offer such equipment for indigenous currency or basic commodities with favorable terms as to time of repayment.

Finally, it seems to us that the present Soviet drive to relax tensions between the power centers of East and West could well have as a concomitant a subordinate policy of sowing seeds of discord in such trouble spots as the Near East.

We, therefore, conclude that it is well within Soviet capability to implement the reported offers of arms aid and that it is probably their intention to do so if the offeree governments accept their proposals.

Sincerely,

C.P. Cabell
Lieutenant General, USAF

[5] For documentation regarding Soviet offers of economic and military assistance to Saudi Arabia, see volume XIII.

[6] Sayid Hamza Ghuth.

وثيقة رقم (٥)

478. Memorandum of a Conversation, Department of State, Washington, July 19, 1956, 4:10–5:07 p.m. [1]

SUBJECT

High Aswan Dam

PARTICIPANTS

The Secretary
The Under Secretary
Dr. Ahmed Hussein, Ambassador of Egypt
NEA—George V. Allen
NEA—William M. Rountree

The Ambassador called at his request following his return after several weeks consultation in Cairo.

The Secretary began the conversation by saying he wished particularly to discuss the question of the High Aswan Dam, a matter which concerned both Egypt and the United States concretely at the present time. He had reluctantly come to the conclusion that it was not feasible at present for the United States to go forward with this undertaking. There were a number of reasons for this decision, which he hoped the Ambassador would appreciate. The Aswan Dam was a huge project, involving $1,300,00,000 of which $900,000,000 represented internal costs. This represented a heavy burden upon the Egyptian economy. The project involved not only Egypt, but was of direct interest to other states through which the Nile waters flowed. There was no present agreement with the Sudan, Ethiopia, Uganda, etc., covering the use of these waters. While that aspect of the problem could be explored and quite possibly solutions could be found there were other elements which made it appear far more feasible at this time to consider lesser projects than that presently envisaged.

The Secretary said there were two elements which deserved special mention. First was the long-range impact of the project upon relations with the Egyptian people and Government. Implementation would impose a period of from 12 to 16 years of austerity on the part of the Egyptian people, and a major portion of Egyptian resources would have to be dedicated to this particular work. Over such a period there undoubtedly would be resentment and a feeling by the Egyptians that the limitations imposed tended to interfere with the independence which they so cherished. The situation in the area was troubled, and we thought from the standpoint of our

[1] Source: Department of State, Central Files, 874.2614/7–1956. Secret. Drafted by Rountree on July 20. The time of the meeting is from the Secretary's Appointment Book. (Princeton University Library, Dulles Papers)

relations with the Egyptians over the next decade, it would not be wise to undertake this project which might superimpose such strained feelings upon the difficulties in relations which now existed. He recognized that the immediate impact of an announcement that the project would receive American assistance might be good, but felt that this would be unlikely to last very long.

The other element, the Secretary said, related to the impact upon our own people. He stated in all frankness that from the United States standpoint developments during the past six or seven months had not been such as to generate goodwill toward Egypt on the part of the American public. He was not referring to various classes of Americans who might be prejudiced for one reason or another, but had in mind the rank and file of the American people and the Congress, who felt it doubtful that the attitude of the Egyptian Government toward the United States and what it stood for was such as to render it feasible and wise for us at this juncture to undertake as partners with Egypt a program of this magnitude. We doubted that we could obtain funds from Congress to carry out the work even if the Executive Branch wished to do so, and commented that no single project in the Mutual Security Program was as unpopular today as the Aswan Dam. He recognized that this unpopularity of the Dam project itself derived in part from opposition of certain groups—for example, persons interested in the effects of a possible increase in Egyptian cotton production in competition with American cotton growers. However, the basic opposition derived from a feeling that the Egyptian Government was working closely with those hostile to us who sought to injure us wherever they could.

Continuing, the Secretary said he hoped that this situation was not a permanent one, that it could soon be improved and that tranquillity would return in United States-Egyptian relations so that we could achieve the kind of cooperative efforts which we earnestly desired. However, as things stood today, the United States Government had come to the reluctant conclusion that we should not participate at this time in a program of this magnitude, the success of which would require a close working relationship. He emphasized that this did not imply any lack of friendship toward Egypt or lack of desire to cooperate with the Egyptian Government and people. We were willing to do everything possible to improve and maintain relations.

The Secretary expressed the view that in light of the existing situation and programs which the Egyptian Government has undertaken, Egypt should get along for the time being with projects less monumental than the Aswan Dam.

The Ambassador inquired whether he was to understand from what the Secretary had said that a final decision had been reached that the United States would extend no assistance for the Dam project, and that discussions on the previous proposal were to be terminated.

The Secretary responded affirmatively. At this point he showed the Ambassador a draft of a press statement which he intended to release later in the day. He commented that he knew that this decision was personally as disappointing to the Ambassador as it was to him to have to make it. He realized that the Ambassador had worked hard to develop and maintain the best possible relations between Egypt and the United States, and expressed deep appreciation for what the Ambassador had done. He expressed the belief that when the Ambassador thought over the things which the Secretary had said, he would realize that the situation had become such as to render it impracticable and unwise to implement the project at the present time. Many things had happened which we of course wished had not happened. Our two countries seemed to be "out of step" in many respects. Successful implementation of an undertaking such as the Dam would be impossible without the existence of the right kind of relationship; without it, it was inevitable that resentments would be engendered. He believed that in the long run the decision would be in the interest of good relations between the two countries, and should not be taken as an indication to the contrary.

The Ambassador said that in Cairo he had met a number of times with Nasser and discussed with him all of the points which the Secretary had mentioned before the Ambassador's departure. He had found Nasser anxious to reach an agreement on the basis of the December offer. Discussions with the Sudan upon an agreement on the Nile waters were progressing nicely, and Nasser was hopeful that they would soon be concluded on a reasonable basis. The Egyptian Government had always been aware of the need for such an agreement with the Sudan, but had not contemplated negotiating an agreement with Ethiopia which had never been able to make appreciable use of the Nile waters. Ethiopia, he said, had never previously concerned itself with matters affecting the Nile in Egypt, and had never made any previous claims. Nasser had hoped that it would be possible to start the project without delay. He realized that it was a huge undertaking, involving large sums of money, but all studies had shown the project to be the only solution to the population problem and also to the problem of providing adequate power. He did not ignore the difficulties involved. The Egyptian people had heard much about the scheme and expected it to be undertaken at once. The Ambassador shared the view of the Egyptian Government

that the project was of such importance that the Egyptian people would not resent the sacrifices which its implementation would entail. By spreading the expenditures over a number of years, and with reasonable foreign aid, the burden upon the Egyptian economy could be held to manageable proportions. He thought that this project clearly would be far more effective than other smaller schemes in meeting Egyptian needs.

The Ambassador said he had earnestly hoped that for the good of Egypt the project could be financed by the World Bank and by the United States and British Governments. He had felt that if we cooperated with Egypt on a project of this nature a better atmosphere would be created which would result in the elimination of many things which had caused misunderstandings between our two countries.

Referring to the question of Egyptian arms purchases from the Soviet Bloc, the Ambassador expressed a view that the commitments made were not nearly as substantial as the United States had been led to believe, and that payment could be made as scheduled without endangering the Egyptian economy or jeopardizing success in financing the Dam project. He commented that the numbers of military items, such as planes and tanks, acquired by Egypt had been grossly exaggerated.

The Secretary observed that the initial cost of procuring substantial military equipment was, we had found, only one factor in determining the economic burden resulting from their acquisition. The upkeep was a most significant item.

The Ambassador responded that even with the new acquisitions the Egyptian army was still small compared with its population; smaller than that of Israel. He said Nasser had informed him that Egypt had actually acquired only eighty MIGs, rather than 200 as reported in the United States. At the same time, Israel has received eighty more modern planes which were superior to those purchased by the Egyptian forces. He said that Israel had deliberately played this up in an effort to get more military equipment from the United States and other Western countries.

In his conversations with Nasser, the Ambassador said, he was assured that Egyptian recognition of Red China was not in retaliation for anything done by the United States, nor did it represent an effort to hurt the United States. Nasser had felt that if the United Nations should impose an embargo on arms to the area, Israel would always find some way of acquiring military items outside the embargo and that it was incumbent upon Egypt to endeavor to do the same. By establishing diplomatic relations with Red China, a way was open for Egypt to obtain needed equipment in these circumstances.

Regarding Egyptian policies in other Arab countries, Nasser had assured the Ambassador that Egypt had never pressed any country to procure Soviet arms and had, in fact, advised Saudi Arabia to continue to obtain its requirements from the United States. He had, moreover, advised Azzam Pasha before the latter's visit to the United States to endeavor to persuade King Saud to maintain his good relations with this country. Nasser had specifically instructed Egyptian teachers and other subjects abroad not to interfere with the internal affairs of the countries in which they resided, and was convinced that claims that Egyptian representatives were working against the United States were completely false. It was absolutely not true, the Ambassador said, that the Egyptian Government had tried to obstruct an agreement between the United States and Saudi Arabia on the Dhahran Airfield or to impair Libyan-American relations. In summary, the Ambassador said that Nasser was exceedingly hurt that he had been accused of doing things which he had not done, where there was no proof to substantiate the allegations.

The Secretary said he hoped that these reports which he had mentioned to the Ambassador were not correct, and that Nasser earnestly wished to carry out policies consistent with friendly and cooperative relations with the United States. The Ambassador would realize, of course, that our Government was bound to be responsive to the American people and to the Congress. A good many things had happened to account for the feeling that had grown up which made it difficult for us to undertake with Egypt a project such as the Aswan Dam. We naturally heard many stories from various sources, some of whom are enemies of Egypt. We of course do not believe these stories unless we have independent proof.

The Ambassador said that the primary Egyptian needs were to build an adequate armed force for defense and to develop the Egyptian economy. In both of these, Egypt needed help. Egypt would have been happy to obtain arms from the United States, and would be most thankful for assistance in the economic field.

The Secretary reiterated the desire of the United States to assist Egypt but thought that for the time being the Dam project should be "put on the shelf" while we tried to develop a better atmosphere and better relations.

The Ambassador said that he wished at that point to speak entirely personally. He sincerely hated to see the Russians take advantage of the present situation. He knew they were making a "*very* generous" offer on the Dam, an offer which would be far more advantageous from the purely technical and financial points of view than that made by the World Bank and the Western Powers. He had hoped to have the matter settled before Nasser went to Moscow. Nasser had said nothing to Shepilov when the latter was in Cairo,

but in the Ambassador's judgment the risks would be very great if no deal were concluded before the Moscow visit. He had advised Nasser not to accept the Soviet offer even if the World Bank-United States-United Kingdom participation was not decided upon, but there were strong pressures which Nasser might not be able to resist.

The Secretary said he realized the implications of what the Ambassador had said, and the decision to withhold American assistance had not been taken lightly. He knew it was possible that the Russians would make an offer which might look attractive. However, we all knew that living conditions in most of Russia and the Soviet satellites were extremely bad, and that there was a tremendous demand in the USSR for an improvement. Any government which in that situation would deny its people relief from their heavy burdens in order to give aid abroad obviously would be doing so for political purposes. The United States could help others extensively without adverse effect upon its people, because of the tremendous magnitude of its national production. The Soviets may make a generous offer and Egypt might accept it, despite the risks which would be involved, although we hoped that that would not happen. He hoped the truth would be recognized that only if the Soviet Union believed it could obtain great political advantages in Egypt would it be making a generous offer, despite needs at home. He did not, however, believe that the Soviets would succeed because he felt confident that the Egyptians would be acutely aware of dangers to the independence which they have striven so hard to achieve. From the United States viewpoint, we could not undertake to try to match the Russians in any offers which might be made to Egypt or to other countries. We had to think of each proposition on its own merits, operating in ways which commend themselves to the American people.

The Secretary commented that our foreign aid program had been injured more by the proposal to assist in financing the Aswan Dam, in light of our relations with Egypt, than by anything else. He thought the first thing for us to do was to get back as quickly as possible on a basis of good relations. There need be nothing permanent about our present difficulties; it was our earnest desire to improve the situation as rapidly as possible. We did not wish to give the impression that the decision regarding the Aswan Dam was in any way unfriendly or represented a retaliation for actions of the Egyptian Government. He still saw a bright future in Egyptian-American relations. As the Ambassador knew, the present Administration had not allowed itself to be unduly pressured by any special groups in relation to its policies toward Egypt. As he had previously told the Ambassador, we regarded Egypt above all as an Arab state entitled to a position of leadership in the Arab world. We had done

nothing to impede Egyptian prestige and influence. The United States had, in fact, not joined the Baghdad Pact largely because we did not wish to assume a position in this matter which would appear to enhance the prestige of other states and leaders in the area to the detriment of Egypt and Nasser. Smiling, the Secretary commented that there was a somewhat growing feeling in some of the Arab countries that Egypt wished to dominate them, but he had no evidence that Nasser wished to rule countries other than Egypt.

The Ambassador responded that there were two points he wished to make. First, Nasser had said he had no intention of being friendly with the Soviet Union at the expense of friendship with the United States. Secondly, Egypt had no intention of dominating other Arab states; their primary objective was to get rid of colonialism and certainly Egypt did not want to impose Egyptian colonialism in lieu of others.

Upon leaving, the Ambassador inquired what he might say to the representatives of the press who were awaiting his departure. After some discussion he said that he would tell the press that he would leave to the Secretary any comment concerning the business discussed.[2]

---

[2] On July 21, a summary of this conversation was transmitted to Cairo. (Telegram 139; Department of State, Central Files, 874.2614/7-2156) Text of the press release was transmitted to Cairo niact and to London priority at 5:59 p.m., July 19. (Telegram 127 to Cairo and 360 to London; *ibid.*, 874.2614/7-1956)

وثيقة رقم (٦)

192. UNITED STATES WITHDRAWAL FROM THE HIGH ASWAN DAM PROJECT: Announcement by the Department of State, July 19, 1956 [50]

At the request of the Government of Egypt, the United States joined in December 1955 with the United Kingdom and with the World Bank in an offer to assist Egypt in the construction of a high dam on the Nile at Aswan.[51] This project is one of great magnitude. It would require an estimated 12 to 16 years to complete at a total cost estimated at some $1,300,000,000, of which over $900,000,000 represents local currency requirements. It involves not merely the rights and interests of Egypt but of other states whose waters are contributory, including Sudan, Ethiopia, and Uganda.

The December offer contemplated an extension by the United States and United Kingdom of grant aid to help finance certain early phases of the work, the effects of which would be confined solely to Egypt, with the understanding that accomplishment of the project as a whole would require a satisfactory resolution of the question of Nile water rights. Another important consideration bearing upon the feasibility of the undertaking and thus the practicability of American aid was

---

[50] Department of State press release No. 401, July 19, 1956 (also printed in Department of State *Bulletin*, July 30, 1956, p. 188).

[51] See the statement issued by the Department of State on Dec. 17, 1955; *American Foreign Policy, 1950–1955: Basic Documents*, p. 2230.

Doc. 192

وثيقة رقم (٧)

136. Memorandum From the Acting Assistant Secretary of State for Near Eastern, South Asian, and African Affairs (Jernegan) to the Deputy Under Secretary of State (Murphy) [1]

Washington, June 21, 1955.

SUBJECT

Possible Egyptian Purchase of Arms from the USSR; Egyptian-USSR Relations in General

In response to your request, I am setting forth the information which we now have on the USSR "offer" of arms to Egypt, and on Russian activities in Egypt in general. I have requested our Embassy in Cairo to submit by telegram any additional information on the arms "offer" and by despatch on over-all survey of USSR and satellite activities. [2]

Embassy Cairo's previous report states Nasser said "that he had concluded he should accept Russia's offer of military equipment and plans to send a mission there next week." [3] A subsequent telegram reported that the dispatch of the mission had been delayed. [4] We have no other information from the Embassy regarding the current Russian offer. In view of the authorization we have given Ambassador Byroade to inform Nasser that we have no objection in principle to Egyptian purchases of arms in the US, Nasser may abandon his plan to buy in the USSR.[5]

In February 1954 the USSR offered, through an Egyptian economic mission then in Moscow, assistance in construction of the High Aswan Dam. Nasser, however, did not accept this offer because of fear of Russia's real intentions. . . . Soviet Ambassador Daniil S. Solod offered technical and economic assistance, including financing for the High Aswan Dam, on May 23, 1955 and added that if Egypt objected to the presence of Soviet personnel in Egypt, the USSR would work through the UN. Nasser declined the offer but inquired whether the USSR would barter heavy artillery for cotton. Solod replied affirmatively and indicated shipment might be made within six weeks. . . . Nasser has designated Major-General Hassan Raghib to head a mission to the Soviet Union to negotiate

[1] Source: Department of State, Central Files, 774.56/6–2155. Secret. Drafted by Burdett.

[2] The Department made this request in telegram 2229, June 21, to Cairo, not printed. (*Ibid.*, 474.618/6–2155)

[3] Reference is to Document 123.

[4] Reference is to Document 132.

[5] Byroade had received this authorization from the Department in telegram 2214 to Cairo, June 17. See footnote 2, Document 132.

the purchase of artillery items offered for barter against cotton. . . . According to DRS, the arrangement, if finalized, will be the first sale of arms by the USSR outside the Soviet bloc since World War II.

Czechoslovakia has offered immediate delivery of an unspecified number of military planes in exchange for cotton.

In May 1954 the Embassy in Cairo reported a noticeable increase in Russian overt activity on the commercial, diplomatic, cultural and propaganda fronts. The present Russian Ambassador arrived in Egypt in October 1953. In December 1954 the Soviet was reportedly attempting to increase its cultural influence in Egypt, and plans for opening a "Cultural House" in Cairo received Egyptian approval in April 1955. In that month Egypt announced approval of Soviet and Roumanian offers to supply petroleum products worth $8.4 million against Egyptian cotton. The agreement, similar to one signed last year, is causing concern to American and British oil companies operating in Egypt. You will recall that during the Bandung Conference, Egypt and Communist China were reported to be discussing a trade arrangement involving an exchange of cotton. Since March 1954, the Hungarians, East Germans and Czechs have conducted well-publicized trade fairs in Egypt. The fairs were apparently conducted mainly for propaganda reasons, since no appreciable increase in trade followed.

وثيقة رقم (٨)

déployées en Israël reprennent cocardes, identité, uniformes puis participent aussi à la bataille au sol dès que l'aviation de combat égyptienne est considérée comme neutralisée, le 2 novembre au soir. Ce sont d'ailleurs deux raids de F-84 F partis de Lod qui détruisent le 4 novembre les 18 bombardiers Ilioucbine 28 repliés à Louqsor, objectif largement hors de portée des avions basés à Chypre.

Si les missions, y compris l'attaque de Louqsor, sont ordonnées sous la responsabilité et avec l'assentiment du général Brohon, commandant des forces aériennes françaises (mais à l'insu des Anglais), c'est en dehors de lui qu'est menée la manœuvre des cocardes. Le colonel Perdrizet, son adjoint sur place, en a reçu l'ordre par la voie du centre d'opérations mixte franco-israélien sans en saisir exactement le processus. Il est vrai que les militaires israéliens sur place (général Tolkovsky en particulier) ont cru ou feint de croire que nos pilotes et mécaniciens étaient des volontaires volant à leurs secours. La décision — on le sait par le livre d'Abel Thomas — avait en fait été prise à la conférence de Sèvres le 24 octobre, en l'absence de la délégation britannique.

L'aide de l'armée de l'Air s'est encore exercée par la fourniture d'un appui de transport (parachutages et aéroportages) mettant en œuvre une dizaine de Nord 2501 à plusieurs reprises, à

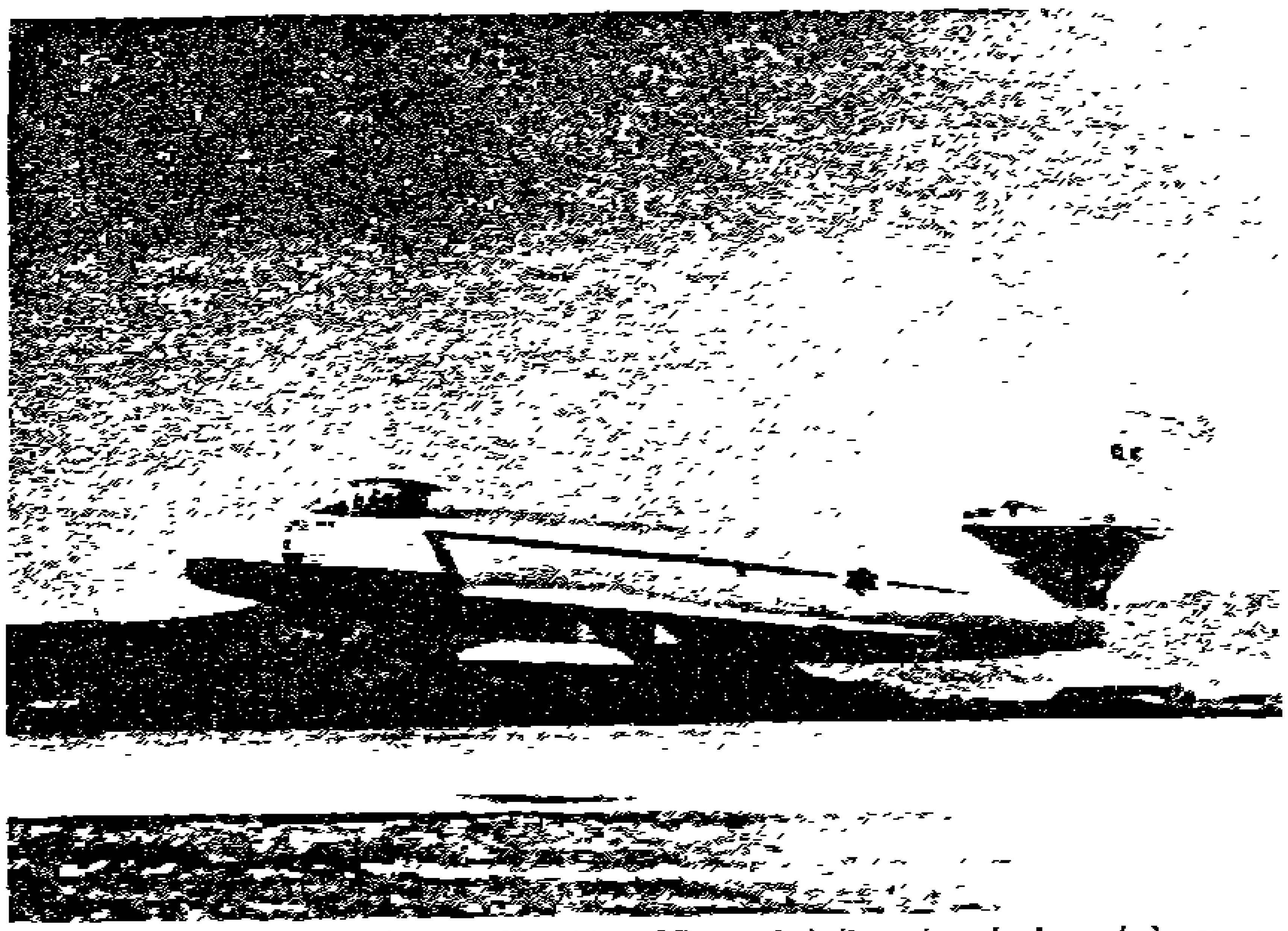

Mystère IV-A Marcel Dassault de l'escadron de chasse 1/2 appartenant à l'armée de l'Air française et piloté par des Français mais sous cocarde israélienne. (cliché SHAA)

partir de Chypre et à partir du territoire israélien, avec aussi un épisode de changement de marques, pendant la toute première phase des opérations ; il y a peu à en dire si ce n'est qu'une de ces missions a probablement, en lui parachutant l'eau, l'essence et les munitions qui lui faisaient défaut, sauvé du désastre une brigade accrochée dans le désert. A l'insu, là encore, du commandement britannique.

Il est permis de penser, pour tout ce qui est réputé s'être déroulé « à l'insu des Britanniques et à l'insu des Américains », que personne n'a vraiment été dupe : voir, sans s'étonner, décoller vers l'Est, après un plein partiel sur le terrain d'[illegible], 36 avions qui ne reviennent pas, relevé

Attaque du terrain de Louqsor par 25 Republic F-84 F, 4 novembre 1956 (cliché SHAA)

45

المطار الحربي بالأقصر والذي ضرب بالطائرات الفرنسية التي تحت العلامة الإسرائيلية

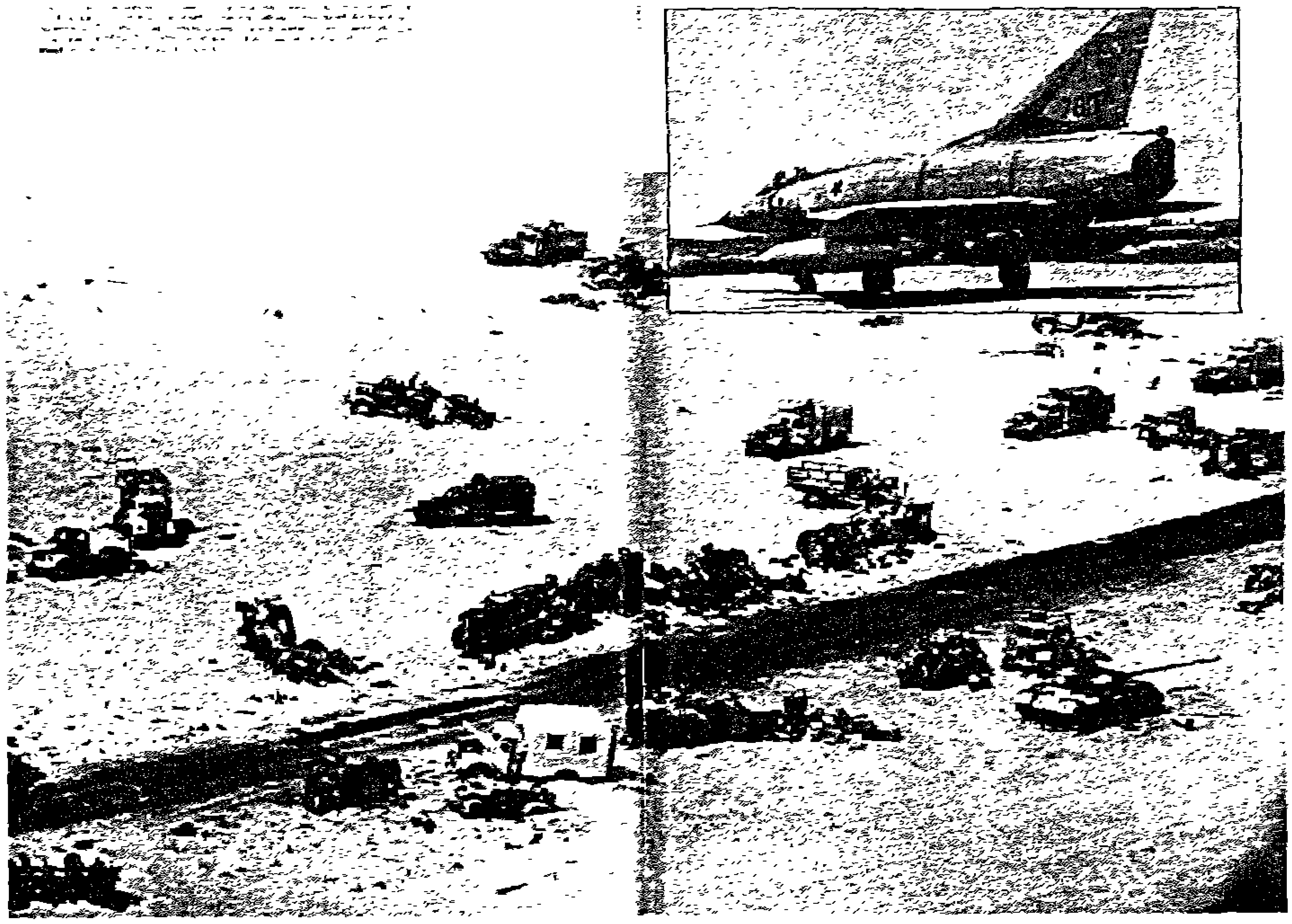

حرب ٦٧ الميراج الفرنسية وعليها علامة اسرائيلية والطيار فرنسى بملابس اسرائيلية في الهجوم علي ممر فلا بسيناء

وثيقة رقم (٩)

Above left: An Israeli Navy Dabur-class patrol boat passing through the Straits of Tiran near Sharm El Sheikh. (GPO) **Below left:** Centurion tank crews preparing for action in the Negev. **Above:** Israeli paratroopers waiting to emplane in Nord transport aircraft en route for action in the Sinai. At the last moment they were diverted to the Jerusalem front where they carried out the attack on the Old City. (GPO) **Below:** Israeli troops advancing towards the Suez Canal are strafed by some of the surviving Egyptian MiG 17 fighters. (GPO)

أثناء حرب ٦٧ بعد ضرب الطائرات المصرية قام الطيارون المصريون بالهجوم على الجيش الأسرائيلى (مدرعات ميكانيكية) فى وسط سيناء وهذه هي الصورة الوحيدة التى ألتقتط لهجوم المصريين (اليوم الثاني وأصابوا بالقنابل حوالى ٢٥٠ كيلو خسائر للإسرائيلين وكانت معركة شجاعة من الطيارين المصريين

وثيقة رقم (١٠)

In late 1962, the Republican Forces only controlled a small triangle including Sana'a. The Marshall Abdel Hakim Amer went personally to the Yemen to break the deadlock. In the three week Ramadan Offensive of February/March 1963, the Marshal took all the towns of any significance cleared all the roads. and pushed the Royalist troops into the mountains. This operation was an outstanding success.

"The War in the Yemen" Edgar O'balance Faber & Faber, London. 1971. pp 79-99.

planned to stop the Royalists creeping towards Sana, to open the roads leading from the capital, to seize all the major towns in the country, and generally to increase the territory under Republican control. He arrived in the Yemen in late January 1963 and remained until early March, during which time he personally conducted a series of operations which, as they coincided with the month-long Ramadan fast, became known as the Ramadan Offensive.

First of all he asked for the number of UAR troops to be brought up to 20,000, and the first reinforcements arrived early in February. On the 16th, with a strong armoured column, he pressed northwards along the mountain ridge towards Sada. Prince Mohammed Hussein, who had about 1,500 Yemenis in training in camps near Najran, was ordered to take them to block the Egyptians. They were completely unsuccessful, being poorly-trained and were brushed aside and scattered. On the 18th Field-Marshal Amer was in Sada, and his aircraft, tanks and guns had driven back into the shelter of the mountains all the Royalist tribesmen who had attempted to oppose him.

A similar strong, armoured thrust was next pushed out eastwards along the Sana-Marib Corridor, tumbling back the Royalists who vainly tried to stand up to a rain of bombs and bullets. Marib was taken on the 25th by Amer, who next turned his attention to clearing the road southwards from Sana through Dhamar, Yarim and Ibb. This was done within days. He then made for Harib, now the only town of any size still held by the Royalists, and this fell to the Egyptians on 7th March, the garrison decamping into Beihan as the Republicans approached. In a short three-week offensive, the Field-Marshal had seized every single town of any size in the country, cleared all the main routes, and pressed the Royalists back into the mountains. Additionally, his control of Harib meant the cutting-off of what had developed into a main Royalist supply route up through Beihan. The Ramadan Offensive had been a huge success. Over half the country was under effective Republican authority, many more tribes had been brought within its writ, and as a result, many others had second thoughts about backing the Imam.

This short, sharp offensive tended to overshadow the growing discontent within the Yemen about the excessive Egyptian

interference in Yemen affairs, and criticism had become centred on the person of Abdul Rahman Baidani, the Vice-President and Deputy Premier. Baidani left suddenly for Cairo on 20th January, and did not return. For a while nothing was said officially, and it was not until 18th February, by which time Amer's offensive was in full swing, that as-Sallal re-shuffled his Cabinet and formally dropped Baidani from it, depriving him of all his posts and titles. On the 21st, Abdul Rahman Baidani spoke out from Cairo, admitting he had differences of opinion with as-Sallal, but denying rumours that the UAR had been asked to send him back to the Yemen to face treason charges. Clearly Baidani had been sacrificed by Nasser for the sake of expediency.

وثيقة رقم (١١)

Signature of a Joint Defense Agreement by Jordan and the UAR

Dear brother,[58] on behalf of the Arab people I take advantage of this opportunity to express my thanks and appreciation to you for the step and initiative you have taken and for your visit to Cairo. There were some differences between us, but the position of the Arab nation today stipulates that responsible men should adopt this attitude. Today we face the fateful battle of the entire Arab nation. We face challenges, not only Israel's challenges but also those of its supporters—America and Britain. This is clear to every person in the Arab nation.[59]

---

[58] King Hussein of Jordan came to the UAR for signature of the treaty, the text of which is printed in *The New York Times*, May 30, 1967 and 6 *International Legal Materials* 516. The agreement was subject to ratification processes in both states. It was to be of 5 years duration, provided that an attack on either party was to be considered an attack on both, and stated that joint military operations would be under the command of the chief of staff of the UAR armed forces. On June 4, Iraq adhered to the UAR–Jordan defense agreement.

[59] On the preceding day, President Nasser had made a statement to a visiting group of delegates from the UAR National Assembly, from which the following is an excerpt:

> "If the United States and Britain are partial to Israel, we must say that our enemy is not only Israel but also the United States and Britain and treat them as such. If the Western powers disavow our rights and ridicule and despise us, we the Arabs must teach them to respect us and take us seriously. Otherwise, all our talk about Palestine, the Palestinian people, and Palestinian rights will be null and void and inconsequential. We must treat enemies as enemies and friends as friends. I said yesterday that the states that champion freedom and peace have supported us. I spoke about the support given us by India, Pakistan, Afghanistan, Yugoslavia, Malaysia, the CPR, and the Asian and African states.
>
> "After my statements yesterday, I met with War Minister Shams Badran and learned from him what took place in Moscow [on his visit, May 26–28]. I wish to tell you today that the Soviet Union is a friendly power and stands by us as a friend. In all our dealings with the Soviet Union—and I have been dealing with the U.S.S.R. since 1955—it has not made a single request of us. The U.S.S.R. has never interfered in our policy or internal affairs. This is the U.S.S.R. as we have always known it. Actually, it is we that made urgent requests of the U.S.S.R. Last year, we asked for wheat and they sent it to us. When I also asked for all kinds of weapons, they gave them to us.

Document VII-9

Statement Made by the President of the UAR (Nasser), May 30, 1967[57]

---

[57] Department of State files.

To face the challenge the Arab nation must be united to achieve and assert its rights. It should defend Arab dignity. The attitude you adopted today and the initiative you have shown confirm that no matter how much the Arabs disagree, when they face the question of fate and the question of the Arab nation they forget everything else. After our political and military talks this morning we agreed on everything. Such action constitutes power for the entire Arab nation.

The Egyptian, Jordanian, Syrian, and Lebanese armies are stationed on Israel's borders to confront the challenge. Behind us are the Iraqi, Algerian, Kuwaiti, and Sudanese armies as well as the entire Arab nation. This action shows the world that when things become really serious, the Arabs will be on the battlefield. The phase is one of serious action, not talk.

Talk, no matter how impressive, is insufficient. Israel, America, and Britain must know that every citizen of the Arab nation is determined to achieve his right. It is not a question of the Gulf of Aqaba but of Palestine rights. The West talks about the Gulf of Aqaba, opening of the gulf to navigation, and peace and stability, but we say we want peace based on justice.

I hope you will inform the fraternal Jordanian people that at this moment we are united as one. This agreement has immediately united the Jordanian Armed Forces with the armed forces here in Egypt. As a result all of us will be on the frontline as one man

I thank you again, dear brother, and wish you success and the fraternal Jordanian people very glory and progress.

When I met with Shams Badran yesterday he handed me a message from Soviet Premier Kosygin saying that the U.S.S.R. supports us in this battle and will not allow any power to intervene until matters were restored to what they were in 1956.

"Brothers: We must distinguish between friend and foe, friend and hypocrite. We must be able to tell who is making requests, who has ulterior motives, and who is exerting economic pressure. We must also know those who offer their friendship to us for no other reason than the desire for freedom and peace. In the name of the UAR people, I thank the people of the U.S.S.R. for their great stand, which is the stand of a real friend. This is the kind of stand we expect. I said yesterday that we have not requested that the U.S.S.R. or any other state intervene, because we really want to avoid any confrontation which might lead to a world war and also because we really work for peace and advocate world peace. When we voiced the policy of nonalinement, our chief aim was world peace." (Department of State files.)

On May 30, the Turkish Government announced that authorization had been granted the Soviet Union to send 10 warships from the Black Sea into the Mediterranean.

504 [Doc. VII–10]

وثيقة رقم (١٢)

Speech by Gamal Abdel Nasser to the UAR Air Force Advanced Command May 22, 1967

Here he outlines that the UAR had received "accurate" information that Israel had massed 11-13 brigades against Syria. That as a result of this the UAR had sent units into Sinai, and had warned Israel from attacking Syria.

The rest is an overview of the events unfolding. He also accuses the Western Powers of allying themselves with Israel, by their non-implementation of UN resolutions, tacitly supported by the West.

Document VII-4

Address by the President of the UAR (Nasser) at the UAR Air Force Advanced Command, May 22, 1967 (Excerpt)[a]

"Under No Circumstances Will We [Egyptians] Allow the Israeli Flag To Pass Through the Aqaba Gulf"

. . . . .

. . . We are now face to face with Israel. In recent days Israel has been making threats of aggression and it has been boasting. On 12 May a very impertinent statement was made. Anyone reading this statement must believe that these people are so boastful and deceitful that one simply cannot remain silent. The statement said

[a] Department of State files; also *The New York Times*, May 26, 1967.

AMERICAN FOREIGN POLICY, 1967

that the Israeli commanders have announced they would carry out military operations against Syria in order to occupy Damascus and overthrow the Syrian Government. On the same day Israeli Premier Eshkol made a strongly threatening statement against Syria.[24] At the same time the commentaries said that Israel believed Egypt could not make a move because it was bogged down in Yemen.

Of course they say that we are bogged down in Yemen and have problems there. We are in Yemen. But they seem to believe the lies they have been saying all these years about our existence in Yemen. It is also possible that the Israelis believe such lies. We are capable of bearing our duties in Yemen and at the same time doing our national duty here in Egypt in defending our borders and in attacking if Israel attacks any Arab country.

On 13 May we received accurate information that Israel was concentrating on the Syrian border huge armed forces of about 11 to 13 brigades. These forces were divided into two fronts, one south of Lake Tiberias and the other north of the lake. The decision made by Israel at this time was to carry out an aggression against Syria as of 17 May. On 14 May we took our measures, discussed the matter, and contacted our Syrian brothers. The Syrians also had this information. On this basis Lt. Gen. Mahmud Fawzi left for Syria to coordinate matters. We told them that we had decided that if Syria was attacked, Egypt would enter the battle from the first minute. This was the situation 14 May. The forces began to move in the direction of Sinai to take up normal positions. News agencies reported yesterday that these military movements must have been the result of a previously well-laid plan. And I say that the sequence of events determined the plan. We had no plan before 13 May, because we believed that Israel would not dare attack any Arab country and that Israel would not have dared to make such an impertinent statement.

On 16 May we requested the withdrawal of the U.N. Emergency Force (UNEF) in a letter from Lt. Gen. Mahmud Fawzi.[25] We then requested the complete withdrawal of UNEF. A big world-wide campaign, led by the United States, Britain, and Canada began opposing the withdrawal of UNEF from Egypt. Thus we felt that there were attempts to turn UNEF into a force serving neo-imperialism. It is obvious that UNEF entered Egypt with our approval and therefore cannot continue to stay in Egypt except with our approval. Until yesterday, a great deal was said about UNEF. A campaign is also being mounted against the U.N. Secretary General, because he made a faithful and honest decision and could not surrender to the pressure brought to bear upon him by the United States, Britain, and Canada to make UNEF an instrument for implementing imperialism's plans.

It is quite natural—and I say this quite frankly—that had UNEF ignored its basic mission and turned to achieving the aims of imperialism, we would have regarded it as a hostile force and forcibly disarmed it. We are definitely capable of doing such a job. I say this now not to discredit the UNEF but to those who have neo-imperialist ideas and who want the United Nations to achieve their aims: There is not a single nation which truly respects itself and enjoys full sovereignty which could accept these methods in any form.

At the same time I say that the UNEF has honorably and faithfully carried out its duties. And the U.N. Secretary General refused to succumb to pressure. Thus, he issued immediate orders to the UNEF to withdraw. Consequently, we laud the UNEF, which stayed 10 years in our country serving peace. And when they left—at a time when we found that the neo-imperialist forces wanted to divert them from their basic aim—we gave them a cheerful sendoff and saluted them.

Our forces are now in Sinai, and we are in a state of complete mobilization in Gaza and Sinai. We note that there is a great deal of talk about peace these days. Peace, peace, international peace, international security, U.N. intervention, and so on and so forth, which appears daily in the press. Why is it that no one spoke about peace, the United Nations, and security when on 12 May the Israeli Premier and the Israeli commanders made their statements that they would occupy Damascus, overthrow the Syrian Regime, strike vigorously at Syria, and occupy a part of Syrian territory? It was obvious that they approved of the statements made by the Israeli Premier and commanders.

[24] See *The New York Times*, May 13, 1967.
[25] See doc. VII-1.

There is talk about peace now. What is peace? If there is a true desire for peace, we say that we also work for peace. But does peace mean that we should ignore the rights of the Palestinian people because of the lapse of time? Does peace mean that we should concede our rights because of the lapse of time? Nowadays they speak about a U.N. presence in the region for the sake of peace. Does U.N. presence in the region for peace mean that we should close our eyes to everything? The United Nations adopted a number of resolutions in favor of the Palestinian people. Israel implemented none of these resolutions. This brought no reaction from the United States.

Today U.S. Senators, members of the House of Representatives, the press, and the entire world speak in favor of Israel, of the Jews. But nothing is said in favor of the Arabs. The U.N. resolutions which are in favor of the Arabs were not implemented. What does this mean? No one is speaking in the Arabs' favor. How does the United Nations stand with regard to the Palestinian people? How does it stand with regard to the rights of the Palestinian people? How does it stand with regard to the tragedy which has continued since 1948? The peace talk is heard only when Israel is in danger. But when Arab rights and the rights of the Palestinian people are lost, no one speaks about peace, rights, or anything.

Therefore, it is clear that an alliance exists between the Western powers—chiefly represented by the United States and Britain—and Israel. There is a political alliance. This political alliance prompts the Western powers to give military equipment to Israel. Yesterday and the day before yesterday the entire world was speaking about Sharm el Sheikh, navigation in the Gulf of Aqaba, and Elath port. This morning I heard the BBC say that in 1956 Abdel Nasser pledged to open the Gulf of Aqaba.

Of course this is not true. It was copied from a British paper called the DAILY MAIL. No such thing happened. Abdel Nasser would never forfeit any UAR right. As I said, we would never give away a grain of sand from our soil or our country.

The armed forces' responsibility is now yours. The armed forces yesterday occupied Sharm el Sheikh. What is the meaning of the armed forces' occupation of Sharm el Sheikh? It is an affirmation of our rights and our sovereignty over the Aqaba Gulf. The Aqaba Gulf constitutes our Egyptian territorial waters. Under no circumstances will we allow the Israeli flag to pass through the Aqaba Gulf.

The Jews threatened war. We tell them you are welcome, we are ready for war. Our armed forces and all our people are ready for war, but under no circumstances will we abandon any of our rights. This water is ours. War might be an opportunity for the Jews —for Israel and Rabin [28]—to test their forces against ours and to see that what they wrote about the 1956 battle and the occupation of Sinai was all a lot of nonsense.

Of course there is imperialism, Israel, and reaction. Reaction casts doubt on everything and so does the Islamic alliance. We all know the Islamic alliance is now represented by three states: the Kingdom of Saudi Arabia, the Kingdom of Jordan, and Iran. They are saying that the purpose of the Islamic alliance is to unite the Moslem against Israel. I would like the Islamic alliance to serve the Palestine question in only one way: by preventing the supply of oil to Israel. The oil which now reaches Israel through Elath comes from one of the Islamic alliance states. It goes to Elath from Iran. Who is supplying Israel with oil? The Islamic alliance—Iran, an Islamic alliance state. Such is the Islamic alliance. It is an imperialist alliance, and this means it sides with Zionism because Zionism is the main ally of imperialism.

The Arab world, which is now mobilized to the highest degree, knows all this. It knows how to deal with the imperialist agents, the allies of Zionism, and the fifth column. They say they want to coordinate their plans with us. We cannot at all coordinate our plans with Islamic alliance members because it would mean giving our plans to the Jews and to Israel. This is a serious battle. When we said we were ready for the battle, we meant that we would indeed fight if Syria or any other Arab state was subjected to aggression.

The armed forces are now everywhere. The army and all the forces are now mobilized, and so are the people. They are all behind you, praying

[28] Maj. Gen. Itzhak Rabin, Israel Chief of Staff.

for you day and night and feeling that you are the pride of their nation, of the Arab nation. This is the feeling of the Arab people in Egypt and outside Egypt. We are confident that you will honor the trust. Everyone of us is ready to die and not give away a grain of his country's sand. This, for us, is the greatest honor. It is the greatest honor for us to defend our country. We are not scared by imperialist, Zionist, or reactionary campaigns. We are independent, and we know the taste of freedom. We have built a strong national army and achieved our objectives. We are building our country.

There is currently a propaganda campaign, a psychological campaign, and a campaign of doubt against us. We leave all this behind us and follow the course of duty and victory. May God be with you."

وثيقة رقم (١٣)

NOTES ON ARCHIVAL RESOURCE 1967 WAR

Report of UN Sec. General U-Thant: May 19, 1967

The Brutally Realistic and Dangerous Situation in the Near East

Overview if the situation,

Section 9 refers to reports of troop build up and movement by Israel on the Syrian border. That these caused anxiety. According to UN observers NO troop concentrations or significant troop movements have been observed.

Section 18; As of this date there have been troop concentrations, but not in alarming proportions.

In the light of today's developments we are giving urgent consideration in consultation with others to the further steps that might be required in support of peace and the role of the United Nations in preserving it in the Middle East.

Document VII-3

Report of the U.N. Secretary-General (Thant), May 19, 1967 [18]

The "Brutally Realistic and Dangerous Situation" in the Near East

1. I have felt it to be an obligation to submit this report in order to convey to members of the Council [19] my deep anxiety about recent developments in the Near East and what I consider to be an increasingly dangerous deterioration along the borders there.

2. The members of the Council will be aware of the special report on the United Nations Emergency Force which I made to the General Assembly on 18 May 1967 [A/6669].[20]

3. I am very sorry to feel obliged to say that in my considered opinion the prevailing state of affairs in the Near East as regards relations between the Arab States and Israel, and among the Arab States themselves, is extremely menacing.

4. There has been a steady deterioration along the line between Israel and Syria, particularly with regard to disputes over cultivation rights in the demilitarized zone, since the first of the year. In this regard I may point to my notes to the Council of 15 January 1967 [S/7683] and of 8 May 1967 [S/7877]. In late January the Chief of Staff of the United Nations Truce Supervision Organization in Palestine, General Odd Bull, obtained the agreement of Israel and Syria to attend an emergency and extraordinary meeting of the Israel-Syrian Mixed Armistice Commission on an agreed agenda item on cultivation problems. Three meetings were actually held but the agreed agenda item was not discussed because both parties insisted on first bringing up broader issues. It has not been possible to achieve a resumption of these meetings owing to an impasse over a position taken firmly by Syria.[21] In consequence, General Bull, on my advice [See S/7877], is now trying to initiate separate discussions with the two parties in order to work out practical cultivation arrangements affecting disputed lands along the line.

5. It was precisely in the effort to avert serious armed clashes such as that which occurred on 7 April 1967 [22] that so much emphasis has been given by the Chief of Staff of the United Nations Truce Supervision Organization in Palestine to the need for discussion and agreement on cultivation arrangements, whether achieved within or outside the Israel-Syrian Mixed Armistice Commission. In the absence of such an agreement, tension along the line continues high and the possibility of new armed clashes in disputed areas is ever-present.

6. A number of factors serve to aggravate the situation to an unusual degree, increasing tension and danger.

7. El-Fatah activities, consisting of terrorism and sabotage, are a major factor in that they provoke strong reactions in Israel by the Government and population alike. Some recent incidents of this type have seemed to indicate a new level of organization and training of those who participate in these actions. It is clear that the functions and resources of the Truce Supervision Organization do not enable it to arrest these activities. Although allegations are often made, to the best of my knowledge there is no verified information about the organization, central direction and originating source of these acts, which have occurred intermittently in the vicinity of Israel's lines with Jordan, Lebanon and Syria. All three of the latter Governments have officially disclaimed responsibility for these acts and those who perpetrate them. I am not in a position to say whether any or all of the Governments concerned have done everything they reasonably can to prevent such activities across their bor-

---

[18] U.N. doc. S/7896 and Corr. 1.
[19] The U.N. Security Council.
[20] Doc. VII-1.

[21] After the first meeting of the Israel-Syria Mixed Armistice Commission, Jan. 25, 1967, Syria demanded that Israel evacuate areas of the demilitarized zone along its border.
[22] On this occasion, exchanges of ground fire consequent on Syrian objections to cultivation by Israel of a disputed area led to clashes between aircraft of the two nations.

ders. The fact is that they do recur with disturbing regularity.

8. Intemperate and bellicose utterances, by other officials and non-officials, eagerly reported by the Press and radio, are unfortunately more or less routine on both sides of the lines in the Near East. In recent weeks, however, reports emanating from Israel have attributed to some high officials in that State statements so threatening as to be particularly inflammatory in the sense that they could only heighten emotions and thereby increase tensions on the other side of the lines.

9. There have been in the past few days persistent reports about troop movements and concentrations, particularly on the Israel side of the Syrian border. These have caused anxiety and at times excitement. The Government of Israel very recently has assured me that there are no unusual Israel troop concentrations or movements along the Syrian line, that there will be none and that no military action will be initiated by the armed forces of Israel unless such action is first taken by the other side. Reports from observers of the Truce Supervision Organization have confirmed the absence of troop concentrations and significant troop movements on both sides of the line.

10. The decision of the Government of the United Arab Republic to terminate its consent for the continued presence of the United Nations Emergency Force on United Arab Republic territory in Sinai and on United Arab Republic controlled territory in Gaza came suddenly and was unexpected. The reasons for this decision have not been officially stated, but they were clearly regarded as overriding by the Government of the United Arab Republic. It is certain that they had nothing to do with the conduct of the Force itself or the way in which it was carrying out the mandate entrusted to it by the General Assembly and accepted by the Government of the United Arab Republic when it gave its consent for the deployment of the Force within its jurisdiction. There can be no doubt, in fact, that the Force has discharged its responsibilities with remarkable effectiveness and great distinction. No United Nations peace-keeping operation can be envisaged as permanent or semi-permanent. Each one must come to an end at some time or another. The United Nations Emergency Force has been active for ten and a half years and that is a very long time for any country to have foreign troops, even under an international banner, operating autonomously on its soil. On the other hand, it can be said that the timing of the withdrawal of the Force leaves much to be desired because of the prevailing tensions and dangers throughout the area. It also adds one more frontier on which there is a direct confrontation between the military forces of Israel and those of her Arab neighbours.

11. It is well to bear in mind that United Nations peace-keeping operations such as the United Nations Emergency Force, and this applies in fact to all peace-keeping operations thus far undertaken by the United Nations, depend for their presence and effectiveness not only on the consent of the authorities in the area of their deployment but on the co-operation and goodwill of those authorities. When, for example, the United Arab Republic decided to move its troops up to the line, which it had a perfect right to do, the buffer function which the Force had been performing was eliminated. Its continued presence was thus rendered useless, its position untenable, and its withdrawal became virtually inevitable. This was the case even before the official request for the withdrawal had been received by me.

12. It is all too clear that there is widespread misunderstanding about the nature of United Nations peace-keeping operations in general and the United Nations Emergency Force in particular. As I pointed out in my special report of 18 May 1967 to the General Assembly "The United Nations Emergency Force is, after all, a peace-keeping and not an enforcement operation". This means, of course, that the operation is based entirely on its acceptance by the governing authority of the territory on which it operates and that it is not in any sense related to Chapter VII of the Charter. It is a fact beyond dispute that neither the United Nations Emergency Force nor any other United Nations peace-keeping operation thus far undertaken would have been permitted to enter the territory involved if there had been any suggestion that it had the right to remain there against the will of the governing authority.

13. The order for the withdrawal of the United Nations Emergency Force has been given. The actual process of withdrawal will be orderly,

335-829—69——35

deliberate, and dignified and not precipitate.

14. I do not believe that any of the Governments concerned are so careless of the welfare of their own people or of the risks of a spreading conflict as to deliberately embark on military offensives across their borders, unless they become convinced, rightly or wrongly, that they are threatened. Nevertheless, there is good reason to fear that the withdrawal of the Force will give rise to increased danger along the armistice demarcation line and the international frontier between Israel and the United Arab Republic. The presence of the Force has been a deterrent and restraining influence along both lines. There are some particularly sensitive areas involved, notably Sharm el Sheikh and Gaza. The former concerns the Strait of Tiran. In the Gaza Strip there are 307,000 refugees and the substantial Palestine Liberation Army must also be taken into account.

15. It is true to a considerable extent that the Force has allowed us for ten years to ignore some of the hard realities of the underlying conflict. The Governments concerned, and the United Nations, are now confronted with a brutally realistic and dangerous situation.

16. The Egyptian-Israel Mixed Armistice Commission, established by the Egyptian-Israel General Armistice Agreement, remains in existence with its headquarters at Gaza, and could, as it did prior to the establishment of the United Nations Emergency Force, provide a limited form of United Nations presence in the area, as in the case of the other Mixed Armistice Commissions which are served by the United Nations Truce Supervision Organization in Palestine. The Government of Israel, however, has denounced the Egyptian-Israel Mixed Armistice Commission and for some years has refused to have anything to do with it. The United Nations has never accepted as valid this unilateral action by the Government of Israel. It would most certainly be helpful in the present situation if the Government of Israel were to reconsider its position and resume its participation in the Egyptian-Israel Mixed Armistice Commission.

17. Similarly, I may repeat what I have said in the past, that it would be very helpful to the maintenance of quiet along the Israel-Syrian line if the two parties would resume their participation in the Israel-Syrian Mixed Armistice Commission, both in the current emergency session and in the regular sessions.

18. Since the announcement of the decision of the Government of the United Arab Republic with regard to the United Nations Emergency Force, tension in the area has mounted. Troop movements on both sides have been observed, but as of the evening of 19 May these do not seem to have attained alarming proportions. Although one brief shooting incident on 19 May has been reported, I believe it can be said that as of this moment there is no indication on either side of the line of any major action of an offensive nature, but the confrontation along the line between the armed forces of the two countries which has been avoided for more than ten years now quickly begins to reappear. Unless there is very great restraint on both sides of the line, one can readily envisage a series of local clashes across the line which could easily escalate into heavy conflict.

19. I do not wish to be alarmist but I cannot avoid the warning to the Council that in my view the current situation in the Near East is more disturbing, indeed, I may say more menacing, than at any time since the fall of 1956.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

قائمة المراجع

الكتاب	المؤلف
شهود ثورة يوليو	أحمد حمروش
مذكراتي في السياسة والثقافة	ثروت عكاشة
أطول يوم في العالم	جمال حماد
الأسطورة والمأساة	حسنين كروم
والآن أتكلم	خالد محي الدين
محاضر محادثات الوحدة ١٩٦٣	دار المسيرة
من مذكرات صلاح نصر	صلاح نصر
شاهد علي حرب ٦٧	الفريق صلاح الدين الحديدى
ملفات ثورة يوليو	طارق حبيب
شهادتي	عصام الدين حسونة
حقيقة ثورة يوليو (لجول جوريون)	ترجمة/عادل عبد الصبور
العشاء الأخير. وشموع لا تضيء	عبد الصمد محمد عبد الصمد
مذكرات عبد اللطيف البغدادى	عبد اللطيف البغدادى
الفريق مرتجي يروي	الفريق / عبد المحسن مرتجى
الطريق إلي النكسة - د/ محمد الجوادى - مذكرات الفريق /أنور القاضى -اللواء/ عبد الحميد الدغيدى	
وثائق ١٥ مايو	موسي صبري
الانفجار	محمد حسنين هيكل
كلمتي للتاريخ - ومصير مصر	محمد نجيب
حرب العدوان الثلاثى علي مصر	وزارة الدفاع هيئة البحوث العسكرية
مذبحة الأبرياء	وجيه أبو ذكرى

الفهـــرس

الموضوع	الصفحة
المقـدمـة	٢
الفصل الأول	
نفيســـــة	٩
المرحلة الأولى	١١
المرحلة الثانية	٢٩
ندوة الخميس	٥١
القلب الوحيد	٥٣
منــاورات	٥٨
الفصل الثاني	
الطريق إلي قدري .. إلى عامر	٦٩
الأشباح .. فى الطريق الى قدرى	٨٠
الإيـطاليـون	٨٧
كنجي حبيبتي	١٠١
وساوس	١٠٦
إعترافات	١١٢
القنبلة	١١٩
نبذة عن تاريخ المشير عبد الحكيم عامر	١٢١
دور عبد الحكيم في الثورة	١٢٦
محاولة إغتيال حسين سرى عامر	١٣٣
رجل المهام الصعبة	١٣٥
صداقة تحدت المستحيل	١٤٤
أزمة مارس .. بذورالانقسام داخل الضباط الأحرار	١٥٧
عودة نجيب رئيساً للجمهورية	١٦٦

قرارات ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ ١٧١
السلطة الفعلية فى يد عبد الناصر ١٧٦
مؤتمر باندونج ١٨٠
الروس يظهرون على السطح ١٨٢
صدامات الحدود ١٨٥
تدهور العلاقات مع بريطانيا وفرنسا ١٨٧
السد العالي ١٨٨
تأميم قناة السويس ١٩٢
هجوم اسرائيل وقرار الانسحاب ١٩٦
توتر العلاقة بين عبد الناصر وعامر ٢٠١
موقف الولايات المتحدة ٢٠٥
الإنذار السوفييتى ٢٠٧
نتائج الغزو ٢٠٩
الفصل الثالث
الوحدة مع سوريا .. وحرب اليمن ٢١١
العدوان الثلاثى ٢١٣
تحركات قبل الوحدة ٢١٥
سفر الوفد العسكرى السورى إلى القاهرة ٢١٧
موقف شكرى القوتلى ٢١٩
مؤامرة سعود ٢٢١
قيام الوحدة وإعلان الاتحاد العربى الهاشمى ٢٢٤
إعادة تنظيم الجيش الأول وتسريح الضباط الشيوعيين ٢٢٧
أحداث خارجية أثرت على الوحدة ٢٢٩
ثورة العراق ٢٣١
عبد الحكيم عامر ممثلا لعبد الناصر فى سوريا ٢٣٣
الخلاف بين السراج والوزراء العسكريين ٢٣٥

الخلاف بين عامر والسراج ٢٣٧
آثار اجتماع ... المعمورة أغسطس ١٩٦٠ ٢٤١
تأميم البنوك والقرارات الاشتراكية ٢٤٤
وقوع الانفصال ٢٤٦
مجرى الأحداث ٢٤٨
قرارات عبد الناصر فى القاهرة ٢٥٢
أزمة مجلس الرئاسة ٢٥٥
الستة الكرام ٢٥٨
الموقف السياسى في الساحة العربية قبيل ثورة اليمن ٢٦٠
السياسة المصرية تجاه اليمن قبيل الثورة ٢٦٢
قيام الثورة والتدخل المصري المسلح ٢٦٣

الفصل الرابع

شهر عسل ... وسنوات بلا عسل ٢٧٩

من عالم الفن الى عالم السياسة ٢٨٤
خلافات بعد الثورة ٢٨٦
قصر البرملى ٢٨٨
عبد الناصر فى ضيافتنا ٢٩٠
المعارضة ٢٩٣
خطاب كمال الدين حسين إلى جمال عبد الناصر ٢٩٤
خطاب عبد الحكيم عامر إلى كمال الدين حسين ٢٩٧
والنجم إذا هوى ٣٠١
التجيم والتجسس والتآمر ٣٠٢
الحذر من الروس ٣٠٦
سحر بريونى ٣١٠
المشير والأجهزة ٣١٣
مصايد لعبد الحكيم فى الجو والبر!! ٣١٧

نبـات خبيـث فـى بسـتـان وحـدتى ٣٢٢
قضيـــة الصيـرفـى ٣٣٠
وفـاء رغـم السيـاسـة ٣٣٢

الفصل الخامس

حرب ٦٧ من وجه النظر السياسية ٣٣٧
المؤامرة الدوليــة ٣٤٤
تعديلات الخطط ٣٤٧
سير العمليات في الأردن وسوريا ٣٥٥
خدعة أبو موسى الأشعرى ٣٥٩
أسباب الهزيمة من وجهة النظر العسكرية المتخصصة ٣٦٥
تنظيم القيادة العسكرية ٣٧٠
الحشود الإسرائيلية امام سوريا ٣٧٢
الخطة الدفاعية عن سيناء ٣٧٨
قــرار الإنسحــاب ٣٨٨
قالوا عن هزيمة حرب ٦٧ ٣٩٤
التنحـــى ٤١٠

الفصل السادس

رحلـة صيــــد ٤١٥
الرّضا .. والغضب ٤٢٣
أزمة أخرى !! ٤٣٣
أنا وهو وعمرو ٤٣٥
فصل الخطاب ٤٤٠
الاعتقـــال ٤٣٦
مواجهات ٤٨٠
الآلة الكاتبة ٤٨٢
شاهد من الماضى ٤٨٣

مواجهة غيابى	٤٨٤
عجوز فى سن الشباب	٤٨٩
الحـــــلم	٤٩٢
رائحة الموت	٤٩٤
نزهة حول مبني المخابرات	٤٩٧
استجواب بالكرباج	٤٩٨
أسئلة عبد الناصر	٥٠٣
قتلوا عامر	٥٠٥
عبد الناصر على التليفون	٥٠٩
من السجن إلي السجن	٥١١
الخروج إلي أين	٥٢٠
الانقضاض علي الفريسة	٥٢٤
تحديد إقامة جثة	٥٢٩
الروس والمأمور الثورى	٥٤٣
رحلة البحث	٥٥١
قمة المأساة	٥٧٧
شهود العيان	٥٨٠
الثغرات فى تقرير النائب العام	٥٨٤
تقرير خبير السموم	٥٩٠
لماذات ؟؟	٦٠٧
الخاتمة	٦١٠
الملحق الوثائقى	٦١١
قائمة المراجع	٦٤٩

تم بحمد الله

٢٠ ش الجامع الإسماعيلي – ت : ٧٩٦٢٣٦٤

محمول : ٠١٠/١١١٨٨٨٤ – ٠١٢/٧١١٧٣٠٦

المدير العام

سمير الطويجي

الطريق إلى قدري .. إلى عامر

■ بعد عشر سنوات من إصدار كتاب (المشير وأنا) .. والذى دفعنى إلى كتابة هذا الكتاب الجديد، هو أن هزيمة ٥ يونيو، ومصرع المشير، أذيعت قصتهما من جانب واحد، وهو جانب جمال عبد الناصر، ومراكز القوى، وبعض أعضاء مجلس الثورة، ممن التزموا طريق "الموافقة" على الدوام، لضمان سلامتهم، حتى لا يطاح بهم مثلما أطيح بمحمد نجيب، ويوسف صديق، وعبد المنعم امين، وصلاح سالم، وجمال سالم، وكمال الدين حسين وغيرهم ممن لاتخفى أسماؤهم على الجميع.

أما الجانب الآخر، فقد أخرس لسانه، إما بالقتل، أو بالسجن، أو بالتهديد. وقد آن الأوان لهذا الجانب الصامت ان يتكلم لأن الحقيقة لا تعرف من جانب واحد. ■■

Des. Mostafa Khairy

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0302420